

ديوان  
محمد إقبال

الأعمال الكاملة

إعداد  
سيد عبد الماجد الغوري

الجزء الأول

دار الزكوة

دِيَوَان

مَجْمَعَةُ  
أَقْبَالِكُمْ  
نَبِيْقِي

إِعْتَاد  
سَيِّدِ عَبْدِ الْمَاجِدِ الْغُورِيِّ

الجزء الأول

دَارُ الْكُتُبِ  
(دِمَشْق - بَيْرُوت)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

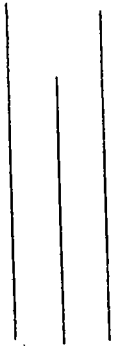
الْإِهْدَاءُ

إِلَى رَأْسِ الْأَدَبِ الْإِسْلَامِيِّ  
الْعَلَّامَةِ أَبِي أَحْسَنِ عَلِيِّ أَحْسَنِ النَّدَوِيِّ  
(رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى)  
الَّذِي يُرْجَى إِلَيْهِ فَضْلٌ كَبِيرٌ فِي تَعْرِيفِ

مَحْدِ اقْبَالِ

بَيْنَ الْعَرَبِ خِلَالَ كِتَابَاتِهِ وَمُحَاضَرَاتِهِ  
كَمَا عَمِلَ عَقِيدَةً وَدَعَاؤُهُ وَرِسَالَتُهُ  
وَكَمُفَكِّرِ عَاشٍ بِالْإِسْلَامِ وَوَلَهُ  
مُنُوهًا بِمَا كَانَ لَهُ فِي الْمَاضِي، وَمُتَأَلِّمًا آلَ إِلَيْهِ فِي الْحَاضِرِ  
وَكَدَائِعِيَّةً إِلَى الْمَجْدِ الْإِسْلَامِيِّ، وَسَيَادَةِ الْمُسْلِمِ  
وَكَأَعْظَمِ نَائِرِ عَلَى هَذِهِ الْحَضَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْمَادِيَّةِ  
وَأكْبَرِ نَاقِدِيهَا وَحَاقِدِي عَلَيْهَا.

عبد الماجد الغوري



ديوان

مكتبة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الطبعة الثالثة

1428 هـ - 2007 م

## جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

# دار ابن كثير

## للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : أدب - الشعر

العنوان : ديوان محمد إقبال 2/1

الإعداد : سيد عبد الماجد الغوري

نوع الورق : شاموا

ألوان الطباعة : لون واحد

عدد الصفحات : 1112

القياس : 24×17

نوع التجليد : كرتونية

الوزن : 2 كغ

التنفيذ الطباعي : مطبعة ipex - بيروت

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجاهلي

ص.ب : 311 - هاتف : 2225877 - 2228450 - فاكس : 2243502

بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 - تليفون : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com



## مقدمة الديوان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وبعد : فقد خدمت شبه القارة الهندية الإنسان والعلم والحكمة والمعرفة والفلسفة والأدب والفن طول التاريخ ، وأنجبت من الأمم والحضارات والناس والرجال والأعلام ما يكاد يعجز العد والإحصاء والحصر عن الإحاطة به .

وكانت البداية المعروفة للشعر الأردوني في هذه البلاد منذ سنة ١٤٥٠م ، وقد برز واشتهر خلال تلك الفترات الطوال مئات الشعراء ، أعرض هنا أسماء بعضهم على سبيل المثال ، ومن أشهرهم : ميرزا أسد الله غالب أحد أكبر شعراء الأردوية ، وله دواوين مطبوعة بالفارسية والأردوية ، والنواب ميرزا خان داغ ، أحد فحول شعراء الأردوية ، كان أستاذاً للنظام السادس « محبوب علي خان آصفجاه » أمير حيدرآباد ( دكن ) ، نال عدة ألقاب من الدولة ، وله دواوين مطبوعة ، وغيرهما هناك شعراء مشهورون كأنيس ، ودبير ، وحالي ، وأكبر إله آبادي ، وأمجد الحيدريآبادي ، وهؤلاء الشعراء الذين يُعدُّ شعرهم بالأدب الأردوني حجة ، ويُستشهد بها فيه . فهناك من هؤلاء الشعراء المذكورين مثل : داغ ، وأنيس ، ودبير ، قالوا مرثيات تحتوي على خمسمئة مسدس ، أو ستمئة مسدس ، وكلُّ مسدس يحتوي على ثلاثة أبيات ، واللغة الأردوية بعد هذا لغة استوعبت كلَّ المعاني والأوصاف الجميلة ، وعلم الفلسفة والتصوف ، وقيل فيها شعر المراثي والتشبيب والغزل ، كما أُلِّف بها القصص والروايات ، وقد ظهر من أدباء هذه اللغة رجال فحول ، أمثال : محمد حسين آزاد ، والعلامة شبلي النعماني ، وعبد الحلِيم شَرَز ، ومولانا أبي الكلام آزاد ، وأحمد علي أمرتسري ، ونيّاز فتحفورِي ، والأستاذ أَخْتَر علي ، وقيس غَازِي فُوري ، والشيخ حَسَن النُّظامي ، والشيخ عبد الماجد الذَّربَابَادِي ، وحَيْدَر طَبَّاطْبَائِي وغيرهم كثيرون .

ولكن لم تُتجب اللغة الأردوية شاعراً وأديباً كمحمد إقبال يتسم شعره بسهولة الأسلوب ، ووضوح العبارة ، وقوة المعاني ، وسرعة التأثير ، وكذلك لا يُعرف اليوم شاعرٌ من بين شعراء هذه اللغة طُبعت دواوينه مئات المرات غير محمد إقبال ، وقد جاء في إحدى المقالات التي قُرئت في مهرجان إقبال المثوي المنعقد في مدينة « لاهور » تحت إشراف حكومة باكستان عام ١٩٧٧م ، أن عدد ما صدرَ عن محمد إقبال من الكتب

والرسائل في لغات العالم المختلفة ، قد بلغ ألفين ( ٢٠٠٠ )<sup>(١)</sup> ، ما بين كتاب ورسالة ، هذا عدا ما نُشرَ عنه من البحوث والمقالات ، وما أُلقي من أحاديث ومحاضرات في مجالات مختلفة وحفلات أدبية في فترات متقطعة ومناسبات مختلفة ، وبذلك فاقَ محمد إقبال كبار شعراء العالم كـ « شكسبير » الإنجليزي ، و « دانتي » الإيطالي ، و « طاغور » الهندي ، فلم يكتب عن أحدٍ معشار ما كُتِبَ عنه ، وفي كل سنة يصدرُ فيض من البحوث والمقالات في الجامعات ، والمجامع العلمية ، والنوادي الأدبية ، ولا يزال في مدِّ وزيادة دون توقُّفٍ ، وتتصاعدُ درجةُ درجةً في سبيل التوصلِ لاستيعاب أفكار محمد إقبال وإدراكها .

وقد رُزِقَ محمد إقبال من الاحترام والتقدير أن ملايين المسلمين في هذه البلاد - الهند وباكستان - يعتقدون فيه ما تعتقده الأمة في المرشد المُلهَم ، والباحث المُتحرِّر ، والقائد الرائد ، والمفكر المُصلِح ، والفيلسوف المنقذ ، والسياسي الموجِّه ، ولم يُرزَق مثل هذا الاحترام والتقدير أحدٌ من أعلام مسلمي شبه القارة قبل في القرن العشرين لا في الهند فحسب بل في جميع العالم الإسلامي والعربي ، باستثناء الإمام المحدث الفقيه الشيخ عبد الحي اللكنوي في أوائل القرن ، والعلامة الإمام المفكر الداعية الأديب الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي - في أواخر القرن - رحمهما الله تعالى - .

وقد خلَّفَ شاعرُنَا العظيم خمسةَ دواوين باللغة الفارسية وأربعةً بالأردوية ، وقد أثر الفارسية أولاً لأنها أوسع من الأردوية ، وهي اللغة الإسلامية التي تلي اللغة العربية في الأهمية والانتشار في العالم الإسلامي ، ويشتمل هذا المجموع الكبير من شعره على ألوف المعاني الأصلية ، والأفكار الجديدة ، والمضامين البديعة ، الذي هو في الحقيقة تراث شعري عظيم في الأدب الفارسي والأردوي . أعرف هنا بجميع تلك الدواوين بالاختصار .

أما الدَّواوين الفارسية فمنها :

(١) - الأسرار والرُّموز ( أسرار خُودي ورُموز بيخودي )

يُعدُّ هذا الديوان من باكورة أعمال محمد إقبال الشعرية بالفارسية ، وهو يفرد فيه فكرة الذاتية ، فيدعو إلى وُجوب دعم الذات حتى تقوى وتعد نفسها لكفاح دائم مُتواصل لا يعرف أناءً ولا هدوءاً ، وفي نظره أن الجهاد الدائب هو حافظ الحياة ، وأن الجهاد في سبيل المقصد أعظم لذَّة من بلوغه ، ويصرح فيه بأنَّ الأقوام المغلوبة هي التي خدعت الأقوام الغالبة عن نفسها ، وزينت لها فكرة نفي الذات ، وسواء في منظومته « أسرار إثبات

(١) روايع إقبال للعلامة أبي الحسن الندوي ، صفحة (٨) ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

الذّات « أو في « أسرار نفي الذّات » لهذا الديوان أو في سائر أشعار إقبال . . . إننا نجد فكرة الذّاتية مبثوثة أحياناً ومجملة أحياناً أخرى ، ومفصلة حيناً ، وأحياناً صريحةً وأخرى ضمنيةً .

### (٢) رسالة الشّرق ( پیام مشرق )

طُبِعَ هذا الديوان أول مرّة عام ١٩٢٣ م ، وقَدّمه الشاعر على أنه شعر الفارسية الكامل ، لأنه قدّم إلى اللغة الفارسية مجموعة من الأشعار تحتوي على مختلف أقسام الشعر الفارسي من الغزل والرّباعي والقطع والمثنوي وغيرها ، ويصادفنا في هذا الديوان الشعر الأخلاقي والحركات السياسية والاجتماعية لذلك الوقت ، والديوان روضة من الشعر تختلف أزهارها ونوارها ، وضروب النبات فيها ، وألوان وصنوف الرّيحان فيها ، وزوانحه جمعت أشنات الزهر من المشرق والمغرب .

### (٣) زبور العجم ( زبور عجم )

هذا الديوان مجموعة نفيسة من المنظومات الفارسية ، يُعدُّ من أجود شعر محمد إقبال الفارسي ، وقصدَ الشاعرُ من تلك المنظومات غرسَ الروح الجديدة في العالم ، ولا سيّما في أوساط الشباب وشعوب الشرق ، ويتجلّى فيه إبداع الشاعر ، وكمال فنّه ، وحسن سبكه ، ومحكم رصفه ، وبديع وصفه .

### (٤) هدية الحِجاز ( آرماغان حجاز )

هذا الديوان عبارة عن الشعر الفارسي والأردوني معاً ، ويتألّف من قصائد قصيرة ، أكثرها شخصية ، فيه قصيدة بديعة بعنوان « برلمان إبليس » وصفَ فيها الشاعرُ وصوّرَ جنسة برلمانية ، حضرها وتناقش فيها شياطين العالم ووكلاء النظام الإبليسي ، وترأس هذه الجلسة وأشرف عليها « إبليس » ، وقد جاء في هذه القصيدة من الوصف الصادق الدقيق للمسلم ، ومن الملاحظات الصائبة الدقيقة عن كثير من المذاهب السياسية وزعمائها ، ما يُفيد الاطلاع عليه ، وقد طُبِعَ هذا الديوان بعد وفاة الشاعر .

### (٥) رسالة الخُلود ( جاويدنامه )

يُعدُّ هذا الديوان التحفة الأدبية لمحمد إقبال ، وهو عبارة عن شعر مثنويّ للفلسفة الدينية ، ويحتوي على نحو ألفي مقطع شعري مزدوج ، وإنه يبرز قوى الشاعر الفكرية وذراها الرفيعة ، وفيه تورية إلى « جاويد » نجل الشاعر ، وفي هذا الديوان قصة سفرٍ في الأفلاك كقصة دانتى الشاعر الإيطالي .

(٦) ماذا ينبغي أن نصنع يا أمم الشّرق ؟ ( بس چه بايد كرد « أي أقوام مشرق ؟ )



هذا آخر ما نظمه الشاعر بالفارسية ، ومنظومات هذا الديوان في جملتها رائعة بليغة ،  
نَفَّثَهَا الشاعرُ حينَ ملأَتْ أحوالُ المسلمين فُوَادَهَ أَسَى عليهم ، وَحَزَّ به ما رَأَى مِنْ فُنُونِ  
الحضارة الأوربية وضلالها وجور ساستها ، وقسوة قاداتها ، وعدوانهم على الأمة  
الضعيفة ، وَوَصِي الشاعرُ في هذا الديوان وينصح الأمم الشرقية بإقامة الروابط الاقتصادية  
والثقافية فيها بينهم ، ويبيِّن لهم أن الوقوف في وجه السياسة الاستعمارية بأشكالها المختلفة  
المتعددة ، والعودة إلى أحكام الإسلام وإطاعة الأوامر القرآنية هو الطريق الوحيد للنجاة .

وأما دواوينه الأردوية فهي :

(٧) صَلَصلة الجرس (بانك درا)

هذا من باكورة أعماله الشعرية بالأردوية ، وهو من أكثر دواوينه رواجاً وقراءةً اليوم ،  
فيه قصائد بديعة عن الأطفال والحب والطبيعة ، كما أنه حثَّ المسلمين فيه على التضحية  
والعمل ، لكي يستعيدوا منزلتهم من المجد والرفعة ، ومن أروع وأجمل القصائد وأناشيد  
هذا الديوان قصيدته المشهورة « شكوى وجواب شكوى » ونشيد بعنوان « نشيد  
المسلم » .

(٨) جَناح جبريل (بال جبريل)

لا يُوجد في الأدب الأردوني ما يُمكن مقارنته بهذا الديوان من حيث العمق وسِعة  
المطلب والبيان ، يحكي فيه الشاعر خواطره الخاصة عن أسفاره إلى إسبانيا وفلسطين ،  
وبكاءه على أطلال قرطاجنة وغيرها من الآثار الإسلامية التاريخية ، وما يلفت النظر في  
هذا الديوان هو الجزء الخاص منه عن المحاوراة بين الشاعر وجلال الدين الرومي ،  
ويوضح لنا هذا الحوار أهم عقائد وأفكار محمد إقبال .

(٩) ضربُ الكليم (ضرب كليم)

يتعلَّق هذا الديوان بالعصر الحديث ومُشكلاته ، ويبيِّن وجهة النظر السياسية لمحمد  
إقبال ، والديوان كلُّه مفصَّل على أبواب فيها نظرات في الإسلام ، والتربية ، والمرأة ،  
والفنون الجميلة ، وغيرها ، وفيه فلسفة محمد إقبال واضحة ظاهرة في أشعار معيَّنة في  
موضوعات محدَّدة .

(١٠) هدية الجِجَاز (أرمغان حجاز)

قد سبق تعريف هذا الديوان آنفاً ، يحتوي القسم الثاني منه على قصائد بديعة  
ورباعيات قصيرة بالأردوية .

وقد تُرجمت جميع هذه الدواوين إلى اللغة العربية كترجمتها باللغات العالمية الراقية ، وقد نجح مترجمو هذه الدواوين بالعربية من الناحية الفنية إلى حدٍّ بعيد ، ولكن القارئ النّبيه الفطن قد يلاحظ أن هذه الأشعار المترجمة تكاد لا تُؤثّر في نفسه تأثير الشعر الرقيق ، ولا تُعطي صورةً كاملةً واضحةً ، ويغلب عليها رونق اللفظ على عمق المعنى ، بحيث تغيب المعاني التي أرادها الشاعرُ في غَيَابِ الألفاظ المنمقة والمصاريح الشعرية المركزة . وشعر محمد إقبال في اللغة الفارسية والأردوية على السواء شعر يركّز المعنى الواسع في عبارات مُوجزة هي أشبه بالكلمات القصار التي يسهل حفظها وتداولها على الألسن ، فإذا ما ترجمنا هذا الشعر إلى شعر عربي يفضل الإيجاز على الإطناب والإسهاب ، فإننا نزيد من تركيز الشعر بشيءٍ من الغموض ، يذهب بتأثير الشعر وروعه .

ونحن لا نريد بهذا أن نغض من شأن المترجمين لهذه الدواوين ، خاصةً منهم الذين عرّفوا بعلو الهمة وجودة القريحة والإخلاص والمثابرة ، كالدكتور عبد الوهاب عزام ، وإنما نريد أن نقول : إن ترجمات الدكتور عزام - وأمثاله المترجمين لهذه الدواوين - الشعرية لم تفصح عما يكنه شعر محمد إقبال من أسرار ولم تعبر عن قيمته الحقيقية التي تتفق مع الشهرة الذائعة التي أُتيحت له .

ولعلّ هذا هو ما دفع الأديب العربي الكبير العلامة علي الطنطاوي أن يوجّه نداءً إلى العلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي - رحمهما الله رحمة واسعة - في مجلة « المسلمون »<sup>(١)</sup> في كلمة رقيقة مخلصمة يحثه فيها على ترجمة بعض قصائد محمد إقبال ليعرّف بهذا الرجل وقوة شاعريته وسموّ رسالته ، يقول في كتابٍ مفتوح موجّه إلى العلامة الندوي : « هل لك أن تختار من شعر إقبال ما يجعلنا نتذوّق طعم أدبه ونلمّ بطريقته ، وتتجلّى أسباب عظمته ، فإن كلّ ما قرأنا من كلامه مترجمًا إلى العربية لم يعرفنا به ، ولم يدلّنا عليه . . . فهل تُضيف يا أخي أبا الحسن ! إلى ماترك هذه المأثرة فتفتح للعرب كوة على هذه الروضة المحجبة ، أو تحمل إليهم زهرات منه فتحسن بذلك إلى العرب وباكستان ، وإلى الأدب والإسلام »<sup>(٢)</sup>.

وجاء العلامة الندوي واقتصر في الترجمة والنقل على الدواوين التي لم يتناولها الدكتور عزام بالتعريب ، وكان للديوان « جناح جبريل » أكبر نصيب ممّا ترجمه العلامة الندوي في كتابه الذي سمّاه « روائع إقبال » فهكذا كان كتابه هذا - رغم صغر حجمه -

(١) التي كانت تصدر يومئذ من دمشق .

(٢) انظر : « روائع إقبال » للعلامة الندوي ، صفحة (٢٢ - ٢٣) .

إضافةً جديدةً للمكتبة العربية بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، فقد استطاع - رحمه الله - في براعة وبصيرة أن يختار من دواوين محمد إقبال مقتطفات في نثر سهلٍ ميسورٍ على تمكُّنه من اللُّغتين العربية والفارسية ، وكانت أكبر شهادة بأن كاتبه ( العلامة الندوي ) كان التوفيق حليفه في فهم شعر محمد إقبال والإنصاف له في شهادة الدكتور جاويد إقبال ( نجل محمد إقبال الفاضل الذي أسمى باسمه أحد دواوينه ، هو « جاويدنامه » ) رسالة ( الخلود ) ، فقد قال بعد اطلاعه على « روائع إقبال » : « ولقد عرض مؤلف هذا الكتاب جوانب مختلفة من فكر محمد إقبال في أسلوبٍ أكبر ظني أنه يُوافق محمد إقبال نفسه ، أو كان يؤثره لشرح أفكاره » (١) .

ولكن إن كان المترجمون لهذه الدواوين قد جانبهم التوفيق - إلى حدٍّ ما - في تراجمهم لها بالشعر ، فقد استطاعَ الشيخ صاوي شعلان - رحمه الله - بما حَبَّاه اللهُ مِنْ شاعرية متدفقة ، وروح إسلامية حقة ، أن يفصح عن المعاني التي أرادها محمد إقبال ، كأنه ألهمها هو في شعرٍ يهترُّ له الوجدان ، ولعلَّ أوضح دليل له في هذا الديوان الذي بين أيديكم في ترجمة القصيدتين : « نشيد المسلم » و« شكوى وجواب شكوى » اللتان هبَّتا هبوب الريح ، وطارتا في الآفاق ، ولا أرى مجازفةً في القول إذا قلتُ : إن محمد إقبال اشتهر في البلاد العربية بهاتين القصيدتين أكثر مما كتب غيرهما ، وقد لا يعرف الكثير من إخواننا العرب أن له غير هاتين القصيدتين قصائد ودواوين ، ولعلَّه بسبب عدم توقُّر هذه الدواوين في المكتبات العربية كونها مترجمة ومطبوعة هنا وهناك ، وكثير من تلك الدواوين لم تُصدر له طبعة بعد الطبعة الأولى ، حتى كادت أن تصبح شيئاً منسياً ، فكانت هناك حاجة إلى جمع جميع تلك الدواوين في كتاب أو ديوان واحد مما يسهل الاطلاع عليه على من أراده .

والعمل في جمع تلك الدواوين مع الضبط والتنقيح والتحقيق بالرجوع إلى أصولها الفارسية والأردوية ، وشرح بعض الكلمات الصعبة الواردة في الترجمة ، والتعليق على ما دعَتْ الضرورة إلى التعليق فيها ، كان يتطلبُ الجهد الكبير والتفرُّغ التام ، فبدأت بالعمل فيه دون تقدير بالفراغ منه ، حتى يسَّرهُ اللهُ عليّ بمُساعدة بعض أصدقائي الذين وقَّروا لي بعض الدواوين المطبوعة في البلاد العربية المختلفة ؛ التي كانت في مكتبات بلادنا عديمة الوجود .

هذه سعادة ناطقي لغة الضَّاد بأنهم يتناولون هذه الدواوين كلها بالقراءة في كتاب

(١) « روائع إقبال » صفحة (١١) .

واحد ، التي تستحيل لناطقي الفارسية والأردوية ؛ كون تلك الدواوين منظوم بعضها بالفارسية وبعضها بالأردوية إلا مَنْ تمكَّن من هاتين اللُّغتين كلَّ التمكَّن ، وألمَّ بهما كلَّ الإمام .

أسأل الله تبارك وتعالى أن يقبل هذا الجهد المتواضع ، ويبلغ نداء الشاعر العظيم ورسالته كل من يسمع ويعي ، إنه سميع مجيب .

يوم الجمعة ١٢ / جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ  
٣١ / آب ( أغسطس ) ٢٠٠١م

كتبه

المعزز بالله تعالى

عبدالماجد الغوري

حيدرآباد ( دكن )



## محمّد إقبال

### عند رجال الفكر والدّعوة ، وأساطين العلم والأدب

« .. إنّ إقبالاً هو طراز العظمة الذي يتطلبه الشرق في الوقت الحاضر ، وفي كلّ حين ؛ لأنها عظمةٌ ليست بالديويّة المادّيّة ، وعظمةٌ ليست بالأخروية المعرضة عن هذه الدنيا ، وهو زعيم العمل بين العدوتين من الدنيا والآخرة قوام بين العالمين كأحسن ما يكون القوام ! .. » .

الأستاذ عباس محمود العقاد

« شاعران إسلاميان رفعا مجد الآداب الإسلاميّة إلى الذروة ، وفرضا هذا المجد الأدبيّ الإسلاميّ على الزمان ، أحدهما إقبال شاعر الهند والباكستان وثانيهما أبو العلاء شاعر العرب » .

الدكتور طه حسين

« لا أعرف كشعر إقبال ، معرفاً بالحياة ، داعياً إليها ، معظماً الإنسان ، مشيداً بمكانته في هذا العالم ، نافثاً الأمل ، والهمة ، والإقدام في نفوس الناس ... »

الدكتور عبد الوهاب عزّام

« ... فقد طلع هذا الرجل على العالم الإسلاميّ ، وعلى العالم كلّهُ بفلسفةٍ جديدةٍ صاغها شعراً ، فإذا هي تهزّ المشاعر والقلوب ، وإذا هي تُثير كثيرين من عظماء العالم ، فينظرون نظرات إعجابٍ إلى هذا المسلم الذي وُلد في الهند ، ونشأ بين أهلها ، ثمّ أعلن على الناس فلسفةً شعريّةً سائغةً لا تتفق مع الفلسفة الهندية في شيء ... »

الدكتور محمد حسين هيكل

« ... فإذا كان حسنّ شاعر الرّسول ، فإنّ إقبالاً شاعر الرسالة ، وإذا كان لحسان من نازعه شرف الدفاع عن المحمّدية ، وشتان بين من يمجد الداعي الأكبر عن عصبية ، ومن يمجد الدّعوة الكبرى عن عقيدة ، وإذا كان في الشعراء الصوفيّين من عطّر مجالس الذكر بفضائل الإسلام ، وشمائل النبوة ، فليس فيهم من بلغ مبلغ إقبال في فقه الشريعة ، وعلم

الحقيقة ، والتأمل الفلسفي في كتاب الله ، والنظر العلمي في كلام الرسول ، والجمع بين قديم الشرق وجديد الغرب في قوة تمييز ، وسلامة فهم ، وصحة حكم . . . » .

### الأستاذ أحمد حسن الزيات

« . . . إني أحببته ، وشغلت به كشاعر « الطموح ، والحب ، والإيمان » ، وكشاعر له عقيدة ، ودعوة ، ورسالة ، وكأعظم ناظرٍ على هذه الحضارة الغربية المادية ، وأعظم ناقدٍ لها ، وحاقدٍ عليها ، وكداعية إلى المجد الإسلامي ، وسيادة المسلم ، ومن أكبر المحاربين للوطنية ، والقومية الضيقتين ، وأعظم الدعاة إلى النزعة الإنسانية ، والجامعة الإسلامية . . . »

« . . . إن جل ما أعتقده أن إقبالاً شاعرٌ أنطقه الله ببعض الحكم والحقائق في هذا العصر ، أنطقه الله الذي أنطق كل شيء ، أنطقه كما أنطق الشعراء ، والحكماء ، قبل عصره ، وفي غير عصره . . . » .

« . . . أشهد على نفسي أنني كلما قرأت شعره جاش خاطري ، وثار عواطفني ، وشعرتُ بدبيب المعاني والأحاسيس في نفسي للحماسة الإسلامية في عروقي ، وتلك قيمة شعره ، وأدبه في نظري . . . » .

### العلامة أبو الحسن علي الحسيني الندوي

« . . . كِدْتُ أتوافق أنا ومحمد إقبال في المعاني ، وربما توافقتنا في الألفاظ . . . » .

### الشهيد سيد قطب

« . . . ولم أر شاعراً يتصوّر للمسلم صورةً مثاليةً عاليةً كذلك الصورة التي يرسمها إقبال في مواضع كثيرة من شعره ، إنه يصوّر المسلم حيناً كأنه ماء في رفته ، وحديد في شدته يهزأ بالصعاب ، ويعلو على التراب ، ويسري مع الأفلاك ، ويجري مع الأملاك . . . » .

### الدكتور أحمد الشرباصي

« . . . وإقبال لم يرد للشعر أن يكون فلسفةً محضةً ، فنقله بذلك من رياض الزهر ، وهمسات النسائم وغفوة النجوم والأفلاك إلى مجالس الجدل ، وصوامع السفسطة ، والخوض وراء الغيبات التي لا طائل تحتها . . . لكنه يُريد للشعر أن يمتزج بألوان الفكر ، وصادق النظرات ، وحقائق الوجود ، وكنه الكائنات ، وأن يُناجي النسائم ، ويصقل العقول ، ويسطر وثائق التحرير والكفاح ويحكم في قضايا الناس والمدنيات . إن (إقبالاً) ينشد مزج الخيال برحيق الحقائق والتقاء العقليات مع العاطفيات . . . » .

### الأستاذ نجيب الكيلاني

« لم يهتم شاعرٌ غير عربي قبل محمد إقبال بأمجاد العرب والإسلام اهتمامه بهما، فهو اللّذي فتح الباب على مصراعيه في هذا المجال أمام اللّذين عاصروه ومن جاء بعده من الشعراء .

تكلّم عن مجد العروبة ، وأثر الإسلام في رقيّ الأمم ، وتناول قضايا عربية بحثةً ، مثل قضية فلسطين ، وسجّل أمجاد العرب في صقلية ، وقرطبة ، ونعى على العرب تفرقهم ، ووجّه إليهم في دواوينه أكثر من خطاب . . . » .

### الشيخ صاوي شعلان

« وكان أعظم ما أدهشني رفض إقبال أن يدخل مسجداً بباريس ، ومقالته : إن هذا المسجد ثمنٌ رخيصٌ لتدمير دمشق .

فلولا أنّ الرجل كان يعيش في حقيقة صريحة ، وفي ذكرٍ دائم لا ينقطع لِمَا نزل بنا وطمّ ، لِمَا خطر له هذا الخاطر .

وكم من غافلٍ ساؤ منّا ومن قومنا يعرض له أن يحيا تاريخ نفسه وتاريخ دينه بمثل هذه الكلمة ؛ ثم لا تراه إلا حيث يكره الله من الذلّ والضّعة والعبودية ، والفتنة بما زيّن له أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ » .

### العلامة محمود محمد شاكر

« إقبال عاش مع الهموم التي كان يتقلّب فيها الإنسان في شتى أطراف المعمورة ، لا سيما الإنسان المسلم ، كان يعلم مشكلات الرأسمالية ، ومشكلة الظلم ، ويعلم المشكلات الاقتصادية ، ويعلم المشكلات السياسية ، ويعلم مشكلات الاستعباد والاضطهاد ، كان يعلم ذلك كلّهُ . ولكن محمد إقبال زاد على ذلك أنّه عثر على المفتاح اللّذي إن استعمله المسلمون وأداروه على وجهه تخلّصوا من سائر المشكلات الاقتصادية ، وتخلّصوا من الذلّ ، والاستعباد ، وتخلّصوا من التفرّق والتمزّق ، فتضاعفت همومه بسبب ذلك ، فراح يصرخ ويُنادي دائماً :

أيها الناس ! إنّ مشكلاتكم التي تضجّون منها حلّها بيدي ، وهذا هو المفتاح ! فما عليكم إلا أن تتعرّفوا عليه ، ثم تستعملوه على وجهه .

وهذا المعنى اللّذي كان يتكرّر في شعر إقبال ، ويُنادي به من حوله ، لا يزال يُنادي به من خلال سائر ما تركه من آثارٍ ، وأشعارٍ مضرّجة لا بدموعه بل بدماء قلبه .

ولكن كان ينبه إلى أنّ سائر ما نراه حولنا من المشكلات إنما هو فروعٌ لمشكلة جذرية



واحدة، هي ضياعنا عن الذات، وذاتنا الحقيقية لا يمكن العثور عليها في شرق ولا غرب، وإنما يمكن أن نعثر عليها بين جوانحننا ، يمكن أن نعثر عليها من خلال إدراك هويتنا » .

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

« شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال - رحمة الله عليه - شاعر ذو مكانة رفيعة بين أقرانه ، وهو نابغة في الفكر والخيال والفلسفة والفنّ جميعاً ، له آراء حصينة ونظرات عميقة في حياة الإنسان ومكانة المسلم في العالم ، وكلامه في غاية القوة والتأثير يقع في نفس القارئ والسامع موقعاً عظيماً ، ولأفكاره قيمة ، وأهمية كبيرة للعالم الإسلامي والأمة الإسلامية . فكر عالمي ، وعقلية نابغة ، ودراسة عميقة تفاعلت في نفسه خلال حياته التي قضاها في الشرق والغرب في مجتمعات وأوساط مختلفة يبحث في الفلسفات والمدنيات والاتجاهات للأمم المختلفة ، القديمة منها والحديثة » .

الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي

( رئيس جامعة ندوة العلماء - الهند )

« عُرفَ ( محمد إقبال ) بفيلسوف الشرق الإسلامي ؛ الذي درس الحياة ، والكون ، والإنسان دراسةً واعيةً عميقةً من خلال كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فقام كشاعرٍ ثائرٍ على الأوضاع الفاسدة ، يُدافع عن الإسلام وتعاليمه بكلِّ ما أوتي من موهبةٍ شعرية ، وقوةٍ أدبية ، ويُنادي بالوحدة الإسلامية ، والتضامن الإسلامي بشعره القويّ الزاخر بالمعاني الغزيرة والمفاهيم العالية كما يقول :

« فليتحد المسلمون لصيانة وحراسة الحرم الشريف من سواحل النيل إلى تراب كاشغر » .

وقد تفتحت قريحته الشعرية ، وتفجرت ينباع الشعر في كيانه ، فما لبث أن قال الشعر الإسلامي في جميع المعاني الإسلامية والإنسانية وتحذت فيه عن الإسلام وحضارته التي رآها صالحةً للمجتمعات الإنسانية في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، وفي كلِّ عصرٍ وجيلٍ ، وأنحف الأوساط الإسلامية كلها بشعره الجميل الذي تغنى به كلُّ قريبٍ وبعيدٍ ، وأعجب به الناس في كلِّ طبقةٍ وبيئةٍ » .

الدكتور سعيد الأعظمي الندوي

( رئيس تحرير مجلة « البعث الإسلامي » )

# محمد اقبال

حَيَاتِهِ - شَخْصِيَّتِهِ - فِكْرِهِ - فَلَاسَفَتِهِ



## أسرته وولادته :

وُلد محمد إقبال في مدينة « سيالكوت » ( الواقعة في ولاية « بنجاب » ) سنة ١٨٧٧م ، وهو سليل بيتٍ معروفٍ من أوسط بيوتات البراهمة في كشمير ، أسلم جدُّه الأعلى قبل مئتي سنة ، وعرف ذلك البيت منذ ذلك اليوم بالصَّلاح والتصوُّف ، وكان أبوه رجلاً صالحاً ، يغلب عليه التصوف .

## نشأته ودراسته :

تعلَّم محمد إقبال في مدرسة إنكليزية في بلده ، وجاز الامتحان الأخير بامتياز ، ثم التحق بكلية في ذلك البلد ، حيث تعرف بالأستاذ السيد مير حسن ؛ أستاذ اللغة الفارسية والعربية في الكلية ، وكان من نوادر المعلمين الذي يطبعون تلاميذهم بطابعهم ، ويعثون فيهم ذوق العلم ، فأثر في الشابِّ الذكي كلَّ تأثير ، وغرس فيه حبَّ الثقافة والآداب الإسلامية ، ولم ينس إقبال فضله إلى آخر حياته .

ولما قضى وطره في الكلية سافر إلى لاهور ، عاصمة بنجاب ، وانضمَّ إلى كلية الحكومة ، حيث حضر الامتحان الأخير في الفلسفة ، وبرز في اللغة العربية ، والإنكليزية ، ونال وسامين ، وأخذ شهادة ( B.A. )<sup>(١)</sup> ، بامتياز ، وفي لاهور اتصلت أسبابه بالأستاذ الإنكليزي الشهير « سيرتامس أرنولد » صاحب كتاب « الدَّعوة إلى الإسلام » ( The Preaching of Islam ) وعميد الكلية الإسلامية في عليكره سابقاً ، وبالأستاذ عبد القادر المحامي والأديب الشهير وقاضي محكمة الاستئناف بعد ، وعضو مجلس الهند سابقاً ، ومنشئ أول مجلةٍ علميَّةٍ

---

(١) شهادة متوسطة في الآداب في النظام التعليمي الإنكليزي الهندي تعادل ليسانس في البلاد العربية .

أدبية في لغة أردو ، اسمها « مخزن » وكان إقبال قد نظم قصيدته الأولى البديعة « جبل هماله » وهي فارسية التركيب ، إنجليزية الأفكار ، ونشرها الأستاذ عبد القادر في مجلته سنة ١٩٠١م ، ونظم عدة قصائد أدبية توجد في مجموع شعره الأول ، وكان لها دوي في أندية الشعر والأدب ، واجتلبت العيون نحو الشاعر المبدع ، وفي هذه المدّة أخذ محمد إقبال درجة ( M.A. )<sup>(١)</sup> في الفلسفة بامتياز ، ونال وساماً ، وعيّن على إثره أستاذاً للتاريخ ، والفلسفة ، والسياسة في الكلية الشرقية في لاهور ، ثم أستاذاً للإنجليزية ، والفلسفة في كلية الحكومة ، التي تخرج منها ، وشهد بكفاءته وغزير علمه الأساتذة والطلبة جميعاً ، وحاز ثقة وزارة المعارف ، ثم سافر إلى لندن سنة ١٩٠٥م حيث التحق بجامعة « كامبردج » وأخذ شهادةً عاليةً في الفلسفة ، وعلم الاقتصاد ، ومكث في عاصمة الدولة البريطانية ثلاث سنين ، يلقي محاضراتٍ في موضوعاتٍ إسلامية أكسبته الشهرة والثقة ، وتولّى في خلال تلك المدة تدريس آداب اللغة العربية في جامعة لندن ، مدة غياب أستاذه أرنولد ، ثم سافر إلى ألمانيا ، وأخذ من جامعة « ميونخ » الدكتوراه في الفلسفة ، ثم رجع إلى لندن ، وحضر الامتحان النهائي في الحقوق ، وانتسب إلى مدرسة علم الاقتصاد والسياسة في لندن ، وتخصّص في المادتين ، ورجع إلى الهند سنة ١٩٠٨م سالماً غانماً ، ولما مر بصقلية في طريقه إلى الهند ، سكب على ترابها دموعاً ، وقال قصيدةً افتتحها بقوله : « ابك أيها الرجل أدمعاً لا دمعاً ، فهذا مدفن الحضارة الحجازية » .

## نبوغه في الشعر :

ومن دواعي العجب أنّ كل هذا النجاح حصل لهذا النابغة ، وهو لم يتجاوز

(١) وهي تعادل « الماجستير » في البلاد العربية .

اثنين وثلاثين عاماً من عمره ، وأقام له أصدقاءه والمعجبون بعبقريته حفلة تكريم ، واشتغل الشاعر الفيلسفي والاقتصادي الخبير ، والسياسي الحاذق في عدّة لغات بالمحاماة ، لكن ما كان هواه في المحاماة ، فكان يقضي أكثر أوقاته ، وجلّ همّه في تأليف الكتب وقرض الشعر ، وكان يحضر حفلات جمعية « حماية الإسلام » السنوية ، وينشد فيها قصائده ، ومنها « العتاب والشكوى » التي اشتكى فيها إلى الله على لسان المسلمين ما حلّ بهم ، وذكر أعمال المسلمين الخالدة في سبيله وفي سبيل الجهاد والإصلاح ، ثم نظم قصيدة أجاب فيها على لسان الحضرة الإلهية ، بيّن فيها تقصير المسلمين ، وإهمالهم للدين ، وعدم إتقانهم أمر الدنيا ، تبريراً لما جزوا به من الخزي والهوان ، وسرعان ما سارت بهما الركبان ، وتغنّى بهما الأطفال والشبان ، وحفظهما الرجال والنساء ، وهما عندهم أشهر من « قفانك » وهما قصيدتان بديعتان مبتكرتان في الأسلوب ، والمعاني والغرض ، وقال « النشيد الوطني » و « أنشودة المسلم » وكلاهما سار مسير المثل ، وصار الأول النشيد الوطني الوحيد الذي لا تزال ترتج به الحفلات المشتركة الشعبية في الهند ، والثانية أنشودة المسلم التي تفتتح بها اجتماعات المسلمين .

ثم نشبت الحرب البلقانية والطرابلسية سنة ١٩١٠م وما يوم حليلة بسرّ ، فكان لها في نفسية الشاعر أعرق أثر ، جرحت عواطفه وقلبه ، فتحرك ساكنه ، وهاج خاطره ، وجعلت منه عدواً لدوداً للحضارة الغربية ، والإمبراطورية الأوربية ، وأملاه حزنه ووجده قصائد كلّها دموع حارّة في سبيل المسلمين ، وسهام مسمومة في صدور الأوروبيين ، وتتجلّى هذه الروح في جميع ما نظم وقال في هذه الفترة ، فمن قصائده « البلاد الإسلامية » رد على الوطنية ، و « دعوة إلى الجامعة الإسلامية » و « يا هلال العيد » و « المسلم » و « فاطمة بنت عبد الله » ( وهي فتاة مسلمة استشهدت في جهاد طرابلس ) و « محاصرة أدرنة » و « الصديق » و « بلال » و « الحضارة الحديثة » و « الدين » و « شكوى

إلى الرسول » وقد نعى في هذ القصيدة على الزعماء والقادة ؛ الذين يتزعمون المسلمين ، وليست عندهم صلة روحية بالنبي ﷺ ، يقول : « أنا بريء من أولئك الذين يحجّون إلى أوربة ، ويشدّون إليها الرحال مرّة بعد مرّة ، ولا يتصلون بك أبداً في حياتهم ، ولا يعرفونك » و « هدية إلى الرسول » وقد قال فيها : « إنّه حضر عند النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : ماذا حملت إلينا من هدية ؟ فاعتذر الشاعر عن هدايا الدُّنيا ، وقال : إنّها لا تليق بمقامكم الكريم ، ولكنّي جئت بهدية ، وهي زجاجةٌ يتجلّى فيها شرف أمتك ، وهو دم شهداء طرابلس » .

ثم انفجر البركان الأوروبي سنة ١٩١٤م ، وحدث ما حدث ، فانقلب الشاعر داعياً مجاهداً ، وحكيمياً فيلسوفاً ، يتكهّن بالأخبار ، ويقول الحقائق ، وينظم الحكم ، ويشبّ من حماسته نيراناً ، ويفجّر إيمانه ، وثقته أنهاراً ، وجاش صدره ، وفاض خاطره ، وسالت قريحته ، وفي تلك المدة نظم غرّ قصائده منها : « خضر الطريق » وفيها قطع ، ومنها « الشاعر والتجول في الصحراء » و « الحياة » و « الحكومة » و « الرأسمالية » و « الأجير » و « عالم الإسلام » و « طلوع الإسلام » وكلّها آيةٌ في الشعر ، والحكمة ، والحماسة ، وحقائق الحياة ، أما « طلوع الإسلام » فهي بيت القصيد في شعره ، لا يوجد لها نظير في الشعر الإسلاميّ في القوة والانسجام ، وقد طبع سنة ١٩٢٤م أول مجموع شعره باسم « بانك درا » يعني جرس القافلة ، فكان إقبال الناس عليه عظيماً ، وحظي من القبول ما لم يحظ به شاعر ، وأعيد طبعه مراراً بعددٍ كبير .

ثم بدأ العهد الأخير الذي انتهى إلى وفاته ، وقد ازداد فكره نضجاً ، وأفق معارفه اتساعاً ، وقد انتظمت دعوته ، وأنضحت رسالته ، فنشر له عدّة كتب فارسية ، وقد آثر اللغة الفارسية لشعره ؛ لأنها أوسع من الأردية ، وهي اللغة الإسلاميّة التي تلي اللغة العربية في الأهمية والانتشار في العالم الإسلاميّ ، ويتكلم بها قطران مهمّان : إيران ، وأفغانستان ، وتفهم في الهند ، ويحذقها كثير من أهلها ، وأهل تركستان ، وروسيا ، وتركية ، ونشر مجموعتين

بالأردنية ، فأما الدواوين الفارسية فهي « أسرار خودي » يعني ( أسرار معرفة الذات ) و « رموز بيخودي » ( أسرار فناء الذات ) و « بيام مشرق » ( رسالة الشرق ) في جواب كتاب « جوته » « تحية الغرب » ، و « زبور عجم » و « جاويد نامه » و « بس جه بايد كرد أي أقوام شرق » ( ماذا ينبغي أن تعمله الشعوب الشرقية ) و « مسافر » و « أرمغان حجاز » ( هدية الحجاز ) وبالأردنية « بال جبريل » ( جناح جبريل ) و « ضرب كليم » ( ضرب موسى ) ، وغير هذه الكتب محاضرات ألقاها في مدينة « مدراس » طبعت باسم :

« Reconstruction of religious Thought in Islam » ( تجديد الفكر الديني في

الإسلام ) .

ومحاضرات ألقاها في جامعة كامبردج ، وقد اعتنى بهذه المحاضرات المستشرقون ، وعلماء الفلسفة والدين اعتناءً عظيماً ، وعلّقوا عليها أهميةً كبيرة ، وترجم أكثر كتبه إلى الإنكليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، والطيانية ، والروسية ، وممن تولى هذا النقل الأستاذ الإنكليزي الشهير الدكتور نكلسن ، فترجم بالإنكليزية « أسرار خودي » و « رموز بيخودي » وألفت في ألمانيا وإيطاليا معامع وهيئات باسمه لدرس شعره وفلسفته ، وانتخب الدكتور رئيساً لحفلة الرابطة الإسلامية ( Muslim League ) السنوية التي عقدت في سنة ١٩٣٠م في « إله آباد » وعرض في خطبته فكرة باكستان أول مرة ، وانتخب عضواً في المجلس التشريعي في بنجاب ، وذهب مندوباً للمسلمين يمثل مؤتمر المسلمين ( Muslim Conference ) في مؤتمر المائدة المستديرة الثاني سنة ١٩٣٠م - ١٩٣١م .

**رحلاته :**

جاءته الدعوة في لندن من حكومة فرنسا ، وإسبانيا ، وإيطاليا ، فزار القطرين الأخيرين ، وألقى في « مجريط » محاضرات في الفن الإسلامي ، وزار مسجد قرطبة ، وصلى فيه لأول مرة في التاريخ بعد جلاء المسلمين ، وذرف



على تربته دموعاً غزيراً ، وتذكّر العرب الأوّلين الذين حكموا هذه الأرض ثمانية قرون ، واستنشق في جوه وهوائه أريج حضارتهم ، وشعر كأنّ هذا المسجد العظيم يشكو إليه حرمانه من سجود المؤمنين ، وجو قرطبة يشكو إليه بعد عهده من الأذان ، وظمأه إلى ذلك ، فقال الشعر الرقيق الذي يعدّ من القطع الأدبية الخالدة ، ونظم قصيدة من أبدع قصائده .

وكان في زيارته لهذه البلاد موضع حفاوة نادرة ، وإكرام بالغ ، وقابله السنيور موسوليني ، وكان من قراء كتبه ، والمعجبين بفلسفته ، وتحدّث معه طويلاً ، وسألته حكومة فرنسا أن يزور مستعمراتها في شمال إفريقية ، ولكن الشاعر الإسلامي الغيور رفض دعوتها ، وأبى أيضاً أن يزور جامع باريز ، وقال : إنّ هذا ثمن بخس لتدمير دمشق وإحراقها ، وأثناء إقامته بأوربة أقيمت له عدّة حفلات تكريم ، أقامها له أصدقاؤه ، وأساتذته في جامعة كامبردج ، وجامعة روما ، وجامعة السوربون ، وجامعة مجريط ، والمجمع الملكي في روما ، وفي طريقه إلى الهند عزّج على القدس ، واشترك في المؤتمر الإسلامي الشهير ، وقال في أثناء الطريق قصيدته البديعة « ذوق وشوق » .

وفي سنة ١٩٣٢م لبّى دعوة السلطان الشهير نادر خان ملك أفغانستان في بعثة تتألف من فقيه العلم والشرف سر رأس مسعود حفيد سر أحمد خان ورئيس جامعة عليكره الإسلامية ، والأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي ، وتحدّث إليه الملك الفقيه طويلاً ، وأفضى إليه بذات صدره ، وبكيا طويلاً ، ولما زار قبر السلطان محمد الغزنوي فاتح الهند ، والحكيم سنائي لم يملك عينيه ، وافتضح باكياً ، وقال قصيدةً حكيمهً بديعةً ، وعلى إثر رجوعه من كابل نظم منظومته « مسافر » .

## وفاته :

وكان الشاعر يشتهي أدواء يغلبها وتغلبه ، وانحرفت صحته أخيراً ، وظل

أياماً طويلةً رهين الفراش ، ولم يزل لسانه يفيض بالشعر ، ويملي الكتب والمقالات ، ويقابل الأصدقاء ، والزوّار ، والعواد ، ويحدثهم في شؤون إسلامية وعلمية ، ومما نشر له في هذه الأيام مقالة مستفيضة في الردّ على القومية ، تناقلتها الصحف ، وتحدّث بها الناس ، ومما قال قبل وفاته بأيام : « جنة لأرباب الهمم ، وجنة للعباد والزهاد ، قل للمسلم الهندي : أبشر ، فإنّ في سبيل الله جنة أيضاً » وقال قبل وفاته بعشر دقائق : « ليت شعري ! هل تعود النعمة التي أرسلتها في الفضاء ، وهل تعود النفحة الحجازية ، قد أظلّني موتي ، وحضرتني الوفاة ، فليت شعري ! هل حكيم يخلفني . . ؟ » ، وقال وهو يوجد بنفسه : « أنا لا أخشى الموت ، أنا مسلم ، ومن شأن المسلم أن يستقبل الموت مبتسماً » ، وكان ذلك آخر برهانٍ أقامه على صدق الإسلام ، وإيمان المسلم وبقينه ، ولفظ نفسه الأخير في حجر خادمه القديم على حين غفلةٍ من العوّاد ، والأصدقاء ، والتلاميذ ، والإخوان في سائر أنحاء العالم الإسلامي ، وغربت هذه الشمس التي ملأت القلوب حرارةً ، ونوراً قبل أن تطلع شمس ٢١ أبريل ١٩٣٨م<sup>(١)</sup> .

## آثاره في الشعر والنثر :

### بالفارسية

- ١ - أسرار الذات ١٩١٥ ( أسرار خودي ) .
- ٢ - رموز نفي الذات ١٩١٨ ( رموز بيخودي ) .
- ٣ - رسالة المشرق ١٩٢٣ ( بياض مشرق ) .

(١) روائع إقبال : للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، ٢٨ - ٣٧ . طبعة دار ابن كثير .

- ٤ - أناشيد فارسية ١٩٢٧ ( زبور عجم ) .  
 ٥ - رسالة الخلود ١٩٣٢ ( جاويد نامه ) .  
 ٦ - المسافر ١٩٣٦ ( مسافر ) .  
 ٧ - ماذا ينبغي أن نعمل يا أمم الشرق ١٩٣٦ ( بس جه بايد كردي اقوام مشرق ) .  
 ٨ - هدية الحجاز ١٩٣٨ ( أرمنان حجاز ) .

#### بالأردية :

- ٩ - صلصة الجرس أو ( جرس سفر القافلة ) ١٩٢٤ ( بانك درا ) .  
 ١٠ - جناح جبريل ١٩٣٦ ( بال جبريل ) .  
 ١١ - عصا موسى ١٩٣٧ ( ضرب كلیم ) .  
 ( ويتعلق ذلك بالربع الأخير من هذا الكتاب ) .  
 ١٢ - مراسلات إقبال ومقالاته ( قد طبعت بعد وفاته ) .

#### بالإنكليزية :

- تطور ما وراء الطبيعة في فارس ( رسالة ميونيخ ) ١٩٠٢ .  
 تجديد الفكر الديني في الإسلام .

( Reconstruction of Religious Thought in Islam )

\*\*\*

## العوامل التي كوَّنت شخصيته (١)

المدارس الأولى التي تخرج فيها محمد إقبال :

لقد تخرَّج محمد إقبال في مدرستين : أما المدرسة الأولى : فهي مدرسة الثقافة العصرية والدراسات الغربية ، فلم يزل يتقلَّب في فصولها ، ودروسها ما بين الهند ، وإنجلترا ، وألمانيا ، ويقرأ على أساتذتها البارعين ، ويرتوي من مناهلها حتى أصبح من أفضاذا الشرق الإسلامي في ثقافته الغربية ، أخذ من علوم الغرب وثقافته وحضارته ، من فلسفة واجتماع ، وأخلاقٍ واقتصاد ، وسياسةٍ ومدنية غاية ما يمكن لغربيٍّ متخصصٍ فضلاً عن شرقيٍّ متطَّفلٍ ، وبلغ بدراسته إلى أحشاء الفلسفة القديمة والجديدة ، هذا إلى توسعٍ في الآداب الإنكليزية والألمانية والشعر الغربي في مختلف أدواره وعصوره ، ودراسة الفكر الغربي في مختلف أطواره ومراحل حياته .

المدرسة الثانية : ولكن لو وقف صاحبنا عند هذا الحدِّ ، واكتفى بشمار هذه المدرسة ؛ لما كان موضوع حديث اليوم ، ولما اشتغل الأدب الإسلامي والتاريخ الإسلامي بالتغني بآثاره ، ولما فسحا له محلٌّ الصدارة العلمية ، والزعامة الفكرية العبقريّة ، والإسلامية ، ولكن منها شروط دقيقة ومستوى عال لا يحتله الإنسان بمجرد الدراسة ، والتفنن في العلوم ، وكثرة التأليف والإنتاج ، أقول : لو وقف صاحبنا عند هذه المدرسة ، واقتصر على ثقافتها ، ودراستها ، لما زاد على أن يكون أستاذاً كبيراً في الفلسفة ، أو علم الاقتصاد ، أو في الآداب ، أو التاريخ ، أو مؤلفاً كبيراً ، أو محاضراً بارعاً في العلوم

---

(١) مقتطف من محاضرة العلّامة أبي الحسن علي الحسن الندي ، التي ألقاها في مدرج كلية الآداب بجامعة القاهرة في ١٩ من جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ (الموافق ٢٨/٣/١٩٥١م) .

العصرية ، أو أديباً صاحب أسلوب ، أو شاعراً مجيداً ، أو محامياً ناجحاً في مهنته ، أو قاضياً في محكمة ، أو وزيراً في دولة ، وصدقوني أيها الإخوة ! أن لو كان ذلك لطواه الزّمان فيمن طوى من كبار العلماء ، والأدباء ، والشعراء ، والمؤلفين ، والقضاة ، والوزراء . إنّ الفضل في عبقرية إقبال ، وخلود آثاره ، ونفوذه في العقول والقلوب ، يرجع إلى المدرسة الثانية ؛ التي تخرج فيها .

إنني لأراكم أيها الإخوة ! تذهبون كلّ مذهبٍ في تشخيص هذه المدرسة ، والاهتداء إلى موقعها ، وإنني لأراكم تتطلعون إلى معرفة أخبارها ، فمن أنشأ هذه المدرسة التي أنجبت مثل هذا الشاعر العظيم ؟ وما هي العلوم التي تدرس فيها ؟ وما هي لغة التعليم في هذا المعهد ؟ ومن المعلمون فيها ؟ فلا شكّ أنهم من كبار المربين ، وأعظم الموجهين ، فقد أنتجوا مثل هذا النابغة في العلوم ، العملاق في العقل والتفكير ، وما هي شروط هذه المدرسة ، وما تكاليفها ؟ وأظن أن لو علمتم بوجودها ومحلّها ؛ لأسرع كثيرٌ منكم إليها ، والتحق بها .

إنها مدرسةٌ ما خاب مَنْ تعلّم فيها ، وما ضاع مَنْ تخرّج منها ، إنها مدرسةٌ لم تخرج إلا أئمة القرنِ المجتهدين ، وواضعي العلوم المبتكرين ، وقادة الفكر والإصلاح المجددين ، الذين يشغلون المدارس ورجالها بتفهم ما قالوا ، ودراسة ما كتبوا ، وشرح ما خلفوا ، وتعليل ما ألفوا ، وتأيد ما أثبتوا ، وتفصيل ما أجملوا ، فيتكون من كلمتهم كتاب ، ومن كتابهم مكتبة .

إنها مدرسةٌ ما تعلم التاريخ بل تلد التاريخ ، وما تشرح الفكرة بل تضع الفكرة ، وما تنتخب الآثار ، بل تنتج الآثار ، إنّها مدرسةٌ توجد في كلّ زمانٍ ، وهي أقدم مدرسةٍ على وجه الأرض .

ولا أمتحن صبركم أيها الإخوة طويلاً ! إنها مدرسةٌ داخليةٌ تولد مع الإنسان ، ويحملها الإنسان معه في كلّ مكان ، هي مدرسة القلب والوجدان ، هي مدرسةٌ تشرف عليها التربية الإلهية ، وتمدّها القوة الروحية .

قد تخرَّج محمد إقبال في هذه المدرسة ، كما تخرَّج كثيرٌ من الرجال الموهوبين ، وحدَّث عنها كثيراً في شعره ، وردَّ إليها الفضل في تكوين سيرته ، وعقليته ، وأخلاقه ، وشخصيته ، وصرَّح مراراً بأنه يدين لهذه المدرسة ما لا يدين للمدرسة الخارجية ، وأنه لولا هذه المدرسة وتربيتها ؛ لما ظهرت شخصيته ، ولما اشتعلت مواهبه ، ولا اتضحت رسالته ، ولا تفتحت قريحته ، وقد حدَّث عن معلمي هذه المدرسة وأساتذتها كثيراً ، وذكر فضلهم عليه .

### العامل الأول :

فمَن يُرَدُّ الفضل إليه في هذه المدرسة « الإيمان » الذي لم يزل مربياً له ومرشداً ، ولم يزل مصدر قوته ومنبع حكمته ، وليس إيمان محمد إقبال هو الإيمان الجاف الخشيب ؛ الذي هو مجرَّد عقيدة ، أو تصديقٍ بسيط ، بل هو مزيج اعتقادٍ وحبٍّ ، يملك عليه القلب والمشاعر ، والعقل والتفكير ، والإرادة والتصرف ، والحبِّ والبغض ، وقد كان شديد الإيمان بالإسلام ورسالته ، قوي العاطفة ، شديد الإخلاص ، والإجلال لرسول الله ﷺ ، متفانياً في حبِّه ، مقتنعاً بأن الإسلام هو الدين الخالد ؛ الذي لا تسعد الإنسانية إلا به ، وأنَّ النَّبِيَّ ﷺ هو خاتم الرسل ، والبصير بالسبل ، وإمام الكلِّ .

ويُرجع محمد إقبال الفضل في تكوين شخصيته ، وتماسكه أمام المادَّة ومغرياتها ، وتيار الحضارة الغربية الجارف إلى الاتصال الروحي بالنبي ﷺ ، وحبِّه العميق له ، ولا شك أنَّ الحبَّ هو خير حاجزٍ للقلب ، وخير حارسٍ له ، إذا احتل قلباً وشغله ؛ منعه من أن يغزوه غيره ، أو يكون كريشةً في فلاة ، أو يعبث به العابثون ، يقول : « لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يبهز لبي ، ويعشي بصري ، وذلك لأنني اكتحلت بإئتمد المدينة » ، ويقول : « مكثت في أتون التعليم الغربي ؛ وخرجت كما خرج إبراهيم من نار نمرود » ويقول : « لم يزل ، ولا يزال فراغة العصر يرصدونني ، ويكمنون لي ، ولكني لا أخافهم ، فأني أحمل اليد البيضاء ، إن الرجل إذا رزق الحبَّ الصادق ، عرف نفسه ، واحتفظ

بكرامته ، واستغنى عن الملوك والسلاطين ، لا تعجبوا إذا اقتنصت النجوم ،  
وانقادت لي الصعاب ، فإنني من عبيد ذلك السيد العظيم الذي تشرفت بوطاته  
الحصباء ، فصارت أعلى قدراً من النجوم ، وجرى في إثره الغبار ، فصار أعبق  
من العبير .

وفي كتاب « أسرار خودي » ذكر الشاعر مقومات حياة الأمة الإسلامية ،  
والدعائم التي تقوم عليها ، فذكر منها : اتصالها الدائم بنبيها ﷺ ، والتشبع  
بتعاليمه ، والتفاني في حبه ، ولما ذكر النبي ﷺ اندفع الشاعر يمدحه ، وأرسل  
النفس على سجيتها ، فقال أبياتاً لا تزال تعد من غرر المدائح النبوية ، والشعر  
الوجداني ، يقول : « إنَّ قلب المسلم عامر بحبِّ المصطفى ﷺ ، وهو أصل  
شرفنا ، ومصدر فخرنا في هذا العالم ، إنَّ هذا السيد الذي داست أمته تاج  
كسرى ، كان يرقد على الحصير ، إنَّ هذا السيد الذي نام عبيده على أسرة  
الملوك كان بيت ليالي لا يكتحل بنوم ، لقد لبث في غار حراء ليالي ذوات  
العدد ، فكان أن وُجدت أُمَّةٌ ، ووُجد دستورٌ ، ووُجدت دولةٌ ، إذا كان في  
الصلاة فعيناه تهملان دمعاً ، وإذا كان في الحرب فسيفه يقطر دماً ، لقد فتح باب  
الدنيا بفتح الدين ، بأبي هو وأمي ، لم تلد مثله أمٌّ ، ولم تنجب مثله  
الإنسانية ، افتتح في العالم دوراً جديداً ، وأطلع فجرأ جديداً ، كان يساوي في  
نظرته الرفيع والوضيع ، ويأكل مع مولاه على خوانٍ واحدٍ ، جاءته بنت حاتم  
أسيرةً مقيّدةً سافرة الوجه ، خجلةً مطرقةً رأسها ، فاستحيا النبي ﷺ ، وألقى  
عليها رداءه .

نحن أعرى من السيدة الطائفة ، نحن عراة أمام أمم العالم ، لطفه وقهره كلُّه  
رحمة ، هذا بأعدائه ، وذلك بأوليائه ، الذي فتح على الأعداء باب الرحمة ،  
وقال : لا تثريب عليكم اليوم ! نحن المسلمون من الحجاز ، والصين ، وإيران ،  
وأقطار مختلفة ، نحن غيضٌ من فيضٍ واحدٍ ، نحن أزهارٌ كثيرة العدد ، واحدة  
الطيب والرائحة ، لماذا لا أحبه ، ولا أحنُّ إليه ، وأنا إنسان ، وقد بكى لفراقه

الجذع ، وحثت إليه سارية المسجد ؟! إن تربة المدينة أحب إلي من العالم كله ،  
أنعم بمدينة فيها الحبيب ! » .

ولم يزل حبُّ النبي ﷺ يزيد ويقوى مع الأيام ، حتى كان في آخر عمره إذا  
جرى ذكر النبي ﷺ في مجلسه ، أو ذكرت المدينة - على منورها ألف سلام -  
فاضت عينه ، ولم يملك دمه ، وقد ألهمه هذا الحبُّ العميق معاني شعرية  
عجيبة ، منها قوله وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى : « أنت غني عن العالمين ،  
وأنا عبدك الفقير ، فأقبل معذرتي يوم الحشر ، وإن كان لا بدَّ من حسابي فأرجوك  
يا رب ، أن تحاسبني بنجوةٍ من المصطفى ﷺ ، فإني أستحي أن أنتسب إليه  
وأكون في أمته ، وأتترف هذه الذنوب والمعاصي » .

وكان محمد إقبال كثير الاعتداد بهذا الإيمان ، شديد الاعتماد عليه ، يعتقد  
أنه هو قوته وميزته ، وذخره وثورته ، وأن أعظم مقدار من العلم والعقل ، وأكثر  
كمية من المعلومات والمحفوظات لا تساوي هذا الإيمان البسيط ، يقول في  
بيت : « إن الفقير المتمرد على المجتمع - يشير إلى نفسه - لا يملك إلا كلمتين  
صغيرتين قد تغفلتا في أحشائه ، وملكتا عليه فكره وعقيدته ، وهما : لا إله  
إلا الله ، محمد رسول الله » ، وهنالك علماء ، وفقهاء ، والواحد منهم يملك  
ثروة ضخمة من كلمات اللغة الحجازية ، ولكنه قارون ، لا ينتفع بكنوزه » .

هذا هو إيمان محمد إقبال أيها السادة ! وحبُّه ، ومن تتبَّع التاريخ عرف أن  
الحبَّ هو مصدر الشعر الرقيق ، والعلم العميق ، والحكمة الرائعة ، والمعاني  
البدیعة ، والبطولة الفائقة ، والشخصية الفذة ، والعبقرية النادرة ، إليه يرجع  
الفضل في غالب عجائب الإنسانية ، ومعظم الآثار الخالدة في التاريخ ، وإذا  
تجرَّد منه شخصٌ ؛ كان صورةً من لحم ودم ، وإذا تجرَّدت منه أمةٌ ؛ كانت  
قطيعاً من غنم ، وإذا تجرَّد منه شعراً ؛ كان كلاماً موزوناً مقفياً فحسب ، وإذا  
تجرَّد منه كتابٌ ؛ كان مجموع أوراقٍ وحبراً على ورق ، وإذا تجرَّدت منه  
عبادةٌ ؛ كانت طقساً من الطقوس ، وهيكلًا بلا روح ، وإذا تجرَّدت منه مدينةٌ ؛



أصبح تمثيلاً لا حقيقة فيه ، وإذا تجرّدت منه مدرسة ، أو نظام تعليم ؛ أصبح تقليداً ، أو تكليفاً لا متعة فيه ، ولا حافز به ، وإذا تجرّدت منه حياة ؛ كَلَّت الطباع ، وجمدت القرائح ، وأجدبت العقول ، وانطفأت شعلة الحياة ، واختفت المواهب ، هذا هو الحبُّ الصادق الذي يتجلّى على الرجل ، فيصدر منه من روائع الكلام ، أو خوارق الشجاعة ، والقوّة ، والآثار الخالدة في العلم والأدب ما لم يكن ليصدر منه لولا هذا الحبُّ الذي أشعل موهبته ، وفتح قريحته ، وملك عليه قلبه وفكره ، وأنساه نفسه ، ومتاعب الحياة ، وإغراء الشهوات ، وبريق المادّة ، فتمرد بذلك على المجتمع ، هذا هو الحبُّ الذي يدخل بين الطين والماء ، والحجارة والآجر ، فيجعل منها آثاراً خالدةً ، وتحفةً فنيّةً ، كمسجد قرطبة ، وقصر الزهراء ، والتاج محل ، وما من أثر من الآثار الباقية في الأدب ، والفنّ ، والتأليف ، والبطولة ، إلا ووراءه عاطفةً قويّةً من الحبِّ .

لقد ضلّ من زعم أنّ العلماء يتفاضلون بقوة العلم ، وكثرة المعلومات ، وزيادة الذكاء ، وأنّ الشعراء يتفاضلون بقوة الشعرية ، وحسن اختيار اللفظ ، ودقّة المعاني ، وأنّ المؤلفين يتفاضلون بسعة الدراسة والمطالعة ، وكثرة التأليف والإنتاج ، وأنّ المعلمين يتفاضلون بحسن الإلقاء والمحاضرة ، واستحضار المادة الدراسية ، وكثرة المراجع ، وأنّ المصلحين والزعماء يتفاضلون بالبراعة في الخطابة ، وأساليب السياسة ، والحكمة ، واللباقة ، إنما يتفاضل الجميع بقوة الحبِّ والإخلاص لغايتهم ، إذا فاق أحدهم الآخر ؛ فإنّما يفوقه ؛ لأنّ الغاية ، أو الموضوع حلّ في قرارة نفسه ، وسرى منه مسرى الروح ، وملك عليه قلبه وفكره ، وقهر شهواته ، واضمحلت فيه شخصيته ، فإذا تكلم تكلم عن لسانه ، وإذا كتب كتب بقلبه ، وإذا فكّر فكّر بعقله ، وإذا أحبّ ، أو أبغض ، فبقلبه .

لقد جنت المدنية الحديثة أيها السادة ! على الإنسانية جنايةً عظيمةً ؛ إذ

قضت على هذه العاطفة التي كانت قوة كبرى ، ومنبعاً فياضاً للحياة ، وملأت فراغها بالنفعية والمادية ، أو الحبّ الجنسيّ ، والغرام المادّي ، ولم تستطع بحكم ماديتها وضيق تفكيرها أن تفهم : أنّ هناك حباً للمعاني السامية ، وجمالاً معنوياً هو أقوى من هذا الحب ، وأساءت المدرسة العصرية - وأعني بها نظام التعليم الحديث - إلى الجيل الجديد ؛ إذ لم تحتفل بهذه العاطفة والوجدان احتفالاً ما ، ولم تحسن توجيه القلوب وإشعالها بحرارة الإيمان ، وحياة الوجدان ، فأصبح العالم العصري أشبه بجماجم متحرّكٍ دائرٍ لا حياة فيه ولا روح ، ولا قلب له ، ولا شعور ، ولا ألم عنده ولا أمل ، إنّما هو دوامةٌ جامدةٌ ، تديرها يدٌ قاهرةٌ ، أو إرادةٌ قاسرةٌ .

فإذا رأيتم أيها السادة ! أنّ شعر إقبال من نوع آخر غير النوع الذي عرفناه وجربناه في شعرائنا المتقدمين والمتأخرين ، وغير الشعر الذي ندرسه في مدارسنا. هذا شعر تهتّر له المشاعر ، وتوتّر له الأعصاب ، ويجيش له القلب ، وتثور له النفس ، حتى تكاد تحطّم السلاسل ، وتفكّ الأغلال ، وتتمرد على المجتمع الفاسد ، وتصطدم بالأوضاع الجائرة ، وتستخفّ بالقوة الهائلة ، شعراً إذا قرأه الإنسان في لغة الشاعر ، أحسّ بأنه قد مرّ به تيارٌ كهربائيٌّ ، فهزّه هزاً عنيفاً ، إذا وجدتم ذلك أيها السادة ! فاعلموا أنه ليس إلا لأن الشاعر قويّ الإيمان ، قويّ العاطفة ، جيّاش الصدر ، فيّاض الخاطر ، ملتهبُ الروح ، قد أحسنت المدرسة الثانية التي تحدّثت عنها تربيته ، وقد أحسن أساتذتها تثقيفه ، وتغذيته بهذه العاطفة ، وتنميتها ، وإشعالها فيه .

### العامل الثاني :

أما الأستاذ الآخر الذي يرجع إليه الفضل في تكوين شخصيته وعقليته ؛ فهو أستاذ كريمٌ لا يخلو منه بيتٌ من بيوت المسلمين ، ولكن ليس الشأن في وجود الأستاذ وكونه بمتناول اليد من تلاميذه ، إنما الشأن في معرفته ، وتقديره وإجلاله والإفادة منه ، وإلا لكان أبناء البيت ، ورجال الأسرة ، وأهل الحيّ

أسعد بعالمهم ، وأكثر انتفاعاً من غيرهم ، ولكن بالعكس من ذلك ، رأينا أن العالم الكبير ، والحكيم الشهير ، والمؤلف العظيم ، ضائع في بيته ، مهجور في داره ، يزهده فيه أولاده ، ويستهين بقيمته أفراد أسرته ، ويأتي رجل من أقصى العالم فيغترف من بحر علمه ، ويتضلع من حكمه .

لا تذهب بكم الظنون ، ولا يبعد بكم القياس أيها الأخوة ! فذلك الأستاذ العظيم هو القرآن العظيم ، الذي أثر في عقلية إقبال وفي نفسه ما لم يؤثر فيه كتاب ، ولا شخصية ، ولكنه أقبل على قراءة هذا الكتاب إقبال رجل حديث العهد بالإسلام ، فيه من الاستطلاع والتشوق ما ليس عند المسلمين الذين ورثوا هذا الكتاب العجيب فيما ورثوه من مال ، ومتاع ، ودار ، وعقار ، وقد وصل هذا المهتدي بشق النفس ، وعلى جسر من الجهاد والتعب ، كان سرور محمد إقبال باكتشاف هذا العالم الجديد من المعاني والحقائق أعظم من سرور « كولمبس » لما اكتشف العالم الجديد ، ونزل على شاطئه ، أما الذين ولدوا ونشؤوا في هذا العالم الجديد ؛ فكانوا ينظرون إلى « كولمبس » وأصحابه باستغرابٍ ودهشةٍ ، ولا يفهمون معنى لما كان يخامره من سرورٍ وفرحٍ ، فإنهم لا يجدون في هذا العالم شيئاً جديداً .

لقد كانت قراءة محمد إقبال للقرآن قراءة تختلف عن قراءة الناس ، ولهذه القراءة الخاصة فضلٌ كبيرٌ في تذوقه للقرآن ، واستطعامه إياه ، وقد حكى قصته لقراءة القرآن ، وقال : « قد كنت تعودت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم ، وكان أبي يراني ، فيسألني : ماذا أصنع ؟ فأجيبه : أقرأ القرآن ، وظلّ على ذلك ثلاث سنوات متتاليات يسألني سؤاله ، فأجيبه جوابي ، وذات يوم قلت له : ما بالك يا أبي ! تسألني نفس السؤال ، وأجيبك جواباً واحداً ، ثم لا يمنحك ذلك عن إعادة السؤال من غد ؟ فقال : إنما أردت أن أقول لك يا ولدي ! أقرأ القرآن كأنما نزل عليك ، ومنذ ذلك اليوم بدأت أفهم القرآن ، وأقبل عليه ، فكان من أنواره ما اقتبست ، ومن درره ما نفلت » .

ولم يزل محمد إقبال إلى آخر عهده بالدُّنيا يغوص في بحر القرآن ، ويطير في أجوائه ، ويجوب في آفاقه ، فيخرج بعلمٍ جديدٍ ، وإيمانٍ جديدٍ ، وإشراقٍ جديدٍ ، وقوةٍ جديدةٍ ، وكلِّما تقدَّمت دراسته ، واتَّسعت آفاق فكره ؛ ازداد إيماناً بأنَّ القرآن هو الكتاب الخالد ، والعلم الأبدي ، وأساس السعادة ، ومفتاح الأفعال المعقَّدة ، وجواب الأسئلة المحيرة ، وأنَّه دستور الحياة ، ونيراس الظلمات ، ولم يزل يدعو المسلمين ، وغير المسلمين إلى التدبر في هذا الكتاب العجيب ، وفهمه ودراسته ، والاهتداء به في مشكلات العصر ، واستفتائه في أزمات المدنيَّة ، وتحكيمة في الحياة والحكم ، ويعتب على المسلمين إعراضهم عن هذا الكتاب الذي يرفع الله به أقواماً ، ويضع به آخرين ، يقول في مقطوعة شعرية : « إنك أيها المسلم ! لا تزال أسيراً للمتزعِّمين للذِّين ، والمحتكرين للعلم ، ولا تستمُدُّ حياتك من حكمة القرآن رأساً ، إنَّ الكتاب الذي هو مصدر حياتك ، ومنبع قوتك ، لا اتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة ، فنقرأ عليك سورة « يس » لتموت بسهولةٍ ، فوا عجباً ! قد أصبح الكتاب الذي أنزل ليمنحك الحياة والقوة ، يتلى الآن لتموت براحةٍ وسهولةٍ »<sup>(١)</sup> .

وقد أصبح محمد إقبال بفضل هذه الدراسة العميقة والتدبُّر لا يفضل على هذا الكتاب شيئاً ، ولا يعدل به تحفةً وهديةً لأغنى رجلٍ في العالم ، وأعظم الرجال علماً وعقلاً ، ولذلك لما دعاه المرحوم نادر خان ملك أفغانستان إلى كابل ، ونزل ضيفاً عليه ، أهدى محمد إقبال إلى الملك نسخة من القرآن ، وقَدَّمها إليه قائلاً : « إن هذا الكتاب رأس مال أهل الحق ، في ضميره الحياة ، وفيه نهاية كلِّ بداية ، وبقوته كان علي رضي الله عنه فاتح خيبر » فبكى الملك وقال : « لقد أتى علي نادر خان زمان وما له أنيس سوى القرآن ، وهو الذي فتحت قوَّته كلَّ باب »<sup>(٢)</sup> .

(١) هدية الحجاز (أرمغان حجاز) .

(٢) مثنوي مسافر .

## العامل الثالث :

والركن الثالث أيها السادة ! في نظام تربيته ، وتكوين شخصيته هو معرفة النفس ، والغوص في أعماقها ، والاعتداد بقيمتها ، والاحتفاظ بكرامتها ، وقد عامل نفسه بما نصح به غيره ، وفي قصيدة يقول فيها : « انزل في أعماق قلبك ، وادخل في قرارة شخصيتك ، حتى تكتشف سرَّ الحياة ، ما عليك إذا لم تنصفي وتعرفني ، لكن أنصف نفسك يا هذا ! واعرفها ، وكن لها وفياً ، ما ظنَّك بعالم القلب ، وهو كلُّه حرارةٌ وسكر ، وحنانٌ وشوق ، أما عالم الجسم فتجارةٌ ، وزورٌ ، واحتيال ، إنَّ ثروة القلب لا تفارق صاحبها ، أما ثروة الجسم فظلٌّ زائل ، ونعيمٌ راحل ، إنَّ عالم القلب لم أر فيه سلطة الإفرنج ، ولا اختلاف الطبقات ، ولقد كدت أذوب حياءً ، وتندى جيبني عرقاً ؛ إذ قال لي حكيم : إذا خضعت لغيرك ؛ أصبحت لا تملك قلبك ، ولا جسمك »<sup>(١)</sup> .

وقد كان إقبال كثير الاعتداد بمعرفة النفس ، يرى أنَّ العبد يسمو بها إلى درجة الملوك ، بل يعلوهم إذا كان جريئاً مقداماً ، يقول في قصيدة : « إنَّ الإنسان إذا عرف نفسه بفضل الحبِّ الصادق ، وتمسَّك بآداب هذه المعرفة ، انكشفت على هذا المملوك أسرار الملوك . إنَّ ذلك الفقير الذي هو أسد من أسود الله أفضل من أكبر ملوك العالم » .

إنَّ الصراحة ، والجرأة من أخلاق الفتیان ، وإنَّ عباد الله الصادقين لا يعرفون أخلاق الثعالب » ، وقد جعلته هذه المعرفة النفسية والاعتداد لا يقبل رزقاً إذا قيَّد حريته ، يقول في نفس القصيدة : « يا صاح ! إن الموت أفضل من رزق يقصُّ من قوادمي ، ويمنعني من حرية الطيران »<sup>(٢)</sup> .

وكان إقبال يعرف قيمته ، ويعرف مكانته في غير صلفٍ ولا غرور ، فيضنُّ

(١) جناح جبريل (بال جبريل) .

(٢) المصدر السابق .

بحرّيته وكرامته ، ويربأ بنفسه عن أن يكون عبداً لغيره ، يقول في مقطوعة :  
« لك الحمد يارب ! إذ لستُ من سقط المتاع ، ولست من عبيد الملوك  
والسلاطين ، لقد رزقتني حكمةً وفراصةً ، ولكنّي أحمدك على أني لم أبعهما  
لملك من الملوك »<sup>(١)</sup> ، ويقول مفتخراً : « إنّي من غير شكّ فقيرٌ قاعدٌ على  
قارعة الطريق ، ولكنّي غنيّ النفس أبيّ » ، وكان عمله بما يخاطب به غيره في  
قصيدة يقول فيها : « إذا لم تعرف رازقك كنت فقيراً إلى الملوك ، وإذا عرفته  
افتقر إليك كبار الملوك . إنّ الاستغناء ملوكية ، وعبادة البطن قتلٌ للروح ، وأنت  
مخيّرٌ بينهما ، إذا شئت اخترت القلب ، وإذا شئت اخترت البطن »<sup>(٢)</sup> ، ولا شك  
أنّ محمد إقبال اختار القلب .

لذلك كان يثور إذا جُرحت كرامته ، وامتُحنت عَفْتُهُ ، قدّم إليه رئيس وزارة  
في دولة ، في عيد ميلاد محمد إقبال ، هديةً محترمةً من النقود ، فرفضها ،  
وقال : « إن كرامة الفقير تأبى عليّ أن أقبل صدقة الأغنياء » ، وعرضت عليه  
الحكومة البريطانية وظيفة نائب الملك في إفريقيا الجنوبية ، وكان من تقاليد هذه  
الوظيفة أنّ حرم نائب الملك تكون سافرةً ، تستقبل الضيوف في الولايم  
الرسمية ، وتكون مع زوجها في الحفلات ، فأشير عليه بذلك ، فرفضها وقال :  
« ما دام هذا شرطاً لقبول الوظيفة ؛ فلا أقبله ؛ لأنه إهانة ديني ، ومساومة  
كرامتي » .

وكان بفضل معرفته بقيمة نفسه شديد الاحتفاظ بقوّته ومواهبه ، يعتقد أنّه  
صاحب رسالةٍ ومهمّةٍ في هذه الحياة ، وليس له أن يضع نفسه محلّ الشاعر الذي  
ليست له رسالةٌ ، والنّظامين الذين ينظمون في كلّ مناسبة ، فإذا أريد منه غير  
ذلك ضاقت نفسه ، يقول في أبيات وجّهها إلى رسول الله ﷺ : « إنني لأشكو

(١) جناح جبريل .

(٢) المصدر السابق .

إليك يا سيد الأمم ! أنَّ أصدقائي يعتقدون أنني شاعر نظَّام ، فيقترحون علي اقتراحات . ويقول في بيت آخر : « أنا حائر في أمري يا سيدي رسول الله ! إنَّك تأمرني أن أبلغ أمتك رسالة الحياة والقوة ، وهؤلاء يقولون : أرخ لموت فلان ، وفلان ، فماذا أفعل ؟ » .

وقد كانت هذه المعرفة من كبار أنصار شخصيته ورسالته ، ومما انتفع بها الإسلام انتفاعاً عظيماً ، وقد عصمت الشاعر من التيه الفكريِّ ، والهيام الأدبيِّ ، اللَّذَيْن يصاب بهما أباؤنا ، وشعراؤنا ، وكتَّابنا ، وعلماءنا ! فينتجعون كلَّ كلاً ، ويهيمون في كلِّ واد ، ويكتبون في كل موضوع ، وافق عقيدتهم أم لا ، ويمدحون كلَّ شخص ، ويظنون إلى آخر حياتهم لا يعرفون أنفسهم ، ولا يعلمون رسالتهم ، أما الدكتور محمد إقبال فكان من توفيق الله تعالى ، ومن حسن حظِّ الإسلام والمسلمين في الهند : أنه عرف نفسه في أول يوم ، وقَدَّر مواهبه تقديراً صحيحاً ، ثم ركَّز فكره ، وقوة شاعريته على بعث الحياة والروح في المسلمين ، وإيجاد الثقة والاعتزاز بشخصيتهم ، والإيمان برسالتهم ، والطموح إلى القوة والحرِّية والسيادة ، كان شاعراً مطبوعاً ، حتى لو أراد أو أريد ألا يكون شاعراً لما استطاع ، ولقهره الشعر ، وغلبه . كان سائل القريحة ، فيأض خاطر ، ملهم المعاني ، مطاع اللفظ ، وكان مبدعاً يوم كان شاعراً ، وكان فناناً وصنَّاعاً ماهراً ، سلَّم له شعراء العصر بالإمامة والإعجاز ، وتأثر بشعره الجزُّ ، فما من شاعرٍ ولا أديب في عصره إلا تأثر به في اللغة ، أو التراكيب والمعاني ، والأفكار ، والأغراض ، وهو من أفذاذ شعراء العالم في التفنُّن والإبداع ، وابتكار المعاني ، وجدة التشبيه ، والاستعارات ، وقد ساعده في ذلك اتصاله بالشعر الإنجليزي والألماني ، فضلاً عن الفارسي الذي هو خاتم شعرائه ، ولكن ليس هذا كلُّ ما يمتاز به محمد إقبال ، فعصره لا يخلو من شعراء ، ولا يخلو من شعراء مجيدين ، ولكنَّه امتاز بأنه أخضع شاعريَّته القويَّة ، وقوَّته الأدبية ، وعبقريَّته الفنيَّة لرسالة الإسلام ، فلم يكن شاعر ملك ، ولا

شاعر الوطنية ، ولا شاعر الهوى والشباب ، ولا شاعر الحكمة والفلسفة ، بل كان صاحب رسالة إسلامية ، استخدم لها الشعر ، كما تستخدم للرسائل أسلاك الكهرباء ، فتكون أسرع وصولاً ، ولطيب الأزهار نفحات الهواء ، فيكون أكثر انتشاراً ، فكان الشعر حامل رسالته ، ورائد حكمته ، يسبقها ، ويوطئ لها أكتافاً ، ويدلل لها صعباً ، ويفتح أبواباً ، وكان شعره من جنود الإسلام ﴿ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الفتح : ٤] ولا أعرف أحداً يستخدم شعره لغرضٍ أسمى ، وغاية أجدى منه ، فأيقظ أمةً ، وأشعل قلوبها إيماناً ، وحماسةً ، وطموحاً إلى حياة الشرف ، والاستقلال ، والسيادة ، والحكم الإسلامي ، حتى أصبحت هذه الأمة لا ترضى إلا بدولة تحكمها ، وتدير دفتها ، أوجد بشعره القويّ الهزاز القلق الفكريّ ، والاضطراب النفسيّ ، الذي عمّ هذا الشعب المسلم ، وساور الشباب الإسلاميّ بصفةٍ خاصةً ، فأصبحوا لا يرتاحون ، ولا يهدأ لهم خاطر في حياة العبودية ، والذلّة ، وحكم الأجانب ، حتى أصبحت في يوم من الأيام الدولة المسلمة الحرّة حقيقةً راهنةً ، وواقعاً ملموساً .

ولا نعرف شاعراً أو أديباً يرجع إليه الفضل في تأسيس دولةٍ ، وتهيئة النفوس لها مثل ما يرجع إلى هذا الشاعر الإسلاميّ ، وتعلمون جميعاً أنّ الدول تسبقها الثورات الفكرية ، والتذمّر من الحاضر ، والتطلّع إلى المستقبل ، والقلق النفسيّ ، فإذا تمّ هذا كلّه ، ونضج ، قامت دولةٌ ، فإن كان شعراً قد أقام دولة ، وأحدث ثورةً فكريّةً ، كانت سبب الانتقال من حياةٍ إلى حياةٍ ، ومن وضعٍ إلى وضعٍ ، فهو من غير شكٍّ شعر إقبال ، وما ذاك أيها الإخوة ! إلا بمعرفة الرجل نفسه ، وتقديره لمواهبه وقوّته ، ووضعها في محلّها ، والغيرة عليها من أن تضيع في موضوعاتٍ تافهة ، وألفاظٍ فارغة ، وألوانٍ زاهية ، ومظاهر الجمال الفانية ، وكم ضاع رجال من العبقريين وأهل المواهب الكبيرة لعدم معرفتهم أنفسهم ، وقيمة ما يحسنون ، وما يمتازون به عن أقرانهم ، فباعوا أنفسهم ،



وعلمهم بالمناداة ، أو باللغة المصرية « بالمزاد العلني » وقتلوا إنسانيتهم قبل أن يقتلها غيرهم ، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [ النحل : ٢٣ ] .

#### العامل الرابع :

والمربِّي الرابع أيها السادة ! الذي يرجع إليه الفضل في تكوين سيرته وشخصيته ، وفي قوة شعره وتأثيره ، وجدَّة المعاني ، وتدقق الأفكار ، هو أنه لم يكن يقتصر على دراسة الكتب ، والاشتغال بالمطالعة ، بل كان يتصل بالطبيعة من غير حجاب ، ويتعرَّض للنفحات السَّحرية ، ويقوم في آخر الليل ، فيناجي ربه ، ويشكو بثه وحزنه إليه ، ويتزوَّد بنشاطٍ روحيٍّ جديد ، وإشراقٍ قلبيٍّ جديد ، وغذاءٍ فكريٍّ جديد ، فيطلع على أصدقائه وقرائه بشعر جديد ، يلمس الإنسان فيه قوةً جديدةً ، وحياةً جديدةً ، ونوراً جديداً ، لأنه يتجدَّد كلَّ يوم ، فيتجدَّد شعره ، وتتجدَّد معانيه .

وكان عظيم التقدير لهذه الساعات اللطيفة التي يقضيها في السَّحر ، ويعتقد أنَّها رأس ماله ، ورأس مال كلِّ عالم ومفكِّر ، لا يستغني عنها أكبر عالم أو زاهد ، يقول في بيت : « كن مثل الشيخ فريد الدين العطار في معرفته ، وجلال الدين الرومي في حكمته ، أو أبي حامد الغزالي في علمه وذكائه ، وكن من شئت في العلم والحكمة ، ولكن لا ترجع بطائل ، حتى تكون لك أنَّة في السَّحر » ، وكان شديد المحافظة على ذلك ، كثير الاهتمام به ، يقول في مطلع قصيدة : « رغم أنَّ شتاء إنجلترا كان قارساً جداً ، وكان الهواء البارد يعمل في الجسم عمل السيف ، ولكنِّي لم أترك في لندن التبكير في القيام » ، وكان لا يبغي به بدلاً ، ولا يعدل به شيئاً ، يقول في بيت : « خذ منِّي ما شئت يا رب ! ولكن لا تسلبني اللذة بأنَّة السَّحر ، ولا تحرمني نعيمها » ، بل كان يتمنى على الله أن تتعدَّى هذه الأتَّة السَّحرية ، والحرقة القلبية إلى شباب الأمة المتنعمين ، فتحرك سواكن قلوبهم ، وتنفخ الحياة في هياكلهم ، يقول في قصيدة : « اللهم ! اجرح أكباد الشباب بسهام الآلام الدَّينية ، وأيقظ الآمال والأمني النائمة في صدورهم بنجوم

سمواتك ، التي لا تزال ساهرةً ، وعبادك الذين يببتون الليل سجداً وقياماً ، ولا يكتحلون بنوم ، ارزق الشباب الإسلاميّ لوعة القلب ، وارزقهم حبّي و فراستي « ، ويقول في قصيدة : « اللهم ارزق الشباب أنّتي في السّحر ، وأنبت لصقور الإسلام القوادم والخوافي ؛ التي تطير بها وتضطاد ، وليست لي أمنية يا رب ! إلا أن تنتشر فراستي ، ويعمّ نور بصيرتي في المسلمين » .

### العامل الخامس :

والعامل الأخير ، والمؤثر الكبير في تكوين عقليته وتوجيه رسالته أيها السادة ! هو « المثنوي المعنوي » بالفارسية ، وقد كتبه مولانا جلال الدين الرومي في ثورة وجدانية ، ونفسية شديدة ضدّ الموجة العقلية الإغريقية ؛ التي اجتاحت العالم الإسلامي في عصره ، وقد انتصر فيه للإيمان والوجدان انتصاراً قوياً ، وانتصف للقلب ، والروح ، والعاطفة ، والحبّ الصادق ، والمعاني الروحية من المباحث الكلامية الجافة ، والقشور الفلسفية التي كانت تشغل أذهان المسلمين ، والمدارس الدّينية ، والأوساط العلمية في الشرق الإسلامي ، والكتاب متدفّق قوّةً وحياءً ، زاخرٌ بالأدب العالي والمعاني الجديدة ، والأمثال الحكيمة ، والحكم الغالية ، والنكت البديعة ، وطابعه العاطفة القوية ، والطبع الرّيان الذي يملئ هذه المنظومة التي لا تزال فريدة في موضوعها في مكتبة الإسلام العامرة ، ولا يزال له التأثير القويّ في تحرير الفكر من رقّ العقل ، والتقدّيس الزائد للقيم العقلية ، والخضوع للمادّية الرعناء ، ويبعث التمرّد على عالم المادية الضيق ، والتطلّع إلى أجواء الروح الفسيحة ، وكان العالم في عصر محمد إقبال يواجه التيار العقلي الأوروبي الذي جرف جميع القيم الروحيّة والخلقيّة ، وقد زادت الآلات الميكانيكية هذه الحضارة بعداً عن المعاني الروحية ، والمبادئ الخلقية ، وما بعد الطبيعة ، فأصبحت حضارةً عقليةً ميكانيكيةً ، وقد قضى محمد إقبال فترةً من الزمن ينازعه عاملان : عامل العقل ، وعامل القلب ، وقام صراعٌ بين عقله المتمرّد ، وعلمه المتجدّد ،

وقلبه الحارّ الفائض بالإيمان ، وفي هذا الاضطراب الفكريّ والاضطراب  
 النفسيّ ، ساعده المثوي مساعدةً غالية ، ودافع عن عاطفته وقلبه دفاعاً مجيداً ،  
 وحلّ به كثيراً من ألغاز الحياة ، ولم يزل محمد إقبال يعرف له الجميل ، ويحفظ  
 له هذا الفضل ، ويذكره في كثيرٍ من أبياته ، ويعزو إليه كثيراً من الحقائق  
 والحكم ، يقول في بيتٍ يخاطب فيه أحد المأخوذين بسحر الغرب : « قد سحر  
 عقلك سحر الإفرنج ، فليس لك دواء إلا لوعة قلب الرومي ، وحرارة إيمانه ،  
 لقد استنار بصري بنوره ، ووسع صدري بحرأ من العلوم » ، ويقول في بيت :  
 « لقد أفدت من صحبة شيخ الروم أنّ كليماً واحداً - يشير إلى سيدنا موسى - هامته  
 على راحته يغلب ألف حكيمٍ قد أحنوا رؤوسهم للتفكير » ، وكان محمد إقبال  
 يرجو أن يجدد علمه ورسالته في القرن العشرين ، ويخلفه في مهمته العلمية ،  
 والروحية ، وكان يشعر أنّ الشيخ لا يزال يفوقه في الجانب الروحي ، وقد أشار  
 إلى ذلك إشارةً لطيفة ، يقول في قصيدة : « لم ينهض روميّ آخر من ربوع  
 المعجم مع أن أرض إيران لا تزال على طبيعتها ، ولا تزال تبريز كما كانت ، إلا أنّ  
 إقبالاً ليس قانطاً من تربته ، فإذا سقيت بالدموع نبتت نباتاً حسناً ، وأنت بحاصل  
 كبير » .

هذه هي العوامل البارزة التي كونت شخصية محمد إقبال ، وهذه هي آثار  
 تربية المدرسة الثانية التي تخرج فيها ، ولا شك أنّها أقوى من آثار المدرسة  
 الأولى ، وكميات من المعلومات وافرة ، فقد علمته المدرسة الثانية المتعددة  
 الجوانب كيف يستعمل هذه المعلومات ، وكيف يخدم بها نفسه وأمته ، وقد  
 منحتهم المدرسة الثانية العقيدة الراسخة ، والإيمان القوي ، والخلق المستقيم ،  
 والتفكير السليم ، والرسالة الفاضلة .

\*\*\*

## الحقائق التاريخية في شعر محمد إقبال<sup>(١)</sup>

لم يكن إقبال اختصاصياً في مادة التاريخ ، ولم يزعم لنفسه امتلاكاً للموضوع وتعمقاً فيه ، واطلاعاً على أسراره وخفاياه ، وإذا طلب منه في مناسبة من المناسبات أن يتناول كتاباً يدور حول هذا الموضوع ويتصل به من بعيد أو قريب بالنقد والتعريف ، أحجم عن الكتابة ، واعتذر عنها ببساطة وتواضع ، وقال : « إنه لم يختص في هذه المادة ، إنه كان عالم الفلسفة أو عالم القرآن » ، ولكن من البديهي المعروف أن دراسته كانت واسعة متنوعة عميقة ، وأنه تأمل خلال بحثه العلمي المتواصل ودراسته الطويلة الواسعة في تاريخ الأمم والشعوب والدول والحكومات ، وفي الأديان والأخلاق ، وفي المجتمعات البشرية والحضارات الإسلامية المختلفة ، بنظر ثاقب ، ونزل في أغوارها واهتدى إلى أسرارها ، ورغم أن التاريخ - كما قلنا - لم يكن محور دراساته ، إلا أنه اعتنى بالموضوع عناية لائقة شأن كل باحث يهمله مصير الإنسان ونهضة الإنسانية وانحطاطها ، والقضايا البشرية المصيرية .

وكان الوجه الثاني أن الفلسفة تثير في الإنسان تطلعاً قوياً إلى الحقيقة المجهولة ، وتحدث فيه ملكة خاصة في ربط الوحدات الضائعة والأجزاء المتناثرة ، والتوصل من المقدمات إلى النتائج ومن الجزئيات إلى الكلّيات ، والانتقال من الحوادث الظاهرة والتغيرات العابرة والأحداث الطارئة إلى كنه الحوادث وأعماقها ؛ لذلك نجد إقبالاً يتوصل بدراسته العامة للتاريخ إلى نتائج

---

(١) مقتطف من محاضرة العلامة أبي الحسن الندوي التي ألقاها في ندوة علمية في مدينة « شيكاغو » (الولايات المتحدة الأمريكية) في أغسطس ١٩٧٥م وكتبها أصالة في الأردنية ، ونقلها إلى العربية المرحوم الأستاذ محمد الحسن رئيس تحرير مجلة « البعث الإسلامي » .

وحقائق لا يصل إليها أولئك الباحثون والعلماء والمؤرخون ، الذين حرموا هذه الحاسة الفلسفية ، والذين هم طلاب مدرسة التاريخ الجامدون وأساتذتها التقليديون ، وقد دله على الوصول إلى تلك الحقائق والنتائج العميقة فهمه العميق للقرآن ، ودراسته المخلصة المتواصلة لهذا الكتاب المعجز ، الذي يحتوي على مواد أساسية ومبادئ واضحة تتوقف عليها سعادة الأجيال البشرية وشقاؤها ، ورفيها وزوالها ، والذي يكشف الستار عن الحوادث التي ستواجهها الإنسانية في المستقبل ، وأسباب شقاء الأمم وهلاكها وازدهارها ، كشفاً لتحير له الألباب ، ويقف عنده العقل عاجزاً مشلولاً لا يجد له التأويل . غير أن هذا الكتاب الذي نزل على « الأمي ابن البادية » - كما يقول إقبال - منزل من الله العليم الخبير الذي فطر السموات والأرض ، وذلك ما قاله إقبال عندما قَدَّمَ إلى الأمير الشهيد نادر خان ملك أفغانستان ، المصحف الشريف :

« إن هذا القرآن سند أهل الحق ، في ضميره حياة وروح ، تندرج في بدايته النهاية ، به فتح عليّ باب خير » .

ويقول في ديوان « أسرار خودي » :

« إن هذا الكتاب كتاب خالد ، حكمته غارقة في الأزل سارية إلى الأبد ، إنه يفشي أسرار تكوين الحياة ، ويثبت الضعيف الذي تزلزلت أقدامه ، بالقول الثابت » .

إن دراسة شعر إقبال تزودنا بمعلومات وحقائق جديدة إذا تفحصنا في غضون دراساته التاريخية ، ورأينا إلى أي مدى تستطيع هذه الومضات التاريخية في شعره الحي ، أن تسعف رواد مناهل العلم والبحث الذين يريدون الاستفادة من التجارب الحضارية ، وإنه ليس أقل من « اكتشاف » إذا قلنا إن شعر إقبال يتضمن بعض إشارات تاريخية دقيقة تتكون منها مؤلفات تاريخية إذا شرحناها شرحاً وافياً ، فقد جمع في بعض أبياته ومقطوعاته أحياناً ، وفي بيت واحد بعض الحين ، عصارة دراسات عميقة ، ومحصول تأملات طويلة ، ولباب مكتبات

كاملة تكونت في التاريخ وفلسفة التاريخ ، وهناك التقى إيجازه بالإعجاز ، ويمكن إذا شرحنا شعره في نثر وسقنا له شواهد تاريخية ودلائل ( وهي كثيرة ) أن يأتي رائعاً أخذاً كما هو الحال في شعره الحلو ، وبيانه الجميل ، وكلامه الجزل ، ولا يمكن أن يقدر قيمة هذه الإشارات العلمية والتاريخية وصدق نتائجها وعواقبها التي جاءت في شعره تقديراً صحيحاً دقيقاً إلا من كان له اطلاع واسع عميق على التاريخ الإنساني والتاريخ الإسلامي وعلى علو القرآن ، وخبرة دقيقة باليهودية والمسيحية ، والأديان الهندية القديمة ، والفلسفات العجمية وآدابها ، وتاريخ القرون الوسطى التي يسميها المؤرخون الغربيون بحق بالقرون المظلمة « Dark Ages » .

ونقدم هنا نماذج من فراسته التاريخية وحكمته القرآنية التي تجلت في شعره ، من غير تدقيق وتمحيص كبير ، واستيعاب شامل ، لكل ما ورد في هذا الموضوع ، وإنما اخترنا من أبياته ما أعانت عليه الذاكرة ، وانطلق به اللسان ، واعتمدنا على شرحه وتصويره وإبرازه في صورته الواضحة المتكاملة على المعلومات العامة لدى القارى ودراسته للتاريخ الذي يحظى به عادة كل متعلم ، ولكننا لا نستطيع أن ندرك عظمة هذه الحقائق ، وأن نصدق تلك الأفكار والآراء التي قدمها إقبال إلا إذا اطلعنا على خلفياتها التاريخية والمجتمع الذي تدور حوله هذه الأبيات .

ولذلك نستعرض قبل أن نقدم هذه الأبيات الأجواء التي أنشدت فيها ، والظروف التي دفعت إليها .

لقد وزعت الديانات القديمة - وخاصة المسيحية - الحياة الإنسانية في قسمين : قسم للدين وقسم للدنيا ، ووزعت هذا الكوكب الأرضي في معسكرين ، معسكر رجال الدين ومعسكر رجال الدنيا ، وما كان هذان المعسكران منفصلين فحسب ، بل حال بينهما خليج كبير أو وقف دونهما حاجز سميك ، وظلا متشاكسين متحاربين ، وكانا يعتقدان بأن هناك خصومة وعداء

بين الدين والدنيا ، فإذا أراد إنسان أن يتصل بأحدهما لزم عليه أن يقطع صلته بالآخر ، بل يعلن الحرب عليه ، فلا يمكن له - على حد قولهم - أن يركب سفينتين في وقت واحد ، وأنه لا سبيل إلى الكفاح الاقتصادي ورخائه من غير غفلة عن الدار الآخرة وإعراض عن فاطر السموات والأرض ، ولا بقاء لحكم أو سلطة من غير إهمال التعاليم الدينية والخلقية والتجرد عن خشية الله ، ولا إمكان للتدين من غير الرهبانية وقطع الصلة عن الدنيا وما فيها .

المعلوم المقرر أن الإنسان محب لليسر مجبول عليه ، وكل فكرة عن الدين لا تسمح بالاستمتاع المباح والنهضة والاستعلاء والحصول على القوة والحكم ، لا تصلح للنوع البشري في الغالب ، إنه صراع مع الفطرة السليمة ، وكبت للغرائز الطبيعية البريئة في الإنسان ، وكانت نتيجة هذا الصراع أن عدداً كبيراً من أصحاب الفطنة والذكاء والكفاءات العلمية آثروا الدنيا على دينهم ورضوا بها - كحاجة اجتماعية وواقع حي - واطمأنوا إليها ، وعكفوا على تحسين هذه الحياة والحصول على ملذاتها ، ولم يبق لهم أمل في الدين .

وأكثر الذين هجروا الدين بصورة عامة هجروه على أساس هذا التناقض الذي حسبه حقيقة بديهية مسلمة ، وثار البلاط الذي كان يتزعم الحكم الديني على الكنيسة التي كانت تمثل الدين وتتجرد عن سائر قيوده ، فصارت الحكومات - بطبيعة المنطق - كفيلاً هائج مائج تخلص من سلاسله وقيوده ، أو كجمل هائم حبله على غاربه ، هذا الانفصال بين الدين والدنيا ، وذلك العناد بين رجال الدين ورجال الدنيا ، لم يضع حداً على الدين والأخلاق ولم يحرمه من بركات السماء والأرض فحسب ، بل فتح الباب على مصراعيه للإلحاد واللا دينية وكانت فريسته الغرب أولاً ، والأمم التي دانت لها في الفكر والعلم والثقافة أو عاشت تحت رايتها ثانياً ، وزاد الطين بلة دعاة المسيحية المتطرفون والمفردون الذين كانوا يعتبرون الفطرة البشرية أكبر عائق في التزكية الروحية والاتصال بالسماء ، والذين لم يدخروا وسعاً في إذلالها وتعذيبها بأنواع من

الأحكام القاسية والتعاليم الجائرة<sup>(١)</sup> ، وقدموا صورة وحشية كالحجة جائرة مفزعة للدين تقشعر منها جلود الذين آمنوا ، وآل الأمر في النهاية إلى تقلص ظل الدين ، وبلغت عبادة النفس والهوى - في أوسع معناها - إلى ذروتها ، وأصبحت الدنيا تتأرجح بين طرفي نقيض ، ثم سقطت أخيراً بضعف الوازع الديني أو فقدان الحاسة الدينية في هوة عميقة من اللادينية والفوضى الخلقية العامة<sup>(٢)</sup> .

وأعظم هدية للبعثة المحمدية ، ومنتها العظيمة ، ونداؤها الذي دوت به الآفاق أن أساس الأعمال والأخلاق هو الهدف الذي ينشده المرء الذي عبر عنه الشارع بلفظ مفرد بسيط ولكنه واسع عميق « النية »<sup>(٣)</sup> .

إنه لا يؤمن بأن هذا مجرد دنيا ، وذاك مجرد دين ، إنه يعتقد أن كل عمل يقوم به الإنسان ابتغاء مرضاة الله ، وبدافع الإخلاص وامتثال أمره وطاعته ، هو وسيلة إلى التقرب إلى الله والوصول إلى أعلى مراتب اليقين ودرجات الإيمان ، وهو دين خالص لا تشوبه شائبة ، ولو كان هذا العمل جهاداً أو قتالاً أو حكماً أو إدارة أو تمتعاً بطلبات الأرض ، وتحقيقاً لمطالب النفس ، وسعياً لطلب الرزق والوظيفة ، واستمتاعاً بالتسلية البريئة المباحة ، والحياة العائلية والزوجية ، وكل عبادة وخدمة دينية - بالعكس من ذلك - تعتبر دنيا إذا تجردت من طلب رضا الله سبحانه ، والخضوع لأوامره ونواهيه ، وغشيتها غاشية من الغفلة ونسيان الآخرة ، ولو كانت صلوات مكتوبة ، ولو كانت هجرة وجهاداً وذكراً وتسييحاً ،

---

(١) انظر « تاريخ أخلاق أوربة » ج/٢ لمؤلفه ليكي .

(٢) اقرأ للتفصيل كتاب « الصراع بين الدين والعلم » لدرابر ، أو « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للعلامة أبي الحسن علي الندوي ، باب « الإنسانية في الاحتضار » .

(٣) هذا الحديث الصحيح الذي بلغ عند بعض المحدثين حد الاستفاضة والشهرة ، والذي افتتح به الإمام البخاري الصحيح : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » .



وقتالاً في سبيل الله ، ولا يثاب عليه العامل والعالم والمجاهد والداعي ، بل قد تعود تلك الأعمال والخدمات عليه وبالأ ، وتكون بينه وبين الله حجاباً<sup>(١)</sup> .

وإنها ماثرة عظيمة من مآثر سيدنا محمد ﷺ ومنته العامة الخالدة على الإنسانية ، أنه ملأ هذه الفجوة الواسعة بين الدين والدنيا ، وجعل هذين المتنافرين المتباعدين اللذين عاشا في خصام دائم ، وعداء سافر ، وحقد مستمر ، يتعانقان في إلف وود ويتعايشان في سلام ووثام ، إنه ﷺ رسول الوحدة ، وبشير ونذير في الوقت ذاته ، إنه أخذ النوع البشري من المعسكرين المتحاربين إلى جبهة موحدة من الإيمان والاحتساب ، والعطف على البشرية وابتغاء رضوان الله ، وعلمنا هذا الدعاء الجامع المعجز الواسع : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

إنه أعلن بالآية التالية : ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] أن حياة المؤمن ليست مجموعة وحدات متفرقة متضادة ، فالعبودية والعبادة وحدة شاملة وصورة جامعة ، قد ترى فيها رجال الله في زي الأمراء ومعيشة أصحاب الثراء والجاه ، وترى فيه أمراء وأغنياء في مستوى العباد والزهاد ، جمعوا بين السيف والمصحف ، عباد ليل ، وأحلاس خيل ، من غير أن يروا في ذلك تناقضاً ، ومن غير أن يجدوا فيه مشقة وحرماً .

واقراً بعد هذا التمهيد أبيات شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال الذي أنشدها تحت عنوان « الدين والسياسة » ، وتأمل كيف قيد هذا التاريخ الحافل للإسلام والمسيحية والقرون المتوسطة ، والعصر الحديث ، وتعاليم هاتين الديانتين ، ووضع كل هذه الحقائق والمعلومات والمعارف في إطار صغير أو زجاجة راتقة من أبيات ، تترامى لنا بحلاوتها وسهولتها ، وعذوبة جرسها إلى

---

(١) كتب الحديث زاخرة بالآثار الدالة على ذلك ، انظر أبواب الإخلاص والنية ، والإيمان والاحتساب .

جانب طابعها العلمي الرزين وجلالها الفني البديع ، كأنها كأس من الزلال أو جزء من السحر الحلال :

« قامت الكنيسة على أساس الرهبانية فلم تسعها - بالطبع - القيادة والسيادة ، والحكم والإدارة ، فقد كان هنا عداء قديم بين الرهبانية والحكم ، هذا خضوع واستسلام ، وذاك استعلاء كامل واستيلاء .

حتى خلصت السياسة نفسها أخيراً من الدين ومرقت منه كما يمرق السهم من الرمية ، وأصبح رجال الكهنوت مكتوفي الأيدي أمام هذا الوضع ، لا يقدرّون على شيء ، فلما انفصل الدين عن الدولة ، جاءت الشهوة وشاع الهوى ، وساد قانون الغاب ، هذا الانفصال شؤم على الدولة والدين ، هو لا يدل إلا على ضعف بصر هذه الحضارة وفساد ذوقها .

ولكنه إعجاز رجل من رجال البادية ، الذي كان بشيراً ونذيراً بذات الوقت ، يتجلى في بشارته الإنذار ، وفي إنذاره البشارة .

ولا حفاظ للإنسانية من أخطارها ، ولا سبيل إلى نهضتها إلا بأن يسير الزهاد والعبّاد ، مع الراكبين على صهوات الخيل ومتون الجياد »<sup>(١)</sup> .

إن التاريخ الإنساني الطويل - الذي أثنى بالجراح وطفح كأسه بالدماء والدموع ، وأحاط بجزئه الأكبر حروب طاحنة ، ومعارك ضارية ومغامرات أفراد وجماعات وشعوب - يشهد بأن تجمع القوة والحكم في أفراد أو جماعة لم يضر النوع البشري مثل ما ضره وجر الشقاء عليه شهوة الحكم ونشوة القوة ، والشعور بالتفوق والعظمة ، فكلما يستولي هذا الشعور على فرد أو جماعة ويحس بأنه ليس على وجه الأرض من هو أقوى منه ، وأنه سيل جارف لا يمنعه شيء ، وقضاء الله المبرم الذي لا راد له ، والشعوب المجاورة كلها والإنسانية برمتها عالة عليه وتحت رحمته ، ورهن إشارته ، والحقيقة الباقية والشريعة السائدة هي القوة ،

(١) جناح جبريل (بال جبريل) .

أما الإنسانية والعدالة الاجتماعية والرحمة والأخلاق والضمير ، والحسن والقبیح والخبيث والطيب ، فهي كلمات فارغة لا تحمل معنى ، ومنطق انهزامي ، منطق العبيد والضعفاء والمساكين ، والأمم المستضعفة التي لا تملك حَوْلًا ولا طَوْلًا ، وكلما يصبح شعار ( Might is Right ) « القوة هو الحق » مقياس الحق والباطل ، وتمد هذه الفلسفة أجنحتها على شُعَب الحياة كلها ، وتصبح خشية الله ، والعطف على الإنسانية ، والورع واتقاء المحارم والصبر عنها ، والحياء وشُعبه ، آية الجبن وسمة الضعف والتخاذل ، وتتحول الوسائط غايات وتصبح الغايات ممتدة إلى ما لا نهاية لها ، فهناك ينقلب هذا الفرد أو تنقلب هذه الفئة والجماعة قوة مدمرة عمياء أو بركاناً نارياً هائلاً يتفجر على الإنسانية ، فلا تقف في زحفه الجهنمي وسيله الناري حكومات مستقرة ، وإمبراطوريات عظيمة ، ولا تمنعه حضارات الإنسانية ، أو تعاليم خلقية ، ولا نتائج جهود المعلمين والمصلحين من أهل الدين ولا مؤسساتهم التي كانت تغيث الإنسانية منذ قرون طويلة ، وتسعفها في محنها ورزاياها وتخفف آلامها ، وتمسح دموعها .

هذا السيل الناري الجارف يأتي بين عشية وضحاها على سائر الجهود المعمارية والإنشائية والإنمائية ، وكنوز الآباء والأجداد ، وذخائر العلم والأدب ، وعلى كل ما بناه الأوائل ، بل يقطع الأمل في بناء الإنسانية ونهضتها وصحوتها من جديد إلى قرون طويلة ، وتحول المدن العامرة إلى أنقاض مدمرة ، ومستعمرات زاهرة إلى أراضٍ قاحلة ، تحول العواصم الكبرى إلى مقابر عامة ، والمساجد والمعابد إلى حانات وخانات ، ونوادي الخمر والقمار ، ومؤسسات العلم ومراكز الثقافة ، إلى مراكز اللهو والترويح والفسق والدعارة ، وينقلب المجتمع كله رأساً على عقب ، ويصبح عاليه سافله ، وعزیزه رذيله ، وقد صور القرآن ببلاغته المعجزة هذا التغيير الهائل على لسان ملكة سبأ ، فصدق عليه في كتابه الخالد قائلاً : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً

أَفَسَدُوا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿ [النمل : ٣٤] .

وكانت فريسة هذه الشهوة - شهوة الأنانية والحكم والشعور المفرط بالتفوق - أمم قديمة ذكرها القرآن ، أمم لم تعرف شيئاً ولم تحسن شيئاً غير الإبادة والتدمير ، وزحفت كالقيل الهائج المائج ، فأهلكت الحرث والنسل ، وداست شعوبها الشقيقة كما يدوس أحدنا أرض مزرعته ولا يبالي ، وكان من بينها قوم عاد ، وقد وصفها القرآن بهذا الداء ، داء الاستكبار : ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ ﴾ [فصلت : ١٥] .

وظهرت نتيجة هذا الذهول - الذهول عن الله - والابتعاد عنه ، وعبادة النفس وتقديسها ، واستعمال وسائل القوة استعمالاً حراً ، لا يبالي بأي قيد ولا يقف عند حد ، ولا يقيم للعاقبة والمصير أي وزن ، ولا يحسب للجناية وحجم عقابها أي حساب . وقد حكى القرآن على لسان سيدنا هود الذي بعث في قوم عاد ، هذه الحالة النفسية ، فقال : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء : ١٢٨ - ١٣٠] .

فحين يتسلم فرد أو جماعة مقاليد الحكم المطلق ، ويتسنى له قوة تحقق له ما أراد ، هنالك يعبث الفرد أو هذه الطاغية بتلك الشعوب البريئة المغلوبة المنكوبة كما يعبث اللاعب بكرة القدم ، أو كما يعبث الطفل بجانب القرطاس أنه يتصرف فيها كذرات رمل وقصاصات ورق ، ويعتبر أنه على حق في العبث بمصائرها ، والحكم عليها بالموت أو الحياة ، أو التخفيف عنها والتضييق عليها ، أو بسطها بسطاً أو قطعها إرباً إرباً .

ويقص علينا القرآن قصة فرعون الذي ظن نفسه رباً وحاكماً ، وتقلد هذا الحكم الأناني المطلق ، فيقول : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي. نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

[ القصص : ٤ ] .

ثم يصور القرآن في موضع آخر فرداً من أفراد هذه الطبقة يمثل الأنانية والأغراض ، ويملك لساناً سليطاً وبيانا ساحراً ، إنه ليس صورة فرد معين ، بل إنه تصوير سلوك خاص ونمط خاص من العقلية والتفكير والاتجاه :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ اللَّهُ الْخَصَّامُ ۚ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ۚ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ إِلَهُكُمُ اللَّهُ ۗ ﴾ [البقرة : ٢٠٤-٢٠٦] .

إن التاريخ الإنساني زاخر بهذه النماذج البشرية التي تمثل هذا الطراز وهذه العقلية ، مثلها في مختلف أدوار التاريخ كالروم والفرس ، وقد أنشأ فيهم هذا السكر : سكر القوة والحكم والشعور بالتفوق على غيرهم ، رغبة عنيفة في القتل والتدمير والإبادة ، وإذلال الكرامة الإنسانية تجلت في حروبهم ومعاركهم ، وفي عبادة القوة وقهر النفوس ، واضحة جليلة ، يقول الدكتور درابر ( Drapper ) في كتابه « الصراع بين الدين والعلم » ( Conflict Between: Religion and Science ) :

« لما بلغت الدولة الرومية في القوة الحربية والنفوذ السياسي أوجها ، ووصلت في الحضارة إلى أقصى الدرجات ، هبطت في فساد الأخلاق وفي الانحطاط في الدين والتهديب إلى أسفل الدرجات ، بطر الرومان معيشتهم وأخلدوا إلى الأرض واستهتروا استهتاراً ، وكان مبدؤهم أن الحياة إنما هي فرصة التمتع ، ينتقل فيها الإنسان من نعيم إلى ترف ، ومن لهو إلى لذة ، ولم يكن زهدهم وصومهم في بعض الأحيان إلا ليعث على شهوة الطعام ، ولم يكن اعتدالهم إلا ليطول به عمر اللذة ، وكانت موائدهم تزهو بأواني الذهب والفضة مرصعة بالجواهر ، ويحتفئ بهم خدام في ملابس جميلة خلابة ، وغادات رومية حسان ، وغوان عاريات كاسيات غير متعففات تدل دلالاً ، ويزيد في نعيمهم حمامات باذخة وميادين للهو واسعة ، ومصارع يتصارع فيها الأبطال مع الأبطال أو مع السباع ، ولا يزالون

يصارعون حتى يخسر الواحد منهم صريعاً يتشحط في دمه ، وقد أدرك هؤلاء الفاتحون الذين دوخوا العالم ، أنه إن كان هنالك شيء يستحق العبادة ، فهو القوة ، لأنه بها يقدر الإنسان أن ينال الثروة التي يجمعها أصحابها بعرق الجبين وكد اليمين ، وإذا غلب الإنسان في ساحة القتال بقوة ساعده ، فحينئذ يمكن له أن يصادر الأموال والأموال ، ويعين إيرادات الأقطاع ، وإن رأس الدولة الرومية هو رمز لهذه القوة القاهرة ، فكان نظام روما المدني يشف عن أبهة الملك ، ولكنه كان طلاء خداعاً كالذي نراه في حضارة اليونان في عهد انحطاطها<sup>(١)</sup> .

ثم قرأ غزو التتار الوحوش في القرن السادس الهجري في كتاب التاريخ<sup>(٢)</sup> ، إن الذين أحسوا في أول صدام بأنه ليس هنا في البلاد المجاورة قوة تمنع هذا السيل العرم ، وكانت مأساة إنسانية عامة ، لا تستطيع أن تقرأ تفاصيلها إلا بقلوب واجفة ، وعيون باكية ، إنها كانت فتنة عمياء سوداء ، أحاطت بالعالم الإسلامي كله ، وقوضت بنيان العالم المتمدن المعاصر وأركانه ، كان الجيل الإنساني كله في هذه الفترة المهية المروعة من الزمن في وحشة وغربة ، وهلع وفزع ويأس قاتل ظهرت آثاره لا في كتب التاريخ فحسب بل في كتب الشعر والأدب والأخلاق والتصوف أيضاً<sup>(٣)</sup> ، هذا الجراد المنتشر من الهمج لم يدمر البلاد العامرة المعمورة والمدن الزاهرة ، والأقاليم الخصبة الغنية المنتجة للرجال والنوابغ فحسب ، وجعلها خراباً يباباً وقاعاً صفصفاً ، بل إنه اكتسح الحضارة الإنسانية برمتها ، وتأخر تقدم العالم العلمي والمدني ومسيرته

---

(١) History of The Conflict Between Religion and Science. London 1927. p.p 13-2.

(٢) مثل البداية والنهاية لابن كثير .

(٣) اقرأ بعض تفاصيلها وأخبارها في كتاب العلامة أبي الحسن الندوي « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » ج ١ ، تحت عنوان « التتار محنة العالم الإسلامي » طبع دار ابن كثير ، دمشق .

الحضارية لعدة قرون ، وغشيت سماء العالم الإسلامي الذي حمل لواء الدين والأخلاق والعلم والحكمة في هذه الحقبة من الزمن ، سحب داكنة قاتمة من الانحطاط العلمي والإعياء الفكري والعقلي ، ونضبت فيه منابع النبوغ والذكاء ، وهاجرت أسر علمية دينية عريقة من إيران وتركستان - وهما كانتا محاضن العلوم الإسلامية ومعقلها إذ ذاك - تفر بدورها وحرمتها وتراثها إلى الهند التي كانت تقع في أقصى بلاد العالم الإسلامي ، وكانت تحكمها أسر ذات قوة وشكيمة تواجه العاصفة بالإعصار ، وتملك القدرة على مواجهة التتر الوحوش ودحرهم إلى الوراء ، وأصاب العالم الإسلامي نوع من العقم الفكري والجذب العلمي ؛ حتى سدت بعض الأوساط العلمية أبواب الاجتهاد ومنافذه ، وابتغت العافية في التقليد والنقل ، وتطبيق الفعل بالفعل<sup>(١)</sup> .

إن قيصر ، والإسكندر ، وجنكيز ، وهولاكو ، وتيمورلنك ، ونادر شاه أفشار ، لم يكونوا إلا مرضى هذا انداء العضال ، داء السكر بالقوة المادية ونشوة الحكم والتفوق بالعظمة ، وكانوا يقنصون الإنسانية ، ويصطادون النوع البشري ، ويدوخون الأسرة الإنسانية مرة بعد مرة ، بأستهم ورماحهم ، وبأقدامهم ونعالهم ، اقرأ تفاصيل ملاحمهم ، وصيدهم وقنصهم ، وعبثهم بالرؤوس والجماجم والأشلاء والأنفس والأرواح ، ثم تأمل - كيف قدم شاعر الإسلام محمد إقبال عصارة دراسات طويلة وآلاف من الصفحات في ثلاثة أبيات :

« انظر كيف مزق جنكيز وإسكندر رداء الإنسانية ، وهتك ستر الحشمة ولباس الكرامة ففضحا الإنسان مراراً وتكراراً .

إن تاريخ الأمم يشهد منذ الأزل أن سكر القوة ونشوة الحكم خطر في خطر ،

---

(١) وهذا هو سبب انصراف العلماء من الاجتهاد إلى التقليد بعد القرن الثامن عشر الهجري عند إقبال .

ومصيبة على مصيبة ، إنه سيل جارف يكتسح العقل والفكر والعلم والمعرفة والفن والصناعة كحشائش ونباتات حقيرة ، يجعلها هباءً منثوراً » .

قد يرى كثير من رجال الفكر في الشرق أن أوربة ( بمعسكريها الشرقي والغربي ) وأمريكا أصابتها هذه العقدة النفسية ، وصرعهما هذا الداء القديم ، إنهم اعتبروا نفوسهم أوصياء ( Guardians ) على الشعوب والأمم والحاكمين على مصائرهم ، وهم يَزِنُونَ كل شيء بميزان القوة أو الربح والخسارة ، ولا يرضون بقيادة صالحة آمنة في أي بقعة من بقاع العالم ، ويحاولون أن يجتثوها حالاً إذا نشأت ، بل يرى كثير من المفكرين والخبراء في الشرق أن القيادة الغربية هي المسؤولة عن ذلك التدهور الخلقي والفوضى الفكرية العامة في البلاد الآسيوية بوجه عام ، وفي البلاد الإسلامية بوجه خاص .

هذا المنطق النفعي المجرد عن الحق والنزاهة لا يسمح للقيادة الغربية أن تفكر في أي قضية بحياد تام ورغبة مخلصه في التوصل إلى كنه الأمر ، وإيجاد حلها العادل ، بل إنها تحالف - بالعكس - الظالم القوي في وجه المظلوم الضعيف الذي له الحق .

ولذلك خابت المؤسسات العالمية النافعة مثل جمعية الأمم المتحدة ومجلس الأمن في مقاصدها ، وصارت لا تمنع صداماً ولا تلم شعناً ولا تحقق أملاً ، ولا تقدر على إسعاف الإنسانية والأخذ بيدها خالصة مجردة من الأغراض المادية .

وقد زال بفقدان هذا العنصر الهام والعامل الأكبر ( الإخلاص والحياد ) تأثير معونات الغرب السخية في المشاريع العمرانية والغذائية في الشرق ، ولم تحقق كثيراً من مطالب الغرب ، ولم تكسب احترامه مقابل هذه المساعدات السخية والدعم القوي .

أما إذا اقترنت هذه القوة وامتزجت بغاية نبيلة سامية ، وصارت تحت توجيه قائد مصلح راشد ، فلا تتخبط كالفيل الهائج الذي أطلق من قيوده ، وتكون



مركباً ذلولاً لقائد عارف خبير لا راكباً ، تابعاً لا متبوعاً ، وسيلة لا غاية ،  
وتتحول إلى نعمة ورحمة بدلاً من عذاب ونقمة ، وحياة لا موت ، وأداة بناء  
لا معول هدم ، يستنجد بها في إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم ، وتحرير  
الإنسان من سلاسل العبودية ، ورد الحقوق إلى أصحابها ، والمياه إلى  
مجاريتها ، ورد اعتبار الإنسانية وكرامتها ومكانتها اللائقة في هذه الأرض ،  
هنالك يفتتح عهد سعيد ، ويبنى هذا العالم المنهار المتداعي من جديد .

يقول إقبال : « إذا تخلت السياسة عن الدين صارت سماً ناقعاً ، وإذا كانت  
في خدمته صارت ترياقاً واقياً » .

ويعتقد إقبال أن أروع نموذج وأجمل مثال لهذه القوة الممتزجة بالغايات  
النبيلة والمقاصد الصالحة ، هي الفتوح المباركة والمغامرات التي قام بها العرب  
الأولون الذين اعتنقوا الإسلام ، وحملوا رسالته ودعوته في الآفاق ،  
واستعمالهم للقوة التي آتاهم الله استعمالاً صحيحاً لائقاً ، والذي عبروا عنه على  
لسان سفيرهم بإخراج العباد من عبادة الناس إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق  
الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

إنه خاطب في الأبيات الرائعة الآتية الأمة العربية ، وشرح دورهم القيادي  
الرائع البناء في تاريخ الشعوب والأمم والحضارات والمدنيات ، وأشاد بهذه  
العقيدة والإيمان والدعوة والرسالة التي كانت مصدر هذا الانقلاب ، ومنبع هذا  
التحول العظيم في سير الإنسانية واتجاهها ، وحركتها ومصيرها ، وهي من غرر  
كلامه وعيون شعره باللغة الفارسية :

« اكتست صحراء العرب بفضل هذا النبي الأمي حلة أنيقة ، وأنبتت زهرة  
يانعة ، إن عاطفة الحرية نشأت في ظل هذا النبي بل ترعرعت ونمت في حجره ،  
وهكذا كان يوم هذا العالم المعاصر مديناً لأمره .

لقد وضع قلباً نابضاً خفاقاً في جسد الإنسان البارد ، وأزاح الستار عن طلعه  
الجميلة الوضاعة .

هزم كل طاغوت ، وحطم كل صنم ، وأورق به كل غصن يابس وأزهر  
وأثمر ، إنه روح معركة بدر وحنين ، وإنه مربى الصّدِّيق والفاروق والحسين .

أذان صلاة الحرب وجرس سورة الصافات غيض من فيضه ، جعل سيف  
صلاح الدين البتار ، ونظرة بايزيد النافذة مفتاح كنوز الدنيا والآخرة .

جرعة من كأسه أروت العقل والقلب والتقى بها روح الرومي بفكر الرازي .  
واجتمع بها العلم والحكمة والدين والشرع ، والإدارة والحكم مع قلوب  
أواهة مخبئة منية في الصدور .

إن جمال قصر الحمراء ، والتاج الذي نال خراج الملائكة وإعجاب  
القديسين هو نفحة من نفحاته ، ولمحة قصيرة من لمحاته ، وومضة من أنواره  
وبركاته .

ظاهره تلك التجليات والنفحات ، وباطنه در مكنون لم يطلع عليه  
العارفون ، ولم يصل إلى كنهه السالكون .

فلا ريب أنه يستحق ثناء الجميع وشكرهم وحمدهم ، لأنه أسبغ نعمة الإيمان  
على هذه الحفنة من التراب .

من المفارقات العجيبة في هذا الكون أن الأشخاص الذين أنشؤوا  
إمبراطوريات عظمى ، ودخلت بهم الأمم المستضعفة الذليلة المهانة في دور  
النهضة والرقي ، والعظمة والكمال ، والنجاح والازدهار ، كانوا متقشفين  
صابرين مغامرين ، زاهدين في الدنيا وزهرتها ، أغنياء عن التمتع والعيش  
الرغيد ، وكانت معيشتهم بسيطة ومرهقة ، ولكنهم نجحوا بفضل مغامراتهم  
وطموحهم ، وعلو همتهم ، وجهادهم واجتهادهم ، وصبرهم على المكاره في  
تأسيس تلك الحكومات التي ثبتت كالجبال الراسيات لقرون طويلة ، ولكن توفر  
وسائل الهناء والرخاء ، والبيئة الفاسدة ، ووجود طبقة من المتزلفين وهواة  
المناصب ، أثر في أخلافهم وأعقابهم بصورة تدريجية فشلت قواهم ، وأخلدوا

إلى الأرض ، وتمرغوا في النعيم والترف ، وصاروا أبناء مطاعم ومشارب ، وسهرات ومآرب ، وعز عليهم الحياة من غير كاس ومزمار ، وطنبور وعود ، وارتكز ذكاؤهم ونبوغهم وإبداعهم على نقطة واحدة ، ولم تكن بالطبع ، نقطة الفتوح وحراسة الحدود ، وتوطيد أركان الدولة ، إنما هي تصميمات أزياء ، وأقسام أطباق ، والتنافس في الطرب والمجون والاستمتاع بلذات الدنيا ومباهجها ، ووصلوا في ذلك إلى حدود لا يتطرق إليها خيال ابن من أبناء البلد ، وفرد من أفراد الشعب .

إنه مبدأ عام جرى به التاريخ الإنساني منذ القدم ، وأخذ به من غير استثناء ويبدو لنا أنها سنة من سنن الكون ، ونتيجة طبيعية منطقية للمال والثراء والمنصب والجاه ، وتوفر أسباب الراحة والرخاء ، وقد كشف القرآن عن وجه هذه الحقيقة بإيجازه المعلوم وبلاغته المعجزة فقال : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴾ [ العلق : ٦-٧ ] .

اقرأ تاريخ شعب من الشعوب في أي دور من أدوار التاريخ وحكومة من الحكومات التي قامت على وجه الأرض قديماً وحديثاً ، تر هذا التفاوت واضحاً بين الأول والآخر وبين الأوائل والأواخر في السير والأخلاق وأنماط الحياة ، وفي الأقدار والمقاييس .

ونكتفي هنا بمثالين ونموذجين من هذه الأمة التي سبقت قريناتها في حمل لواء التعاليم الخلقية في هذا العالم ، وهي أمة نبي جعل الفقر شعار فخره ، وربط الأحجار على بطنه ، والتي أقامت به من أول يومها على الزهد والقناعة ، ومراقبة النفس والعطف على الخلق ، فإن أمثلتها ونظائرها تكثر - طبعاً - في الفرس والروم ، ومصر واليونان ، وفي حكومات وحضارات أخرى .

والواضح المعلوم لدى الجميع أن العرب حين خرجوا من جزيرة العرب لنشر رسالة الإسلام في العالم ، وإجراء شريعة السماء في الأرض كانوا فقراء ، غرباء عن حواشي الحضارة ومستلزماتها ، وكانت حياتهم حياة شكيمة وفتوة ، وصبر

وجلاد ، وزهد وشظف<sup>(١)</sup> ، ولكنهم بفضل القوة الذاتية في الإسلام ، وبحياتهم البسيطة الزاهدة التي فقدتها سائر الشعوب في العالم ، نجحوا في إنشاء دول عظيمة مرهوبة الجانب ، من بينها الدولة العباسية التي حكمت باسم الخلافة خمسمئة سنة حكماً مستقلاً ذاتياً ، ودان لها نصف العالم المتمدن المعاصر على أقل تقدير ، ولقد كان مؤسسو هذه الدولة الأوائل مثل هارون الرشيد والمأمون ( مع مطامعهما الملوكية ومعيشتهما الفارهة وترفهما المعلوم ) من رجال الفتوة والمغامرة والإقدام ، متعودين على حياة الجندية والفروسية ، ولكن أصاب هذه الدولة أخيراً داء الترف والتنعم ، وأصبح ولاة أمورها الذين حملوا عبء الخلافة الإسلامية على أكتافهم مدة من الزمن ، عالة على نفوسهم وأهوائهم ، ينساقون معها ، ويدورون في فللكها ، وصاروا فريسة الحكم الطويل والمدنية الناعمة المترفة ، وتكدست عندهم أسباب الراحة والهناء ، وفاضت عاصمتها بغداد بسيل جارف من الغفلة عن الله ، والتهالك على الدنيا ، عبثت بكثير من رجال العلم والفضل ، وضرب حب الدنيا وحب ما فيها أطنابه على العاصمة ، وما جاورها من البلاد والأقاليم .

وظهرت نتيجة هذا الإغراق في الترف والتمرغ في النعيم والتهالك على حطام الدنيا ، والانصراف عن معالي الأمور في غارة التتر الوحشية في زمن الخليفة العباسي المعتصم بالله ، وتحولت عاصمة العلم والمدنية إلى مجزرة وحشية هائلة ينتكس عند ذكرها قلم المؤرخين<sup>(٢)</sup> .

وقد صور مؤرخ أوضاع بغداد قبل غارة التتر فأحسن وأجاد ، يقول المفتي قطب الدين النهروالي المكي ( وهو أحد المؤرخين والعلماء في القرن العاشر الهجري ) يصف ما كان عليه أهل العاصمة في هذه الفترة من الزمن :

---

(١) اقرأ للتفصيل رسالة « المد والجزر في تاريخ الإسلام » للعلامة أبي الحسن الندوي .

(٢) اقرأ للتفصيل « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » للعلامة أبي الحسن الندوي ، الجزء الأول ، باب « التتر محنة العالم الإسلامي » .

« مرفهون بلبين المهاد ، ساكنون على شط بغداد ، في ظل ثخين ، وماء معين ، وفاكهة وشراب ، واجتماع أحباب وأصحاب ، ما كابدوا حرباً ولا دافعوا طعناً ولا ضرباً »<sup>(١)</sup> .

ونقدم المثل الثاني من الدولة المغولية في الهند التي أسسها ظهير الدين بابر التيموري ( ١٤٨٢ - ١٥٣٠م ) على التوبة والإنابة وإرادة الإصلاح والتغيير والتضحية والفداء والعزم الصادق ، فلما رأى بابر أنه لا يملك غير عشرين ألف جندي مقابل مئة ألف مقاتل تحت راية « رانا سانجا » وأن لا أمل هناك ولا مدد سلك طريقاً جديداً للفتح ، يحكي المؤرخ الهندي الشهير محمد قاسم البيجاپوري في كتابه ( تاريخ فرشته ) :

« إن رانا سانجا » توجه إلى بابر يقود مئتي ألف مقاتل من أهل البلاد ، وساد الذعر في جيش بابر ، ومنعه قواد جيشه وأركان دولته عن الوقوع في الحرب معه ، وتكهن منجم البلاد محمد شريف بأن الهزيمة محتومة ، ولكن بابر صمم على القتال وقال : إذا ينبغي لنا أن نتهياً للشهادة في سبيل الله ، وحلف قادة الجيش ورجال البلاط بأنهم سيقاتلون إلى آخر رمق ، وارتفع هتاف الجهاد في كل جانب من جوانب الجيش ، وتاب الملك عن الخمر التي لم يكن يفارقها في وقت من الأوقات ، وتاب عن جميع المنكرات الشرعية ، وقاوم « رانا سانجا » بعشرين ألف مقاتل وانتصر عليه ، وكان ذلك في الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة ٩٣٣هـ .

ولكن تدرجت هذه الدولة الفتية التي قامت على مثل هذا العزم والحزم ، والتضحية والفداء ، وميثاق مع الله ، والتي تجملت وافتخرت بوجود عصاميين ونوابغ وعباقرة من بين أبنائها مثل « همايون » و « أكبر » و « أورنك زيب » إلى حماة الرذيلة والإسفاف ، والشهوة واتباع الهوى ، واتباع الرغبات وإتيان

---

(١) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام - ١٨٠ .

المنكرات ، تجلى أخيراً بصورة واضحة مؤسفة في حياة « محمد شاه »  
( ١٧١٩م - ١٧٤٨م ) وما جرى في قصره حتى سمي باسم معناه ( الماجن )  
واشتهر به .

وإليك ما جاء عنه في التاريخ مستنداً إلى شهادة علمية : « إن الملك محمد  
شاه لم يغير دينه ولكنه غير ديدنه ، فصار الغيم نقيبه ورائده ، إنه أمر بأن يؤذن  
بالرحيل كلما مرت سحابة على هملايا وأومض برق ، ويغادر الخليفة وركبه  
القصر إلى الصحراء .. ولذلك سمي المسكين في الأخير « رنكيلاً » يعني  
« الماجن » وهجره وزيره ( آصف جاه ) عندما رأى حالته ، فانصرف إلى جبال  
الدكن وغاباتها » .

وجاء في بيان الشيخ الكبير عبد العزيز الدهلوي ما يلقي الضوء على تلك  
الأوضاع الفاسدة :

« كانت النساء في بيت قمر الدين خان ( وزير محمد شاه ) يغتسلن الغسل  
الأخير بماء الورد ، وكان يرسل إلى بيت أحد أمرائه كمية من الورد والأزهار  
والبان ( التنبول ) يساوي ثمنها ثلاثمئة روبية كل يوم »<sup>(١)</sup> .

تأمل في غابر هذه الحكومات ومصيرها ، وماضي الأمم وحاضرها ، وما  
بينهما من تفاوت عظيم وبون شاسع ، ثم انظر كيف صور محمد إقبال هذا  
التاريخ الطويل العريض ، وأزاح الستار عن نهضة الأمم وتأخرها ، ورقبها  
وانحطاطها في بيت واحد : « تعال أنبتك عن مصير الأمم وعاقبتها ، سنان ورماح  
أولاً ، ولهو وغناء آخراً » .

ولكن هذا المقال لا يتم إلا إذا قلنا : إن هذه الأمم حين تدخل مرحلة اللهو  
والغناء والترف والمجون ، وتصيبها نوبة عصبية من التمتع بكل لون من ألوان  
التنعم ، والإحاطة بكل نعمة من نعم الدنيا ، وتتخطى سائر الحدود الخلقية ،

---

(١) تذكرة ص/١٧٢ .

والاعتبارات الإنسانية ، وتتجاهل كل حقيقة ، هنالك تتدخل الرحمة الإلهية وتتناولها بعملية جراحية ، ويختار لهذه الجراحة جنكيز وتيموراً ، أو هولوكو ، أو نادراً ، فيقطع هذا الناسور أو هذا السرطان من غير رحمة ولا هوادة ، إنه يقول :

« الملوكية تتحول بين يوم وليلة إلى جنون أو مجون ، وليس التيمور أو جنكيز إلا آلات جراحية تستعملها - في حينها - القدرة الإلهية » .

ولكن انتهى الآن دور الملوكية القديمة وحكومات شخصية مستبدة إلى حد كبير ، وجاء دور الديمقراطية والجمهورية ، تكدست قوى العالم وثوراتها في أيدي القيادة الغربية ( أمريكا وأوربة ) وهي تجتاز في هذا الوقت مرحلة الجنون والانتحار ، بعد أن وصلت إلى آخر نقطة من النهضة والرقي والازدهار ، وهي مرحلة مرت بها حكومات شخصية قديمة ، وحضارات بائدة في أوانها ، فلا ترى عندها الآن إلا معاداة الحقائق ، وإذلال الشعوب وهضم الحقوق ، وظلم المستعمرات والجاليات ، وحالة هستيرية عصبية من عبادة النفس ، وتقديس الشهوة ، وعبادة الهوى ، والإغراق في حياة اللهو والعبث والمجون ، والسامة من الحياة ، والشذوذ الخلقي والجنسي ، والتهالك على كل عاجل وطريف ، ورد فعل عنيف ضد الاجتماع ، والغرام بالذاتية والأنانية ، والذهول التام عن العاقبة والمصير ، وإنكار كل ما يتعدى إطار اللذة والمنفعة ، وكل ذلك يدل على أن هذه القيادة فقدت معنويتها ، وضرورتها وصلاحيتها للبقاء ، وأن هذه الحضارة دخلت دور الاحتضار .

إن تجربة التاريخ تدلنا على أن قيادة فتية شابة كانت تظهر على مسرح العالم في مثل هذه الظروف ، فتقوم بعملية جراحية على هذا السرطان وتنقذ الإنسان من الهلاك ، وتجري في عروقه الميته دماً فائراً جديداً ، ولكن الحضارة الغربية ما تركت على ظهر الأرض قيادة أو قوة ، ثم ليس هنا أمل في ظهور قيادة جديدة ، أو بروز حضارة شابة قوية في الميدان ، لأن القوى العالمية اليوم

متطفلة على مائدة الغرب وتعيش على هامشها وتتبع طريقها ، والحضارات المعاصرة بأسرها مستسلمة خاضعة أمامها ، لا تبغي بها بديلاً ، ولا تجد عنها محيصاً ، لذلك يبدو لنا أن هذه العملية الجراحية لا تتم على يد قوة أجنبية من الخارج ، وهي ليست في حاجة إليها لأنها - على ما يقول إقبال - مشخنة بجروحها الداخلية الغائرة .

إن الطريق الذي اختارته الحضارة الغربية والقوة الهائلة من التدمير والإبادة والقتل والفتك ، التي زودت بها أناساً لا يخافون الله ولا يستحيون من الناس ، أوشكت أن تقضي على نفسها ويأتي حتفها بيدها .

يقول إقبال :

« إن هذا الفكر الجريء الذي فضح قوى الطبيعة وأفسى أسرار الكون انقلب اليوم برقاً خاطفاً ورعداً قاصفاً ، يهدد عش الغرب ووكره ، وحصنه ومعقله » .

\*\*\*

## فكر محمد إقبال :

نورد هنا بعض الإيضاحات حول فكر وفلسفة محمد إقبال تتيح للقارئ إدراك مغزى قصائده .

### الذات الكونية :

الكون في نظر إقبال ، بكل أشكال وجوده ، ثم خلقه ، يتماسك بفعل روح أساسية شاملة لكل شيء . أو على الصحيح ينشأ منها كل شيء . وتسمى ( خودي ) أو ( شودي مع نطق CH على الطريقة الألمانية ) . وهي ما ترجمناه في هذا الديوان بـ ( EGO ) ( الذات بالعربية ) ، ومع ذلك فإن ( خودي ) تختلف عن المعنى اللاتيني لهذه الكلمة أو المعنى الذي أعطاه لها ( شوبنهاور ) مثلاً ،



كما تختلف عن الكلمة الفرنسية ( MOI ) التي تعارض ( TOI ) أو ( SOI ) وتقترب من كلمة ( SELF ) الإنكليزية ، وهي الكلمة التي ترجم بها إقبال نفسه هذا المفهوم .

### الحياة :

الذات بحركتها تبذع الحياة ، وتدافع عنها ضدَّ نقيضها الموت ، وهي في نزاعٍ دائمٍ مع الموت ، وتنتصر عليه على الدوام .

وإذا جاز لنا هذا التشبيه ، فالحياة مثل الجزيء في الطاقة الكهربائية ، توجد ما دامت تؤثر ، وهي تؤثر وتفعل بقوة الذات نفسها ، وضعف الذات يقلص في الحياة شكلها ومداها وقابليتها على الفعل والتأثير ، وعندئذ تضمحل الحياة وتنتهي بالموت .

قال إقبال ( في جناح جبريل ) :

- قوة الذات تحوّل حبة الخردل إلى جبل .
- خور الذات يحول الجبل إلى حبة خردل .

### الذات الفردية ، الأنا :

بفضل الزوجين تنهض الحياة من كلِّ جانب ، كأنها جيوشٌ جرّارة . وهكذا تتجزأ الذات ألف مرّة وألف مرّة ، وتدفع الأفراد إلى الظهور في مشاهدٍ كليّةٍ واسعة .

وعندئذ تصبح غاية الفرد البحث عن مجدِّ الذات المطلق ( الأنا ) ، وتأكيد هذه الأنا بالسمو درجةً بعد درجة ، ومرحلةً بعد مرحلةٍ إلى مستوياتها الرفيعة .

الذات : هي للكائن الفرد الشخصية والقدرة والكمال . وهي - في تطوُّرها وارتقائها - تضع المثل العليا ، وتحققها بجهودها .

## الجهد العنيف :

طبيعة الذات نفسها تدفعها إلى بلوغ الكمال إلى أقصى حدٍّ ممكن ، وإلى بذل الجهد العنيف .

قال إقبال ( في جناح جبريل ) :

يتجاوز الهلال كلَّ وجوهه وجهاً بعد وجه .

من يستطيع بلوغ الغاية القصوى دون جهدٍ كبير ؟

ولبلوغ الكمال لا يجوز لك أن تتجنَّب الصَّعاب ، بل يجب عليك أن تتغلب عليها .

قال إقبال ( في جناح جبريل ) :

غاية ثورة المؤمن .

أن تتجلى عليه ذاته .

والحقُّ أن موسيقا الكون الخالدة لا تقوم إلا على العقبات .

قال إقبال ( في رسالة المشرق ) :

لا تتجنب الأزمنا الصعبة .

من لم يتخطَّ العقبات لا قيمة له .

ألا تعرف أنَّ الموجة

لا تكون ممتعةً إلا عندما تلطم الصُّخور ؟

## الحب والجمال :

هذا الجهد الشاقُّ الذي يدفعك إلى تسلق مرتقى الوجود ، والذي يمثل

ظاهرة الذات ، هو الحب .

قال إقبال ( في جناح جبريل ) :

الحبُّ أن تبصر الذات ، الحبُّ أن تصون الذات .

وقال :

جوهر الحياة هو الحبُّ ، وجوهر الحبِّ هو الذات .

وهكذا فإن ما نبحت عنه هو الجمال . والذَّات الفردية ، وهي تتكامل بدافع من طبيعتها ، تنسجم مع الذوات الأخرى ، وتصل إلى مرتبةٍ عليا هي مرتبة الجمال .

الجمال موجود سلفاً ، ولكن نور الحبِّ يزيده غنىً بنوعٍ من حادثة الطنين ، يكاد يكون سحرياً .

قال إقبال ( في جناح جبريل ) :

بالحبِّ تزداد الوردة ، وشقائق النُّعمان روعةً وجمالاً .

في نظرة الشاعر ، ذي الصوت الذهبي ، شيء من السحر

في منظور إقبال أنَّ تقدُّم الذات الفردية يدلُّ على الوجهة التي ينمو فيها الجمال ، كما أنَّ تراجع الذات يدلُّ على الوجهة التي يزداد فيها القبح<sup>(١)</sup> .

قال إقبال :

كلُّ ما يبعث على سموِّ الذات جميل .

كل ما تدعو إليه الدناءة قبيح كربه .

الفن :

يُعرِّف إقبال الفن بهذه العبارات انطلاقاً من مفاهيمه عن الحبِّ والجمال .

قال في ( عصا موسى ) :

البحث عن الجمال هو الفن .

---

(١) وهذا ما يحدث في الفيزياء فالقصور الحراري مثلاً يدلُّ على الاتجاه نحو الفوضى ، وهذه الظاهرة يمكن أن تساعد على إدراك فكرة محمد إقبال حول هذه النقطة .

وقال في ( جناح جبريل ) :

الألوان ، الأجر ، الحجارة ، الكمان ، الكلمات ، الرنات ،

كلها يفتقها سرُّ الفنِّ على حساب جوهرنا .

والفن يقدِّم أدلته تمجيداً للذات ، والذَّات هي المعيار الوحيد للحكم على

قيمه .

الفنُّ يبعث الحياة في كلِّ من يقتربون منه ، ويفعمهم بالحماسة والنشاط ،

وفرح الحياة الذي يتجلَّى على وجوههم .

قال في ( عصا موسى ) :

إذا سمعت أغنيةً فلم تنر وجهك ،

فمعنى ذلك أنَّ المغني بارد القلب .

وقال في ( جناح جبريل ) :

الشاعر جريءٌ ، إنه يجمِّل الطبيعة .

وقال فيه :

يا شقيقة النعمان ! أيتها العروس ! ما لك تحتجيين عني ؟!

فأنا لست إلا نسمة الصباح .

والإبداع لا يفتر ، والخلق يطَّرد دون هوادة .

في كلِّ لحظة نسمع من يقول : لو كان هذا ، ولو كان ذاك ، ولكنَّ

الإنسان ، حين يكون فنَّاناً حقيقياً ، يسهم في عمل الخالق .

قال إقبال في ( رسالة المشرق ) :

أنت خلقت النهار ، وأنا صنعت المصباح .

أنت خلقت الطين ، وأنا صنعت الأقداح .

أنت خلقت الغابة والجبل والصحراء ،

وأنا صنعت الرواق ، والبستان والكرم .

أنت خلقت الحجر ، وأنا صنعت منه المرآة .  
أنت خلقت الشَّم ، وأنا استخرجت منه الترياق .

الفن الجميل الوحيد هو الفنُّ الذي يسمو بالروح ، ويلهم الشَّجاعة ،  
ويوحي بالأمل ، ويعلم العيش في شرف .

أما الفنُّ الذي يفسد الروح ، ويتلفها ، ويضعف الحماسة للعمل والحمية  
لاكتشاف أسرار الطبيعة ، الفنُّ الذي يضعف الذات ، ويجعلنا عبيداً للناس ،  
فليس إلا فناً شيطانياً ( كما ورد في عصا موسى وأسرار الذات ) ولنتذكر هذه  
الحكمة الهندية :

الحقُّ قوةٌ وجمالٌ<sup>(١)</sup> .

**نفي الذات :**

تجنح مجموعةٌ من الذوات الفردية بطبيعتها ، وهي تسعى نحو الرُّقيِّ  
والكمال إلى الذوبان في « أنا » جماعية ، وبذلك تخلق ذاتاً لمجموعة تزداد  
تطوراً وسعةً شيئاً بعد شيء . هذه اللاذات في المستوى الشخصي تُكوِّن الذات  
في المستوى الجماعي ، وليس في ذلك تخريب للذوات الفردية ، بل فيه  
ما يدعو إلى دعمها وانسجامها .

قال إقبال في ( أسرار نفي الذات ) :

نفي الذات هو غاية الذات الشخصية ، بل إنه دليل ارتقائها .

وقال في ( جناح جبريل ) :

ما أسعدني عندما يوهب لي ذوق الذات .

إنه يدفعني إلى الخروج من ذاتي .

ويمكننا إيضاح هذه الفكرة بقولنا : إن المجتمع الإنساني على النطاق

---

(١) ساتيام ، شيدام ، سندرام ، بالتوالي ، Satyam, chidam, Sandram .

العالمي سيتم إنجازه بالتعاون على قدم المساواة بين كل الأفراد في أوج ازدهارهم ، لا بسيطرة بعضهم على بعض .

### الإنسان الكامل :

نفي الذات يبني مجتمعاً لأناس كملة ، تتمتع ذواتهم بأقصى ما لها من بريق . الإنسان الكامل يعيش الحق في أقصى مداه ، والذات في أوج مجدها . عبر الحب تصبح الذات حياة ، ولأن الذات خالدة ، فالحياة وهي مظهر الذات خالدة كذلك ، ولأن الحب يدفع إلى رقي الحياة رقياً دائماً ، فهو خالد ، وخالد كذلك كل ما يُنجزه الحب .

قال إقبال في ( جناح جبريل ) :

يا مسجد قرطبة ! وجودك هو الحب .

الحب خالد ، وما من شيء آخر كامل .

الحب يفتح القلوب ، ويهب للعاشق الرقة ، والوجد ، ولحن الصرخة في منتصف الليل ، ودموع الصباح ، واستقلال مثل هذا العاشق يجد نبعه في نظام تتبعه الذات الشخصية في طاعتها للذات الكونية .

وهكذا يتكوّن الإنسان الكامل الذي هو سيّد الكائنات في الأرض وفي السماء ، والذي يقنع بالقليل ، أي بالفقر ، « الإنسان المتجرّد » الذي تحرّر من كل ما في العالم من مغريات ، لأنه ، حين يسيطر على كل شيء ، ليس محروماً أي شيء ، وهكذا يتجرّد . إنّ هذا الوحي الربّاني هو الفقر .

قال في ( جناح جبريل ) :

خير أنواع الزهد ليس في هجر الطين والماء .

خير أنواع الزهد في غزو كل زاوية في الأرض والسماء .

ويطلق إقبال على إنسانه الكامل على حسب ما طرأ عليه من تحولات ، وما

قطع من مراحل الكمال لقب « الإنسان الحر » « الإنسان الجسور » « القلندر »  
« الإنسان المتجرد » « الدرويش » إلى غير ذلك من الألقاب .

هذا الإنسان الكامل هو روح الإنسانية المشخصة . وهو في نظر إقبال في  
سموه ، وفي رشاقتة المثل الأعلى للإنسان المتوازن خير توازن يمكن أن  
نتصوره :

وترجو أن تسمحوا لنا بالاستشهاد بقصيدتين من ديوانه ( عصا موسى ) :

## المؤمن

### ( في هذا العالم )

ناعمٌ كالحرير في حلقة الأصدقاء .  
صلبٌ كالحديد في معركة الحقِّ والباطل ، هذا هو المؤمن .  
ينازع السماء ، كأنه نذُّ لها .  
يحترق الأرض ، وهو من الأرض ، هذا هو المؤمن .  
لا تجتذب السُّماني والحمام بصره .  
بل يقتنص جبرائيل وإسرافيل ، ذلك هو المؤمن .

### ( في الجنة )

تقول الملائكة : « ما أشد فتنة المؤمن ! »  
وتشتكي الحور : « ما أشد بُعد المؤمن ! »

والقصيدة الثانية

## الإنسان المسلم

- يبدو المؤمن كلَّ لحظة في نهارٍ جديد .
- يتجلى الله في أقواله وأفعاله .
- السلطان ، والرِّفق ، والصفاء والقدرة الكلية :
- هذه العناصر الأربعة ضرورية لبناء المسلم .
- إنَّه جار جبريل كما هو إنسان الأرض .
- لا يرتبط ببخارى ولا بيدخشان .
- ما من أحدٍ يعرف هذا السر : المؤمن .
- الذي يبدو أنه قارئ ( القرآن ) وهو القرآن حقاً !
- نواياه على مقياس مصائر الطبيعة .
- إنَّه الميزان في هذا العالم ، إنَّه القسطاس في يوم الحساب .
- إنَّه الندى الذي ينعش قلب شقائق النعمان .
- إنَّه الشئ الذي يرعش قلب الأزهار .
- أيامه ولياليه تعزف لحن الطبيعة الخالد ،
- لحناً مثل سورة ( الرحمن ) في القرآن ليس لموسيقاها نظير .
- في معمل فكريٍّ تُصنع النجوم .
- وأنت يا هذا ! اعرف نجم قدرك .
- وانظر كذلك قصيدة ( مسجد قرطبة ) في جناح جبريل .

### الإسلام :

المثال أكثر بلاغة من المفهوم : ولد إقبال ونشأ وعاش في مجتمع إسلامي ، وكان من الطبيعي أن يبحث عن عناصر تفكيره في تاريخ هذا المجتمع .

وبدا لإقبال أن خير نموذج يقترحه ، وأنَّ خير نظام اجتماعيٍّ هو أكثر



النظم قريباً من أحلامه ، إنما هو الإسلام في نقائه الأصيل .

ومنذئذ جعل يشرح طوال حياته هذا النظام حسب حاجاته ، واستخلص منه رموزاً شعرية ، ومجازات وإشارات ، نجدها ماثورة في كل ما كتب ، ونظم .

والحقُّ أنَّ إقبالاً وحَّد بين الذات الكونية وبين الله ، كما فهم الإسلام وكما فعل ( تيكهارد دو شاردان ) تقريباً وهو الناشئ في محيطٍ مسيحي ، حين وحد بين ( المسيح الكوني ) - كما ورد في الإيمان - وبين نقطة ( أوميغا ) أي بين البداية والنهاية في العلم .

وهذه النقطة جرى تعريفها على أنها النهاية القصوى ( Noo- genése ) التي تتعلَّق بالوجود كله ، والتي ليست خالية من بعض أوجه التشابه مع مفهوم الذات الكونية .

ويرى إقبال في شخصية الرسول ﷺ الإنسان الكامل ، كما يجد المجتمع المثالي في صحابته ، مثل أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعليّ ، وأبي ذر ، وسلمان الفارسي ، وأويس القرني ، وخالد بن الوليد . . . إلخ ، رضي الله عنهم أجمعين .

ولقد عاشوا جميعاً حياةً نموذجيةً ، ووضعوا حبَّ رسولهم ، وطريقة سلوكهم الذي علّمهم إياه فوق كل شيء : ألا وهو الذات الفردية التي بلغت حدَّ الكمال ، والتي ذابت في الذات الجماعية ، دون أن تتخلى عن قيمتها الشخصية .

ويقارن إقبال بين إنسانه الكامل وبين المفهوم القرآني للإنسان ( خليفة الله في أرضه ) ويرى أنَّ كون الإنسان خليفة الله في الأرض أرقى درجات الرقي الإنساني . ( أسرار الذات ) .

والنبيُّ ﷺ وإنَّه ﴿ لَعَلَّ خُلُقِي عَظِيمٌ ﴾ كما ورد في القرآن الكريم ، هو أفضل مثل على هذا الخليفة .

ويستطيع كل مؤمنٍ باتباع القرآن الكريم أن يصل إلى هذه المرتبة ، ويتبني إقبال فضائل الرسول ﷺ ليزين بها نمودجه في ( الإنسان الكامل ) .

وهناك ما هو أكثر من ذلك ، فإقبال يشبه الرسول أحياناً بالله نفسه ، وينسب إليه الصفات الإلهية مثل ( الرحمن ) وفي هذا التشبيه ما يشير إلى فكرة إقبال من أن العبد يسلك سلوك السيد ، وما يشير إلى العناصر الأربعة التي تصنع المسلم في اشتراكها معاً .

ثم إنَّ إقبالاً تصوّر هذا المفهوم الوارد سلفاً في جناح جبريل :  
الذات ..

إنها البحر الذي تحويه قطرة ماء .  
ويقرن هذه القطرة من الماء بالبحر المبدع .

### إقبال المتمرد :

الثورة والتمرد يحتلّان مركز تفكير إقبال .  
يهاجم المحترفين ، وإذا جاز لنا القول : يهاجم محترفي رسالة الدين .  
قال في ( جناح جبريل ) :

ما أجدر أصحاب المناصب العالية في الكنيسة وفي الإسلام بالثناء !  
حصاد جهودهم ظلمة قلوبهم !

وقال في ( جناح جبريل ) أيضاً :

هل في مسجدك غير المواعظ ؟  
كل أحكامك حق ، ولكن المفسرين  
يستطيعون ، وهم يفسرونها ، أن يجعلوا من القرآن ( بازند ) المجوس .

وقال :

البحث عن المعاني الكاملة في مذهب من المذاهب

يعني تدميره في بساطة .  
ويشكو إقبال نظام التربية التي يتلقاها الشباب .

قال في ( جناح جبريل ) :

أشكو إليك يا رب ! هؤلاء الأرباب : أساتذة المدارس :  
إنهم يعلمون الشواهين الصغيرة العبت بالغبار .

وقال أيضاً في ( جناح جبريل ) :

يبنى معلم المدرسة صرحاً ،  
صناعته روح الإنسان .

من أجله قال الفيلسوف ( كاغاني ) كلمة سحرتني :

« لا تبين جداراً أمام الشمس

إذا أردت نوراً في باحة دارك » .

وقال في ( جناح جبريل ) :

تركت المدرسة والدير ، وأنا جدُّ حزين ،

فليس فيهما حياة ، ولا حبٌّ ، ولا معرفةٌ ، ولا بصيرةٌ !

ولذلك حمل إقبال على الرُّهد الساكن البليد في اللاهوتي والصُّوفي :

قال في ( جناح جبريل ) :

خير أنواع الرُّهد ليس في البعد عن عالم الماء والطين !

خير أنواع الرُّهد في إخضاع هذا المخلوق من الطين ، هذا المخلوق من

النور .

وورد في ( أسرار الذات ) :

الحقُّ يقوم على تأكيد الذات أكثر من نكران الذات .

وهناك نصان جديران بالذكر أثارا عاصفة من الاحتجاج عند المسلمين

(الأصوليين) وهما قصيدتان مثيرتان ، هما : ( شكوى إلى الله ) و( جواب الشكوى ) كتبهما إقبال حوالي عام ١٩١٥ م . وفي هاتين القصيدتين يهاجم إقبال الله عزَّ وجلَّ هجوماً عنيفاً ، على ما يتصور أنه موقف متباين تجاه الناس . كما يحارب إقبال فكرة القدر الذي لا مفرَّ منه .

يقول في ( جناح جبريل ) :

كيف يستطيع هذا النجم أن يدلّني على مصيري ،  
والنجم نفسه مهينٌ منبوذٌ في رحاب الفضاء ؟

وقال أيضاً في ( جناح جبريل ) :

لماذا تخضع إلى قدر العناية الإلهية ؟  
لماذا لا تصوغ أنت بنفسك قدرك ؟

وقال :

هذا الذي يقول الحمقى : إنه أسير القدر ،  
ما يزال يملك القدرة على تحطيم القدر .

والصحيح ما قاله في ( رسالة المشرق ) :

أن تعيش لحظة واحدة وأنت أسد  
خير لك أن تعيش نعجةً إلى الأبد .

وفي إطار هذه النزعة رسم إقبال صورة إبليس ، ويذكرنا هذا الشيطان في بعض ملامحه بـ ( بروموثيوس ) سارق النار :

لقد تزوّد إبليس بتلك الشجاعة النموذجية التي تثير العواصف في  
الجداول ، والأنهار ، والبحار ؛ بينما يظلُّ رسل الإله ، مثل الخضر ، وإلياس  
لا يعملون شيئاً كما ورد في ( جناح جبريل ) .

إنَّ شجاعة إبليس هي التي منحت قدرة الطين ( أي : الإنسان ) النزعة إلى  
النماء والارتقاء . كما ورد في هذا الديوان .

وإبليس يقيس نفسه بالإنسان : أيمن أن يصبح نذير يتنازعان ؟ أيمن أن يكونا حليفين يتعاونان . وأسفاه! ما أسهل هزيمة الإنسان ! وعندما يخيب أمل إبليس يحتجُّ هذا الاحتجاج أمام الله :

قال إقبال في رسالة الخلود ( جاويد نامه ) :

ما ابن آدم ؟ حفنة من الهشيم !  
تكفي شرارةً واحدةً مني للقضاء على هذه الحفنة من الهشيم .  
إن لم يكن في هذا العالم غير الهشيم ؛  
فلماذا وهبت لي كلُّ هذا المقدار من النار ؟  
كسر المرمر شرف لي ،  
أما كسر الزجاج فعارٌ عليّ .

### فلسفة إقبال :

فلسفة إقبال في الذات ونفي الذات فلسفةً فرديةً ، وفلسفةً اجتماعية في آن واحد، ولها تطبيقاتها في النواحي الثقافية ( كالناحية اللغوية مثلاً ) والاقتصادية، بل والسياسية .

انتشر في زماننا مفهوم التقارب والتضامن ، وتقدّمت الفكرة القائلة بأن في إمكان مجموعات كبرى من الناس أن تتوحد ، وأن تصون أصالة بعض الوحدات الصغيرة المتجمعة ، وازدادت الدّعوة إلى صيانة قيمها الذاتية .

ونحن نجد في الميدان الثقافي مثلاً أن رسل « الزنجية » يرون فيها إضافةً إلى إنسانية ذات أبعادٍ كونية . ونجد في الميدان السياسي أنّ أوربة تسعى إلى الوحدة دون أن تتخلى عن هوية أقطارها . ثم أليست عصبه الأمم ، والأمم المتحدة بمؤسستها GUS, ONU محاولة للتقارب والتعاون بين الشعوب لتحقيق وحدة الجنس البشري ، هذه الوحدة التي يتطلع إليها إقبال .

وعزيمة الشاعر وأهدافه ذات أبعادٍ عالمية .

قال في ( رسالة الخلود ) :

الإنسانية هي احترام الإنسان ،  
إذاً فيجب الاعتراف بدرجة الرفيعة .

ثم إن تفسير إقبال للإسلام نجد فيه غالباً رنةً عالميةً ، تؤثر في قرائه من غير المسلمين .

ونحن إذا تناولنا مذهب إقبال حسب مفاهيمه الفلسفية الشخصية ، بدا لنا أنه عمد إلى قلب كثير من معاني الألفاظ المدرسية القديمة ، وأتخذ منها رموزاً جديدة .

ولنضرب مثلاً على ذلك كلمة ( خودي ) التي كانت مرادفة للانطواء على الذات ، والتي أعطاها معنى ( احترام الذات ) وكلمة ( الفقر ) التي تعني عادة التقدير والحرمان ، فاستعملها للدلالة على ( السيطرة الأخلاقية ) .

إذاً فعلينا أن نفهم هذه الرموز في معناه العريض :

المؤمن ، والمسلم يعينان : الإنسان المثالي .

الكعبة ، والحرم ، والمعبد تعني : الهدف .

السجود يعني : الجهد العنيف .

الصلاة تعني : الرغبة المحرقة .

الأذان يعني : الدعوة إلى العمل والجهد

وهكذا دواليك .

وإذا كان من الممكن أن يبدو إقبال ( هرطيقياً ) في عيون بعض المسلمين ، فإن مده تجاوز حدود العالم الإسلامي ، فقد قام بدراسته في ( لاهور ) و ( كمبردج ) و ( هايدلبرغ ) و ( ميونيخ ) . ولم ينقطع قط عن إذكاء طيب شعره بمواد كثيرة متنوعة . جاء بعض هذه المواد من تبحره في التاريخ ، والفلسفة ، والحقوق ، واللاهوت ، وجاء بعضها من ملاحظاته : من حرية

الشعوب واضطهادها ، وألمه وهو يقظان ، وحلمه بالمجد وهو نائم ، من فورة الأفكار الجديدة ومن ألعاب السياسة ، ومن الحروب المدمرة ، ومن المساومات و( المناورات ) في زمن السلم ، ومن المجابهة بين الشرق والغرب .

لقد أصبح إقبال شاعر الشرق في نهضته ويقظته بهذه الأشعار الحازة المغامرة الجريئة ؛ علمنا الإيمان بمستقبلٍ مشرقٍ علينا أن نبده بأنفسنا ، واستهوت الشباب أجوبته الواقعية الحية على أغاز الوجود ، وألهمت عدداً لا يحصى من القراء ، بل إنها ما تزال تفتن الناس حتى الآن ، وسوف تستمر في فنتتها وسحرها إلى أمدٍ بعيد .

ذلك أن إقبالاً ظلَّ طوال حياته روحاً متفتحة ، جعلت آلام الناس جميعاً آلامها الذاتية ، وأحيت في الكائن الإنسانيّ عنصر الإنسان المبدع الذي يتعاون مع الله ومع الطبيعة .

قال في ( جناح جبريل ) :

رغم أن الطبيعة لا ينقصها الذوق ،  
فاصنع أنت ما لم تستطع الطبيعة صنعه .

وقال في ( أجراس سفر القافلة ) :

ماذا يلزم الإنسان : طبعٌ رفيعٌ ، وظماً إلى الصفاء ،  
قلبٌ حازٌ ، عينٌ نقيّةٌ ، روحٌ قلقة<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

---

(١) ديوان « جناح جبريل » ترجمة الأستاذ عبد المعين ملوحي ، ص ١٧ - ٣٥ .

## فلسفة محمد إقبال

لا بد من كلمة موجزة في فلسفة محمد إقبال تعين القارئ على إدراك مرامي الشاعر .

أساس فلسفة إقبال ما سماه « خودي » ( الذات أو الذاتية ) .

وقد بين مذهبه هذا في كثير من شعره وخص به منظومة سماها أسرار خودي .

وخلاصة هذه الفلسفة ، وما بنى عليها ، وما يتصل بها من آراء :

( أ ) أن الذاتية جوهر الكون وأساس نظامه ، وسر الحياة فيه .

( ب ) وأن الذاتية هذه تحيا من تخليق المقاصد ، وتوليد الآمال .

كما يقول إقبال : « نحن أحياء بتخليق المقاصد ونحن منيرون من شعاع الأمل » .

( ج ) وأن الذات تقوى بعشق ما تؤمل ، وسعيها إليه غير متوانية وإقدامها عليه غير هيابة واقتحامها كل عقبة في سبيله كما قال :

« وهي بالمحبة أقوى ، وأحيا وأضوأ » .

( د ) والجهد الدائم ، والكفاح المتصل تقوى به الحياة وتزداد وتنير . والأحجام ، والتردد والسكون إلى الدعة والخضوع تضعف الحياة وتطفئها .

( هـ ) وعلى الإنسان أن يستخرج كل ما في فطرته من مواهب ، وأن يعتمد على نفسه ، ويظهر ذاته في قوله وفعله ، ويحذر التقليد والاعتماد على غيره ، وطلب ما عند الناس والغفلة عما في نفسه من كنوز .

( و ) بهذا كله تقوى الذات ، وقوة الذات هي مقصد هذه الحياة . والشاعر



معجب بالقوة في كل شيء ، القوة الحسية ، والقوة المعنوية . وهو بهذا يعجب  
بالفيلسوف الألماني نيتشه ويذكره كثيراً ولكنه يأخذ عليه أنه عرف العقل  
لا القلب ، والجسم لا الروح ، والعلم لا العشق ويقول عنه لم يكن أهلاً لنكتة  
التوحيد ، وأنه آمن عقله وكفر قلبه ، وأنه بنى على أسس مسجد .

بل القوة عند إقبال من عناصر الجمال ، فإن الجمال لا يكون بغير جلال .

يقول في القطعة التي عنوانها : الجلال والجمال :

عندي جمال في بهاء أن تُرى في سجدة للقوة الأفلاك  
ولنغمة من دون نار نفخة ما الحسن إلا بالجلال يُحاك

بل يقول في هذه القطعة إنه لا يحب أن يعذب بنار غير قوية :

لا أرتضي نار الجزاء ولم تكن وهاجة ولهيها دراك

( ز ) والحسن والقبح أو الخير والشر من علو الذات وانحطاطها وقوتها

وضعفا :

عالم الذات به علو وسفل وبه معركُ بُح وجمال  
في اعتلاء الذات ما يبدو جميل وقبيحُ ما بدا في الاستفال

( ح ) والذات المفردة القوية الناضجة تنسلك في الجماعة ، ولا تفنى

فيها . وقد بين إقبال في ديوانه أسرار خودي كيف يلتئم الواحد القوي في جماعته

وكيف يسعد بهذا الالتئام ويبقى ولا يفنى . ومن إشارات في هذا :

يا من في القافلة سِرُ رفيقاً وكن وحيداً

ويقول في ضرب كليم في القطعة التي عنوانها الرجل العظيم :

هو في المجمع خال ومن الحشد طليق

مثل شمع الحفل ، في الحفل وحيد ورفيق

## الحضارة الحديثة

ويروي إقبال أن الحضارة الأوربية مادية ، لا روح لها ولا قلب ، ويشتد في نقدها ، ويذكر فلاسفتها فيقبل من آرائهم قليلاً ويردّ كثيراً ، ويرى أن في الإسلام وحضارته سعادة البشر والتأليف بينهم ، وجمعهم على شرعة الحق أخوة متحابين متعاونين .

## فلسفته في هذا الديوان

تتجلى فلسفة إقبال في الذات وما يتصل بها ونظره إلى الحضارتين الإسلامية والأوربية ، وسائر آرائه ، في كل فصول هذا الديوان ، حتى الأدب والفنون الجميلة .

الشعر فيه من الحياة رسالة      أبدية لا تقبل التبديلا  
إن كان من جبريل فيه نغمة      أو كان فيه صور إسرافيل  
صمت طير الصبح أولى من غناء      إن سرى في الرّوض باللحن ذبولا  
والغناء إن أدى إلى ضعف أو خور فهو حرام :

إن سرت في اللحون دعوة موت      حرّم الناي عندنا والربابُ  
( ط ) والإنسان أعظم الكائنات ، وكل شيء في العالم مسخر له كما في القرآن الكريم :

﴿ وَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [ الإسراء : ٧٠ ] .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾ [ الجاثية : ١٣ ] .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٦﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ

وَالنَّهَارِ ۚ وَءَاتَكُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴿٣٢﴾ [إبراهيم :  
٣٢-٣٤] .

(ي) والإنسان حرّ غير مجبر ، ومختير غير مسير . عزمه دليل على القضاء أو مشير عليه . والمؤمن الحر هو مقياس الصلاح والفساد ، والبقاء والفناء في هذه الدنيا بل في الدنيا والآخرة .

فيه عزم على القضاء مُشير وهو في العالمين كالميزان النبات والجماد في قهر الطبيعة ، ولكن المؤمن الحر لا يقيدته إلا إطاعته أحكام ربه :

إن النبات وإن الجامدات لها من القضاء قيود ذات إحكام  
والمؤمن الحر لا شيء يقيدته لكن لخالفه في قيد أحكام  
والمصور ينبغي أن يصور الحياة وأن يطبع ذاته على الطبيعة لا أن يحاكيها :  
مقصد الفن في الحياة لهيب أبدي فما وميض الشرار ؟  
يا خبيراً بفسنه فيه تمت صنعة العصر والمصور الخوالي  
كم ترى من طبيعة وتربها ؛ أرنا الذات فوق هذي المجالي

\*\*\*

## تفسير اصطلاحات في الديوان

### « الفقر »

يشيد إقبال بالفقر في مواضع كثيرة من شعره في هذا الديوان وفي غيره ،  
ويعدّه مفتاح كل خير والوسيلة إلى كل سُودد ، والمقتحم كل عقبة .

ومن الأبيات التي ذكر فيها الفقر في هذا الديوان :

في القطعة : « على ذكر الإذن بحمل السيف » :

أيها المسلم تَدري اليوم ما      قيمة الفولاذ والعَضْبِ الذَّكَرِ  
هو مِصْرَاعٌ من البيت الذي      مضمَّرٌ فيه من التوحيد سر  
وأرى مِصْرَاعَهُ الثَّانِي فِي      سيف فقر تحتويه كفُّ حر

وقوله في القطعة « الفقر والملكية » :

الفقر يمضي بلا سلاح      في حومة الحرب كالرجوم  
وقوله في قطعة « السلطان » :

تعلم فألف مقام وشأن      لفقر بدا فيه روح القرآن  
وقوله في قطعة « الإمامة » :

يُمرّ عليك من فقر مَسْنَأً      فيطبع منك سيفاً للمنايا  
وقوله في القطعة « نكتة التوحيد » :

أَيُّ ملك مقام فقر ، ولكن      تؤثر الذل مدعناً ما احتيالي  
وقوله في القطعة التي أولها : متاعك في الحياة فنون علم .

وما إن ذل قوم قد أعدّوا      حماس العشق والفقر الغيور  
ويتبين من التأمل في هذه الأبيات أن الفقر في لغة إقبال ليس عدم المال أو

قلته ، ولا هو حاجة إلى ما يعيش به الإنسان ويعتز به من متاع الدنيا . فماذا يعني إقبال حين يذكر الفقر ويشيد به ويبالغ في إكباره ؟ الذي أدركته من كلام الشاعر أن الفقر الذي يعنيه هو خلاص النفس من قيد التملك أو الطمع ، ومضيتها عاملة مقدمة لا يطغيها وجدان ولا يذلها حرمان . وربما يملك الفقير قناطير من الذهب وربما يكون ملكاً مسلطاً لا يُعجز سلطانه مال أو متاع .

وليس هذا المعنى بعيداً عما فسّر به بعض الصوفية الفقر .

ففي رسالة القشيري :

سئل يحيى بن معاذ عن الفقر ، فقال :

« حقيقته ألا يستغني إلا بالله » .

وقال الشبلي :

« أدنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها في يوم ثم خطر

له أن لو أمسك منها قوت يوم ما صدّق في فقره » .

وفي الرسالة أيضاً :

« وقيل صحة الفقر ألا يستغني الفقير في فقره بشيء إلا بمن إليه فقره » .

وفي كتاب عوارف المعارف للسهروردي :

« وقال الكتاني : إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح الغنى بالله تعالى ؛

لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر » .

فترى أن الفقر في هذا الكلام ليس عدم الملك وفوات المال ؛ ولكن ألا

يرتبط الإنسان بما أدرك أو بما فات ، أعني ألا تكون الدنيا في قلبه وإن كانت في

يده .

## قلندر

يعني به إقبال الإنسان الذي لا يصل نفسه بمال ولا أهل ولا دار .  
وهو في الأصل اسم رجل ذهب هذا المذهب وأحدث طريقة كان سالكوها  
يديمون السفر لا يلبثون في مكان ، ولا يقيدهم ملك ولا أهل ولا وطن ويحلقون  
رؤوسهم ولحاهم .

وسمى سالك هذه الطريقة قلندراً باسم صاحب الطريقة .  
وقد رأيت أن أبقِي اللفظ في الترجمة لأنه علم في الأصل ، وجعلته أحياناً  
وصفاً وأحياناً نسبت إليه فقلت : القلندر والقلندري .

## الجنون

يكرر الشاعر ذكر الجنون في الديوان ، ففي القطعة التي أولها :  
إلى عصابات العرب ما أنا مُتِّمٌ      ولا أنا هندي ولا أنا أعجمي  
يقول :  
فلمست أرى في بيدك اليوم جنةً      تشبّ بهذا العقل نار التقدّم  
وفي القطعة التي أولها :  
متاعك في الحياة فنون علم :  
يقول :

ومزّقْتُ الجيوبَ وأنت خال      جنوني - لا ألومك - في قُصور  
وفي القطعة ، « يا شيخ الحرم » :  
في جنوني لك أسرار بدت      فاجزني يا شيخُ عن هذا اللمم  
وفي القطعة التي عنوانها « المدرسة » :

أبعدَ الدرس عن حماك جنونا      قال للعقل : لا تُلذُّ بنقاش  
وفي القطعة « فلسفة » :

إن في حلقة المجانين عقلاً      في شرار يسرى لهيباً مُضيّاً  
وظاهر أن إقبالاً يعني بهذا الجنون الحماسَ والإقدامَ وأداء الواجب دون  
تردد ، وفي غير حساب للمشقة والربح والخسارة ، فهو قريب من العشق الذي  
يذكر في مقابلة العقل .

وكانه يقول : إن هذا الإقدام يَعُدُّه الناس جنوناً ، ونحن نحب هذا  
الجنون<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

---

(١) من أراد أن يستزيد من الاطلاع على سيرة وحياة الشاعر العظيم محمد إقبال ، فليقرأ  
« محمد إقبال سيرته وفلسفته » للدكتور عبد الوهاب عزام ، و « روائع إقبال » للعلامة  
أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، و « إقبال الشاعر الثائر » للأستاذ نجيب الكيلاني ،  
و « محمد إقبال الشاعر المفكر الفيلسوف » للمؤلف .

الدِّيوانُ الأوَّلُ

صَلَاةُ الْجَرَسِ  
بَانْكَادِرَا

نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ نَثْرًا

ثُمَّ صَاغَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ شِعْرًا

أَشِيخُ صَاوِي شَعْلَانَ الْمِصْرِيِّ





يُعتبر هذا الديوان من أول دواوين محمد إقبال الشعرية باللغة الأردوية ، وهو من أكثر دواوينه رواجاً ، حتّى فيه الشاعرُ المسلمونَ على التضحية والعمل ، كي يستعيدوا منزلتهم من المجد والرفعة ، يحتوي هذا الديوان على أروع الأناشيد الإسلاميّة ، وأعظم قصائد الرثاء .

ومن أشهر الأناشيد الإسلامية فيه « النشيد الإسلامي » والقصائد « الشكوى وجواب الشكوى » وقد وَصَفَ الشاعرُ في « الشكوى » مصائب المسلمين ، وفي « جواب الشكوى » آمالهم ، لا يوجد لهذه القصيدة نظير في القصائد الإسلاميّة في القوّة والانسجام ، نُقدّم هنا نشيداً وقصيدة مترجمة بالعربية شعراً ، هما من أشهر أناشيد وقصائد هذا الديوان .



## النشيد الإسلامي

الصَّيْرُ لَنَا وَالْعُرْبُ لَنَا  
 أَضْحَى الْإِسْلَامُ لَنَا دِيناً  
 تَوَحَّيْدُ اللَّهِ لَنَا نُورُ  
 الْكَوْنِ يَزُولُ وَلَا تُمْحَى  
 بُنِيَتْ فِي الْأَرْضِ مَعَابِدُهَا  
 هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ نَحْفَظُهُ  
 فِي ظِلِّ السَّيْفِ تَرَبَّيْنَا  
 عِلْمُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْأَيَّامِ  
 بِهِ لَالِ النَّصْرِ يُضِيءُ لَنَا  
 وَأَذَانَ الْمُسْلِمِ كَانَ لَهُ  
 قَوْلُوا لِسَمَاءِ الْكَوْنِ لَقَدْ  
 يَا دَهْرُ لَقَدْ جَرَّبْتَ عَلَى  
 طُوفَانِ الْبَاطِلِ لِمَ يُغْرِقُ  
 يَا ظِلَّ حِدَائِقِ أَنْدَلَسِ  
 وَعَلَى أَغْصَانِكَ أَوْكَارُ  
 يَا دَجَلَةَ هَلْ سَجَلْتَ عَلَى  
 أَمْوَاجِكَ تَرْوِي لِلدُّنْيَا  
 يَا أَرْضَ النُّورِ مِنَ الْحَرَمَيْنِ  
 رَوْضُ الْإِسْلَامِ وَدَوْحَتُهُ  
 وَمُحَمَّدٌ كَانَ أَمِيرَ الرَّكَّةِ

وَالْهِنْدُ لَنَا وَالْكُلُّ لَنَا  
 وَجَمِيعُ الْكَوْنِ لَنَا وَطَنَا  
 أَعْدَدْنَا الرُّوحَ لَهُ سَكْنَا  
 فِي الدَّهْرِ صَحَائِفُ سُؤْدِدِنَا  
 وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ كَعَبْتِنَا  
 بِحَيَاةِ الرُّوحِ وَيَحْفَظُنَا  
 وَبَيْنِنَا الْعِرَّ لِدَوْلَتِنَا  
 مِ شَعَارِ الْمَجْدِ لِمَلَّتِنَا  
 وَيُمَثِّلُ خِنْجَرَ سَطَوَتِنَا  
 فِي الْعُرْبِ صَدَى مِنْ هَمَّتِنَا  
 طَاوَلْنَا النَّجْمَ بِرِفْعَتِنَا  
 نِيرَانِ الشُّدَّةِ عَزَمَتِنَا  
 فِي الْخَوْفِ سَفِينَةَ قَوَّتِنَا  
 أَنْسَيْتَ مَغَانِي عَشْرَتِنَا  
 عَمَرْتَ بِطَلَائِعِ نَشَاتِنَا  
 شَطِيكَ مَائِرَ عَزْرَتِنَا  
 وَتُعِيدُ جَوَاهِرَ سِيرَتِنَا  
 مِنْ وَيَا مِيلَادَ شَرِيعَتِنَا  
 فِي أَرْضِكَ رَوَّاهَا دُمْنَا  
 سَبِّ يَقُودُ الْفُوزَ لِنُصْرَتِنَا

إِنَّ اسْمَ مُحَمَّدٍ الْهَادِي دَوْتُ أَنْشُودُهُ « إِبْرَاهِيمَ »  
رُوحَ الْأَمْسَالِ لِنَهْضَتِنَا جَرَساً يَحْدُو فِيهِ الرِّمْنَا  
لِيُعِيدَ قِوَامَنَا الْأُولَى فِي الْمَجْدِ وَيَبْعَثَ أُمَّتَنَا

\*\*\*

## الشكوى وجواب الشكوى

( حديث الروح )<sup>(١)</sup>

ونجومٌ ليلي حَسَدِي أو عُوْدِي  
قطعَ الزَّمانُ طريقَ أَمْسِي عن غَدِي  
تبكي الرُّبى بأينها المتجدِّدِ  
ومَدَامِيعِي كالطلِّ في العُضنِ النَّدي  
خَرَسَاءُ لَمْ تُرْزَقْ بَرَاعَةَ مُنْشِدِ

شكوايَ أم نجوايَ في هذا الدُّجى  
أَمْسَيْتُ في الماضي أَعِيشُ كأنما  
والطيرُ صادحةٌ على أَفْئانِهَا  
قد طالَ تَسْهِيدِي وطالَ نَشِيدُهَا  
فإلى متى صَمْتِي كأنِّي زهرةٌ

\*\*\*

لا بُدَّ لِلْمَكْبُوتِ مِنْ فَيْضَانِ  
لِيَبِينَنَّ عَنْهَا مَنْطِقِي وَلِسَانِي  
لَكُنَّمَا هِيَ قِصَّةُ الْأَشْجَانِ  
أَشْكُو مُصَابَ الدِّينِ لِلدِّيَانِ  
إِلَّا لِحَمْدِ عُلَاكَ فِي الْأَكْوَانِ

فَيَنَارَتِي مُلِئْتُ بِأَنَاتِ الْجَوَى  
صَعَدْتُ إِلَى شَفَتِي بِلَابِلِ مُهْجَتِي  
أنا ما تَعَدَّيْتُ الفَنَاعَةَ وَالرِّضَا  
أَشْكُو وَفِي فَمِي التُّرَابُ وَإِنَّمَا  
يَشْكُو لَكَ اللَّهُمَّ قَلْبٌ لَمْ يَعْشُ

\*\*\*

رَوْضاً وَأَزْهَاراً بغيرِ شَمِيمِ  
لا يُرْتَجَى وَرْدٌ بغيرِ نَسِيمِ  
ليلاً لظالمِهَا وللمَظْلُومِ  
واخضَرَ في البُسْتَانِ كُلِّ هَشِيمِ  
فإذا الوَرَى في نُضْرَةٍ وَنَعِيمِ

قد كانَ هذا الكونُ قبلَ وُجودِنا  
والوردُ في الأَكْمامِ مجهولُ الشِّدَا  
بَلْ كَانَتْ الأَيَّامُ قبلَ وُجودِنا  
لَمَّا أَطْلُ مُحَمَّدٌ زَكَتِ الرُّبَى  
وَأَذَاعَتْ الفِرْدَوْسُ مَكْنُونِ الشِّدَا

\*\*\*

(١) اشتهرت هذه القصيدة في البلاد العربية بهذا العنوان ، والصحيح ما عَنَوَتْها الشاعر بـ

« الشكوى وجواب الشكوى » .

مَنْ كَانَ يَدْعُو الْوَاحِدَ الْقَهَّارَا  
 مِنْ دُونِكَ الْأَحْجَارَ وَالْأَشْجَارَا  
 لَمْ يَبْلُغُوا مِنْ هَذِيهَا أَنْوَارَا  
 وَهَدَى الشُّعُوبَ إِلَيْكَ وَالْأَنْظَارَا  
 لَمْ نَخْشَ يَوْمًا غَاشِمًا جَبَّارَا

مَنْ كَانَ يَهْتَفُ بِاسْمِ ذَاتِكَ قَبْلَنَا  
 عَبَدُوا تَمَائِيلَ الصُّخُورِ وَقَدَّسُوا  
 عَبَدُوا الْكَوَاكِبَ وَالنُّجُومَ جَهَالَةً  
 هَلْ أَعْلَنَ التَّوْحِيدَ دَاعٍ قَبْلَنَا  
 كُنَّا نَقْدُمُ لِلسُّيُوفِ صُدُورَنَا

\*\*\*

رُومَانَ مَدْرَسَةً وَكَانَ الْمُلْكُ فِي سَاسَانَ<sup>(١)</sup>  
 فِي الْمَالِ أَوْ فِي الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ  
 يَكْفِي الْيَهُودَ مَوْزُونَةَ الشَّيْطَانِ  
 فِي الصِّينِ أَوْ فِي الْهِنْدِ أَوْ طُورَانِ  
 نَهَجَ الْهُدَى وَمَعَالِمَ الْإِيمَانِ

قَدْ كَانَ فِي الْيُونَانِ فَلَسْفَةٌ وَفِي الْإِ  
 لَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةٌ أَوْ نَزْوَةٌ  
 وَيَكُلُّ أَرْضِ سَامِرِيِّ مَآكِرُ  
 وَالْحِكْمَةَ الْأُولَى جَرَتْ وَثِيَّةٌ  
 نَحْنُ الَّذِينَ يَنْوِرُ وَحَيْكَ أَوْضَحُوا

\*\*\*

مَكَ فَوْقَ هَامَاتِ النُّجُومِ مَنَارَا  
 سِزْنَا عَلَى مَوْجِ الْبِحَارِ بِحَارَا  
 قَبْلَ الْكِتَابِ يَفْتَحُ الْأَمْصَارَا  
 سَجَدَاتِنَا وَالْأَرْضُ تَقْدِفُ نَارَا  
 خَضْرَاءَ تُنْبِتُ حَوْلَنَا الْأَزْهَارَا

مَنْ ذَا الَّذِي رَفَعَ السُّيُوفَ لِيَرْفَعَ اسْمَا  
 كُنَّا جِبَالًا فِي الْجِبَالِ وَرُبَّمَا  
 بِمَعَابِدِ الْإِفْرَنْجِ كَانَ أَذَانَنَا  
 لَمْ تَنْسَ إِفْرِيْقِيَّةَ وَلَا صَحْرَاؤُهَا  
 وَكَأَنَّ ظِلَّ السَّيْفِ ظِلُّ حَدِيقَةٍ

\*\*\*

نَصَبَ الْمَنَايَا حَوْلَنَا أَسْوَارَا

لَمْ نَخْشَ طَاغُوتًا يَحَارِبُنَا وَلَوْ

(١) فِي الْأَصْلِ هَكَذَا ، وَفِيهِ اضْطِرَابٌ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَسْتَقِيمَ الْوِزْنُ عَلَى حِسَابِ الْمَعْنَى  
 فَيَكُونُ :

قَدْ كَانَ فِي ( الْيُونَانِ ) وَ ( الرُّومَانِ ) مَدْرَسَةً ، وَكَانَ الْمُلْكُ فِي سَاسَانَ

صنَعَ الوجودَ وقَدَّرَ الأقدارَ  
نَزَجُوا ثوابَكَ مَغْنَمًا وَجِوارًا  
فَنَهَدِمُهَا وَنَهَدِمُ فَوْقَهَا الكَفَّارَ  
كَنَزًا وَصاغَ الحِليَّ والذِّينارَ

نَدَعُو جِهارةً لا إلهَ سِوَى الَّذِي  
ورُؤوسنا ياربُّ فوقَ أَكْفُنَا  
كُنَّا نرَى الأصنامَ من ذهبٍ  
لو كانَ غيرَ المُسلمينَ لَحازَها

\*\*\*

من بِأسنا عَزَمَ ولا إِيمانُ  
لَمْ يَلتَقَ غيرَ ثباتنا المِيدانُ  
رِ المؤمنينَ الرِّوْحُ والرِّيحانُ  
نُوراً يُضِيءُ بِصُبحِهِ الأزمانُ  
في الكونِ مسطوراً بِها القرآنُ

كم زُنزِلَ الصَّخْرُ الأشمُ فما وهى  
لو أنَّ آسادَ العَرينِ تفرَّعتْ  
وكأنَّ نيرانَ المدافعِ في صُدُوءِ  
توحيدِكَ الأعلى جَعَلْنَا نَقْشَهُ  
فغدتْ صدورُ المؤمنينَ مَصاحِفًا

\*\*\*

كانتْ تُقدِّسُها جَهالاتُ الورى ؟  
لجلالِ مَنْ خَلَقَ الوجودَ وصوِّراً  
بابَ المدينةِ يومَ غزوةِ خيبراً<sup>(١)</sup>  
وأبانَ وجَهَ الحقِّ أبلَجَ نيراً<sup>(٢)</sup> ؟  
ورأى رِضاكَ أعزَّ شيءٍ فاشتَرى

من غيرنا هَدَمَ التماثيلَ التي  
حتَّى هَوَتْ صُورُ المعابدِ سُجَّداً  
ومِنِ الألى حَمَلُوا بعزمِ أَكْفِهِم  
أَمَّنْ رَمَى نارَ المَجُوسِ فأطفِئَتْ  
ومنِ الذي بذلَ الحياةَ رخيصةً

\*\*\*

دُنيا الخليفةِ مِنْ تهاويلِ الكرى  
والحربُ تسقي الأرضَ جاماً أَحْمراً

نحنُ الَّذينَ استيقظتْ بأذانهم  
نحنُ الَّذينَ إذا دُعوا لصلاتهم

(١) هو سيِّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي حمل باب حصن خيبر وجعله تُرساً له

في المعركة ، وذلك في غزوة خيبر التي كانت في أول السنة السابعة من الهجرة .

(٢) هو السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي .



في مسمع الرُّوح الأَمِينِ فَكَبَّرَا  
لَكَ بِالْخُشُوعِ مَصَلِيًّا مُسْتَغْفِرَا  
سجدا لوجهك خاشعينَ على الثَّرَى

جعلوا الوجوةَ إلى الحجاز وكَبَّرُوا  
محمودُ مثلُ إياز<sup>(١)</sup> قام كلاهما  
والعبدُ والمولى على قَدَمِ الثُّقَى

\*\*\*

وكانَ أُنْحَرَهَا رَمالُ البَيْدِ  
بالنَّصْرِ أَوْضَحَ مِنْ هلالِ العَيْدِ  
للمجدِ تُعلنُ آيةَ التَّوْحِيدِ  
إلا عبيداً في إَسارِ عبيدِ  
من بعدِ أَصْفادِ وذلِّ قيودِ

بَلَّغْتَ نَهايَةَ كُلِّ أرضِ خَيْلِنَا  
في محفلِ الأكوانِ كانَ هلالُنَا  
في كُلِّ موقِعةٍ رَفَعْنَا رايَةَ  
أُمَّمِ البرايا لم تكن من قبلنا  
بلغت بنا الأجيالُ حَرِّيَّاتِها

\*\*\*

عُرِفَ الشُّجُودُ بِبَيْتِكَ المَعْمُورِ  
يُحوي جلالَ كِتابِكَ المَسْطُورِ  
فالخلقُ في الدُّنيا بغيرِ شعورِ  
مِنْ مُلْحِدِ عاتٍ وَمِنْ مَغْرورِ  
واختَصَّنَا بصواعِقِ التَّدْمِيرِ

رُخْمَاكَ رَبِّ هل بغيرِ جِباهِنا  
كانت شِغافُ قُلُوبِنَا لَكَ مُضْحِفاً  
إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا وفاءً صادقاً  
ملا الشعوبَ جُنَّاتِها وعُصَّاتِها  
فإذا السَّحابُ جرى سَقاهم غَيْثَه

\*\*\*

واستيقظت من قبل نَفخِ الصُّورِ  
فكأنَّهم مَوْتَى لغيرِ نُشُورِ  
وغدثُ منازلِها ظِلالُ قُبُورِ  
في أنعمِ ومواكبِ وقُصورِ

قد هَبَّتِ الأصنامُ من بعدِ البلى  
والكعبةُ العليا توارى أهلُها  
وقوافلُ الصَّحراءِ ضلَّ حُدَّاتِها  
أنا ما حسدْتُ الكافرِينَ وقد غَدَّوا

(١) إياز : هو مولى السلطان محمود السبكتكين .

بل محتتي ألا أرى في أمّتي عملاً تقدّمه صداق الحُوز<sup>(١)</sup>

\*\*\*

لك البريّة حكمةً ومشينةً إن شئتَ أجريتَ الصّحارى أنهرأ  
أغيثَ مَذاهِبُها أولى الألبابِ فإذا دُهي الإسلامُ في أبنائه  
أو شئتَ فالأنهارُ موجُ سرابِ فتراؤهُم فقرٌ ودولةٌ مجدهم  
حتّى انطوّوا في محنةٍ وعذابِ عاقبتنا عدلاً فهبْ لعدوّنا  
في الأرضِ نهبُ ثعالبِ وذئابِ عن ذنبه في الدّهرِ يومِ عقابِ

\*\*\*

عاشوا بَشَوتِنا وعشنا دُونَهُم الدّينِ يَخِيا في سعادةٍ أهله  
للموتِ بين الدُّلِّ والإملاقِ أين الذين بنارِ حَبِّكَ أرسَلُوا الـ  
والكأسُ لا تبقى بغيرِ السّاقِ سَكَبُوا اللَّيالِي في أنينِ دُموعِهِم  
أنوارَ بين محافلِ العَشّاقِ والشَّمسُ كانت من ضياءِ وُجوهِهِم  
وتوصّؤوا بمدامِعِ الأشواقِ تُهَيِّدِ الصّباحَ طلائعَ الإِشراقِ

\*\*\*

كيفَ انطوتِ أيامُهُم وهمُ الألى هجروا الدّيارَ فأين أزمع<sup>(٣)</sup> ركبُهُم  
نشروا الهدى وعَلّوا مكانَ الفَرَقَدِ<sup>(٢)</sup> يا قلبُ حسبك لم تلمّ<sup>(٤)</sup> بطييفِهِم  
من يهتدي للقومِ أو من يفتدي فأزوا من الدّنيا بمجدِ خالدِ  
إلّا على مصباحِ وَجهِ مُحَمَّدِ

- 
- (١) الصداق : المهر .  
(٢) الفَرَقَد : وهو نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريباً ، ولذا يُهتدى به ، وهو المسمّى « النجم القطبي » .  
(٣) أزمع : قصّد وتوجّه .  
(٤) لم تلمّ : لم تنزل بهم .

يَا رَبِّ أَلْهَمْنَا الرَّشَادَ فَمَا لَنَا فِي الْكَوْنِ غَيْرَكَ مِنْ وَلِيٍّ مُزِيدٍ

\*\*\*

مَا زَالَ قَيْسٌ وَالْغِرَامُ كَعَهْدِهِ  
وَهَضَابُ نَجْدٍ مِنْ مَرَاعِيهَا الْمَهَا  
وَالْعَشِيقُ فَيَاضٌ وَأُمَّةٌ أَحْمَدِ  
لَوْ حَاوَلْتُ فَوْقَ السَّمَاءِ مَكَانَةً  
مَا بِأَلْهَا تَلْقَى الْجُدُودَ عَوَائِرًا<sup>(١)</sup>  
وَرَبِوَعٌ لَيْلَى فِي رَيْبِ جَمَالِهَا  
وَضَبَاوُهَا الْخَفِرَاتِ مَلءُ جِبَالِهَا  
يَتَحَفَّرُ التَّارِيخُ لِاسْتِقْبَالِهَا  
رَفَّتْ عَلَى شَمْسِ الضُّحَى بِهَلَالِهَا  
وَتَصُدُّهَا الْأَيَّامُ عَنْ آمَالِهَا

\*\*\*

هَجَرُ الْحَبِيبِ رَمَى الْأُحْبَةَ بِالنَّوَى  
لَوْ قَدْ مَلَلْنَا الْعِشْقَ كَانَ سَيْلِنَا  
أَوْ نَصْنَعُ الْأَصْنَامَ ثُمَّ نَبِيعِهَا  
أَيَّامُ سَلْمَانَ بِنَا مَوْصُولَةً  
وَأَصَابُهُمْ بِتَصَرُّمِ الْأَمَالِ  
أَوْ نَسْتَكِينُ إِلَى هَوَى وَضَلَالِ  
حَاشَا الْمَوْحِدَ أَنْ يَذَلَ لِمَالِ  
وَتُقَى أُوَيْسَ فِي أُذَانِ بِلَالِ

\*\*\*

يَا طَيْبَ عَهْدٍ كُنْتَ فِيهِ مَنَارَنَا  
وَأَسْرَتَ فِيهِ الْعَاشِقِينَ بِلَمْحَةٍ  
أَحْرَقْتَ فِيهِ قُلُوبَهُمْ بِتَوْقُودِ الْإِيمَانِ لَا بَتَلْهُبِ النَّيِّرَانِ  
لَمْ نَبْقَ نَحْنُ وَلَا الْقُلُوبُ كَأَنَّهَا  
إِنْ لَمْ يَنْزُ وَجْهُ الْحَبِيبِ بِوَصْلِهِ  
فَبَعَثْتَ نَوْرَ الْحَقِّ مِنْ فَارَانِ  
وَسَقَيْتَهُمْ رَاحاً بِغَيْرِ دِنَانِ  
لَمْ تَخْطَ مِنْ نَارِ الْهَوَى بِدُخَانِ  
فَمَكَانُ حُزْنِ الْقَلْبِ كُلِّ مَكَانِ

\*\*\*

يَا فَرِحَةَ الْأَيَّامِ حِينَ نَرَى بِهَا  
رَوْضَ التَّجَلِّيِّ وَارْفَ الْأَغْصَانِ

(١) الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ : الْحِظُوظُ الْخَائِبَةُ .

ويعود محفلنا بحسبك مسفراً  
قد هاجَ حزني أن أرى أعداءنا  
ونعالجُ الأنفاس نحن ونصطلي  
في الفقرِ حينَ القومِ في بستان  
أشرقُ بنوركِ وابعثِ البرق القديمَ  
بومضةٍ لِفَرَاشِكَ الظَّمَّانِ

\*\*\*

أشواقنا نحوَ الحجازِ تطلَّعت  
إنَّ الطيورَ وإنَّ قَصَصَتْ جناحها  
قيثارتي مكبوتةً ونشيدُها  
واللَّحْنُ في الأوتارِ يرجو عازفاً  
والطُّور<sup>(٢)</sup> يرتقبُ التجلِّي صارخاً  
كحنينِ مُغتربٍ إلى الأوطان  
تسمو بفطرتها إلى الطَّيران  
قد ملَّ من صمتٍ ومن كتمان  
لييوحَ من أسراره بمعانٍ  
بهوى المَشُوقِ ولَهْفَةِ الحَيْرَانِ

\*\*\*

أكبأدنا احترقتْ بأناتِ الجوى  
والعطرُ فاض من الخمائل والرُّبا  
أو ليس من هَوْلِ القيامة أن يكو  
النَّمْلُ لا يخشى سليماناً إذا  
أرشدُ براهمةَ الهنودِ ليرفعوا الـ  
ودماؤنا نهرُ الدُموعِ القاني  
وكأنَّه شكوى بغير لسان  
ن الرُّهْرُ نَمَاماً<sup>(٣)</sup> على البُستانِ  
حَرَستُ قُراه عنايةَ الرَّحْمَنِ  
إسلامَ فوقَ هياكلِ الأوثانِ

\*\*\*

ما بالُ أغصانِ الصَّنوبرِ قد نأت  
وتعزَّتِ الأشجارُ من حُللِ الرُّبا  
عنها قَمَارِيهَا<sup>(٤)</sup> بكلِّ مكانٍ  
وطيورها فرَّت إلى الوديانِ

(١) الطُّلا : الخمر .

(٢) الطُّور : هو الجبل الذي تجلَّى الله عليه لموسى عليه الصلاة والسلام وكلمه .

(٣) نَمَاماً : هو مَنْ يُزَيِّن للناس الكلام بالكذب .

(٤) القماريُّ : هو ضرب من الحمام مطوَّق حسن الصوت .

يَا رَبِّ إِلَّا بُلْبُلًا لَمْ يَنْتَظِرْ      وَحَيَّ الرَّبِيعَ وَلَا صَبَاً<sup>(١)</sup> نَيْسَانَ  
الْحَانَهُ بَحْرٌ جَرَى مُتَلَاظِمًا      فَكَأَنَّهُ الْحَاكِي عَنِ الطُّوفَانِ  
يَا لَيْتَ قَوْمِي يَسْمَعُونَ شِكَايَةَ      هِيَ نِيَّيِ ضَمِيرِي صِرْحَةً الْوَجْدَانِ

\*\*\*

إِنَّ الْجَوَاهِرَ حَيَّرَتْ مِرَاةَ هـ      إِذَا الْقَلْبِ فَهُوَ عَلَى شِفَا الْبُرْكَانِ  
أَسْمِعُهُمْ يَا رَبِّ مَا أَلْهَمْتَنِي      وَأَعِذْ إِلَيْهِمْ يَقْظَةَ الْإِيمَانِ  
وَأَذْفَهُمُ الْخَمَرَ الْقَدِيمَةَ إِنَّهَا      عَيْنُ الْيَقِينِ وَكُوْثُرُ الرِّضْوَانِ  
أَنَا أَعْجَمِي الدَّنُّ لَكِنْ خَمْرَتِي      صُنْعُ الْحِجَازِ وَكَرْمِهَا الْفَيْنَانِ<sup>(٢)</sup>  
إِنْ كَانَ لِي نَغْمُ الْهِنُودِ وَلِحْنُهُمْ      لَكِنَّ هَذَا الصَّوْتُ مِنْ عَدْنَانِ

\*\*\*

---

(١) صَبَاً : رِيحٌ طَيِّبَةٌ تَهْبُ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ .  
(٢) الْفَيْنَانُ : أَي ذُو الْأَفْتَانِ طَوِيلِ الْأَغْصَانِ .

## جواب الشكوى

ثُمَّ نَظَمَ مُحَمَّدٌ إِقْبَالَ بَعْدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَصِيدَةً أُخْرَى وَضَحَّ فِيهَا تَقْصِيرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِهْمَالَهُمْ لِدِينِهِمْ ، وَعَدَمَ إِتْقَانِهِمْ أَمْرَ الدُّنْيَا ، تَبْرِيراً لِمَا جُوزُوا بِهِ مِنَ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ ، وَسَرْعَانَ مَا تَغَنَّى بِهِاتَيْنِ الْقَصِيدَتَيْنِ الْأَطْفَالَ ، وَالشَّبَابُ ، وَحَفْظَهُمَا الرِّجَالَ ، وَالنِّسَاءَ ، وَسَارَتَا مَسِيرَ الرِّيَاحِ وَطَارَتَا بِغَيْرِ جَنَاحٍ .

كَلَامُ الرُّوحِ لِلْأَرْوَاحِ يَسْرِي<sup>(١)</sup>      وَتُذْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِلَا عَنَاءٍ<sup>(٢)</sup>  
هَتَفَتْ بِهِ فَطَارَ بِلَا جَنَاحٍ      وَشَقَّ أَنْيُنُهُ صَدْرَ الْفَضَاءِ  
وَمَعَدْنُهُ تُرَابِيٌّ وَلَكِنْ      جَرَتْ فِي لَفِظِهِ لَغَةُ السَّمَاءِ  
لَقَدْ فَاضَتْ دَمَوْعُ الْعِشْقِ مَنِّي      حَدِيثاً كَانَ عُلوِيَّ النَّدَاءِ  
فَحَلَّقَ فِي رِبَا الْأَفْلَاكِ حَتَّى      أَهْجَعَ الْعَالَمَ الْأَعْلَى بِكَائِي

\*\*\*

تَحَاوَرَتِ النُّجُومُ وَقُلْنَ صَوْتٌ ،      بِقَرَبِ الْعَرْشِ مَوْصُولِ الدُّعَاءِ  
وَجَاوَيْتِ الْمَجْرَةَ عُلَّ طَيْفَاً      سَرَى بَيْنَ الْكَوَاكِبِ فِي خَفَاءِ  
وَقَالَ الْبَدْرُ هَذَا قَلْبُ شَاكٍ      يَوَاصِلُ شَذْوَهُ عِنْدَ الْمَسَاءِ  
وَلَمْ يَعْرِفْ سِوَى رِضْوَانِ صَوْتِي      وَمَا أَحْرَاهُ عِنْدِي بِالْوَفَاءِ  
أَلَمْ أَكُ قَبْلُ فِي جَنَاتِ عَدْنٍ      فَأَخْرَجَنِي إِلَى حَيْثُ قَضَائِي

\*\*\*

(١) يَسْرِي : يَجْرِي .

(٢) عَنَاءٌ : تَعَبٌ وَمَشَقَّةٌ .

وقيل هو ابن آدم في غُرُورٍ  
لقد سَجَدَتْ ملائكةُ كرامٍ  
يُظَنُّ العِلْمُ في كيفَ وكم  
وملءُ كُؤُوسِهِ دمعٌ وشكوى  
فيا هذا لقد أبلغتَ شيئاً  
تجاوزَ قَدْرَهُ دونَ ازِعْواءِ<sup>(١)</sup>  
لهذا الخلق من طينٍ وماءٍ  
وسرُّ العَجْزِ عنه في انطواءٍ  
وفي أنغامهِ صوتُ الرِّجاءِ  
وإن أكثرتَ فيه مِنَ المِراءِ

\*\*\*

عَطايانا سحائبُ مُزَسَّلاتٍ  
وكلُّ طريقنا نَوْرٌ<sup>(٢)</sup> ونورٌ  
ولم نجدِ الجواهرَ قابلاتٍ  
وكان تراب آدم غيرَ هذا  
ولو صدقوا وما في الأرض نهرٌ  
ولكن ما وجدنا السائلينا  
ولكن ما رأينا السالكينا  
ضياءَ الوحي والثُّور المينا  
وإن يكُ أصله ماءً وطينا  
لأجرينا السماء لهم عُيونا

\*\*\*

وأخضعنا لِمُلْكِهِم الثُّرَيَّا  
ولكن أَلْحَدُوا في خيرِ دينٍ  
ثُراثُ محمَّدٍ قد أهملوه  
تولَّى هادمو الأصنام قُدماً  
أباهم كان إبراهيمَ لكن  
وشيدنا النُّجوم لهم حُصونا  
بنى في الشَّمسِ مُلكَ الأوَّلينا  
فعاشوا في الخلائق مُهْمَلينا  
فعاد لها أولئك يصنعونا  
أرى أمثال آزر<sup>(٣)</sup> في البنيانا

\*\*\*

(١) ازِعْواء : كف وارتداع .

(٢) الثُّور : الزهر .

(٣) آزر : اسم والد سيننا إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي كان ينحت الأصنام حِرْفَةً .

بكلِّ فمٍ لذكرها نَشِيدُ  
بريِّها وتبتسمُ الورودُ  
فيجمل في دلالكم الصُّدودُ  
فلم يكتب لغيرهم الخلودُ  
ولكن شوقكم عنه بعيدُ

وفي أسلافكم كانت مزايا  
تَضُوعُ<sup>(١)</sup> شقائق الصحراءِ عَطْرًا  
فهل بقيت محاسنهم لديكم  
لقد هاموا بخالقهم فناءً  
وكوثرُ أحمد منكم قريبُ

\*\*\*

وأذنتِ القَمَارِي والطَّيُورُ  
مصليةً فجأوبها الغديرُ  
كأنَّ الصبح لم يدركه نورُ  
فليس لكم به عزمٌ صبورُ  
وليس بغائبٍ إلا الضميرُ

وكم لاح الصُّبَاخُ سَنَا<sup>(٢)</sup> وبُشْرِي  
وكبَّرت الخمائل في رباها  
ونوم صباحكم أبدأً ثقيلُ  
وأضحى الصُّوم في رمضان قيداُ  
تمدَّنَ عصرُكم جمع المزايا

\*\*\*

وكيف ينالُ عهدي الظالمينا  
ولا دُنْيَا لمن لم يُخَيِّ دينا  
فقد جعلَ الفناء لها قرينا  
ولن تبنا العُلا مُتَفَرِّقينا  
ولولا الجاذبيَّةُ ما بقينا

لقد ذهب الوفاءُ فلا وفاءُ  
إذا الإيمانُ ضاعَ فلا أمانُ  
ومن رَضِيَ الحياةَ بغير دينٍ  
وفي التوحيدِ للهَمَمِ اتِّحَادُ  
تساندتِ الكواكبُ فاستقرَّتْ

\*\*\*

وأنتم كالطَّيُورِ بلا وكُورِ  
ليبدركم وأنتم في غرورِ

عَدُوَّتُمْ في الدِّيَارِ بلا ديارِ  
وكلُّ صواعقِ الدُّنْيَا سهامُ

(١) تَضُوعُ : تفوح وتنتشر .

(٢) السَّنَا : الضياء .



وأنتم في القطيعة والنفور  
لدى الأحفاد مدعاة الظهور  
إذا سمعوا بتجار القبور

أهذا الفقر في علم ومالٍ  
وبيعُ مقابر الأجداد أضحى  
سَيُعْجَبُ تاجرو الأصنام قُدماً

\*\*\*

على نهج الهداية والصواب  
وفي أخلاقهم يُتلى كتابي  
بناة المجد والفر العجاب  
سوى شكوى اللُغوب<sup>(١)</sup> والاكْتئاب  
فما غَدُهُ سوى يوم العذاب

من المتقدمين إلى المعالي  
ومن جهاتهم أنوار بيتي  
أما كانوا جُذودكم الأوالي  
وليس لكم من الماضي تراثٌ  
ومن يك يومه في العيش يأساً

\*\*\*

بمجدٍ لا يراه النَّائمونا  
وضيعة تراث الأولينا  
ويسعدُ بالرُّقي الخاملونا  
يكون حصادها للزراعينا  
فهل بقي الكليم<sup>(٢)</sup> بطور سينا؟

أتشكوا أن ترى الأقوامَ فازوا  
مشوا بهدي أوائلكم وجدوا  
أيخرمُ عاملٌ وردَ المعالي  
أليسَ من العدالة أنْ أَرْضِي  
تَجَلِّي النُّور فوق الطُّور باقٍ

\*\*\*

يوحدكم على نهج الوئام  
منازٍ للأخوة والسَّلام  
إلهٌ واحدٌ ربُّ الأنعام  
وأسيئتم حيارى في الظلام

ألم يُنْعَثْ لأمتكم نبيٌّ  
ومصحفكم وقبلتكم جميعاً  
وفوق الكل رحمنٌ رحيمٌ  
فما نازَ ألفتكم تولَّى

(١) اللُغوب : التعب والإعياء .

(٢) الكليم : لقب سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام .

وحسن اللؤلؤ المكنونِ رهناً بصوغ العِقْد في حُسن النُّظامِ

\*\*\*

وكيف تغيّرت بكمُ اللّياالي  
تركتم دينَ أحمدَ ثم عُذتُم  
رقيُّ الشَّعبِ قد أضحي لديكم  
وكيف تُقاسُ أوهامٌ ولغوٌ  
أرى ناراً قد انقلبت رماداً  
وكيف تفرّقت بكمُ الأمانِي  
ضحايَا لِلهوى أو للهوانِ  
تقرُّه صلاحيةُ الزمانِ  
بحكمة منزلِ السَّبْعِ المثاني  
سوى ظل مريضٍ من دخانِ

\*\*\*

أرى الفقراءَ عبّاداً تقاةً  
هم الأبرارُ في صومٍ وفطيرِ  
وليس لكم سوى الفقراءِ سترٌ  
أضلت أغنياءكم الملاهي  
وأهلُ الفقر ما زالوا كنوزاً  
قياماً في المساجد راعينا  
وبالأسحارِ هُم يَسْتَعْفِرُونَا  
يواري عن عيوبكم العيونا  
فهم في ريبهم يتردّدونا  
لدينِ الله ربِّ العالمينا

\*\*\*

أرى التفكيرَ أدركهُ خمولٌ  
وأصبحَ وِعظُكم من غيرِ سِخْرِ  
وعند النَّاسِ فلسفةٌ وفكرٌ  
وجلجلتُ الأذانَ بكلِّ أرضِ  
منائرُكم علتُ في كلِّ حيٍّ  
ولم تبقَ العزائمُ في اشتعالِ  
ولا نورٌ يُطلُّ من المقالِ  
ولكن أين تلقين ( الغزالي<sup>(١)</sup> )  
ولكن أين صوتٌ من بلالِ  
ومسجدُكم من العبّادِ خالي

\*\*\*

(١) الغزالي : هو أبو حامد محمد الغزالي ، أحد أعلام المسلمين وكبار الفلاسفة ، لقب « بحجة الإسلام » صاحب مصنفات سائرة ، توفي عام ٥٠٥هـ بمدينة « طوس » .

فَأَيْنَ أُمَّةٌ وَجَنُودٌ صَدَقَ  
 إِذَا صَنَعُوا فَصَنَعَهُمُ الْمَعَالِي  
 مَرَادُهُمُ الْإِلَهَ فَلَا رِيَاءَ  
 لِأُمَّتِهِمْ وَلِلْأَوْطَانِ عَاشُوا  
 كَمَثَلِ الْكَأْسِ تُبَصِّرُهَا دِهَاقًا<sup>(٢)</sup>  
 تَهَابُ شَبَابَةٌ<sup>(١)</sup> عَزَمَهُمُ الْحَرَابُ  
 وَإِنْ قَالُوا فَقَوْلُهُمُ الصَّوَابُ  
 وَنَهَجَهُمُ الْيَقِينُ فَلَا ارْتِيَابُ  
 فَلَيْسَ لَهُمْ إِلَى الدُّنْيَا طِلَابُ  
 وَلَيْسَ لِأَجْلِهَا صُنْعُ الشَّرَابِ

\*\*\*

جِهَادُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ حَيَاةٌ  
 عَقَائِدُهُمْ سَوَاعِدُ نَاطِقَاتٍ  
 وَخَوْفُ الْمَوْتِ لِلْأَحْيَاءِ قَبْرٌ  
 أَرَى مِيرَاثَهُمْ أَضْحَى لَدَيْكُمْ  
 وَلَيْسَ لَوَارِثٍ فِي الْخَيْرِ حِظٌّ  
 أَلَا إِنَّ الْحَيَاةَ هِيَ الْجِهَادُ  
 وَبِالْأَعْمَالِ يَثْبُتُ الْإِعْتِقَادُ  
 وَخَوْفُ اللَّهِ لِلْأَحْرَارِ زَادُ  
 مِضَاعًا حَيْثُ قَدْ ضَاعَ الرَّشَادُ  
 إِذَا لَمْ يَحْفَظِ الْإِرْثَ اتَّحَادُ

\*\*\*

لَايٌّ مَآثِرِ الْقَوْمِ انْتَسَبْتُمْ ؟  
 فَأَيْنَ مَقَامُ ذِي الثُّورَيْنِ<sup>(٣)</sup> مِنْكُمْ  
 وَفَقِرُ عَلَيَّ الْأَوَابِ هَلَا  
 أَقَمْتُمْ فِي الذُّنُوبِ وَفِي الْخَطَايَا  
 وَهُمْ سَتَرُوا عَيْبِ الْخَلْقِ فَضْلًا  
 لَتَكْتَسِبُوا فِخَارَ الْمُسْلِمِينَ  
 وَدَوْلَةَ عِزِّهِ دُنْيَا وَدِينَنَا  
 رِبْحَتُمْ فِيهِ كَنْزُ الْفَاتِحِينَ  
 وَتَغْتَابُونَ حَتَّى الصَّالِحِينَ  
 وَإِنْ كَانُوا أَبَسَرَ الْمُتَّقِينَ

\*\*\*

(١) شَبَابَةٌ ، جمعها الشَّبَابُ والشَّبَوَاتُ : شِيبَةٌ كُلُّ شَيْءٍ ، أَيْ حَدُّ طَرَفِهِ .

(٢) دِهَاقٌ : مُمْتَلِءٌ ، يُقَالُ : كَأْسٌ دِهَاقٌ ، أَيْ مَمْتَلِءٌ .

(٣) هُوَ لِقَبِ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ سَيِّدِنَا عِثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أريكةً قيصرياً<sup>(١)</sup> وسريز كسرى<sup>(٢)</sup>  
وأنتم تطمحون إلى الثريا  
تضيعون الإخاء وهم أقاموا  
طلبتم زهرة الدنيا وعدتكم  
وكان لديهم البستان محضاً

\*\*\*

قد اختميا بملكهم العميم  
بلا عزم ولا قلب سليم  
صروح إخوانهم فوق النجوم  
بلا زهر يذوق<sup>(٣)</sup> ولا شميم  
وهم أصحاب جنات النعيم

يُعِيدُ الكونُ قصَّتَهُم حديثاً  
فكم نَزَحُوا عن الأوكارِ شوقاً  
ويأسُ شبابكم أدمى خطاهم  
هي المديئةُ الحمقاء ألفت  
لقد صنعتُ لهم صنمَ الملاهي

\*\*\*

ويُنشئ من حديثهم الفنونا  
إلى التخليقِ فوق العالمينا  
فظنُّوا فيه بالدينِ الظنونا  
بهم حول المذاهب حائرنا  
لتحجبَ عنهم الحَرَمَ الأميना

لقد سئم الهوى في البيدِ قيس<sup>(٤)</sup>  
ويحاولُ أن يُباحَ العشقُ حتى  
يريدُ سفور وجهِ الحُسنِ لَمَّا  
فهذا العهدَ أحرقَ كلَّ غرسِ  
لقد أفنت صواعقه المغاني

وملأ من الشكاية والعذابِ  
يرى ليلاه<sup>(٥)</sup> وهي بلا حجابِ  
رأى وجهَ الغرامِ بلا نقابِ  
من الماضي وأغلقَ كلَّ بابِ  
وعاثت<sup>(٦)</sup> في الجبالِ وفي الهضابِ<sup>(٧)</sup>

(١) قيصر : لقب ملوك الروم .

(٢) كسرى : لقب ملوك الفرس .

(٣) يذُوق : يفوح وينتشر .

(٤) قيس : من أشهر عشاق العرب .

(٥) ليلي : من أشهر عاشقات العرب .

(٦) عاثت : أفسدت .

(٧) هضاب : جمع هضبة ، وهو جبل منبسط ممتد على وجه الأرض .

هي النَّارُ الجديدة ليس يُلقى  
خُذُوا إيمانَ إبراهيمَ تَنبُتْ  
ويذكو من دم الشهداء وردُّ  
ويلمَعُ في سماء الكون لونٌ  
فلا تفرغ إذا المَرْجَانُ<sup>(١)</sup> أضحى  
لها حطبٌ سوى المَجْدِ القديمِ  
لكم في النارِ روضاتُ النَّعيمِ  
سِنِيَّ العطرِ قدسي النَّسيمِ  
من العُنَّابِ مخضوبُ الأديمِ  
عقوداً للبراعمِ والكُرومِ

\*\*\*

فكم زالت رياضٌ من رباها  
ولكن نخلةُ الإسلام تنمو  
ومجدك في جَمَى الإسلام باقٍ  
وإنك يوسفُ في أيِّ مصرٍ  
تسير بك القوافلُ مُسرعاتٍ  
وكم بادت نخيلٌ في البوادي  
على مرِّ العواصفِ والعوادي  
بقاءَ الشَّمسِ والسَّبَعِ الشَّدادِ  
يرى كنعانه<sup>(٢)</sup> كلَّ البلادِ  
بلا جرسٍ ولا ترجيعِ حادي

\*\*\*

ضياؤك مشرقٌ في كلِّ أرض  
بَعَثتُ أممُ التَّارِ<sup>(٣)</sup> فأدركنها  
وأصبح عابدو الأصنام قُذماً  
فلا تجزع فهذا العصر ليل  
لأنك غير محدود المكانِ  
من الإيمان عاقبةُ الأمانِ  
حماةَ الحجِرِ<sup>(٤)</sup> والرُّكنِ اليماني<sup>(٥)</sup>  
وأنت النُّجمِ يشرق كلَّ أن

(١) المَرْجَان : صغار اللؤلؤ .

(٢) كنعان : أرض فلسطين .

(٣) التَّار : قبائل كانت تسكن في أواسط آسيا ، أصلهم من المغول ، اشتهروا بغزواتهم ،  
وأسلم كثير منهم بعد هجومهم على بغداد .

(٤) الحجِر : يريد به الشاعر حجر الكعبة .

(٥) الركن اليماني : هو ركن الكعبة الذي فيه الحجر الأسود .

ولا تخشَ العواصفَ فيه وانهضْ  
بشعلتك المضيئة في الزمانِ

\*\*\*

أعد من مشرقِ التَّوحيدِ نوراً  
وأنت العطرُ في روضِ المعالي  
وأنت نسيمه فاحملْ شذاه  
وأرسلْ شعلةَ الإيمانِ شمساً  
وكن في قَمَّةِ الطُّوفانِ موجاً  
ولا تحملْ غبارَ الخاملينا  
وصُغْ مِنْ ذرَّةِ جبالِ حصينا  
ومُزناً يمطرُ الغيثُ الهُتُونَا  
يتمُّ به اتِّحادِ العالمينا  
فكيفَ تعيشَ محتبساً دفيناً

\*\*\*

فباسمِ محمدٍ شمسِ البرايا  
تَلألأَ في الرياضِ وفي الصحارى  
وتَبضُ الكونِ منه مُستَمِدُّ  
ومن مراكش<sup>(١)</sup> يغزو صداه  
وما شكاهُ هذا الثُّورُ إلا  
أقيمتْ خيمةُ الفلكِ المُنيرِ  
وفوقَ الموجِ والسيَلِ المغيرِ  
حرارته على مرِّ العصورِ  
رُبوعَ الصَّينِ بالصَّوتِ الجهيرِ  
ضميرُ المسلمِ الحرِّ الغيورِ

\*\*\*

ورفعُ الذِّكرِ للمختارِ رفعٌ  
فكن إنسانَ عَيْنِ الكونِ واشهد  
بخنجرِ عزمك الوثَّابِ لاحت  
نداؤك في العناصرِ مستجابٌ  
وعقلُك في الخطوبِ أجلُّ درعٍ  
لقدرك نحو غاياتِ الكمالِ  
مقامك عالياً فوقَ المعالي  
على الأعلامِ أنوارُ الهلالِ  
إذا دَوَّى بصوتٍ من بلالِ  
وعشُّقك خيرَ سيفٍ للنِّصالِ

\*\*\*

خلافه هذه الأرضِ استقرَّت  
بمجدك وهو للدُّنيا سماءُ

(١) مراكش : مدينة تقع في المغرب الأقصى .

وفي تكبيرك القدسي يبدو  
فيا من هب للإسلام يدعو  
سترفع قَدْرَكَ الأقدارُ حتى  
وقيل لك اختكم دنيا وأخرى

صغيراً كلُّ ما ضمَّ الفضاءُ  
وأيقظ صدقَ غيرته الوفاءُ  
تشاهد أن ساعدك القضاءُ  
وشأنك والخلود كما تشاءُ

\*\*\*

الدِّيوانُ الثَّانِي

الأسرار والرموز

أسرار إثبات الذات ورموز نفي الذات

أسرار خودي ورموز بجنودي

نقله إلى العربية شعراً  
الدكتور عبد الوهاب عزام





يُعتبر هذا الديوان من باكورة دواوين محمد إقبال ، فيه القصائد حول الفلسفة الإسلاميّة . في زمان الحرب العالمية الأولى كان إقبال ينظر إلى الجيش التركي نظرة الأمل إلا أنّه حين أخذ الإنجليز يعملون على الاستيلاء على بلاد ما وراء النهر من الترك تحطّمت آماله ، وحينئذٍ ظهرت في أفكاره ثورةٌ عارمةٌ تعارض أشدّ المعارضة فكرة الاعتماد على أهل الغرب ، والوثوق بهم ، فبدأ يعمل على بناء فلسفةٍ حديثةٍ تؤدّي إلى التوفيق في الحياة على أساس تربية الجيل الجديد ، وتقوية الذات . ولم ير محمد إقبال أيّة فائدةٍ للترك من مساعدة قوة الحكومة الألمانيّة ، فبنى نظريته إلى التصوّف ، ليس على أساس روح الضعف والسلبية ، وهو ما انتشر في العهد الصفوي ، بل دعا إلى القوّة ، والاعتماد على النفس<sup>(١)</sup> ولم يقنط محمد إقبال بل كرّس حياته للعمل على الوصول إلى حيث يمكن السبب في حدوث أخطائنا السابقة ، وقد وجد أنّ مردّه هذا إلى الآراء الإغريقية التي تغلغلت في عالم الفكر والثقافة بين المسلمين ، وأضحت سبب كلّ ما عقب ذلك من انحرافه . وقد كان من نتيجة تأثير الإغريق على الإسلام أن تحوّل هذا الدين من الإيجابية الدافقة إلى عقيدة مستسلمةٍ تأمليّةٍ ، الأمر الذي أدّى بدوره إلى حالة من التشاؤم والقدرية ، وقد ندّد بأفلاطون ، وشنّ حملةً على الصوفيّة التي عدّها مسؤولة عن فكرة « وحدة الوجود » ، وقد أدّى البحث بإقبال إلى نظريته عن « خودي » أي « الذات » وهو يبدوّها بالأبيات التالية التي اقتبسها من مولانا جلال الدين الرّومي<sup>(٢)</sup> : « رأيتُ البارحة شيخاً يدور حول المدينة ، وقد حمل مشعلًا ، كأنه يبحث عن شيءٍ ، قلت له : يا سيدي ! تبحث

(١) « إقبال إيرانيون كي نظر مين » لسر عبد القادر ص ( ١٨١ ) .

(٢) من محاضرة الأستاذ سجاد حيدر سفير باكستان في مصر ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٦٧ مأخوذ عن « إقبال وديوان أرمغان حجاز » للأستاذ سير عبد الحميد إبراهيم .

عن ماذا؟ قال : قد مللت معاشرَةَ السباع والدَّواب ، وضقت بها ذرعاً ، وخرجتُ أبحث عن إنسانٍ في هذا العالم ، لقد ضاق صدري من هؤلاء الكسالي والأقزام الذين أجدهم حولي ، فخرجت أبحث عن عملاقٍ من الرجال ، وبطلٍ من الأبطال ، يملأ عيني برجولته وشخصيته ، ويروِّح نفسي ، قلتُ له : لقد غرتك نفسك يا هذا ! فخرجت تقتنص العنقاء ، بالله ! لا تتعب نفسك ، وارجع أدراجك ، فقد أجهدت نفسي ، وأنفيت ركابي ، ونقبت في البلاد ، فلم أر لهذا الكائن عيناً ولا أثراً ، قال الشيخ : إليك عني ، أيها الرجل ! فأحبُّ شيء إلى نفسي ، أعزُّه وجوداً ، وأبعده منالاً<sup>(١)</sup> . وقد ركَّز محمَّد إقبال كلامه في هذا الديوان على الذات التي يتركز فيها كلُّ النشاط ، وكلُّ الحركة ، والتي هي لبُّ الشخصية ؛ أي « قلب » الذات .

أراد محمد إقبال باصطلاح « خودي » رموز الذات ، ووجود الفرد ، ليشير إلى المركز المدرك والنشيط للوعي والحياة ، وهو الذي في نظره يؤلّف الوجود الأساسي لذات الإنسان بصورة جازمة . وبالأحرى يرفض الأثرة ، ويوجب على المرء أن يرتقي إلى الدرجات العليا ، والكمال .

يعتقد محمد إقبال بأن أخلاق الفرد والأمة تحدّد الإجابة عن السؤال : ما هي طبيعة الذات ؟ وهذا التأكيد مطلوبٌ إلى ما يوازن بين الفكر الشرقي والرؤحانيّة ، ويؤكد التقاء وجهات النظر التي ترتقي بها الكينونة الذاتيّة فوق جميع المستويات الخادعة والواهمة .

يعتبر محمد إقبال أن الاستسلام للجبرية هو الذي سبب انحطاط المسلمين ، على الرّغم من قيمهم الدّينية والرفيعة ، وأمجادهم السياسية خلال القرون المنصرمة .

---

(١) « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن النّدوي ص ٨٥-٨٦ .

## محتوى الديوان

يشتمل هذا الديوان أولاً على المقدمة المنظومة ، يبين فيها محمد إقبال مذهبه الجديد ، يقول في مطلعها :

قطع الصبحُ على الليل السفر      فهمي دمي على خدّ الزهر  
غسل الدمع سبات التُّرجس      وصحا العشب بمسرى نفسي  
جرّب الفارس قولي موقداً      مصرعاً ألقى وسيفاً حصداً  
ويشير إلى أنّ الرومي هو الذي أيقظه ، ودعاه إلى أن يسلك سبيله :

صير الروميّ طيني جوهرًا      من غباري شاد كوناً آخرًا

### فصول الديوان :

- ١ - أصل نظام العالم من الذاتية واستمرار أعيان الوجود متوقف على استحكام الذاتية .
- ٢ - حياة الذاتية بتخليق المقاصد وتوليدها .
- ٣ - تستحكم الذاتية بالمحبة والعشق .
- ٤ - ضعف الذاتية بالسؤال .
- ٥ - إذا استحكمت الذاتية بالمحبة والعشق سخرت قوى العالم الظاهرة والباطنة .
- ٦ - حكاية في معنى أنّ مسألة نفس الذاتية من مخترعات الأقوام المغلوبة ؛ لتضعف أخلاق الأمم الغالبة عن طريق خفية .

٧ - في معنى أنّ أفلاطون اليونانيّ - الذي أثر كثيراً في أفكار الأمم الإسلامية وآدابها - ذهب مذهب الغنم ، والاحتراز من خيالاته واجب .

٨ - حقيقة إصلاح الشعر والآداب الإسلاميّة .

٩ - تربية الذات لها ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : الطّاعة .

الثانية : ضبط النفس .

الثالثة : النيابة الإلهية .

وفي هذا الفصل يقصُّ قصصاً حقيقية ، أو خيالية لتصوير مذهبه .

١٠ - في بيان أنّ مقصد حياة المسلم إعلاء كلمة الله ، وأنّ الجهاد إن كان الباعث عليه « جوع الأرض » فهو حرام في شريعة الإسلام .

١١ - نصيحة ميرنجاة النقشبندي المسمى الأدب الصحراوي التي كتبها لمسلمي الهند .

١٢ - الوقت سيف .

١٣ - دعاء « ويختتم به المنظومة »<sup>(١)</sup> .

نشر هذا الديوان سنة ١٩١٥م ، فثار الناس لها بين راضٍ وساخطٍ ومستحسنٍ ومستنكرٍ ، بل بين مصفّقٍ طرباً يشني معجباً ، وصائحٍ يتعجّب ويستنكر .

نقله إلى العربية شعراً الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام . وهاهو الآن بين أيديكم مع مقدمة الشاعر القيمة التي كتبها لهذا الديوان .

\*\*\*

---

(١) إقبال . . للدكتور عبد الوهاب عزام ص ١٠٣ .

## خلاصة المقدمة التي كتبها

محمد إقبال لهذا الديوان ( أسرار خودي )

ما هذا الشيء الذي نسميه ( أنا ) أو ( خودي ) أو ( مين )<sup>(١)</sup> الذي يبدو في أعماله ويخفي في حقيقته ، والذي يخلق كلَّ المشاهدات ، ولكن لطافته لا تحتمل المشاهدة ؟ أهو حقيقةً دائمةً ، أم أنَّ الحياة تجلَّت في هذا الخيال الخادع ، وهذا الكذب النافع ، تجلياً عرضياً لتحقيق مقاصدها العملية الراهنة ؟ إنَّ سيرة الأفراد والجماعات موقوفةً على جواب هذا السؤال . ولكن جواب هذا السؤال لا يتوقف على المقدرة الفكرية في الأحاد والجماعات ، كما يتوقف على طباعها وفطرتها . فأمم الشرق المتفلسفة أميل إلى أن تعتبر ( أنا ) في الإنسان من خداع الخيال . وهي تعدُّ الخلاص من هذا الغلِّ نجاةً ، وميلُ أهل الغرب إلى العمل ، ساقهم إلى ما يلائم طباعهم في هذا البحث . ويمضي إقبال في مقدمته قائلاً :

اختلطت في عقول الهنادك وقلوبهم ، النظريات والعمليات اختلاطاً عجيباً . ودقَّت حكماؤهم في حقيقة العمل ، وانتهوا إلى هذه النتيجة : إنَّ حياة ( أنا ) المسلسلة ، وهي أصل المصائب والآلام ، تنشأ من العمل ، وإنَّ حالة النفس الإنسانية نتيجةً محتومةً لأعمالها .

وكانت رسالة الإسلام في غربي آسيا دعوةً إلى العمل بليغةً ، فالإسلام يرى أن ( أنا ) مخلوقٌ ينال الخلودَ بالعمل ، ولكنَّ تشابهاً عجيباً في تاريخ الفكر الهندي والإسلامي يظهر في بحث هذه المسألة . فالفكر التي فسَّر بها شنكر

---

(١) مين بالأردية معناها : أنا .

أجاريه ، كتاب الجيتا ( كيتا ) هي الفكرة التي فسر بها القرآن محيي الدين بن عربي الأندلسي . وكان له أثرٌ بليغٌ في عقول المسلمين وقلوبهم . جعل ابن عربي بعلمه ومكانته مسألة وحدة الوجود عنصراً في الفكر الإسلامي . واقتفى أثره أوجد الدين الكرمانلي ، وفخر الدين العراقي ، حتى اصطبغ بهذه الصبغة كلُّ شعراء العجم في القرن السادس الهجري .

خاطبَ فلاسفةُ الهند العقل في إثبات وحدة الوجود . وخاطب شعراء إيران القلب ، فكانوا أشدَّ خطراً وأكثر تأثيراً ، حتى أشاعوا بدقائقهم الشعرية هذه المسألة بين العامة ، فسلبوا الأمة الإسلامية الرغبة في العمل .

وتمتاز أمة الغرب بين أمة العالم بميلها إلى العمل ، فأراؤهم خيرٌ دليل لأمة المشرق إلى فهم أسرار الحياة .

وبدأت الفلسفة الجديدة في الغرب من وحدة الوجود التي دعا إليها الفيلسوف الهولندي الإسرائيلي<sup>(١)</sup> ولكن مسحة العمل غلبت على طبائع الغرب . فلم يلبث طويلاً طلسم وحدة الوجود التي أثبتت بأدلة رياضية . سبق الألمان إلى إثبات حقيقة ( أنا ) الإنسانية المستقلة ، ثم تحرّر من هذا الطلسم الخيالي فلاسفة الغرب على مرّ الزمان ، ولا سيما فلاسفة الإنكليز .

ويختم إقبال بقوله :

هذه خلاصة تاريخ المسألة التي هي موضوع هذه المنظومة . وقد اجتهدت أن أحرّر هذه المسألة الدقيقة من تعقيد الأدلة الفلسفية ، وألوانها بألوان الخيال ؛ ليتيسر إدراك حقيقتها .

ولم أقصد بهذه الديباجة إلى تفسير هذه المنظومة . ولكن أردت أن أدلّ على الطريق من لم يُسلم من قبل بدقائق هذه المسألة العسيرة .

---

(١) يعني : اسبنوزا .

ولا ينبغي هنا أن أتناول هذه المنظومة من حيث الشعر ، وإنما خيال الشعر فيها وسيلةً إلى توجيه الناس إلى هذه الحقيقة :

إنَّ لذة الحياة مرتبطة باستقلال ( أنا ) وبإثباتها ، وإحكامها ، وتوسيعها . وهذه الدقيقة تمهد إلى فهم حقيقة « الحياة بعد الموت » .

وينبغي أن يعلم القراء أنَّ لفظ « خودي » لا يستعمل في هذه المنظومة بمعنى الأثرة ، كما تستعمل في اللغة الأردية غالباً ، إنما معناها الإحساس بالنفس ، أو تعيين الذات .

وهي بهذا المعنى في كلمة « بيخودي » كذلك .

## خلاصة مقال الشاعر

### إلى الأستاذ نكلسون

مذهب الأستاذ بريدلي أنَّ كلَّ مركزٍ للشعور محدودٌ ، أي : كلُّ ذاتٍ مفردةٍ خداعٌ نظريٌّ باطل . وأنا أقول ، على خلاف هذا : إنَّ مركز الشعور المحدود الذي لا يُدرك ( الذات ) هو حقيقة الكائنات . فالذات حقٌّ لا باطل .

الحياة كلُّها فردية ، وليس للحياة الكلية وجود خارجي . وحيثما تجلَّت الحياة تجلَّت في شخصٍ ، أو فردٍ ، أو شيءٍ . والخالقُ كذلك فردٌ ؛ ولكنه أوحدهً لا مثل له .

وظاهرٌ أنَّ هذا التصوُّر للكائنات يخالف كلَّ المخالفة ما ذهب إليه شراح فلسفة هيكل من محدثي الإنكليز ، ويخالف أصحاب وحدة الوجود الذين يرون أن مقصد حياة الإنسان ، أن يُفني نفسه في الحياة المطلقة أو ( أنا ) المطلق ، كما تفنى القطرة في البحر .

أرى أنَّ هدف الإنسان الدِّيني والأخلاقي إثباتُ ذاته لا نفيها ، وعلى قدر تحقيق انفراده أو وحدته يقرب من هذا الهدف .



قال الرسول ﷺ : « تخلقوا بأخلاق الله » فكلما شابه الإنسان هذه الذات الوحيدة كان هو كذلك فرداً بغير مثل .

وتنقص فرديته على قدر بعده من الخالق ، والإنسان الكامل هو الأقرب إلى الله ، ولكن ليس القصد من هذا القرب ، أن يُفني وجوده في وجود الله . كما تقول فلسفة الإشراق ، بل هو ، على عكس هذا ، يُمثل الخالق في نفسه .

الحياة رقيٌّ مستمر ، تسخر كل الصعاب التي تعترض طريقها ، وحققتها أن تخلق دائماً مطالباً ومُثلاً جديدةً ، وقد خلقت من أجل اتساعها وترقيها آلات كالحواس الخمس ، والقوة المدركة ؛ لتقهر بها العقبات والمشقات .

وأشدُّ العقبات في سبيل الحياة المادَّة أو الطبيعة ، ولكنَّ المادة ليست شراً كما يقول حكماء الإشراق ، بل هي تُعينُ الذات على الرقي ، فإنَّ قُوَى الذَّات الخفية تتجلَّى في مصادمة هذه العقبات .

وإذا قَهَرَت الذَّاتُ كلَّ الصعاب التي في طريقها بلغت منزلة الاختيار . الذاتُ نفسها فيها اختيار وجبر ، ولكنها إذا قاربت الذات المطلقة نالت الحرية الكاملة . والحياةُ جهادٌ لتحصيل الاختيار . ومقصدُ الذات أن تبلغ الاختيار بجهادها .

### دوام الذات أو الشخصية :

مركز حياة الإنسان ذات (خودي) أو شخص ، أعني : أنَّ الحياة حينما تتجلَّى في الإنسان تسمَّى ذاتاً .

وشخصية الإنسان من الوجهة النفسانية حالٌّ من التوتر ، ودوام الشخصية موقوفٌ على هذه الحال . فإن زالت هذه الحال عقبته حالٌّ من الاسترخاء مضرَّةٌ بالذات . فإن يكن في حالة التوتر هذه كمال الإنسان فأول فرضٍ عليه أن يعمل لدوام هذه الحال ، والحيلولة دون حال الاسترخاء .

وكلُّ ما يُمكننا من إدامة حال التوتر يمكِّننا من الخلود .

وهذا التصور للشخصية يقوم معياراً لقيَم الأشياء أعني : أن في ذاتنا معيار الحسن والقبح . وبهذه تُحلُّ مسألة الخير والشر ، فما يقوِّي الذات خير وما يُضعفها شر . ويجب أن يقوِّم الدين والأخلاق والفنون بهذا المعيار أيضاً .

واعتراضي على أفلاطون ، هو في أصله اعتراضٌ على كل النظم الفلسفية التي تقصد إلى الفناء ، لا البقاء ، والتي تُغفل المادة ، وهي أكبر العقبات في سبيل الحياة ، وتدعو إلى الفرار منها ، لا إلى تسخيرها ، والتسلط عليها .

وكما تعرِّض مسألة المادة في مبحث حرية الذات ، تعرض مسألة الزمان في مبحث خلودها .

يقول برجسون : إنَّ الزمان ليس خطأً ممتداً إلى غير نهايةٍ يتحمَّ علينا المرور به . هذا تصوُّر للزَّمان غيرٌ صحيح ، فالزمان الخالص لا يدخل فيه تصوُّر الطول ؛ أي : لا نستطيع قياسه بمقياس الليل والنهار .

إنَّ خلود الذات أملٌ ، من أراد أن يظفر به فليجدَّ ، ويدأب لبلوغه ، والظفرُ به موقوفٌ على أن نسلك طريقاً للفكر والعمل في هذه الحياة يعيننا على حفظ حالة التوتر ، ولا يستطيع إبلاغنا هذا الأمل دين بوذا ، والتصوُّف العجمي ، وما إلى هذين من نظم الأخلاق الأخرى . لقد أضرت بنا هذه الطرق ، فأضرعتنا وأنامتنا . إنَّ هذه المذاهب هي الليالي في أيام حياتنا .

### تربية الذات :

لا ريب أنَّ الذات تستحكم بالعشق . ومفهوم العشق هنا واسع جداً . ومعناه إرادة الجذب والتَّسخير . وأعلى أشكاله أن يخلُق مقاصده ويجدَّ في نيها . وخاصةً العشق أفراد العاشق والمعشوق ، أعني : إظهار الانفراد ، والاستقلال فيهما . وإذا جدَّ الطالب في طلب الأوحى الأسمى ظهر فيه التوحد ، ويتحقَّق ضمناً توحد المطلوب ؛ لأنه إن لم يكن واحداً مستقلاً بنفسه لم يسكن الطالب إليه . إنما يمكن عشقُ شخصٍ ، أو وجود معين . ولا

يمكن لشخص عشق كائن غير مشخص .

وكما تستحكم الذات بالعشق تضعف بالسؤال . وكل ما ينال بغير جهد يعدُّ سؤالاً ، فالذي يرث مال غيره سائل ، والذي يتبع أفكار غيره ، أو يدعيها لنفسه سائل .

والخلاصة : أنه ينبغي لأجل إحكام الذات أن نخلق في أنفسنا العشق ، ونتجنب كلَّ ضروب الاستجداء ( أي البطالة ) .

إنَّ في حياة الرسول ﷺ أسوةً حسنةً للمسلم ، فقد كانت حياته خيرَ مثلٍ للسعي الدائم . لقد كانت حياته كلها صورةً للعمل .

أشرتُ في فصول من هذا المثنوي إلى أصول فلسفة الأخلاق الإسلامية ، وبيَّنت أنَّ لكمال الذات ثلاث مراحل :

١ - إطاعة القانون الإلهي .

٢ - وضبط النفس .

٣ - والنيابة الإلهية .

والنيابة الإلهية في هذا الدنيا هي أعلى درجات الرقيِّ الإنسانيِّ . ونائب الحق ( الله ) خليفة الله في الأرض ، وهو أكمل ذات تطمح إليها الإنسانية ، وهو معراج الحياة الروحي .

وأول شرطٍ لظهور نائب الحق أن ترقى الإنسانية في جانبها الروحيِّ والجسميِّ ، فإنَّ ارتقاء الإنسانية يقتضي ظهور أُمَّةٍ مثاليةٍ يتجلَّى في أفرادها في الجملة هذا التوحدُ الدَّاتي ، وتصلح لأن يظهر فيها نائب الحق .

فمعنى سلطان الله في الأرض : أن تقوم فيها جماعةٌ شوريةٌ يتوحدُ أفرادها ، ويقوم على هذه الجماعة واحدٌ يمكن أن يسمى نائب الحق ، أو الإنسان الكامل ، وهذا الإنسان الكامل يبلغ ذروة الكمال ؛ التي لا تتصوَّر فوقها ذروة .

وقد رأى نتشة ( الفيلسوف الألماني المعروف ) ضرورةَ ظهور هذه الأمة

المثالية ، ولكن دهريته ، وإعجابه بالسلطان مسحاً فلسفته كلها « إه .  
هذه خلاصة رسالة إقبال إلى الأستاذ نكلسون . وحسبنا في إيضاح مذهبه  
ما قدّمنا من تلخيص رسائله ، ومقدمته لأسرار الذات ، ورسالته إلى نكلسون .

\*\*\*



## القسم الأول

### أسرار إثبات الذات

( أسرار خودي )

رأيتُ الشيخَ بالمصباحِ يسمي      له في كلِّ ناحيةٍ مجال  
يقول : ملكتُ أنعاماً وبههما      وإنساناً أريد ، فهل يُنال ؟  
برمتُ برُفقةٍ خارت قواها      برستُم أو بحيدرِ اندمال<sup>(١)</sup>  
فقلنا : ذا مُحالٌ . قد بحثنا      فقال : ومُنيتي هذا المحال  
( مولانا جلال الدين الرومي )

---

(١) حيدر : عليُّ بن أبي طالب ، ورستم : من أبطال الفرس .



## تمهيد

« ليس في أعواد غابي سَقَطٌ هي للمنبر أو أعواد صَلْب »<sup>(١)</sup>

نظيري النيسابوري

قطع الصبحُ على الليل السفر  
غسلَ الدمعُ سُبَاتَ التَّرْجِسِ  
جَرَّبَ الزَّرَّاعُ قولي مُحصداً  
إنَّه حَبَّ دموعي زرعاً  
ذَرَّةٌ قد نالت الشمسَ أنا  
طيتني من جَامِ جَمِّ أنورٍ  
صَيَّدُ أفكاري طِبَاءَ لم تُرَمِ  
زَانَ بُسْتَانِي عشبٌ ما ظَهَرَ  
محفلُ الشادين مني يَرْجُفُ  
صَامِتٌ في ربابِ الفِطْرَةِ  
إنني شمسٌ قريبٌ مولدي

(١) نيت درخشك وتريشه من کوتاهي جوب هرتخل كه منبر شوه داركم

(٢) جام جم أي : كأس جمشيد . وفي أساطير الفرس أنَّ الملك جمشيد كان عنده كأس يرى فيها الأقاليم السبعة . وفي هذا البيت وما بعده يقول الشاعر : إنه يرى الغائب ، ويدرك ما لم يخلق .

(٣) جنى الورد الذي لم يظهر من شجره : علم أنه سيظهر دون ريب ، وأنه سيجنيه ، فكأنه قد جناه .



لم يَرُغْ ضَوْئِي سِرْبَ الزُّهْرِ  
 ما رأت رقصَ ضيائي الأبحرُ  
 عينُ هذا الكونِ لي لا تعهد  
 مَرَّقَ الظلمةَ فجرى فسَفَزَ  
 إنني أرقب صباحاً مُعلماً  
 أو يُرَجِرْجُ زُبْقِي فِي البَصْرِ<sup>(١)</sup>  
 أو كسا الأطوادَ ثوبي الأحمر  
 أنا من خوفِ طلوعِ أزعُدُ  
 وبدا طَلُّ جديداً في الزَّهَرِ  
 حبَّذا من حولِ ناري زمزما<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

أنا لَخُنُّ دونَ ضَرْبِ صَعَدَا  
 دونَ عصري كُلُّ سرِّ قد خَفِي  
 أنا في يأسٍ من الصَّخبِ القديمِ  
 بحرٌ صَحْبِي قطرةٌ لا تَزْخُرُ  
 مِن وجودٍ غيرِ هذا لي غَناءِ  
 كم تجلَّى شاعرٌ بعدَ الحِمَامِ  
 وجههُ من ظلمةِ الموتِ سَفَرِ  
 أنا صوتُ شاعري يأتي غدا<sup>(٣)</sup>  
 ما بهذي السوقِ يُشْرِى يوسُفِي<sup>(٤)</sup>  
 مُشعلُ طُوري ليغشاهِ كَلِيمِ<sup>(٥)</sup>  
 قطرتي كاليمِّ فيه صَرَصَرُ  
 ولركبٍ غيرِ هذا لي حُداءِ  
 يوقظُ الأعينَ حيناً وينام  
 ونما من قبره مثلَ الزُّهَرِ<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

كم بهذا السَّهْبِ مَرَّتْ قافلَةٌ  
 مثلَ سَيْرِ الثُّوقِ رهواً سابلَةٌ

- (١) لم يغش ضوئي النجوم ، ولم يضطرب شعاعي في الأعين اضطراب الزئبق .  
 (٢) حبذا من صلي بناري وزمزم حولهما كالمجوس .  
 (٣) هو صوت شاعر الغد ، ليس صوتاً للزمن الحاضر .  
 (٤) أفكاري لا يفهمها هذا العصر ، إنها جميلة جمال يوسف ، ولكن ليس في هذه السوق من يشتريها .  
 (٥) يائس ممن عرف من الناس ، وهو يرجو أن يأتي إليه كليم يفقه عنه ، كما ذهب موسى الكليم إلى الطور .  
 (٦) قال : إنه شاعر المستقبل لا الحاضر فقال : كثير من الشعراء لم يُعرف قدرهم إلا بعد الموت .

غير أنني عاشقٌ ، ديني التواخ  
أنا لحنٌ كلٌ عنه الوترُ  
أبعد القطرة عن سيلٍ طما  
لا تعي موجي هذي الأنهرُ  
ليس أهلاً لسحابي زهرةُ  
كم بُروقي نائماتٍ في الجنانُ  
إن تكن صحراء فاطلب لجّتي  
قد حُيئتُ الوردَ من عين الحياة  
أشعل الذرةً لحنسي الشائِرُ  
مانثا ذا السرِّ غيري في البشرُ  
أقبلن إن تبغ عيشَ الخالدينُ  
أفستِ الأفلاك لي السرِّ القديمُ  
أيها الساقى ! من الراح اسقني  
شعلة الماء التي من زمزم  
مقلّة المُبصر منها أبصرُ  
تجعلُ الريشة طوداً قاهرا  
هي تسمو للثرياً بالثري  
تجعلُ الصّمت ضجيجَ المحشرِ  
املاً الكأس بصفو نيرِ

ثورة المحشر في هذا الصياخ  
لا أبالي أن عودي يُكسر<sup>(١)</sup>  
وانظرنَّ اليَمَّ منه التظما  
لا تعي لجّبي إلا أبحرُ  
ليس فيها لنموً روضة<sup>(٢)</sup>  
ضاقت البيدُ لديها والقنان<sup>(٣)</sup>  
أو تكن سيناء فاقبس شعّتي  
ووهبتُ السرَّ من عين الحياة<sup>(٤)</sup>  
رفرفتُ فهي يراعُ طائر  
لم يُثقب ناظمٌ مثلي الدّر  
أقبلن إن تبغ مُلك العالمينُ  
كيف يُخفى السرُّ من دون النديم؟  
وأس في قلبي جراح الزّمن  
قيصرٌ يعنو لها كالخدم  
وشعابُ الفكر منها أنور  
وتُري الثعلب ليثاً زائرا  
وتعي القطرة منها أبحرا  
تجعل الدّراج حتف الأضقر  
نورِ الفكر بنور القمرِ

(١) هو لحن لا يطيقه وتر . وهو لا يبالي أن يقطع أوتاره في إظهار هذا اللحن . لا يبالي أن يموت في الإعراب عن هذا الوجد .

(٢) الزهرة التي لا تنمو حتى تصير روضة ليست أهلاً لمطره .

(٣) جمع قنة ، وهي قمة الجبل .

(٤) العين الأولى عين الماء ، والثانية عين الشيء أي نفسه ، وكلمة الحياة رديف .

باعثاً شوقَ الشرى في المُقل  
ساعياً إثرَ جديدِ العَمَلِ  
وأرى لحناً بأذنِ العالمين  
مازجاً فيه غزيرَ الأدْمَعِ  
كُتُباً تُضْمِرُ أسرارَ العلوم<sup>(١)</sup>  
وأنا في نفسٍ منه شَرَزُ  
وغزتُ جامي الحُمَيَّا فالتهب<sup>(٢)</sup>  
منْ غُباري شاد كَوناً آخرا  
لتنال الشَّمسُ في عليائها  
لأصيب الدُّرُ فيه نِيرا  
وحياةً نلتُ من أنفاسه

لأقود الرِّكَبَ شطرَ المنزل  
رائياً وجهَ جديدِ الأمل  
فأرى إنسانَ عَيْنِ العارفين  
مُعلِياً قَدَرَ الكلامِ المُبدَعِ  
قارئاً من فيضِ ذا الشيخِ العظيم  
قلبه من شعلةِ الوجودِ استعز  
قد رمى الشَّمْعُ فَراشي باللهبِ  
صَيَّرَ الروميُّ طيني جوهرا  
ذرةً تصعدُ من صحرائها  
إنني في لُجَّةِ موجٍ جرى  
قد عرنتي نشوةً من كأسه

\*\*\*

ليلة رانت على قلبي الشُّجون      وسرت « ياربُّ » في الليل الشُّكون<sup>(٣)</sup>

(١) الشيخ العظيم : هو جلال الدين الرومي أكبر وأشهرُ شعراء التصوف عند الفرس . ولد بمدينة بلخ عام ٦٠٤هـ لأبٍ من العلماء والفضلاء ، رحل به وهو صبي إلى بلاد الأناضول التي كانت تابعة من قبل للروم ، واستقرَّ في مدينة قونية . ولذلك عرف جلال الدين بالرومي ، كما عرفت بلاد الترك ببلاد الروم لعين السبب . ولقد تلقى العلم أول ما تلقى على أبيه ، ثم عَقَدَ الأسباب بينه وبين العلماء والمتصوفة ، وتصدَّرَ اللوعظ والإرشاد ، ثم مال إلى التصوف ، وأصبح من شيوخه والتف حوله من المريدين خلقٌ كثير . وله كتابٌ منظومٌ يسمى المثنوي يتضمَّنُ حكايات لها مغزى صوفي ، وآيات قرآنية ، وأحاديث نبوية يفسرها ، ويؤولها ، ولكن لا على ظاهرها . ولا يداني المثنوي كتابٌ آخر في شهرته ، ونفاسته عند الصوفية . وكانت وفاة جلال الدين الرومي عام ٦٧٢هـ .

(٢) الفراش والشمع مثل للمحب والحبيب . فالفراش يقدم على النار ، فيحرق نفسه غير مبالٍ ، ولكن الشمع هو الذي غزا فراشه .

(٣) سرت مني دعوة يارب في الليل .

من صروفِ الدَّهرِ شاكٍ صائِحُ  
هِيضَ سِفْطاهِ وللنَّومِ هوى<sup>(١)</sup>

من فراغِ الكأسِ قلبي نائِحُ  
أرهقَ التسيارُ فكري فئوى

\*\*\*

من حكى قرأنا بالفهلوي<sup>(٢)</sup>  
من شرابِ العِشْقِ فاجرع كلَّ حين  
وأئز في القلبِ هَوْلُ المحشرِ  
واملاً العينَ دموعاً من دمَاءِ  
انثُرُنْ كالوردِ ريحاً تَفْعَمُ<sup>(٣)</sup>  
نوحك الصامتَ في كلِّ نَفْسِ  
بلهيبِ منكِ أذكِ الآخرين<sup>(٤)</sup>  
كن مُداماً واتخذِ ثوبَ الرُّجَاجِ<sup>(٥)</sup>  
واصدعنْ جهراً وأعلنْ ما استتر<sup>(٦)</sup>  
حدثنْ قيساً عن الحيِّ انتأى<sup>(٧)</sup>  
ومن الآهاتِ في الحفلِ انفثِ

لاخَ شيخِ الحقِّ ذاكِ الألمعي  
قال : يا ولهان بين العاشقين !  
شُتِّقَ في العينِ حِجابَ البصرِ  
واجعلنِ الضُّحكِ ينبوعَ البكاءِ  
أنتِ كالِكِمْ صموتُ أبكُم  
صعدنُ من كلِّ عضوٍ ، كالجرسِ  
أنتِ نازٌ فأضئِ للعالمينِ  
سرَّ شيخِ الحانِ أعلنْ في قِياحِ  
وكنِ الفِهْرَ لمرآةِ الفِكرِ  
حدثنْ كالنَّايِ عن غابِ نأى  
جددُ النَّوحِ بلحنِ محدثِ

(١) السقطان : الجناحان .

(٢) يقال عن كتاب المثنوي لجلال الدين الرومي : إنه القرآن في اللسان الفهلوي ، أي :  
الفارسي .

(٣) كم الزهر منقبض يخفى لونه وريحه ، فإذا انفتح نشر ريحه واستبان شكله . فعمت  
الرائحة : ملأت الأنف .

(٤) أذكى النار : أشعلها .

(٥) اتخذ ثوب الرجاج : أظهر ما في باطنك ، كما تظهر الزجاجة ما فيها .

(٦) الفهر : الحجر الصغير ، يعني : اكسر مرآة الفكر ، ولا تعول على ما تبديه ، وأبد ما  
للعشق في قلبك .

(٧) الناي مأخوذ من الغاب وصوته عند شعراء الصوفية حنين إلى غابه . وقد بدأ جلال  
الدين كتاب المثنوي بقصة الناي والغاب .

وزد الحيَّ حياةً من « قَم »<sup>(١)</sup>  
وانفٍ عن قلبك ما قد سَلَفَا  
واعرف اللذة في هذا النَّغَمِ

كلَّ حيٍّ فيه رُوحاً أخكم  
وهلمَّ اسلُك طريقاً أنفَا  
جرسَ الرُّكْب ! تنبّه لا تنم

\*\*\*

صِرْتُ كالنَّاي ، هَياجاً أضمِر  
شِدْتُ من حسن بياني إرماً<sup>(٢)</sup>  
فبدا الإعجاز من أمرٍ خودي<sup>(٣)</sup>  
كان سِقْطاً مُهملاً في الهَمَل  
كيفَ هذا الكون والكمَّ جَلاً<sup>(٤)</sup>  
وبعرق البذرِ دَوْرَاتِ الدَّمِ<sup>(٥)</sup>  
فبدا سرُّ حياة الأمم  
فتجلَّى سرُّ تقويم الحياه  
في طريق المَلَّة البيضاء غُبار<sup>(٦)</sup>  
لحنُها في القلب ناراً أشعلاً  
ألفَ روميٍّ وعطَّارِ جنت<sup>(٧)</sup>  
عِترتي النارُ ، وإن كنتُ الدُّخان<sup>(٨)</sup>

صِرْتُ ناراً في ثيابي تُسَعِر  
ثُرْتُ من أوتار نفسي نغما  
فرفعتُ السُّر عن سرِّ خودي  
كان كوني صورة لم تكمل  
مِبْرَدُ العشق براني رجلاً  
فرأت عيناى نبض الأنجم  
وبكىتُ النَّاسَ جنحَ الظُّلَمِ  
مَصْنَعُ الكون أراني ما حواه  
أنا - من في ظلمة اللّيل أنار -  
صوتُها في الشرق والغرب علا  
ذرَّةً أَلقت وشمساً حصدت  
آهتي الحَرَى سمّت فوق العَنان

- (١) قم : فعل أمر . يعني أحي الناس بقولك قم . والكلمة بلفظها العربي في الأصل .  
(٢) إشارة إلى ما يقال في وصف إرم ذات العماد .  
(٣) أبقيت كلمة خودي في الشطرين كما جاءت في الأصل . ومعناها : الذاتي . وهي أساس فلسفة إقبال .  
(٤) جلاني العشق كيف هذا الكون وكمه حين سلط على مبرده فسوّاني رجلاً .  
(٥) رأى نبض النجوم وسير الدَّم في عروق القمر ؛ أي : أدرك أسرار الكائنات .  
(٦) المَلَّة البيضاء : الأُمَّة الإسلامية ، أي : هو غبار من سيرها في الطريق .  
(٧) فريد الدين العطار وجلال الدين الرومي من كبار شعراء الصوفية .  
(٨) يعني : أن أصله من هذه الأمة ؛ فإن يكن دخاناً ، فهو من هذه النار .

قلمي في مسرح الفكر علا فجلا الأسرارَ في السَّبْعِ العُلَى

\*\*\*

ما قصدت الشعر في هذا النِّعَم  
أنا هنديُّ شآني الفارسيُّ  
لا تؤمِّل عندنا حسن البيان  
ذاكمُ الهنديُّ يحكي السِّكِّرا  
سحرَ الفِكرَ تجلِّيهِ وراغ  
قد علا فكري وهذا الفارسيُّ  
أُيُّها العائبُ كأسَ الخندريس  
نحتَ أصنامٍ وتعظيمَ صنمٍ<sup>(١)</sup>  
وهلالٌ أنا ذو جامِ خليّ<sup>(٢)</sup>  
لحنَ خَنَسارٍ به أو أصفهان<sup>(٣)</sup>  
لكن الدَّرِّيُّ أحلى مخبِرا<sup>(٤)</sup>  
فإذا لي شجرُ الطورِ يراع<sup>(٥)</sup>  
لاءمِ الفطرةَ في فكري العليّ  
انظرنُ يا صاح ما تحوي الكؤوس<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

## في بيان أنَّ نظام العالم من الذَّاتية ، وأنَّ تسلسل حياة أعيان الكون لا يكون إلا باستحكامها

هيكُلُ الأكوانِ من آثارها  
نفسها قد أيقظت حتى انجلى  
ألفُ كونٍ مختلفٍ في ذاتها  
كُلُّ ما تبصر ، من أسرارها  
عالمُ الأفكارِ ما بين الملا  
غيرها يثبتُ من إثباتها

- (١) ما قصدت ما يفعله الشعراء من نحت الأصنام وعبادتها ، أي : المدح والخنوع للكبراء ، أو للأراء السائدة .
- (٢) هو هندي يغلبه اللسان الفارسي . وهو كالهلال كأسه لم تملأ أي لم يتمَّ نوره .
- (٣) خوانسار وأصفهان أخرجتا شعراء وألحانا كثيرة .
- (٤) الهندي اللغة الأردنية التي نظم بها إقبال بعض دواوينه ، والدري اللغة الفارسية .
- (٥) يعني صار قلمه من شجرة الطور المقدسة التي رأى موسى عندها النار .
- (٦) ناسبت الفارسية أفكاره فكتب بها ، وينبغي أن ينظر إلى معانيه لا إلى ألفاظه الفارسية المعيبة .

جعلت بَزر خصامٍ بزرَها  
 خلقت أضدادها من نفسها  
 تتلي في نفسها قوَّتَها  
 خُدغ من وَهمها عينُ الحياة  
 تُخربُ البستانَ أجلَ الوردِ  
 لفلِكِ واحدِ ألفِ هلال  
 عذرها في سَرفِ أو قسوةِ  
 حُسنُ شيرينَ لفرهادَ مَحَنُ  
 في فراشِ حرقه كالمتعل  
 ألفَ يومِ سَطَّرتَه يَدُها  
 ألفُ إبراهيمَ في النارِ اغتدى

\*\*\*

هُمُّها الأعمالُ فهيَ الفاعلُ  
 وهِيَ العَلَّةُ وهِيَ القابلُ  
 ثورةٌ فيها وإجفالٌ ، ونور  
 واحتراقٌ واختفاءٌ وظهور<sup>(٥)</sup>

(١) خلاصة الأبيات المتقدمة : أنَّ الذاتية ، وهي واحدة ، اتخذت في الكون مظاهر مختلفةً يحارب بعضها بعضاً ، والحياة في هذا الخصام ، وهذا التنازع بين مظاهر الكون .

(٢) في الأبيات الثلاثة المتقدمة يشير الشاعر إلى أنَّ الخلقة لها مقصدٌ ، تهدم من أجله آلاف الأشكال ، ولا تبلغ الكمال إلا بهذا الهدم .

(٣) عشق فرهاد شيرين قصةٌ رائعةٌ في الأدب الفارسيِّ . . والختن : بلادٌ معروفة بطيب المسك .

(٤) يعني إبراهيم الخليل وأحمد النبي عليهما الصلوات والسلام .

(٥) عمل الذاتية في الطين منه ازدهار العالم ، والليل نومها والنهار يقظتها ، والأجزاء في الكون شرر شعلتها الواحدة ، تنشق فتكون الأجزاء ، وتنبسط فتكون الصحراء ثم ينضم بعضها إلى بعض فتكون جبلاً .

والسَّماءُ النَّقْعُ يعلو سُبُلها  
 نومُها الليلُ ، وفي الصَّحوِ النهارُ  
 فرأى الأجزاء عقلُ المُفكرِ  
 تُنشئُ الصَّحراءَ إمَّا تنتشر  
 فاحزألت فبدت شمُّ الجبالِ  
 وهي في الذَّرَاتِ باسٌ وضياءُ  
 عملُ اليومِ لآتيها عللُ  
 فعلى قدرِ القُوى قدرُ الحياهِ  
 فإذا القطرة يوماً دَرَّةً  
 ومن الكأسِ استعارت شكلها<sup>(١)</sup>  
 فغدا صحراءَ تغشاها البحارُ<sup>(٢)</sup>

سعةُ الأيامِ ميدانٌ لها  
 يدها في الطَّينِ ، للكونِ ازدهازُ  
 قسَّمتْ شعلتها في شَرَرِ  
 تخلقُ الأجزاء إمَّا تنفطر  
 ثم صارت بانتشارٍ في ملالِ  
 شيمَةُ الذَّاتِ التجلِّي لا الخفاءِ  
 قوَّةُ صامتةٍ حلفُ عمَلِ  
 قوَّةُ الذَّاتِ من الكونِ البوابةِ  
 كَلِمَةُ الذَّاتِ تعيها قطرةُ  
 خارتِ الخمرُ فلا شكلٌ لها  
 وسها طوودٌ عن النَّفسِ فحار

\*\*\*

تخفقُ العَيْنُ بشوقِ الجَلوةِ  
 شقٌّ صَدَرَ المِرجِ حتى يَظْهَرا  
 ومن الذَّرَاتِ يُعلي رأسه  
 فتراه دمعَ عَيْنِ هملا<sup>(٣)</sup>

يُعَقِّدُ الثُّورِ لخلقِ المقلَّةِ  
 وإذا العشبِ نماءً أضمرا  
 يجمعُ الشَّمْعُ بعزمِ نفسِه  
 ويُذيبُ النَّفسِ إمَّا عَفَلا

\*\*\*

في طوافِ حولها لا مستقر  
 فلها عينِ ذُكاءٍ تسخر

شدَّتِ الأرضُ قواها فالقمر  
 وكيانُ الشَّمْسِ منها أكبرُ

(١) قطرة الماء استكملت ذاتها فصارت دَرَّةً ، والخمر ضعفت ذاتها فهي مائة تستعير قوامها من الكأس .

(٢) حذف بيتٌ قبل هذا البيت وآخر بعده اختصاراً .

(٣) حذف بيتان بعد هذا البيت اختصاراً .



وعلا الحورُ فهالَ الناظرا  
وارتدى كسوة نارٍ حاميه  
إنَّ ذاتاً جمعتُ أسرَ الحياه  
من غديرٍ أزخرت بحرَ الحياه<sup>(٢)</sup>  
وعلا الطودَ أبيضاً قاهرا  
أصلهُ حَبَّة نبت آبيه<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## في بيان أن حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها

إنَّما يُبقي الحياة المقصدُ  
سرُّ عيشٍ في طلابٍ مُضمَر  
أحي في قلبك هذا الأمل  
يخفيُّ القلب به بين الصدور  
يهبُ التربَ جناحاً يصعد  
إنما يحيا الفؤادُ الأملُ  
فإذا عي بتخليق المُنَى  
أملُ الذاتٍ لهيبٌ يستعز  
وهو المقصودُ حبل الأمل  
ومماتُ الحيِّ فقدان الرجاء  
جَرسٌ في ركبها ما تقصد<sup>(٣)</sup>  
أصلُّه في أملٍ مستترُ  
لا يحلُ طينُك قبراً مُهملاً  
هو في صدرك مرآة تُنير  
ولموسى العقلِ خضراً يُرشِد<sup>(٤)</sup>  
وإذا حيَّ يموت الباطلُ  
هيضُ سِقْطاه وأودى وهنا  
أو هو الموج الذي لا يستقرُ  
إنَّه خيِّط كتابِ العمل<sup>(٥)</sup>  
يُطفىءُ الشعلةَ فقدانُ الهوا

\*\*\*

- 
- (١) هذا مثل شعري آخر من قوة الذاتية شجر الجنار ، تقوى ذاته ، فيعلو ، وتكسوه حمرةً كأنها النار . وكل هذا لأن حبه قوية محتفظة بذاتها .
- (٢) الخلاصة أن الذات التي تجمع قوة الحياة تخرج بحراً زاخراً من غدير صغير .
- (٣) المقصد مثل جرس القافلة ينبهها للسير .
- (٤) هو من العقل كالخضير من موسى يهديه ويبين له الحقائق . في بيان : أن حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها .
- (٥) الوهق : حبل فيه أنشودة تمسك به الخيل المسبية ، ويصاد به . وخيِّط الكتاب :
- الخيِّط الذي تجمع به أوراقه بعضها إلى بعض .

لذة الرؤية فينا صوّرت<sup>(١)</sup>  
من منى التغريد خلق البلبل  
أطلق النعمة من أوصابه  
وترى الإعجاز فيه والقوى  
فكذلك العقل منه يُنسل<sup>(٢)</sup>

كيف فينا أعينٌ قد ظهرت ؟  
من منى التخطارِ رجلُ الحجل  
حَيَّ نايٍ قد نأى عن غابه  
ذلك العقل الذي الكون طوى  
إنما أصل الحياة الأملُ

\*\*\*

ما ترى التجديدَ في علمٍ وفنٍّ؟<sup>(٣)</sup>  
بَرِحَ القلبَ فغشَّته صُور  
كلُّ عضوٍ فيه للعيش التماس  
كلُّ حسٍّ وشعورٍ وادِّكاز  
حين تَمضي في وِغاهَا صامده  
ليس قَصْدُ المِرجِ ألوانَ الزهر  
إنَّه للذَّاتِ تقويمُ النجاة  
للحياة العلمُ والفنُّ حَشم

ما نظامٌ في شعوبٍ ، وسُنن ؟  
أملٌ من قوة فيه ظَهَرَ  
كلُّ ما نملكُ من هذي الحواس  
كلُّ فكرٍ وخيالٍ واعتبار  
هي آلات الحياة الجاهدة  
ليس قَصْدُ العلمِ والفنِّ الفِكر  
إنَّما العلمُ وقاءٌ للحياة  
للحياة العلمُ والفنُّ خَدم

\*\*\*

وامضِ نشوانَ بخمر المقصدِ  
محرقٍ كلَّ « سِوى » في ناره  
ياخذُ القلبَ بحُسنٍ وبهاء

جاهلاً سرَّ الحياة ! اجتهدِ  
مقصدٍ كالصُّبحِ في أنواره  
مقصدٍ يجتاز آفاق السَّماء

(١) في هذا البيت وما بعده يضرب أمثلة لعمل الأمل في العالم . فيقول : إنَّ العين خلقت حينما قصد الإنسان الرؤية ، ورجل الحجلة خلقت من أجل السير والتبختر ، وخلق البلبل من أجل التغريد .

(٢) العقل كذلك من مواليد الأمل .

(٣) كلُّ نظام في الناس وسُنن وعلم وفنٍّ آمالٌ انبعثت من القلب بقوتها فتصوّرت صوراً شتى .

ثورةٌ فيه وفيه محشورٌ      وعلى الباطل حرباً يُسعر  
نحنُ أحياءٌ بخلق الأمل      نحنُ في نورٍ بهذي الشعل

\*\*\*

## في بيان أن الذات تستحكم بالمحبة والعشق

نُقَطُّ النُّورَ التي تُدعى الذوات      شرر في طيننا للحَيَاثِ  
مُشَعَّلٌ بالحَبِّ منها الجوهرُ      يتجلَّى من قواها المضمَرُ  
قطرةٌ بالعشق تُوعِي ضرماً      وهي بالعشق تُنير العالماً<sup>(١)</sup>  
لا يهاب العشقُ في السيف المضاء      ليس من ماءٍ وترِبٍ وهواءٍ  
هو في العالم صلحٌ وخصامٌ      للحياة الماء من هذا الحُسامِ  
نظرةُ العشق بها شقُّ الصُّخور      هو عشقُ الحقِّ ، والحقُّ يصير  
فابغ في طينك هذي الكيمياء      اقبِسْ من كاملِ هذا الضياءِ<sup>(٢)</sup>  
امض كالروميِّ شمعاً يشتعل      وارم من تبريز في الروم الشُّعلِ<sup>(٣)</sup>  
إنَّ في قلبك معشوقاً ثوى      أقبلنْ أنبثك عن هذا الجوى  
عاشقوه قد شأوا كلَّ جميل      حُبُّهم في كلِّ قلبٍ لا يحولُ  
عشقُه في القلب نورٌ أسفرا      للثريا يرتقي منه الثرى<sup>(٤)</sup>  
تُربُّ نجدٍ منه قد خفَّ وضاء      طار وجداً مُصعداً نحو السَّماءِ  
مُهْجَةٌ المسلم مَثوى المصطفى      عِرَّةُ المسلم ذكرى المصطفى  
موجةٌ من نَقعه الطورُ الأشم      داره ، للكعبة العظمى حَرَمُ

(١) ترعي : تجمع وتدخر .

(٢) حذف بيت قبل هذا اختصاراً والكامل هنا الإنسان المرشد الذي يهدي المبتدئ .

(٣) إشارة إلى جلال الدين الرومي وشيخه شمس التبريزي الذي نقله من العلم إلى العشق ،

والروم هنا أرض الروم ، وهي آسيا الصغرى .

(٤) المعشوق المذكور في هذه الأبيات هو الرسول .

مستمداً من مداه الأمد  
 وعلت تيجان كسرى أمته  
 أمة منها وحكماً مشرقاً  
 فجبا الأمة ملكاً خالداً  
 عينه في الذكر بالدمع تجود  
 حين يدعو الحق بالنصر المبين  
 ومن الماضين ملكاً بدداً  
 عقيمت عن مثله أم السنين  
 هو والعبد سواء في الطعام<sup>(١)</sup>

ضاق عن أن حواه الأبد  
 آثرت سحق حصير عفته  
 خلوات في جراء خلقت  
 كم ليالٍ قد قضاها ساهداً  
 سيفه في الحرب قطاع الحديد  
 سيفه « أمين » تمحو الظالمين  
 سنناً في كوننا قد جدداً  
 فتح الدنيا له مفتاح دين  
 استوى مولى لديه و غلام

\*\*\*

من علا طياً بجدواه وساذاً<sup>(٢)</sup>  
 مطرق في ذلّه الطرف الكسير  
 إذ رأى وجهاً ورأساً حاسراً  
 ليس يكسونا لدى الأقوام شي  
 وهو في الحشر إلينا ناظر  
 لصديقي وعدو رأفة  
 قال : « لا تثريب » وهو القادر<sup>(٣)</sup>  
 نحن من عينين نور لا وراء<sup>(٤)</sup>

أسرث في غزوة بنت الجواد  
 رجلها في القيد والرأس حسيز  
 بردة ألقى عليها ساترا  
 نحن أعرى في الورى من أخت طي  
 هو في الدنيا علينا سائر  
 لطفه والقهر كل رحمة  
 ويوم الفتح هذا الغافر  
 إننا من قيد أوطان براء

(١) إشارة إلى ما جاء في الأثر مثل : أنا عبد أكل أكلة العبد ، وأجلس جلسة العبد .

(٢) إشارة إلى قصة بنت حاتم الطائي حين جيء بها إلى المدينة في الأسرى فألقى عليها الرسول بردة وأطلقها .

(٣) إشارة إلى عفو الرسول يوم فتح مكة عن قريش وقوله : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم .

(٤) يعني : إننا كالبصر يصدر من عينين . هو واحد وإن اختلف مصدره .

نحن في مغربنا والمشرق  
أسكرتنا عينُ ساقٍ في البطاح  
قد محا الأنسابَ طُراً ذا العظيم  
نحن زهراً وشذانا ائتلفا  
نحن كنا سره في قلبه  
كالتدى في وجه صبحٍ مُشرقٍ  
كزجاجٍ نحن في الدنيا ، وراح<sup>(١)</sup>  
ناره قد أحرقت هذا الهشيم  
ضمنا منه نظاماً ألفاً  
فأذاعت صيحة الحق به

\*\*\*

عشقه نارَ بعودي الصامتِ  
ما حديثي عن ولاءٍ واشتياقٍ ؟  
صورتني قد أوضحت مرأته  
ثورة الحشر بليلى النائمِ  
إنني البستانُ في آذاره  
قد غرستُ العين في حقلِ الودادِ  
قد شأى الدارين من يثرب طيب  
أنا للجامي في الشعر فداء  
قال بيتاً بالمعاني يفهق  
« هو عنوان كتاب العالمين »  
ألفُ لحنٍ في فؤادي السّاكتِ  
قد بكى جذعٌ مواتٌ للفراق<sup>(٢)</sup>  
أنا صبحٌ أطلعت آياته  
وهدوئي في اضطرابٍ دائمِ  
في عروقي الماء من أمطاره<sup>(٣)</sup>  
من سراحِ العين لي هذا الحصاد<sup>(٤)</sup>  
حبّذا دارٌ بها مشوى الحبيب !  
نظمه والنثر من جهلي دواء<sup>(٥)</sup>  
فيه دُرٌّ من مديحٍ يبرقُ :  
سيد الكونين ، مولى الثقلين «

(١) نحن ممتزجون كما يمتزج الراح والزجاج .

فكأنما خمراً ولا قدح وكأنما قدح ولا خمراً

(٢) إشارة إلى قصة حنين الجذع الذي كان يخطب عنده الرسول حين انتقل عنه إلى مكان آخر .

(٣) هو بستان ناضر من مطر آذاره . والضمير للرسول ﷺ .

(٤) جمع ما جمع من المعاني من تسريح عينه في مآثر الرسول .

(٥) الشيخ عبد الرحمن الجامي من كبار العلماء والشعراء والصوفية في القرن التاسع الهجري .

كم يُريك العشق من صهبائه  
 أحكم العشق بتقليد الحبيب  
 في حراء القلب فاقعد خاليا  
 اقوين بالحق ثم ارجع إليك  
 قوين بالعشق في سلطانه  
 تظفرن بالقرب يا ذا السائل !

فترى التقليد من أسمائه<sup>(١)</sup>  
 لتنال القرب من رب مجيب  
 وإلى الحق فهاجز راضيا  
 واحطمن اللات والعزى لديك<sup>(٢)</sup>  
 وابتغ الجلوة في فارانه<sup>(٣)</sup>  
 وتكن تفسير « إني جاعل<sup>(٤)</sup> »

\*\*\*

### في بيان أن الذات تضعف بالسؤال

أيها الجابي من الأسد الخراج !  
 ذلك الإعواز أصل العلل  
 سالب الرفعة من فكر ريفغ  
 من كنوز الدهر أخرج ما تريد  
 وعن الرّحل ترجّل كعمر  
 صاح ! حتام اجتداء المنصب !  
 تجد الإفلاس بالسؤال أذلّ

صرت كالتعلب خبأ باحتياج  
 كلّ آلامك من ذا المعضل  
 مطفىء الشمع من الذهن البديع  
 وخذ الصهباء من دنّ الوجود  
 احذرن من منّة الناس ، الحذر<sup>(٥)</sup>  
 فيم كالطفل ركوب القصب<sup>(٦)</sup>  
 وترى السائل أحزى وأقلّ

(١) للعشق أشكال مختلفة منها التقليد أحيانا . وهو يدعو هنا إلى تقليد الرسول .

(٢) هاجر إلى الحق لتقوى ؛ ثم ارجع إلى نفسك فاحطم ما بها من أهواء .

(٣) فاران : اسم مكة أو جبالها .

(٤) إشارة إلى الآية : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [ البقرة : ٣٠ ] أي : لتكون خليفة الله في الأرض .

(٥) إشارة إلى قصة عمر حين سقطت درته من يده وهو راكب فنزل ليأخذها ولم يرض أن يناوله إيّاها أحد .

(٦) ركوب عود من القصب أو الجريد كما يفعل الأطفال .

فَرَّقَ الذَّاتَ سَوْأَلًا وَاجْتِدَاءً  
 إِنْ يَكُنْ فِي الرِّزْقِ وَالْجَدِّ عَنَاءً  
 لَا تَرُمُ فِي الْأَرْضِ رِزْقًا بِالْبُكَاءِ  
 أَحْذَرُ الْخِزْيِ أَمَامَ الْمُصْطَفَى  
 مِنْ سَمَاطِ الشَّمْسِ يَقْتَاتِ الْقَمْرُ  
 جَاهِدِ الْأَيَّامَ وَاللَّهُ اسْتَعْنُ  
 عَلَّمَ النَّاسَ الصَّدُوقُ الصَّائِبُ  
 وَيَحِ مَنْ يَحْمَلُ ذَلَّ النُّعْمَةَ  
 أَرَهَقَ النَّفْسَ بِوَقْرِ الذَّلَّةِ  
 مَرْحَبًا بِالظَّامِيءِ الضَّحِيانِ لَا  
 بِسَوْأَلِ النَّاسِ لَمْ يُنْدِ الْجَبِينُ  
 تَحْتَ هَذَا الشَّمْسِ يَمْضِي ذَا الْفَتَى  
 زَادَ فِي الْعُسْرِ مِضَاءً حَدُّهُ  
 كُنْ حَبَابًا مِنْ عَطَاءٍ يَنْفَرُ

فبَدَتْ سِينَاؤُهَا دُونَ ضِيَاءِ<sup>(١)</sup>  
 وَطَغَى حَوْلَكَ سَيْلٌ مِنْ بَلَاءِ  
 لَا تَرَجَّ الْمَاءُ مِنْ عَيْنِ ذُكَاءِ<sup>(٢)</sup>  
 يَوْمَ يَخْزِي كُلُّ سَاعٍ مَا وَفَى  
 فَعَلِيهِ وَسَمُّ نُعْمَاهَا ظَهَرَ<sup>(٣)</sup>  
 مَاءُ وَجْهِ الْمَلَّةِ الْبِيضَاءِ صُنُ  
 أَنْ « حَيْبُ اللَّهِ سَاعٌ كَاسِبٌ »<sup>(٤)</sup>  
 خَافِضَ الرَّأْسِ لِثِقَلِ الْمَنَّةِ  
 بِنَقِيرِ بَاعٍ تَجَاجَ الْعِزَّةِ  
 يَسْأَلُ الْخَضْرُ شَرَابًا فِي الْفَلَا<sup>(٥)</sup>  
 ذَاكُمِ الْإِنْسَانُ ، لَا مَاءً وَطِينِ  
 عَالِيِ الرَّأْسِ كَسَزَوْ قَدِ عَتَا  
 هُوَ يَقْظَانُ وَغَافٍ جَدُّهُ<sup>(٦)</sup>  
 فَارَغَ الْكَأْسُ بِبِحْرِ يَزْخَرُ<sup>(٧)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) لا نور في سينائها يهدي إلى الحق . إشارة إلى قصة موسى .
  - (٢) لا تسأل الماء ولو من عين الشمس .
  - (٣) السمة التي على وجه القمر سمة اجتدائه نور الشمس .
  - (٤) إشارة إلى الأثر : الكاسب حبيب الله .
  - (٥) لا يطلب من الخضر شربة ماء . وعند الخضر ماء الحياة كما في القصص .
  - (٦) همته يقظانه وإن كان جده نائماً .
  - (٧) يتخيل الشعراء حباب الماء كأساً فارغة وهي في البحر . فضرب الشاعر الحباب مثلاً في العفة والإباء .

## في بيان أنّ الدّات تستحكمن بالمحبّة والعشق فتسخر قوى العالم الظاهرة والباطنة

أمرها في الكون طرّاً يَحْكُمُ  
يُدّها من قوّة الحقّ أنز  
في خصومات الورى أقوى حَكَمُ  
اسمَعَنْ مِنِّي حديثاً عن وليّ  
ذلك الصّداح في المرج القديم  
سالكُ سكران من خمّرتّه  
وأتى العاملُ في موكبّه  
صاحٌ للتطريقِ جنديّ نكير  
ومضى الدّرويش في تسياره  
فأتى ربُّ العصاف في شرّته  
فتنحّى عن طريق العامل  
ومضى يشكو إلى شيخ الطريق

حينما الدّات بعشق تُحكمن<sup>(١)</sup>  
فلذا ما أومات سُقَّ القمر  
صاغرٌ في حكمها داراً وجم<sup>(٢)</sup>  
اسمه في الهند مشهورٌ عليّ<sup>(٣)</sup>  
قصّ أخباراً عن الورد الشميم :<sup>(٤)</sup>  
قصد الأسواق في بغيته  
معه الحرّاسُ قد حَفَّتْ به  
أيها الأحمقُ أفسح للأمير  
غارقاً في اللجّ من أفكاره  
ضارباً رأس الفتى في غفلته  
وهو في ذعرٍ وحزنٍ قاتل  
دمعهُ من محبس العين طليق

(١) تحكمن أي : تصير قوّة محكمة .

(٢) دارا وجمشيد من ملوك الفرس القدماء .

(٣) الشيخ أبو علي قلندر من كبار صوفية الهند في القرنين السابع والثامن . والقصة التي يشير إليها الشاعر وقعت بين الشيخ والسلطان علاء الدين الخلجي . وخلاصتها أنّ أحد مريدي الشيخ ذهب إلى السوق ، وكان موكب العاهل قادماً ، فنادى أحد الحرس الدرويش ليفسح الطريق فلم ينتبه فضربه على رأسه فذهب إلى شيخه شاكياً ، فكتب الشيخ إلى السلطان : إما أن تعزل عاملك أو أنصّب مكانك ملكاً آخر . فخاف السلطان وأرسل الشاعر الكبير أمير خسرو وكان ماهراً في الموسيقى فغنى بعض شعره على الرباب ، فلما آتس من الشيخ قبولاً أبلغه رسالة السلطان يطلب عفو الشيخ فعفا عنه . ويريد إقبال بهذه القصة بيان قوة النفس التقيّة المستغنية .

(٤) هذا البيت يشير إلى مطلع قصيدة فارسية للشيخ أبي علي قلندر فيها ذكر البلبل والورد .



مثلَ برقٍ في ذرى الطُّودِ اضْطَرم  
 قال للكاتب في نار الغضب :  
 أبلغ السُّلطان عن هذا الفقير :  
 وعلا رأس غلامي بالعصا  
 أو أهَبْ مُلْكُكَ مُلْكاً آخِراً  
 أرعدَ السُّلطانَ منه ذا الكتاب  
 فحكى في لونه شمسَ الأصيل  
 واستغاث الشيخَ للصفح الجميل  
 ذلك الكوكبَ وضياء الضَّمير<sup>(١)</sup>  
 مستمدَّ الغيب في تبيانه  
 فأهاج الشيخَ وجداً وأذاب  
 خَشَعَتْ لِللَّخْنِ في رِقَّتِهِ  
 لا تَرْجُ النَّفْسَ في نار السَّعير

زمجرَ الشَّيخِ بقولٍ من ضَمَرَم  
 ثم أملى الشَّيخَ سطرأً من لَهَب  
 أمسك المِزبَرِ واكتبَ ذا النذير  
 « عاملٌ عندك غرٌّ قد عصى  
 اعزلِ العاملَ ، هذا الفاجرا  
 عبدٌ حقٌّ فيه لله احتساب  
 آدهُ غمٌّ وخوفٌ لا يحول  
 قيَّدَ العاملَ بالقيدِ الثَّقيل  
 ورأى خُسرو له خَيْرَ سفير  
 ساحرَ الألباب في ألحانه  
 ولها خسرو بأوتار الرِّباب  
 فطرةٌ كالطُّودِ في عزتهِ  
 احذرُنْ لا تجرحنْ قلبَ فقيز

\*\*\*

## قصة في معنى أن مسألة نفي الذات من مخترعات الأمم المغلوبة لتضعف الأمم الغالبة بهذه الطريقة الخفية

جَمَعَ ضانٍ كان في مرعى يُقيم  
 فارغاتِ البال من ليثٍ وذيب  
 ورمى بالسَّهْمِ فيهنَّ الدَّهر  
 ناشراتِ الدُّغْرِ في أيامها  
 سرُّها الظاهر فتح ظافرُ

قد سمعنا أن في عصرٍ قديم  
 وفرت نسلًا بذا المرعى الخصيب  
 ثم ألوى بمناهنَّ القدر  
 دهمتها الأسدُ من آجامها  
 آيةُ القوَّةِ حكمٌ قاهرُ

(١) أمير خسرو الدهلوي من كبار الشعراء في القرن الثامن الهجري .

ضربَ الليثُ طبولَ التوبة  
وكسا المرعى بصبغٍ أحمرًا  
وانبرى كبشٌ ذكيٌّ ذو عُمر  
غمَّه ما قد يعاني سربُه  
أمره أحكمَ في تدييره  
باحتيال العقل يحمي نفسه  
قوة التديير في دفع الضرر  
فإذا ما نازَ للشار الجنونُ  
قال : أمرٌ حار فيه العاقلُ  
كيف للضأن فال الأسدِ  
ليس وعظٌّ من بليغٍ قادرا  
لكنِ الليثُ رآه حملا  
فادعى في القوم دَعوى مُلهم  
قال : كلُّ القوم « كذابٌ أشز »  
جئتُ للناس بشرعٍ مُحكم  
عجلوا التوبة عن كل قبيح  
ويح جلدٍ أحكمت فيه قِواه

أخذاً آفاق هذي الثلثة<sup>(١)</sup>  
ما سيوى الفرسِ لدى أسد الشرى  
جرَّب الأحداث من حُلوي ومُرَّ  
من فعال الأسدِ يدمى قلبه  
وهو يشكو الدهر في تقديره  
كلُّ رخوٍ ليسَ يرجو بأسه  
في زمانِ الضعف أقوى وأمر  
صار عقلُ العبد خلاقَ الفتون  
بحرٌ عمٌ ليس فيه ساحلُ<sup>(٢)</sup>  
ساعدٌ رخوٌ وفولاذُ يدِ<sup>(٣)</sup>  
أن يردَّ الكبش ذئباً كاسرا  
إن سها عن نفسه أو غفلا  
مرسلٌ للأسد شُرَّابِ الدم<sup>(٤)</sup>  
غافلٌ عن يوم نحسٍ مستمر<sup>(٥)</sup>  
إنني النورُ لطرفٍ مُظلم  
واتركوا الحر إلى الفعل الريح  
« نفي ذاتٍ » هو إحكام الحياه<sup>(٦)</sup>

(١) طبل التوبة كان يضرب في أوقات معينة على أبواب الملوك .

(٢) قال الكبش . . الخ .

(٣) ساعد الضأن ويد الأسد .

(٤) فادعى في القوم . أي ادعى الكبش .

(٥) « كذاب أشز » و« نحس مستمر » اقتباس من القرآن . جاء في الأصل .

(٦) مذهب إقبال قائم على أن الخير في إثبات الذات والشر في نفيها .

عائفُ اللّحم إلى الله قريب  
بَصْرُ الإدراك منها يُظلم  
خُصَّت الجنّةُ بالمستضعفين  
خيرُ الفاقة من عزّ الأُمير  
وترى البيدرَ منه محرّقا<sup>(١)</sup>  
لتنال النور من شمسِ الضّحي  
اذبح النّفس بحقّ تغنم  
قوةً فيها وسلطانٌ وجاه  
يفتح الأعينَ من بعد الرّدى<sup>(٢)</sup>  
إنّما المجنونُ من لم يُغفل  
ليجوز الفكرَ أقطارَ السّما<sup>(٣)</sup>  
إنّها وهمٌ فما فيها رجاء  
نازعاتٍ نحو عيشِ الدّعة  
فدهاها الكبش بالسّحر العظيم  
فاقتدت بالضّان في شزعتها  
حين صار القوتُ هذا العلفا  
أطفأ الأعينَ ترمي بالشّرر  
جوهر المرآة فيها صدينا  
وهيامُ السّعي خُلف الأمل  
والسّنا والعرزُ والمجدُ الأثيلُ

عَلَفُ العُشبِ به الروح تطيبُ  
حدّةُ الأسنان عازٌّ مُبرّم  
إنّما القوّة خسرانٌ ميينُ  
طلبُ السّلطان شرٌّ مستطير  
تأمنِ الحبّةُ برقاً مُحرّقا  
ذرةٌ كُنن لا كئيباً أفيحاً  
قلّ لمن يُزهى بذبحِ الغنم  
يقطع السّبيل على هذي الحياه  
يوطأ العشبُ فينمو صُعدا  
أغفلنُ نفسك إنّما تعقل  
اسدّدنُ عيناً وأذناً وفما  
هذه الدنياه فناءً في فناء  
كانتِ الأسدُ جهاداً ملّت  
عن هوى أصغت إلى النّصح المُنيم  
كان فرس الضّان من سُنتها  
جوهرُ الآسادِ أضحي خزفاً  
ذهب العُشبُ بنابِ ذي أشر  
ذلك القلبُ عن الصّدر نأى  
فذوى في القلب شوق العمل  
ذهب الإقدامُ والعزمُ الأثيلُ

(١) الحبة الواحدة لا تبالي بالبرق ولكن البرق يحرق البيدر الكبير .

(٢) يداس العشب فينمو . فالذلة فيها نفع .

(٣) لعل فيها إشارة إلى ما يفعله نساك الهند ، وإلى الصورة التي تمثل ثلاثة قروود واحد يسد

فمه ، والثاني أذنيه ، والثالث عينيه .

بُرثن الفولاذِ فيها قد وهَنَ  
 ونما الخوفُ بنقص المنَّة  
 كلُّ داءٍ في سقوط الهمم  
 نامت الأسد بسحر الغنم  
 واستكان القلب في قبرِ البدن  
 قَطَعَ الخوفُ جذور الهمَّة  
 يجعل الأحياء مثل الرَّمَم  
 سمَّت العجَزَ ارتقاء الأمم

\*\*\*

## في بيان أنَّ أفلاطون اليوناني الذي أثرت آراؤه في تصوُّف المسلمين وآدابهم كان على هذه الطريقة الغنميَّة ، وأن الاحتراز من آرائه واجبٌ

راهبُ الماضين أفلاطُ الحكيم  
 طرفه في ظلمة المعقول ضلَّ  
 فكره في غير محسوسٍ فتن  
 قال : في الموت بدا سرُّ الحياه  
 حكُّمه في فكرنا جدُّ عظيم  
 هو شاةٌ في لباس الأدمي  
 عالمَ الأشياء سمَّاه الهراء  
 فعله « تحليلُ أجزاء الحياه »  
 زعم الخسرانَ ربحاً فكره  
 فكره يُغفي ورؤيا يخلُق  
 حُرَمَ المسكين حُبَّ العمل  
 من فريق الضأن في الذهر القديم  
 في حزون الكون قد أعيا وكلَّ  
 صدَّ عن كفِّ وعين وأذن<sup>(١)</sup>  
 في خمود الشمع يزدادُ سناه  
 يمحق الدنيا له جامٌ مُنيم  
 وهو في الصوفيِّ ذو بأس قوي  
 وعَلَّت أفكاره فوق السَّماء  
 وجفاف النَّبع من ماء الحياه  
 ودعا الكونَ فناءً سحره  
 عينه تُبصر آلاً يَبْرُق<sup>(٢)</sup>  
 فقفا معدومه لا يأتلي

(١) أعرض عن الحوَّاس .

(٢) يؤمن بعالم الأحلام لا عالم اليقظة ، ولا تبصر عينه الماء ، ولكن تبصر السراب .

الآل : السراب .

منكراً في الكون ما لا يُفقد  
عالمَ الإمكان للحَيِّ وطن  
ظيِّه من خفة لا يجفُّ  
لم يُلألئ عندَه قطرُ النَّدى  
حبةً في أرضه تَأبى النَّماء  
في وغي العالم نكسٌ مُحجَّم  
قلْبُه يَعشو لنارٍ خامدة  
طار من عشٍّ إلى الأوج العَلِيّ  
هُلك أقوام بهذا الثَّمَل

خالقاً في الكون ما لا يُشهد  
عالم الأعيان للميتِ حَسَن<sup>(١)</sup>  
غيرُ خطَّارٍ لِدِيه الحَجَلُ<sup>(٢)</sup>  
طيرُه ما فيه صوتٌ قد شدا  
وفرأشٌ عنده يلقي الضياء<sup>(٣)</sup>  
مُشفقٌ راهبنا لا يُقدم  
صوَرْت عيناها دنيا هاجدة  
ثم لم يرجع إلى العش الخَلِيّ<sup>(٤)</sup>  
حُرِّمُوا بالنَّوم ذوق العمل

\*\*\*

## في حقيقة الشعر ، وانسلاخ الآداب الإسلامية

حرقَةُ الإنسانِ من كور الأمل  
إنَّه الخمرة في كأسِ الحياة  
الحياة الحَقُّ تسخيرُ الدُّنْيَا  
هي للمقصودِ في الدُّنْيَا سبيل  
نارُ هذا الطَّينِ من نورِ الأمل<sup>(٥)</sup>  
وبه وقدةُ أنفاسِ الحياهِ  
وإلى التسخيرِ تدعوها المُنَى  
وهي للعشْقِ من الحسنِ رسول

- (١) الحي يعيش في عالم الإمكان ، عالم الحس ، والميت يعيش في عالم الخيال ، عالم الأعيان عند أفلاطون وهذا ردُّ على أفلاطون .
- (٢) خلق أفلاطون عالماً لا يشب ظييه ولا يتبختر حجله . والحجل طير جميلة في مشيها تبختر .
- (٣) الحبة في طبيعتها النمو والفرأش في طبيعه حب الضوء ولكن حبة أفلاطون تكره النمو ، وفرأشه يكره الضوء .
- (٤) رأى إقبال أن يخلق الفكر ليعود إلى عالم الحس ، لا ليبقى في عالم التفكير والتخيُّل .
- (٥) الكور : مجمرة الحداد .

كيف يشجو الحيّ هذا المزهر؟  
هو في بيدائنا نعم الدليل<sup>(١)</sup>  
تجد الآمال منه تطلع  
وأدام الحسن نور الأمل

أمل الإنسان أتى يظهر  
كل خير وبهيج وجميل  
حسنة في القلب نوراً يسطع  
خلق الحسن نضير الأمل

\*\*\*

طوره صبغ الجمال الباهر  
زادت الفطرة حباً صنعته  
ضياء خد الوزد من تلوينه  
قصص العشاق منه زاهية  
ألف كون محدث فيه استتر  
وغناء وبكى لم يسمع<sup>(٢)</sup>  
يبدع الحسن ، وفي القبح عبي  
تزهرو الأكوأ من ماء بكاه<sup>(٣)</sup>  
ضل سارينا طريق المنزل  
وعلت في ركبنا نغمته  
ويتم الدور في قوس الحياه<sup>(٤)</sup>  
وشدا الحادي بصوت مؤنس  
مذ سرت في روضنا نسمته  
حرة لؤامة لا تصبر

مطلع الحسن ضمير الشاعر  
زادت الحسن جمالاً نظرته  
غرد البلبل من تلحينه  
ناره كل فراش كاوية  
مضمّر في خلفه بحر وبر  
كم شقيق في الحشا لم يطلع  
فكره للبدرد والنجم نجوي  
خضير في ليله ماء الحياة  
نحن أغرا بطاء الأرجل  
لطفنا في سيرنا حيلته  
يحفز الركب لفردوس الحياه  
فمضى الركبان إثر الجرس  
وسرت في زهرنا نفحته  
نفس منه حياه تزهرو

(١) يقول : إن الأمل وسيلة العمل ، والأمل يخلقه الميل إلى الخير والجمال .  
(٢) ضمير الشاعر فيه شقائق لا يراها الناس ، وفيه بكاء وغناء لا يسمعونه .  
(٣) إشارة إلى قصة الخضر واهتدائه إلى ماء الحياة في أرض الظلمات .  
(٤) يكمل دائرة الحياة .

يَأْدِبُ النَّاسَ جَمِيعاً لِلْقُرَى نَارُهُ كَالرَّيْحِ تَسْرِي فِي السُّورَى

\*\*\*

وَيْلٌ قَوْمٍ لِهَلَاكِ طَائِرِهِ  
كُلُّ حُسْنٍ شَاءَ فِي مَرَاتِهِ  
تُذْبِلُ الْأَزْهَارَ مِنْهُ الْقُبُلُ  
تَهِنُ الْأَعْصَابُ مَنْ أَفِيُونَهُ  
يَسْلُبُ السَّرَّوَ جَمِيلَ الْمَيْلِ  
هُوَ حُوتٌ نَصْفُهُ كَالْأَدْمِيِّ  
يُسْحَرُ الرِّبَّانُ مِنْهَا بِاللَّحُونِ  
يَسْلُبُ الْقَلْبَ ثِبَاتاً لِحُنِّهِ  
يُلْبَسُ النَّفْعَ لِبَاسَ الضَّرَرِ  
فِي بَحَارِ الْفِكْرِ يُلْقِيكَ فَلَاحِ  
شِعْرُهُ فِينَا يَزِيدُ الْكَلَالَةَ  
سَيْلَ بَرْقٍ مَا حَوَى نَيْسَانَهُ  
فَتُّهُ بِالْحَقِّ لَا يَعْتَرِفُ  
نَوْمٌ مَثُ الْحَانُتِ يَقْظَتْنَا  
بَلْبِلٌ سُومٌ قَلُوبٍ نَعْمُهُ  
خَمْرُهُ اللَّأَلَاءُ أَتَرَكَ وَاحْذِرْ

- (١) السَّرُّو : شجر طويل يصفه الشعراء بالرشاقة والتمایل .
- (٢) نبات البحر : حيتان خرافية نصفها الأعلى كالإنسان ، تغوي الملاحين بأنغامها حتى تغرق السفن .
- (٣) أي لا تشتهي العمل ، ولا تطيقه .
- (٤) نيسان من شهور الربيع يكثر فيه المطر . وهذا الشاعر الذي يصفه إقبال ليس في نيسانه سيل من البرق ، أي ليس في سحابه برق ولا مطر . وقد شبه إقبال وميض البرق بالسيل . والآل : السراب ؛ أي : بستانه سرايب من اللون والرائحة .

يا صريعاً خمرةً يَغْتَبِقُ      لك صبحٌ من سناها مشرقُ  
يا برودَ القلب من ألعانه      قد شربت السُّمَّ من تيبانه  
يا دليلاً للردى أفكاره      عَطَّلْتُ من نغمٍ أوتاره  
أنت للذُّدِّ أرحتَ البدنا      أنت للإسلام عارٌ في الدُّنى  
من نسيمٍ مرَّ يَدَمَى خَدُّكَ      بعروق الورد يُلوى قَدُّكَ  
أخزتِ العِشْقَ دُجَى صِيحَاتِكَ      غَضَّ من صورته بهزادكاً<sup>(١)</sup>  
شاحبَ الوجه بدا مِنْ ضُرِّكَ      بردت نيرانه مِنْ قُرِّكَ  
عاجزُ الهَمَّةِ مِنْ ذِلَّتِكَ      وعليلُ الرُّوحِ مِنْ عِلَّتِكَ  
أدمعُ الأطفالِ في كاساته      كنزه ما اعتدَّ من آهاته  
أهٍ مِنْ وغدٍ ذليلٍ يائس      هالكٍ من رَكَلاتِ الحارسِ<sup>(٢)</sup>  
صار كالنَّاي هزيباً نائحا      شاكِي الأقدار جهلاً صائحا  
ليس إلا الحقدُ في جوهره      ليس إلا العجزُ في مخبره  
يائسٌ فسَل حليف الخيبة      شِقْوَةٌ في خِصَّةٍ في ذلَّةٍ<sup>(٣)</sup>  
نوحه روحك منه في سقام      قد حمى جيرانه طيبَ المنام  
ويحَ عشقٍ قد ذكا في الحرَمِ      نازُه باخت بيت الصَّنمِ !

\*\*\*

صيرفِيَّ القول ! إن تبغ النَّجاة      فاجعلنُ معيارَه نازَ الحياه  
نِيْرُ الفِكرِ يقود العملا      مثلَ برقي قادَ رعداً جلجلا

- (١) بهزاد : مصور إيراني ماهر . يقول إقبال : إنَّ هذا الشاعر شوّه صورة العشق . وفي الأبيات التالية يبين ما أصاب العشق من الذلة والخور على لسان شاعر السوء .  
(٢) يستجدي أو يحاول السرقة فيركله الحارس .  
(٣) هذه الأوصاف تعرب عن غيظ إقبال من الشعراء الذين أذلوا الآداب الإسلامية .



من بفكرٍ صالحٍ في الأدب ؟  
 وسُلِّمِي العُربِ يا صاحِ اعشقا  
 في رياضِ العجمِ قَطَفْتَ الزَهْرَ  
 من حَرورِ البِيدِ فاشربِ يا رفيقُ  
 أسلِمَنْ رأسَكَ يوماً صدرَها  
 قد لبستِ الخِرَّ طولَ الزمنِ  
 كم وطئتِ الوردَ في طولِ المدى  
 فعلى رملِ الصَّحارى المُضرمِ  
 فيم هذا النوحُ مثلَ البلبَلِ ؟  
 قد علا جدُّ الهُما من صيدكا  
 ابنِ عُشاً حيث لا تَزقى الأنوقُ  
 تُتْرَى أهلاً لأعصارِ الحياةِ  
 أرجعَنْ يا صاحِ شطرِ العُربِ<sup>(١)</sup>  
 لتُرى صبحَ الحجازِ ائتلقا  
 في ربيعِ الهندِ سَرَّحتِ البصرِ  
 واشربِنْ من تمرِها الراخِ العتيقُ  
 وألْقَيْنِ في حرِّها صرصرَها  
 فألفِ الكِزْباسِ يوماً واخشِنِ  
 غاسلاً ، كالوردِ ، خدّاً بالندى  
 أقدمِنْ يوماً وغُصنِ في زمزمِ  
 وإلامِ العُشِّ بينَ الظُّلِّ ؟  
 اجعلنِ في الطودِ مثوى عُشِّكا<sup>(٢)</sup>  
 تختفي فيه رعودٌ وبروقُ<sup>(٣)</sup>  
 وتُذيبُ النَّفسَ في نارِ الحياةِ

\*\*\*

- 
- (١) إقبال معجب بالعرب الذين حملوا رسالة الإسلام إلى أقطار الأرض لا يصدِّهم شيء ،  
 ويكبر الهمة والقوة والصبر فيهم ، ويمدح الأدب العربي القوي .  
 (٢) الهما : طائر خرافي إن سقط ظله على إنسان صار ملكاً ، والشاعر هنا يخاطب المسلم  
 قائلاً إن الهما الذي يمنح الناس الحظ قد علا حظه بأنك صدته فأنت أعلى منه . فارفع  
 عشك فوق الجبل .  
 (٣) الأنوق : العقاب .

في بيان أن للتربية الذاتية ثلاث مراحل :  
الأولى : الطاعة ، والثانية : ضبط النفس ، والثالثة : النيابة الإلهية

## المرحلة الأولى الطاعة

أَفَّةُ الكَدِّ شعائرُ الجملي  
صامتَ الأَخفافِ يمشي ماضياً  
نقشت وجهَ الصحارى أَرْجُلُهُ  
ثِمَلاً يَخْتَالُ تحتَ المحمَلِ  
في المَدَى من راكبيه أَصْبُرُ  
شيمَةُ الصَّبْرِ وَقَارُ الجملي  
زورقاً في البيدِ يسري هادياً  
شاردَ النَّومِ قليلاً أَكْلُهُ  
راقصاً يُقَدِّمُ شطرَ المنزلِ  
هائمٌ بالسيرِ عُجْباً يَخْطُرُ

\*\*\*

فاحمِلِ الفِرَضَ قوياً لا تهابِ  
اجهدنْ في طاعةِ يا ذا الخسازِ  
بامثالِ الأمرِ يعلو من رَسبِ  
سَخَّرَ الأَفلاكَ في هَمَّتِهِ  
قد سرى النَجْمُ يَوْمَ المنزلا  
ونما العشبُ بقانونِ النَّماءِ  
ولهيبٌ دائمٌ دينُ الشَّقِيقِ  
يربطُ الدَّرَاتِ قانونُ الوصالِ  
وارجونُ منْ عنده حُسْنُ المآبِ<sup>(١)</sup>  
فَمِنَ الجبرِ سيبدو الاختيارُ<sup>(٢)</sup>  
وهوى الطَّاعِي ولو كانَ اللَّهَبِ  
من ثوى في القيدِ من شزعتِهِ  
طوعَ قانونِ له قد دُلَّلا  
فإذا ما حادِ يُجفَى بالعراءِ  
دمهُ منْ ذاكِ يسري في العروقِ<sup>(٣)</sup>  
فهي بحرٌ وهي برٌّ باتصالِ

(١) اقتباس من القرآن . وهو في الأصل .

(٢) إذا وفق الإنسان بين نفسه وبين القانون أطاع القانون مختاراً لا مجبراً .

(٣) الشقيق : شقائق النعمان . وهي في الشعر مثال الوجد والاحترق .

كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ قَانُونٌ سَرِيٌّ      كَيْفَ فِي هَذِهِ الْمَعَانِي يُمْتَرَى؟<sup>(١)</sup>  
 ارْجِعْ يَا حُرّاً دُسْتُورِ قَدِيمِ      زَيْنُنْ رِجْلَكَ بِالْقَيْدِ الْوَسِيمِ  
 شِدَّةً فِي شَرْعِنَا لَا تَشْكُونُ      وَحُدُودَ الْمُصْطَفَى لَا تَعْدُونُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## المرحلة الثانية

### ضِبْطُ النَّفْسِ

جَمَلٌ نَفْسُكَ تَرْبُو بِالْعَلْفِ      فِي إِبَاءٍ وَعِنَادٍ وَصَلْفِ  
 فَكُنِ الْحَرَ وَقُذْهَا بِزِمَامِ      تَبْلُغُنْ مِنْ ضِبْطِهَا أَعْلَى مَقَامِ  
 كُلُّ مَنْ فِي نَفْسِهِ لَا يَحْكُمُ      هُوَ فِي حُكْمِ سِوَاهِ مُرْغَمُ  
 إِنَّمَا صَوَّرْتَ مِنْ طِينِ لَزْبِ      سَيْطِ فِي أَمْشَاجِهِ خَوْفٌ وَحَبٌّ :  
 خَيْفَةُ الدُّنْيَا وَخَوْفُ الْآخِرِ      خَوْفُ مَوْتٍ وَرِزَايَا فَاقِرْهُ  
 حُبُّ جَاهٍ وَثِرَاءٍ وَبِلْدِ      حُبُّ زَوْجٍ وَقَرِيبٍ وَوَلْدِ  
 مِنْ مَزَاجِ الطَّيْنِ وَالْمَاءِ الْبَدَنِ      مَرْكَبُ الْأَهْوَاءِ ، مَغْلُوبُ الْفِتَنِ  
 مَنْ يَمْسِكُ بَعْضًا مِنْ « لَا إِلَهَ »      فَلتَحْطُمِ طَلْسَمُ الْخَوْفِ يَدَاهُ<sup>(٣)</sup>  
 كُلُّ مَنْ بِالْحَقِّ أَحْيَا نَفْسَهُ      لَا تَرَى الْبَاطِلَ يُحْنِي رَأْسَهُ  
 لَيْسَ يَدْنُو الْخَوْفُ مِنْهُ أَبَدًا      لَيْسَ ، غَيْرَ اللَّهِ ، يَخْشَى أَحَدًا

- (١) في الأبيات السابقة ضرب الشاعر أمثالا مختلفة لسير الأحياء والأشياء على قوانين .  
 (٢) ينصح المسلم بالتزام الشرع واحتمال شدته . فهذا قانون لا يسعد الإنسان بدونه .  
 ويقول للمسلم كنت حراً باتباع دستورك القديم فارجع وقيد رجلك بهذا القيد الجميل ،  
 ففي هذا القيد حرّيتك لا عبوديتك .  
 (٣) لا إله : اختصار لا إله إلا الله . وهكذا يستعملها الشاعر في كثير من شعره . قوله :  
 إنما السبيل إلى إبطال طلسم الخوف أن تمسك عصا من التوحيد كعصا موسى تبطل  
 السحر .

كُلُّ مَنْ مَوْطِنُهُ إِقْلِيمٌ « لا »  
 مُعْرَضٌ عَمَّا سِوَى اللَّهِ الْأَحَدِ  
 مِنْ قِيُودِ الرُّوْحِ وَالْوَلَدِ خَلَا<sup>(١)</sup>  
 يَضَعُ السَّكِينِ فِي حَلْقِ الْوَلَدِ<sup>(٢)</sup>  
 يِيذُلُ الرُّوْحَ يِيَوْمَ الْخَطْرِ

\*\*\*

دَرَّةُ التَّوْحِيدِ ، فَاحْفَظْهَا الصَّلَاةَ  
 فِي يَدِ الْمُسْلِمِ هَذَا الْخَنْجَرُ  
 حَجَّكَ الْأَصْغَرَ ، فَاعْرِفْهَا الصَّلَاةَ  
 يُقْتَلُ الْفَحْشُ بِهِ وَالْمَنْكُرُ  
 ضَابِطاً بِالْقَسْطِ هَذَا الْجَسَدُ  
 يِفْتَكُ الصَّوْمُ بِجُوعٍ وَصَدَى  
 هَجْرَةُ الْأَهْلِ بِهِ وَالْوَطَنِ  
 وَيُنِيرُ الْحَجَّ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ  
 إِنَّمَا الطَّاعَةَ أَسُّ الْأُمَّةِ  
 إِنَّهَا خِيَطُ كِتَابِ الْمَلَّةِ<sup>(٣)</sup>  
 بِالزَّكَاةِ الْعَابِدُ الْمَالِ اذْكُرْ  
 عَلَّمَتْ حَبَّ الْمَسَاوَاةِ الْبَشَرِ  
 تُكْثِرُ الْمَالَ ، وَشَخَاً تَمَحَقُ  
 « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تَتَفَقَّحُوا »  
 تَلِكُ أَسْبَابٌ بِهَا تَسْتَحْكِمُ  
 تَحْكُمُنْ فِي ذَلِكَ الْبَكْرِ الْأَبِيِّ<sup>(٤)</sup>  
 اقْوَا يَا مُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْقَوِي

\*\*\*

## المرحلة الثالثة

### النيابة الإلهية

إِنْ خَطَمْتَ الصَّعْبَ قُدَّتْ الْعَالِمَا نَافَذَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ حَكَمًا<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) لا إشارة إلى نفي ما سوى الله .  
 (٢) يضع السكين في حلق ولده كإبراهيم الخليل .  
 (٣) خيط الكتاب ما تضم به صفحاته بعضها إلى بعض .  
 (٤) البكر : الجمل الفتى ، ويراد به الجسد مسايرة للتشبيه الذي بدأ به الفصل .  
 (٥) لا يزال الشاعر في تشبيه الجسد بالجمل . فالصعب هنا الجمل غير الذلول .

فترى المُلك الذي يخلد لك  
 حكمه في الكون خُلدٌ لا يبيد  
 وبأمر الله في الأرض أميز  
 وعزمه ، هذا البساط الباليا<sup>(١)</sup>  
 غيرَ هذا الكون أكوانٌ آخر<sup>(٢)</sup>  
 يُخرج الأصنام من بيت الحرم  
 يَقْظُ في الحق نومانٌ به<sup>(٣)</sup>  
 ناشرٌ في الكون ألوان الشَّبَاب  
 وهو جُنْدِيٌّ وراغٍ وأميز  
 سرٌّ « سبحان الذي أسرى » هُوَه<sup>(٤)</sup>  
 حينما يُمِسُّكُ منه بالعنان<sup>(٥)</sup>  
 وهي إلى أبدانها مثل الرَّمَم<sup>(٦)</sup>  
 سطوةٌ فيه نجاة العالم  
 قِيمُ الأعمالِ منه في بدل<sup>(٧)</sup>  
 كم كليمِ هام في سينائه  
 عبَّرَ الرؤيا بتعبيرٍ جديد  
 نعمةٌ يُضمِرُ مزمارُ الحياة

مشرقاً في الأرض ما دارَ الفلك  
 نائبُ الحقُّ على الأرض سعيدٌ  
 هو بالجزء وبالكلُّ خبير  
 في فسيح الأرض يمضي طاويا  
 ينجلي من فكره مثل الزَّهر  
 يُنْضِجُ الفكرة فينا بالظَّمَم  
 رنَّ عودُ القَلْبِ من مضرابه  
 باعثٌ في الشَّيب ألحان الشباب  
 هو في الناس بشيرٌ ونذير  
 مقصدٌ من « علَّم الأسماء » هُوَه  
 مُحضِرٌ من تحته طرفُ الزَّمان  
 يبعث الأرواح منه قولٌ « قُمْ »  
 ذاته تتبَعُ ذاتُ العالم  
 يبعث الميتَ بإعجازِ العمل  
 سيرُه يخضِرُ في بیدائه  
 جدَّدَ الدُّنيا بتفسيرٍ جديد  
 كونه المكنونُ أسرارُ الحياة

- 
- (١) البساط البالي : الأباطيل الموروثة .  
 (٢) يخلق من فكره أكواناً أخرى ، لا يقيده ما هو واقع .  
 (٣) المضراب : أداة تضرب بها أوتار العود .  
 (٤) الهاء في هوه للوقف . والبيت مردوف والقافية في « الأسماء » و « أسرى » .  
 (٥) يعدو تحته حصان الزمان ، أي يسير الزمان سريعاً إلى مقصده .  
 (٦) إن قال قم انبعثت الأرواح من قبور الأبدان .  
 (٧) يبدل قيم الأعمال بما يضع من معايير جديدة .

شاعرُ الفِطْرَةِ غَنَّى طَبَعَهُ      لِيَقِيمَ الْوِزْنَ إِذْ أَبَدَعَهُ  
نَقَعْنَا نَارَ إِلَى أَوْجِ السَّمَاءِ      فَبَدَا الْفَارِسُ مِنْ هَذَا الْهَبَاءِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

فِي رَمَادِ الْيَوْمِ مَتَا تَرَقُّدُ      شُعْلَةٌ يَرْمِي بِهَا الْكُونَ الْغَدُ  
رَوْضَةٌ تُضْمَرُهَا أَكْمَامُنَا      ضَاءٌ مِنْ صَبْحِ غَدِ أَبْصَارُنَا<sup>(٢)</sup>  
أَنْتِ يَا فَارِسَ طِرْفِ الزَّمَنِ !      أَنْتِ يَا نُوراً لَعِينِ الْمَمَكَنِ  
مُوكِبَ الْإِنْشَاءِ هَيَّا زَيْنِ      وَتَمَكُنْ فِي سَوَادِ الْأَعْيُنِ  
قُمْ فَسَكُنْ مِنْ ضَجِيجِ الْأُمَمِ      وَامْلَأِ الْأَذَانَ زَهْرَ النَّعْمِ  
جَدِّدْنَ فِي النَّاسِ قَانُونَ الْإِحْيَاءِ      وَأِدْرِهَا كَأْسَ حَبِّ وَصَفَاءِ  
أَبْلِغِ النَّاسَ رِسَالَاتِ السَّلَامِ      وَأَعِذْ فِي الْأَرْضِ أَيَّامَ الْوِثَامِ  
مَنْ بَنَى الْإِنْسَانَ أَنْتِ الْأَمَلُ      أَنْتِ مَنْ رَكِبَ الْحَيَاةَ الْمَنْزَلُ  
أَذْبَلْتِ كَفَّ الْخَرِيفِ الشَّجَرَا      فَاغْدُ فِي الرُّوْضِ رِبِيعاً نُضِرَا  
نَحْنُ مَنْ فِيضُكَ نَسْمُو لِلْقُلَلِ      فِي جِهَادِ الْكُونَ نَمْضِي كَالشُّعْلِ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*<sup>(٤)</sup>

(١) يكثر في الفارسية ذكر الفارس والغبار . يقال مثلاً : رب فارس في هذا الغبار . والشاعر يقول هنا : قد أصابنا ما أصابنا ومرت بالناس محن فارتفع غبارهم فظهر هذا الفارس من هذا الغبار يعني أن هذا الإنسان الكامل لا يناله الناس إلا بعد حوادث شديدة .

(٢) الأكمام جمع كم الزهرة قبل أن تفتح ، يقول : إنَّ الكم عندنا سينفتح عن روضة ، وعبوننا تضيء بنور المستقبل .

(٣) الأبيات السبعة الأخيرة خطاب للإنسان الكامل أو النائب الإلهي .

(٤) هنا عنوان فصل حذفته وحذفت معه اثنين وعشرين بيتاً لم أجد في ترجمتها فائدة . والكلام بعدها متصل بما قبلها .

يا أخوا الوردة كن صنوَ الحجر  
 آدمياً صوّرن من تُربكا  
 أنت إن كنت تراباً هيناً  
 أيها الصّارخ من جور الدّهر  
 فيمَ هذا النوح؟ ماذا المأتمُّ؟  
 مضمراً في السعي مضمونُ الحياة  
 قُم فشيّد عالماً دون مثيل  
 إنما السّيرُ على حُكم الزّمان  
 إنّما الحرُّ الشجاع الفطن  
 وإذا الدُّنيا عتت عن أمره  
 يهدم الموجودَ فيما آثراً  
 يصرفُ الأيامَ عن كراتها  
 خالقاً من قوّة في قلبه  
 فإذا أعوز عيشُ الرّجلِ  
 حبذا عشقُ بغي الأمر الجليل  
 تتجلى في مِراس المُعضلِ  
 عُدة الأندال حقدٌ لا سواه  
 الحياةُ الحقُّ بأسُّ يظهرُ  
 ربّ عفوّ كان من آفاتِها  
 يحسب العجزُ قنوعاً خانعُ

وكن السورَ لبستان الزّهر<sup>(١)</sup>  
 ثم شيّد عالماً بدعاً لكا  
 فليضع غيرك منك اللبنا  
 يا زجاجاً يشتكي جورَ الحجر  
 وإلام الصّدرَ حُزناً تليدِمْ؟  
 لذّة التخليق قانون الحياة  
 وخُضّ النار وأقديم كالخليل  
 هو رميُ الثّرس في وقت الطّعان  
 من قفا الآثار منه الزّمنُ  
 حارب الدّهر ، ولم يعبأ به  
 يمنع الذرّات شكلاً آخرًا<sup>(٢)</sup>  
 يمنع الأفلاك من دوراتها<sup>(٣)</sup>  
 ذلك العصر الذي يرضى به  
 فالحياة الموتُ موتَ البطل  
 وجنى في النّار ورداً كالخليل  
 قوّة كامنة في البطل  
 استمع : صاح ، ذا شرع الحياة :  
 حُب الاستيلاء فيه مضمّرُ  
 يكسرُ الموزونَ من أبياتها  
 لصروف الدهر ذلٌّ طائعُ

- (١) لا تكن وردة وكن كالحجر صلابة ، وكن سوراً يحمي الأزهار .  
 (٢) يغير نظام الموجودات إن لم ثلاثه . يعني يسخر عالم الطبيعة في مراده .  
 (٣) يغير ما يزعمه الناس من تأثير الفلك وحكم الأيام .

قَلْبُهُ خَوْفًا وَكِذْبًا يُضْمَرُ  
 لَيْثُهُ فِي كُلِّ خَبِيثٍ وَالنُّغُ  
 فاحذرن يا صاحب العقل السليم  
 إِنَّهُ الْجِرْبَاءُ فِي تَلْوِينِهِ<sup>(١)</sup>  
 لَبَسَ الْحَقَّ عَلَيْهِمْ وَاسْتَتَرَ  
 وَهُوَ حِينًا فِي اتِّضَاعٍ يُسْتَرُ  
 وَهُوَ طَوْرًا فِي حِجَابِ الْقَدَرِ  
 يُلْبَسُ الصَّحَّةَ ثَوْبَ الدَّنْفِ  
 اعرفن نفسك ، هذا جامُ جم<sup>(٢)</sup>  
 فُسِّرَ الْحَقُّ بِهَا وَالْبَاطِلُ  
 إِنَّ تَحْدَى الْمَدَّعِي بِالْقُوَّةِ  
 وَهَنْ الْحَقِّ يُحَقُّ الْبَاطِلُ  
 إِنَّ تَقِلَ لِلْخَيْرِ شَرٌّ فَهُوَ شَرٌّ<sup>(٣)</sup>  
 أَنْتِ فِي الْكُونِينَ أَعْلَى مَزَلَا  
 تُبْصِرِ الْحَقَّ طَرِيقًا مُعَلِّمًا

قَاطِعُ سُبُلِ الْحَيَاةِ الْخَوْرُ  
 قَلْبُهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فَارِعُ  
 فِي كَمِينٍ رَاصِدٌ هَذَا اللَّيْمُ  
 احذرن يا صاح من تزيينه  
 إِنَّهُ يَخْفَى عَلَى أَهْلِ النَّظَرِ  
 فِي ثِيَابِ اللَّيْنِ حِينًا يَظْهَرُ  
 وَهُوَ طَوْرًا فِي ثِيَابِ الْمُجْبَرِ  
 وَهُوَ حِينًا فِي لِبَاسِ التَّزْرِفِ  
 مَا سَوَى الْقُوَّةِ لِلصَّدَقِ دَعْمُ  
 هِيَ مِنْ حَقْلِ الْحَيَاةِ الْحَاصِلِ  
 مَدَّعَاهُ فِي غِنَى عَنْ حِجَّةِ  
 تَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا مَائِلًا  
 سَطْوَةُ الْقُوَّةِ تُحْلِي مَا أَمَرَ  
 أَيُّهَا الْغَافِلُ عَمَّا حُمِّلَا  
 افْتَحْنِي عَيْنًا وَأُذْنَا وَفَمَا

\*\*\*

(١) الضمير في هذا البيت والأبيات التالية يعود إلى الخور . وفيها بين إقبال تعذير الضعفاء والتماس أسماء مختلفة لضعفهم .

(٢) جام جمشيد وهي كأس خرافية كانت ترى فيها الأقاليم السبعة .

(٣) ينبغي أن يذكر القارئ أن إقبالاً يعني قوة الروح والخلق أيضاً .



## قصة فتى من مرو جاء إلى السيد المعظم علي الهجويري (١)

### شاكياً بغي أعدائه

مُجْتَبَى هُجْوَيْرٍ مَقْصُودُ الْأَمَمِ      مِنْ رَأَى الْجِشْيَ مِثْوَاهِ الْحَرَمِ (٢)  
قَطَعَ الْأَطْوَادَ وَاجْتَازَ السُّدُودَ      بَاذِرًا فِي أَرْضِنَا بَذْرَ الشُّجُودِ  
زَمَنَ الْفَارُوقَ مِنْهُ يُشْرِقُ      وَبِهِ لِلْحَقِّ يَعْلَوُ مَنْطِقُ  
حَارِسُ الْعِزَّةِ مِنْ أُمَّ الْكِتَابِ      مَعْقَلُ الْبَاطِلِ مِنْهُ فِي تَبَابِ  
حَيَّتِ الْبِنِجَابُ مِنْ أَنْفَاسِهِ      صُبْحُنَا نَوَّرَ مِنْ نِبْرَاسِهِ  
ذَا رَسُولُ الْعِشْقِ ، وَهُوَ الْعَاشِقُ      فِيهِ سِرُّ الْعِشْقِ بَادٍ بَارِقُ

\*\*\*

قِصَّةٌ أُسْرِدُهَا فِي أَسْطَرِ      طَاوِيَاً فِي الْكِمِّ رَوْضَ الرَّهْرِ :  
قَدْ أَتَى لَاهُورَ مِنْ مَرَوْ فَتَى      قَدَّهُ كَالسَّرْوِ عَالٍ قَدْ عَتَا  
جَاءَ عِنْدَ السَّيِّدِ الْعَالِيِّ الْجَنَابِ      كَاشِفًا مِنْ نُورِهِ عَنْهُ الصَّبَابِ  
قَالَ : إِنِّي فِي عُدَاةٍ لَوْمُوا      كَزَجَاجٍ بِصَخُورٍ يُصَدِّمُ  
عَلَّمَنِي أَيُّهَا الشَّيْخُ الْكَبِيرُ      كَيْفَ عَيْشِي بَيْنَ أَعْدَاءِ كَثِيرِ  
فَأَجَابَ الشَّيْخُ ، مِنْ فِيهِ الْجَمَالُ      قَدْ تَجَلَّى فِي إِطَارٍ مِنْ جَلَالِ :

(١) الشيخ علي الهجويري مؤلف كتاب «كشف المحجوب لأرباب القلوب» في التصوف . كان من كبار الصوفية الذين وفدوا على البنجاب ، ووعظوا فيها ، ونشروا الدعوة الإسلامية . توفي سنة ٤٦٥هـ ومزاره في لاهور ، يقصده الناس من كل صوب ، ونسبته إلى هجوير إحدى قرى غزنة .

(٢) الشيخ معين الدين الجشي أحد عظماء الصوفية ودعاة الإسلام في الهند . أسلم بدعوته كثير من الهنادك ، أقام في أجمير وتوفي بها سنة ٦٣٢هـ ، ومزاره أعظم المزارات الإسلامية في الهند ، ويشير إقبال في هذا البيت إلى زيارة الجشي قبر الهجويري في لاهور واعتكافه عنده زمناً .

أيها الغافلُ عن سرِّ الحياة  
 حرَّزْ نَفْسَكَ من يأسٍ وغمٍ  
 إن رأى النَّفْسَ زجاجاً حَجْرُ  
 وإذا خارت قواه السَّائِرُ  
 كم ترى نفسك طيناً قد حُقِر  
 فيمَ شكواك الرفيقَ النافعا  
 كم عدوُّ لك ، في الحقِّ صديقُ  
 قوة الأعداءِ فضلاً يَعْلَمُ  
 يوقظُ الخضمُّ قِوَاكِ الهاجدة  
 قوة العزمِ تذيب الحجرِ  
 تشحذُ العزمَ عقابُ السُّبُلِ  
 ما حياةٌ دونَ عزمٍ مُخَكِّمِ ؟  
 زلزلِ العالمَ وافعل ما ترى  
 اهجرنَّ الذَّاتَ إن تبغِ الفناء  
 ما الرَّدَى ؟ أن يدركَ الذَّاتَ الوَسَنُ  
 يا أخا يوسفِ في الذَّاتِ أقمِ  
 أحكمنَّ الذَّاتِ وانهضِ عاملاً  
 هاك سرّاً في حديثِ مؤنسِ  
 « جبذا سرّاً حبيبِ يُضَمَّرُ »

لا يَميِزُ الخيَرَ من سرِّ الحياة  
 أنت بأسِّ نائمٍ ، قُمْ لا تنمِ  
 فهو في الحقِّ ، زجاجٌ يُكسرُ  
 قطع السُّبُلَ عليه الفاجرُ  
 شعلَةَ الطُّورِ من الطَّيْنِ أُنزِ  
 فيمَ شكواك العدوِّ الخادعا  
 أنت بالأعداءِ ذو غُصْنِ وريقِ  
 من مَقَامِ « الذَّاتِ » حقّاً يفهمِ  
 مثل ما تحيي الموتَ الراحدة<sup>(١)</sup>  
 لا يبالي السيلُ صخرًا إن جرى  
 امتحانُ العزمِ بُعدُ المنزلِ<sup>(٢)</sup>  
 ما غناءُ العيشِ مثل النِّعمِ ؟  
 إن حَبَّتْكَ الذَّاتُ عزمًا مُسَعِّرا  
 واعمرنَّ الذَّاتِ إن شئتِ البقاء  
 أتراه بُعدَ روحِ وبدنِ؟<sup>(٣)</sup>  
 ومن السِّجْنِ إلى المُلكِ استقمِ<sup>(٤)</sup>  
 ناصراً للحقِّ ، سرّاً حاملاً  
 افتح الكَمَّ بحرِّ النَّفْسِ<sup>(٥)</sup>  
 في حديثِ عن سواه يؤثر<sup>(٦)</sup> «

(١) السحابة الراحدة : الممطرة .

(٢) العقاب : جمع عقبة .

(٣) الردى : أن تغفل الذات لا أن يفارق الروح البدن .

(٤) كن مثل يوسف أقام في نفسه فأحكمها ، فمضى من السجن إلى الوزارة .

(٥) أبدي السر في قصة قصيرة ككم الزهرة .

(٦) هذا البيت من شعر جلال الدين الرُّومي .

## قصة الطائر الذي أجهده العطش

طائرٌ مِنْ ظمأٍ قد جهدا  
 قد رأى الماسةً مثلَ الندى  
 خَدَعْتَهُ شَذْرَةٌ مِثْلُ الشَّرْرِ  
 لم يجد رِيًّا بضربِ المنقَرِ  
 قالتِ الشَّذرةُ : جُنِبَتِ الهُدَى  
 لستُ ماءً . لا تراني ساقيه  
 جاهلٌ يقصد هضمي ما اهتدى  
 كلُّ منقارٍ بمائي ينكسرُ  
 ما رأى الطائرُ فيها أربا  
 حسرةٌ في صدره تتقدُّ

\*\*\*

وأضواءً مثلَ دَمْعِ البلبَلِ  
 لضياءِ الشمسِ فيها مِنَّةٌ  
 كوكبٌ يرعدُ مِنْ نَسْلِ السَّمَاءِ  
 غرّه الأكمامُ والزَّهرُ الخصبُ  
 قطرةٌ مِنْ دَمْعٍ صبَّ تبهرُ

قطرةٌ في عُضْنِ وريدِ خَصِيلِ  
 ولخوفِ الشمسِ فيها رعدةٌ<sup>(١)</sup>  
 شاقه الجلوة في هذا الفضاء<sup>(٢)</sup>  
 لم يزود من حياةٍ بنصيب<sup>(٣)</sup>  
 زانتِ الهُدْبُ وكادت تقطر

(١) هي مضيئة بنور الشمس ، وهي في خوفٍ أن تجفَّ في أشعة الشمس .

(٢) قطرة الندى كأنها كوكب من السماء تجلى على الأرض ، والندى في شعر إقبال يرمز أحياناً للأمور العلوية .

(٣) الأكمام : أكمام الزهر ، وهذه القطرة سريعة الزوال ، لم تأخذ نصيباً من الحياة الذاتية .

بَلْ بِالْقَطْرَةِ حَلَقاً لَاهِباً  
 قَطْرَةٌ أَنْتِ ، تُرَى ، أَمْ جَوْهَرٌ ؟  
 حَيٌّ نَفْساً بِحَيَاةٍ مِنْ سِوَاهِ  
 لَمْ تَكُنْ قَطْرَةً طَلٌّ يُشْرَبُ  
 وَكُنِ الْأَمَّاسَ لَا قَطْرَ النَّدَى  
 حَامِلاً غَيْمًا مُفِيضاً أَنْهَرَا  
 فِضَّةً كُنْ بِالتَّمَامِ الزُّبَيْقُ (١)  
 حَرَّكَنْ عَنْ لَحْنِهَا أَوْتَارَهَا

فمضى الطائر فيها راغباً  
 أيها الباغي عدواً تقهراً !  
 حينما الطائر أضناه صدها  
 كانت الشذرة عضباً يُرهَبُ  
 قوة الذات احفظنها أبداً  
 أنضج القطرة كالطود تُرى  
 أثبتت الذات وفيها حَقَّقُ  
 ومن الذات أبن أسرارها

\*\*\*

### قصة الألماس والفحم

يفتح الحقُّ بها باباً عليك :  
 يا حليفَ الثُّورِ طولَ الزَّمَنِ !  
 أصلنا في الكونِ أصلٌ واحدٌ  
 وأنا في الثُّربِ حَظِّي الذَّلَّةُ  
 وأنا مِنْ كَفِّ تَرَبٍ أَضِيَعُ  
 ورماداً آضٍ فيَّ الجَوْهَرُ  
 قد رموا في مهجتي بالشَّرَرِ  
 هل ترى أصلي وفصلي هل ترى ؟  
 كلُّ ما فيَّ شرارٌ يصعدُ  
 كلُّ جنبٍ فيك نورٌ يُشرقُ

قصةٌ أخرى بها أدلي إليك  
 قال للألماس فحمُ المعدنِ :  
 نحن صنوان نمانا والذُّ  
 وعلى التيجان أنت الزينةُ  
 لك حسنٌ في المرايا يسطعُ  
 من ظلامي قد أضاء المجرُّ  
 مَوطىءَ الأقدام بين البشرِ  
 إنَّ حالي ببكاء لَحَرَى  
 إنني موج دُخانٍ يُعقدُ  
 ومن الأنجم فيك الرَّونقُ

(١) كن في صلابة الفضة باجتماع الذرات المضطربة كالزئبق .

تارة نورٌ بعيني قيصرًا تارة فصٌّ يزين الخنجرا

\*\*\*

قال : فاسمع يا رفيقي وافهما  
شئً فيما حوله حرباً ومزً  
هيكلي من نضجه قد نوراً  
أنت من ضعفٍ وكيان تنفق  
اهجرن خوفاً وغماً لا تهن  
من أجاد السعي والأخذ معا  
وبحجر الكعبة انظر حجرا  
جاوز الطور علاء لا جرم  
قوة الأحياء عزً ونجاة

ينضج التربُ فيغدو خاتماً  
وغدا بالحرب صلباً كالحجر  
وبصدري كم شعاع أسفرا  
وبلين في قوام تُخرق  
وانضجن كالصخر والألماس كُن  
فهو في الدارين بدرٌ طلعا  
كان من قبلُ تراباً حُقرا  
ورجت تقبيله كلُّ الأمم  
والونى والذلُّ من ضعف الحياة

\*\*\*

## قصة الشيخ والبرهمي ، ومحاوره نهر الجنج وجبل همالا

في معنى دوام حياة الأمة بالتمسك بستتها

برهمي في بناريس علم  
برجال الله يحقى فعله  
عقله فوق الثريا قد علا  
فكره العنقاء إما حلقا  
كأسه دهرأ خلث من خمرة  
في رياض العلم ألمى شبكا

غائص في فكر كونٍ وعدم<sup>(١)</sup>  
ومن الحكمة وافو كفله  
ذهنه ماضي يحل المشكلا  
شعلة منها السماك احترقا  
قد حماه الراخ ساقى الحكمة  
طائر المعنى به ما أدركا

(١) بناريس : المدينة المقدسة في الهند عند الهندوس .

فَكَرَهُ أَذْمَى وَلَكِنْ لَمْ تَزَلْ  
أَعْرَبْتُ عَنْ يَأْسِهِ آهَاتِهِ  
سَارِ يَوْمًا نَحْوَ شَيْخٍ كَامِلٍ  
لَقِيَتِ الشَّيْخَ بِنَفْسٍ رَاجِيَةٍ  
فَأَهَابَ الشَّيْخُ : يَا خِدْنَ السَّمَاءَ  
ضَقَّتْ فِي الْأَرْضِ مَجَالًا فَعَلَا  
طَاوِي الْأَفْلَاكَ ! فِي الْأَرْضِ قُمْ  
لَا أَقُولُ أَهْجَزُ غَدًا أَصْنَامُكَ  
يَا أَمِينًا لِتَرَاثِ الْأَوَّلِينَ !  
بِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ تَحِيَا الْأُمَّةِ  
لَمْ يَكْمَلْ فِيكَ حَتَّى كَفَرُوكَا  
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ فِينَا هُجِرَا  
قَيْسُنَا مَا هَامَ خَلْفَ الْمُحْمَلِ  
إِنَّ شَمْعَ الذَّاتِ فِينَا لَانْطَفَأَ

\*\*\*

جَاشَ نَهْرُ الْجَنْجِ يَوْمًا جَائِلًا  
حَامِلًا مِنْ بَرْدِ أَوْقَارِهِ !  
فِي سَفُوحٍ مِنْ هِمَالَا قَائِلًا :  
عَاقِدًا مِنْ أَبْهَرِ زُنَّارِهِ (٢)

(١) يدعو هذا الشيخ إلى استمساك البرهمي بدينه وكمال فيه ما دام برهيميا . ويرى الكمال ولو في الكفر خيرا من النقص . ثم يقول : إنَّ الموحدين لا يسرون على نهج إبراهيم الذي كسر الأصنام ، والوثنيين لا يتبعون آزر الذي نحتها .

(٢) الخطاب من نهر الجنج لجبل همالا ، وخلاصة المحاوراة : أن النهر يعبر الجبل بالعجز عن المسير فيجيب الجبل بأن البقاء في ثبات الكائن في مقامه ، وأنَّ الفناء في زواله عن مقوماته . وهذه المحاوراة تصوّر رأي إقبال في إثبات الإنسان ذاته وتقويتها ، وأنَّ نفيها ، أو الغفلة عنها يؤدي بها .

صاغك الحقُّ نجياً للسماء  
 قُيِّدت رجلك عن سيرٍ فما  
 إنما العيش مسيرٌ وُصِّلا  
 غضِبَ الطُّودُ لقول النَّهْرِ  
 قال : يا مرآة وجهي ! ويلكا  
 إنَّ هذا السَّيْرَ فِيهِ العَيْنُ لكُ  
 بمَقَامِ لكُ هَلْأ تَأْبَهُ !  
 يا وليد الفلك المرتفع !  
 قد وهبت النَّفسَ بحرأ غاصبا  
 كُنْ كورِدٍ في رُباه عاكفِ  
 إنما العيشُ نماءً في المكانِ  
 في دهورٍ لم تُزَخِّخْ أرْجُلِي  
 وإلى الأفلاك قَدِّي يصعد  
 أنت تَفْنَى في خِضْمٍ خِضْرِمِ  
 وبعيني لاح سِرُّ الفلكِ  
 وبنارِ الجدِّ طولُ الدَّهْرِ  
 « صخرٌ قلبي وناري في الصَّخْرِ  
 قطرةٌ إن كنت فاحفظ نفسك  
 وابتغِ النُّورَ وكنُ درأً يُضِيءُ  
 أو فزد واعلُ سحاباً ممطرا

وحمى رجلك سيراً في العراء  
 هيةً فيك ورأسٌ قد سما ؟  
 وحياءُ الموج في أن يجفلا  
 فرمت أنفاسه بالشررِ  
 كم حوى صدري بخاراً مثلكا  
 من يزل عن نفسه يوماً هلكُ  
 أفخارٌ بالردى يا أبله !  
 صرّت دون السَّاحل المتَّضِعِ  
 وأبحت الرُّوح لصالبا  
 لا ترم للريح كفَّ القاطف<sup>(١)</sup>  
 وبروضِ الذَّاتِ قطفُ الأقحوانِ  
 أتراني زائلاً عن منزلي ؟  
 فعلى سفحي الثُّريا ترقد  
 وقلالي مسجدٌ للأنجُمِ  
 ويسمعي طيرانُ المَلِكِ  
 قد حوى صدري صنوفَ الجواهرِ  
 ليس للماء إلى ناري ممز<sup>(٢)</sup> »  
 جاهد الأمواج واجنُبْ يأسكا  
 ثم كن قُرْطاً على وجهٍ وضيءِ  
 يُشعل البرق ويهمي أبحرا<sup>(٣)</sup>

(١) الريح : الرائحة . لا ترم أن يقطفك الناس لتفوح رائحتك .

(٢) اقتباس من جلال الدين الرومي مع تغيير في اللفظ .

(٣) إن كنت ماءً فاحفظ نفسك في البحر حتى تصير لؤلؤة . أو كن سحاباً ذا برقٍ ورعدٍ

يجتدي منك البحر ماءه .

يسيطر البحرُ لجداولك يدا      شاكياً من فاقةٍ يرجو الندى  
فهو في فيضك دون الموجهة      وهو في جداولك بادي الذلة

\*\*\*

## في بيان أنّ حياة المسلم لإعلاء كلمة الله وإن كان الباعث على الجهاد « جوع الأرض » فهو حرامٌ في شريعة الإسلام

صبغةً الله أنز في قلبك      والهوى والصيت دغ في حبك  
إنما المسلم بالحب قهر      مسلم لا حب فيه قد كفر  
غض بالحق ، وبالحق نظر      وله في الحق نومٌ وسهر  
في رضاه لرضا الحق فناء      كيف يرضى الناس هذا الادعاء؟<sup>(١)</sup>  
في ربي التوحيد أرسى العمدا      وعلى الناس جميعاً شهدا  
وعليه يشهد الداعي الأمين      شاهدٌ أصدق كل الشاهدين  
فدع القال إلى الحال الجلي      وأضىء بالحق ليل العمل  
وكن الدرويش في زيّ الأميز      ذاكراً لله يقظان الضمير  
واقصدنّ الحق في كل الفعال      يسطعن فيك من الحق جلال  
خير الحرب إذا رمت الإله      شرّ السلم إذا رمت سواه  
نحن إن لم يعمل حقاً سيفنا

\*\*\*

(١) الحق : الله تعالى . يبلغ المؤمن درجة يفنى فيها رضا الحق في رضاه . أي يكون رضاه رضا الحق . والشطر الثاني مأخوذ من جلال الدين الرومي .



شيخنا الشيخ (ميانمير) الولي  
 كان ثبُتاً في طريق المصطفى  
 قبره الإيمان في أوطاننا  
 سجد النجم على أعتابه  
 غرس الملك هواه في الفؤاد  
 بالهوى أضرم ناراً قلبه  
 دوخت أجناده كل وطن  
 ديدن المسلم للحق التجاء  
 قصد الشيخ العلي القدر  
 صمت الشيخ لقول المالك  
 قطع الصمت مريد أقدم  
 قال : مولاي ! اقبل النذر الحقيق  
 عرقى من كل عضو قد همى  
 قال : سلطاني به أولى يدا

(١) القصة التي نظمها الشاعر في هذا الفصل كانت بين السلطان شاهجهان والشيخ ميانمير وشاهجهان أحد سلاطين الدولة الإسلامية المغولية في الهند . ولا تزال آثاره في العمارة زينة الهند كلها ومفخرتها . وهو باني المزار ذائع الصيت « تاج محل » في مدينة آجرا . شاده لزوجته ممتاز محل . حكم ( ١٠٣٧ - ١٠٦٨ هـ ) ومير محمد المعروف بميانمير هو أحد مشايخ الطريقة القادرية في الهند ولد في السند سنة ٩٣٨ هـ . وأخذ عن شيخه الشيخ محمد خضر ، ثم انتقل إلى لاهور ، فأخذ عن مشايخها . وقد عظمت مكانته ، فكان يزوره السلطان جهانجير ثم ابنه شاهجهان صاحب القصة . وتلمذ له عبد الحكيم السالكوتي المعروف في علم الكلام . توفي سنة ١٠٤٥ هـ ومزاره مقصد الزائرين في لاهور اليوم .

(٢) هل من مزيد جاءت في الأصل بلفظها العربي . يعني جعل سيفه يقول : هل من مزيد .

(٣) قال الشيخ : سلطاني .. إلخ .

وعلى الشمس تولّى والقمر  
 عينه فوق سماط الآخريين  
 نفسه بيني ويُردي عالماً  
 شقي المسكين من جوع يديه  
 قطع الطُزق على ركب البشز  
 نهبه فتحاً . ويئس المدعى  
 بسيف الجوع منه شذز  
 وخرابُ الملك جوع الدائل  
 سيفه في صدره قد أغمدا

ملكنا أفقر من كلّ البشز  
 جوعه بالنار يُصلي العالمين  
 سيفه بالقخط والموت رمى  
 ضجت الأقسام من فقر لديه  
 حُكمه في الناس شرٌّ وأشر  
 بخداع النفس والجهل دعا  
 عسكرُ الملك وما قد أسروا  
 غصّة السائل جوع السائل  
 من لغير الله سلّ المُغمدا

\*\*\*

### نصيحة مير نجاة النقشبندي المعروف باباي صحرائي ( الأب الصّحراوي ) التي كتبها لمسلمي الهند

من ضمير الذات نلت المولدا  
 قطرة كُن واشرب البحر صدى<sup>(١)</sup>  
 والغنى في حفظ هذي السلعة  
 يا أسير الوهم أخطأت الفهم  
 سأنتيك بأسرار الحياة :  
 وظهور بعد هذي الخلوة  
 واشتعال بعد يُعشي البصرا  
 واجعلن نفسك بيت الحرم  
 من هوي لا تخف ، مثل العقاب

أنت كالورد من الأرض بدا  
 لا تعدّ الذات واخلد أبدا  
 إنما الربح بهذي الثروة  
 أنت موجود وفي خوف العدم  
 عندي الخبر بأوتار الحياة  
 غوصة في النفس غوص الدرّة  
 هي جمع من رماد شررا  
 هي حول الذات طوف فاعلم  
 حلقن في اللوح عن جذب التراب

(١) كن قطرة لا ترضى بغاية فهي تشرب البحر في ظمنها . الصدى : الظماً .

أنتَ إنَّ لم تكُ طيراً ويحكَا  
أيها الجَاهد في كسب العلوم  
« إنَّما العلمُ لدى الجسمِ شفاء  
قصةُ الرومي تقضي بالعجب :  
وعلى رجليه للعقل قيود  
هو موسى دون طورٍ يُشرق  
وعن الإشراق والشكِّ حكى  
وعن المشاء<sup>(٤)</sup> حلَّ العقدا  
وحواليه صوانُ الكتبِ

فعن الغار فابعد عُشكَا<sup>(١)</sup>  
عن إمام الرُّوم خذ نصحَ الحكيم  
وهو في القلبِ دواءٌ وشفاء<sup>(٢)</sup>  
كان فيضاً من علوم في حلب  
في ظلام العقل بالفلك يَرُود  
ما درى ما العشقُ أو منْ يعشقُ  
ومن الحكمة دزاً سلكَا<sup>(٣)</sup>  
كلُّ خافٍ من سناه قد بدا  
وعلى فيه بيانُ الكتبِ

\*\*\*

أم يوماً مكتبَ المُلا جلال  
قال : ماذا القالُ والقيْلُ وما  
صرخَ الروميُّ : مهلاً يا جهول!  
اخرُجنْ منْ مكتبي يا أبله !  
قالنا أرفعُ ممَّا تعقل  
نارُ شمسِ الدينِ زادت حُرِّقا  
قاستطارَ البرقُ منْ نظرتِه

شيخُ تبريزِ بأمرٍ منْ كمال<sup>(٥)</sup>  
منْ قياسٍ ودليلٍ أوْهما  
لا تهوّنْ منْ مقالاتِ العقول  
قالنا والقيْلُ أنَّى تفقه ؟  
سُرُجُ الإدراكِ منه تُشعل  
فرمى منْ روحِه ما أحرقا  
وتلظَّى التُّزْبُ منْ شعلتِه

(١) إشارة إلى قصة الغار والحمامة التي عشتت عليه . يعني إن لم تكن ذا همة تطير عن الأرض فلا تطلب المنزل الرفيعة .

(٢) بيت من جلال الدين الرومي .

(٣) سلك الدر : نظمه في السلك .

(٤) أي : الحكماء المشائين .

(٥) شيخ تبريز شمس الدين التبريزي الصوفي الذي أرشد جلال الدين الرومي إلى التصوف ، وكمال هو : كمال الدين الجنيدي شيخ شمس الدين .

محرقٌ والكتُّبُ منها في لهيب  
 ما درت أوتارُه ذا النَّعْمَا  
 أحرقْت أسفَارَنَا وقَدْتُهَا  
 ذوقْنَا والحَالُ أنَّى تعلّم؟  
 ولظَانَا الكيمياءُ الأحمر<sup>(١)</sup>

فإذا الأدراكُ من نارِ القلوب  
 جهل الروميُّ عشقاً أضرمَا  
 قالَ : هذي النارُ ما قصَّتُهَا؟  
 قال شمسُ الدين يا ذا المسلمُ !  
 حالُّنا أرفعُ مما تُفكرُ

\*\*\*

فسحاب الفكر يهمي برداً<sup>(٢)</sup>  
 من ترابٍ فيك أطلع شُهْبَا  
 مقصدُ الإسلامِ ترك الآفل<sup>(٣)</sup>  
 فحوته كالجنان الشُّعْل<sup>(٤)</sup>  
 تبتغي بالذَّين إلا الدرهما  
 غافلاً عمَّا به من كحل<sup>(٥)</sup>  
 واسألن ماء الحياة الخنجرا<sup>(٦)</sup>  
 التمس والمسك في الكلب اطلبن  
 لا تؤمِّل كاسَ هذا الكافر

تجمع الحكمة زاداً برداً  
 من هسيم فيك أذك اللهبَا  
 من لهيب القلبِ علمُ الكامل  
 صدَّ إبراهيمُ عمَّا يافلُ  
 قد نَبَذت الذَّين ظهرياً وما  
 أيُّها الساعي لكُحل المُقل  
 من فم الثَّنين فابغ الكوثرا  
 حجرَ الكعبة من بيت الوثن  
 طفئ العشق بعلم الحاضرِ

(١) انتهت قصة الرومي والتبريزي .

(٢) بردا الأولى فعل ماض ، والثانية : البرد الذي ينزل من السحاب .

(٣) إشارة إلى قصة إبراهيم الخليل في القرآن الكريم وقوله حينما أفل الكوكب ثم القمر :

﴿ لا أحب الآفلين ﴾ . وكان الشاعر تصور الآفل خامداً . فقال : إن علم المسلم من

نار القلب . والإسلام ترك ما يافل ، أي : يخمد .

(٤) إشارة إلى قصة لقاء إبراهيم في النار ، وكونها برداً عليه وسلاماً .

(٥) الكحل سواد طبيعي في منابت أشجار العين . يقول الشاعر : أيها الساعي للجمال

المصنوع غافلاً عن جماله الطبيعي ، يعني : المسلم المقلد غيره ، الغافل عما عنده .

(٦) يعني : اركب الأهوال وراء ما تبتغي ، واطلب المنفعة عن كلِّ ضار ، واجعل ماء

الخنجر أي بريقه ماء الحياة .

قد براني السَّعْيُ في كل بعيد  
 وحباني سرَّ هذي الجِنَّة  
 علمُ ذا العصرِ حجابٌ أكبرُ  
 من حدودِ الحسنِّ لا ينطقُ  
 زلقت رجلاه في سُبُلِ الحياة  
 كشقيقٍ فيه نازٌ هامدة  
 من لهيبِ العشقِ تخلو فِطْرَتُهُ  
 عِلُّ العِقل لها العِشقُ دواءُ  
 سَجَدَ العالِمُ للعِشقِ الجليلِ  
 جاءه من نَشْوَةِ الرِّيحِ خلا  
 وعرفتُ السَّرَّ في العلمِ الجديدِ  
 قِيمُ البستانِ بعد الخَبْرَةِ  
 يعبد الوِثْنَ وفيها يَتَجَرَّ  
 وله الظاهرُ سجنٌ مُغْلَقُ  
 وضعتُ في حلقهِ السِّيفَ يداهُ  
 شعلَةٌ كالطَّلِّ فيه بارده<sup>(١)</sup>  
 في طلابِ الحقِّ تبدو خبيثُهُ  
 مبضعُ العِشقِ لدى العِقلِ شفاءُ  
 هو محمودٌ لأصنامِ العقولِ<sup>(٢)</sup>  
 ليله عن وَجدٍ « يا ربِّ » سلا<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

سَرُوكِ الباسقُ قد أغفلته  
 أنت كالتَّاي خَلِي من جواك  
 تبتغي نفسك في سوقِ سِواك  
 مِن سراجِ النَّاسِ نادينا استعر  
 ظَبِينا خاف سِوادَ الكعبَةِ  
 كلُّ سَرُورٍ غيرُهُ أكبرتُهُ<sup>(٤)</sup>  
 بلُحونِ النَّاسِ أعليت صدائك  
 وسماطِ النَّاسِ تجدوهُ يدائك  
 أحرقَ المسجدَ مِن دِيرِ شرز  
 فرمأهُ صائدٌ في الثُّغرةِ<sup>(٥)</sup>

- (١) علم هذا العصر فيه نار كئار الشقائق لا حرارة فيها ، وله بريق كبريق الندى لا نار فيه .
- (٢) السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند الملقب مكسر الأصنام . يعني : أن العشق كمحمود ، والعقول كالأصنام .
- (٣) الضمير في هذا البيت يرجع إلى العقل أو علم العصر الحاضر ، ليس في كأسه نشوة . ولا في ليله دعاء « يا رب » وما فيه من وجد .
- (٤) يرجع يخاطب المسلم .
- (٥) نفر من سواد الكعبة فخرج من الحرم فتمكن منه الصياد .

ورق الورد كالعرف انتشر  
يا أمين السر من أم الكتاب  
نحن حراس حصون الأمة  
أكوس الساقى أراها كسرا  
تعمر الكعبة من أصنامنا  
شيخنا باع الدمي ملته  
شيخ الشيخ بياض الشعر  
قلبه بيت لأصنام هواه  
يلبس الخزقة من يرخي الشعر  
بمريديه أدام السفرا  
أعين عني حكاها الترجس  
عبد الأشياخ فينا المنصب  
واعظ عيناه شطر الوثن  
وجهه للحن ولى شيخنا

جافلاً من نفسه! عذ للمقر<sup>(١)</sup>  
هل إلى وحدة ماضينا إياب؟  
كفرتنا ترك شعار الملة  
حفل نذمان الحجاز انتشرا  
يضحك الكفر على إسلامنا<sup>(٢)</sup>  
جاءلاً زناره سبحته<sup>(٣)</sup>  
وهو للأطفال مثل الشخر<sup>(٤)</sup>  
فهو صفر مقفر من « لا إله »<sup>(٥)</sup>  
آه! للتاجر بالدين أتجر  
في هدى أمته ما فگرا  
وصدور من قلوب نفلس  
حرمه الأمة منهم تذهب  
وفتاوى تشتري بالثمن  
« يا رفاقي بعد ما تديرنا »<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

- (١) يرى إقبال أن الإنسان ينبغي أن يثبت في نفسه وأخلاقه وسنته . ويبعد في مساعيه دون أن ينسى مركزه فهو كالوردة ينتشر عرفها ويلتئم ورقها . فإذا تفرق الورق فنيت .
  - (٢) نحن مسلمون ولكن في أنفسنا وثنية من عبادة الهوى والخضوع لغيرنا .
  - (٣) الدمي : جمع دمية ، يراد بها الإنكليز وما عندهم من مال ومناصب . . إلخ .
  - (٤) يعني : أن الشيخ صار شيخاً بابيضاض شعره لا بعلمه وتقواه . والأطفال يسرون وراءه ساخرين منه . وأحسب الشاعر يعني ضرباً من رجال الطرق في الهند .
  - (٥) « لا إله » اختصار لا إله إلا الله حيثما جاءت في شعر إقبال .
  - (٦) مأخوذ من بيت لحافظ الشيرازي :
- شب از مسجد سوى ميخانه آمد بيرما  
چيست ياران طريقت بعد آزين تدبيرما

## الوقت سيف (١)

نَضَّرَ اللهُ تَرَابَ الشَّافِعِيِّ  
فِكْرُهُ قَدْ صَادَ نَجْمًا لَامِعًا  
فَاتَ خَوْفًا وَرَجَاءً صَاحِبُهُ  
تُغْدِقُ الصَّخْرَةَ مَنْ ضَرَبْتَهُ  
كَانَ هَذَا السَّيْفُ فِي كَفِّ الْكَلِيمِ  
شَقَّ صَدْرَ الْبَحْرِ لَمَعُ الْقَبَسِ  
وَبِهَذَا السَّيْفِ يَوْمَ الْخَطَرِ  
سَحَرَ الْأَبَابَ هَذَا الْأَلْمَعِي  
حِينَ سَمِيَ الْوَقْتُ سَيْفًا قَاطِعًا  
كُفَّهُ كَفُّ كَلِيمٍ ، ضَارِبُهُ  
وَيَغِيضُ الْبَحْرُ مِنْ صَوْلَتِهِ  
فَشَأَ التَّذْيِيرَ بِالْعَزْمِ الصَّمِيمِ  
صَيَّرَ الْقَلْبُومَ مِثْلَ الْبَيْسِ  
زَلَزَلْتُ خَيْبَرَ كَفُّ الْحَيْدَرِ (٢)

\*\*\*

مَمَكَّنْ إِبْصَارُ دَوْرِ الْفَلَكَ  
يَا أُسَيْرَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ انظُرَا (٣)  
أَنْتَ فِي النَّفْسِ بِذَرْتِ الْبَاطِلِ  
وَذَرَعْتَ الْوَقْتَ طَوْلًا ، لِلشَّقَاءِ  
وَجَعَلْتَ الْخَيْطَ زُنَّارًا لَكَ  
صِرْتَ يَا إِكْسِيرُ تُرْبًا سَافِلًا  
اقطع الزنَّارَ حَرًّا لَا تَهْنُ  
إِيهِ يَا غَافِلُ عَنِ أَصْلِ الزَّمَانِ  
يَا أُسَيْرَ الصُّبْحِ وَالْمُسَى اعْقَلْنِ  
وتوالي نُورِهِ وَالْحَلَاكِ  
انظُرْنِ فِي الْقَلْبِ كَوْنًا سُبْرًا  
وَحَسِبْتَ الْوَقْتَ خَطًّا طَائِلًا  
بِذِرَاعٍ مِنْ صَبَاحٍ وَمَسَاءِ  
صِرْتَ لِلْأَصْنَامِ نَدًّا وَيَلْكَأُ  
يَا وَلِيْدَ الْحَقِّ صِرْتَ الْبَاطِلِ  
شَمْعَةً فِي مَحْفِلِ الْأَحْرَارِ كُنْ  
كَيْفَ تَدْرِي مَا خَلُودُ الْحَيَوَانِ (٤)  
« لِي مَعَ اللَّهِ » بِهَا الْوَقْتُ اعْرِفْنِ (٥)

(١) الوقت سيف من كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه .

(٢) حيدر : علي بن أبي طالب .

(٣) انظرا : فعل الأمر مع نون التوكيد الخفيفة .

(٤) الحيوان : الحياة .

(٥) إشارة إلى الأثر : لي مع الله وقت لا يسعني فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، ويريد =

والحياة السرُّ من أسراره<sup>(١)</sup>  
 إنَّها تفنَّى وهذا يخلد  
 وبه في العيش ما ساء وسرَّ  
 وفَرَقَتَ اليَوْمَ من أمسِ الزَّمانِ  
 وحبِيسَ السَّجنِ من بنيانه<sup>(٢)</sup>  
 ليسَ فيه أوَّلٌ أو آخِرُ  
 « لا تسبوا الذَّهر » قول المصطفى

كلُّ ما يظهرُ ، من تسياره  
 ما مِن الشَّمسِ أراه يوجَد  
 وبه الشَّمسُ أضواءَ والقمر  
 قد بسطتَ الوقتَ بسطاً كالمكان  
 يا شذاً قد فرَّ من بستانه  
 وقتنا بين الحنايا سافرُ  
 الحياةُ الذَّهرِ يا مَنْ عرفا

\*\*\*

بين حرِّ ورقيقِ فارقة :  
 حيرةُ الأزمانِ قلبُ المؤمن  
 من صباحٍ ومساءً مُذعنا  
 نفسه حول الليالي نسجا  
 يُحرَمَ التحليقَ في جوِّ السماء  
 طائر الأيَّامِ فيه يُحبَس  
 ليس في تفكيره من طائلٍ  
 نوحُه ليلاً وصباحاً واحداً  
 كلُّ حينٍ ، وحديثُ النِّعمة  
 وثوى في فمه لفظُ القضاء<sup>(٣)</sup>

نكتةٌ كالذُّرِّ خذها رائقة  
 حيرةُ العبدِ مسيرُ الزَّمنِ  
 ينسجُ العبدُ عليه كفنا  
 وترى الحرَّ من الطينِ نجا  
 قفصُ العبدِ صباحٌ ومساءً  
 وبصَدْرِ الحرِّ نارُ النَّفسِ  
 فطرة العبدِ حُصولُ الحاصلِ  
 في مقامٍ من همودٍ راكداً  
 ومن الحرِّ جديداً الخلقة  
 قيَّد العبدُ صباحاً ومساءً

= الشاعر أن يقول إن الوقت حال الإنسان ، لا ساعات الفلك .

(١) الضمير يرجع إلى الوقت .

(٢) يقول الشاعر : إنك أحياناً كالرائحة لا تثبت في بستانها ، وأحياناً سجين في سجن بنته

يد تسير مع ساعات الزمان ، وتحبس نفسك فيها والوقت هو أنت .

(٣) لفظ القضاء والقدر ، يعتلُّ به ، ويحيل الأمور عليه .



وأرى الحرَّ مُشيراً للقَدَرِ      صَوَّرت كَفَّاهُ أحداثَ الدَّهْرِ<sup>(١)</sup>  
 عنده الماضي التَّقَى والقابِل      عاجِلٌ بين يديه الآجِل<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

ضاقَ عن معنَيِ حرفٍ وصدَى      عجزَ الإدراكُ في هذا المدى  
 قلتُ ، واللفظُ من المعنى خَجِلٌ      وشكا المعنى من اللفظِ المَجِلُ  
 مات معنَى في حروفٍ يُحَبَسُ      نازَهَ يُخمدُ منك النَفْسُ  
 سرُّ غيبٍ وحضورٍ في القلوبِ      رمزٌ وقتٍ ومرورٍ في القلوبِ<sup>(٣)</sup>  
 إنَّ للوقتِ لِلحَناءِ صامتا      وله في القلبِ سرّاً خافتا<sup>(٤)</sup>  
 أينَ أيامٌ بها سيفُ الدهرِ      صرَّفته في أيادينا القَدَرِ!<sup>(٥)</sup>  
 قد غرسنا الدِّينَ في أرضِ القلوبِ      وجلونا الحقَّ من سترِ الغيوبِ  
 ومِنَ الدُّنيا حللنا العُقدا      واستنارَ الثُّربُ مِنّا سُجَّدا  
 مِنَ دنائِ الحقِّ صرَّفنا الرِّحيقَ      وهَدَمنا حانَةَ العصرِ العتيقِ  
 يا مديَرَ الرِّاحِ في أضوائِها      ومُذيبَ الكأسِ من لآئِها<sup>(٦)</sup>  
 من غرورٍ واختيالٍ تَسْكُرُ      ومن الفقرِ لدينا تَسْخَرُ!  
 كأسنا كانتِ سِراجَ المحفِلِ      صَدُّرنا كانَ لقلبٍ مُشعَلِ  
 إنَّ هذا العصرَ مِن آثارنا      من عجاجِ ثارٍ في تسيارنا

- (١) عزم الحر من القضاء ، ويقول الشاعر في هذا : إن القضاء يستشير الحرَّ فيما يفعل .  
 (٢) لا يعتل بأن شيئاً قد فات وقته وأن شيئاً لم يحن وقته . بل عزمه يطوع كل وقت لما يريد .  
 (٣) القافية مردوفة والروي في حضور ومرور .  
 (٤) أبيات إقبال هذه في الوقت وفي التفريق بين العبيد والأحرار من أروع ما عرفته الفلسفة والشعر .  
 (٥) في هذا البيت والأبيات بعده يذكر إقبال ماضي المسلمين .  
 (٦) في هذا البيت وأبيات تليه يخاطب الشاعر أهل الغرب المسيطرين على العالم .

عزَّ أهلُ الحقِّ في الدنيا بنا  
كعباتٍ شادَ مِن تعميرنا  
بيدنا رزقَهُ قد قَسَمَا<sup>(١)</sup>  
أن تَرى التَّاجِ مَضَى والخاتما  
قُدْماءَ الفكرِ أحلافَ الصَّغاز  
نحنُ لِلكَونِينِ حُرَّاسُ أباهُ  
ووفينا لحبيبٍ أوْخَدِ  
نحنُ عندَ الحقِّ سرٌّ مَدْخِر  
غيمُنَا فيه بِرُوقٍ وَسَنَا  
آيَةُ الحقِّ وَجودُ المسلمِ

روضَةُ الحقِّ ارتوت مِن دمنَا  
كَبَّرَ العَالَمُ مِن تكبيرنا  
« اقرأ » الحقُّ لنا قَدْ عَلَّمَا  
لا تَهوُّنَ قَدْرَ حِرِّ أَعْدَمَا  
إن نكنُ عندك أصحابَ الخساز  
فلدينا عزَّةٌ من « لا إله »  
قَدْ تركنا غمَّ أمسٍ وغد  
نحنُ ورَّاثُ هدايةٍ للبشر  
لا تزال الشمسُ تُبدي نورنا  
ذاتنا المرآةَ للحقِّ ، اعلم

\*\*\*

### دعاء (٢)

روحنا أنت ، ومنا تستر  
في هواك ، الموت محسود الحياة  
عُدْ فعمَّرَ ذي الصدورَ اليائسة  
ألهبنَّ العشقَ فينا الخامدا  
أنت تُغلي السَّعْرَ والأيدي خلاء<sup>(٣)</sup>  
عشقَ سَلْمَانَ امنحنَّا وبلال  
امنحنَّا واضطرابَ الرُّبُوقِ

أنت في الكونِ كروحٍ مُستِير  
منك فيه نعمةٌ عودُ الحياة  
عُدْ فسكَّنَ ذي القلوبَ البائسة  
عُدْ فكلَّفْنَا الفِعالَ الماجدا  
إننا نشكو تصاريِفَ القضاء  
عن فقيرٍ لا تحجِّبُ ذا الجمال  
عَيْنَ سُهْدٍ لِفؤادٍ قَلْبِق

(١) يشير إلى أول سورة في القرآن : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ .

(٢) الخطاب لله تعالى .

(٣) يعني تكلفنا واجبات عظيمة وليس في يدنا اليوم أسبابها .

آيةً أظهر من الآي المبين  
أظهر البركان من أعودنا  
كفنا ألقى بخيط الوحدة  
قد مضينا كنجوم حائرة  
انظمن في السلك هذا الورقا  
ابعثنا مثل ما كنا لكا  
منزل التسليم أبلغ ركبتنا  
علمن العشق من أفعال « لا »  
لنرى أعناق قوم خاضعين<sup>(١)</sup>  
وامح غير الله في نيراننا  
كم ترى في أمرنا من عقدة؟<sup>(٢)</sup>  
إخوة لكن وجوه نافرة  
جددنا سنة حبا أخلقنا<sup>(٣)</sup>  
اثمن فيما ترى أحبابكا  
عزم إبراهيم يسره لنا  
رمز إلا الله علم غافلا<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

أنا كالشمع لغيري أحرقت  
رب! هذا الدمع نور في القلوب  
أبذر الدمع فتنمو شعلا  
أمس في قلبي ، وعيناى الغد  
« ظن كل أنسى نعم السميز  
أين يا رباه في الدنيا النديم  
وبدمعي كل حفل يشرق  
ذو هياج واضطراب ونحيب  
نار شقر الروض منها تنصل<sup>(٥)</sup>  
أنا في الجمع فريد مؤحد<sup>(٦)</sup>  
ليس يدري أي سر في الضمير<sup>(٧)</sup>  
نخل سيناء أنا ، أين الكليم؟

(١) إشارة إلى الآية: ﴿ إِن نَّشَاء نُنزِلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَمَّا خَلَّصِينَ ﴾ [ الشعراء : ٤ ] .

(٢) يعني : أضاع المسلمين خيط الاتحاد ، فتعقدت أمورهم .

(٣) الورق : ورق الكتاب ، والسلك : الخيط الذي يجمع به الورق .

(٤) « لا » : يريد النفي في كلمة التوحيد ، نفي ما سوى الله ، و« إلا الله » هي الإثبات في هذه الكلمة .

(٥) الشقر : شقائق النعمان . وهي زهر أحمر يضرب به المثل في الاحتراق ، ولكن الشاعر يقول إن هذه النار الباردة تمحوها نار دموعي .

(٦) قلبه متصل بذكري الماضي ، ولكن عينيه تريان المستقبل ، وتطمحان إليه . وهذا معنى يكرره إقبال .

(٧) البيت من فاتحة المثنوي لجلال الدين الرومي في وصف الناي .

ظالمٌ نفسي فَكَمْ عَنَيْتُهَا  
شُعلاً للحسن تذرُو ما به  
وبها العقلُ جنوناً عُلِّمًا  
قد علَّتْ من حرِّها شمسُ السماء  
كلُّ عِزْقٍ فيَّ ناراً يقطرُ  
بلبلي يلفظ هذا الشررا  
صدُرُ عصري ما بقلبِ يوهن  
يخفق الشمعُ وحيداً وَيَلْهُ!  
كم أرجي مُسعداً لي في البشر

\*\*\*

يا من الأنجمُ منه تستنيرا  
اسلُبْنِ نفسي ما أودعتها  
أو فهبْ لي وجهَ حلِّ لِبِقِ

أرجعن نارك من روعي الكبير  
عطلن من نورها مراتها  
هوَ مرأةٌ لعشوقِ مُحرقِ

\*\*\*

يَخْفُقُ الموجُ بموجٍ في العُباب  
ومَعَ الكوكبِ يسري الكوكبُ  
ومَعَ اللَّيْلِ نهاراً أبدا  
نهرأ ، أبصرُ ، يَفْنَى في نَهْرٍ

لا يسيّرُ الموجُ إلّا في صحاب  
وعلى الأقمارِ يحنو الغيْهُبُ  
ومسيّرُ اليومِ يقتادُ غدا  
ونسيمَ الرّوضِ في عَرْفِ الرّهْرُ

- (١) نار تحرق المحسوسات ، وتنفذ إلى البواطن .  
(٢) هذه النار نار العشق تخرج بالعقل عن حدوده الضيقة . وتحرق ما لقنه الناس من علم .  
انظرا الكلام عن العشق والعقل في مقدمة ضرب الكلم .  
(٣) يبكي إقبال لخلوِّ عصره من القلب كما يبكي المجنون لخلو المحمل من ليلي .  
(٤) يعني : أنه كالشمع ، لا يجد فراشاً أهلاً لناره . ليس له أصحاب ، أو تلاميذ يفقهون  
عنه ما يقول .

رَبِّ حَانِ أَهْلِ مَنْ شَرِبَهُ      رَاقِصَ الْمَجْنُونِ مَجْنُوناً بِهِ  
 أَنْتَ يَا وَاحِداً لَا شِبَهَ لَكَ      عَالِماً أَنْشَأْتَهُ مِنْ أَجْلِكَ  
 وَأَنَا مِثْلُ شَقِيقَاتِ الْفَلَا      مُفْرَداً ، فِي بُهْرَةِ الْجَمْعِ خَلا<sup>(١)</sup>  
 هَبْ نَجِيّاً يَا وَلِيَّ النِّعْمَةِ      مَحْرَماً يُدْرِكُ مَا فِي فِطْرَتِي  
 هَبْ نَجِيّاً لَقِناً ذَا جِنَّةٍ      لَيْسَ بِالذُّنْيَا لَهُ مِنْ صَلَاةٍ<sup>(٢)</sup>  
 رُوحَهُ أَوْدِعْ مِنْ أَنْتَابِي      وَأَرَى فِي قَلْبِهِ مِرَاآتِيهِ  
 وَأَسْوِيَّهُ بِطِينِي مُحَكِّماً      وَأَرَى آزْرَهُ وَالصَّنْمِ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

(١) الشقيقات : جمع شقيقة واحدة الشقائق التي تسمى شقائق النعمان . هو وحيد وإن كان جماعة .

(٢) يريد إقبال نجياً مجنوناً . والجنون في لغة إقبال الهيام والإقدام إلى غير حد .

(٣) يكون له ناحتاً كأزر ويكون صنماً له يتوجه إليه توجه العابد إلى الصنم .

القسم الثاني

رُهوز نفي الدّات

( أسرار بيخودي )



## ٢ - رموز بيخودي ( أسرار نفي الذات )

### باللغة الفارسيّة

هذه المقالة الفلسفية المنظومة باللُّغة الفارسيّة نشرها محمد إقبال عام ١٩١٨م وهي من حيث الاسم تبدو أنها ضد الكتاب الأول ، لكنّها في الحقيقة تفسر ، وتبيّن نفس النظرية ، وتعتبر التتمة للأزمة له ، وقد طبعت أحياناً القصيدتان في مجلّد واحد بعنوان « أسرار ورموز » هنا يكمل محمد إقبال فلسفته بالتأليف بين الفرد والقوى أو الذات الكاملة وبين الجماعات التي تعيش فيها .  
وأما الموضوعات الرئيسية فهي علاقة الفرد بالمجتمع ، والإنسانية ، والطبيعة الاجتماعية المثالية ، والمبادئ الأخلاقيّة والاجتماعيّة .

### محتوى الديوان

يبدأ الشاعر المنظومة بتمهيد في ارتباط الفرد والأمة ، ثم يعقد الفصول التالية :

١ - الأمة تنشأ من اختلاط الأفراد ، وكمال تربيتها بالنبوة .

٢ - أركان الأمة الإسلاميّة .

أ - التوحيد : ويستطرد في بيان التوحيد إلى فصول أخرى ، كما يعقد فصولاً أخرى للتمثيل .

ب - الرسالة : وفي هذا العنوان فصول أخرى منها أن مقصد الرسالة المحمدية الحرية ، والمساواة ، والأخوة بين بني آدم ، ويقصّ قصصاً شتى في



هذا الصّدّد . وأنّ الأمة المحمّدية قائمة على التوحيد ، والرسالة ، فلا يحدها مكان ، وأنّ الوطن ليس أساس الأمة ، وأنّ الأمة المحمدية لا يحدها زمان ، ودوامها موعود ، وأنّ نظام الأمة لا يكون بغير القانون ، وقانون أمة محمد القرآن ، وأنّ نجاح الأمة باتباع الشريعة الإلهية ، وأن حسن سيرة الأمة بالتأدّب بالأداب المحمّدية .

٣ - حياة الأمة تقتضي مركزاً محسوساً ، ومركز الأمة الإسلاميّة الحرم .

٤ - الاجتماع الحقيقي لا يكون إلا بقصدٍ يقصد إليه ، ومقصد الأمة المحمدية حفظ التوحيد ، ونشره .

٥ - توسيع حياة الأمة بتسخير قوى العالم . وكمال حياة الأمة أن تحسّ ذاتها كما يحسّ الفرد ، وينشأ هذا ، ويكمل بحفظ سنن الأمة .

٦ - بقاء النوع بالأمومة . وحفظ الأمومة واحترامها من قواعد الإسلام .

٧ - السيدة فاطمة الزهراء أسوة كاملة لنساء الإسلام .

٨ - خطاب إلى المسلمات .

٩ - خلاصة مطالب المنظومة في تفسير سورة الإخلاص .

١٠ - مناجاة المصنّف الرّسول الذي بُعث رحمةً للعالمين .

ويبيّن محمد إقبال في هذه المنظومة فكرة أنّ « الوطن ليس أساس الأمة » فيقول : إنّ العصبية الوطنية قطعت أرحام الأمم ، وبيّن كيف هجر النّصارى دين عيسى وتقطع أمرهم بينهم . . . كلّ حزب بما لديهم فرحون .

ويذكر ميكافيلي الإيطالي ، وأثره في سياسة أوربة إلى أن يقول :

جعل الملك إلهاً دينه      كلّ قبح ناله تحسينه  
وزن الحقّ بربع وجدى      ولدى الملك خنوعاً مسجداً

فزهـا الباطل مما أعلمـا<sup>(١)</sup>

صير الحيلة فتناً محكما

ويخاطب المرأة المسلمة :

والى صدرك ضمّي وُلدك  
هذه الأفسـراخ ، لا تطـر  
فاتبعي الزهراء ، نعمـ الأسوء  
فترى النضرة روضات ذوين

احذري فتنة عصر مهلك  
بعدت عن عشها في خطر  
فيك تسمو للمعالي فطرة  
عل غصناً منك يأتي بحسين

\*\*\*

---

(١) إقبال - للدكتور عبد الوهاب عزام ص ١٣٧ .

جذ بنقي الذات . لا تهاب  
اجتهد ، والله يهديك الصواب  
( جلال الدين الرومي )

## تمهيد

### مهداة إلى الأمة الإسلامية

إيه يا مُنكراً أحاديثَ عشقي  
 ختمَ اللهُ إليكَ الأُمَمَا  
 كم تقيّ فيكَ كالرسل مُنيب  
 لك طرفٌ بالنّصارى سُجرا  
 يا منِ الأفلاكِ مِنْ هَبوتِها  
 سرتِ كالـموجِ دُؤوبِ السّفْرِ  
 كـفَراشِ في لظىِ الحَبِّ اصبري  
 أحكمي العشقَ بروحِ قَدْ صفا  
 صحبَةَ النّصرانِ قلبِي هجرا  
 ورفيقي رهناً حَسَنَ الآخِرينِ

ليس بي حُرقةٌ تكون بغير عُرْفِي<sup>(١)</sup>  
 بكِ حَقّاً كَلَّ بَدءُ خُتْمَا  
 وجريحِ القلبِ رِقَاءَ القلوبِ  
 وعن الكعبةِ أبعدتِ السُّرى<sup>(٢)</sup>  
 « من رنا الكونَ إلى طلعتها »<sup>(٣)</sup>  
 « أين تبغين مُرادَ التّظُرِ ؟ »<sup>(٤)</sup>  
 وخذي عُشْكَ بَيْنَ الشَّرِ  
 جَدّدي العهدِ بحبِّ المصطفى  
 حينما وجهك عندي أسفرا  
 واصفِ الطّرةِ منهمم والجيينِ

- (١) ترجمة بيتٍ لعرفي الشيرازي صدر به الشاعر هذه التقدمة . ومعناه : لا يستطيع أحدٌ إنكار ما أصف من آلام عشقي . فإنه إن شعر بالآلام التي أصفها فهذه الآلام لا تكون بي ولكن به هو . إنني أصف شيئاً لا يمكن أن يكون في قلب غيري ، فكيف يستطيع إنكاره !؟
- (٢) يعني أهل أوربة الذين سيطروا على الهند وغيرها حقبةً .
- (٢) الأفلاك من الهبة التي أثمرتها في جهادك على الأرض .
- (٤) الشطران بين الأقواس بيت للشيخ سعدي الشيرازي .

سَدَّةَ السَّاقِي بِخَدَّيْهِ يَدُوسُنْ  
وَأَنَا فِيكَ قَتِيلُ الْحَاجِبِ  
أَنَا مَنْ نَظَمَ مَدِيحَ أَرْفَعُ  
كَمْ مَرَايَا صُغْتُهَا مِنْ كَلِمِي  
لَا تَرَى الْمَنَّةَ جِيدِي تَأْطِرُ  
مُقَدِّمٌ فِي الدَّهْرِ مِثْلَ الْخِنْجَرِ  
أَنَا فِي نَارِ الْحَيَاةِ الشَّرُّرُ  
مَنْشَدًا قَصَّةَ غُلْمَانِ الْمَجُوسِ<sup>(١)</sup>  
وَتُرَابٌ فِي حِمَاكِ الْحَادِبِ  
لَسْتُ مَمَّنْ لِأَمِيرٍ يَرْكَعُ  
فَعَنَ إِسْكَندَرَ تَعْلُو هِمَمِي<sup>(٢)</sup>  
مَنْ زَهْرُ الرُّوْضِ حِجْرِي صَفِيرُ<sup>(٣)</sup>  
مَنْ قُلُوبِ الصَّخْرِ مَائِي أَمْتَرِي<sup>(٤)</sup>  
فِي ثِيَابٍ مِنْ رِمَادِي أُسْتَرُ

\*\*\*

قَصَدْتُ بَابِكَ رُوحِي فِي خَشُوعِ  
إِنَّ فِي الزَّرْقَاءِ يَمًّا يَقْطُرُ  
أَجْمَعُ الْقَطْرَ رِبْعًا جَارِيًا<sup>(٥)</sup>  
قَدْ حَيَّيْتُ الْحَبَّ مِنْ مَحْبُوبِنَا  
قَذَفَ الْعَشِقُ بِقَلْبِي حُرْقًا  
وَشَقَّقْتُ الصَّدْرَ ، كَالْوَرْدِ لِكِ<sup>(٧)</sup>  
فِي هَدَايَا مِنْ لَهَيْبٍ وَدَمُوعِ  
فَوْقَ قَلْبِي لَا هَبِّ لَا يَفْتَرُ  
وَإِلَى رَوْضِكَ أَزْجِي صَافِيَا  
أَنْتِ قَلْبٌ قَدْ ثَوَى فِي صَدْرِنَا<sup>(٦)</sup>  
صَاغَ مَرَاةَ فَوَّادِي الْمُحْرَقَا  
مُذْنِبًا مَرَاتِهِ مِنْ وَجْهِكَ

(١) يعني : أنَّ الشعراء الآخرين فتنوا بذكر ألحان وغلمان المجوس ، وهؤلاء في الشعر الفارسي كغلمان النَّصَارَى في الشعر العربي يقرون ذكرهم باللَّهْوِ وَالسُّكْرِ ؛ إذ كانوا خدام الحانات .

(٢) مرآة إسكندر مشهورة في الشعر الفارسي ، يقال : إنه كان يرى فيها الأقاليم ولعلَّ أصل الخرافة منارة الإسكندرية ومراياها . ويقول الشاعر هنا : إنَّ في شعري مرايا كمرآة إسكندر ، فلست في حاجة إليها .

(٣) يعني : أنه لا يجني الزهر في حجره بل يستكبر أن يجنيه استغناء عنه .

(٤) حذف بعد هذا بيتان .

(٥) الربيع : النهر الصغير .

(٦) محبوبنا الرسول ﷺ .

(٧) يتخيل الشعراء أن الورد يمزق صدره حين يفتح ، ويقول الشاعر : إنَّ العشق صاغ قلبه =

لتنالني نظرةً من سحرِكِ  
ثم أشدو قِصصاً من أمسك  
وتُرَي مغلولةً في شعركِ<sup>(١)</sup>  
فأذْكي حُرْقاً في نَفْسِكِ

\*\*\*

أسأل الحقَّ حياةً تحضِّف  
نائحٌ والليل ساجٍ سادلُ  
تصطلي روعي بحزني وألم  
أملاً في الصدر صيِّرتُ دما  
ما احتراقي كشقيقٍ أبدا  
أنا كالشمع دموعي عُسلي  
محفلُ الناس بنوري يُشرقُ  
ما لناري في الحشا من فترةٍ  
إنَّ روعي في سحيق الجسد  
مُذ براني الحقُّ فجرَ الخلقة  
أنةً للعِشيق تُفشي سرِّه  
تجعل العصفَ لهيباً يُحرقُ  
لفريقٍ نفسَه لا يعرف  
يهجَعُ الناسُ ودمعي هاطلُ  
وردُ « يا قَيْتوم » أنسي في الظلم  
لُيرَى في أدْمعي مُنجمَا  
فيم أستجدي من الفجر الندى<sup>(٢)</sup>  
في ظلام الليل أذكي شُعلي  
أنشُرُ النور ونفسي أحرقُ  
ما بأسبوعي فراغُ الجمعة<sup>(٣)</sup>  
آهةً ثوبَ غبارٍ ترتدي<sup>(٤)</sup>  
زلزلت أوتارَ عودي أنتي  
آهةً في العِشيق تُذكي جمره  
وفراشاً من ترابٍ تخلُقُ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

- = مرآة وهو يشق صدره فيضع هذه المرآة أمام الأمة الإسلامية لترى فيها حقيقتها .
- (١) أي لتقدري جمالك ، وتدركي مزاياك ، وتحبي نفسك .
- (٢) الشقيق : زهر أحمر يجعله الشعراء مثلاً للاحتراق . ويقول إقبال : ما هذا الاحتراق الذي هو لون لا حقيقة له ، ولماذا أستجدي الندى من الفجر كالشقيق وغيره من الزهر . أنا أحترق بناري كالشمع وأتخذ من دمعي ندى .
- (٣) أيامه كلها عملٌ وجهدٌ ، ليس فيها يوم راحة .
- (٤) روحه آهة والجسد ترابٍ يسترها كما يتردى الإعصار بالغبار .
- (٥) تجعل العصف - وهو الهشيم ضعيف اللهب - ناراً قوية تحرق غيرها ، وتخلق من التراب فراشاً هائماً يهفو على النار .

في ضمير العشق وَسَمٌ كَالشَّقْزِ      وله وردةٌ وجدي تستعز  
 هذه الوردة أَحْبُو صَدْرِكَ      في سُبَاتِ مِنْكَ أَذْكَى حَشْرِكَ  
 لأرى في تُرْبِكَ الرَوْضَ الْيَنْبِغِ      وبأنفاسِكَ أرواحَ الرَّبِيعِ

\*\*\*

## في معنى ارتباط الفرد والأمة

رحمةٌ للفرد جِجْرُ الأُمَّةِ      كاملٌ جوهره في الملة  
 فالزَمَنَّ الجمعَ جهْدَ المستطاعِ      في ذُرَا الأحرارِ كُنْ مِثْلَ الشعاعِ  
 واخْفَظَنَّ ما قاله خيرُ البشرِ :      كلُّ شيطانٍ مِنَ الجمعِ نَفْرُ  
 فَزِدْنَا مَرَاتِهِ أُمَّتُهُ      وكذا مَرَاتِهَا صَوْرَتُهُ  
 وهما سِنْلُكَ نظامٍ ودُرُزُ      أو نجومٌ تتجلى في النَّهْرِ<sup>(١)</sup>  
 قيمةُ الأفرادِ جدوى الملةِ      ومن الأفرادِ نظمِ الأُمَّةِ<sup>(٢)</sup>  
 وإذا الواحدُ في الجمعِ نما      كان كالقطرةِ صارتِ خِضْرِمَا  
 جُمِعَ الماضي له في لُبِّه      والتقوى الغابِرُ والآتي به  
 صلةُ الأُمسِ تراه والغدِ      وقته لا ينتهي كالأبدِ  
 هو بالأُمَّةِ قلبٌ طامحُ      وهو بالأُمَّةِ سعيُّ رابحُ  
 روحه من قومهِ ، والبدنُ      سرُّهُ مِنْ قومهِ والعَلَنُ  
 بلسانِ القومِ يشدو منطلقا      وَمِنْ الأسلافِ يَقْفُو طُرُقَا  
 تُنضِجُ الفطرةَ فيه الصُّحْبَةُ      فتراه الفردَ وهو الأُمَّةُ  
 تُحَكِّمُ الوحدةَ فيه الكثرةُ      وهي ، بالوحدةِ فيه ، وحدة<sup>(٣)</sup>

(١) نهر المجرة .

(٢) قيمة الأفراد من فضل الأمة عليها .

(٣) كثرة الأمة لا تضر بوحدة الفرد بل تحكمها ، والكثرة فيها موحدة بوحدة الفرد . ورأي =

أفردِ اللَّفْظَ مِنَ الْبَيْتِ تَرَى  
تَسْقُطُ الْأَوْرَاقُ مِنْ غَصَنِ يَنْبَعِ  
طَفَيْتُ أَنْعَامُ أَعْوَادِ غِنَاءِ  
يُحْرَمُ الْفَرْدُ الْوَحِيدُ الْمَقْصِدَا  
تَجْمَعُ الْأُمَّةُ شَمْلَ الْمُنَّةِ  
نَشَأَتْ بِالْقَيْدِ حَرًّا مَطْلَقَا  
ظِيَّهُ الْوَثَابُ مِسْكَاً يَعْبِقُ  
أَنْتَ لَمْ تَعْرِفِ «خُودِي» مِنْ «بِيخُودِي»  
إِنَّ فِي طِينِكَ نُورًا قَدْ بَدَا  
كُلُّ غَمٍّ وَرِضًا مِنْ دُورَتِهِ  
أَنْتَ مِنْهُ أَنْتَ حَقًّا ، وَأَنَا  
يَخْلُقُ النَّفْسَ وَيَذُرُّ وَيُقَرِّرُ

جوهر المعنى لديه انكسرا<sup>(١)</sup>  
فترى محرومة وصل الربيع  
فاتها من زمزم الأمة ماء  
فترى نظم قواه بددا  
فيه تحبوه عظيم الهمة  
أثبتت في الأرض سزوا بسقا<sup>(٢)</sup>  
إن حواه من نظام وهق<sup>(٣)</sup>  
أنت لا ريب من الشك ردي<sup>(٤)</sup>  
بشعاع منه أبصرت الهدى<sup>(٥)</sup>  
أنت حي بتوالي ثورته  
أنا وهو الفرد لا يرضى ثنا<sup>(٦)</sup>  
ذو دلالة في خضوع مستر<sup>(٧)</sup>

= إقبال أن غاية الجماعة تقوية الفرد وإسعاده ، وهو لا يفنى فيها .

- (١) الفرد في الجماعة كلفظ في بيت من الشعر إن فصلت اللفظ من البيت اختل البيت ، وتعطل معنى اللفظ .
- (٢) تقييد الفرد بقيود الجماعة لا يعبده بل يحرره ، وثباته في الجماعة ينميه مثل الشجرة تثبتها في الطين فتنمو وإن لم تثبت في الأرض لم تنم .
- (٣) الوهق : حبل فيه آخية يصطاد به يعني : أن قيد النظام للإنسان يمنع وثوبه ولكن يكمله ويطيبه .
- (٤) أثبت خودي ، ومعناها : الذاتية ، وبيخودي : أي نفي الذاتية على لفظهما في الأصل يعني الشاعر أن الإنسان إن لم يميز مواضع الذاتية من مواضع نفيها اشتبه عليه أمره ، وهذا أساس فلسفة إقبال . انظر المقدمة .
- (٥) يعني : الذاتية .
- (٦) وجودك منه ووجودي منه ، وهو مع هذا فرد لا يثنى .
- (٧) هذا النور الذي يسميه الذاتية يصنع نفسه ويثبتها ويفرقها . وله دلالة يظهر في صورة خضوع ، يعني أنه غالب ، وكأنه مغلوب .



يأسرُ الشعلةَ هذا الشرُّ  
حرّةٌ رهنٌ قيودِ فطرته  
لكفاحِ دائمٍ تنزّو فواه  
يستثيرُ الحربَ في جلوته  
يقطعُ الجبرُ عليه الطرُقَا  
تشظّي الذّاتُ في أمّتها  
نكتةٌ خذها بكفِّ مخدَم

لهبٌ من حرّه مُستعرٌ<sup>(١)</sup>  
جزؤه بالكُلِّ حاطت قوّته  
هو يُسمّى الذاتُ أو يُسمّى الحياه  
حين يُيدي النَّفسُ من خلوته<sup>(٢)</sup>  
ولهُ بالحبِّ فرعٌ سمّقا<sup>(٣)</sup>  
لُتري الروضةُ من زهرتها<sup>(٤)</sup>  
« وانصرف عني إن لم تفهم »<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

## في معنى أنّ الملة تنشأ من إخلاص الأفراد وأنّ تكميل تربيتها بالنبوة

ما ارتباطُ الجمع ، أنّي يوصفُ ؟  
إنّنا نبصرُ فرداً في الجميع  
فطرةٌ تنهجُ نهجَ الوحدَةِ  
كلُّ فردٍ بأخيه ائتلفا  
لَقَّهَم في عيشهم معتركُ  
قصّةٌ أوّلها لا يُعرفُ  
زهرةٌ نقطف في هذا الربيع<sup>(٦)</sup>  
إنّما تزهرُ وسطَ الرّوضة  
مثلَ درّ في سُموطِ ألفا  
كلُّ فردٍ بأخيه مُمسِكُ

- (١) شررٌ صغير ، ولكنه كبيرٌ في معناه يقوى على الشعلة الكبيرة .
- (٢) يظهر من خلوته أي يبدو في الكون فيثير حرباً هي جهاد الحياة الدائم .
- (٣) الجبر والإكراه يقطع عليه الطريق ، وهو بالحق والاختيار ينمو ويعظم .
- (٤) تفرق الذات نفسها فتتمو من زهرتها روضة ، أي : تعظم وتكثر بهذا التفريق .
- (٥) هذا الشطر من المثنوي لجلال الدين الرومي .
- (٦) مذهب إقبال أنّ غاية الجماعة سعادة الفرد ، وأن الفرد لا يفنى من أجل الجماعة .

من جِذَابِ تَتَوَالِي الْأَنْجَمِ كوكبٌ من كوكبٍ مستحِكِمٌ

\*\*\*

كان رَكْبُ النَّاسِ مَأْوَاهُ الْجِبَالُ  
نَسْجُهُ مَا أَحْكَمْتَ لُحْمَتَهُ  
عَوْدُهُ مَا بَلْحَوِينِ رَتْمًا  
لم يُثِرْهُ مِنْ رَجَاءٍ مِضْرَبِ  
مَحْفَلٍ غُفْلٍ حَدِيثِ الْمَوْلِدِ  
لم يُرْعَرْغُ فِي ثَرَاهِ نَجْمُهُ  
فَكَرَهُ دَارٌ لِغِيْلَانِ الْخِيَالِ  
ذُو وَجُودٍ ضَيِّقِ مِيدَانِهِ  
طِينُهُ مِنْ خَيْفَةٍ قَدْ خُلِقَا  
رُوحُهُ مِنْ كُلِّ صَعْبٍ تَهْرُبُ  
كُلُّ مَا يَنْمُو بِأَرْضٍ يَقِطِفُ

\*\*\*

ثم يهدي الله ذا قلبٍ بصيرٍ  
عازفٌ في كلِّ نفسٍ ينْفُثُ  
تقبسُ الذرَّةَ مِنْ أَنْوَارِهِ  
يَنْشُرُ الْأَنْفَسَ مِنْهُ نَفْسُ

يكتب الأسفار مِنْ حَرْفٍ يسيرٍ  
وحياءةً في مَوَاتٍ يبعثُ  
كلُّ قَدْرِ حَالٍ في معياره<sup>(٤)</sup>  
بشعاعٍ منه يُزْهَى مَجْلِسُ

(١) المضرب ما يضرب به أوتار العود .

(٢) يعني : ليس عنده نشوة العمل والإقدام .

(٣) النجم : النبات الذي لا ساق له .

(٤) أي : تغيرت قيم الأشياء بما أتى به من مقاييس جديدة .

شفةٌ تُحيي وعينٌ تجذبُ  
يَهَبُ النَّاسَ جَدِيدَ النَّظَرِ  
فترى الأُمَّةَ مِنْهُ سائره  
شراً في قلبها قَدْ أشعلا  
سيرهُ يعطي الترابَ البصرا  
عاريَ العقل بجدواه كسا  
ينفُخُ الجَمرةَ في موقده  
ويفكُّ العبدَ مِنْ أغلاله  
قائلاً أن لستَ عبداً فاعلمِ  
يجذب الإنسانَ شطر المقصدِ  
نكتةَ التوحيد يوحىها إليه

وَخَدا الأَشْثات هذا عَجَبٌ<sup>(١)</sup>  
يَجْعَلُ اليَدَ كروضٍ نَضْرٍ<sup>(٢)</sup>  
بلهيبٍ مِنْهُ حَرَى نائره  
فأحالَ الطَّيْنَ فيها شُعلا  
فإذا الذرَّةُ سِناءَ تَرَى<sup>(٣)</sup>  
وَهَبَ الثروةَ هذا المفلسا<sup>(٤)</sup>  
ويذيبُ الغِشَّ من عسجده<sup>(٥)</sup>  
ويُجيرُ القنَّ من أقياله  
أترى قدرَكَ دون الصَّنمِ<sup>(٦)</sup>  
جاعلَ الشَّرعِ زماماً في اليَدِ  
أدبَ الطاعةِ يمليه عليه<sup>(٧)</sup>

\*\*\*

- (١) كلامه ونظره يجذب البعيد إليه حتى يصيرا كنفس واحدة .  
(٢) يهب الناس نظراً جديداً فيرون الأشياء على غير ما رأوها قبلاً ، فرب حسن يصير قبيحاً ، وقبيح يصير حسناً .  
(٣) ترى الذرة على ضآلتها طور سينا . الذرة لا ترى إلا في نور الشمس ، ولكن هذا الرسول الذي يتحدث عنه الشاعر يحيي الموات ، وينير الظلم ، فترى الذرة طور سينا .  
(٤) العقل عريان مفلس حتى يمدّه الرسول فيكسوه ويغنيه أي : هو يهدي العقل ويقويه .  
(٥) يشعل العقل ، ويميز له الخبيث من الطيب .  
(٦) الناس يعبدون الصنم ويستعبدون الإنسان فيقول الرسول للإنسان لست عبداً ، ولست قدراً من الأصنام .  
(٧) يقيدّه بالشريعة ليجذبه إلى المقصود ويعلمه توحيد الله وأدب الطاعة فترى الإنسان حراً من عبادة الكبراء مقيداً بالشرع .

## أركان الأمة الإسلامية

### الركن الأول : التوحيد

طَوَّفَ الْعَقْلَ بِدُنْيَا الْعِلَلِ      قَادَهُ التَّوْحِيدَ شَطْرَ الْمَنْزِلِ  
أَعْوَزَ الْمَنْزِلُ هَذَا السَّابِلَا      زَوْرَقُ الْفِكْرِ أَضَلَّ السَّاحِلَا  
فِي « آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا » مُضْمَرُ      رَمَزُ تَوْحِيدِ لِقَلْبٍ يُبْصِرُ<sup>(١)</sup>  
يَبْتَلِي التَّوْحِيدُ فِيكَ الْعَمَلَا      فَيَجْلِي لَكَ سِرًّا أُغْفَلَا  
يُشْرِقُ الدِّينُ بِهِ وَالْحِكْمَةُ      وَيُرَى الْأَيْدُ بِهِ وَالْمُكْنَةُ  
قَدْ تَجَلَّى حَيْرَةً لِلْعَالِمِينَ      وَتَجَلَّى عَمَلًا فِي الْعَاشِقِينَ  
يَرْتَقِي فِي ظِلِّهِ الْمُتَضِعُ      وَيَصِيرُ التُّرْبُ تِبْرًا يَسْطَعُ  
يَجْتَبِي التَّوْحِيدُ عَبْدًا ثَابِرَا      فِيرُدُّ الْعَبْدَ خَلْقًا آخِرَا  
فَهُوَ فِي الْحَقِّ حَيْثُ دَائِبُ      دُمُهُ كَالْبَرْقِ فِيهِ لَاهِبُ  
رَبُّهُ يَفْنَى وَيَحْيَا الْعَمَلُ      عَيْنُهُ فِي الْكَوْنِ يَقْضَى تَعْمَلُ  
فِي « مَقَامِ الْعَبْدِ » إِنْ تَثَبَّتْ قَدَمُ      جَرَّةِ السَّائِلِ تُصْبِحُ جَامَ جَمِ<sup>(٢)</sup>  
« لَا إِلَهَ » الرُّوحُ فِي أَمْتِنَا      « لَا إِلَهَ » اللَّحْنُ فِي نَعْمَتِنَا<sup>(٣)</sup>  
« لَا إِلَهَ » السِّرُّ فِي أَسْرَارِنَا      « لَا إِلَهَ » السَّمْطُ مِنْ أَفْكَارِنَا  
صَارَ قَلْبًا إِنْ حَوَاهَا حَجَرُ      كُلُّ قَلْبٍ لَمْ تُتْرَهْ ، مَدْرُ  
يَتَلَطَّى الْكَوْنُ مِنْ زَفَرْتِهَا      وَيُضِيءُ الْقَلْبُ مِنْ وَقْدَتِهَا  
وَتُسِيلُ الْقَلْبَ مَاءً فِي الصَّدُورِ      تَصْهَرُ الْمَرَاةُ مِنْهُ فِي الْحَرُورِ

(١) إشارة إلى الآية في سورة مريم ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ [مريم : ٩٣] .

(٢) كأس جشميد التي ترى فيها الأقاليم السبعة . أي إن صدقت النية في مقام العبودية لله وحده ينقلب السائل ملكاً ووعاؤه الذي يجتدي فيه يصير كأس جشميد .

(٣) تقدّم أنّ « لا إله » اختصار كلمة التوحيد .

كلُّ ما نمتاره منها الحريق  
فأبو بكرٍ أخوه وعمر  
وهذه الكأسُ بها هاجَ الفؤاد  
أشرفتُ سيناءَ من ذي الجلوة  
هذه الفكرُ بها والأمل  
فعيارُ الحُسنِ والقُبْحِ بها  
دونَ نارِ الحقِّ في أوتاره<sup>(١)</sup>  
من « أبيكم » خذ إذا شئت الدليل<sup>(٢)</sup>  
وبنتُ منْ نسيبِ بنيانها  
تُعبدُ الأرضُ بها كالصنم؟  
حُكمها في الجسم ، والجسمُ هباءُ  
هو في الأبوابِ منّا مُضمَرُ  
قلبنا في الغيبِ إذ نحنُ شهودُ<sup>(٣)</sup>  
بصرُ ليس يراه مُبصرُ<sup>(٤)</sup>  
كسهامِ جمعِتها جعبةُ<sup>(٥)</sup>  
ورجاءٌ ومآلٌ واحدُ  
قلبنا والسرُّوخُ واللفظُ سواءُ

شعلةٌ في روحنا مثلُ الشَّقِيقِ  
بيّضُ التَّوحيدُ مُسودَّ البَشْرِ  
ليس إلا القلبُ قربُ وابتعادُ  
وحدة القلبِ قوامُ الأُمَّةِ  
قد هدى الأُمَّةُ سُبُلَ العملِ  
نزعةٌ واحدةٌ في قلبها  
لا يُجيدُ الفكرُ في قيثاره  
نحن في الإسلامِ أبناءُ الخليلِ  
أُممٌ قد عبتْ أوطانها  
أتري الأوطانَ أصلَ الأممِ  
إنّما الأنسابُ فخرُ الشُّفهاءِ  
ضمّنا في الحقِّ أسنُّ آخرُ  
قد خلصنا من حدودٍ وقيودِ  
ضمّنا ، كالزهر ، نظمٌ مضمُرُ  
وحد الرئيُّ لنا والفكرةُ  
نحن فكرٌ وخيالٌ واحد  
نحن من نعمائه جلفٌ إخاءُ

\*\*\*

- (١) الفكر وحده لا يجدي ، ولا بد له من حرقه الإيمان .
- (٢) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ قِيلَ أَيُّكُمْ أَزْهَمٌ ﴾ [ الحج : ٧٨ ] .
- (٣) أمّتنا مؤسسة على العقيدة لا على الأرض . فقلوبنا ليست رهن الحسن بل هي منصلة بالغيب ، أي بالمعاني التي لا تحدها الأوطان .
- (٤) نظامنا قائم غير مرئي ، كالبصر لا تدركه الأبصار .
- (٥) الرئي : المظهر .

في معنى أَنَّ الخوف ، والحزن ، واليأس أمهاتُ الخبائث (١)

وقاطعاتُ طريق الحياة ، وَأَنَّ في التوحيد دواءً هذه

### العلل الخبيثة

عُدَّة الموت فَنُوطٌ مُجْبَطٌ      والحياة الحقُّ أن « لا تقنطوا » (٢)  
إنما العيشُ رجاءٌ يُوصل      فقنوطُ الحيِّ سَمٌّ يَقْتُلُ (٣)  
يأسك القبر إليه ترجع      إن تكن أَلُونَدَ فهو المصرع (٤)  
رُبَّت الخيبة في أكنافه      ونما العجز على أطفاه (٥)  
أه من نوم الحياة المُخْدِر      إنَّه آيةٌ ضعفِ العنصر  
كحلُّه في العين يُعمي البصرا      ويردُّ الصُّبْحَ ليلاً أكْدرًا (٦)  
نفسٌ منه سَمومٌ للحياه      كلُّ ينبوع به جفَّ ثراه  
وهو للغمِّ حليفٌ واصلٌ      إنَّما الغمُّ لحيِّ قاتلٌ  
يا سجينَ الغمِّ أبصِر واسمع      من رسول الله « لا تحزن » وعي (٧)  
ذلك النَّصْحَ سرى في قلبه      فغدا الصُّديقُ صديقاً به  
نما المسلم مثل الكوكبِ

(١) مأخوذ مما جاء في الأثر من تسمية الخمر أم الخبائث .

(٢) مقتبس من القرآن ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ .

(٣) رجاء يوصل : دائم لا ينقطع .

(٤) أَلُونَدَ : جبل عال مشرف على مدينة همدان يعني : إن تكن كجبل أَلُونَدَ في اليأس مصرعك .

(٥) الضمير اليأس في أكنافه تشب الخيبة ، ويفضله ينمو العجز .

(٦) الكحل يجعلو البصر ولكن كحل اليأس يعمي ويجعل النور ظلاماً .

(٧) إشارة إلى ما حكى القرآن الكريم من قول الرسول لأبي بكر في الغار : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

إن عرفت الله ، أغلالَ الطمغ  
 وزدَ « لا خوفَ عليهم » فاقْرَأْنِ<sup>(١)</sup>  
 حين يمضي نحو فرعونِ كليمِ<sup>(٢)</sup>  
 وهو لأحياء قطعُ السُّبُلِ  
 وترى المُقْدَامَ منه حَزِيراً  
 حَرَمْتَهُ من تجلِّبها الحياهُ  
 يد شُلَّتْ وقلبٌ يَرْجُفُ  
 يسلُبُ الرأسَ قوى أفكارها  
 هانَ كالوردِ ، عليه قطفُكَا  
 عينُهُ فيك حسام لا يَدي<sup>(٣)</sup>  
 من عُبابِ مائجٍ في دهرنا  
 فمنَ الخوفِ تندَى وتركُ  
 ويهزُّ اللحنُ آفاقَ السَّمَاءِ  
 أصله الخوفُ ، إذا ما تُبْصِرُ  
 مثل ميم الموت قلبٌ أظلما<sup>(٤)</sup>  
 أذنه تدليسُ أخبارِ الحياهِ<sup>(٥)</sup>  
 ونفاقُ القلبِ منه يورقُ

حرَّ النَّفْسِ مِنَ الغمِّ ودَغ  
 قوَّةُ الإيمانِ تُحيي فاعلمن  
 قلبه من « لا تخف » قلبٌ سليمٌ  
 خوفٌ غيرِ الله قتلُ العملِ  
 وبه العزمُ يخافُ الغيرا  
 من نما ذا البذر يوماً في ثراهُ  
 فهو فسَلٌ وهو شادٍ يَغْرِفُ  
 يسرقُ الرجلَ قُوى تسيارها  
 إن تجلَّى لعدوِّ خوفُكَا  
 سيفُهُ يزدادُ فتكاً في اليد  
 غلنا الخوفُ ، وكم في بحرنا  
 إن أبى النِّعمة يوماً مزهركُ  
 فاعزكُ الأذنُ يثر فيه الغناء  
 كلُّ شرٍّ في فؤادٍ يُضمِرُ  
 من ديار الموت عينٌ قَدِما  
 عينُهُ تلييسُ آثارِ الحياهِ  
 يُزهَرُ الخبُّ به والمَلِقُ

- (١) إشارة إلى الآية : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .
- (٢) إشارة إلى قصة موسى وفرعون وقول الخالق عن موسى : ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ وفرعون هنا نكرة ولهذا لحقه التنوين .
- (٣) لا يؤدي دية من قتله .
- (٤) عين : جاسوس . والميم في خط الرقعة والخط الفارسي مصمتة . فجعل الشاعر الخوف مظلم القلب مثل ميم الموت . وفي الأصل ميم مرك . ومرك : موت . فالميم في الأصل والترجمة .
- (٥) تشوه مظاهر الحياة عينه . وتحرف أخبار الحياة أذنه .

ثوبه للزُّور سترٌ والريِّبُ      حِجْرُهُ الفتنَةُ فيه والحربُ  
حُرْمَ الخوفِ طُمُوحَ الهِمَّةِ      فهو خدنٌ لحليف الدَّلَّةِ  
كلُّ من يفقد سرَّ المصطفى      يجدُ الإِشْرَاكَ في الخوفِ اختفى

\*\*\*

### محاورة السَّهم والسَّيف

قال سهمٌ مرهفٌ يوم الزَّحَامِ      قال للسيف وللحرب ضرام  
يا من الجَنَّةِ في أعطافه      ذو الفقار العضبُ من أسلافه (١)  
خالداً صاحبتَ يَنْفِري الفيلقا      وعلى الشَّام نثرتَ الشفقا (٢)  
نارٌ قهر الله في جوهركا      جَنَّةُ الفردوس ماوى ظلُّكا!  
إنني في الجوّ أو في جَعبتي      حيثما كنت ، بجسمي شُعلتي  
وإذا القوس رمتني للثُّبور      بَصُرْتُ عيني بأحناء الصُّدور :  
إن خلا الصِّدْرُ مِنَ القلبِ السَّليمِ      مابه يأسٌ ولا خوفٌ مقيم  
نَفَذَ النَّصْلَ خِلالَ الأعْظَمِ      فكسوتُ الجسمَ درعاً من دم  
وإذا حَلَّاهُ قلبٌ مؤمِنٌ      نورُهُ الظَّاهِرُ مَمَّا يُبْطِنُ  
ذاب رُوحِي من فؤادٍ وَقَدَا      وهمى نصلي كقطرات الندى

\*\*\*

(١) ذو الفقار : سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) في الأصل وعلى الشام نثرت الشفقا . وشام في الفارسية بمعنى الليل .



## قِصَّةُ

### السُّلْطَانِ عَالِمَكِيرِ وَالْأَسَدِ (١)

إِنَّ عَالِمَكِيرَ عَالِي الْمَنْزَلِ      مِنْ بَنِي تَيْمُورِ فَخْرِ الدُّوَلِ  
 كَانَ لِلْإِسْلَامِ مِنْهُ عِزَّةٌ      وَلِحُكْمِ الشَّرْعِ فِيهِ حُرْمَةٌ  
 آخَرُ الْأَسْهَمِ فِي جُعْبَتِنَا      فِي ذِيَادِ الْكُفْرِ عَنْ مَلْتِنَا  
 غَرَسَ الْإِلْحَادَ فِينَا أَكْبَرُ      فَنَمَا فِي طَبَعِ دَارَا يُزْهِرُ (٢)  
 وَخَبَا فِي الصَّدْرِ مَصْبَاحُ الْفَوَاذِ      وَبَسَدَتْ أَمْتِنَا رَهْنَ فِسَادِ  
 فَتَوَلَّى الْهِنْدَ فِي ذِي الْمَحْنَةِ      زَاهِدٌ رَبُّ حَسَامٍ مُصَلَّتِ  
 اجْتَبَاهُ الْحَقُّ لِلدِّينِ الْمَبِينِ      اجْتَبَاهُ أَجَلَ تَجْدِيدِ الْيَقِينِ  
 أَحْرَقَ الْإِلْحَادَ مِنْ بَرَقِ الْحُسَامِ      وَأَنَارَ الدِّينَ فِي هَذَا الظُّلَامِ  
 حَرَّفَ الْجُهَّالَ عَنْهُ مَا جَرَى      فَكُرُّهُمْ عَنْ قِصْدِهِ قَدْ قَصَّرَا  
 كَانَ إِبْرَاهِيمُ بَيْتَ الصَّنَمِ      فِي لُظَى الْحَقِّ فَرَاشاً يَرْتَمِي  
 كَانَ فِي الْأَمْلَاكِ فَرْداً خَيْرَا      زَهْدُهُ مِنْ قَبْرِهِ قَدْ ظَهَرَ (٣)

- (١) هو محيي الدين عالمكير الملقب أورنغ زيب ، أحد عظماء الملوك في دولة المغول في الهند ، وكان حريصاً على نشر الإسلام في الهند ملتزماً بحدود الشرع ، حكم الهند من سنة ١٠٩٩هـ إلى سنة ١١٤٨هـ ، انظر ترجمته في «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» للعلامة عبد الحي الحسني ، الجزء الثاني ، طبع دار ابن حزم بيروت .
- (٢) أكبر هو جلال الدين أكبر من أعظم سلاطين المغول في الهند ، حكم خمسين سنة ، وحاول أن يجمع بين الإسلام والأديان الأخرى في دين سماه الدين الإلهي ، وكان يتقرب إلى الهنالك ، ويرعى شعائرتهم . ودارا أخو عالمكير المذكور هنا .
- (٣) شاهجهان بن تاج محل لزوجه . فلما ولي عالمكير لم يبين لأبيه مزاراً بل دفنه بجانب زوجته في تاج محل . ثم بنى لنفسه قبراً صغيراً ساذجاً .

زينة العرش المليك الماجد<sup>(١)</sup>  
 معه من جُنْدِهِ ذو ثقة  
 سامعاً تسييح طيرٍ في الشجر  
 من مجاز حثٍّ للحقِّ خُطاه  
 صوته يَرَعِدُ منه الفلكُ  
 وعلى السلطان أهوى البُرثُنا  
 باقراً كالبرق بطنَ الأسد  
 خال ليث الغاب ليث الصُورة<sup>(٢)</sup>  
 في صلاة الوجد معراجٍ له<sup>(٣)</sup>  
 دأزه بالحقِّ صدرُ المؤمن  
 وهو للزور « نعم » لن يَبْطُلَا<sup>(٤)</sup>  
 هيئن للجبِّ هذا المحملا<sup>(٥)</sup>  
 ذلٌّ للحقِّ تنلُّ عزَّ الدَّهرِ  
 حملاً في الحقِّ ليشأ للعدى  
 ثم تقوى غيره شركٌ خفي

ذاكم المَلِكُ الفقير الجاهد  
 سار صباحاً مُوغلاً في غِيضة  
 في نسيم الصبح نشوانَ خَطَرِ  
 وأمَّحى السلطانُ في شوق الصلاة  
 وأتى ليثٌ مهيبٌ فَتِكَ  
 شمَّ ريحَ الإنس بُعداً فدنا  
 فإذا الخنجر منه في اليد  
 لم يفزَع قلبه بالبعثة  
 ثمَّ للحقِّ دعاه الوَلْءُ  
 مثل ذا القلب الذي لم يهنِ  
 إنما العبد أمامَ الحقِّ « لا »  
 أيها الغافل! قلباً حصّلا  
 ابذلِ النَّفْسَ تَنلُهَا لا مفرَّ  
 أحرقتُ بالعشق خوفاً وانهدأ  
 إنَّ خوفَ الله إيمانٌ جلي

\*\*\*

- 
- (١) زينة العرش لقب هذا السلطان (أورنك زيب) .  
 (٢) توهم الليث صورة ليث .  
 (٣) ثم دعاه الوجد إلى الصلاة مرةً أخرى .  
 (٤) العبد لدى مولاه يفنى ولكن يثبت في جهاد الباطل واللفظان العربيَّان « لا » ، و« نعم »  
 في الأصل .  
 (٥) الألف في حصلا نون التوكيد الخفيفة .

## الركن الثاني

### الرسالة

تاركُ الآفِل ، مِنْ قَبْلُ الخَلِيل  
إِنَّهَ اللهُ فِينَا آيَةٌ  
﴿ طَهَّرَا بَيْتِي ﴾ إِلَيْهِ أَنْزَلَا  
قَفْرَةً مِنْ أَجْلِنَا قَدْ عَمَّرَا  
﴿ تَبَّ عَلَيْنَا ﴾ نَضَّرَتْ زَهْرَتَهَا  
صَوْرَ الرَّحْمَنِ مَنَّا هَيْكَلَا  
أَحْرُفًا كُنَّا وَلَسْنَا كَلِمَا  
بِالرَّسَالَاتِ بَدَا تَكْوِينُنَا  
ذَاكَ مَنْ « يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يَرِيدُ »  
حَلْقَةً ذَاتَ مَحِيْطٍ يُعْجِزُ  
نَحْنُ مَمَّا جَمَعْتَنَا أُمَّةٌ  
مَوْجُنَا فِي بَحْرَهَا مَتَّصِلُ  
أُمَّةٌ فِي حَرَزِ سُورِ الْحَرَمِ

(١) إشارة إلى الآية : ﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ

السُّجُودِ ﴾ [ البقرة : ١٢٥ ] .

(٢) إشارة إلى دعاء إبراهيم وإسماعيل ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾

[ البقرة : ١٢٨ ] .

(٣) إشارة إلى الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴾ [ الحج :

١٦ ] .

(٤) بطحاء مكة .

(٥) إشارة إلى بيت البردة :

أحلُّ أمته في حرز ملته كالليث حلَّ مع الأشبال في أجم =

إِنَّ تَحَقُّقَ مَعْنَى فِي كَلِمِي  
 فَالنَّبِيُّ الرُّوحَ فِينَا وَالْعَصَبُ  
 سَيْفُهُ فِي الْقَلْبِ نَبْعُ الْقُوَّةِ  
 قَطَعُ حَبْلٍ مِنْهُ لِلْمَوْتِ رَدِيفُ  
 حَيْثِ الْأُمَّةِ مِنْ تَرْيَاقِهِ  
 وَحَدَّ الْمُرْسَلُ فِينَا النَّعْمَا  
 كَثْرَةُ الْأَلْفِ عَيْنِ الْوَحْدَةِ  
 وَحَدَّةُ الْقَصْدِ حَيَاةُ الْكَثْرَةِ  
 عَلَّمَ الْفَطْرَةَ خَيْرُ الرُّسُلِ  
 بَحْرُهُ أَخْرَجَ هَذَا الْجَوْهَرَ  
 هَذِهِ الْوَحْدَةُ مَا لَمْ تَفْقَدِ  
 خْتَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا شِرْعَتَهُ  
 مَحْفَلُ الْأَيَّامِ مِنْهَا يَبْسُمُ  
 خِدْمَةُ السَّاقِي إِلَيْنَا صَرْفَا  
 « لَا نَبِيَّ بَعْدُ » فَضْلُ عُرْفَا  
 إِنَّهُ قُوَّةُ هَذَا الْمَلَّةِ  
 كُلُّ دَعْوَى بَعْدَهَا لِلْأَقْنِ  
 مَا سَوَى الْحَقِّ قَلَاهُ الْمُسْلِمُ

نَظْرَةَ الصِّدِّيقِ رَبِّ الْفَهْمِ  
 وَإِلَى الْقَلْبِ مِنَ الرَّبِّ أَحَبُّ  
 شَرَعُهُ حَبْلٌ وَرِيدُ الْأُمَّةِ  
 كَذَبُولِ الْوَرْدِ فِي رِيحِ الْخَرِيفِ  
 صُبْحَهَا نَوَّرَ مِنْ إِشْرَاقِهِ  
 وَالطَّوَايَا وَالْمُنَى وَالْأَلْمَا  
 وَمَنْ الْوَحْدَةَ نَشَأَ الْأُمَّةُ<sup>(١)</sup>  
 مَقْصِدُ الْمُسْلِمِ دِينُ الْفَطْرَةِ  
 فَمُضِينَا لِلْهُدَى كَالشُّعْلِ  
 نَحْنُ رُوْحٌ وَاحِدٌ مِنْهُ سَرَى  
 تَحْفَظُ الْمُسْلِمَ حَتَّى الْأَبَدِ  
 وَعَلَى الْمُرْسَلِ فِينَا بَعَثَهُ<sup>(٢)</sup>  
 خَتَمَ الرُّسُلِ بِنَا وَالْأَمَمُ  
 جَامَهُ الْآخِرَ فِينَا خَلْفَا  
 إِنَّهُ حَرْمَةٌ دِينِ الْمِصْطَفَى<sup>(٣)</sup>  
 إِنَّهُ سَرُّ اتِّحَادِ الْأُمَّةِ  
 أَحْكِمَ الْإِسْلَامَ طَوْلَ الزَّمَنِ  
 قَائِلًا : « لَا قَوْمَ بَعْدِي » فَاعْلَمُوا

\*\*\*

(١) الكثرة المؤتلفة هي في الحقيقة وحدة لا كثرة . وإذا اختلفت الكثرة فاتحدت نشأت الأمة .

(٢) في حاشية الأصل بيت من البردة :

لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

(٣) لا نبي بعدي فضل من الله على هذه الأمة . ومكانة الإسلام من هذا .

## في بيان أن مقصود الرسالة المحمدية تمكين الحرية والمساواة والأخوة بين البشر

عبد الإنسانُ أصنامَ البَشَرِ      فهو في عُذْمٍ وذلٍّ محتقر  
قيصرُ العَسْفِ وكِسرى قَيِّدا      منه جيداً ثمَّ رجلاً ويذا  
ومن القَسَيْسِ والمَلِكِ طِلابُ      بخراجِ الحقلِ ، والحقلُ خرابُ  
نصبَ الأَشْرَاقِ لِلصَّيْدِ الضَّرْعُ      بائعُ الجَنَّةِ أُسْفَفَ الخُدَعِ  
حقله قد عاثَ فيه البَزْهَمُنُ      ومجوسٌ أحرقت ما قد خَزَنُ  
أضعفَ الرِّقُّ لديه الهمما      لَحْنُه في عودِه سألَ دِما

\*\*\*

وأميناً بعثَ المولى به      سَلَّمَ الحَقَّ إلى أصحابِه  
رفعَ العُبدانَ بالحَقِّ إلى      سُرُّرِ الخاقانِ والرُّوَرِ قَلِي  
بثًّا في بَرْدِ الرِّمَادِ الشُّعْلا      فعلى برويزَ فَرهادُ علا<sup>(١)</sup>  
سلبَ السُّلطانَ حِزْبَ الأَميرِ      فسما بالحَقِّ قَدْرُ العَاملينِ  
عزمُه هدَّ قديماتِ الصُّورِ      وبنى حصناً جديداً للبشرِ  
بثًّا روحاً حَيَّتِ الموتى بها      وافتدى الأعبُدُ من أربابِها  
مولدٌ مات به العصر القديم      وبيوتُ النَّارِ والوثنِ حطيمِ  
أزهَرَ التحريزُ في روضتِه      هذِه الصَّهباءُ من كرمَتِه  
عصرنا اللالاءَ في أنواره      فتحَ الأعينَ في أحجارِه<sup>(٢)</sup>  
خطٌّ في العالمِ سطرأ مُبدعا

(١) برويز ملك عظيم من ملوك الفرس . وفرهاد مهندس فارسي له مع برويز وجاريتِه  
شيرين رائعة في الأدب الفارسي .

(٢) المدنية الحاضرة من آثار البعثة الإسلامية فهذا العصر جاء إلى الوجود في حجرها .

صدرها من وقدة الحقّ أضاء  
أشرق الكون بها إذ بيتنى  
ولدتها الأنبياء القُدم  
إخوةٌ فيها جميعُ المؤمنين<sup>(١)</sup>  
المساواة لديها فطرة  
نسلها كالسُّرو حرٌّ قد علا  
سجدة الحقِّ بسماها غرر

ذرةٌ منها أنارت في ذكاء  
كعباتٍ من بيوت الوثنِ  
فإذا الأتقى لديها الأكرمُ  
طينها حريّةٌ في العالمين  
ومن التمييز فيها نفرةٌ  
عهدها أحكم من ﴿ قالوا بلى ﴾<sup>(٢)</sup>  
قَبَل النجمُ ثراها والقمر

\*\*\*

### قصة

## أبي عبيد وجابان

### في معنى الأخوة الإسلامية<sup>(٣)</sup>

مُسلمٌ في حومة الحربِ أسز  
قائدٌ ربُّ خداعٍ ماكرُ  
لم يعرفْ أسريه باسمه  
قال للاسر : يا ذا الكرم  
وضع الجنديُّ في الغمد الحسام  
وخبثَ في الحرب نيران العجم  
فإذا المأسورُ جابانُ الكبيرُ

قائداً من جيش كِسرى ذا خَطز  
عجمَ الأيامِ ذنّبٌ غادرُ  
أو يحدثُ أحداً عن اسمه  
أمنتني . ذاك شأنُ المسلمِ  
مُعلنًا أنْ دُمك اليوم حرام  
وهوى من آلِ ساسانِ العَلَمِ  
قائدٌ في جندِ إيرانِ أميرُ

(١) إشارة إلى الآية : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [ الحجرات : ١٠ ] .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [ الأعراف : ١٧٢ ] .

(٣) أبو عبيدة الثقفي : أحد قواد المسلمين في فتح العراق ، وجابان : قائد فارسي .

أقبل الجند بصوتٍ قارع  
 بُوعبيدٍ قائد العُزْبِ الأبِي  
 قال يا قوم : ألسنا المسلمين  
 من أبي ذرٍّ علث أو حيدر  
 كلُّ جنديٍّ أمينُ المَلَّةِ  
 إنَّ جابانَ عدوٌّ غَشِمُ  
 دُمُه اليومَ عليكم حُرِّمًا  
 يسأل القائد قتل الخادع  
 عزمُه في الحرب عن جيش غنيٍّ<sup>(١)</sup>  
 نعمةً واحدةً في العالمين  
 من بلالٍ سُمعتُ أو قنبرٍ<sup>(٢)</sup>  
 صلحُه والحربُ عهدُ الأُمَّةِ  
 لكنِ الأَمَنَ حَباه مسلّمُ  
 أمةُ المختار ! أوفوا الذُّمَّما

\*\*\*

### قصة

#### السلطان مراد والعمَّار<sup>(٣)</sup>

#### في معنى المساواة الإسلاميَّة

أخرجت أرضُ حُجندٍ صانعا  
 صانعا فرهاداً حقاً ولدا  
 غضب السُّلطان من تقصيره  
 قدحت عينُ المليك الشُّرا  
 سار للقاضي حزينا يجار  
 قال : يا مَنْ قولُه الحقُّ المبين !  
 نال في التشييد صيتاً ذائعا  
 لمراد مسجداً قد شيَّدا<sup>(٤)</sup>  
 لم يرَ الإِتقانَ في تعميره  
 ويدُ المسكين فوراً بترا  
 دُمُه من يده يَنهَمِرُ  
 يا حفيظاً شرعَ خيرِ المرسلين !

- (١) بو عبید هكذا جاءت في الأصل واقتضى الوزن وذكر الاسم إبقاءها كما جاءت .  
 (٢) الحيدر : علي بن أبي طالب وقنبر خادمه . يعني : أن نعمة ينطق بها بلال ، أو قنبر هي نعمة علي وأبي ذر . سواء فيها الكبير والصغير ، والسيد والمولى .  
 (٣) مراد : أحد أمراء خوقند في تركستان في القرن الثالث عشر الهجري .  
 (٤) فرهاد مهندس له قصة رائعة معروفة في الأدب الفارسي .

حَكَّم القرآنَ فِينَا واقطع<sup>(١)</sup>  
 ودعا السُّلطانَ نحو المجلسِ  
 هِيئةُ القرآنِ تُدمي قلبه  
 وعلى خديهِ لونُ التَّدمِ  
 وخصيمٌ في ثياب الملكِ  
 لا أَرُدُّ الحقَّ إنَّني جَارِمٌ  
 ذاك قانونُ حياةٍ . لا مناص  
 وحَدَّ المعمارَ والمَلِكُ دَمٌ  
 فنضاً السلطانُ فوراً كَمَّه<sup>(٢)</sup>  
 آيةُ « الإحسان والعدل » تلا<sup>(٣)</sup>  
 إنَّني أعفو لأجل المصطفى  
 انظرن سَطوةَ قانونِ النَّبِيِّ  
 وذوي التيجانِ سَوَى بالرعاء

لستُ للسلطانِ عبداً فاسمَعِ  
 قرعَ الحاكمِ سنَّ المَبْلِيسِ  
 فأتى السلطانُ يخشى ذنبه  
 عينه من خجلٍ للقَدَمِ  
 وقف الخصمان : خصمٌ يشتكي  
 جَهر السلطان : إنَّني نادِمٌ  
 وتلا القاضي : « حياةٌ في القصاص »  
 ليس دون الحرِّ عبداً مسلمٌ  
 سمع القرآنُ يُملي حكمه  
 إذ رأى الخصمُ الذي قد فعلا  
 قائلاً : « لله أعفو وكفى  
 نَملةٌ عزَّتْ سليمان القوي  
 جمع القرآنُ مولى وفتاه

\*\*\*

في بيان أن الأمة الإسلامية مؤسسة على التوحيد

فلا تحدها الأمكنة

قلبنا الخفَّاق يَأبى مَوطِننا رِيحُهُ العاصفُ تَأبى مَسكنا<sup>(٤)</sup>

(١) اقطع يد السلطان قصاصاً .

(٢) شمر كَمَّه استعداداً لقطع يده .

(٣) آية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ [ النحل : ٩٠ ] القطع عدلٌ ؛ والعفو إحسانٌ .

(٤) حذف قبل هذا أبيات فيها حديث وقعة كربلاء .



لَيْسَ مِنْ هِنْدٍ وَرُومٍ قَلْبُنَا  
كَعْبُ الشَّاعِرِ فِي خَيْرِ الْعِبَادِ  
نَظَّمَ الدُّرَّ مَنِيرًا فِي ثَنَاهِ  
مَنْ عَلَى الْأَفْلَاكِ فِيهِ رَفْعَةٌ  
قَالَ : سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ قَلْبٌ  
وَكَذَا كَمْ قَالَ ذُو الْقَدْرِ الْعَلِيِّ  
لِي مِنْ دُنْيَاكُمْ قَدْ حُبِّبَا  
إِنْ تَكُنْ سِرًّا الْمَعَانِي تَعْلَمُ  
كَانَ فِي الدُّنْيَا وَفِيهَا مَا سَكَنَ  
مِنْ سَنَاهِ قَدْ تَجَلَّى الْعَالَمُ  
لَسْتُ أَدْرِي مَا حِمَاهُ وَالْوَطَنُ  
قَدْ رَأَى فِي أَرْضِنَا دُنْيَا لَنَا  
إِذْ أَضَعْنَا الْقَلْبَ فِي هَذَا الْيَبَابِ  
لَا تَحُدُّ الْأَرْضُ قَلْبَ الْمُسْلِمِ  
لَيْسَ لِلْمُسْلِمِ فِي الْأَرْضِ عَطَنٌ

مَا سِوَى الْإِسْلَامِ فِيهِ أَرْضُنَا  
أُنْشِدَ الْمِدْحَةَ مِنْ « بَانَتْ سَعَادُ » (١)  
مِنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ سَيْفًا قَدْ دَعَاهُ (٢)  
لَمْ تَرْقُهُ لِبِلَادٍ نَسْبَةٌ  
يَا نَصِيرَ الْحَقِّ زُورًا لَا تَقْلُ  
مِنْ سَنَاهِ كَحَلِّ عَيْنِ الرَّسُولِ :  
بَعْضُ مَا فِيهَا حَلَالًا طَيِّبًا (٣)  
فَافْهَمِ التُّكْتَةَ فِي « دُنْيَاكُمْ »  
ذَلِكَ الْمَشْرِقُ فِي لَيْلِ الزَّمَنِ  
مُشْرِقًا إِذْ كَانَ طِينًا آدَمُ  
أَنَا دَارٍ أَنَّهُ فِينَا سَكَنَ (٤)  
وَهُوَ فِي الدُّنْيَا كَضِيفِ بَيْنِنَا  
وَفَقَدْنَا النَّفْسَ فِي هَذَا التَّرَابِ  
لَا يُرَى فِي تَيْهِ « أَنَّى وَكَمْ » (٥)  
حَائِزٌ فِي قَلْبِهِ كُلِّ وَطَنٍ (٦)

(١) كعب بن زهير الذي مدح الرسول بالقصيدة المعروفة : بانَتْ سَعَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ .

(٢) إشارة إلى البيت :

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ مَهْنَدٌ مِنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ مَسْلُوبٌ

(٣) إشارة إلى الحديث : « حُبَّ إِلِي مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ . . . » إلخ . لَمْ يَقُلِ الرَّسُولُ مِنْ

دُنْيَايَ ، أَوْ دُنْيَانَا بَلْ قَالَ : دُنْيَاكُمْ .

(٤) سَكَنَ الْإِنْسَانُ : مَنْ يَسْكُنُ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ ، أَوْ صَدِيقٍ .

(٥) لَا يَتِيهِ فِي عَالَمِ الْعَلَلِ وَالْمَقَادِيرِ .

(٦) يَقُولُ إِقْبَالَ فِي دِيْوَانِ ضَرْبِ الْكَلِيمِ :

إِنَّمَا الْكَافِرُ حَيْرًا      نَ لَهُ الْأَفَاقُ تَيْهِ

وَأَرَى الْمُؤْمِنَ كَوْنًا      تَاهَتْ الْأَفَاقُ فِيهِ =

حَصَلَ الْقَلْبَ فِي وَشَعْتِهِ  
 عَقْدَةَ الْأَقْوَاتِ حَلَّ الْمُسْلِمُ  
 أُمَّةً مَلَأَ الدُّنْيَا قَدْ أَسَّأَا  
 صَارَتْ الْأَرْضُ لِدِينَا مَسْجِدًا  
 ذَلِكَ الْمَحْمُودُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ  
 تَفَزَعُ الْأَعْدَاءُ مِنْ هَيْبَتِهِ  
 فَلِمَاذَا أَرْضَ أَهْلِيهِ هَجَزَ؟  
 حَجَبَ الْقِصَاصُ مَعْنَى الْقِصَّةِ  
 هَجْرَةٌ شَرَعُ حَيَاةِ الْمُسْلِمِ  
 إِنَّهَا التَّسْيَارُ نَحْوَ الْوُسْعَةِ  
 أَهَجِرَ الرَّهْرَةَ أَجَلَ الرَّوْضَةِ  
 شَرَفَ الشَّمْسِ مَسِيرٌ مُطْلَقٌ  
 لَا تَكُنْ نَهْرًا مِنَ الشُّخْبِ يُمَدَّ  
 اقْصِدْ تَسْخِيرَ كُلِّ الْعَالَمِ  
 لَا يَقِيدُكَ مُقَامٌ فِي الْوَرَى  
 كُلُّ مَنْ حُرِّدَ مِنْ دُلِّ الْجِهَاتِ  
 تَرَكَ الْوَرْدَ شَذَاهُ فَسَرَى  
 يَا أَسِيرًا قَدْ ثَوَى فِي رَوْضَةٍ  
 سَيَّرَنُ نَفْسَكَ حَرًّا كَالصَّبَا

ضَلَّ هَذَا الْكُونُ فِي فُسْحَتِهِ  
 هَجَرَ الدَّارَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ (١)  
 جَعَلَ التَّوْحِيدَ فِيهَا أُسًّا  
 إِذْ أَشَاعَ الْفَضْلَ فِينَا وَهَدَى  
 ذَلِكَ الْمَحْفُوظُ بِاللَّهِ الرَّحِيمِ  
 فِي ارْتِعَادٍ مِنْ سَنَا طَلْعَتِهِ  
 أَتَرَاهُ خَشِيَةَ الْأَعْدَاءِ فَرَّ؟  
 غَلَطُوا فِي فَهْمِ مَعْنَى الْهَجْرَةِ  
 هَجْرَةٌ سَرٌّ ثَبَاتِ الْمُسْلِمِ  
 وَلِأَجْلِ الْيَمِّ تَرَكَ الْقَطْرَةَ (٢)  
 إِنَّ هَذَا الْخُسْرَ رِيحُ الْكَثْرَةِ  
 فِيهِ مِنْ فَوْقِ الْبِرَايَا تَخْفُقُ  
 وَكُنَ الْبَحْرَ ، عُبابًا لَا يُحَدُّ  
 لُتْرَى سُلْطَانَ أَهْلِ الْعَالَمِ  
 وَكُنَ الْحَوْتَ يَسِيحُ الْأَبْحُرَا  
 فَلِكُ يُزْهِزُ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ  
 فِي فَسِيحِ الْمَرْجِ عِطْرًا نَشْرَا  
 عِنْدَلِيًّا هَائِمًا فِي وَرْدَةٍ!  
 ثُمَّ عَانَقَ كُلَّ أَزْهَارِ الرَّؤْيَى

= يعني : أن المؤمن المجاهد لا تعوقه ولا تحيره عقبات هذا العالم ، بل يسخرها كما يشاء .

(١) الإمام الأعظم رسولُ الله ﷺ .

(٢) في القرآن الكريم : ﴿ قَالُوا كَمَا نَسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا؟ ﴾

[ النساء : ٩٧ ] فالهجرة ترك المكان الذي يعسر فيه العمل إلى المكان الذي يتيسر فيه

أداء الواجب .

احذرن من خدعة العَصْرِ الجديد التباس النهج حاذر يا رشيد

\*\*\*

## في بيان أن الوطن ليس أساس الأمة

قَطَّعُوا الأرحام بين الإخوة  
قَدَّسُوا الأوطان إعجاباً بها  
طلبوا الجنة في « بنس القرار »  
محق الجنة هذا الشجر  
أنكر الإنسان وجه الإخوة  
ذهب الإنسان روحاً وانقضى  
منصب الدين حواء الساسة  
دين عيسى بطلت قصته  
عجز الأسقف عن تقديره  
قوم عيسى حقروا بيعته  
مزق الدهري ثوب المذهب  
ذا الفلورنسي عبد الوثن  
خط للأملاك سفيراً منكراً  
مزق الحق بحد القلم  
أزر العصر ، بدا تزويره  
جعل الملك إلهاً دينه

صَيَّرُوا الأوطان أسَّ الأمة  
قَسَّمُوا الإنسان أسراباً بها  
« فأحلُّوا قومهم دار البواز »<sup>(١)</sup>  
ليس إلا الحرب فيه ثمر  
وانتهت قصة الإنسانية  
بقيت أقوامه وهو مَضَى  
فمئت في الغرب هذي الآفة  
وَحَبَّتْ في دوره شعلته  
حادث الأزلأم عن تدييره  
أبطلوا في سوقهم سكتة  
ومن الشيطان قد وافى نبي  
كحلُّه أودى بنور الأعين<sup>(٢)</sup>  
وبذور الحرب فينا بذرا  
فطرة تؤثِّرُ عيش الظلم  
خطَّةً يدعاً جلا تفكيره  
كلُّ قبح ناله تحسينه

(١) اقتباس من القرآن جاء في الأصل .

(٢) الفلورنسي : ميكافلي ، مؤلف كتاب الأمير الذي أحل للملوك كل وسيلة تبلغ بهم الغاية .

جعل النفع عيارَ الذَّمِّ      حينما خَرَّ لهذا الصَّنَمِ<sup>(١)</sup>  
صارت الحيلةُ فَنَاءً مُحَكِّمًا      ونما الباطلُ مَمَّا عَلَّمَا  
خطةٌ لِلوَهْنِ فِينَا حَبْكَا      في طريقِ الدَّهْرِ ألقى حَسْكَا  
أرمدَ النَّاسَ بهذي الحكمة      إذ دعا التزويرَ بالمصلحة

\*\*\*

### في بيان أنَّ الأمةَ المحمديةَ ليس لها حدودٌ زمانيةٌ أيضاً

أرأيتَ الطَّيْرَ في عُرْسِ الرِّبْعِ      وهياجَ الكِمِّْ والسَّوْزَدِ اليَنِيعِ  
وعَروسُ الزَّهْرِ نَشَوَى النَّعْمِ      وعلى الأَرْضِ قُرَى مَنْ أَنْجَمِ  
غَسَلَ العُشْبَ دَمَوْعُ السَّخْرِ      وشدا الماءُ لِنَوْمِ النَّهْرِ  
وإذا الكِمُّْ على الغصنِ رَبا      منحته حِجْرَهَا رِيحُ الصَّبَا  
دَمِيَ البرَعُومُ مِنْ قَطْفَتِهِ      ومضى كالرَّيْحِ عن روضته<sup>(٢)</sup>  
عَشَّشَ الوُزُقَ وطار البلبُلُ      وشذًا فرَّ وطلُّ ينزلُ<sup>(٣)</sup>  
ليس يُكرى من ربيعِ رونقُ      حين تذوي زهراتِ تَعِيقُ  
محفل الأزهار باقٍ يضحك      لا يُيالي كنزُه ما يُهلك  
موسم الأزهار أبقى في الدَّهْرِ      هو أبقى من ورودٍ وزهر<sup>(٤)</sup>  
لا ييالي جوهراً قد كُسرَا      معدن يُنمي ويُيدي الجوهرا  
كم شروقٍ وغروبٍ ، لا مقرًا !      أكؤسٌ تؤخذُ من دَنِّ الدَّهْرِ

(١) الصنم : الملك .

(٢) الريح : الرائحة .

(٣) تذهب طير وتجيء أخرى ، وتسير الرائحة وينزل الندى . فالروضة باقية على تبدل ما فيها .

(٤) موسم الزهر أبقى من آحاد الزهر . فالزهرة تذبل ، والموسم يدوم .

تذهب الآماس والباقي الغد<sup>(١)</sup>  
 من مسير الغد سيار القدم  
 يرحل الفرد وتبقى الأمة<sup>(٢)</sup>  
 ثم ذات وصفات آخر  
 تولد الأمة من قلب جليل  
 ويعيش الفرد عشرات سنين  
 وحياة الشعب في حفظ السنن  
 موت قوم ترك قصد للحياه

خمرة من شربها لا تنفد  
 ثابت في الدهر تقدير الأمم  
 يسفر الخلل وتبقى الصحبة  
 ولها عيش وموت آخر  
 ينشأ الفرد من الطين القليل  
 نفس الأمة يحصى بالمئين  
 وحياة الفرد روح في بدن  
 موت فرد نضب ورد للحياه

\*\*\*

ولها يوماً قضاءً يحتم  
 أصلها الميثاق في ﴿قالوا: بلى﴾<sup>(٣)</sup>  
 ﴿نحن نزلنا﴾ لديها حجة<sup>(٤)</sup>  
 بدوام الذكر دام الذكور<sup>(٥)</sup>  
 قال ربي عالماً: ﴿أن يطفنوا﴾<sup>(٦)</sup>  
 أمة يعشقها أهل القلوب<sup>(٧)</sup>

كممات الفرد تفنى الأمم  
 أمة الإسلام تآبى أجلا  
 لا تخاف الموت هذي الأمة  
 دام ذكر ما أقام الذكور  
 ذلك المصباح أنى يطفأ؟  
 أمة الحق إلى الحق تنيب

(١) الآماس : جمع أمس .

(٢) يسفر ، أي : يُسافر .

(٣) إشارة إلى الآية : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ﴾ [الأعراف : ١٧٢] يعني : أنها قائمة على عقيدة أزلية عامة خالدة فهي دائمة بدوام هذه العقيدة .

(٤) إشارة إلى الآية : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَظِيرُونَ﴾ [الحجر : ٩] .

(٥) المعنى : إن كان الذكر محفوظاً فلا بد أن يدوم الذكور ، فلا ذكر بدون ذاك .

(٦) الآية : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّأ أَن يُضْمِرَهُمْ وَأَن يَكُونَ لَكُمُ الْكُفْرُوتُ﴾ [التوبة : ٣٢] .

(٧) إلى الحق تنيب : الحق هنا الله تعالى .

مُضِلَّتْ بِالْحَقِّ ذَا السَّيْفِ الصَّقِيلِ  
 مَا سِوَى الْحَقِّ مَحَاهُ بَرَقُهُ  
 نَحْنُ لِلتَّوْحِيدِ أَقْوَى حِجَّةٍ  
 مُضِلَّتْ مِنْ غَمْدِ آمَالِ الْخَلِيلِ<sup>(١)</sup>  
 لِيَعِيدَ الْحَقَّ حَيًّا نَطْقُهُ  
 لِلْكِتَابِ اخْتَارَنَا وَالْحِكْمَةِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

أَضْمَرَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا ثَارَهُ  
 أَطْلَقَ الْفِتْنَةَ مِنْ أَجْبَالِهَا  
 فِتْنَةٌ مِوْطِئُهَا هَامُ الْأُمَمِ  
 أَنْفُ هَوْلٍ فِي حِشَاهَا يَرْقُدُ  
 سَطْوَةُ الْإِسْلَامِ لِلتَّرْبِ هَوْتُ  
 لَكِنْ اسْأَلْ ذَلِكَ الدَّهْرَ الْمُلِيمَ  
 رَوْضَنَا كَانَ لِهَيْبِ التَّرْتَرِ  
 فَلِإِبْرَاهِيمَ فِينَا فِطْرَةٌ  
 مِنْ لِهَيْبِ قَدْ جَنِينَا زَهْرًا  
 كُلُّ نَارٍ يَوْقُدُ الدَّهْرَ لَنَا  
 مَخْفِيًّا فِي صَدْرِهِ تَاتَارَهُ  
 وَرَمَى بِالطُّودِ مِنْ أَثْقَالِهَا  
 نَظْرَةٌ مِنْ طَرْفِهَا قَتْلُ عَمَمٍ  
 لَيْسَ لِلْأَمْسِ بِمِثْوَاهَا غَدُ  
 مَا رَأَتْ بَغْدَادُ رُومًا مَا رَأَتْ  
 مَحْدَثَ الْأَفْعَالِ ذَا الْمَكْرِ الْقَدِيمِ  
 حَلِينَا كَانَ نِشَارُ الشَّرْرِ<sup>(٣)</sup>  
 وَإِلَى الْمَوْلَى لَدِينَا نَسْبَةٌ  
 نَارِ نَمْرُودٍ رَدَدْنَا كَوْثَرًا  
 زَهْرَاتُ حِينَ تَأْتِي رَوْضَنَا

\*\*\*

ذَهَبَ الرُّومُ وَفُضَّ الْمَوْكِبُ  
 كَأْسُ سَاسَانَ مِنَ الْغَمِّ دَمٌ  
 شَرْقُهَا أَقْوَى وَأَقْوَى الْمَغْرِبُ  
 حَانَ يُونَانَ خِرَابٌ مُظْلَمٌ<sup>(٤)</sup>

(١) إبراهيم الخليل : كان يأمل أن تخرج من ذريته أمةً موحدةً فانجلت آماله عن هذه الأمة .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ وَتَعْلَمُكُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمِكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٥١] .

(٣) يعني : كانت نار التتر علينا برداً وسلاماً ، بل كانت روضة لنا كما كانت النار لإبراهيم .

(٤) ساسان الذي تنسب إليه دولة الفرس الساسانية التي سيطرت من القرن الثالث الميلادي =

وَعَنْتُ مِضْرُ لِدَهْرِ عَرَمٍ      وَأَذَانُ الْحَقِّ فِينَا خَلْدَا  
 وَأَمَّةُ الْإِسْلَامِ تَبْقَى أَبَدَا      إِنَّ لِلْكَوْنِ مِنَ الْعِشْقِ حِيَاهُ  
 وَبِهِ أَجْزَاؤُهُ شَدَّتْ قُؤَاهُ      أَحْيَتِ الْعِشْقَ قُلُوبٌ تُسَعَّرُ  
 شَبَّهَا مِنْ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » (١)      إِنَّ نَكْنَ كَالِكَمِّ نَطْوَى كَمَدَا  
 فَرَدَانَا فِيهِ لِلرَّوْضِ رَدَى (٢)

\*\*\*

## في بيان أن الأمة لا تنتظم بغير شريعة وشريعة الأمة المحمّدية القرآن

أُمَّةٌ خَلَّتْ يَدَاهَا السُّنَنَا      سِيرَةُ الْمُسْلِمِ شَرَعٌ وَكَفَى  
 ذَلِكَمُ بَاطِنُ دِينِ الْمُضْطَفَى      بَانَظَامِ الصَّوْتِ تَعْلُو النَّعْمَةُ  
 وَهِيَ مِنْ دُونِ نِظَامِ ضَجَّةُ      إِنَّمَا فِي الْحَلْقِ مَوْجٌ مِنْ هَوَاءِ  
 يَعْلَقُ النَّظْمُ بِهِ فَهُوَ غِنَاءُ      صَاحِ هَلْ تَعْلَمُ مَا سُنْتُكََا؟  
 أَيُّ سَرٍّ ضَمَنْتَ قَدْرْتُكََا؟      الْكِتَابُ الْحَيُّ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ  
 حَكْمَةٌ فِي الدَّهْرِ تَبْقَى لَا تَرِيمُ      إِنَّ فِيهِ سَرٌّ تَكْوِينِ الْحِيَاهِ  
 يَسْتَمِدُّ النِّكْسُ أَيْدَا مِنْ قُؤَاهِ      لَفْظُهُ لَا رَيْبَ أَوْ تَبْدِيلَ فِيهِ  
 آيَةٌ لَا لَبْسَ أَوْ تَأْوِيلَ فِيهِ      قُوَّةٌ فِيهِ تَشِدُّ الْخُورَا  
 وَبِهَا يَرْمِي الزَّجَاجُ الْحَجْرَا

= حتى ظهور الإسلام .

(١) يعني : أن الأمة الإسلامية تبقى بما في قلوبها من الوجد والهيام والإقدام على العمل وهذا العشق حياة العالم .

(٢) إن كنا في ضيق وغم منظوين ككم الزهرة فحياة هذه الروضة ، هذا العالم ، رهن بحياتنا إن متنا ماتت .

فدعا الصيَّادُ منه بالثَّبُورِ  
 قد تلاه «رحمةٌ للعالمين»  
 وتقيمُ الرأسَ منه سجدةً  
 من كتابٍ ، كم كتابٍ سَطَّروا  
 قد أضأؤوا بالعلومِ الفِكرِ<sup>(١)</sup>  
 وعلى الأفلاكِ منه وَجَلُ<sup>(٢)</sup>  
 قد حواه الصَّدْرُ من أطفالنا  
 عينه حمراء من وَقَدِ النَّهَارِ  
 دُمها كالنَّارِ في رمضائها  
 ضارِبٌ في اليدِ يقلي الحضرا  
 فاستقرَّ الموجُ فيه كالدُّررِ<sup>(٣)</sup>  
 فغدا بالحقِّ حرّاً لا يمين  
 عَرُشَ جَمٍّ وطئته رجلُه<sup>(٤)</sup>  
 ورياضاً أنبئت زهرتُه<sup>(٥)</sup>

قَطَعَ الأَشْرَاكَ عن صيدٍ كسير  
 ذا بلاغٍ آخِرٌ للمرسلين  
 ترفعُ الخاملَ فيه رفعةً  
 قاطعو الطرُقِ هداةً ضَيَّروا  
 والبوادي من سراجِ زَهْرَا  
 الَّذِي يُصدَعُ مِنْهُ الجبلُ  
 ذلك النبوغُ من آمالنا  
 انظُرِ الظمآنَ في حَرَ القفازِ  
 عَنُسه كالطَّبْيِ في تَعْدَائِهَا  
 طائفُ الصَّحراءِ يابى الجُدْرَا  
 خَفَقَتْ في قلبه هذي السُّورُ  
 قرأ الدرسَ مِنَ الآيِ الميّنِ  
 حكمَ الدُّنيا جميعاً عدلُه  
 مُدْنًا قد شَيَّدتْ هَبوتُه

\*\*\*

سننُ الكفرِ لك السَّجْنُ المقيمُ  
 مُسرعي السَّيرِ إلى شيءٍ نُكْرُ<sup>(٦)</sup>

إنَّ إيمانك في قيدِ الرُّسومِ  
 أمركم قطعتمُ فهو «زُبُر»

(١) زهر السراج : أضاء .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر : ٢١] .

(٣) سكن اضطرابه واطمأن ، موجه الثائر سكن واستقر كالدرة في الماء .

(٤) جم : جمشيد أحد ملوك الفرس القدماء .

(٥) الهبوة : الغبار الذي يثور في الحرب ، أو سير الأرجل الكثيرة ، ونحوها .

(٦) إشارة إلى الآيتين : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ﴾ [المؤمنون : ٥٣] و ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاحِ



وانتشى باللحن من قواله<sup>(١)</sup>  
 ومن القرآن أقوى وخلا<sup>(٢)</sup>  
 فقره يجبي رباطاً للفقير<sup>(٣)</sup>  
 كلم عالٍ ، ومعنى سافل  
 فعله حلف ضعيف وغريب<sup>(٤)</sup>  
 كل ما تبغيه منه فاطلبن

سَكَرَ الصُّوفِيُّ مِنْ أَحْوَالِهِ  
 قَلْبُهُ شَعَرَ الْعِرَاقِيِّ تَلَا  
 تَاجَهُ وَالْعَرْشَ صَوْفٌ وَحَصِيرُ  
 وَأَخُو الْوَعِظِ جُزَافاً قَائِلُ  
 قَوْلِهِ مِنْ دَيْلِمِيِّ وَخَطِيبُ  
 لِكِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ . فَاقْرَأْ

\*\*\*

### في بيان أن التقليد في زمن الانحطاط أولى من الاجتهاد

طبعه خلق شرورٍ ومحن  
 صوّحت فيه حياة تنضر  
 وجفت نغمتها أوتارنا  
 ناره والنور من سلبا  
 فمن التقليد للقوم نجاه  
 ومن التقليد جمع الأمة  
 ارقب الغيث ولا تجف الشجر<sup>(٥)</sup>

عصرنا هذا مليء بالفتن  
 محفل الماضين فيه مقفر  
 أنكرت أنفسنا أنظارنا  
 شعلة التوحيد فينا سلبا  
 وإذا ما اعتل تقويم الحياه  
 سنن الأباء جبل الملة  
 يا خلياً في خريف من ثمز

= **إِلَنْ شَنْ وَتُكْرِي** [ القمر : ٦ ] .

- (١) القوال : منشد القصائد الدينية ، وهو معروف بهذا الاسم في إيران والهند .
- (٢) العراقي : شاعر صوفي فارسي .
- (٣) يعني : أنه يأخذ مالاً من الفقراء المقيمين في الأربطة .
- (٤) الديلمى والخطيب من رواة حديث الضعفاء . والضعيف والغريب من أنواع الحديث . بين الشاعر أنهم تبعوا المحدثين غير الثقات والأحاديث غير الصحيحة يستدلون على أقوالهم وأفعالهم .
- (٥) يعني : يجب الاستمسك بسنن الأباء حتى تعود للأمة سيرتها . كما ينتظر صاحب =

قد حُرِّمَتِ الْبَحْرَ فَاذْكَرْ خُسْرَكَ  
 فَعَسَى سَيْلُ الْجِبَالِ الْهَادِرُ  
 حَالُ إِسْرَائِيلَ فِيهَا تَبْصِرَهُ  
 أَنْظِرُنْ كَيْفَ ابْتَلَاهَا الزَّمَنُ  
 وَجَهَّهَا فِي كُلِّ حِينٍ يُلْطَمُ  
 عَصْرَتْ عُنُقُودَهَا كَفُّ الْخُطُوبِ  
 إِنَّ خِبَا فِي اللَّحْنِ مِنْهَا قَبْسُ  
 سَارٍ فِي إِثْرِ الْجُدُودِ الْمَحْمَلِ  
 يَا مَنْ أَنْفَضَ لَهُ جَمْعٌ وَجَاهُ  
 آيَةَ التَّوْحِيدِ فِي الْقَلْبِ اسْطُرَا  
 اجْتِهَادٌ فِي زَمَانِ الْقَهْقَرَى  
 اقْتِدَاءٌ بِرَسُومِ الْأَوَّلِينَ  
 لَمْ يُصَبِّ آبَاؤُنَا بِالْهَوَسِ  
 فَكَرُّهُمْ كَانَ رَقِيقاً مَرْهَفَا  
 فِكْرُ الرَّازِي وَنَجْوَى جَعْفَرِ  
 ضَيْقِ الدِّينِ عَلَيْنَا يَسْرَهُ  
 قَدْ جَهَلْتَ الدِّينَ عَنْهُ حَائِدَا  
 بَاخَ لِي بِالسَّرِّ نَبَاضُ الْحَيَاةِ  
 وَحُدَّةُ الشَّرْعِ حَيَاةُ الْأُمَّةِ  
 نَحْنُ طِينٌ وَهُوَ قَلْبٌ لَا جَرَمُ

يَا قَلِيلَ الْمَاءِ وَاحْفَظْ نَهْرَكَ<sup>(١)</sup>  
 مِنْهُ فِي مَجْرَاكَ لِحْجِ زَاخِرُ  
 إِنَّ تَكُنْ رَوْحُكَ رَوْحاً مُبْصِرَهُ  
 وَعَرَّتْهَا فِي الْخُطُوبِ الْمِحْنُ  
 كَادَ فِي أَعْرَاقِهَا يَفْنَى الدَّمُ  
 ذَكَرُ هَارُونَ وَمُوسَى فِي الْقُلُوبِ  
 لَمْ يَزَلْ فِي الصَّدْرِ مِنْهَا نَفْسُ  
 حِينَمَا أَنْفَضَ لَدَيْهَا الْمَحْفَلُ  
 وَخِبَا فِي صَدْرِهِ شَمْعُ الْحَيَاةِ  
 وَمَنْ التَّقْلِيدَ أَمْسَكَ بِالْعُرَا  
 يَزْهَبُ الْأَقْوَامَ مِنْهُ شَذْرَا  
 هُوَ أَوْلَى ، لَا اجْتِهَادَ الْغَافِلِينَ  
 طَهَّرَتْ أَعْمَالَهُمْ كَالْأَنْفُسِ  
 فَعَلَهُمْ أَوْفَى بِشَرَعِ الْمِصْطَفَى  
 أَيْنَ ؟ وَالْعُرْبُ هِدَاةُ الْبَشْرِ  
 وَأَدَّعَى كُلُّ لَيْمٍ سِرَّهُ  
 الزَّمَنُ يَا حُرُّ نَهْجاً وَاحِدَا  
 إِنَّمَا فِي الْخَلْفِ مَقْرَاضُ الْحَيَاةِ<sup>(٢)</sup>  
 فَمَنْ الْقُرْآنَ رَوْحُ الْمَلَّةِ  
 هُوَ « حَبْلُ اللَّهِ » مَنْ شَاءَ اعْتَصَمْ

= الشجر أيام الخريف يراقه وإثماره في الربيع ، ولا يقطعه أو يهمله .

(١) إن قل الماء في نهرك فاحفظ بالنهر عسى أن تأتيه السيول بالماء فيزخر مرة أخرى .

(٢) كلمتا نباض ومقراض في الأصل .

فانتظم في سلكه كالذُررِ أو غباراً في الرِّيحِ انتشرِ

\*\*\*

## في بيان أن كمال سيرة الأمة من أتباع الشرع الإلهي

لا تقل في الشرع معنى مُضمَرُ  
جوهرٌ أبداع فيه القادرُ  
ليس علمُ الحقِّ غيرَ الشُّرعةِ  
شرعنا للفرد مِرْقاءُ اليقينِ  
شِرعَةُ الحقِّ نظامُ الأممِ  
إنَّ فيه الأيدِ يا من أخلصا  
قامَ للإسلام بالشرعِ قوامُ  
لكَ أيدي نكتةَ الشرعِ المبينِ  
إنَّ يعارضُ ذو عنادٍ مسلما  
صارَ هذا النفلُ فرضُ الأمةِ  
وإذا جيشُ عدوِّ في الوغى  
وقضى أوقاته في الدَّعةِ  
فحرامٌ أخذه بالبعثنةِ  
سرُّ هذا الأمرِ يا ذا البصرِ :  
يتحدَّك برضوى العالیه  
ويناديك أن اقصمَ ظهرها  
ليس كفاءَ الليث في صولته

ليسَ إلا النورَ تحوي الذُّرُّ  
جوهرٌ باطنه والظاهرُ  
ليسَ غيرَ الحبِّ أصلُ السنَّةِ  
ترتقي منه مقاماتُ اليقينِ<sup>(١)</sup>  
ومن النَّظْمِ دوامُ الأممِ  
اليدُ البيضاءُ فيه والعصا  
بدؤه الشرعُ وبالشرعِ الختامُ  
أنتَ من في حِكْمَةِ الدِّينِ أمينُ :  
في أداءِ النَّفلِ ما إنَّ لزمَا  
فالحياةُ الحقُّ عينُ القدرةِ  
تركِ الإعدادَ والسَّلْمَ بَغى  
تاركاً لِلْحَزْبِ أَخَذَ العُدَّةَ  
قَبْلَ أن يأخذَ كلَّ الأهْبَةِ  
« الحياةُ العيشُ بينَ الخطرِ »  
في امتحانِ لِقْوَكَ العائیه<sup>(٢)</sup>  
وبحدِّ السيفِ فاصهزُ صخرها  
حَمَلٌ يرجفُ في ذلَّته

(١) مِرْقاءُ اليقينِ ومقلّما اليقينِ في الأصل بلفظهما العربي .

(٢) في الأصل : جبل ألوند . واستبدلت به رضوى في الترجمة .

فَهُوَ كَالصَّعُودَةِ وَاهٍ خَائِرُ  
 لَكَ هَذَا اللُّوْحُ ، لَوْحَ الْقُدْرَةِ  
 وَيَرْقِيكَ لِأَعْلَى مَنْزِلِ  
 وَيَرْبِّي مِنْكَ طَوْدًا مَا خَوَى  
 شَرْعُهُ لِلنَّاسِ قَانُونَ الْحَيَاةِ  
 وَيَرْبِّيكَ كَمَا الْحَقُّ يُشَاءُ  
 وَيَنْقِي الرِّينَ مِنْ قَلْبِ الْحَدِيدِ  
 ضَيَّعُوا رَمَزَ بَقَاءِ عُرفَا  
 مُسْلِمُ الصَّحْرَاءِ رَبُّ الْجَمَلِ  
 وَرِيَاخُ الْبَيْدِ رَبَّتْ نَفْسُهُ  
 صَيَّرْتَهُ النَّايَ رَوْحَ الْعَجَمِ  
 وَطَاءُ نَمْلِ مَسَّهُ بِالْأَلَمِ  
 رَاعَهُ الْبَلْبَلُ فِي تَصْفِيرِهِ  
 غَلَّ بِالتُّكْلَانِ رَجُلًا وَيَدَا  
 يَلْدِمُ الصَّدرَ وَيَدْمَى قَلْبُهُ  
 قُيِّدَتْ رِجْلَاهُ فِي خَلْوَاتِهِ  
 وَاجْتَدَى دَارًا وَكسرى بِرَّه  
 وَارْتَضَى الْكِذْبَةَ عِزًّا جَدُّه  
 تَكسَبُ الشَّمْسُ سِنًا فِي قَلْبِهِ  
 احذرنَ يَا صَاحِ فَكْرَ الْعَجَمِ  
 فَهُوَ مِنْ سُنْتِنَا قَدْ مَرَّقَا

إِنَّ حَكِي الصَّعُودَةَ صَقْرٌ كَاسِرُ  
 كَتَبَ الشَّارِعُ رَبُّ الْحِكْمَةِ  
 يَشْحَذُ الْعِزْمَ بِنَارِ الْعَمَلِ  
 وَإِذَا تَلَّغَبُ يَعْطِيكَ الْقُوَى  
 إِنَّ دِينَ الْمُصْطَفَى دِينَ الْحَيَاةِ  
 إِنَّ تَكُنْ أَرْضًا يَصِيرُكَ السَّمَاءِ  
 يَصْقِلُ الْمِرَاةَ مِنْ صَخْرٍ شَدِيدِ  
 ضَيَّعَ الْقَوْمُ شِعَارَ الْمُصْطَفَى  
 ذَلِكَ الْغَصْنَ الْعَسِيَّ الْمُعْتَلِي  
 الَّذِي الْبَطْحَاءُ أَزَكَّتْ غَرْسَهُ  
 أَذْبَلْتَهُ الْيَوْمَ رِيحُ الْعَجَمِ  
 قَاتِلُ الْأَسَادِ ذَبَحَ الْغَنَمِ  
 مِنْ أَذَابِ الصَّخْرِ مِنْ تَكْبِيرِهِ  
 مِنْ عِلَا الطَّوْدِ سَرِيعًا مُصْعِدَا  
 مِنْ بَرَى الْأَعْنَاقِ ضَرْبًا عَضْبُهُ  
 مُوقِظَ الْأَفَاقِ مِنْ خَطْوَاتِهِ  
 مِنْ أَطَاعَ النَّاسُ طَرًّا أَمْرَهُ  
 رَضِيَ الْقُنْعَ وَأَكْدَى جِدُّهُ  
 شَيْخَنَا أَحْمَدُ<sup>(١)</sup> مِنْ فِي قُرْبِهِ  
 قَالَ يَوْمًا لِمُرِيدٍ فَهَمِ  
 فَكَّرُهُمْ إِنَّ كَانَ لِلنَّجْمِ ارْتَقَى

(١) هو الشيخ أبو العباس أحمد الرفاعي ، صوفي عراقي من كبار الصوفية ، مؤسس  
 الطريقة الرفاعية ، انضم إليها خلق كثير من الفقهاء ، كان له به اعتقاد كبير ، توفي سنة  
 (٥٧٧هـ) (١١٨٢م) .

يا أخي فاسمع لهذا الرشدِ      استمع نُضَحَ الإمام المُرشِدِ  
وبهذا الحقَّ فاشدُدْ قلبكَا      واتبع العُزْبَ تُصِيبْ شِرْعَتكَا

\*\*\*

## في بيان أن حُسنَ سيرة الأُمَّة من التَأدُّبِ

### بالآداب المحمَّدية

سائلٌ مثل قضاء مُبرَم	صاح بالبابِ بصوتِ مُبرِم <sup>(١)</sup>
بالعصا صُلَّت عليه غضبا	فهوى من يده ما قشبا <sup>(٢)</sup>
إنَّ هذا العقلَ في شَرخِ الشَّبَابِ	لا ييالي بضلالٍ وصوابِ
ورأى الوالدُ فعلي فنفر	وذوى في وجهه روضُ الزَّهرِ
أهةٌ في فمه تلتهب	قلبه في صدره يَضطرب
كوكبٌ في عينه قد ومضا	نورُ الهدبِ قليلاً ومضى <sup>(٣)</sup>
روحِي الغافلُ في الجسم ارتعد	ومضى الصَّبْرُ وخلَّاني الجلدُ
مثلَ فرخٍ في الخريف انتفضا	من رياح اللَّيلِ في العُشِّ قضَى
قال لي الوالد : يومَ المحشرِ	تلتقي أُمَّةٌ خير البشرِ
الغزاة الغرُّ من أُمَّته	وأولو الميراث من حكمته
والنجومُ الزُّهرُ أربابُ الصِّفاءِ	حجةُ الدِّينِ فريقُ الشُّهداءِ
وأولو العلمِ وأربابُ القلوبِ	وأولو الزُّهدِ وأصحابُ الذُّنوبِ
وعلا في لَجِّ هذا المحشرِ	صوتُ هذا السائلِ المنكسرِ

(١) وقعت هذه القصة في سيالكوت بلد إقبال وقصَّها على الناس كثيراً . ومبرم في آخر

البيت بمعنى ممل .

(٢) قشب : جمع وكسب .

(٣) يعني دمعت عينه ، علق الدَّمع بأهدابه ثم سقط .

أيها الحائر في ذا الموكب !  
« قد حباك الحقُّ طفلاً مسلماً  
هيئن الأشياء قد شقَّ عليك  
وأنا في العتب من خير الرُّسل  
أفكرن في الأمر واذكر يا بُني  
لحيتي البيضاء في الحشر انظر  
لا تزد عبء أبيك الوهن  
أنت كم في فروع المصطفى  
نظرة من روضه فالتمس  
مرشد الرُّوم الذي قطرته  
« لا تجذَّ الجبل من خير البشر  
فطرة المسلم طراً رأفة  
العظيم الخلق من شق القمر  
لست من معشرنا فاعتزل  
طائر أنت على دوحتنا  
إن تكن ذا نعمة لا تُفرد  
كل من أوتي حظاً من حياه  
بلبل أنت ؟ ففي الرّوض امرح  
إن تكن صقراً فلا تغش البحار

ما جوابي حين يلحاني النبي :  
لم تُنله من كتابي مغنما  
لم يصز ذا الطينُ إنساناً لديك<sup>(١)</sup> »  
بين خوف ورجاء وخجل  
أمة المختار إذ ترنو إلي  
رعدتي في الخوف والحزن اذكر  
عند مولاي غداً لا تُخزني  
فتفتح في ربيع المصطفى  
وسناً من خلقه فاقتبس  
قد حوت بحراً ، سمّت قوله :<sup>(٢)</sup>  
لا تقل عندي فنون وبصر  
قوله والفعل كلُّ رحمة  
رحمة عمّت ونورٌ للبشر  
إن تكن منه بعيد المنزل  
شدوه واللحن من نغمتنا  
بسوى بستاننا لا تُغرد<sup>(٣)</sup>  
في سوى بيته يلقى رداه  
ومع السّزب بلحن فاصدح  
ليس إلا خلوة الصّحراء دار<sup>(٤)</sup>

(١) هذا قول النبي لوالد إقبال في المحشر .

(٢) جلال الدين الرومي . وما بين القوسين من ديوانه المثنوي .

(٣) أغرد : أطرب بالتغريد .

(٤) الصقر يعيش في الصحراء ، والبلبل بين الأشجار فليلزم كل بيته .

أو تكن نجماً فنور في سماك لا يكن مسراك إلا في الجباك

\*\*\*

قطر نيسان اجمعن إن ترد  
لتراه مثل قطرات الندى  
وانشف الأنداء من جوهرها  
بشعاع الضبح وضاء البكر  
لن ترى دُرَّكَ إلا كالحباب  
ألقها في اليمّ تُعَقِّدْ جوهرها  
قطر نيسان عن اليمّ نأى  
واجعلن في الروض مأواه الندي<sup>(١)</sup>  
تحضن الأكمأ منها ولدا  
واسلب اللأاء من عنصرها  
الذي من سحره ينمو الزهر<sup>(٢)</sup>  
لن ترى سَعِيكَ إلا في سراب  
ماؤها يسطع نجماً نيرا  
لجفاف . لن تراه لؤلؤا

\*\*\*

طينة المسلم دُرُّ يا بُني  
قطر نيسان ! فغص في موجه  
صاح ! من شمس الضحى كن أنورا  
ماؤها والنور من بحر النبي  
وابرزن ، درأ صفا ، من لجه  
كن ضياء ليس يخبو الدهرا

\*\*\*

## في بيان أن حياة الأمة تحتاج إلى مركز محسوس وأن مركز الأمة الإسلامية البيت الحرام

عقدة تحل من أمر الحياه  
كخيال جفلت من نفسها  
حين أفشي لك من سر الحياه :  
حُرَّة قد نفرت من حبها<sup>(٣)</sup>

(١) مطر شهر نيسان الذي ينشأ منه اللؤلؤ في ظن القدماء .

(٢) متصل بالبيت الذي قبله ؛ أي : انشف الماء بشعاع الصبح .

(٣) الأوصاف في هذا البيت وما بعده أوصاف الحياة .

وقتها ما فيه أمس وغد  
 أنظرن نفسك حيناً واعتبر  
 شعلة فيها أعدت سترها  
 ماؤها قد عقدته في درز  
 نازها في نفسها تخفي الحريق  
 فكرك العاجز عنها أوهما  
 ما أوى للعش هذا الطائر  
 هو حرّ وحواه محبس  
 ريشه ينسل طيراً كل حين  
 عقداً تعقد في أعمالها  
 تسكن الطين على إسراعها  
 كم لحون في جواها زقدي  
 في سهول كل حين وحرز  
 إن تكن كالريح تآبى محبسا  
 حولها من خيطها ناسجة  
 هي في العقدة مثل الحبة  
 تفتح العين على ما تضر

في دنى الأوقات ليست تُصَفدُ  
 لست إلا جولاناً يستمر  
 من دخان فاشاعت سرها  
 ليرى السير سكوناً في النظر  
 وتري في الغضن أزهار الشقيق<sup>(١)</sup>  
 طيران اللّون ورداً جسماً<sup>(٢)</sup>  
 هو طيرٌ وهو لون طائر<sup>(٣)</sup>  
 وهو في النوح لحوناً يئبس<sup>(٤)</sup>  
 يخلق الأسباب منه كل حين  
 وتحلّ العقد في تجوالها  
 لتزيد السير في إهطاعها<sup>(٥)</sup>  
 يومها ميلادُ أمسٍ وغد  
 كل حين في اختراع وفنون  
 تنزل الصدر فتدعى نفساً  
 حولها من خيطها عاقدة  
 مضمرة فيها فروغ الدوحة  
 فإذا الدوحة منها تظهر

- (١) نار الحياة تخفي حرها ، وتظهر أعراضها في مظاهرها . ومثل الشاعر بأزهار الشقيق التي جعلها الشعراء مثلاً للالتهاب .
- (٢) الحياة حركة دائمة يتوهمها الإنسان ثابتة . يقول إقبال : الفكر العاجز عن إدراك الحياة يرى جسماً يسميه ورداً وليس هو في الحق إلا لونا في طيران مستمر .
- (٣) الطير : الطيران . والحياة طيران ولون طائر . لا ثبات لها ، ولا تستقر في عش .
- (٤) الحياة مقيدة بأشكال وهي في الحقيقة لا تحويها هذه الأشكال . ونوحها وغناؤها متصلان .
- (٥) تضع نفسها في الطين ( تزرع وتغرس ) لا لتسكن فيه بل لتزيد إسرعاً في سيرها .



فلإذا عينٌ وقلبٌ ويدٌ<sup>(١)</sup>  
وتجلّى نشأة العمّ الحياه<sup>(٢)</sup>  
مركزٌ فيه حياةٌ تنتظم<sup>(٣)</sup>  
نقطةً ، فيها محيطٌ ، ضامره  
وَمِنَ المَرَكِزِ لِلقَوْمِ دوام  
لحُتْنَا والوَجْدُ فِينَا الحَرَمُ  
روحنا الغالي ، ونحن الجسد  
حَيٍّ من زمزمه بستائنا  
نحنُ فيه من براهين الخليل<sup>(٤)</sup>  
واصلاً مُحَدَّثْنَا بالقدم  
فهي صُبْحٌ قد حوى صدرٌ له  
أُحْكِمْتُ من وحدةِ قوتنا<sup>(٥)</sup>  
إِنَّ هَذَا الجَمْعَ سرُّ الحَرَمِ

خلعةُ الطَّيْنِ عليها تُرْفَدُ  
تؤثر الخلوّة في الجسم الحياه  
هكذا سنّة ميلاد الأمم  
إنّما المَرَكِزِ رُوْحُ الدائِرة  
وَمِنَ المَرَكِزِ لِلقَوْمِ نِظام  
نقطة المَرَكِزِ مِنَّا الحَرَمُ  
نَفْسٌ فِي صَدْرِنَا يَتَّقِدُ  
مِنَ نَدَاهِ نَضَرْتِ أَغْصَانِنَا  
نحنُ مِن دَعْوَاهِ فِي الدنِيا دَلِيلُ  
صوتنا يندى به في الأمم  
وَحَدَّ المَلَّةِ طَوْفٌ حَوْلَهُ  
وُحِّدْتُ فِي حَسْبِهِ كَثْرَتُنَا  
إِنَّ فِي الجَمْعِ حَيَاةَ الأُمَمِ

\*\*\*

قومٌ موسى عبرةً فاعتبر  
فتراهم في البرايا قطعاً<sup>(٦)</sup>  
يا أسيراً غلّه وهم وظنّ

أيّها المسلمُ يا ذا البَصْرِ!  
زهدوا في مَرَكِزِ قَدِ جَمَعَا  
يا عَيْلًا شاكياً جَوَرَ الزَّمَنِ

(١) الحياة تلبس الطين فتراها حيواناً له عين . . إلخ .

(٢) العمّ : الجماعة الكثيرة .

(٣) تولد الأمة حين تجمع الحياة في مركز معين ، في شريعة ، أو قانون ، أو مقصد .

(٤) الخليل : إبراهيم . نحن الدليل على صدق ما يدعي للحرم من أنه يجمع الناس ،

ويكون مركز الأمة . ونحن برهان على تحقيق ما أمله الخليل في الحرم .

(٥) في حساب الحرم كثرتنا وحدة . وبهذه الوحدة تستحكم قوتنا .

(٦) حذف هنا آيات في وصف اليهود .

اجعلن ثوبك ثوب المحرم  
 افن كالأباء ما بين السجود  
 من خشوع المسلمين الأولين  
 في سبيل الحق شوكاً ووطناً  
 أطلع الصُّبحَ بليلاً مُظلم  
 اسجدن حتى تُرى عينَ السجود<sup>(١)</sup>  
 سيطروا بالحق بين العالمين  
 فإذا الروضةُ هذا الموطأ

\*\*\*

## في بيان أن الاجتماع الحقيقي من الاستمساك بمقصد ، ومقصد الأمة الإسلامية حفظ التَّوحيد ونشره

اعرفن عني لسان الكائنات  
 ينظم المقصدُ أشتاتَ الحياه  
 طرفنا من تحت مهمازِ الطُّلبِ  
 إنما يُبقي الحياه المقصدُ  
 حينما تدري الحياهُ المطلبا  
 وبه الأشياءُ طرّاً تنقُد  
 يُبحر الرُّبانُ أجلَ الساحلِ  
 وعلى قلبِ الفراشِ الحُرْقُ  
 طاف قيسٌ في الصحارى ولها  
 ما اقتفينا في الصَّحارى أثرا  
 ففعالُ الكونِ فيها كلمات  
 فتراها « مطلقاً » راع الرواه<sup>(٢)</sup>  
 صرصرٌ ما ندَّ عنه من أرب  
 هو أشتات قواها يَنْضِدُ  
 تجعل الكونَ إليه سببا  
 فتردُّ الشيء أو تعتقد<sup>(٣)</sup>  
 وإلى المنزل سَيْرُ السَّابِلِ  
 لسراجِ حوله يحترق<sup>(٤)</sup>  
 قاصداً ليلاه يرجو وُضُلها  
 مُنذ ليلانا أقامت في القُرى

(١) السجود الأول جمع ساجد .

(٢) المطلق هنا مطلق القصيدة .

(٣) اعتقد المال : اقتناه . إذا عرف الإنسان مقصده نقد به الأشياء ، فرد بعضها ، وأخذ بعضها .

(٤) يذكر أمثلة من المقاصد : الساحل للسائر في البحر ، والمنزل للسائر في البر ، والاحتراق للفراش ، وليل لقيس .

إنما المقصودُ رُوحَ العملِ  
دورانِ الدَّمِ في أعراقنا  
الحياةُ الحثُّ منه تستعزُّ  
هو مضرباً لُعودِ الهمة  
حرَّكَ الأعضاء في ركبِ البشرِ  
فكُنِ المجنونَ في هذا الحبيبِ  
أبدعَ القميِّ فيما أسمعنا  
رامَ نَقشَ الشُّوكِ حيناً رَجُلُ  
لحظةً يا صاحبي إن تغفُلِ  
ذاكُمُ العالمُ دَيْرُ قَدُما  
كم وكَم يُنبت من مقصبَةِ  
كم تدمَّت من يديه روضةُ  
كم تُرى نقشاً وكم تمحو يداه  
كم من الأرواحِ بُتت أنةُ

كيفه والكمّ منه تجتلي<sup>(١)</sup>  
مسرغٌ بالجدِّ في أغراضنا  
تجمع النَّارَ به مثلَ الشَّقْرِ<sup>(٢)</sup>  
مركزُ يَجذبُ كلَّ القوَّةِ  
جامعاً شتى عيونٍ في نظر<sup>(٣)</sup>  
طُفَّ به طوف فراشٍ باللهيبِ  
علَّم الأوتار معنى مُبدعاً<sup>(٤)</sup>  
فاختفى عن ناظريه المحمَلِ  
ألفَ ميلٍ زاد بُعدُ المنزلِ  
بامتزاجِ الأمَّهاتِ انتظما<sup>(٥)</sup>  
ليراعٍ فيه نارِ النَّوحَةِ  
لتسربِّي مِن شقيقِ زهرة<sup>(٦)</sup>  
لُيرى نقشك في لوحِ الحياة  
لتعالَى من أذانِ نغمة<sup>(٧)</sup>

- (١) يتبين للعمل كيفه وكمه من مقصوده .
- (٢) الشقر : الشقائق . والضمير يعود إلى المقصود الحياة تستعز به . وتجمع في نفسها ناراً كما تجمع الشقائق النار ، في خيال الشعراء .
- (٣) يجمع الأعين المختلفة على نظر واحد .
- (٤) القمي : ملك القمي الشاعر . والإشارة إلى بيت له معناه .
- « ذهب لأنقش الشوك من قدمي فاختفى المحمل عن عيني . غفلت لحظة فبعدت طريقي مئة سنة » .
- (٥) امتزاج الأمهات اختلاط العناصر . والتركيب بلفظه العربي في الأصل .
- (٦) هذا البيت والذي قبله بيت واحد في الأصل . والمعنى أنَّ التكمل في العالم شاقُّ اليمِّ ينبت غابات من أجل نغمة ناي ويخرب روضات من أجل زهرة ، وقد تقدّم هذا أول الكتاب .
- (٧) تعالى : تتعالى .

وعلى الأحرار والى الحرِّبا  
 كلمة التوحيد من فيك نشز  
 كلمة صار إليها العالم  
 وبها الشمس تُنيرُ الحلكا  
 به الموجُ طما من نورها  
 وجدها صير ريشاً بلبلا<sup>(١)</sup>  
 وبطين الكأس منها لمعة  
 أيها العازف! يدعوك الوتر  
 أعمل المضراب في ذا النغم  
 أنت للتكبير فيها توجد<sup>(٢)</sup>  
 أو يدوي الحق بين الأمم  
 أمة العذل يسمينا الخطاب  
 شاهد أنت على كل البشر<sup>(٣)</sup>  
 وعن الأبي قولا بلغ  
 صادق ما ضل يوماً أو غوى<sup>(٤)</sup>  
 فتجلى سرُّ تقويم الحياه  
 ومحا الأذناس عنها والكدر  
 لا تراها عن هداة حائده  
 شمرن ، لا تقعدن عن عمل

ورجال الزور دهرأ رببنا  
 ثم في طينك إيماناً بذر  
 نقطة دار عليها العالم  
 قوة فيها تُدير الفلكا  
 لؤلؤ البحر ندى من نورها  
 نفعها صير طيناً سنبللا  
 في عروق الكرم منها شعلة  
 لحنها في مزهر الكون استتر  
 نعمات فيك تسري كالدم  
 كلمة التوحيد منك المقصد  
 الجهاد المرُّ جلف المسلم  
 أنت لا تدري بآيات الكتاب  
 أنت في الأيام نورٌ وبصر  
 ادعون كل لبيب ، أبلغ  
 قوله ما فيه نطق عن هوى  
 نبض هذا الكون قد جسّت يداه  
 نضّر الأزهار في روض الدهر  
 دينه فيه الحياة الخالده  
 أيها التالي الكتاب المنزل

(١) السنبل : نبات طيب الرائحة .

(٢) فيها : في الدنيا .

(٣) إشارة إلى الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [ البقرة :

١٤٣ ] .

(٤) إشارة إلى الآيات : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْمَوْتِ ﴾

[ النجم : ١ - ٣ ] .

يعشق الأصنامَ عقلُ الأممِ  
هو أحياءُ سُنَّةٍ من آزرا  
اسمه لَوْنٌ وداوٌّ ونسب  
وعَلَى أقدامِ هذا الصَّنَمِ  
أيها الشاربُ من كاس الخليلِ !  
سيفَ « لا موجود إلا هو » خُذِ  
في ظلامِ الدَّهرِ أشْرِقْ للملا  
خجلتَا لك في اليومِ العيسز  
قد أخذتِ الحقَّ عَنِّي ما دهاك

ناحتُ أو عابِدٌ للصَّنَمِ  
محدِثاً فيها إلهاً للورى  
هو من سفك دماء في طرب<sup>(١)</sup>  
ذُبَحَ الإنسانُ ذَبَحَ الغنمِ  
يا حميَّ النفس من طاس الخليلِ !  
وبه الأصنامِ هذي فاجذُذِ  
وانشرنُ حقاً عليك اكتملا<sup>(٢)</sup>  
حينما يسألك الهادي البشيرُ :  
لم تبَلِّغهُ بحقِّ لسواك !

\*\*\*

## في بيان أن توسيع حياة الأمة بتسخير قوى العالم

مؤمناً بالغيبِ غير الغافل  
اعلُ عن ذا الطينِ غصناً ناضرا  
ذلك الحاضرُ تفسيرِ الغيوبِ  
ما سوى الله لتسخيرِ العملِ  
ما سوى الله تراه يُخلق  
عقدةً تلقاك بَعْدَ العقدةِ  
فَسْرَنُ يا كِمُّ ! روضاً نفسكا  
من يسخرُ عالمِ الحسِّ سما

كارهاً كالسَّيلِ قيدَ السَّاحلِ !  
ووصلِ الغائبَ واغزُ الحاضرا  
وهو مفتاحُ لتسخيرِ الغيوبِ  
صَدْرُهُ للرَّمي ، فاقدِف لا تُبَلِّ  
لترى سهمك فيه يمرق<sup>(٣)</sup>  
لِيُرَى في الحلِّ لُطفُ الحيلةِ  
سَحْرَنُ يا طلُّ ! ذي الشمسِ لكا  
ومن الذَّرَّةِ يُخرجُ عالماً

(١) يعبد الناس في هذا العصر عصبية الأنساب والأوطان ، فيسفكون الدماء .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [ المائدة : ٣ ] .

(٣) في الآيات المتقدمة دعوة إلى تسخير عالم الحس ، وبيان أن هذا التسخير يؤدي إلى

معرفة عالم الغيب .

كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ بَحْرِ وَبَرٍّ  
أَيْهَا النَّائِمُ طَالَتْ غَفْلَتُهُ  
قُمْ وَفْتَحْ بَصِيراً قَدْ سُكَّرَا  
إِنَّهُ تَوَسَّيْعُ ذَاتِ الْمَسْلَمِ  
هُوَ يَلْبُوكُ بِسَيْفِ الزَّمَنِ  
اضْرِبِ الصَّدْرَ بِقَهْرِ الْقُوَّةِ  
جَعَلَ الْحَقُّ الدُّنَى لِلْخَيْرَيْنِ  
هَذِهِ الدُّنْيَا طَرِيقُ الظَّعْنِ  
فَأَسْرَنْهَا قَبْلَ أَنْ تَأْسُرَكَ  
أَدِهْمُ الْفِكْرِ الَّذِي يَطْوِي الْفُضَاءَ  
سَاقَهُ فِي الْكَوْنِ حَاجَاتُ الْحَيَاءِ  
يَبْتَغِي فِي الْكَوْنِ تَسْخِيرَ الْقَوَى  
نَائِبُ الْحَقِّ ، بِحَقِّ آدَمُ  
لَكَ مِنْ ضَيْقِكَ ، مِنْهَا سَعَةٌ  
صَهْوَةَ الرِّيحِ اءَلُوْنَهَا آمِرَا  
شَقَّ قَلْبَ الطُّوْدِ عَنْ جَوْهَرِهِ  
أَلْفُ كَوْنٍ فِي فُضَاءٍ تُكْفَفُ  
بِشُعَاعِ أَظْهَرْنَ مَا احْتَجَبَا  
مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ نَاراً فَاقْبِسِ  
ثَابِتُ الْأَنْجَمِ أَوْ سَيَّارُهَا  
كُلُّهَا يَا صَاحِبَ عُيْدَانُ لَكَ  
سَيَّرْنَ فِكْرَكَ فِيهَا عَسَا

لَوْحُ تَعْلِيمٍ لِأَرْبَابِ النَّظَرِ  
عَالَمِ الْحَسِّ جَفْتَهُ هَمَّتُّهُ  
لَا تَحْقُرْ عَالِماً قَدْ حُقِّرَا  
وَامْتِحَانٌ لَصِفَاتِ الْمَسْلَمِ  
لَتَرَى أَنَّ دِمَاءَ فِي الْبَدَنِ  
اخْتَبَرُ عِظَمَكَ فِي ذِي الصَّدْمَةِ  
وَجَلَاهَا لِعَيُونِ الْمُؤْمِنِينَ  
هَذِهِ الدُّنْيَا مَحَكُّ الْمُؤْمِنِ  
لَا تُضِغْ فِي جَوْفِهَا جَوْهَرَكَ  
وَالَّذِي يَجْتَازُ آفَاقَ السَّمَاءِ  
فَهُوَ فِي الْأَرْضِ وَفِي النَّجْمِ خُطَاهُ  
لَتَرَى فِيهِ بِأَعْلَى مُسْتَوَى  
حُكْمِهِ فِي الْأَرْضِ مَاضٍ حَاكِمِ (١)  
وَلْأَعْمَالِكَ فِيهَا فَسْحَةٌ  
أَلْجَمَنْ هَذَا الْجَوَادَ النَّافِرَا  
شَقَّ مَوْجَ الْبَحْرِ عَنْ دُرٍّ بِهِ  
رُبَّ شَمْسٍ قَدْ حَوَتْهَا ذُرَّةُ  
وَكَشَفْنَ عَنْ كُلِّ سِرٍّ حُجْبَا  
وَمَنْ السَّيْلِ بِرَوْقاً فَاخْلِسِ (٢)  
الَّتِي قَدْ عُيِدَتْ أَنْوَارُهَا  
وَإِمَاءٌ سُخِّرَتْ مِنْ أَجْلِكَ  
سَخَّرْنَ آفَاقَهَا وَالْأَنْفُسَا

(١) يعني أَنَّ الإنسان خليفة الله في الأرض بالحق ، وحكمه فيها نافذ .

(٢) استخراج الكهرباء من سيل الماء .

أبصرن في الراح معنى مُضَمَّراً  
حين في الكون أجال البصرا  
كيف في آفاقها لا تنظر؟<sup>(١)</sup>  
خمرة في الكرم ، طلَّ في الزَّهَر  
جوهرأ كالنَّجم في الليل سرى  
اطلبن في الروض معنى الزَّهَر  
ومن الأحرف طيراً طيراً<sup>(٢)</sup>  
أئها الغافل عن طعن الحياة  
أنزلوا ليلي وخطوا المحملا  
في الصحارى عاجزاً مستيشا  
حكمة الأشياء نصرُ الآدمي

افتح العينَ وأنعمَ نظراً  
كم ضعيفٍ في قويِّ أمراً  
أئها المقصود من أمرٍ ﴿ انظروا ﴾  
قطرةً من نفسها ذاتُ خَبْر  
وهي في البحر تراها جوهرأ  
كالصَّبا لا تهفُّ حولَ الصُّورِ  
دون مضرابٍ لحوناً سيِّراً  
أئها الظَّالع في حزنِ الحياه  
بلَّغ السَّعي الرِّفاق المنزلا  
وبقيت اليوم قيساً ملبسا  
« علِّمَ الأسماء » فخرُ الآدمي<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

في بيان أن كمال حياة الأمة أن تشعر بنفسها كالأفراد  
وأن توليد هذا الشعور وتكميله ، من الاحتفاظ بسنن

### الأمة ورواياتها

أرأيتَ الطفلَ يا ذا البَصْرِ !  
ليس يدري ما قريبٌ وبعيدُ  
ما سوى الأمِّ يرى منه الجفاءُ  
ليس تدري أذنه ما النعمةُ  
ماله عن نفسه من خبرِ  
كرة النجم بكفيه يريد  
هؤمه أكلٌ ونومٌ وبكاءُ  
لحنه ثورته والضجَّةُ

(١) إشارة إلى الآية : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس : ١٠١] .

(٢) إشارة إلى آيات البرق ، والهاتف ونحوها .

(٣) إشارة إلى الآية : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] .

فكره عُفْلٌ ضعيفُ الأثرِ  
ليس في تفكيره إلا السؤالُ  
كلُّ نفسٍ عنده ينطبعُ  
عينه إمَّا بكفٍ تُطبق  
فِكْرُهُ في الجوِّ واهٍ حذرُ  
خلف صيدٍ في حِذَارٍ يُرسله  
ثم غشاه لهيبُ الفِكْرِ  
فتراه عينه مُستعلنا  
ومن الذِّكْرِي ينمِّي نفسه  
ينظّم الأيامَ خيطُ الذهبِ  
جسمه يُرمي ويكرِي قائلًا :  
« أنا » هذي بدءٌ مقصود الحياه  
مثلُ الأُمَّة حين النَّشْأَةِ  
هي طفلٌ نفسه لا يعرفُ  
يومه بالغدِ لم يوصل ولا  
وبعينِ الكونِ إنساناً يُرَى

قوله فيه صفاء الجوهرِ  
أين ؟ أنى ؟ ومتى ؟ في كلِّ حال  
وهو كلُّ غيره يتبع  
تتنزَّى روحه في قلبي  
كصقيرٍ لاصطيادٍ يُجبرُ  
ثمَّ يدعوهُ إليه يُعجله<sup>(١)</sup>  
فرمى خذروفه بالشرر<sup>(٢)</sup>  
فيدقُّ الصِّدرَ يعني : ها أنا<sup>(٣)</sup>  
غده يربطُ فيه أمسه  
نسق الدُرِّ بسمطٍ مُعجب  
مثل ما كنتُ أراني مائلًا<sup>(٤)</sup>  
اليقظة في عود الحياه  
مثلُ الطفلِ ضعيفِ المنة  
جوهرٌ غشى عليه الصِّدْفُ  
بصباحٍ ومساءً سُلسلا  
كلُّ شيءٍ ما عداه أبصرا<sup>(٥)</sup>

(١) كالصقر الصغير الذي يُعلِّم الصيد ، يتلطف صاحبه في إطلاقه وراء الصيد ودعوته إلى الرجوع .

(٢) ثم يعلق التفكير به فيرمي فكره بشرر كما تدار جمره النار في خذروف فيتطاير منها الشرر . وفي الأصل « زرجك » وهي لعبة يديرها الصبيان يتطاير منها الشرر . والخذروف قرص يدار بخيط فيسمع له دوي .

(٣) يدرك الطفل نفسه فيعني بها ويقول ها أنا . وكان يرى غيره لا نفسه .

(٤) يرمي ويكرِي : يزيد وينقص . يشعر الإنسان بأنه مع تغير جسمه لا تتغير ذاته .

(٥) هي في الكون كإنسان العين يرى كلَّ شيءٍ إلا نفسه ، فهي تقلد وتتبع ولا تعتمد على نفسها .



بَعْدَ لَأَيِّ طَرَفِ الْخِيْطِ بَدَأَ  
فَإِذَا رَازَ قُوَاهَا الدَّهْرُ  
أَسْطَرًا تَمَحَوُ ، وَأُخْرَى تَسْطُرُ  
يُبْلِسُ الْفِرْدُ إِذَا مَا انْتَشَرَا  
نَوْرُ قَوْمٍ مِنْ مَدَادِ السَّيْرِ  
أُمَّةٌ قَدْ نَسِيَتْ سَيْرَتَهَا  
أَنْتَ سَفَرٌ كَتَبَتْهُ السَّيْرَةُ  
ثَوْبِنَا أَيَّامُنَا فِي الزَّمَنِ  
مَا تَرَى يَا غِرُّ تَارِيخِ الْبَشَرِ ؟  
فِي سَنَاهُ أَنْتَ بِالنَّفْسِ بَصِيرُ  
إِنَّهُ أَعْصَابُ جَسْمِ الْأُمَّةِ  
هُوَ يَجْلُوكُ كَسَيْفٍ مَخْدَمِ  
أَيُّ عَوْدٍ ذِي فَنُونٍ تَسْحَرُ !  
خَامِدُ الشُّعْلَةِ ، فِيهِ يُشْعَلُ  
شَمْعُهُ كَوَكْبٍ بَخْتِ الْأُمَمِ  
عَيْنُهُ تُبْصِرُ مَا قَدْ عَبَّرَا  
وَعَتِيقُ الرَّاحِ فِي كَاسَاتِهِ  
صَائِدٌ يَرْجِعُ فِي أَشْرَاكِنَا  
فَإِذْكَرُ التَّارِيخِ وَاسْتَحْكِمْ بِهِ  
أَحْكِمَنْ وَضَلَّةَ يَوْمٍ وَغَدِ

بَعْدَ مَا حَلَّتْ يَدَاهَا الْعُقْدَا (١)  
يَتَجَلَّى ذَا الشُّعُورِ الْمَضْمُرُ (٢)  
صَفْحَاتٍ بِيَدَيْهَا تَزْبُرُ  
عِقْدُ أَيَّامٍ عَلَيْهِ قُدْرَا  
نَفْسُهُ يَعْرِفُهَا بِالذِّكْرِ  
يَنْسُخُ الدَّهْرُ غَدَاً آيَتَهَا  
خَيْطُهُ أَيَّامُكَ الْمَوْصُولَةُ  
وَخِيَاطُ الثُّوبِ حَفْظُ السُّنَنِ (٣)  
قِصَّةٌ ! أَسْطُورَةٌ ؟ لَهْوٌ سَمَرٌ ؟  
فِي هِدَاةِ أَنْتِ بِالسَّيْرِ خَبِيرُ  
إِنَّهُ فِي الرُّوحِ مِثْلُ الشُّعْلَةِ  
ثُمَّ يَرْمِي بِكَ بَيْنَ الْأُمَمِ  
نَعْمَاتُ الْأَمْسِ فِيهِ تُؤَثِّرُ  
يَوْمُهُ لِلْأَمْسِ فِيهِ مَائِلُ  
وَسْنَا الْيَوْمِ وَأَمْسِ الْمَظْلَمِ  
وَتُرى الْمَاضِي حَيًّا مُحْضَرًا  
وَخُمَارُ الْأَمْسِ فِي نَشْوَاتِهِ  
طَائِرًا قَدْ طَارَ مِنْ بَسْتَانِنَا  
عِشْ بِأَنْفَاسٍ مَضَتْ ، فِي طَبِّهِ  
وَالْحَيَاةُ امْضِ بِهَا طَوْعَ الْيَدِ

(١) تكون كالذي معه خيط معقد يحل عقده حتى يجد طرف الخيط فيمكنه الانتفاع به .

(٢) راز الإنسان الشيء : حاول رفعه ليعرف ثقله .

(٣) الخياط : الإبرة .

وقد الأيام قسراً بمهراز  
صاح ا من ماضيك تبدو حالكا  
إن تُردّ خُلدَ حياةٍ فصل  
أو فعش أعمى بليلى ونهاز<sup>(١)</sup>  
ومن الحال بدا استقبالك  
ما مضى بالحال والمستقبل

\*\*\*

## في بيان أن بقاء نوع الإنسان بالأمومة ، وأن حفظ الأمومة واحترامها من أصول الإسلام

نَعَمَاتُ المرءِ عَزَفُ المرأةِ  
كسْتِ الذُّكرَانِ رَبَّاتُ الحِجَالِ  
عَشَقُ الحَقِّ رَبَاهُ حِجْرُهَا  
الذِي قَدْ بَهَرَ الكَوْنَ سَنَاهُ  
جَهْلَ القُرْآنِ جَهْلًا مُسْلِمُ  
إِنَّمَا الأُمُّ عَلَيْنَا رَحْمَةٌ  
رَأْفَةُ المرْسَلِ فِي رَأْفَتِهَا  
وَمِنَ الأُمِّ عَلَتْ أَقْدَارُنَا  
لَفْظَةُ الأُمَّةِ فِيهَا نُكْتُ  
إِنَّمَا الأُمَّةُ مِنْ وَصَلِ الرِّجْمِ  
قَالَ خَيْرُ الخَلْقِ ، وَهُوَ الحِجَّةُ :

هُوَ مِنْ مَحْنَتِهَا فِي عِزَّةِ  
إِنَّ ثَوْبَ العِشْقِ مِنْ نَسِجِ الجَمَالِ<sup>(٢)</sup>  
ذَلِكَ اللِّحْنُ حَوَاهُ صَدْرُهَا  
قَرْنَ الطَّيِّبِ إِلَيْهَا وَالصَّلَاةِ<sup>(٣)</sup>  
قَدْ رَأَى أُمَّةً لَا تُعْظَمُ  
وَإِلَى الرُّشْلِ لَدَيْهَا نَسْبَةٌ  
سَيَرُ الأَقْوَامِ مِنْ صَنَعَتِهَا  
وَإِسِيْمَاهَا بَدَا مِقْدَارُنَا<sup>(٤)</sup>  
أُتْرَى فِكْرَكَ فِيهَا يَثْبُتُ ؟  
دُونَهُ أَمْرُ حَيَاةٍ لَا يَتِمُّ  
تَحْتَ رِجْلِ الأُمَّهَاتِ الجِنَّةِ

(١) المهار : الزمام .

(٢) إكبار الرجل المرأة وحبها يدعوها إلى الإقدام والعمل ، وكذلك تهديه المرأة وتلهمه .

(٣) إشارة إلى الأثر : حبب إلي من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وقرعة عيني في الصلاة .

(٤) المقدار هنا القدر ، أي مستقبل الناس مكتوب في سيما الأم .

كُشِفَتْ بِالْأَمِّ أَسْرَارُ الْحَيَاةِ      بِخِلَالِ الْأَمِّ تَسْيَارُ الْحَيَاةِ  
وَبهَا فِي نَهْرِنَا يعلو العُبابُ      ويدوم الموج فيه والحبَابُ

\*\*\*

هذه الغرّة بنتُ القرية      حَيَّة العَيْنِ ، كَهَامُ المِقْوَلِ  
أَلَمِ الأمِّ عَلَيْهَا يثْقَلُ      أَمْرِنَا يُحَكِّمُ من آلامِهَا  
إِنْ تَهَبُ من جِجْرهَا لِلأُمَّةِ      والتي رَقَّتْ وَخَفَّتْ مَحْمِلًا  
وَشَعَّ نور العَرَبِ فِي فِكْرَتِهَا      قَطَعَتْ أوصال هذِي الأُمَّةِ  
إِنَّ حَرِيَّتِهَا أَصْلُ البلاءِ      ليلِهَا ماضٍ فِيهِ نَجْمُهَا  
لَيْتِهَا لَمْ تَنَمُ فِي رَوْضِنَا      لَيْتِهَا تُغَسَّلُ من حُلَّتِنَا

\*\*\*

أَنْجَمُ التَّوْحِيدِ فِي غَيْبِ الأَبْدِ      مضمِرَاتُ لَيْسَ يَحْصِيهَا عَدَدُ  
لَمْ تُسَيِّبْ بَعْدُ من قَيْدِ العَدَمِ      لَمْ تُقَيِّدْ بَعْدُ فِي كَيْفِ وَكَمِّ  
جَلَّوَاتُ فِي دِجَانَا تُضَمَّرُ      فِي ظلام الكونِ عَنَّا تَسْتَرُ  
قَطَرَاتُ لَمْ تَزِنِ زَهَرَ الرُّبِيِّ      وَزَهْوَرُ لَمْ تَفْتَحِهَا الصَّبَا

(١) كهام المقول : عيبة اللسان . عينها خفرة ، ولسانها قليل الكلام .

(٢) تعاني الظلام في أيامها ليشرق صبحنا : أي نسعد بشقائنا .

(٣) صدفت عن الحمل والوضع .

(٤) لم يضيء في ليلها نجم : لم يولد لها ولد .

إنما تنبتُ هذي الزهَراتُ      ناضراتٌ في رياض الأمهات  
 أيها العاقلُ ! مالُ الأُمَّةِ      ليس من عقيانها والفضَّةِ  
 إنَّه أولادها ملءُ الأمل      في ذكاءٍ ونشاطٍ وعمَلُ  
 تحفظُ الأُمُّ إخاءَ الأُمَّةِ      وقوى قرآنا والمِلَّةِ

\*\*\*

## في بيان أنَّ سيِّدةَ النِّساءِ فاطمةَ الزهراءِ أسوةٌ كاملةٌ للنِّساءِ المسلماتِ

أمُّ عيسى نسيبةٌ واحدهُ      بثلاثِ تزدهي فاطمةُ :  
 قرةَ العينِ لخيرِ الأوَّلينِ ،      خاتمِ الرُّسُلِ ، وخيرِ الآخِرِينَ ،  
 نافخُ الرُّوحِ بدنيا الوَهَنِ      خالقُ العَصْرِ جديدي السَّنَنِ  
 وهي زوجُ المرتضى ذا البطلِ      أسدِ اللهِ الحكيمِ الفِصلِ  
 ملكٌ في الكوخِ زهداً قد أقام      كلُّ ما يملكِ درعٌ وحُسامُ  
 وهي أمُّ السَّيِّدينِ الأكرَمِينَ      حسنِ خيرِ حليمِ وحُسينِ  
 ذا سراجٍ في ظلامِ الحَرَمِ      حافظٌ وخدَّةُ خيرِ الأُمَمِ  
 ازدري الملكِ ابتغاءَ الألفَةِ      أطفأ النيرانَ بين الإخوةِ  
 ذاك في الأبرارِ ربُّ العَلَمِ      أسوةُ الأحرارِ في الخطبِ العميِ  
 سيرةُ الأولادِ صنعُ الأمَّهاتِ      وخلالِ الخيرِ طبعُ الأمَّهاتِ  
 زهرةٌ في روضةِ الصّدقِ البتولِ      أسوةُ النِّسوةِ في الحقِّ البتولِ  
 فاقَّةُ السَّائلِ أذرتِ دمعها      ليهوديِّ أباعتِ درعها<sup>(١)</sup>  
 كلُّ من في الأرضِ قد طاع لها      ورضاها حين تُرضي بعلها  
 نُشئتُ ما بين صبرٍ ورضا      في الفمِّ القرآنُ ، والكفِّ الرِّحَى

(١) أباع : عرض للبيع ، أي عرضت درعها للبيع لتعطي سائلاً .

دمعُها من خشية الله جرى  
لقطَ الروحُ الأمينُ الدُّررا  
أنا لولا الشَّرْعَ عن هذا نَهَى  
طفئتُ حولَ القبرِ إجلالاً لها

في مصلاًها يفوقُ الجوهرا  
وعلى العرشِ المعلى نثرا  
وإلى شرعِ الرسولِ المنتهى  
ناثراً من سَجَداتي حولها

\*\*\*

### خطابٌ إلى المرأة المسلمة

مُشعلٌ مصباحُنا من نارك  
خَلَقَكَ الطَّاهِرُ فِينا رَحْمَةً  
طفَلُنا عَلِمْتِه حينَ الفِطامِ  
صِيغَ مِنْ حُبِّكَ أطواژُ لِنا  
برقُنا في سُحُبِ منكَ نَوَى  
ضَاءَ دِينُ الحَقِّ مِنْ أنفاسِكَ  
ذَلِكَ العَصْرُ غُرُورٌ ما كَرُ  
عقلُه أعمى وبالله كَفَرُ  
عِينُه عَيْنُ وقاحِ فاتِكِ  
صِيدُه يحسبُ حراً نَفْسُه  
بِكِ يخضِرُ غِراسِ السَّوْحِدَةِ  
لا تسيِري غيرَ نَهجِ السَّلَفِ  
احذِري فتنَةَ عَصْرِ مُهلِكِ  
بُعِدتُ عن عَشْها في خَطِرِ

عِرْضُنا في الصَّونِ مِنْ أَسْتارِكِ  
قَوِيّ الدِّينُ بِهِ والأَمَّةُ  
كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ مِنْ قَبْلِ الكَلامِ  
فِعْلُنا ، أقوالنا ، أفكارُنا  
شَعَّ في الأطوادِ ، والبيدَ طَوَى  
ونما التَّوْحِيدُ في أحجارِكِ  
وعلى الأديانِ باغِ فاجِرُ  
كم جهولٍ في شِراكِ قَدِ أَسَرُ  
بِشباكِ الهُدْبِ كم مِنْ هالِكِ !  
مَيْتُه يزعمُ قَصراً رَمْسَه<sup>(١)</sup>  
بِكِ ينمو رأسُ مالِ المِلَّةِ  
لا تبالي بجَدِي أو تَلْفِ  
وإلى صَدْرِكِ ضَمِّي وُلْدَكِ  
هذه الأفراخُ ، لَمَّا تَطِرِ

(١) الأسير في أغلال هذا العصر يظنُّ نفسه حراً ، والميت يحسب رمسه قصراً لا يدري هذا أو ذاك ما هو فيه من عبودية أو هلاك .

فيك تسمو للمعالي فطرةً فاتبعي الزهراء ، نعم الأسوة  
 علّ غصناً منك يأتي بحسّين فترى النضرة روضات دوين

\*\*\*

## خلاصة مطالب المنظومة

### في تفسير سورة الإخلاص

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾

مُزهِراً مِنْهُ تَرَابُ الْقَدَمِ  
 طُورُنَا مِنْهُ الْكَلِيمَ الْأَوْلَا<sup>(١)</sup>  
 صحبة الغار وفي القبر ، الوفي<sup>(٢)</sup>  
 مَطْلَعِ الدِّيوانِ مِنْ أَهْلِ الْوَفَاءِ !  
 فَاَنْظُرُنْ مَا الطَّبُّ مِنْ أَدَوَانِنَا  
 سُورَةُ الْإِخْلَاصِ بُرْءِ السَّقَمِ  
 وَهِيَ لِلتَّوْحِيدِ سُرٌّ هَائِلٌ  
 وَلتكن منه مثالاً للجمال  
 بِكَ لِلوَحْدَةِ فِي الدُّنْيَا سَمَا  
 لَمْ تَزُلْ عَمَا تَعُودَتِ الْقَدَمِ  
 اقْصِدِ الْبَحْرَ وَخَلِّ الْقَنَوَاتِ  
 قَدْ بَعُدَتِ الْيَوْمَ مِنْ دَوْحِكَا  
 لَا تَقْطَعْ صَاحِ ! حَبْلَ الْوَحْدَةِ

ظَهَرَ الصَّدِيقُ لِي فِي الحُلْمِ  
 ذَا « أَمْنُ النَّاسِ » فِينَا مَنْ جَلَا  
 هُوَ ثَانِي اثْنَيْنِ فِي الدِّينِ وَفِي  
 قَلْتُ : يَا صَفْوَةَ أَصْحَابِ الصَّفَاءِ  
 بِكَ قَرَّ الْأَمْسُ فِي بُيَانِنَا  
 قَالَ : حَتَّامَ أَسِيرُ الْوَهْمِ  
 نَفْسٌ فِي كُلِّ صَدْرٍ جَائِلٌ  
 فَاجْلُ هَذَا السَّرِّ فِي كُلِّ الْفِعَالِ  
 الَّذِي سَمَّاكَ عَبْدًا مُسْلِمًا  
 قَلْتُ : أَفْغَانٌ ، وَتَرْكٌ وَعَجْمٌ  
 طَهَّرَنَّ الْحَقُّ مِنْ هَذَا السَّمَاتِ  
 يَا أَسِيرًا لِسَمَاتٍ وَيَحْكَا !  
 أَبْدَلِ الْوَحْدَةَ بِالثَّنِيَّةِ

(١) إشارة إلى الحديث : « أمنُّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر » .

(٢) كان ثاني الرسول في الدخول في الإسلام وفي الغار ، وفي القبر إذ كان أول من دفن

بجانبه .

كَلَّ تَفْرِيقِي وَلِلْحَقِّ اِرْجَعَنْ  
أُثْبِتَنَّ فِي الْقَلْبِ الْفَاطَ الْفَمِ  
وَهَدَمْتُ الْحَصْنَ فِيهِ تَحْتَمِي  
مَاتَ إِيمَانٌ إِذَا لَمْ يَعْمَلِ

عَابِدَ الْوَاحِدِ ! وَحَدِّ وَاهْجِرَنَّ  
أَيْهَا الْمُغْفَلُ مَعْنَى الْكَلِمِ  
أُمَّةً قَطَّعَتْهَا فِي أُمَّمِ  
قُوَّةَ الْإِيمَانِ زِدْ بِالْعَمَلِ

\*\*\*

### ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾

تَخَلَّصَنْ مِنْ قَيْدِ أَسْبَابِ وَحَدِّ  
مَا الْحَيَاةُ الْحَقُّ دَوْرَ اللَّوْلَبِ<sup>(١)</sup>  
وَهُوَ لِلنَّاسِ جَمِيعاً سَلَمٌ  
لَا تَمُدَّنَّ إِلَى الْخَلْقِ يَدَا  
مَرْحَباً فَاقْتَلْهُ ، وَافْتَحْ خَيْبِرَا<sup>(٢)</sup>  
أَنْتَ ، مَنْ لَا وَنَعَمَ فِي حَزَنِ  
يُوسُفُ أَنْتَ ، فَأَنْتَى تَرْخُصُ ؟  
لَا تُؤْمَلُ مِنْ سَلِيمَانَ جَدَى  
عَشُ وَمَثَ حَرّاً . عِدَاكَ الْغَرَّرُ  
و« تَعَشُ حَرّاً » بِهَا كَلَّ الْفَخَارُ<sup>(٣)</sup>  
مَعْطِياً لَا سَائِلاً . فِي حَبَّهَا<sup>(٤)</sup>

أَشْعِرَنَّ الْقَلْبَ « اللَّهُ الصَّمَدُ »  
لَيْسَ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدَ السَّبَبِ  
لَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ يَرْجُو الْمَسْلَمُ  
لَا تَبْتُئَنَّ شَكَاةً أَحَدَا  
بِالشَّعِيرِ اقْنَعِ ، تَقَيَّلَ حَيْدِرَا  
فِيْمَ لِلْأَجْوَادِ حَمَلُ الْمِنَنِ  
لَا تَرْمُ رِزْقَ لَيْثِيمٍ يُنْغَصُ  
إِنْ تَكُنْ نَمَلاً وَكُنْتَ الْمَقْعَدَا  
خَفَّفِ الزَّادَ ، طَرِيقُ وَعِزُّ  
اجْعَلَنَّ « أَقْلَلُ مِنَ الدُّنْيَا » الشُّعَازُ  
وَكَنْ الْإِكْسِيرَ لَا التُّسْرَبَ بِهَا

- (١) إن أخلص الإنسان لله ، وتوكل عليه لا يقيد ما يقيد الناس من أسباب ، بل يخلق هو وسائله إلى غاياته ، وليست الحياة دورات آلية بل فيها إرادة الإنسان وعزيمته .  
(٢) مرحب : أحد رؤساء اليهود في خيبر ، قتله علي رضي الله عنه .  
(٣) إشارة إلى ما يروى عن عمر رضي الله عنه : « أقلل من الدنيا تعش حراً » .  
(٤) الضمير يرجع إلى الدنيا .

« بو عليّ » ليس مجهولاً لديك  
 « تخت قابوس اركلن بالأرجل  
 يُفتح الحانُ عَجولاً نفسَه  
 جَرعَةً من كأسه أهدى إليك : (١)  
 ابذل الرأس وبالعرض ابخلِ  
 لفقيرٍ لم يدنّس كأسه

\*\*\*

قائدُ الإسلام هارون الرشيدُ  
 قال : يا مالكُ مولى الأُمَّةِ  
 أنت يا بلبلَ فردوسِ الحديثِ  
 لِمَ يُخفى ذا العقيقَ اليمَنُ ؟  
 حبّذا زهرةُ أيامِ العراقِ  
 تربُّه فيه من السُّقْمِ نجاه  
 قال : « إني خادمٌ للمصطفى  
 أنا ، من قُيِّدْتُ في حُبِّي لهُ  
 لي في يثربِ حبِّ واشتياقِ (٢)  
 ويقول العشق : أمري امثلاً  
 أنت تبغي أن تُرى لي سيِّداً  
 التعلّمك أغشى بابكاً  
 إن تَرُم في الدينِ علماً يُقتنى  
 مَن سقى نقفورَ من ماءِ الحديدِ (٢)  
 أنت يارونقَ وجه المَلَّةِ  
 إنني أرغب في درسِ الحديثِ  
 اقصدنَ بغداد ، نعم الوطنِ (٣)  
 حبّذا حسنٌ به الأعينَ راقُ  
 قاطرٌ من كزِمه ماءُ الحياهِ  
 وبحسبي حُبُّه لي شرفاً  
 كيف أنأى عن مكانِ حلِّه  
 أين من ليلي بها صبْحُ العراقِ ؟  
 لستُ أرضى بملوكِ خَولا  
 أن تُرى مولىً لحرِّ عُبدا  
 خادمُ الأُمَّة لا يعنو لكاً  
 فاغشِين حَلقةَ درسي هاهنا «

\*\*\*

- (١) هو أبو علي قلندر أحد كبار الصوفية في الهند ، وقد سبقت ترجمته في القسم الأول لديوان « الأسرار والرموز » ، وما بين القوسين من شعره .  
 (٢) نقفور : أحد ملوك البيزنطيين حاربه الرشيد فهزمه .  
 (٣) اليمَن : من مواطن العقيق . يعني : لماذا يبقى مالك في الحجاز كما يبقى العقيق في معدنه .  
 (٤) في الأصل : أنا حيٌّ بتقبيل تراب المدينة . وقد خففت العبارة في الترجمة .



الذي استغنى جديرٌ بالدَّلالِ  
صِبْغَةَ الْحَقِّ مَنْ اسْتَغْنَى اِكْتَسَى  
أَنْتِ مِنْ غَيْرِكَ تَجِدُو عِلْمَكَ  
أَنْتِ مِنْهُ بِشَعَارٍ تَفْخِرُ  
خَشَعَتْ أَرْضُكَ مِنْ أَمْطَارِهِ  
مَطْرًا مِنْ مِزْنِهِ لَا تَجْتَدِي  
سَلَسَلْتَ عَقْلَكَ أَفْكَارًا لَهُ  
مَسْتَعَارًا كَلِمًا فِي فَمِكَ  
أَعْوَزْتَ طَيْرَكَ أَلْحَانَ الْغِنَاءِ  
أَنْتِ فِي كَأْسِكَ خَمْرًا تَجْتَدِي  
لَوْ يَعُودُ الْيَوْمَ فِينَا ذُو النَّظْرِ  
مَا زَ صَدَقًا وَكَذِبًا سَمِعَهُ  
ثُمَّ نَادَى « لَسْتَ مِنِّي » يَافْتَى  
فَلِإِلَامِ الْعَيْشِ مِثْلَ الْأَنْجَمِ  
أَنْتِ قَدْ غَرَّكَ صَبْحُ كَاذِبٍ  
أَنْتِ شَمْسٌ نَفْسِكَ اعْرِفِ كُلَّ حِينٍ  
إِنَّ فِي قَلْبِكَ نَفْسًا مِنْ سِوَاكَ  
بِسِرَاجِ النَّاسِ مَغْنَاكَ أَضَاءَ

فِي دَلَالٍ عِنْدَهُ كُلُّ جَمَالٍ  
وَرَأَى صَبْغَ سِوَاهُ دَنَسًا  
بَطْلَاءَ مِنْهُ تَطْلِي وَجْهَكَ  
أَنْتِ ذَا أُمَّ غَيْرَتِكَ الْغَيْرُ؟<sup>(١)</sup>  
وَخَلَا الْبَسْتَانَ مِنْ أَزْهَارِهِ  
لَا تُبْذِرُ زَرْعَكَ عَمْدًا بِالْيَدِ  
مَلَأْتَ خَلْقَكَ أَوْتَارًا لَهُ  
مَسْتَعَارًا أَمَلٌ فِي قَلْبِكَ  
لَيْسَ فِي سُرُوكَ فِي الْجَوْ رُؤَا<sup>(٢)</sup>  
وَكَذَلِكَ الْكَأْسُ جَدْوَى فِي الْيَدِ  
مِنْ بِي تَصْدِيقٍ ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾<sup>(٣)</sup>  
وَابْتَلَى كُلَّ فَرَاشٍ شَمْعَهُ<sup>(٤)</sup>  
وَيَلْتَا يَا وَيَلْتَا يَا وَيَلْتَا  
يَطْلُعُ الصُّبْحُ لَهَا بِالْعَدَمِ  
أَنْتِ عَنِ نَفْسِكَ حَقًّا ذَاهِبٌ  
لَا تُضْنُهَا مِنْ نَجُومِ الْآخِرِينَ  
بَاعَتِ الْإِكْسِيرَ بِالثُّرْبِ يَدَاكَ  
وَبِخَمْرِ النَّاسِ فِي الرَّأْسِ انْتِشَاءَ

- (١) هل أنت أيها المسلم كما عهدتك ، أم أنت إنسان آخر .  
(٢) السَّرو : شجر طويل شكله كالسنبلة دائم الخضرة ، جميل التمايل . يقول الشاعر إن طيرنا لا يستطيع الغناء كالطير ، وسرونا ليس له رواء كالسرو .  
(٣) إشارة إلى الآية : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَى ﴾ [ النجم : ١٧ ] .  
(٤) لو عاد الرسول صلوات الله عليه لميز الصادق والكاذب ، وعرف شمعه الفراش الذي يهفو إليه حبا .

لك حول الشَّمع في الحفلِ دوار  
 ابقَ في مثواك مثلَ البصر  
 حَيَّ فردٌ نفسَه قد عَرَفَا  
 عن طريقِ المصطفى لا تذهبنِ  
 اغشينِ نارك . هل في القلبِ نار<sup>(١)</sup>  
 لا تدغُ عَشْكَ مهما تَطِر<sup>(٢)</sup>  
 وقبيلٌ عن سواه صَدَفَا<sup>(٣)</sup>  
 واترك الأريابَ ، والله اعْبُدُنْ

\*\*\*

### ﴿ لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُوَلِّدْ ﴾

قد علا قومك عن لونِ ودَمٍ  
 في وضوءِ قطرةٍ من قنبر  
 اتركنِ عمَّأ وأمَّأ وأبَا  
 يا خليلي اسمع حديثي واعقلا  
 قطرةٌ من شقيرِ كالبَّسِ  
 لم تقلْ هذي : أنا نيلوْفَرِ  
 شأنُ إبراهيمَ في ملتنا  
 إن جعلتِ الدمَ ركنَ الملةِ  
 في نرانا ليس ينمو بزُرُكا  
 وعلا أسودُه حُمَرَ الأممِ  
 هي أغلى من دم من قيصرِ  
 وكسلمان إلى الدين انسبا<sup>(٤)</sup>  
 من خلايا النحل هذا المثلا :  
 ثمَّ أخرى من بياضِ النرجسِ  
 أو تقلْ هاتيك إنِّي عبَهْرُ  
 دين إبراهيمَ فيه شهدنا  
 صدعتِ دعواك جمعَ الإخوةِ  
 أنتَ ما أسلم حقاً فكرُكا

- (١) هنا يقول الشاعر : لا تكن فراشاً يهفو على نار غيره بل اصطلل نارك إن تكن في قلبك نار .
- (٢) مذهب إقبال أن يثبت الإنسان في نفسه ، يبعد السير ولكن لا يخرج من منهاجه . فليكن كالبصر ، يتقلب في العالم ، وهو مكانه ، وكالطائر يحلق في الجو ولا ينسى عشه . يعني أن يكون في فكره وعمله صادراً عن عقيدته وإحساسه هو .
- (٣) حياة الفرد أن يعرف نفسه ويعتدُّ بها ، وحياة الجماعة أن تعتمد على نفسها ، وتصدف عن غيرها .
- (٤) يروي أنَّ سلمان الفارسي رضي الله عنه سئل عن نسبه ، فقال : سلمان بنُ الإسلام .

جسمه والروح وَجَدَ الْمُخْبِتِينَ  
 وَأَذَابَ الْقَلْبِ مِنْهُ جَمْرُهُ  
 نَاحَ نَوْحِ الْأُمِّ فِي لَوْعَتِهِ :  
 « وَرَفِيقِي فِي طَلَابِ الْحِكْمَةِ »  
 « وَشَرِيقِي فِي وِلَاءِ الْمُصْطَفَى »  
 « وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْوَارَ النَّبِيِّ <sup>(١)</sup> »

ابن مسعود سِرَاجُ الْمُتَّقِينَ  
 أَجَّ مِنْ مَوْتِ أَخِيهِ صَدْرُهُ  
 لَمْ يَجِفَّ الدَّمْعَ مِنْ حَرَقَتِهِ  
 « آهٍ لِلْقَارِيءِ دَرَسَ الْعِظْمَةَ »  
 « آهٍ لِلسَّرْوِ الَّذِي قَدْ وَرَفَا »  
 « عَيْنُهُ تُحْرَمُ إِبْصَارَ النَّبِيِّ »

\*\*\*

ليس من رومٍ وعُربٍ أصلنا  
 قد حباننا ذاكمُ الوصلَ القريب  
 حسبُ عينِ نشوةٍ في قربه  
 مُذْ حوتِ أعراقنا نشوتَه  
 نبضت منه عروقُ الملة  
 هو في الروح ، وفي الجسمِ النسب  
 خللُ إيران ، واخللُ العَرِيبَا  
 قد نمت أغصاننا دوحتهُ  
 ثوبُ حق ، لا سِدَى أو لُحْمَةُ <sup>(٢)</sup>  
 قد غفا عن ﴿ لم يلدُ ولم يُولد ﴾

ما من الأنسابِ يَقْوَى وصلنا  
 إنما حبُّ الحجازيِّ الحبيب  
 حَسْبُنَا أَصْرَةٌ مِنْ حُبِّهِ  
 جَدَّدَ الدَّهْرُ بِنَا سِيرَتَهُ  
 عشقه سِرُّ اجتماعِ الأُمَّةِ  
 صلةُ العِشْقِ لَنَا أَقْوَى سَبَبِ  
 أيها العاشقُ خَلِّ النَّسْبَا  
 نُورُ حَقٍّ مِثْلَهُ أُمَّتُهُ  
 « نورِ حَقٍّ مَا حَوَاهِ نَسْبُ  
 مِنْ ثَوِي فِي نَسَبٍ أَوْ بَلَدِ »

\*\*\*

(١) يقصد الشاعر من هذه القصة أن ابن مسعود بكى أخاه لما جمعهما من صلة بالنبي لا من صلة النسب .

(٢) البيت لجلال الدين الرومي .

## ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

عامراً بالحق قلباً قد عمر؟  
 لم ترُعها طلعةً من مُجتنٍ  
 فتراها لهباً يستعمرُ  
 أنّها خُلف عنها كوكبُ  
 وشُعاعُ الشَّمسِ فيها قُبُلُ  
 لتُرى في الناس حُرّاً أوحداً  
 عبده يابى شريكاً مثله  
 ليس يرضى بمُسامٍ في السَّما  
 ﴿ أنتم الأعلىون ﴾ تاجُ المَفرِقِ  
 وحوى بَرّاً وبحراً صدره  
 صدره لِلبَرِقِ إمّا نزلَا  
 أمره المعيار في خيرٍ وشرّ  
 جوهراً فيه كمالٌ للحياه  
 نعمةٌ إلا أذانُ المُسلمِ  
 وهو حين القَهَرِ ذو طبعِ كريمِ  
 قهره في الحربِ صهراً للحجرِ  
 وهو في اليدِ انقضاضُ الأجدلِ  
 هو فوق الرُّهْرِ ما إن يستقرّ  
 طائراً فيما وراءَ الفَلَكِ  
 دودةٌ في ظلمةِ الثُّربِ تُراح  
 قد أصبتِ الدَّلَّ من هَجَرِ القُرآنِ<sup>(١)</sup>

صاح ! ما المسلمُ للدُّنيا احتقرُ  
 زهرةً من شَقيرِ في القُننِ  
 نفساً ينفخ فيها السَّخَرُ  
 تُشفق الرُّهْرُ عليها تحسبُ  
 الندى منها نُعاساً يَغسِلُ  
 ﴿ لم يكن ﴾ أمسكُ بها واشدُّ يدا  
 ذلك الواحدُ لا شريكَ له  
 قد سما المسلمِ أعلى مَنْ سَمَا  
 وردُه ﴿ لا تحزنوا ﴾ في المأزِقِ  
 حملَ الكونين طرّاً ظهْرُه  
 أذنه للرعْدِ إمّا جَلجَلَا  
 قاتِلُ الرُّورِ ، وللحقِّ وزز  
 جمره كلُّ لهيبٍ في حشاه  
 ليس في ضوضاءِ هذي الأممِ  
 هو في العفو وفي البذلِ عظيمُ  
 لُطفُه في الحَفلِ جبرُ المنكسِرِ  
 هو في الرِّوضِ صفيهُرُ البُلبلِ  
 قلبه تحت سَماءٍ لا يقرّ  
 طائرٌ ينقُرُ نجمَ الحُبكِ  
 أنتَ ، يا مَنْ لم يَطْرُ منك جَنَاحُ !  
 مستكينٌ تشتكي جورَ الرِّمانِ

(١) القرآن : القرآن .

قد هَبَطَتِ الأَرْضَ طَهْرًا كَالنَّدى  
فإلام العيشُ في التُّربِ ؟ ارحلا  
بالكتاب الحيِّ أمسكت يدا  
اصعدنْ فوق السمواتِ العُلَى

\*\*\*

## شكوى المصنف إلى من أرسل رحمةً للعالمين

نَفَّسَتْ مِنْكَ مُحَيَّاها الحياها  
الجهاتُ السَّتُّ نورٌ يَسْطَعُ  
إِنَّ فَقْرًا فِيكَ ذَخِرُ الكائنات  
أنتَ أشعلتَ مصابيح الحياها  
صُورُ الكونِ بدت من دونكا  
نَفَسٌ مِنْكَ أطار الشَّرَا  
وَسَمَمَتْ لِلنَّيرينِ الذَّرَّةُ  
من أبي أنت وأمي أقرب  
عشْقُك النارَ بجسمي يُضرم  
ومتاعي أَنَّةُ مثلَ الرَّبابِ  
كيف لا يُيدي شَجِّ أتراحه ؟  
ضلَّ عن سرِّ النَّبيِّ المسلمِ  
كلُّهم في قلبه يثوي هُبُلُ

ورأت تعبيرَ رؤياها الحياها  
منك ، والأقوامُ جمعاً تَبَعُ  
قد تعالى بك قدرُ الكائنات<sup>(١)</sup>  
وحبوتِ النَّاسِ من رِقِّ نجاه  
فاقةً تشكو وتشكو الحَلَكَا  
فاستحالَ الطَّيْنُ مِنْهُ بشرا<sup>(٢)</sup>  
وتجلَّتْ من حشاها القوَّةُ  
مذ رأى وجهك طرفي المعجَبُ  
فليُذبْ روعي منه ضَرَمُ  
إنها المصباح في بيتي الخراب  
كيف لا يُيدي زجاجُ راحه ؟  
مؤثناً قد صار هذا الحرَمِ<sup>(٣)</sup>  
ومناةً فيه والعُسْرَى تحُل

(١) الفقر عند إقبال ، كما هو عند الصوفية ، ألا يستغنى الإنسان إلا بالله . انظر مقدمة « ضرب الكليم » .

(٢) يعني : أن الكائنات قبلك كانت في ظلامٍ وفاقةٍ وحاجةٍ إلى من يبعث فيها الحياة والقوة .

(٣) المسلم صار بيت أوثان بما في نفسه من أهواء ، وعبادة للكبراء .

شيخنا يفضله البزهمن  
 هجر العرب ، وفي العزب عصم  
 فت برد العجم في أعضائه  
 هو ، كالكافر ، يخشى الأجلا  
 داؤه كل طيب ما شفا  
 هالكاً عزفته ماء الحياه  
 قلت عن أحباب نجد قستي  
 فأضاء الحفل من لحي أياة

\*\*\*

قيل : أهدي سحر أوزبة لنا  
 واهبي عود سليمى كرما  
 اهد للحق ، الذي قد أفكا  
 إن يكن قلبي غوى لا يصر  
 أنت يا من نوره صبح العصور !  
 اهتكن أستار فكري وافضحن  
 وحياتي اقطع لأجل الأمة  
 أبعدن عن روضتي الغيث المريع  
 جفف الراح بكرمي عاجلا

(١) سمنا : بيت أصنام معروف في الهند أخربه السلطان محمود الغزنوي ، ويعيد الهنادك بناءه اليوم .

(٢) الآية : شعاع الشمس .

(٣) القانون : آلة موسيقية . وفي الكلام تورية بالقانون الذي معناه الشرع .

(٤) الأبو صيري الشاعر ناظم البردة . وعود سليمى يراد به قوة العرب في الأدب والغناء .

(٥) اهد من ادعى أن فلسفتي مأخوذة من الفرنج ؛ لأنه يجهل ما في دينه من قوانين .

واحرمَنِّي منك لثمَّ القَدَمِ  
ونظمت الدُّرَّ من سرِّ القُرانِ  
بك كم نال وضيع شرفا  
يجعلنَّ عشقي قرينَ العملِ  
ونصيأاً شئتَ لي من علمِ دينِ  
واجعلنَّ قَطَرَ ربيعي دُررا

واخزيتني يوم حشر الأمم  
أو أكن أخلصت نصحي في البيانِ  
فدعاءً منك أجري وكفى  
اسألنَّ الله ربَّ العرشِ لي  
ربُّ قد أنعمت بالروحِ الحزينِ  
فاجعلنَّ في الفعلِ حظي أوفرا

\*\*\*

مُدَّ حوى قلبي في الدنيا مُقامِ  
شاهداً صبحَ حياتي الأولا  
مُدَّ شدا باسمك أمي وأبي  
ودهانني ربُّه والمحنُ  
ونما بالعتق فيه الثَّمَلِ  
كوكبٌ في جنح ليلي يُسفر

أملٌ آخر في القلب أقام  
هو في صدري كقلبي نزلا  
أملٌ أذكيكُ منه لهبي  
كلما غيَّض مني الزمنُ  
شبَّ في قلبي هذا الأملُ  
إنه تحت ترابي جَوهَرُ

\*\*\*

وتعشَّقْتُ ذواتِ الطُّرَرِ  
حين أطفأتُ سراجَ العافيه  
وغزا قلبي قُطَّاعِ الطيرِ  
وبكيسي لم يزل هذا التُّضازُ

همتُّ حيناً بذواتِ الحورِ  
وعلى الرَّاحِ صحبت الغانیه  
وأحاطت بيدي نازُ البُروقِ  
وبروحي لم يزل هذا العُقارُ

\*\*\*

وغزا روحي بالنقشِ الفري<sup>(١)</sup>

لبس الزُّنارَ عقلي الأزري

(١) الأزري المنسوب إلى آزر ناحت الأصنام ، وهذا العقل الوثني نقش في روحه نقشاً عجيباً .

وهو في رأسي مقيم لا يبين  
ومن الحكمة في الريب رهين<sup>(١)</sup>  
لم يُنزل لي شعاع من شفق  
صدف في قلبه دُرّ أضاء  
وتجلّى في فؤادي نغماً<sup>(٢)</sup>

في إसार الشكّ أمضيت سنين  
أحرفاً ما نلتُ من علم اليقين  
لم يُلح في ليل عمري نورٌ حقّ  
وفؤادي مُضمّرٌ هذا الرجاء  
ثمّ من عينيّ دمعاً سجماً

\*\*\*

اِذْنَنْ أذكر هذا الأمل  
كيف مثلي مثل هذا يأملُ؟  
منك لطفٌ يسرّ الجُراة لي  
كلُّ ما أبغيه موتي في الحجاز<sup>(٣)</sup>  
كيف لي عيشٌ ببيت الصنم؟  
أن يكون الدَيْرُ مشوى للرفات<sup>(٤)</sup>  
إن أقم في ذا الحمى من لَحدي  
حبّذا تربُّ تراه مسكناً!

يا مَنْ القلبُ سِواه أغفلا!  
سيرتي ما ضاء فيها العملُ  
أنا مِنْ إظهاره في خجلٍ  
يا رحيماً بك للناس مفاز  
هَجْرٌ غير الله شأنُ المسلم  
حسرةُ المسلم إن حُمّ الممات  
ويلٌ يومي ، وهنيئاً لغدي  
حبّذا أرضٌ تراها موطناً!

(١) الحكمة : الفلسفة .

(٢) هذا الأمل الذي كرر الشاعر ذكره وأطال في وصفه تحوّل دمعاً سجم في عينيه ، ونغماً رنّ في قلبه .

(٣) كَوَّر الشاعر هذا الرجاء في شبابه قبل وفاته بثلاثين سنة إلى أن توفي ، وروى الأستاذ يوسف جشتي شارح دواوينه الشعرية أنّ أحد أصحاب محمد إقبال دخل عليه في يناير سنة ١٩٣٨م ( أي : قبل وفاته بثلاثة أشهر ) وأخبره أنه عزم على الحجّ ، وسأله أن يدعو الله ليقبل حجّه ، فبكى إقبال بكاءً شديداً وقال : بل أسأل الله أن يسّر لي زيارة روضة الحبيب ﷺ .

(٤) يعني : أن بلاد الهند يسيطر عليها الإنكليز ، وليست بلاداً إسلامية خالصةً ، فهي ليست جديرة أن يعيش فيها المسلم ، أو يعبر فيها .



« دارُ حُبِّي ومليكي والسَّكن  
كوكبي أَطْلَعُهُ بالسَّعدِ غدا  
ليرى الراحةَ قلبي القَلْبُ  
أَيُّهَا الدَّهْرُ انظُرْ هذا السَّلام  
أَيُّهَا العُشَّاقُ ! ذَا نِعَمَ الوِطْنِ »<sup>(١)</sup>  
في ظلال الدَّارِ هبْ لي مرقدًا  
ويرى الهداةَ هذا الزَّبْتُ  
قد رأيتَ البدءَ فانظرْ ما الختامُ

\*\*\*

---

(١) هذا البيت أحسبه مقتبساً من جلال الدين الرومي . والسكن هنا : من يسكن إليه الإنسان ، ويطمئن .

الدِّيوانُ الثالثُ

رِسَالَةُ الشَّرْقِ  
پیام مشرق

نقله إلى العربية  
الدكتور عبد الوهاب عزام



طبع هذا الديوان أوّل مرّة باللغة الفارسية عام ١٩٢٣م ، وكتب الشّاعر فوق  
عنوان الديوان : ﴿ وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ [ البقرة : ١١٥ ] وكتب تحته : « جواب  
ديوان الشاعر جوته » .

وقدّم محمد إقبال هذا الديوان على أنّه شعر الفارسيّة الكامل ، لأنّه قدّم إلى  
القارئ اللغة الفارسية في مجموعة من الأشعار تحتوي على مختلف أقسام الشّعـر  
الفارسي من الغزل والرّباعي والبيتي والقطع والمثنوي وغيرها ، ويُصادفنا في  
الديوان الشّعـر الأخلاقي والحركات السياسية والاجتماعية لذلك الوقت .

والديوان روضةً من الشّعـر تختلف أزهارها ، ونوارها ، وضروب النبات  
فيها وألوان وصنوف الرّيحان فيها ، وروائحه جمعت أشتات الزهر من المشرق  
والمغرب .

\*\*\*

## محتوى الديوان

يشتمل هذا الديوان على هذه الأقسام :

القسم الأول : شقائق الطور ، وهي رباعيات .

القسم الثاني : الأفكار ، وهي إحدى وخمسون قطعة وقصيدة .

القسم الثالث : الخمر الباقية ، وهي قصائد صوفية ، رمزية من الضرب الذي يسمّى في اصطلاح الأدب الفارسي والأردوي غزلاً ، وهو غير الاصطلاح العربي ، وعدد الغزليات في هذا القسم خمس وأربعون .

القسم الرابع : نقش الفرنج ، وهي أربع وعشرون قطعة وقصيدة ، يذكر فيها الشاعر بعض شعراء أوربة وفلاسفتهم ، وينقد مذاهبهم وآراءهم ، فيقبل منها ويردّ .

القسم الخامس : الدقائق ، وهي قطع صغيرة ، وأبيات مفردة ألحقها الشاعر بهذا الديوان . وقد ترجم هذا الديوان بكامله إلى العربية شعراً الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام ، وهو يُقدّم إليك الآن مع مقدمة الشاعر .

\*\*\*

## مقدمة محمد إقبال<sup>(١)</sup>

### لديوان « رسالة الشرق »

نظمتُ بيام مشرق لأجيب به الديوان الغربي لفيلسوف الحياة الألماني جوته الذي يقول فيه الشاعر الألماني الإسرائيلي هاينا :

« هذه باقةٌ من العقائد يرسلها المغرب إلى المشرق ويتبين من هذا الديوان أنَّ المغرب ضاق بروحانيته الضعيفة الباردة فتطلع إلى الاقتباس من صدر المشرق » .

ما المؤثرات وما الأحوال التي كتب فيها جوته هذه المجموعة من الأشعار التي هي أحسن آثاره ، والتي سمّاها هو باسم « الديوان » .

لا بدَّ للإجابة عن هذا السؤال أن نبين إجمالاً هذا التأثير الذي سمي في تاريخ الأدب الألماني التأثير الشرقي . وددت أن أفصّل في هذه المقدمة الكلام في هذا التأثير ، ولكن المراجع الكثيرة التي يحتاج إليها في هذا البحث لم تيسر في الهند . وقد بين بال هورن مؤلف تاريخ آداب إيران في مقالٍ له مقدار ما كان جوته مديناً لشعراء الفرس . ولكن العدد المشتمل على هذا المقال من مجلة نارو أندسود لم يمكن الحصول عليه في خزانة كتب في الهند ، ولا من ألمانيا . فلا مناص من أن أعتمد في كتابة هذه المقدمة على ما أذكر من دراستي السابقة وعلى الرسالة المختصرة المفيدة البارعة التي كتبها في هذا الموضوع مستر « شارلس ريمي » .

كانت طبيعة جوته المتطلعة تميل منذ الحداثة نحو الأفكار الشرقية ، وفي

---

(١) كتبها محمد إقبال بالأردوية ، ونقلها إلى العربية خلال ترجمة هذا الديوان الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزّام .

استراسبورج حيث كان يتعلّم القانون لقي هردر ذا المكانة والصيت في الأدب الألماني . ويعترف جوته في سوانحه بما تركت صحبة هردر في نفسه .

لم يكن هردر يعرف الفارسيّة ، ولكن لغلبة النزعة الأخلاقية عليه كان لكتب سعدي أثر بليغ في نفسه حتّى ترجم بعض فصول كلستان إلى اللغة الألمانية . ولم يكن لحافظ الشيرازي هذه المكانة عنده ، وهو يقول داعياً معاصريه : قد غنينا كثيراً على أسلوب حافظ وقد وجب الآن أن نفتدي بسعدي . ولكن مع حب هردر الآداب الشرقية هذا الحبّ لا يُعرف في شعره أو مؤلفاته الأخرى أثرٌ من هذه الآداب . وكذلك كان شلر معاصر جوته الثاني بعيداً عن تأثير الشرقيين . وقد مات قبل ظهور التأثير الشرقي ، وينبغي ألا نغفل عن هذه المسألة : إنّ قصته « توران دخت » أخذت خطتها من قصة بنت سلطان الإقليم الرابع التي كتبها نظامي الكنجوي في « هفت بيكر » واستهلّها بقوله :

كفت كز جمله ولايت روس

بود شهري بنيكوئي چو عروس

\*\*\*

وسنة ١٨١٢ نشر فون همر ترجمةً كاملةً لديوان حافظ : وبهذه الترجمة ابتدأ التأثير الشرقي في آداب الألمان . وكان عمُر جوته إذ ذاك خمساً وستين سنة . وكان هذا على حين بلغ انحطاط الألمان غايته في كلّ ناحية . لم تكن طبيعة جوته مهيأة للمشاركة عملاً في الحركات السياسية في وطنه ، فلما ضاق بالاضطراب الشائع في أوروبا أخذت روحه القلقة المحلقة تلتمس عشاءً في فضاء الشرق الساكن الآمن .

وقد أثارت أناشيد حافظ هياجاً كبيراً في أفكاره ، فاختر آخر الأمر « للديوان الغربي » صورةً متميزة ثابتة ، ولكن ترجمة فون همر لم تكن مؤثرة في جوته فحسب ، بل كانت مأخذاً لخيبالاته العجيبة الغريبة ، فيبدو نظمه أحياناً كأنه ترجمةٌ حرّةٌ من شعر حافظ ، وأحياناً تجد قوةً تخيُّله في مصرعٍ

واحد مهيعاً جديداً تنير فيه مسائل في الحياة بالغة في الدقة والصعوبة .

يقول بيل شوسكي كاتب سوانح جوته المعروف :

كان جوته يرى صورته في نعلمات بلبل شيراز ، وكان يخطر له بين الحين والحين أنّ روحه لبست صورة حافظ ، فعاشت في بلاد الشرق . فنحن نجده شبيه حافظ في ذلك الشُرور الأرضي ، وتلك المحبة السّماوية ، وذلك اليسر ، وذلك العمق ، وذلك الغليان والتوقد ، وتلك السّعة في المذهب ، وهذا النور القلبي ، وذلك التحزُّر من الرسوم والقيود . بل في كلّ أمر حافظ ، لسان الغيب ، وترجمان الأسرار ، وكذلك جوته . ولحافظ عالم من المعاني في ألفاظٍ بسيطةٍ في ظاهرها ، وكذلك في طريقة جوته المطبوعة تتجلى الحقائق والأسرار ، وكلاهما نال إعجاب الأمير والصلعوك ، وكلاهما أثر في فاتحي عصره العظام « يعني حافظ في تيمور ، وجوته في نبوليون »<sup>(١)</sup> وكلاهما في عصر اضطرابٍ عامٍّ وخراب ، حافظ على السكون والطمأنينة في قلبه مبتهجاً بالمضيّ في ترنمه القديم .

ثم جوته مدينٌ في أفكاره لغير حافظ : للشيخ عطار ، وسعدي ، والفردوسي ، وللأدب الإسلاميّ عامّةً . فقد كتب في بعض المواضع غزلاً في قيود القافية والرديف ، وهو يستعمل في لغته استعاراتٍ فارسيّةً بغير تكلفٍ مثل : جوهر الأشعار ، وسهام الأهداب ، والطرّة المعقودة ، بل هو في فورة الفارسية لا يحترز من الإشارة إلى الولوع بالمرد . ثم أسماء أقسام الديوان فارسية كذلك مثل « مغنى نامه - ساقى نامه - عشق نامه - تيمور نامه - حكمت نامه ، وغيرها » ومع هذا كلّهُ فليس هو مقلداً أيّ شاعرٍ فارسيّ . فطرته الشعرية حرّةٌ ولا ريب . وإنما غناؤه في مروج الشقائق المشرقية عرضيٌّ محض . وهو لا يفرط في غريبته ، وإنما يقع بصره وحده على الحقائق الشرقية التي تلائم

(١) لا تصحّ رواية التقاء حافظ وتيمور فقد توفي الشاعر قبل أن يفتح تيمور شيراز .



فطرته الغربية . ولم يمل إلى التَّصوُّف العجمي قط . وكان يعلم أنَّ أشعار حافظ تفسر في المشرق تفسيراً صوفياً ، ولكنه لم يكلف إلا بالغزل محضاً ، ولم يهتم بالتفسير الصُّوفي في كلام حافظ أيَّ اهتمام .

وكانت معارف مولانا الرُّومي وحقائقه الفلسفية مبهمَةً عنده . لا يمكن أن ينكر الرومي رجلٌ مدح سبنوزا ( فيلسوف هولندي كان يقول بوحدة الوجود ) وأعمل قلمه في الدفاع عن برونو ( فيلسوف إيطالي وجودي ) «<sup>(١)</sup> .

والخلاصة أنَّ جوته في الديوان المغربي اجتهد في إظهار الروح العجمية في الأدب الألماني .

\*\*\*

وقد أكمل الأثر الشرقي الذي بدأ في ديوان جوته الشعراء الذين جاؤوا بعده : بلاتن ، وروكرت ، وبودن ستات .

فأمَّا بلاتن ؛ فقد تعلَّم الفارسيَّة لمقاصد أدبيَّةٍ ، ونظم غزلاً في القافية المردوفة ، بل في العروض الفارسي ، ونظم رباعيات ، ونظم قصيدةً في نبوليون . واستعمل الاستعارات الفارسية بغير تكلفٍ ، مثل جوته : عروس الورد ، والطرة المسكية ، وشقائق العذار . وهو مولع بالتغرُّل المحض كذلك .

وأما روكرت ؛ فكان ماهراً في الألسنة الثلاثة : العربية ، والفارسية ، والسنسكريتية . وكان لفلسفة الرومي مكانةً عظيمةً في رأيه . وتأثير مولى الروم فيما كتب من غزلٍ كان أوضح ، وكانت مصادره من الأشعار الشرقية أوسع بما عرف من لغات الشرق .

وقد التقط لآلء الحكمة من مخزن الأسرار لنظامي ، وبهارستان جامي ،

---

(١) يعني أنَّ الرومي كان من القائلين بوحدة الوجود ، فلو عرفه جوته لعني به ، كما عني بهذين الفيلسوفين .

وكليات أمير خسرو ، وكلستان سعدي ، ومناقب العارفين ، وعيار دانش ، ومنطق الطير ، وهفت قلزم ، بل زين كلامه بقصص وروايات إيرانية ترجع إلى ما قبل الإسلام . وقد أحسن نظم بعض واقعات التاريخ الإسلامي وأشخاصه مثل موت محمود الغزنوي ، وغزو محمود سومنات ، والسلطانة رضية<sup>(١)</sup> وموضوعات أخرى .

وأكثر شعراء الأسلوب الشرقي قبولاً بعد جوته : بودن ستات ؛ الذي نشر منظومات بالاسم المستعار « مرزا شفيح » وقد لقيت هذه المجموعة الصغيرة من القبول ما اقتضى طبعها مئة وأربعين مرة في مدّة قصيرة . أحسن هذا الشاعر تصوير الرّوح العجمية حتى بقي الناس في ألمانيا زمناً طويلاً يحسبون أشعار مرزا شفيح ترجمة شعر فارسي .

وقد استفاد بودن ستات من أمير معزي ، وأنوري كذلك .

ولم أرد أن أذكر في هذا الصدد هاينا معاصر جوته المشهور ، إذ لم يكن في الجملة ذا صلة بالتأثير الشرقي ، ولم يهتمّ بما اقتبس شعراء ألمانيا من الشعر الشرقي إلا ديوان جوته ، على أنّ الأثر العجمي بين في مجموعته المسماة « الأشعار الجديدة » وقد أجاد جداً في نظم قصة محمود ، والفردوسي ، ولكنّ قلب هذا الشاعر الألماني الحرّ لم يستطع الإفلات من شرك سحر العجم ، حتى لقد تصوّر نفسه مرّة شاعراً إيرانياً أجلي إلى ألمانيا يقول :

« يا فردوسي ! يا جامي ! يا سعدي ! إنّ أخاكم في سجن الغم يخفق حيناً إلى أزهار شيراز » .

ثم نذكر من مقلدي حافظ الأذنين منزلة ، دومر ، هرمن ستال لوشكي ، ستابك ، لتز ، لنت هولد ، وفون شاك . وهذا الأخير كان ذا منزلة عالية في العلم ، ونظمه قصة إنصاف محمود الغزنوي ، وقصة هاروت وماروت

(١) من دولة المماليك التي قامت في دهملي .

مشهور . وأوضح الآثار في كلامه : أثر عمر الخيام .

وبعد فلا بدّ من بحثٍ طويلٍ لكتابة تاريخ كامل لتأثير الشرق في الأدب الألماني ، والمقابلة بين شعراء إيران وألمانيا ، لتقدير أثر العجم تقديراً حقاً ، ولكن لم يتيسّر الوقت ، ولا العدّة لهذا البحث . ولعلّ هذا البحث المختصر يثير قلب أحد الشبان للتحقيق والتدقيق في هذا الشأن .

\*\*\*

وأما « پیام مشرق » الذي كتب بعد « الديوان الغربي » بمئة سنة فلست في حاجة إلى الإبانة عنه . فسيرى الناظرون فيه بأنفسهم أنّ أكثر ما يرمي إليه هو النظر في الحقائق الأخلاقية ، والدينية ، والمذهبية ؛ التي تتصل بالتربية الباطنية في الأفراد والأمم . ولا ريب أنّ بين ألمانيا قبل مئة سنة وأحوال الشرق الحاضرة تشابهاً ما ، ولكن الحقيقة أنّ الاضطراب الباطن في أمم العالم . . الذي لا نستطيع تقدير خطره لأننا متأثرون به - هو مقدمة انقلاب حضاري وروحاني عظيم جداً .

كانت الحرب العظمى التي قامت في أوربة قيامة كادت تمحو نظام العالم القديم من كل جوانبه . وأن الفطرة لتخلق اليوم في أعماق الحياة من رماد الحضارة والثقافة إنساناً جديداً وتخلق عالماً جديداً لإقامة هذا الإنسان . عالماً يرى هيكله غير البين في مؤلفات آين شتاين ، وبركسون .

لقد رأت أوربة بعينها النتائج المخوفة لمثلها الاقتصادية ، والأخلاقية ، والعلمية . وسمعت من سنيور نيتي « الذي كان رئيس وزراء إيطاليا » قصة « انحطاط الفرنج » المحزنة ، ولكن وأسفاه لم يستطع عبّاد القديم الذين سمعوا حقائقه أن يقدروا الانقلاب المدهش الذي كان يثور في الضمير الإنساني .

وإذا نظرنا نظرةً أدبيةً خالصةً نرى أنّ اضمحلال قوى الإنسان بعد الحرب لا ييسر نشوء مثلٍ روحيةٍ صحيحةٍ ناضجة . بل يخشى أن تغلب على طبائع

الناس هذه الإباحية المنهوكة الضعيفة الأعصاب التي تفرُّ من مصاعب الحياة ، والتي لا تميز بين نزعات القلب وأفكار العقل . لا شك أنَّ أمريكا عنصر صحيح في الحضارة الغربية ، فلعلَّ هذا الإقليم خالص من قيود الروايات القديمة ، ولعلَّ وجدانه الاجتماعي يقبل راضياً الأفكار والنزعات الجديدة .

\*\*\*

إنَّ الشُّرْق ، ولا سيما الشُّرْق الإسلامي ، يفتح عينيه بعد نوم القرون المتطاولة . ولكن يجب على أمم الشرق أن تتبيَّن أنَّ الحياة لا تستطيع أن تُبدَّل ما حولها حتى يكون تَبَدُّلٌ في أعماقها ، وأنَّ عالماً جديداً لا يستطيع أن يتخذ وجوده الخارجي حتى يوجد في ضمائر الناس قبلاً . هذا قانون الفطرة الثابت الذي بينه القرآن في كلماتٍ يسيرةٍ وبليغةٍ : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] إنه قانونٌ يجمع جانبي الحياة كليهما الفردي والاجتماعي . وقد اجتهدت في كتبي الفارسية أن أبين للناس صدقه ، وأنَّه لجدير بالإكبار كلُّ مسعى في العالم - ولا سيما في بلاد الشرق - يقصد إلى أن يرفع أنظار الأفراد والجماعات فوق الحدود الجغرافية ، فيولد أو يجدد فيها سيرةً إنسانيةً صحيحةً قوية .

\*\*\*

وأختم بالثناء على صديقي جودهري محمد حسين . ام . اي ، قد ربَّتْ مُسَوِّدَات « پیام مشرق » للطبع . ولولا احتماله هذه المشقة لكان عسى أن يتأخَّر نشرُ هذه المجموعة مدَّةً طويلة .

إقبال

\*\*\*



# القسم الأول

## شقائق الطور



- ١ -

شَهِيدٌ دَلَالَهُ حَفْلُ الوجودِ      وكلُّ الكائناتِ مِنَ الشُّجُودِ<sup>(١)</sup>  
ألم ترَ أَنَّ شمسَ الأفقِ لاحَتْ      بوجهِ الصُّبحِ من أثرِ الشُّجُودِ؟

- ٢ -

بقلبي من تحرُّقه ضياءً      ويجلو الثُّور في عيني البكاءِ  
فزاد من الحياة نوى غبيٍّ      يقول : العشقُ مسٌّ أو هُراءُ

- ٣ -

نسيمُ العِشْقِ في الجنَّاتِ جارٍ      ويُنمي العِشْقُ أزهارَ البراري  
ويخترقُ البحارَ له شعاعٌ      فيهدي العِشْقُ حيتانَ البحارِ

- ٤ -

رموزُ العِشْقِ في وِرقِ الشقائقِ      وغمُّ العِشْقِ في رُوحِ الخلائقِ  
وإن تَضدَعَ طباقَ الأرضِ تُبصرُ      نصيبَ العِشْقِ من دمِ كلِّ عاشِقِ

- ٥ -

وما كلُّ له في الحُبِّ كفلُ      وما كلُّ الوَرَى للحُبِّ أهلُ  
على وِرقِ الشِّقائقِ وِسمُ غمِّ      ويخلو من شرارِ القلبِ لَعْلُ<sup>(٢)</sup>

- ٦ -

بهذا المزجِ مثلَ الرِّيحِ<sup>(٣)</sup> أسري      علامٌ أهيمُ فيه ؟ لستُ أدري  
فإن أظفرُ وإن أخفقُ فإنِّي      شهيدُ تضرُّمِ الآمالِ عُمري

(١) جمع ساجد .

(٢) اللعل : أي العقيق .

(٣) الريح : الرائحة .



- ٧ -

يقول العندليبُ : أيا صحابي ! أغيرُ الغمِّ في هذا التراب ؟  
يَشِخُ الشوكُ في عَرْضِ الفيافي ويذوي الوردُ في عُمُرِ الشبابِ

- ٨ -

لَبْدَةٌ أو ختامٍ لَسْتُ أُسْرِي أنا سرُّ أحاولُ كَشْفَ سرِّ  
فإن بَدَتِ الحقيقةُ دون ستر رجعتُ إلى « لعلَّ » و « ليت شعري »

- ٩ -

أقلبي ! كالفرّاش هوى ، إلامه ؟ ولا تمضي مضاء فتى ، إلامه ؟  
بنارك فاحترق يوماً وأقدم بنارِ الأجنبيِّ صلي ، إلامه ؟<sup>(١)</sup>

- ١٠ -

أقمُ بدنأ على كفِّ الغبارِ<sup>(٢)</sup> شديدَ الأسرِ صُلباً كالحجار  
وقلباً فيه جيّاشاً بهمّ كنهري في حمى الأطوادِ جار

- ١١ -

أنجمَ الصُّبحِ تُسرِعُ في فراقٍ لعلّك من رُقادي ضقتَ ذرعا  
ضللتُ بغفلتي سُبلي ولكن أتيتَ وجرّتنا يقظانَ تسعى

- ١٢ -

وكم ذا في الوجود من الحُبور ! أرى اللذاتِ في شوقِ الظهورِ  
ويصدعُ عُصنه بُرعومُ زهرٍ فيسبمُ للحياةِ من الشُرورِ

- ١٣ -

تقول فراشةٌ من قبل خلقٍ أنلني لمحّةً قلسقِ الحياةِ  
رمادي فاذره سَحراً ولكن أذقني ليلةً حُرّقِ الحياةِ

(١) هذه الرباعية مردوفة . فيها الروي قبل الكلمة المكررة .

(٢) يكثر التعبير في الفارسية عن الإنسان بكف غبار « مشت خاك » .

- ١٤ -

بني الإسلام سرٌّ في ضميري      يُضيء كزُوح جبريلَ الرسولِ  
أخادع آزرِيَّ الطبع عنه<sup>(١)</sup>      فهذا السرُّ من سرِّ الخليل

- ١٥ -

أراك بسرِّ أفلاك تجولُ      وتجهلُ سرِّ نفسك يا جهولُ  
فوجّه - كالنواة - إليك عينا      ليثبت من قرارتك النخيلُ

- ١٦ -

تغنى طائرٌ سحرأً طويلاً      فأبدع شدوه نغماً وقيلاً :  
أين عمّا بصدرك لا تدغه      غناءً أو أنيناً أو عويلاً

- ١٧ -

أتبغي عند مثلي من شرابٍ      يرذُك من وجودك كالبعيد  
فلا تطلب بسوقي من متاعٍ      سوى صدرٍ تمزّق كالورود<sup>(٢)</sup>

- ١٨ -

تسوءك روضتي مرأى إذا لم      يسرُّك في طلابٍ بذلُ روح  
أبين في عُروق الوردِ سرّاً      ربيعي ليس من لونٍ وريح

- ١٩ -

أنا في الروض مُنفردٌ غريبٌ      على غضني أنوح مع الرياح  
فإن تك من رفاق القلب فابعد      فإنّ دمي ليرشح في نواحي

- ٢٠ -

أهاب إسكندرُ بالخضر : أقبل      وعان الكدّ في بحرٍ وبرز  
وموتن في الوغى تزدّد حياةً      لإلام تحيد عن كرٍّ وفرٍّ ؟

(١) آزرِي الطبع : الذي يشبه آزر والد إبراهيم ، وكان ينحت الأصنام ، وكان ولده الخليل يدعو إلى التوحيد .

(٢) جمع ورد . والورد في خياله يمزّق صدره ليتجلّى جماله .

- ٢١ -

له نقشٌ يُجدد كلَّ حينٍ      فلا تبقى الحياةُ على غرار  
فإن صوّرت يومك مثل أمسٍ      فما يحوي ترابك من شرار

- ٢٢ -

بهذا المَرَجِ ما علّقتُ قلبي      مضيتُ ولم تعوّقني القيودُ  
كريحِ الصُّبْحِ طفتُ به قليلاً      مضيتُ ونضرت منِّي الورودُ

- ٢٣ -

أجاش بقطرتي بحراً وردتُ      حُميَّاه ترابي جام جم<sup>(١)</sup>  
أقام العقلُ أصناماً برأسي      خليلُ العشق بادرها بهدم

- ٢٤ -

أتيت الطُور تلمسُ التجلّي      فروحك منك ليست في وصال  
فأقدم في طلابك آدمياً      كذاك الله في طلب الرجال

- ٢٥ -

لخوفِ الموت قلبك في ارتعادٍ      ولونك حال من خوفِ الشّتاتِ  
فنفسك أحكمن وازدد نضوجاً      فإن تفعل تعش بعد المماتِ

- ٢٦ -

دع الرازيّ في تفسير آي      فإن ضميرنا نعم الدليلُ  
يضمّر عقلنا والقلبُ يصلى      بذا نمروُد فسّر والخليلُ

- ٢٧ -

فأبلغ شاعر الألوان عني :      لهيبك كالشقائق لا يضيرُ  
فنفسك لا تُذيب بنارِ قلبٍ      ولا ليلاً لمحزونٍ تنيّرُ  
جميلُك أو قبيحُك لا أراه      جعلت عياره ربحاً وخسراً  
بهذا الحفل من مثلي وحيداً ؟      أرى الدُّنيا بعينٍ في أخرى

(١) كأس جمشيد أحد ملوك الأساطير الفارسية كان يرى فيها العالم .

- ٢٨ -

دع الشُّطَّانَ لا تركزنْ إليها  
عليك البحرَ صارع فيه موجاً  
ضعيفٌ عندها جرسُ الحياةِ  
حياةُ الخلدِ في نَصَبِ تُواتي

- ٢٩ -

أكثرُ لي حديثاً عن حياةٍ  
سَكَرْتُ بلذَّةِ التَّسيارِ حتَّى  
ولسْتُ أراكُ فيها بالحقيقِ؟  
جعلتُ منازلِي مِثْلَ الطَّرِيقِ<sup>(١)</sup>

- ٣٠ -

مَرَزْتُ بزهرِةِ ذبلتْ فقالتْ  
يذوبُ لِمَخْنَةِ النِّقاشِ قَلْبِي  
وَجُودِي مِثْلُ ما طارَ الشَّراؤُ  
فليسَ لِنقشِ ليقتهِ قرار

- ٣١ -

أرى الدُّنيا على سعةِ كحوتِ  
فقلِّبْك أبصرنْ واعجب لبحرِ  
من الأيامِ في بحرِ عميقِ  
منَ الأيامِ في كاسِ غريقِ

- ٣٢ -

أنا في المرحِ حديثُ الطيورِ  
فأسلِّمَ للضُّبِّا تُربي بموتي  
ومقولُ كلِّ بُرعومِ صَغيرِ  
فما لي غيرُ طوفٍ بالزُّهورِ

- ٣٣ -

أوادي الوردِ يُبدي كلَّ شيءِ  
بأعيننا الرُّبى أمواجُ لونِ  
فما سرُّ الشَّقائِقِ في لهيبِ؟  
فكيف تُرى بعينِ العندليبِ

- ٣٤ -

دماغِي يَعشقُ الأصنامَ كُفراً  
فأبصر في فؤادي نارَ عشقِ  
يربُّها ويعبد كلَّ حينِ  
بعيدٌ أنت مِن سنِّي ودينِي

---

(١) يعني : أن كلَّ منزل يبلغه يعدُّه علامة على الطريق لا غاية . والميل الحجر بين المسافة .

- ٣٥ -

عِوَالِمُ مِنْ نَجُومٍ لَا تُحَدُّ      يَطِيرُ الْفِكْرُ فِيهَا لَا يُرَدُّ  
وَلَكِنْ فِي خَفَايَا الْقَلْبِ يُلْفَى      لِمَا يَحْتَوِيهِ الْحَدُّ ، حَدُّ

- ٣٦ -

بِسَلْسَلَةِ الْقَضَاءِ رِبَطَتْ رِجْلًا      وَفِي سَعَةِ الْعِوَالِمِ ضُمَّتْ حَالًا  
فَقُمْ إِنْ كُنْتَ فِي رَيْبٍ وَحَاوِلْ      تَجِدُ لِلرَّجْلِ فِي الدُّنْيَا مَجَالًا

- ٣٧ -

بِضْرِبِكَ قَدْ عَلَتْ أَنْعَامُ رُوحِي      أَفِي رُوحِي وَخَارِجَهَا تَكُونُ ؟  
بِرَقِّكَ خَامِدٌ وَبِكَ اشْتَعَالِي      بَلَا كَيْفٍ فَكَيْفَ تُرَى بَدُونِي

- ٣٨ -

أَيَا قَلْبِي ! أَيَا قَلْبِي ! أَيَا قَلْبِي !      أَيَا فُلُكِي ! وَيَا بَرِّي وَبِحَرِي !  
قَطَرْتَ عَلَيَّ تُرَابِي كَالنَّدَى أَمْ      نَبَتْ بَتْرِبْتِي بُرْعُومَ زَهْرٍ ؟

- ٣٩ -

أَتَسْأَلُ مَنْ أَنَا مِنْ أَيْنَ جِئْتَ      حَبِيبْتُ بِمَا عَلَيَّ نَفْسِي طَوِيْتُ  
بِهَذَا الْبَحْرِ مِثْلَ الْمَوْجِ أُسْرِي      إِذَا لَمْ أَطُوفِ فِي نَفْسِي فَنَيْتُ

- ٤٠ -

عَلَيْكَ السَّيْرَ لَا تَرْغَبْ مَقِيلًا      وَسِرُّ كَالشَّمْسِ لَا تَرْقُبْ دَلِيلًا  
وَهَبْ لِلْآخِرِينَ مَتَاعَ عَقْلِي      وَنَارَ الْعِشْقِ فَاحْفَظْهَا بَدِيلًا

- ٤١ -

أَلَا يَا عَشْقُ ! يَا رَمَزَ الْفُؤَادِ !      وَيَا زَرْعِي النَّضِيرِ ! وَيَا حِصَادِي !  
تَقَادِمَ أَهْلُ هَذَا التُّرْبِ فَاخْرُجْ      بِأَدَمِ مُحَدَّثٍ مِنْ ذَا الرَّمَادِ

- ٤٢ -

يَرَى قَلْبُ الشُّجَاعِ اللَّيْثَ وَهَمًّا      وَفِي قَلْبِ الْجَبَانَ الطَّبِّيَ بَيْرُ  
فَإِنْ تَجِبُنْ رَأَيْتَ الْمَوْجَ وَحَشًّا      وَإِنْ تَشْجُعْ فَإِنَّ الْبَحْرَ بَرُّ

- ٤٣ -

أخمرأ خلتنني أم كأسَ خمرٍ      ودُرّاً خلتنني أم كيس دز  
أراني غير روعي وهي غيري      متى أنظر إلى مكنون سرّي

- ٤٤ -

تقول : بطيرنا عَلِقَتْ قيوذُ      وفي شَرِكِ الجسوم لها هموذُ  
ومعنى الرُّوح بالأجسام يعلو      مسنُّ سيوفنا هذي الغموذُ

- ٤٥ -

فكيف بقلبنا وُلِدَ الرَّجاءُ      وكيف سراجُ منزلنا يُضاء  
ومن في العين يبصر ؟ ما يراه ؟      وكيف حوىِ التُّهى طينٌ وماءُ

- ٤٦ -

لنا كون لأزميلٍ ونحتِ      يقبُّبه صباخُك والمساءُ  
مثالٌ من تُرابٍ لم يكمل      يسوِّيه بمبرده القضاءُ

- ٤٧ -

طريقُك فانحتنه في كفاحٍ      طريقُ سواك مسلُكُه عذابُ  
فإن أبدعت في عملٍ فريِّ      وإن يك مائماً فلك الثوابُ

- ٤٨ -

دليلُ القلب لا يرضى نزولاً      ولا يُرضيه ماؤك والثرابُ  
فلا تحسبه في جسدٍ مقيماً      فلا يرضى بشطُّ ذا العُبابُ

- ٤٩ -

تَخَذْتُ لخلوتي طيني ومائي      وبُوعَدَ بين أفلاطٍ وبينني  
فلم أستجد يوماً عينٍ غيري      ولم أر عالمي إلا بعيني

- ٥٠ -

ترى رمز الحياة بكل كمٍّ      مجازٌ فيه يا قلبي الحقيقه  
بُتربٍ مظلمٍ ينمو ولكن      له عينٌ إلى شمس الخليقه

- ٥١ -

يُضِيءُ عَلَى الْمَرْجِ وَكُلَّ سَهْبٍ      وَكَاسُ الْوَرْدِ فِيهِ نَوْرُ حُبِّ  
وَمَا تَغْشَى الْوَرَى ظِلْمَاتُ لَيْلٍ      فَحَرَقْتَهُ السُّرَاجَ لِكُلِّ قَلْبِ

- ٥٢ -

وَبِالْعَدَمِ اسْتَزَابَتْ ثُمَّ رَاغَتْ      فَحَلَّاتِ قَلْبِ آدَمَ لِلثَّوَاءِ

- ٥٣ -

بِقَلْبِي سِرُّ جُثْمَانٍ وَرُوحٍ      فَلَا فِزَعَ إِذَا أَجْلِي أَتَانِي  
فِيمَا غَابَ عَنِ عَيْنِي كَوْنٌ      فَبَاقِ الْفُ كَوْنٍ فِي جَنَانِي

- ٥٤ -

مِزَاجَ الزَّهْرِ أَعْرَفَ فِي يَقِينٍ      وَرِيحُ الْوَرْدِ فِي خَلَدِ الْغَصُونِ  
وَحَبِّبَنِي إِلَى الْأَطْيَارِ أَنِّي      عَرَفْتُ لَهَا مَقَامَاتِ اللَّحُونِ

- ٥٥ -

نِظَامُ الْكُونِ مِنْ شَعْرِ الرَّجَاءِ      لَهُ الْأَوْتَارُ مِنْ وَتْرِ الرَّجَاءِ  
بِعَيْنِي كُلُّ مَا يَمْضِي وَيَأْتِي      هُوَ اللَّمَحَاتُ مِنْ دَهْرِ الرَّجَاءِ

- ٥٦ -

يَهِيئُ الْقَلْبُ فِي أَثْرِ الرَّجَاءِ      وَصَدْرِي مِنْ ضَجِيجِ فِي عِنَاءِ  
فَلَا تَطْمَعُ جَلِيسِي ! فِي حَدِيثِي      فَلِنِّي مِنْ فُؤَادِي فِي نِدَاءِ

- ٥٧ -

أَرَى الْحُكَمَاءَ تَحْطُمُ كُلَّ شَكْلِ      وَمِنْ هَذَا الْوُجُودِ بِسُومِنَاتِ<sup>(١)</sup>  
يُرِيدُونَ الْمَلَائِكُ فِي طَلَابِ      وَمَا ظَفَرُوا بِآدَمَ فِي الْحَيَاةِ

- ٥٨ -

جَلَسْتُ مَعَ الطَّبِيعَةِ أَلْفَ عَامٍ      وَصَلْتُ بِهَا وَعَنْ نَفْسِي فُصِنْتُ  
قُصَارَى سِيرَتِي فِي ذَاكَ أَنْ قَدْ      نَحْتُ ، وَقَدْ عَبَدْتُ ، وَقَدْ حَطَّمْتُ

(١) معبد أصنام معروف في الهند .

- ٥٩ -

بنفسي جلوۀ الأفكار ، ما هذا ؟  
وحوالي محشر الأسرار ، ما هذا ؟  
أبن لي يا حكيم : يقيم جسمي  
وروحي دائم التسيار . ما هذا ؟

- ٦٠ -

بكيفك إن تُحِطُ خُبْرًا وَكَمَّكَ  
فيا قلبي لم استجداءً شمسٍ ؟  
يفضُ مِنْ قَطْرَةٍ لَكَ فَيَضُ يَمَّكَ  
من الأنفاس نوَّزَ لَيْلَ غَمِّكَ

- ٦١ -

أفق ما القلبُ بالأنفاس يَحْيَا  
أخا الأوهام لا ترهبُ حِمَامًا  
ولا هُوَ رهنٌ ما يبقى ويفنى  
فإن نَفْسٌ مَضَى فالقلبُ يَبْقَى

- ٦٢ -

إلى أهل التَّصَوُّفِ والصفاء  
أنا عبدُ الهَمَّةِ عبد نفس  
رجالُ الله أرباب الضياء :  
بنور النَّفْسِ للخلاق راء

- ٦٣ -

بُعْدَةٌ حاننا الغبرا غُبار  
حديثُ جهادنا مُضِنٌ طويل  
ودورةٌ كَأَسِنَا الفلكُ المُدار  
وَدُنْيَانَا لَقَصَّتْنَا اختصار

- ٦٤ -

وما عَلَّقْتُ بالأنعام قلبي  
وقد غَنَيْتُ في الأغصان حَتَّى  
وفي نَغَمِ الحياة أنا الخبيرُ  
تَصِيحُ الطَّيْرِ : من ذا ؟ يا زهورًا !

- ٦٥ -

أثرتُ بنغمتي كلَّ النوادي  
أضاء القلبُ من عقلي ولكن  
ومن شرِّ الحياة جَعَلْتُ زادي  
جَعَلْتُ عيار عقلي في فؤادي

- ٦٦ -

رددتُ العُجم فتیاناً بزُمري  
وكانوا هائمين بكلِّ وادٍ  
وراجَ متاعُهُمْ مِنْ بعد خُسري  
وقافلةٌ نَظَّمَتْهُمْ بشعري



- ٦٧ -

بروح العُجمِ مِنْ نَعْمِي شرار  
وعاليتُ الحداء لهم كعُزْفِي<sup>(١)</sup>  
قرعتُ لهم بأجراسي فساروا  
تباطأ محملاً ونأت ديارُ

- ٦٨ -

نفثتُ النَّارِ مِنْ رُوحِي نفثتُ  
وصيّر طينَه لهباً نُواحي  
وصدرَ الشَّرْقِ قلباً قد وَهبتُ  
كبرقِ فِي سجاياه نَقذتُ

- ٦٩ -

بأغصانِ الرَّجاءِ جنيثُ أكلاً  
أرامِيّ اخشَ للبتستانِ ربّاً  
وأفضى الدَّهرِ بالسرِّ المنيعِ  
فإنَّ معي رسالاتِ الرَّبيعِ

- ٧٠ -

بحارِ العُجمِ ليس لها قراؤُ  
ولكنْ لا أحبُّ ركوبَ بحرِ  
وفي أحشائها دُرٌّ كبارُ  
إذا لم يُخشَ في موجِ خطارُ

- ٧١ -

على دُنْيَاكَ تقضي بالهوانِ  
فأحكم يومَكَ المشهودَ واعلمْ  
وسترُّ للمغيَّبِ كلُّ آن  
بأنَّ غداً ضميرٌ في الزمانِ

- ٧٢ -

كهرتَ سيادةَ الإفرنجِ لكنْ  
ألفتَ عبادةَ السَّاداتِ حتَّى  
سجودُكَ للقبابِ وللقبورِ  
لتنحتُ سادةً لك من صخورِ

- ٧٣ -

إلامَ تعيش في رثِّ الإهابِ ؟  
فَطِرْ كالصَّقرِ معتزماً وحلَّقْ  
إلامَ تعيش نملاً في ترابِ ؟  
إلامَ أسيرُ حبِّ في اليَّابِ ؟

(١) إشارة إلى بيت عرفي الشيرازي :

نوارة تلخ ترمي زن جوذوق نغمه كما يابى

حدى راتيز ترمى خوان چون محمل راكران بينى

- ٧٤ -

اتخذ في الورد والأزهار عشاءً      ومن طيرِ دروساً في انتحاب  
وإن ينقص قواك الشيبُ فاؤخذُ      من الدنيا نصيباً من شباب

- ٧٥ -

أهابَ بمسمعي تُراب قبرٍ :      وتحت الأرض يُمكن أن يُعاشا  
له نفسٌ وليس لديه روح      دليلٌ في مُرادٍ سواه عاشا

- ٧٦ -

سماطي ليسَ فيه ما يروقُ      ولا في الكأس لألأثُ الرَّحيقُ  
غزالي يفتنني عُشب المَوامي      ولكن صدره مسكٌ فتيقُ

- ٧٧ -

قلوبُ المسلمين قبسن ناري      ودمعي من عيونهم هَتونُ  
برُوحِي مَخْشَرٌ قد غابَ عنهم      فلم تر ما رأيتُ لهم عيونُ

- ٧٨ -

أرى للعشقِ تصريفاً عجيباً      يقلّب كيف ما يهوى القلوبا  
رماك بأذمعٍ وسباكِ نفساً      وصيّرني إلى نفسي قريبا

- ٧٩ -

رأيتك لا تزالُ أسير طينِ      إلى تُركِ وأفغانِ تُردُّ  
أنا بشرٌ بلا لونٍ وريحِ      وللتورانِ أو للهندِ بعدُّ

- ٨٠ -

أثار الشَّعْرُ في جنبيّ نارا      وردَّ الثُّربَ في طُرقي سَرا  
حديثُ الحبِّ حاولَهُ لساني      فزاد السرَّ تيباني سِرا

- ٨١ -

تولّى بعدُ عن عقلِ الفنونِ      وأدمى قلبه عشقُ الشُّجونِ  
فلا تستفتِ إقبالاً لشيءٍ      فإنَّ حكيمنا رهنُ الجنونِ

\*\*\*



# القسم الثاني

## أفكار



## الوردة الأولى

لا أرى في المُرُوجِ لي من قريب  
أبتغي في الغدير صورة نفسي  
في سُطُوري رسالةً بيراع  
أمس قلبي ، وعبرةً اليوم عيني ،  
وأنا النَجْمُ خَلَفْتَهُ الثُّرَيَّا  
أنا أولى زهورِ هذا الرِّبيع  
لأرى وجهَ مؤنسٍ لي سميع  
خطَّ سطر الحياة في ترصيع  
وغدي مُنيتي وكلُّ بديع  
نَسَجَ الثُّرْبُ ثوبَ وردٍ عليَّا

\*\*\*

## دعاء

أيا مالئاً كاسي بحانةٍ فطرتي  
وصيِّزْ أنيني ثروة العشق واجعَلْنِي  
إذا متُّ فاجعَلني سِرَاجَ شَقِيقةٍ<sup>(١)</sup>  
أذْبُ طينَ كاسي من حرارة خمرتي  
ترايباً بسينائي تسعّر شُعلة  
وبالبيدِ أحرقني وزدْ نار وشمّتي

\*\*\*

## رائحةُ الورد

وحوراءَ في الخلد ضاقت فقالت :  
يحييُّرُ عقلي نهارٌ وليلٌ  
غَدَتْ رِيحَ وردٍ وذَرَّتْ بَغُضْنِ  
« جَهَلْنَا بما تحتنا مِنْ جهاتِ  
وما قيل عن مَوْلِدِ أو مماتِ  
فحلَّتْ بعالمِ ماضٍ وآتِ

(١) يعني : زهرة من الشقائق .

وَتَفْتَحَ عَيْنًا وَتَبَسَّامَ كَمَا      وبعد نماء هَوَتْ فِي شَتَاتِ  
لَهْذِي الطَّلِيقَةِ لَمْ تَبْقَ ذَكَرِي      سَوَى آهَةِ سَمَّتِ بِالشَّدَاةِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

### نشيد الوقت

قد أحاطَ الشَّمْسَ حِجْرِي      وحوى الأنجم صَدْرِي  
أنا لا شيء ولكن      فيكم رُوحِي تَسْرِي  
أنا في دُورٍ وقصرٍ      أنا في كوخٍ وقصرٍ  
أنا داءٌ ودواءٌ      وأنا عيشةٌ يُسْرِي  
أنا سيفُ الدَّورانِ<sup>(٢)</sup>      أنا عَيْنَ الحَيَوَانِ<sup>(٣)</sup>  
إنَّ جنكيـزَ وتيمـو      رَ قَلِيلٌ مِنْ غُبَارِي  
ثورةُ الإفرنجِ فيها      نَفَثَاتٌ مِنْ شَرَارِي  
إنَّما الإنسانُ والدُّنيا      نُقُوشِي وابتكارِي  
ودماءٌ مِنْ قلوبِ      فِي ربيعِي كالبهارِ  
أنا لَفْحُ النِّيْرَانِ      أنا رَوْضَ الرِّضْوَانِ  
أنا سَيَّارٌ مقيمٌ      إنَّ هَذَا الأَمْرَ إمْرُ  
إنَّ في خمرةٍ يومي      مِنْ غَدٍ يظهَرُ سِرُّ  
ألفُ كوينَ ، فانظُرْنها      فِي ضَمِيرِي تَسْتَسِرُّ  
ونجومٌ فِي حباك      وَقَبَابٌ فِي خُضْرُ  
أنا ثوبُ الإنسانِ      أنا سِرُّ الرِّحْمَنِ

(١) الشداة : الرائحة .

(٢) دوران الفلك .

(٣) ينبوع الحياة ، وعين الحياة في الأساطير شرب منها الخضر ، فلم يمِت .

سِرِّي التَّقْدِيرُ والتد	يسر من سحر فنونك
أنت مجنونٌ بليلى	أنا صحراء جنونك
أنا كالرُّوحِ بَرِّي	من خيالات ظنونك
أنت في جوفي سرُّ	وأنا سرُّ سُؤونك
أنا حاد أنت نُزْلُ	أنا حَقْلُ أنت حاصل
أنت فيَّاضٌ بلحين	أنت نار في المحافل
يا أسير الطَّينِ فُكَّر	أنت عن قلبك غافل
انظرنه ملء كأسِ	وهو بحرٌ دون ساحل
إنَّ موجاً فيك يعلو	منه يبدو طوفاني

\*\*\*

## الرَّبِيع

- ١ -

هلمَّ فإنَّ سحاب الربيع يخيِّم فوق الرُّبى والوهاد  
 وشذو العنادلِ في كلِّ وادٍ  
 ودُرَّاجِه والقطاء في تهادي  
 على حافة النَّهر جذلى شوادي  
 شقيقٌ ووردٌ ضحوكٌ يُنادي  
 فطرفك سرِّح بهذا المُراد

هلمَّ فإنَّ سحاب الربيع يخيِّم فوق الرُّبى والوهاد

- ٢ -

هلمَّ فملء الرُّبى والشُّهولِ قوافلُ أزهاره والوُرودِ  
 نسيمُ الرَّبِيعِ على كلِّ عودِ  
 وللطَّيرِ إبداعُها في النشيدِ



ومرّقتِ الجَيْبِ حُمْرُ الخدود<sup>(١)</sup>  
جنى الحُسْنُ ناشيء زهرٍ نَضِيدِ  
وللعِشْقِ إيداعٌ غمٍّ جَدِيدِ  
هلمَّ فملاء الرُّبَى والسهولِ قَوافِلُ أزهاره والورودِ

- ٣ -

صَفِيرُ البلابلِ ملءُ الجِواءِ وصوتُ الصَّلَاصِلِ ملءُ النَّسِيمِ<sup>(٢)</sup>  
دُمُ المِرجِ في جوفه كالحَمِيمِ  
فيا قاعداً صامتاً لا يَريمُ !  
دع الصمتَ واتركِ وقارَ الحليمِ  
وَحَمْرَ المعاني اشربنِ يا سقيمِ !  
تدثّر بورِدٍ وغنّ النديمِ  
صَفِيرُ البلابلِ ملءُ الجِواءِ وصوتُ الصَّلَاصِلِ ملءُ النَّسِيمِ

- ٤ -

دعِ الدُّورَ واطلبِ فسيحَ البراري وانظرِ إلى صفحاتِ الجمالِ  
على حافةِ الماءِ دونَ ملالِ  
تأمّلِ تَرَقُّقَ ماءِ زُلالِ  
وحدِّقِ إلى نَرجسِ ذي دَلالِ  
بُيَّاتُ نيسانِ ذاتِ اختيالِ  
وقبّلِ عيوناً لها كاللّالي

دعِ الدُّورَ واطلبِ فسيحَ البراري وانظرِ إلى صفحاتِ الجمالِ

- ٥ -

وعَيْنَ البصيرةِ فانظرِ بها أيا غافلاً عن عيانِ الخلقِ !

(١) شقائق النعمان .

(٢) الصلصل : الفاخنة ، أو طائر يشبهها ، والكلمة نفسها في شعر إقبال .

شقيقٌ بدا حَلَقاً في حَلَقِ  
بأعطافه لهبٌ قد عَلِقَ  
على كبدٍ فيه ذات حرق  
يلوح ندَى من دموعِ الفَلَقِ  
فحدِّقْ إلى أنجم في شفق<sup>(١)</sup>

وعينَ البصيرة فانظر بها أيا غافلاً عن عيان الخَلْقِ

- ٦ -

ثرى المرجِ صرَّح في هَيْجِه بما أضمرت مُهْجُ الكائناتِ  
فَناءُ الصفاتِ وكونُ الصفاتِ  
وما أبدتِ الذَّاتِ من جَلواتِ  
وما خِلَّتْهُ من معاني الحياةِ  
وما خِلَّتْهُ من معاني المماتِ  
فليس له هاهنا من ثباتِ  
ثرى المرجِ صرَّح في هَيْجِه بما أضمرت مهْجُ الكائناتِ

\*\*\*

### الحياةُ الخالدةُ

لا تظنَّ الخَمَّارَ وافي ختاماً  
يجمُلُ المرْحُ لا بثوبِ حياةِ  
من يُحطُّ بالحياة لم يرض قلباً  
مُحكماً كالجبالِ عش ، لا ضعيفاً  
كَمْ مِنَ الرَّاحِ في عُروقِ الكرومِ !  
مزَّقته التَّسِيمُ كالْبُرْعومِ  
لم تَخْزُه المنى بشوكِ أليمِ  
واهنَ النَّارِ طائشاً كالهشيمِ

\*\*\*

(١) يشبه الندى على الشقيق بالأنجم في الشفق .

## أفكار النجوم

سَمِعْتُ بكَوَكِبٍ لِأَخِيهِ يَشْكُو : لنا بحرٌ وليس يَلُوحُ ساحلُ  
خُلِقْنَا لِلْمَسِيرِ بِلا وَقُوفٍ فليس لركبنا أبدأً مَنازلُ

\*\*\*

فإنْ تمضِ النجوم كما نراها فما جدوى العناء؟ وما نُفِيدُ؟  
بأشراكِ الزَّمانِ لنا إساژٌ سعيدٌ منْ يُجانِبُه الوجود

\*\*\*

لَهذا العَبءُ محمِلُه شديداً فليتَ وجودنا عَدمٌ أيِّدُ  
كرهتُ القَبَّةَ الزرقاءَ أوجاً حضيضُ التُّرابِ خيرٌ لو نريدُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

فطوبى لأبي آدم في طعانٍ قد استولى على طرْفِ الزَّمانِ  
خَلِيقٌ بالحياة له قوامٌ يُجدِّدُ أو يُخلِّقُ كلَّ آن

\*\*\*

## الحياة

بكى في الظَّلامِ سحابُ الرِّبيعِ فقال : الحياة بكاءٌ مديدُ  
فقال له البرُّ في ومضه : هل الضَّحْكُ في لمحة؟ لا تزيدُ  
فمن أبلغَ الروضَ هذا الحديثَ فصَّارَ حوارَ النَّدَى والورودِ؟

\*\*\*

---

(١) لو كان لنا إرادة واختيار .

## محاورة العلم والعشق

العلم :

وفي قيدي ثوى ماضي وآت  
وما نظري وراء السَّابحات ؟  
وأسراري عرَّضتُ بكلِّ سوق

أنا سرُّ الكواكب والجهات  
وعيني حدَّقت فيما أمامي  
وكم نعمتُ في عُودي وبوقي  
العشق :

وملءُ الجوَّ سَمُّك والشرار  
ونوركُ مذ هَجرت حماي نارُ  
وصرَّتُ اليوم في قيد الرجيم  
ورُدَّ مَشَيْبَ دُنْيَانَا شَبَابَا  
أقم في الأرض فردوساً عجابا  
للحنِّ واحدٍ بـمِّ و زيزر

بسحركُ سُجَّرت هذي البحارُ  
وكنْتَ لي الصديق فكنْتَ نوراً  
وُلدتُ الأمس في حرم الرحيم  
هلمَّ فَرُدَّ روضاً ذا اليبابا  
هلمَّ بذرةٍ مِن نارِ قلبي  
كلانا الدَّهرَ حلُّ لا يجورُ

\*\*\*

## غناء النجوم

وسُكِّرنا انسجامنا  
لا يُرتجى مقامنا  
ننظر سائراتِ  
ومظهرَ البدود<sup>(١)</sup>

وجودنا نظامنا  
في دُورنا دوامنا  
في فلكِ مرامنا  
وجلوَّةِ الشهودِ

(١) جمع بد ، وهو الصنم ، معرب بت .

والمعذم والموجود	ومعرك الوجود
نظير سائرات	والغيب والمشهود
ونشأة الشجعان	وحلبة الطعان
وذلكة السلطان	وغير التيجان
نظير سائرات	ولعب الزمان
والعبد قد تولى	مضى زمان المولى
وقصرُ قد ذلاً	سكندرُ قد ولى
نظير سائرات	والوثنُ اضمحلاً
والدُّلَّ والكفاحا	والصمت والصياحا
وتارة أفراحا	والخنغ والطماحا
نظير سائرات	وتارة أتراحا
من كم وكيف في شغل	عقلك في عقيد وحل
مضطرب ومضمحل	مثل غزال قد عقبل
نظير سائرات	ونحن في العليا نحل

\*\*\*

وما الدجى ما التور؟	ما السرُّ ما الظهور؟
ما فطرة ضجور؟	ما القلب ما الشعور؟
نظير سائرات	ما الغيب والحضور؟
حولك عندنا لمم	كفرك عندنا أمم
قنعت بالظل انسجم	يا من بصدريه خضم
نظير سائرات	نحن بعالم نهم

\*\*\*

## نسيمُ الصُّبحِ

ومِن قلالِ الجبالِ	أجِيءُ مِن لَجِّ بَحْرِ
مِن أَيْنَ شُدَّتْ رِحالي	مُسَيَّراً لَسَلَّتْ أَدْرِي
بشَري ربيعِ الجمالِ	أزجِي لِطائِرِ غَمٍّ
نِثَارَ زَهْرٍ غَوَالِ	ونائِرأَ تَحْتِ عُشِّ
وبالشقيقِ اتصالي	بُخْضِ رَآءِ أترَدِي
لِوَنأَ وريحاً وصالي	حَتَّى يَهجَّ فِيهِ
تَلطَّفِي واحتِيالي	يَمسُّ أوراقِ وِردِ
مِن طوفِي المتوالي	فلا تَميلُ غصونُ
همومُ عَشقِ لِقَالِ	وَشَاعِرِ هَيَجَّتُهُ
بلحنه والمقالِ	مَزجَتُ أنفاسِ صَدْرِي

\*\*\*

## نصيحة صقَر لفرخه

لها قلبٌ ليثٌ وجسمٌ صغير	تعلَّم بنيَّ بأنَّ الصُّقورَ
عليَّ السجايَا أبيضاً غيورا	فكنْ مُخَكِّمَ الرأْيِ شهماً جسورا
ودعها إذا لم تُردْ أن تصيدا	بُغاثِ الطيورِ اهجرنِها بعيدا
تدسُّ مناقيرها في الرِّغامِ	فتلكَ الرِّعاديدُ نسلُ اللثامِ
إذا قلَّد الصيْد ما اعتاده <sup>(١)</sup>	أرى البازَ صيدا لما اصطاده
بصحبَةِ لِقَاطِ حَبِّ هوى	فكم باشقٍ قد أتاه النُّوى

(١) يعني : إن قلَّد الصقْرُ الطيور الضعيفة التي يصطادها في عاداتها كان هو صيدا لها مغلوباً على أمره .

جريئاً متيناً قوياً العضل  
 وكن مخلباً كالمُدَى أو أحد  
 وصبراً على محنة واجتهاد  
 « بريق الدماء يفوق العقيق »  
 توخذ كقومك منذ القدم  
 بالأ نقيم بظل وساق  
 فسيح الفياضي لنا والجبال  
 حباننا الإله عنان السماء  
 فأشرف منه حمام ريب  
 يحدُّ مخالبهنَّ الصخر  
 كأنك عنقاء جو متين  
 كفيل إنسان عين النمر  
 من الشهب فيك كريم العروق<sup>(٣)</sup>  
 وكل ما أصبت يساً ورطباً  
 وكن راشداً واستمع للرشد

ففسك فاحفظ وعش في جذل  
 ودغ للدراريح لين الجسد<sup>(١)</sup>  
 متاع الحياة ، تعلم ، جهاد  
 نقول لفرخ عقاب عتيق :  
 ولا تبغ سزباً كسزب الغنم  
 سمعت وصاة الصقور العتاق  
 فليس لنا في رياض مجال  
 ولقطك حباً بأرض خطاء  
 فأما خطي في الثراب النجيب<sup>(٢)</sup>  
 فإن بساط البزاة الحجر  
 نماك الأوابد زرق العيون  
 أصيل أبي يوم الخطر  
 جناحك من سطوات البروق  
 فطر في السموات لا تخش خطبا  
 ولا تقبلن طعمة من أحد

\*\*\*

## سوس الكتب ( الأرضة )

سمعت : بمكتبي ليلة يُنادي الفراشة سوس الكتاب

- 
- (١) دراريح : جمع دراج وهو طائر معروف .  
 (٢) يعني : الصقر ونحوه ، وكلمة النجيب في الأصل .  
 (٣) الشهب : أي البيض ، وفيها تورية بشهب السماء .

يقول مررتُ بكتبِ ابن سينا      ونقبتُ في كتبِ الفاريابي  
ولم أدرِ حكمة هذي الحياة      وما زلت من ظلمتي في حجابِ  
تُجيبُ الفراشةُ في حُرقةٍ :      أرى نكتةً لا تُرى في كتابِ  
رأيتُ الكفاحَ يُعدُّ الحياه      رأيت الكفاحَ يُمدُّ الحياه

\*\*\*

### الشَّيْقَةِ (١)

نارٌ بِصَدْرِ عَشْقٍ      فـ في أزلٍ أنيسُ  
شمساً أرى وفي كلِّ      ذرةً أثور  
شرازها من ناري      السماء تستعير  
حللتُ صَدْرَ مَرَجٍ      كنفِ سِ ادور  
وكالندي من تُربي      عُصْنُ بدا نضيرُ  
قال : قفي قليلاً      ولهبي يغورُ  
وما ثواء قلبِ      من أَلَمٍ يسيرُ؟  
ثوى بضيق عُصْنِ      في قلبٍ يفور  
حتى كُسيْتُ لوناً      وعبق العبير  
فراشةٌ في قلبِ      تطيرُ كلَّ ناحيه  
على اللهبِ رفرفتُ      حتى كأنَّه هيه  
أنا وأنتِ قاليه (٢)

أو كوكبٌ في صدره      مُستترُ الضياءِ

(١) واحدة الشقائق ، التي تسمى شقائق النعمان ، وهي في الشعر مثال لحرقة القلب .

انظر المقدمة .

(٢) يعني : تحبُّ الوحدة وتكره التعدد ؛ الذي يقال فيه : أنا وأنت .



وقد تدلّني هابطاً في الأرض لاجتلاء  
من فلـك السّماء

أو قمر مصغّر  
فمنّة الشمس على شعاعه حرام  
لـم يحـوه مـقام

يا لك من يراعة تصوّرت من نور  
مسيـرهـا سـليـد  
وسنّة الظهور

يا مشعلاً للطير في معتكـر الظلام  
ما حرقه أحستها فأنت في هيام؟  
حرارة الإقـدام

نحن - وقد نبتنا مثلك من تراب -  
نجهل في اضطراب نبصر في اضطراب  
نُخفق في الطّـلاب

أقول قول واع مجرب شفيق :  
لا تسعين لنزل وامض على الطّريق  
وارضَ بهذا التوفيق

\*\*\*

### الحقيقة

تقول لبطّة صحبت عُقاب :  
أجابتها محاورّة بحق  
أرى ما أدركت عيني سرايا  
ولكني أرى ماءً عُبابا  
هنا شيءٌ ويضطرب اضطرابا  
فقال الحوت في لُجّ عميق :

\*\*\*

حذاء

## نغمةُ حادي الحجاز

يا ناقتي الخطارة

وظييتي المعطارة

وعُدَّتِي والشَّاره

والمالُ والتجارة

يا دولتي السيارة!

حُثِّي الخطى قليلاً منزلنا قريبُ

مطربةُ الرُّغَاءِ

جميلةُ الرُّوَاءِ

محسودةُ الحسَنَاءِ

وعَيرةُ الحوراءِ

بُنيَّةُ الصَّحراءِ!

حُثِّي الخطى قليلاً منزلنا قريبُ

كم غُصتِ في السَّرَابِ

في وقدة الياب

وسرتِ لم تهابي

في اللَّيْلِ كالشُّهابِ

والنَّوْمِ عنك نائي

حُثِّي الخطى قليلاً منزلنا قريبُ

قطعةُ غيمِ غادي

سفينتُ الرُّوَادِ

كالخضرِ في البوادي

تمضين في سداد  
فلذة قلب الحادي !  
حُثِّي الخطى قليلاً منزلنا قريب  
هُيَامِكِ الزَّمَامِ  
وسَيْرِكِ الأَنْغَامِ  
يتعبُكِ المُقَامِ  
لا الجوع والأوام  
والسَّفَرِ المُدَامِ  
حُثِّي الخطى قليلاً منزلنا قريب

ممسيةً في اليمنِ  
مصباحةً في قَرَنِ  
ترينَ حُزْنَ الوَطَنِ  
كالخزِّ تحت الثَّنَنِ  
إيه غزالَ الحُتَنِ !  
حُثِّي الخطى قليلاً منزلنا قريب

بدر السماء نَعَسَا  
خلف التُّلالِ خَنَسَا  
والصُّبْحُ قد تنفَّسَا  
مزَّقَ هذا الغَلَسَا  
والريح تزجي نفسَا  
حُثِّي الخطى قليلاً منزلنا قريب

لحني دواء السَّقَمِ  
والروح ملء نَغَمِي  
يحدو الركاب كَلِمِي  
من جَارِحٍ وبلسم

هَلَمْ بِنْتَ الْحَرَمِ !  
حُثِّي الْخَطِيءَ قَلِيلاً مَنْزِلُنَا قَرِيبٌ

\*\*\*

### بين الله والإنسان

خَلَقْتُ الْأَنْبَامَ لَطِينٍ وَمَاءٍ  
خَلَقْتُ مِنَ الثُّرْبِ هَذَا الْحَدِيدَ  
وَفَأْساً خَلَقْتَ لَجَذَعٍ وَغُصْنٍ  
الإنسان :

خَلَقْتُ تَتَاراً وَزَنْجاً وَفُرساً  
وَسَهْماً خَلَقْتُ وَسَيْفاً وَتُرساً  
وَسَجْناً صَنَعْتَ لَطِيرٍ مَغْنًى

خَلَقْتَ الظَّلَامَ فَصُغْتُ السَّرَاجَ  
خَلَقْتَ جِبَالاً وَبِيداً وَمَرْجاً  
أَنَا مِنْ حِجَارٍ صَنَعْتُ مَرَايَا  
وَطِيناً خَلَقْتَ فَصُغْتُ الْكَوْسَا  
خَلَقْتُ حَدَائِقَهَا وَالغُرُوسَا  
أَنَا مِنْ سَمُومٍ صَنَعْتُ دَوَايَا

\*\*\*

### اليراعة

تَقُولُ يِرَاعَةً : لَا تَحْسَبْنِي  
وَلَا أَعْشُو إِلَى نِيرَانٍ غَيْرِي  
إِذَا حَلَّكَ الظَّلَامُ كَعَيْنِ ظَبِيٍّ  
كَنَمَلِ الشُّوءِ يَا لَمْنِي رَفِيقِي  
كَمَا يَهْفُو الْفَرَاشُ عَلَى الْحَرِيقِ  
أَنْرْتُ بِنُورِ أَضْلَاعِي طَرِيقِي

\*\*\*

### وَحْدَةٌ

قَدْ قَلْتُ لِلْبَحْرِ يَوْمًا فِي مَوْجِهِ الْمَتَعَالِي

فما تُكِنُّ بِيَالِ؟  
 من لامعات اللآلي  
 بجوهر القلبِ حالي؟  
 ولم يردَّ سؤالي  
 يا خالياً من عناء  
 من زفرة وبكاء  
 به عروق دماء  
 إنِّي حليفُ شقاء  
 ولم يردَّ سؤالي  
 أتيتُ بدر السَّماء  
 إلى متى في مضاء  
 من نورك اللآلاء  
 في حرقفة وعناء  
 فلم يردَّ سؤالي  
 من بعد طوف البرية :  
 من ذرة لسي نجية؟  
 وذو البرايا خلية  
 لست بشدوى حربه  
 ولم يردَّ سؤالي

أراك حلف طلاب  
 وكم - عويت بصدر  
 أفيك مثلي صدر  
 فصداً عنِّي بجزر  
 وقلت للطود يوماً :  
 أنال سمعك صوت  
 إن كنت تحوي عقيماً  
 فواسني بحديث  
 فصداً عنِّي صموتاً  
 جددتُ في السير حتى  
 فقلتُ : يا نضو سير  
 الأرض مخرج زهور  
 أخلف نورك قلب  
 رأى الكواكب ترنو  
 وقلتُ لله ربِّي  
 أما بدنياك هذي  
 أكل طيني قلب  
 طابت مروج ولكن  
 أجابني بابتسام

\*\*\*

### قطرة الندى

من فللك الدراري  
 للبحر ذي التيارات

قد قيل لي تدلي  
 واستحكمي وسيري

في الموج لا تحاري  
تحوّلي واختاري  
في الدُّرر الكبارِ

فما رضىيتُ بحرأً لُصُحبتِي بحالِ  
عفتُ احتسَاءَ رَاحِ تَسْلُبُنِي خِلالِي  
ما ضفتُ من خصالي  
وعشت في اعتزالِ  
قطرتُ كلالِي

الورد لي سؤول : ما خطبُ طير السَّحَرِ  
وما جهاتُ النَّظَرِ ؟  
وما وِزَاءَ البَصَرِ ؟  
ما الشُّوكِ حول الزَّهَرِ

ما نحن في اصطحاب ؟ من نحنُ يا ودودُ ؟  
ما طائري المغنِّي رجَّحه الأملود ؟  
ما يقصدُ الغرَّيد ؟  
وما الصِّبَا تُريد ؟  
ما العالَمُ العتيدُ ؟

فقلتُ : المُـرُوجُ حرُّ بُ الحِياةِ في الأفاقِ  
خَفَلٌ لَهُ نَظَامٌ مَنْ لَذَّةُ الفِراقِ  
الرُّوْحُ مَنْ إِشراقِ  
ونفسي أشواقِي  
سرٌّ مَنْ الخَلْاقِ

مِنْ فلكِ هُبُوطِي مِنْ طِينَةِ فتقتِ  
مِنْ لَذَّةِ التَّجَلُّي نموتُ إذ أشـرقـتِ

في الغُضنِ قَدْ خَفَقَتْ  
كَمْ حُجْبٍ مَزَقَتْ  
نفسك قَدْ حَقَّقَتْ

الدَّهْرُ فِي اخْضِرَارِ مَنْ دَمَعْنَا فِي السَّحْرِ  
وَذِي الْجَهَاتِ طَرًّا خِدَاعُنَا فِي النَّظَرِ

بالصَّدرِ سَرَبُ الرَّهْرِ<sup>(١)</sup>

مَنْ قَلْبِنَا كَالشَّرْرِ

وَنُورِنَا فِي الْبَصْرِ

فِي ثُوبٍ وَرِدِّ إِبْرُ مَنْ شَوْكَةِ تَصَوَّلِ  
شَوْكٌ ، أَجَلٌ ، وَلَكِنْ نَادَمَهُ الْجَمِيلِ  
مَنْ عَشَقَهُ نَحِيلٌ وَعَنْدَهُ الْخَلِيلُ

فِي رَوْضِهِ أَصِيلِ

الْقَائِبِ أَخْلِينَهُ مَنْ صُخْبَةِ الدَّهْرِ  
عَيْنِكَ فَافْتَحْنَهَا لِلْكَوْكَبِ الْمُنِيرِ  
وَصَحْبَةِ الْبَصِيرِ مِثْلِي هَلُمَّ طِيرِي

وَفِي الْفَلَكِ الْكَبِيرِ

\*\*\*

## العشق

فَكْرِي قَدْ أَجَدَّ كُلَّ سِيرِ  
عَدْتُ لِلطَّلَابِ فِي الْبَرَارِي  
وَطَافَ بَيْنَ حَرَمٍ وَدَيْرِ  
مَرْتَدِيًّا بِالنَّقَعِ كَالْإِعْصَارِ

(١) الرَّهْرِ : التُّجُومِ .

يحملُ رحلي للخيالِ كاهلُ  
 كالصُّبحِ من شباكهِ النَّسيمُ  
 حيران كالإعصارِ في الصَّحاري  
 وحلَّ كلَّ عُقدةٍ في لُبِّي  
 وصار ديري حَرماً وضَّاء  
 عرَّفني لَسَاذَةَ الحَريقِ  
 فُصِّلْتُ من نَفسي مثلَ العَكْسِ (٣)  
 بالسَّرِّ قَدْ أَفْشَيْتَهُ لِقَلْبِي  
 وفاضٌ قُبْحِي رونقاً وتَاهَا  
 لا أحملُ الملامَ في بِلَواه  
 خفقي وناري ودُموعُ الحَبِّ

بغيرِ خضرٍ أطلُّبُ المنازلَ (١)  
 تطلُّبُ راحاً كَأَسِي الحَطيِّمِ  
 منطويّاً كالْمَوْجِ في البحارِ  
 عشقُكَ فَاضٌ بَغْتَةً بقلبي  
 عرَّفني البُجُودَ والفَنَاءَ  
 على حَصيدِي مرّاً كالْبُرُوقِ (٢)  
 صُعبتُ تَوّاً وسُلبتُ حِسي  
 رَفَعْتُ لِلْعَرْشِ العَلِيِّ تُرْبِي  
 وبلَغتُ سَفِينَتِي مُرْسَاهَا  
 عندي حديثُ العِشْقِ لا سِوَاهُ  
 غنيتُ عَن وَمَضِ العُلُومِ حَسْبِي

\*\*\*

### حياتك فابغ في الخطر الجليل

فَقَالَ سَأَقْضُدُ البَلَدَ الحَرَامَا  
 فلا أَسْتَطِيعُ في أرضِ مُقَامَا  
 وأنفِي الغَمِّ عَن قَلْبِي المَعْنَى  
 حَيَاتِكَ فابغِ في الخَطَرِ الجَلِيلِ  
 وعشِ أمْضَى من السيفِ اليماني

غَزَالٌ بَتُّ شَكِوَاهُ غَزَالَا  
 أرى الصَّيَّادَ حولي كلَّ حينِ  
 أبَدَلُ خيفةَ الصَّيَّادِ أَمْنَا  
 أجابَ رَفِيقَهُ أن يا خَلِيلِي  
 ونَفْسِكَ فَاشحِذْني في كلِّ آنِ

(١) بغير دليل ، كما دل الخضر الإسكندر .

(٢) يكثر في الشعر الفارسي ذكر إحراق البرق البيدر ، ويكنى به الصوفية عن قطع العشق  
 علائق الإنسان بالدُّنيا .

(٣) العكس : الصورة . والكلمة نفسها في الأصل .



ففي الأخطار لِلْهَمَمِ اختِيارُ لأرواحٍ وأجسادٍ عِيارُ

\*\*\*

## الحياة

قد سألنا عن الحياة حَكِيماً      قال : خَمْرٌ يَطِيبُ فِيهَا الأَمْرُ  
قُلْتُ : بل دُودَةٌ نمت في تُرابِ      قال : لا ! بل سَمَنْدر لا يَقْرُ<sup>(١)</sup>  
قُلْتُ : والشر طبعها . قال : لا بل      خَيْرَها قد جَهِلتَ والجَهِلُ شُرُ  
قُلْتُ : ما شوقها يسير لُنزُلِ      قال : في الشوقِ منزل مستسُرُ  
قُلْتُ : في الطَّينِ خَلَقُها قال فانظُر :      شَقَّتِ الطَّينِ حَبَّةً فَهِيَ زَهْرُ

\*\*\*

## الحوار والشاعر

( معارضة لقصيدة الحوار والشاعر لجوته )

الحوار :

لا الخمرُ يوماً تَطَيَّبُكَ      ولا إلينا أنتَ ناظِرُ  
إِنِّي عَجِبْتُ لِشاعِرِ      بهوى الأُحبةِ غيرِ شاعِرِ  
مِنْ حُرِّ أنعامِ الرَّجاءِ      وحرقةِ الطَّلَبِ المُشابِرِ  
نَفْسٌ تَذِيبُ بلِوعَةٍ      وتغرُّلُ يشجُو المِزاهرِ  
وخلقتَ بالألحانِ دنيا      كَ العجيبَةِ خَلَقَ شاعِرِ  
تبدو لها إرْمُ كما      يبدو لِعَيْنِ فِعْلُ ساحِرِ

(١) السَّمندر : حيوان خرافي يعيش في النَّار .

الشاعر :

بالسُّخْرِ مِنْ وَخَزَاتِ قَائِلِ  
وَخَزَاتِ شَوْكِ فِي الْمَجَاهِلِ  
لَا تَرْتَضِي دَعَاةَ الْمَنَازِلِ  
تَهْفُو الصَّبَا حَوْلَ الْخَمَائِلِ  
رَائِعِ حَلْوِ الشَّمَائِلِ  
يَعْلُوهُ حَسَنًا فِي الْمَحَافِلِ  
إِلَى الشُّمُوسِ رَقِيَّ أَمَلِ  
أَعْوَجُ عَلَى الْمَرَاحِلِ  
الْكَاسِ تَسْرِي فِي الْمَفَاصِلِ  
وَرَبِيعِي الْآتِي أَعْزَلُ  
لَا يَنْتَهِي فِيهِ الْمُسَائِلُ  
قَلْبِي عَنِ الْأَمَالِ غَافِلُ  
بِدَارَةِ الْخُلْدِ الْمُوَاصِلُ  
أَلَمِ وَلَا وَاسٍ يَسَائِلُ

تَخْدَعَنْ قَلْبَ مَسَافِرِ  
مَا إِنْ تَحَاكِي لَدَّةَ  
مَاذَا أَقُولُ وَفَطْرَتِي  
قَلْبِي عَلَى قَلْقٍ كَمَا  
فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى جَمِيلِ  
حَفَقَ الْفَوْأُدُ إِلَى الَّذِي  
فَمَنْ الشَّرَارِ إِلَى النَّجُومِ  
إِنِّي لِيَهْلِكُنِي الْقَرَارُ فَمَا  
وَإِذَا شَرِبْتُ مِنْ الرَّبِّيعِ  
أَشَدُّو بِشَعْرِ آخِرِ  
طَلْبِي النَّهَائِيَّةُ فِي الَّذِي  
لَا صَابِرٌ نَظْرِي وَلَا  
تُودِي قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ  
لَا صَوْتُ مَحْزُونٍ وَلَا

\*\*\*

## الحياة والعمل

( جواب لنظم هاتنا<sup>(١)</sup> المسمي سؤالات )

يقول الساحل المسكين : دهرأ حيثُ ولم يبين لي ما أكون.. ؟

(١) هاتنا : شاعر ألماني .

فقال الموج في صخبٍ وسيرٍ : وجودي السَّيرُ والعَدَمُ السُّكون

\*\*\*

## الملكُ لله

طارقُ أحرق السَّفينَ فقالوا : ليسَ هذا من فعله برشيد  
غريباءُ ومن لنا برجوعِ      ذا خطارٍ في الشرعِ غيرُ سديد  
أمسك السَّيفَ طارقُ في ابتسامِ      قائلاً واثقاً بعزمِ شديد :  
مُلكننا اليومَ خالصاً كلُّ مُلكِ      إنَّه مُلكُ ربِّنا المعبود

\*\*\*

## النهر (١)

انظر النهر جارياً في هُيام      بين خُضر المروج مثل المجره  
كان في المهد في السَّحابِ نؤوماً      شاقه السَّير في مروجٍ وخضره  
يبعث اللحنَ جارياً فوق صخرِ      صافي اللُّون في بهاءٍ ونضره  
يقصد البحرَ ذا العبابُ طروبا      وعزوفاً عن كلِّ شيءٍ غريبا  
مَنَحْتُهُ يَدُ الرِّيبِيعِ طريقاً      من أقاحٍ ونرجسٍ وشقيقِ  
يضحك الوردُ إنْ تلبَّثَ لدينا      ويقول البرعوم : قف يا صديقي  
وهو قالِ عرائسَ المرجِ ماضٍ      في الرُّبى والوهادِ غير رفيقي

(١) ترجمة نظم جوته المسمَّى نغمة محمد مع تصرفٍ كبير . وفي هذا النظم الذي كتب قبل « ديوان الغرب » بكثير أحسن الشاعر في بيان تصوير الإسلام للحياة ، وقد أريد بهذا النظم أن يكون جزءاً من قصة إسلامية لم تكمل . وإنما أردنا بهذه الترجمة أن نبين عن رأي لجوته فحسب .

وعزوفاً عن كل شيء غريباً  
ومئات الأنهار في الحزن والسَّهْلِ  
قَدْ حَمَانَا الْمَسِيرَ قَلَّةُ مَاءِ  
أَفْسَحِ الصَّدْرِ لِلرِّيَّاحِ سَرِيعاً  
يَقْصِدُ الْبَحْرَ ذَا الْعُبَابِ طَرُوبَا  
هَدَرَ النَّهْرُ جَائِزاً كُلَّ سَدٍّ  
فَاضٍ سَيْلاً عَلَى رُبَى وَوَهَادٍ  
هَائِجاً زَاخِراً سَرِيعاً مَشُوقاً  
يَقْصِدُ الْبَحْرَ ذَا الْعُبَابِ طَرُوبَا

\*\*\*

### الجنة

وأين بجنة لعب اللآلئ  
ولا فيها ليوسف غم سجن  
وليس خليلها يصلى بنار  
وليس لصرصر فيها هبوب  
ولا ليقينها « هل » أو « عسى أن »  
وكيف يلد عقل ذو ضلال  
فلا تحفل بكون فيه نقص

\*\*\*

### العشق

العقل يُحرقُ عالمًا في جَلوة منه تُغيزُ

لكنَّه بالعِشْقِ يَعْرِفُ  
العِشْقُ فِي الأرواحِ يَخْلُقُ  
إنَّي لأذْكَرُ راقِصاً  
بالعِشْقِ تَرْتاحُ القلوبُ  
ما كلُّ معنَى يَنْطوي  
أنصتْ لقلْبِكَ ساءَةً  
كَيْفَ فِي الدنْيا يُنِيرُ  
كلُّ لَوْنٍ أو يثِيرُ  
ذا الحَرْفِ أو هو بي يَدورُ  
وإنَّه فِيها سعيْرُ  
فِي اللَّفْظِ ، كم معنَى يثورُ  
فلعلَّما يَدنو العَسيْرُ

\*\*\*

### لغزُ السِّيفِ

ما جاهدُ يُنبطُ ماءَ الحجرِ  
كنظيرِ العينِ صفيّ مشرقُ  
مصراعُه مكَّمَلٌ منفردُ  
لا يَهْتدي بالخضِرِ كالإسْكَندَرِ؟  
لا بلبلٍ وهو غريقُ نهرِ  
ليس عليه منَّةٌ للأشْطَرِ

\*\*\*

### الجمهورية

تريد معنَى العُلَى مِنْ ساقِطِي هم  
فاتبع حَكِيماً ودغْ جَمهورَهُمْ ، أتري  
وأين لِلنَّمْلِ إقْدامِ السُّلَيْماني<sup>(١)</sup>  
بألفِ رَأْسِ حَمارٍ عَقْلَ إنسانِ؟

\*\*\*

(١) نسبة إلى سليمان الحكيم ، وقصته مع النمل معروفة .

## إلى داعية الإسلام

### في بلاد الفرنج

الدَّهْرُ عَادَ بنارِ نمرود  
هَلَمَّ نُلِقَ الحِجَابَ عن حُرْقِ  
أَمَلتَ حُورَ الفرنجِ من حِكمِ  
فقل لأهل الحِجازِ عن سلمى  
على خراسانِ والعِراقِ فِعج  
كم انتظرنا لعِرافٍ ولكم  
جَعَلتَ عِشْقاً حَدِيثَ ذِي هَوسِ  
جَوهرُ الإسلامِ رَهْنُ تجديدِ  
كالشَّمسِ تَغشى الوِرى بتجريدِ<sup>(١)</sup>  
ورُعتِ أصنامَهُم بتوحيدِ  
وبِثَّ في التِركِ شوقَ معمودِ  
وردٌ للعُجمِ شوقَ تغريدِ<sup>(٢)</sup>  
شِجاءُ «جمالِ»<sup>(٣)</sup> بلحنِ مَفؤودِ  
نَنَزتَ دَرَّ الكِلامِ بالبيدِ

\*\*\*

### غنى الكشميري<sup>(٤)</sup>

غنى أخو الشَّعرِ ربُّ البِيانِ  
يَفْتَحُ أبوابه إن ندرِ  
فَقيلَ له : يا أنيسَ القلوبِ  
فماذا أجابَ الهِمامُ الفِقيِرُ ؟  
وبلبلُ كشميرَ ذاتِ الجنانِ  
ويغلقها جاهداً إن حضر<sup>(٥)</sup>  
عجبنا وفعلُك أمرٌ عَجيبُ  
فقيرَ بملكِ المعاني أميرُ :  
أفي الدارِ غيري متاعٌ يرادُ ؟  
أإخواننا ما رأيتُم سدادِ

(١) أي بظهورها دون حجاب وفي الأصل بالعري .

(٢) خراسان والعراق من ألحان الموسيقى أيضاً .

(٣) جمال الدين الأفعاني .

(٤) محمد طاهر الكشميري الشاعر المتوفى سنة ١٢٨٧هـ .

(٥) ندر : خرج وهي لغة الحجاز اليوم .

إذا كان في الدار ربُّ العرين      غنَّى ففيها متاعٌ ثمين  
وإنْ غاب عنها أنيسُ الورى      فلا دارَ أفرغَ منها تُرى

\*\*\*

إلى مصطفى كمال باشا<sup>(١)</sup>

حزيران (١٩٢٢ م)

أمة كانت ومن حكمتها      نحنُ أنارُ على مرِّ العصور  
قد عرفنا سرَّ تقديرِ مضي      فمضينا نقتفي سرَّ الدهور  
شراً كنا ، أجدنا نظراً      فإذا شمسٌ على الكونِ تسير  
شيخاً أطفأ في أحشائه      نارَ عشقٍ فخنعنا في فتور  
صرصر البيداء في فطرتنا      أذبلت ریح الصِّبا فينا الزُّهور<sup>(٢)</sup>  
وعلى الأفلاك دوى صوتنا      فاسمعنه اليوم في نوحِ الأسير  
رُبَّ صيدٍ قد أخذنا وثبةً      دون أشراكٍ كما انقضتِ صقور  
وغدونا يوقِعُ الصيدُ بنا      ولنا قوسٌ وسهمٌ في الجفير  
« كلُّما أمكن طرفٌ فاركضنْ »      كم أمات العزمَ تدبيرُ الأمور<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

## الطَّائِرَة

على غصنٍ وردٍ بوقت السَّحر      نغا طائرٌ لطيورٍ آخر :

- 
- (١) كان الشاعر معجباً بمصطفى كمال إعجابه بالعزم والإقدام ، فلما رآه يقلد الفرنج عابه وقال : إنَّ جديده قديمٌ أوربة .  
(٢) يعني خلقنا للجهاد فأضعفنا الترف .  
(٣) البيت الأخير للشاعر نظيري .

« لقد سُلِبَ الأَجْنَحُ الأَدَمِيَّ  
فقلت له : « يا أَمِيرَ الرِّيحِ  
بطائِرةٌ قد ركبنا الهَوَاءَ  
وأية طائِرة في الفلكِ  
لها عزمٌ صقِرٍ وأيدٌ عقابٍ  
تُدَوِّي وتزفر حين السُّفَارِ  
من الطَّيْنِ صار لنا جبرئيلُ  
وعى الطائِرة الأَلْمَعِيَّ الكلامِ  
فأهوى إلى ريشه ينقر  
فيا مَنْ يروؤك عقْدٌ وحلٌّ  
أصلحت في الأرض بعد عناءِ »

\*\*\*

### العِشْقُ

هو الحرفُ ضاءتُ عليه القلوب  
هلم أنبئكَ قولَ الخبيرِ  
وعاه النَّدَى خلسةً في السَّماءِ  
ويباح به الوردُ للعندليبِ  
وليس بسرٌّ وسرّاً يرى  
بمن قد رواه وعمَّن روى  
وأسمعه الوردَ قطرُ النَّدَى  
عن العندليبِ روته الصِّبَا<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) لاهور تقع في باكستان وهي إحدى كبريات مدنها ، وعاصمة ولاية بنجاب اليوم .  
(٢) فارياب ، تقع في تركستان .  
(٣) البيت الأخير للشيخ سعدي الشيرازي .  
(٤) أبيات تمثل تطور العشق من قطرة إلى غناء بلبل إلى خفق الرِّيح .





القسم الثالث

الخمر الباقية

( غزليات )



حبا الريبعُ زيانا  
 فاستيقظت أكمام  
 لا تحسبن أنْ خلقتنا  
 فما تزال خيالاً  
 لا تغتغرر بعلموم  
 إنَّ الفقيهه مُريببُ  
 ضمَّ الريبعُ شتية  
 وبسك ربحاً ولوناً  
 من يُحكمـن نظراتِ  
 لم يشدُ يوماً بغيب  
 قد قال في ألحان فاسد  
 في كلِّ دهرٍ خليلٌ  
 لا تلحينَ أهل دبيرِ  
 أقام أوثان حببُ  
 يضيع شدو حياةٍ  
 فالميت ليس بحيي

محافل التَّغريد  
 للبلبل الغرَّيد  
 في صبح دهرٍ مديد  
 حوى ضمير الوجود  
 الكأس خير شهيد  
 فلا تكن بمُرَّيد  
 ست الأوراد بالتنضيد  
 أنظارنا في الورد  
 لنفسه في شهود  
 كلاً ولا موجود  
 مع مقال شيخ رشيد :  
 والنار من نمرود<sup>(١)</sup>  
 فالعشقُ جدُّ عنيذ  
 في القلب من محمود<sup>(٢)</sup>  
 ينساب بين الهنود  
 بالنفخ من داود

\*\*\*

عقلنا ينحتُّ رباً كلَّ حين  
 ارفع البرقع جهراً لا تُبل

فهو من قيدٍ إلى قيدٍ رهين  
 ليس في حيكِ غيري ذو حنين

- (١) إشارة إلى قصة إبراهيم الخليل ونمرود الذي ألقاه في النار .  
 (٢) السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند الملقب بمحطم الأصنام .

نظراتي لك سترأ في العيون  
ليس في الحُبِّ سواها من يمين  
زاد باللَّوْعَة عهداً لا يمين  
لتزيد النَّار في هذا الأين  
هو في لحن سمرقند يبين  
فلاقبال إله كل حين

أنا من عيني غيورٌ ناسج  
بسمه خلس ودمعٌ ورنأ  
حبذا العشق ففي يوم النَّوى  
أيها الطائر من صدري اقبسُنْ  
عود تيمور مضى لا لحنه  
سادن الكعبة لا تأذن له

\*\*\*

من نور عيني شكاتي  
وأنت في الجلوات  
الحق من كلماتي (١)  
للنفس في نظرات (٢)  
نذوب من حرقات  
في الفجر من آهات  
من أين لي نغماتي؟  
من عالمي وجهاتي  
بالرَّوض في حسرات  
من أسهم اللحظات  
الكذخ سرُّ الحياة  
للأمن في طرقاتي  
وأدبروا في شتات

شكواي أمـرٌ عجيب  
فنظرتي لي حجاب  
أبلغ خلائق نور  
حذار كفف تراب  
في محفل من ربيع  
بالرَّيش منا شرار  
يا واهنَّ النَّفس تدري  
حوالك كونٌ بعيدٌ  
مثل الشَّقِيق تراني  
والقلب غرضة رمي  
في عرف أهل قلوب  
لكعبتي لم أسافر  
وكم قبيل أقاموا

(١) يعني بخلائق النور الملائكة .

(٢) كف التراب : الإنسان ، والنظر إلى النَّفس من فلسفة إقبال التي سماها « أسرار

خودي » .

الهلال في مشكاة<sup>(١)</sup>  
 ذا يقظةٍ وحصاة  
 تلبيك الفرصات<sup>(٢)</sup>  
 فتلك إحدى نكاتي  
 من ضائع الأتات  
 ما باخ من جمرات  
 لم تأتهم نفثاتي

في دارة ضياء فيها  
 فاخلاق بطينك خلقاً  
 مثلُ اتسام شرارٍ  
 إن لم تكن ذا فضولٍ  
 العشقُ أبعُدُ شأناً  
 في العجم أزكى نشيدي  
 والعرب من نارٍ شوقي

\*\*\*

عن محرم بي حقيق  
 وفيه لحنُ الصّديق<sup>(٣)</sup>  
 فيها كسترٍ صفيق  
 بمقلتي وبموقتي  
 لوجهك المرموق  
 بدمع عينٍ طليق  
 لعقدة ولضيق<sup>(٤)</sup>  
 أنمو بقلبٍ مشوق  
 يهاب سبيل العقيق<sup>(٥)</sup>  
 إلى الشطوط طريقي

في ذلك الحفل سؤلي  
 لذاك أزجى غنائي  
 في خلوة كلّ لفظٍ  
 يبتُّ قلبي حديثاً  
 من أجل نظرةٍ وجدي  
 مطهّر نظراتي  
 كالكمّ كلّ أموري  
 لكن الجلوة شمسٌ  
 كالموج ، ليس كياني  
 ولست في البحر أبغي

- (١) يعني الدنيا جعلها داراً صغيرة فيها القمر كسراج في مشكاة .  
 (٢) فرصات : جمع فرصة .  
 (٣) اللحن : الرمز في الكلام .  
 (٤) يتخيّل الشاعر أن كم الزّهر لانطباقه معقود .  
 (٥) العقيق : هو كل سيل كبير يشقُّ الأرض وواد بالمدينة .

ما بين عينٍ ورأيٍ  
مهما تباعد عني  
قد خطَّ في ستر عيني  
بشعـوذات أرائي  
في قَبَّةٍ قد أحاطت  
شوكٌ بجنب سماء  
لا أستريح بعُششٍ  
طوراً بشاطيءٍ نهرٍ

\*\*\*

بينني وبين صديقي<sup>(١)</sup>  
فكلُّ حينٍ رفيقي  
نقوشُ كـونٍ أنيق<sup>(٢)</sup>  
في قيد سحرٍ وثيق  
لا أرتضي بالضيـق  
لا بدَّ لي من مُروق  
من لذة التحليـق  
طوراً بروضٍ شقيق

المغني الصبيح في الحانٍ  
وتحيي دم الربيع شقيق  
نغمةٌ تفتح العيون لمعنى  
فتأمل بعين عشقٍ وأبصر  
فيعون العقول تُظهِرُ فيها  
وعن عشقٍ خُذْ دروسَ جهادٍ  
إنما العشق جوهراً لشعورٍ  
ولنا غاية من الشمس أعلى  
إيه يا قطرةً عن النفسِ تاهتُ

ورياضُ الربيع ألواحٌ ماني<sup>(٣)</sup>  
أيُّ ظمأٍ به إلى الألوان؟  
ضاق عنه طرائق التبيان  
منه آياً تُضيءُ دون بيان  
هذه الكائناتُ سحرَ العيان  
وافعلن ما تشاء في كلِّ آن  
وهو روحُ الإدراك والعرفان  
إنها الشمسُ صُورةُ الرُّكبان<sup>(٤)</sup>  
تطلبين المحالَ في الأكوان

(١) الرأي : رأي العين .

(٢) في هذا إشارة إلى الصور التي تسمى خيال الظل ، فالستر يظهر عليه الخيال لا الحقيقة ، فهو يقول : إنَّ هذا العالم نقوش في ستر العين تخدع عن الحقائق .

(٣) ماني : صاحب مذهب المانوية كان ماهراً في التصوير ، وترك ألواحاً مصورة في كتاب عرف باسم « أرزنك » ضرب به المثل .

(٤) الصُورة : أحجار تجعل علامة على الطريق .

إِنَّ عَاراً مَعِيشَةَ الْبَحْرِ إِنْ لَمْ تَطَّلِعِي مِنْهُ دَرَّةً ذَاتَ شَانِ  
يَا جَهُولاً بِقَدْرِ نَفْسِكَ لَوْلَا أَنْتَ كَانَ الْعَتِيقُ كَالصَّوَانِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

قَدْ هَدَمْتُ الْأَصْنَامَ لَمْ أَرْضَ شِكْلاً  
وَمِنَ الْعِشْقِ قَدْ رَأَيْتُ كِيَانِي  
وَبِدَيْرِ ضِرَاعَتِي وَهُوَ أَنِّي  
وَمِنَ الذِّكْرِ سُبْحَتِي بِيَمِينِي  
مَنْبَعُ الْحُزْنِ فِيكَ غَيْرَ نَضُوبِ  
رَاقِ قَوْلِي ، وَسِيرَتِي لَجَنُونِ :

أَنَا سَيْلٌ هَدَمْتُ كُلَّ سُدُودِي  
كَانَ عَقْلِي يُرِينِي وَجُودِي  
وَصَلَاتِي بِكَعْبَةِ التَّوْحِيدِ  
فَاعْجَبْنِي مِنْ زَنْأَرِي الْمَعْقُودِ  
دَمْعُ قَلْبِي حَبْسُهُ عَنِ خُدُودِي  
خَمْرُ شَوْقِي لِسُكْرَتِي وَشُهُودِي

\*\*\*

طُوبَى لِمَحْرَقِ عَقْلِي  
مَنْ يَعْتَنِي بِمَتَاعِ  
أَوْحَى الرَّيْبُ إِلَى الزَّأْرِ  
فَاغْرَسَ بِالْكَأْسِ الْحَمِيمَا  
قَلْبِي رِثَى لَفْقِيهِ  
مَا اتَّبَعَهُ شَيْخُ خَانَ  
اللَّحْنُ لَا تَقْدَرُونَهُ  
فَبِرْقَةُ اللَّحْنِ تَغْشَى  
لِرَوْضِ « وَيْمَر » تَهْدِي  
فَذِي الدِّيَارِ أَضَاءَتْ

بِنَارِ رَاحِ عَتِيقِ  
مَنْ نَارَهُ كَالشَّقِيقِ  
هَدِيدِنِ يَبِيعُ الدَّلُوقِ<sup>(٢)</sup>  
بِسْتَانَ وَجْهِ أُنَيْقِ  
مَجَاوِرِ بِالْعَتِيقِ  
فَتَوَى بِكَأْسِ رَحِيقِ  
عَلَى غَنَائِي الرِّقِيقِ  
إِسْكَندَرَا بِحَرِيقِ  
الصَّبَا سَلَامِ مَشُوقِ<sup>(٣)</sup>  
لِعَيْنِ ذِي تَحْقِيقِ

\*\*\*

- (١) يعني أن الإنسان جهل قدر نفسه وقدّر أشياء ليس لها قيمة إلا بتقديره .  
(٢) الدلوق : جمع دلق ، وهو لباس بالمرقع يلبسه الزهاد والشحاذون .  
(٣) ويمر : مدينة في ألمانيا ، أقام فيها الشاعر غوته كثيراً ومات ودفن فيها .



والهموم في الفلق  
والقريض من حرق  
من تضرّم العشق  
ذاك خسرف في مذق<sup>(١)</sup>  
عن ترابي القلق :  
ذا التراب ذو فلق  
وتزيد في حرق  
بالقلوب ذي علق  
فندبت في فرق  
أو هلاك في الحلق<sup>(٢)</sup>  
نظم مرشدي اللبق  
التبريزي بالحرق

نوح ليلي القلق  
والأين من شرر  
أين حرص مجتهد  
ذاك فأس فرهاد  
قل لساكني حجب  
ذا الغبار ذو نظر  
مطربتي تسكرني  
نغمات مستحضر  
من حذاره أرض سمر  
من هجوم جنكيز  
هات مطربي غزلاً  
لأفور من لهب

\*\*\*

ذلك البدر التمام  
وبعيني اقتحام  
ليس يغشاه ظلام  
ليس يخبو والهيام  
وغدي في زمام  
ليس يحويني مقام

مئيتي أن يتجلى  
فيدي تملك صدري  
ويقول الحسن : صبحي  
فيقول العشق : وجدي  
ليس من يومي وأمسي  
ليس لي نجد وغور

(١) فرهاد : المهندس ، وخسرو برويز : ملك الفرس ، وكان وعد فرهاد أن يهب له معشوقته « شيرين » إذا شق طريقاً في الجبل ، ففعل ولم يظفر بأمنيته ، فضرب فرهاد مثلاً في العشق الخائب .

(٢) أشار الشاعر أكثر من مرة إلى سمرقند وجنكيز كأنه يُشير إلى ما أصاب المسلمين من هذه النواحي .

وكؤوساً لا ترام  
 دائر عندي جام<sup>(١)</sup>  
 لا يرى فيه انسجام  
 عن حبيبي لي كلام  
 لي في اللحن مقام<sup>(٢)</sup>  
 لي بالغمد كعام<sup>(٣)</sup>

خمرة الأسرار أبغي  
 وبحانات مجوس  
 لا تقل: مالي ولحناً  
 فأناطائر غيب  
 أرفع الستر وأشدو  
 أنا صمصام دماء

\*\*\*

من ظمئنا في الطّلاب  
 تعلّاه الهَيّاب<sup>(٤)</sup>  
 وأين أزجي ركابي؟  
 ونظرتني في حجاب  
 واخفض نواح الرّباب<sup>(٥)</sup>  
 تنسوح تحت نقاب  
 قوافلي بسلاب  
 فلا تفه بعناب  
 لا تبغ وزن خطابي

غُضُنُ الحِياة نديّ  
 عين الحِياة أراها  
 فَمَنْ أبثُّ حديثي  
 ولا تؤثّر آهي  
 فزَمِزِمَنْ في غناء  
 فلا تزال طيور  
 أهل الحجاز تولوا  
 حيينا عربيّ  
 وزن عجم وهند

(١) المجوس في الشعر الفارسي كالنصارى في الشعر العربي ، يذكر الشعراء خمرهم وحناتهم .

(٢) من مقامات الموسيقى .

(٣) الكعام : هو الكمام للجمل ، الذي يخشى صياله - وبالفتح جمع كعم ، وهو وعاء السّلاح - .

(٤) عين الحياة في الأساطير : عين من شرب منها لا يموت ، وقد شرب منها الخضر ، والشاعر يقول : « إن الحياة هي عطشنا في الكفاح لا ورود عين الحياة » .

(٥) الزمزمة : كلام خفي .

فأصل هذي اللآلي      بالليل دمع انتحابي  
هلمَّ فالرَّاحُ عندي      من دُنَّ عالي الجناب<sup>(١)</sup>  
وخمرة القبول أصبى      من خمرة الأعناب

\*\*\*

من كرى الموت لا تفيقُ عيونُ      دون نور تفيضُه من سناكا  
إنَّ من دونك الوجودُ محال      ومحالٌ فناؤنا في جماكا  
قد حوى الكون قلبنا وهو فيه      عقدةٌ لا تحلُّ فاكظم فاكا  
نغماتي الضعاف أحرقتن صحبي      حرقتي نغمةً أبت أن تحاكا<sup>(٢)</sup>  
إن تضرن الصبا بطلً فدعها      نار قلب الشقيق تأبى فكاكا<sup>(٣)</sup>  
فإلى الحق وجّه القلب واصبر      لا تؤمل بغيره إدراكا  
سُدَّة الوثنِ هذه وعليها<sup>(٤)</sup>      جهات الأباة تأبى حكاكا

\*\*\*

### كتب إلى أحد الصُّوفية<sup>(٥)</sup>

لهيب الوجد من أسماء لا عندي ولا عندك  
وحرُّ القلب في البداء ، لا عندي ولا عندك

- 
- (١) جلال الدين الرومي .  
(٢) أبت أن تنسج ، يعني : لا يستطيع إظهارها .  
(٣) يتخيَّل الشاعر أنَّ الطلَّ يخفف من حرقة الشقائق الملتهبة ، يقول لا نبالي إن لم يسقط  
الطل فهذه النار لا تفارقنا بأية حال .  
(٤) الوثن : جمع وثن .  
(٥) في هذه الأبيات مثالان من الشعر الفارسي ، الأول أن وزن الهزج فيه مفاعيلن ثماني  
مرات وهو في العربية لا يزيد على أربع ، والثاني القافية المردوفة والردف هنا  
« لا عندي ولا عندك » والروي الهمزة الممدودة قبلها .

وشيخ أنت في حان وإني ناشئ ساق  
 عطاش نطلب الصهباء لا عندي ولا عندك  
 رهنأ قلبنا والديين حبُّ الغيد من عجم  
 ونارُ الشوق من ظمياء ، لا عندي ولا عندك  
 حطام كان أصدافاً على شطِّ لقطناها  
 فقدنا الدُّرَّة البيضاء ، لا عندي ولا عندك  
 وبلوى يوسف المفقود من يطيع ذكراها  
 وخفق القلب في زلخاء<sup>(١)</sup> ، لا عندي ولا عندك  
 كفانا الثُّورُ في المصباح قد أخفته أستارُ  
 فطوق الثُّور في سيناء ، لا عندي ولا عندك<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

قلْبُنَا كَوْنٌ وَلَكِن	مَا بِهِ دُورَ الْقَمَرِ
دُورَانٌ لِيَسَّ فِيهِ	مَنْ عَشِيٍّ أَوْ بُكْرِ
وَيَل رَكْبٍ قَدْ أَسْفَ	الْعِزْمُ فِيهِ وَضَمْرِ
فَهُوَ يَرْتَاد طَرِيقاً	لَيْسَ فِيهَا مِنْ خَطَرِ
فَدَعِ الْعَقْلَ وَمَوْجِ	الْعَشَقِ صَارِعَ لَا تَقْرِ
فَبِذَلِكَ النَّهْرِ ضَيْقِ	لَيْسَ فِيهِ مِنْ دُرِّ
كُلُّ مَا يَجْرِي خِيَالُكَ	أَوْ خِيَالِي فِي الْأَثَرِ
هُوَ فِي الْعَيْنِ وَلَكِن	مُسْتَسْرٌّ كَالنَّظَرِ

\*\*\*

غير مجدٍ بكاؤنا      ويلتنا! ضاعَ ذا النغم

(١) زلخاء : زليخاء عاشقة يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام .

(٢) الطوق : الطاقة .

نوح قلبٍ ممزقٍ  
خفق القلب ساعياً  
هو فينا محذوقٌ  
نبذ الستر أهله  
غيرة العشق فانظرن !  
مطربُ ألحان في الدُّجى  
ذوق راحٍ محرم  
هي مسير حياتنا  
ليس للموج منزل  
أشعل النار في هشيبي  
« منزل الكبرياء لي »

حاصلُ الغمِّ والألم  
يخلق الدَّيْر والحرم  
نحن فيه على قدم  
لُذت بالنفس في حرم<sup>(١)</sup>  
أينما شوقه احتدم ؟  
قد شدا معجب الحكم  
شربُ راحٍ لنا أمم  
ما سوى السير يُغتنم  
أو طريقٌ إذا التطم  
من قال في القدم :  
مرشد الرُّوم<sup>(٢)</sup> ذا العلم

\*\*\*

أبدٍ من طينك ناراً تُضمّر  
ملكِ جمٍّ « لنظيري »<sup>(٣)</sup> مصرع :  
ساحر العقل يعبِّي جنده  
بمقامٍ ولحونٍ لم تُحط  
نظري في النَّفس أحكمتُ فلم  
فتجلى الحبُّ في كل الدُّنى

لا تحلَّ بعد هذا يُقدّر  
« ليس من قومي من لا يُنحر »  
لا تُسرع للعشق جند ينصر  
عود سلمى كلُّ حينٍ يَقطر  
يتوجَّه لسواها النظرُ  
وأنا في شُغلي لا أنظر

(١) أهل السر الذين في عالم الغيب والشاعر على مذهبه في الذاتية ، يقول : إنه لم يُبال بالنظر إلى عالم الغيب بل نظر إلى نفسه ، وإنَّ عشقه الغيور لم يتجه إلى غيره بل غيره نظر إليه .

(٢) مرشد الرُّوم ، يراد به جلال الدين الرُّومي .

(٣) نظيري النيسابوري ، أحد الشعراء الفارسيين الكبار ، هو وجمشيد أحد ملوك الأساطير الفارسية .

ما جنونُ العشق في البيداء سدَى  
وبصيد الوحش في البحر اهتفنُ  
ملء عيني دليل ما مضى  
اصبحنُ شرباً خليعاً واخذرنُ  
غاية الإفصاح لمخ وكنى  
في قرى الحسن تعالوا نجأر<sup>(١)</sup>  
لا تقل : زورقنا لا يُبحر  
في طريقٍ ليس فيها خطر  
عهد شيخٍ ليس فيه ذأر<sup>(٢)</sup>  
فلغى الخلوّة رمز يُعبر<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

تضيّقُ بدار أصنام  
ولكن نحو مشتاقٍ  
فاقدم واتخذ مغنا  
وكيف وأنت ربُّ الدَا  
تغير على ذوي التسييح  
وتطرق أهل زنّار  
وذو جحفل لجب  
وطوراً في جماعات  
وتأتي باللهيب إلى  
وتأتي كالفراش إلى  
فيا إقبال خذ كأساً  
ولا ترضى بمحراب  
تسيرُ بشوقٍ أصحاب  
كف في أرواحٍ أجباب  
ر تدخل خطو مرتاب ؟  
تحمل كل أسلاب  
بليلى فعل نهاب  
لسفك دماء أصحاب  
بكاساتٍ وأكواب  
كليم غير هيّاب<sup>(٤)</sup>  
يتيم شمعُه كابي<sup>(٥)</sup>  
بخمر « الدّات » لهّاب

- (١) لعل الشاعر يُشير إلى مجنون ليلي وهيامه في البيد ، ويعني أن هذا الهيام في فضاء الطبيعة لا بد أن ينتهي إلى صلاح الجماعات في القرى .  
(٢) الذأر : الشرة وحدة الخلق .  
(٣) يعبر : كتعبير الرؤيا .  
(٤) إشارة إلى النَّار التي لاحت لموسى عليه الصلاة والسلام .  
(٥) إشارة إلى اصطفاء الرسول ﷺ .

سفاك الغربُ من كامنٍ      لنفسك منك سلاب

\*\*\*

لذعاتُ حان العُجم لست      كُفءَ نارِي الحاميهِ  
ذا أحمد العريبيُّ نَظُّ      ررْتُهُ تحيط جهاتيه  
ما حيلتي والعقلُ في      عُقْدٍ له متواليهِ  
نظراتُ عينك ، فانظرنُ      حلَّت طلسم مجازيه  
جِئِلُ العقول تفوقها      خفقات قلبي السداميهِ  
فاهجر كنيس تفسفِ      لحريمِ نارِي الحاميهِ

\*\*\*

أنت كالمرأة تفتني في جمال الآخرين  
من نواح الطير في الأحرام فاقبسن واحرقن<sup>(١)</sup>  
وتعلم جاهداً خفق جناحك وطز  
أنا حرٌّ وغيورٌ مسرفٌ في غيرتي  
إيه يا أقرب من روحي ولا أبصره  
فاغسلن قلباً وعيناً من خيال الآخرين  
ذلك العش الذي شدت بمال الآخرين  
أنت لا تستطيع طيراً بجبال الآخرين  
ممكن قتلي بكأس من زلال الآخرين  
عندنا هجرتك أحلى من وصال الآخرين<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

عندليبُ الربيع جُنَّ غناءً      وعروسُ الشَّقِيق تُزهى بهاءً  
لا مغنٍ ولا مزاهرُ فيه      ذاك لحنٌ من المغيب جاء  
محرم السرِّ من يسدد ضرباً      في وتار الحياة أيان شاء<sup>(٣)</sup>

(١) الأحرام : جمع حرم .

(٢) وهذه قطعة أخرى بنيت على الرمل المثلث - والرمل في الشعر العربي لا يزيد على ست تفعيلات والقافية فيها مردوفة بكلمة الآخرين ، والروي اللام التي قبل الرديف .

(٣) الوتار : جمع وتر .

لست أفشي ، فالذهر لعباً أساء<sup>(١)</sup>  
قدّر الله في الحياة التقاء  
كل شيء كالرمل يمضي هباء  
وبأرض الحجاز قلبي أضاء  
أرض شيراز ، حبّ ذاك انتماء

من وراء الستور أنبتت سرّاً  
لا تعنّف وخذ سبيل ودادٍ  
أين في دارة التراب مقام؟  
زهرة من رياض كشمير جسمي  
وأغانِي واللحونُ نمّتها

\*\*\*

من خضمّ الزرقاء نبغي قرارا  
لذّة « الذات » فرقتنا شراراً<sup>(٢)</sup>  
نال بالعقل في السماء مطارا  
وبكدّ الحياة نقدح ناراً  
كلّنا أعينٌ فألق الستارا

نحن تربّ ، وكالنجوم سفارا  
نحن من شعلة الحياة جميعاً  
قل لأهل السّماء : إن تراباً  
نحن في العشق زهرة في نسيم  
نحن في المرج نرجس ناظرات

\*\*\*

روضة تنبت ورداً وشقيقا  
صوّحت جناتهم ، روضاً أنيقا  
يا ترابي ! فلتكن قلباً خفوقا  
سار لا يرضى مقاماً أو طريقا  
عقلنا اليائس فاحذره رفيقا  
قد جبا قلباً إلى اللّحن مشوقا  
علّ شدوي مضرّم فيك حريقا  
قطرة فيك غدت بحراً عميقا

ليردّ العُرب دمعِي دامياً  
وليردّ العُجم أنفاسي وقد  
من حياة وخلود كدحنا  
صحب الله فؤادي هائماً  
صوّر اليأس على آفاقنا  
وبعود قطعّت أوتاره  
أنت نشء وكلامي شعل  
ليس في قلبي إلا أن أرى

(١) إشارة إلى الألعاب من وراء الستار كالذي يسمّى خيال الظلّ .

(٢) يعني : لذّة الاستقلال والوحدة كما يرى الشاعر في فلسفة « الذات » .



لا عرا الرُّوح هدوءً ولتكن بحياة الكدِّ والكذِّح خليقاً

\*\*\*

لا التَّاج يزهو عليه  
فقيراً حيثُك ، لكن  
في الشيب ماتت قلوبُ  
فما لصدرٍ نصيبُ  
لا تقعدنَّ عن طِلابِ  
فما بعصرك هذا  
غَفَلتَ عن سرِّ وقتِ  
وقتُ عداه حسابُ  
هذا الرِّباط قديم  
غَفَلتَ عن سرِّ عيشِ  
ماذا يخطُّ من الذنبِ  
دنياك ما قد أصبنا  
إقبالاً الحرَّ أمسك  
فما يرى في رباط

\*\*\*

عشقي الجريء صدره سعيرو  
إن يكمل الهيام صار ذلاً  
إليك جئت في سجود وجد  
هب سيف « لا » لكافري وأبصر  
وحكمتي عن شرر تخور  
قيسٌ بـ « ليلي » عندنا شهير  
سيماه فوق جبهتي تفور  
« إلا » ي كيف في الدني تثور<sup>(١)</sup>

(١) يشير إلى النفي والإثبات في « لا إله إلا الله » يعني : هب لي أنا الكافر توحيداً وانظر فعلي .

لا بدّ من دورٍ يعيد أمسي  
نورك فيه للذّنى نصيبُ  
أحدّك الرحمن في حجابٍ  
أيّا رسول الله ! إنّ ربي

في جلوات من غدي يسير  
« سينا » ي كيف فاتها تنوير  
وفي حماك منطقي جهير  
محجّب وأنت لي ظهور

\*\*\*

أسفي عليك نحتاً أصناماً آخر  
أسفي عليك صُهرت في نار الفرنج  
أسفي عليك فما وُزنت بنظرة  
أسفي عليك قرأت أسفار العقو  
أسفي عليك تطوفُ من ديرٍ إلى

عوداً ولم تبحث بقلبك عن أثر<sup>(١)</sup>  
حجٍ ومن لحاظ العين روحك قد قطر<sup>(٢)</sup>  
في حلّة فيها الترابُ له قدر  
ل وما فهمت حديثَ وجدٍ يُستطر  
حرم وفي معنك لم تُجد النَّظر

\*\*\*

- 
- (١) هذه الأبيات مردوفة في الأصل تكرر في أواخرها الكلمة التي ترجمتها « أسفي عليك » ، وقد كررتها في أول كل بيت .
- (٢) ذاب في نار الفرنج وأفتى نفسه بالنظر إليهم وتقليدهم .



## القسم الرابع

### نقشُ الإفرنج



## نقش الإفرنج

أبلغني يا ربح عني  
إنما العقل أسير  
يتحدى العشق برقاً  
سحر العقل ، وكان العشق  
تبصر الأعين لونا  
ووراء اللون معنى  
ما عجبنا أن إعجابنا  
قد عجبنا لمريض  
تجمع العلم وتلقي القل  
آه ذا نقد ثمين  
إنما الحكمة أمر  
ليس في كتابها للحب  
قطعت سبل قلوب  
ذات طرف ذي كلام  
ودلال لا ترى فيه

عالم الإفرنج جهرا :  
زاده التحليل أسرا  
منه هذا العقل فرأ  
بالأكباد أدري  
حينما تبصر زهرا  
هو أجلى منه يدري  
ز مسيح نلت خبراً<sup>(١)</sup>  
داؤه عندك أشرى<sup>(٢)</sup>  
ب لا ترغب فيه  
ضاع في كف سفيه  
ليس فيه من نهايه  
والعشق بدايه<sup>(٣)</sup>  
يقظت بالعمايه  
هو في الفتنة آيه  
إلى القلب سرايه

(١) الخطاب لعالم الإفرنج .

(٢) شرى الداء : إذا اشتد ، وأشرى للتفضيل ، يعني : أنه كال المسيح في المعجزات ، ولكنه لا يشفي .

(٣) أي : ليس في كتابها ألم العشق وحزؤه كما يرى القلم .

سُزَّةٌ مِنْ غَمَزِ الرُّعَايَةِ  
فَمَرَّ بِظَبْيٍ فِي النِّهَائِيَةِ  
لَمَّا مِنَ الْأَزْهَارِ غَايَةِ  
سَدَادًا وَرَشَادًا  
وَابْلَغُوا مِنْهُ مُرَادًا

لَيْسَ فِيهَا لَذَّةُ الْوُخْدِ  
طُيُوتِ الْبَيْدِ وَلَمْ تَظْ  
طَافَتْ الْبَسْتَانَ لَمْ تَبْ  
فَهَلُّمُوا نَسَالَ الْعِشْقِ  
وَاقْصِدُوا الْعِشْقَ سُجُودًا

\*\*\*

ذَا شَعَابٍ حِينِ سَارَا  
وَأَصَارَ الْمَاءَ نَارَا  
رَدَّتِ الرَّمْلَ نَضَارَا  
فِي قُلُوبٍ أَوْ أَنْارَا  
فَقَبَلْنَا جَاهَ جَهَارَا  
قَطَعَ السُّبُلَ نَهَارَا  
سَجَّ وَالنَّقَعَ أَثَارَا  
ذَرَّ مِنْ ذَاكَ عُجَارَا  
وَخَصَدْنَا مِنْ لَهَيْبِ  
عُقْدًا فَوْقَ الْقُلُوبِ

سَلَكَ الْعَقْلُ طَرِيقًا  
مَلَأَ الْعَالَمَ هَرَجًا  
فِي يَدَيْهِ كَمِيَاءَ  
لَمْ يَضَعْ إِكْسِيرَ حَبِّ  
سَحَرَهُ قَدْ خَالَ فِينَا  
ذَاكَ قَطَّاعَ طَرِيقِ  
فَنَّهُ قَدْ هَدَمَ الْأَفْرَنَ  
ثُمَّ فِي مُقْلَةٍ عَيْنِي  
كَمْ زَرَعْنَا مِنْ شَرَارِ  
كَمْ عَقَدْنَا وَحَلَلْنَا

\*\*\*

مِنْ جَنَاحِ الْعَنْدَلِيبِ  
عَلَى الْأَرْضِ تَرِيبِ  
دِ الثُّرَيَّا لَا يَخْتِيبِ  
كَنْسِيمِ فِي هَبُوبِ  
سَرِّ لِلْسَرِّ يَصِيبِ  
سَارًا أَوْ شَكًّا مَرِيبِ  
كَ لِلْمَسْرِيِّ الرَّحِيبِ

أَيْنَ مِنْ خَفَقِ الشَّوَاهِيِ  
أَيْنَ مِنْ يَلْقَطُ مِنْ حَبِ  
مَنْ فَتَى يَلْقَطُ عُنُقُو  
أَيْنَ مِنْ يَسْرِي بِرُوضِ  
مَنْ بَصِيرَ فِي ضَمِيرِ الزَّهْرِ  
أَيْنَ فَوْقَ الْأَرْضِ ظَنُّ  
مَنْ طَمُوحِ جَاوَزِ الْأَفْلَا

حَبَّذا عَقْلٌ فَسِيحٌ  
 نَوْرُ أَمَلِكِ وَنَا  
 نَحْنُ مِنْ خَلْوَةِ عِشْقِ  
 فَجَعَلْنَا مَوْطِئَ الْأَقْدَا  
 فَانظُرْنَا هَمَّتْنَا كَيْ  
 قَدْ أَضَعْنَا الْكُونَ جَهْرًا  
 قَدْ نَزَلْنَا شَطَطَ نَهْرٍ  
 تَبَصَّرُ الْأَعْيُنُ سَطْرًا  
 قَلْبُنَا يَبِثُ هَذَا الدَّيْرَ  
 فَرَمَى النَّارَ بِرَطْبِ  
 شِعْلَةٍ كُنَّا جَمِيعًا  
 أَهْلَ شَوْقٍ وَحَنِينِ  
 أَصْبَحَ الْعِشْقُ غَوِيًّا  
 فَتَنَةٌ لِلنَّاسِ فِيهَا  
 آثَرُ الْحَزْبِ عَلَى الْخَفِضِ  
 لَمْ يَرَوْ السَّيْفَ إِلَّا  
 قَطَعَ الطُّرُقَ وَسَمَّى الـ  
 أَخَذَ الدُّفَّ وَغَنَّى  
 رَافِعًا فِي الْكِفِّ كَأْسًا  
 حَانَ أَنْ نُحَدِّثَ نَهْجًا

قَدْ أَحَاطَ الْعَالَمِينَ  
 رِ الْأَنْسِ فِيهِ دُونَ مِينَ  
 قَدْ بَرَزْنَا بِالسَّجَايَا  
 مِ فِي الْأَرْضِ مَرَايَا  
 فِ لَعَبْنَا بِالْعَطَايَا  
 حِينَ حَزْنَاهُ خَفَايَا<sup>(١)</sup>  
 نَبَصَّرُ الْمَوْجَ سَرَايَا  
 مِنْ غُدُوِّ وَعِشَايَا  
 لَا يَبْغِي سَبَايَا<sup>(٢)</sup>  
 وَيَبْسُ فِي الْبَرَايَا  
 وَانْتَشَرْنَا كَالشَّرِّ  
 وَرَجَاءٍ وَنَظَرِ  
 قَاطِعًا كُلَّ وَكَاءِ<sup>(٣)</sup>  
 خَفَقُ حَوْتِ فِي الْعَرَاءِ  
 وَعَبَّيْ لِلْقَاءِ  
 مِنْ صَدُورِ الْأَوْفِيَاءِ  
 قَطَّعَ حِفْظَ الْأَمْنَاءِ  
 رَاقِصًا دُونَ حِيَاءِ  
 مِنْ دِمَاءِ الْأَصْفِيَاءِ  
 وَنَجَدَّ النَّظْرَا

(١) يعني : استولينا عليه بقوة أرواحنا ، وبذلته أيدينا احتقاراً .

(٢) في الأصل : الدبر القديم ، وهو كناية عن الدنيا .

(٣) أحسب الشاعر يقصد في هذه الأبيات إلى أن العشق ، وهو الوجدان السليم قد صار

هوىً وطمعاً ، ففعل ما فعل ( المترجم ) .



فاغسلن لوج فؤاد  
 لحن إسكندر وألى  
 وأتى فرهاد بيغي  
 يوسف فارق سجنأ  
 وخرافات زليخا  
 كل سر كان يخفى  
 ومضى حفل الندامى  
 فافتح العين وأمعن  
 إنما تبني الحياة اليوم  
 أنا في الأرض بصير  
 أبصر الذرات طراً  
 وأرى الحبة تحت الثرب  
 ذات أصل وفروع  
 وأرى الأطسواد ريشأ  
 وأرى الرّيش ثباتأ  
 وانقلاب ليس يحو  
 قد أراه لسنت أدري  
 حبذا المبصر جهراً  
 ويرى جوهراً لحن  
 بالحياة النهراً جار  
 عاتق الرّاح فتى  
 كل أهل لوجود  
 ووجود غير أهل  
 إنما العشق عيون  
 ومنى الحسن ظهور

وأجد الأسطرا  
 وتقضى لحن دارا  
 ملك برويز جهارا  
 وعزير الملك صارا  
 وزقاهها تتوارى  
 غشي الشوق نهارا  
 ويريق القول بارا  
 لترى ما لا ترى  
 كوناً آخرأ  
 عارف سر الحياة  
 كنجوم نساظرات  
 من قبل نبات  
 وثمار يانعات  
 في رياح قلقات  
 كجبال راسخات  
 به ضمير الكائنات  
 كيف في العين يواتي  
 فارساً في ذا القتر  
 في اهتزاز بالوتر  
 وسيجري في مضاء  
 وسبقى في فتاء  
 سوف يحظى بالضياء  
 سوف يحويه الفناء  
 ترقب الحسن ظماء  
 وسيبدو في جلاء

إِنَّ هَذَا الْأَرْضِ فِيهَا      لِي دَمِوعٌ مِنْ دَمَاءِ  
سُورِي الدَّمْعُ عَقِيْقَةً      فِي حِشَاهَا ذَا بَهَاءِ  
« فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ جَاءَتْ      نِي مِنَ الصُّبْحِ بِشَارِهِ  
أَطْفَاءِ الشَّمْعِ وَلاَحَتْ      لِي مِنَ الشَّمْسِ أَمَارِهِ »<sup>(١)</sup>

\*\*\*

### جمعية الأمم

بِؤْسَاءِ الْأَرْضِ رَامُوا سُنَنًا      لَتَزُولَ الْحَزْبُ فِي هَذَا الْعُصُورِ  
وَسَمِعْنَا أَنَّ تَبَّاشِي قُبُورِ      شَرِكَةَ شَادُوا لِتَقْسِيمِ الْقُبُورِ

\*\*\*

### شوبنهاور ونيثشا<sup>(٢)</sup>

طَارَ مِنْ عُنْثِهِ يَسِيرُ بِرُوضِ      فَأَصَابَتْهُ شَوْكَةٌ مِنْ زُهُورِ  
لَعْنِ الرَّوْضِ وَالرَّمَانِ وَنَادَى      بِبُورِ لِنَفْسِهِ وَالطِّيَّورِ  
وَرَأَى وَسْمَةَ الشَّقَائِقِ جَوْرًا      وَطَلَسَمَ الْبَرَعُومِ خَدْعُ خَيْبِرِ<sup>(٣)</sup>  
قَالَ ذِي الدَّارِ شَيَّدَتْ بَاعُوجَاجِ      كُلُّ صَبْحٍ بِهَا إِلَى دِيَجُورِ  
نَاخَ حَتَّى تَقَاطَرَتْ نَغْمَاتُ      مِنْ دَمَاءِ ، بِدَمْعِ عَيْنِ غَزِيرِ  
وَشَجَا الْهَدْمِ النَّوَاخُ فَوَافِي      يَنْزِعُ الشَّوْكَ مِنْ جَنَاحِ الْكَسِيرِ

(١) هذا البيت يضمن في شعر إقبال وهو لغالب (الشاعر الأردوي المشهور) .

(٢) فيلسوفان ألمانيان معروفان ، الأول متشائم ، والثاني يعجب بالقوة واحتمال الشدائد في هذه الحياة .

(٣) في الشقيقة سواد يجعلها الشعراء وسمة من الحرقه . وطلسم البرعوم يريد به انطباقه وانبهاه كالطلسم .

قال : أخرج من كل خسرك ربحاً      مَزَقَ الوردُ صَدْرَهُ للعيبر  
واجعل الجُزَحَ بِلِسمَا فسترضى      واثْلَفِ الشُّوكَ تغدُ كُلُّك روضا

\*\*\*

### الفلسفة والسياسة

لا تقيسوا فلسفياً بارعاً      سياسيّ وبالعدل احكموا  
ذاك عينٌ جهرت في شمسها<sup>(١)</sup>      وجمودُ عينٍ ذا لا ترحم  
ذاك في الحقِّ دليلٌ واهنٌ      ذا لدى الباطل قولٌ مُحكمٌ

\*\*\*

### نيتشا

ثارَ مِنْ ضعفِ الأناسيّ قلبه      فبرى الخلق المكمّل لُبّه  
فتنة في الغرب من ذي جنون      كان في دار الرُّجاجيّ ضربه

\*\*\*

### بايرُن<sup>(٢)</sup>

قطراتٌ رشحت من كأسه      شعلَةٌ تنمو كوردٍ وشقيق  
ذو رسالاتٍ بها حرُّ الجوى      فرسولُ الحبِّ منها في حريق  
ضائق بالإنفرنج برداً طبعه      قهو في الأوطان في غمٍّ وضيق

(١) جهرت العين : لم تبصر في الشمس .

(٢) الشاعر الإنكليزي المعروف فارق وطنه إلى بلاد اليونان لنصرة الثائرين بها ، ومات

هناك .

وخيالٍ كم بنى مِنْ ملعبٍ      فيه للهورِ مراحٍ وبريقِ  
جَلواتٌ للشَّبَابِ ائْتَلَقَتْ      فهو في الغَشِيَةِ منها لا يفيقِ  
طائرٌ فارقَ عَشّاً ورأى      حَلَقَ الشُّبَّاكِ<sup>(١)</sup> أولى بالحقوقِ

\*\*\*

## جلال وهيكل<sup>(٢)</sup>

ليلةٌ بكُ أعاني حلَّها      ذاكَ مَنْ أبرز في إبداعه  
يخجلُ العالمَ من أفكاره      سرُّ في بحرٍ له فالتطمَّتْ  
نفثَ النَّومَ بعيني سحره      وأحدَّ الشُّوقَ طرفي فإذا  
إنه الشَّمسُ تجلَّتْ في الضحى      نورُه في مظلمِ الأفقِ سرى  
تنبتُ الأفكارُ في ألفاظه      قال : قم يا أيها النائمُ ! هل  
« في طريقِ العِشْقِ بالعقلِ يُسار ؟ »  
مشكلاتٍ لحكيم الألمانِ      أبدئي الكونَ من سترٍ لأنِّي<sup>(٣)</sup>  
شاكياً ضيقَ زمانٍ ومكانٍ      سفنُ العقلِ بموجِ الطُّوفانِ  
فحماني فكرَ باقٍ أو فاني      نور وجهٍ لحكيم رحماني  
كلُّ أفقٍ بسناها نوراني      كمنارٍ في طريقِ الرُّكبانِ  
مثلَ ما ينمو شقيقُ النُّعمانِ      تمخرُ الشُّفنِ سرابَ القيعانِ  
بسراجٍ تبتغي شمسَ النهارِ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

(١) الشباك : الشبكة .

(٢) جلال الدين الرومي ، وهيكل الفيلسوف الألماني .

(٣) يريد أنه أدرك من الشيء المؤقت حقائق أبدية ، والأنى نسبة إلى الآن .

(٤) البيت الأخير للرومي .

بتوفى

( شاعرٌ مجري قُتِلَ شاباً في الدِّفاع عن وطنه ، ولم يعثر على

بدنه لتبقى له ذكرى أرضية )

لعروسِ الرِّياضِ غَنِيَّتَ حيناً      زدتَ قلباً جوىً وأسليتَ قلباً  
وخصَّبتَ الشقيقَ من دمك المسفوك      وجُداً وجلَّ ذلك خضباً  
كم بآهِ الصُّباحِ في المَرَجِ يسري ،      في صدور الأكمام فَتَحْتَ قلباً  
نغماتٌ من الجوى ذبت فيها      في « مزار » القريض تُدفن حبا  
والى الترب لم تعد بمماتٍ      ذاك حقٌ فليس أصلك تربا

\*\*\*

جلال وجوته (١)

شاعر الألمان في رَوْضِ إرم (٢)      فاز بالصحبة من شيخ العجم  
شاعرٌ يشبه ذا العاليي الجناب      ما نبياً كان لكن ذو كتاب (٣)  
قصراً للعارفِ بالسُّرِّ القديم      ما وعى إبليسُ والشيخُ الحكيم  
فأجابَ الشَّيخُ : يا رب العلاء      أنت صيادٌ ولكن في السماء  
قد خلا فكركَ في القلبِ السليم      فأجدُّ الرُّوحَ في الكونِ القديم  
فرأيتُ الدرَّ في قاع البحار      ودبيبَ الرُّوحِ منْ خلف الستار

(١) شاعر الألمان جوته صاحب القصة المعروفة فوست . وفي هذه القصة يبين الشاعر درجات تطور الإنسان في إطارٍ من روايةٍ قديمة عن العهد الذي كان بين الحكيم فوست والشيطان ، وقد بلغ فيها الفنُّ درجةً لا يدركها الخيال .

(٢) يقصد الشاعر بإرم الجنة .

(٣) شيخ العجم : جلال الدين الرومي ، والبيت الثاني من قول الجامي عن الرُّومي : ماذا أقول في هذا العاليي الجناب - لم يكن « نبياً » ولكن له كتاب - .

ليس كلُّ قد تجلَّى العِشْقُ له      ليس كلُّ أهل هذي المنزله  
« قد تجلَّى لسعيدِ المعِي      مكرُّ إبليس وعشْقُ الآدمي »<sup>(١)</sup>

\*\*\*

### رسالة برغسون<sup>(٢)</sup>

إذا ما شئت أن تحظى بسرِّ      تبوح له الحياة لمستجيب  
فلا تبعذُ بنفسِكَ عن لظاها      كما جفَلَ الشَّراؤُ عن اللهب  
ولا تصحَبْ سوى نظيرِ عريف      ولا تمرر بأزْضِكَ كالغريب  
وما صورْتُهُ وهمُّ فأعدد      لعقلٍ شبَّ في أدب القلوب

\*\*\*

### حانة الفرنج<sup>(٣)</sup>

عهدُ حاناتِ فرنج      ذكَّرني يا خليلي ا  
رَبَّتِ الخمرةُ فيها      عينَ خَمَّارِ جميل  
نظرة الساقبي رسالا      تُشَرِّبُ الشَّمْسول  
عقلها الخاتر غاز      عشقها كلَّ سبيل  
جوها ما أشعلته      نارُ آهاتِ الحيارى  
ليس فيها من خليع      فيه ترنيحُ الشُّكارى

\*\*\*

---

(١) البيت الأخير لجلال الدين الرومي .

(٢) فيلسوف فرنسي .

(٣) يقصد الشاعر في هذه الأبيات إلى ما يعوز الإفرنج من الإيمان وحرارة الوجدان .

حكماء<sup>(١)</sup>

لوك<sup>(٢)</sup>

فارغُ الكأس أتى الروضَ شقيق<sup>(٣)</sup> يملأ الأكواب من شمس الضُّحى

كنت<sup>(٤)</sup>

فطرةٌ ضاءت شراباً ولها نجم كأسٍ من حريم الأزل

بگسون

ماله مِنْ أزلٍ خمراً وكاس ناره مِنْ حرقه القلب الشَّقِيقُ

\*\*\*

شعراء

برونگی<sup>(٥)</sup>

ليس في كأس الحياة البرد نازٌ فبماء الخضر كأسی أملاً<sup>(٦)</sup>

بايرن

منةٌ للخضر لا تلهبُ صدري فبماء القلب كأسی أملاً

---

(١) صوّر الشاعر كلاً من هؤلاء الفلاسفة بيت . وهذه الكنايات لا يدركها إدراكاً تاماً إلا من عرف هؤلاء الفلاسفة ، وعرف خصائص كلٍّ منهم .

(٢) فيلسوف إنكليزي .

(٣) شقائق النعمان .

(٤) فيلسوف ألماني .

(٥) شاعر إنكليزي .

(٦) ماء الخضر : عين الحياة التي شرب منها الخضر ، فخلد ، وحرّمها إسكندر .

## غالب (١)

لأزيد الخمرَ والصَّدرَ لهيباً      أصهَر الدُّنَّ وكأسي أملأ

### جلال الدِّين الرومي

أين مزجُ مِنْ سنا جوهريها      مِنْ عروقِ الكَرَمِ كأسِي أملأ

### حانات الفرنج

أمس في حانة الفرنجة وهناً      راغبي قولُ ماجني ذي خلعه  
قال : ليست كنيسةً تغشاها      في دُمى للغناء تبغي سماعه  
إنها حانةُ الفرنج وفيها      كلُّ ما ذمَّه البريةُ طاعه  
قد وزنا الأعمالَ فيها بوزنٍ      غير ما حسَّن الأنامُ اصطناعه  
لا تزنُ وزنَ أمّةٍ ذات دينٍ      رثُ ميزانهم فحاذر متاعه  
كلُّ قبح يزيدُ جاهك ، حسنٌ      كلُّ حسنٍ يضرُّه فهو شناعه  
إن تفكَّرت فالحياةُ رياءٌ      وبها الصُّدقُ قوله خداعه  
إنما الصُّدقُ والوفاءُ حجابٌ      يُحرم السَّاعي الغريزُ ارتفاعه  
شيخنا قال : مؤهنُ كلُّ صُفر      بنضارٍ وزينفنُ كلُّ ساعه  
ذاك سرُّ الحياه لا تفشينه      تربحنُ في يدك كلُّ بضاعه

\*\*\*

(١) أسد الله غالب شاعر بالفارسية والأردية ، يُعتبر شعره حجة باللغة الأردوية ، توفي سنة ١٨٦٨م وهذا البيت لغالب نفسه .





القسم الخامس

وقائق



## رقائق

ذَرَاتُنَا ثَمَرَةٌ تَهْدُرُ      بأنفاسنا محشرٌ مضمُرُ  
لقد أفصحَ الخضر في الظلماتِ      على حينَ صاحِبَهُ إسكندرُ  
عسيرٌ على النَّاسِ فَهَمُّ المماتِ      وفهمُ الحياةِ لَهُمُ أَعَسَرُ

\*\*\*

حَبَّةُ الدُّرِّ تعرفُ البحرَ لكنَّ      أيُّ علمٍ لها بدورِ الرَّحَى ؟

\*\*\*

يصرُّ اليراعُ لإعوازِ لَبِّ<sup>(١)</sup>      فليس لمروِدٍ كحلٍ صريرِ

\*\*\*

طفَتْ بالبيتِ حاملاً أصنامي      وأمامَ الأصنامِ « هو » قد جارتُ<sup>(٢)</sup>  
وفؤادي يسيرُ خلفَ طِلابِ      في طريقِ كشعرةٍ قد مَرَزْتُ  
يقولُ ورد روضِ : عيشُ الرَّبيعِ أحلى      وصبحُ مرجٍ عندي منَ الجميعِ أحلى  
من قبلِ جورِ كَفِّ لزينةٍ تقطفني      موتٌ بحضنِ نضيرٍ من الفروعِ أحلى<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

يا صاحبِي ذاكَ قولٌ      على الحياةِ دليلُ

(١) يعني لأنه فارغ الجوف .

(٢) صاح بلفظ « هو » يريد الله تعالى .

(٣) وهذا مثال آخر من زيادة التفعيلات على المعهود في العربية وفي القافية المردوفة .



# اللمعات



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بدأتُ هذه المنظومة حينما قرأتُ منظومتَي إقبال : « أسرار خودي » ،  
و« رموز بي خودي » ونشرت الأبيات الأولى منها ، ثم شُغلتُ عن إتمامها ،  
فلبثتُ أعاودُ النَّظْمَ فيها حيناً بعد حين .

فلما أشرفت ترجمة « پیام مشرق » على النِّهاية عزمْتُ على إتمام  
المنظومة ، فتمَّت بحمد الله .

وهي مهداة إلى الشَّاعر العظيم إقبال اعترافاً بفضله .

( عبد الوهاب عزام )



أَيْهَذَا اللَّيْلِ ! إِلَيْكَ الْمَفْرُوعُ  
 كَمْ خَفِينَا فِي غِيَابَاتِ الدُّجَى  
 كَمْ أَلْفَتْ اللَّيْلَ أَمَّا حَانِيَةَ  
 كَمْ أَلْفَتْ اللَّيْلَ وَحِشاً رَاقِبَا  
 كَمْ بَثَّتْ اللَّيْلَ سِرّاً كَتَمَا  
 كَانَتْ الظُّلْمَاءُ لَوْحاً لِلأَلَمِ  
 كَانَ لِي اللَّيْلُ مَدَاداً فَتَفَدَ  
 جَاشَتْ الظُّلْمَاءُ مَوْجاً بَعْدَ مَوْجٍ  
 فَنَيْتَ هَذَا ، وَهَذَا زَاخِرُ  
 خَلَّتَنِي فِي اللَّيْلِ جَمِراً سَعِراً  
 إِرَّةً قَدْ وَقَدْتُ فِي أَضْلَعِي<sup>(١)</sup>

كَمْ حَنَّتْ مِنْكَ عَلَيْنَا أَضْلَعُ ؟  
 وَمَلَأْنَا اللَّيْلَ هَمّاً وَشَجَا ؟  
 وَكْرَهْتُ النَّجْمَ عَيْناً رَانِيَةَ ؟  
 مِنْ شُعَاعِ الصُّبْحِ سَهْماً صَائِبَا  
 فَوَعَاهُ اللَّيْلَ عَنِّي أَلْمَا ؟  
 خَطَّتِ الأَهَاتُ فِيهِ كَالْقَلَمِ !  
 وَطَغَى قَلْبِي بِمَدِّ بَعْدَ مَدِّ  
 وَغَزَانِي الوَجْدُ فَوْجاً بَعْدَ فَوْجٍ !  
 وَانْجَلَّتْ هَذَا ، وَهَذَا غَامِرُ  
 وَنَجُومُ اللَّيْلِ مِنْهُ شَرِيراً  
 وَسَحَابٌ هَاطِلٌ مِنْ أَدْمَعِي ؟

\*\*\*

كُنْتُ سَطِراً لَمْ يُفَسِّرْهُ أَحَدٌ  
 فِي ضَمِيرِي كُلِّ مَعْنَى مِنْهُمْ  
 قَدْ ثَوَى العَالَمُ فِي قَلْبِي وَمَا  
 جَلَّ قَلْبِي أَنْ أَرَاهُ جَامِ جَمِّ<sup>(٣)</sup>  
 إِنَّمَا الأَقْطَارُ فِي قَلْبِي العَمِيدُ

خَطَّتُهُ فِي غَيْبِهِ اللهُ الصَّمَدُ  
 حَرَّتْ فِي الإِعْرَابِ عَنْهُ بِالكَلِمِ  
 خُطَّ شَيْءٌ فِيهِ إِلاَّ الحَرْفُ « مَا »<sup>(٢)</sup>  
 صُورُ الأَقْطَارِ فِيهِ تَنْتَظِمُ  
 أَحْرَفٌ أَوْحَتْ إِلَى مَعْنَى بَعِيدِ

(١) الإرة : جبل النار .

(٢) يعني : لم يكن العالم في قلبه إلا نفياً .

(٣) جام جم أو كأس جمشيد ، في خرافات الفرس : كأس كانت تُرى فيها الأقاليم السبعة .

ربّ معنئ في ضميرِ يكتُم  
 وقلوبِ رمُشها هذي الضُّدور  
 أنا في النَّاسِ فصيحُ أعجم  
 صمَّتِ الأذَانُ عن هذا البيان  
 كيف يُجدي القومَ هذا النِّغم  
 كيف يُجدي القَدْحُ في هذا الحجر؟  
 إنَّ خَفَقَ القلبِ قدحٌ مُجهدُ  
 كيف يُجدي النفخُ في هذا الرِّمادُ

\*\*\*

يُخْرِقُ اللَّيْلَ شعاعٌ يَخْفِقُ  
 كمنارِ البحرِ يخفى وَيُلُوح  
 أو يراعِ اللَّيْلَ يخفى وَيُنِير  
 تارةً يبدو طريقاً لِحبا  
 أو بياناً من بياضٍ وسوادِ  
 كلُّ لونٍ فيه حرفٌ مُفصِّحُ  
 وراه تارةً خطاً أجمُ  
 فهو سَطْرٌ من ظلامِ أرقطُ  
 كلُّ لونٍ فيه حرفٌ أعجمُ

ثم يلتفتُ عليه الغسقُ  
 فيه بين الغيبِ والوَمُضِ وُضوح  
 فهو سَطْرٌ من غيابٍ وحضور<sup>(٣)</sup>  
 قامت الأنجمُ فيه نُصبا  
 كبياضِ الطُّرسِ يعلوه المِداد  
 ألفت منه سَطورٌ وُضَح  
 وكأنَّ الضَّوءَ تفصيلُ الظَّلَمِ  
 أعجمت معناه تلك التَّقَطُ  
 وحوى الأحرفَ سَطْرٌ مظلمُ<sup>(٤)</sup>

(١) المَخْرَم هنا : الأمين على السر ، كما يؤتمن المحرم من الأقارب على الحرمات .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ [ فاطر : ٢٢ ] .

(٣) هذا من قول إقبال : أي كرمك شبتاب سرايا تو نوراست برواز توبگ سلسله غيب  
 وحضور ست ( يا براعة الليل كلك نور ، وطيرانك سلسله من الغيبة والحضور ) .

(٤) حاصل المعنى في هذه الأبيات : أن النفس تارةً تدرك إدراكاً واضحاً ، وتارةً تُغم عليها  
 الحقائق .

يا ليلى أوقدي ، طال المدى  
أوقدي يا لئن قد حاز الدليل  
ارفعي النار وأذكي جمرها  
شردني هذا الظلام الجائما  
جئذا النار بليل توقد  
جئذا عندك هذا النزول  
مالذا المنزل قد سار الفريق  
قد ترحلنا من الفج العميق  
رن في آفاقنا هذا النداء  
قد غنينا عن مبيت ومقبل  
وعن الرغبة والخوف سوى  
نحن لا نرضى بنار الغسق  
نحن لا نرضى بنجم الصبح لاح  
نحن لا نرضى نجوماً لامعه  
قد رحلنا بالجوى والحرق  
أين منا طائرات سبق  
نحن ركب في جواه موضع  
كل حُر ضاق عنه الموطن

(١) إشارة إلى الآية في قصة موسى : ﴿ لَعَلَّآ لَيْسَ بِكَ مِنَ الَّذِينَ يَرْجُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ أَذْهَابًا وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يُعَذِّبُ اللَّهُ النَّاسَ فِي الْآيَاتِ لَعَلَّآ يَتَّقُونَ ﴾ [ طه : ١٠ ] .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [ الحج : ٢٧ ] .

(٣) النعلان هنا كناية عن الرغبة والخوف والإشارة إلى الآية في قصة موسى : ﴿ إِنِّي أَنَارُ بَكَ فَالْخَلْعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [ طه : ١٢ ] .

وعلى متن هيام لا يقر  
طائرٌ من تحته ذا الفلكُ  
كلُّ غاياتٍ لديه مبدأ  
زوّدي يا بُنَّ مِنْ هذا اللهب

كلُّ طيَّارٍ على متن الفكر  
طائرٌ منه يغارُ الملْك  
بارقٌ في اللّوح لا ينطفئُ  
زوّدينا بهيامٍ ووجيب

\*\*\*

مُزقتُ منه دجاجيرُ الظلم  
أم كلامٌ منه نورٌ لائح ؟  
أطربَ الناشدَ صوتُ المنشد<sup>(١)</sup>  
ينبتُ الرّوح بسهبٍ مقفرٍ  
بشّر الغارق في بحر الرّمال  
صاح في أذني فقيدٌ مبلس  
وهدهُ الصّوتُ شطراً القافله  
كبلالٍ لصلاةٍ أذنا  
دورة الإبرة شطر القطبِ  
ابركي يا ناقتي ! تمّ الشّور  
نغمَ ماروّحتَ ياريح الصّبا<sup>(٢)</sup> «

جال في الظلماء نورٌ من نغم  
أشعاعٌ فيه صوتٌ صائح  
أذن الرّكب لهذا المنشدِ  
سال في القلب مسيل المطر  
أو خربير الماء من نبع زلال  
رَنّ في نفسي رنينُ الجرس  
طوت البيداء عنه السّابله  
سبق القلبُ إليه الأذنا  
دار قلبي شطر هذا المطربِ  
« غنني يا منيتي ! لحن الثّشور  
عُدت يا عيدي إلينا مرحبا

\*\*\*

ومن الهاتفُ بالقلبِ الكسير ؟  
ومن البارقُ في هذي الغيوم ؟  
هادياً في الأرض جيلاً مظلماً ؟

حبذا الصّوتُ فَمَنْ هذا البشير ؟  
ومنّ المُسعدُ في هذي الهموم ؟  
ومن الهابط في نور السّما

(١) المنشد في الشطر الأول ، منشد الشعر ، وفي الثاني : الذي يدلُّ على الضّالة ،  
والناشد : من ينشدها .

(٢) جاء هذان البيتان بألفاظهما العربية في مثنوي جلال الدين الرّومي .

ومن الهادي إلى أرض الحبيب  
 ومن السائق شطر الحرم  
 ومن القاريء في بيت الصنم  
 ومن الحر الذي قد حطما  
 ومن الأبى على كل القيود  
 ومن الباعث في ميت الأمم  
 لاح كالغرة في هذا السواد  
 جرف الناس أتى مزيد  
 وطفى اللجج عليه والتطم  
 عارض الموج على أغماره  
 سبح اللجج وبالشط استقر  
 يجرف التيار جسماً جامداً  
 إن عزم الحر بحر مزيد  
 هذه الأقدار في تسيارها  
 ومن الشاعر يُذكي القافية  
 تقشع الأرض من أوزانه  
 وكان الدهر صوت كئيباً  
 هو بالأشعار بحر فائض  
 حدثته الأرض عن أخبارها  
 هو بالأمس خبير بغد  
 كشف الله عن الغيب له  
 عرف الشرق وراة المغرباً

يعرف النهج وقد حاز اللبيب ؟  
 وإلى الأضنام سائر الأمم ؟  
 سورة الإخلاص في هذا النغم ؟  
 من قيود الأسر هذا الأدهما ؟  
 ومن القاطع أغلال العبيد ؟  
 ثورة العزة من هذي الهمم ؟  
 بص كالجمرة في هذا الرماد  
 ضل فيه المقتدي والمرشد  
 فرساً كالصخر في هذا الخضم  
 وطوى اللجج على تياره  
 داعياً والناس غرقى في النهر  
 تقذف اللجة قلباً خامداً  
 جائش في الدهر لا يتبد  
 همم الأحرار في أسفارها<sup>(١)</sup>  
 فهي نور وهي نار حاميه ؟  
 ويهيم النجم من ألقانه  
 قد حكاه الشعر لحناً مطرباً<sup>(٢)</sup>  
 وهو للأزمان قلب نابض  
 وحبته الزهر من أسرارها  
 وهو اليوم نجى الأبد  
 فلسان الغيب يُملي قوله  
 فانجلي السر له ما كذبا

(١) هذه : مبتدأ ، وهمم : خبر .

(٢) يعني : أن الدهر أمام الشاعر كعلامات الموسيقى ، والشعر قراءة هذه العلامات .

إذ رأى القلب خلياً من هدى  
أسمع اليقظان في هذي الديار

فرأى العلم سبيلاً للردى  
صوت « إقبال » على شطّ المزار

\*\*\*

ليت أننا بهداها نهتدي  
كلُّ نفسٍ خابَ من ضيِّعها  
دونها كلُّ حياةٍ هامة  
إن يُعطلَ لمحاةٍ كان الفناء  
وركودُ الحيِّ موتٍ مستمرّ  
ضاقَتِ الأفلاكُ عن آفاقه  
وتجافى عن قيود الأمانة  
وطما في القلب بحرّ خضرم  
نافخٌ في الموت روح العمل  
منبتاً فيها أفانين التّبات  
نفخةُ الأبرار تحيي الأمما  
أو يحدُّ البرُّ فيما يفعل  
جلّ ربي عن حدودٍ وعلا  
وينز في سبله وجدائنه  
وهو بالله غنيٌّ وولّي  
تحسبُ الأقدارَ في تقديره  
ماله في باطلٍ من وطّر  
يملك الأرضَ ولا تملكه  
ليس منها ذرةٌ في قلبه  
عادلاً في حكمه بين الورى  
في سبيل الله ماضٍ عزّمه

أيها الدّاعي إلى سرِّ « خودي »  
فطره الله التي أودّعها  
إنها سرُّ الحياة الخالدة  
إنها التّيّارُ مثلَ الكهرباء  
إنما العيشُ جهادٌ لا يقتر  
من يضيء ذا السرِّ في أعماقه  
وتعالى عن حدود الأزمنة  
شعلٌ في قوله تضطرم  
مطلعٌ في اليأسِ صُبْحِ الأملِ  
أرأيت الغيث في أرضٍ موات  
هممُ الأحرارِ تحيي الرّمما  
لا يصدُّ الحرُّ عمّا يامل  
هو بالله العليّ اتصلا  
من يضيء في قلبه إيمانه  
فهو بالله عليّ وقويّ  
جاهد والله في تسييره  
قائمٌ بالحقِّ بين البشر  
يُمسِكُ الدُّنيا ولا تُمسِكُه  
وترى الدُّنيا انطوت في كسبه  
إنه القانون بالله سرى  
يسعُ النَّاسَ جميعاً هممه

جاهد في الخير لا يتشد  
 وفقيرٌ وغناه لا يُحد  
 عزمه في صدره يتقد  
 فقره استغناؤه عن كل يد  
 هو بالله وفي الله غني  
 ضاق عن هذا الغنى كل ثري

\*\*\*

### صغار الهمم

إن في الناس قلوباً جامده  
 همها ما يبتغيه الجسد  
 جذوة الإقدام فيها خامده  
 كل ما تهوى طعامٌ ودُد  
 حدت آرائها آفاقها  
 لا تبالي حين تبغي أربا  
 إنما قانونها أهواؤها  
 وترى أهواءها تغلبها  
 وإلى الأرض تراها مُخلده  
 إنما آفاقها هذا البدن  
 إنما أحيائها كالرّمم  
 خامدات العزم موتى الهمم

\*\*\*

### العالمُ معبد

إنما العالمُ طراً معبداً  
 كل من أدلى بقولٍ طيب  
 كل من أحسن يوماً عملاً  
 كل من في أرضه قد زرعاً  
 كل من يغرسُ مخضراً الشجر  
 كل من أحسن ، فيه يعبد  
 ينبت الخير كغيثٍ صيب  
 كل من أحيى مواتاً هملاً  
 لقيت الناس والعُجم معا  
 فيه للإنسان ظلٌ وثمر

تنفَعُ الظمآنَ من حرِّ الغليل  
كلُّ من في صنعِه قد أتقنا  
ينفَعُ الناسَ ولم يقصدْ لشرِّ  
يبتغي للناس خيراً عمماً  
لم يضع وقتاً بلهوى ودد  
خالداً للخيرِ ما بين الورى  
فكرةً أو قولةً أو عملاً  
كلُّهم للخيرِ نغم القاصدُ  
ولساناً وابغ في الخير يدا

كل من يَنْبِطُ بشراً في السبيل  
كل من يبنِي بناءً حسناً  
كل من أحدثَ علماً للبشر  
كل من أحدثَ فكراً مُحكماً  
كل من جدَّ وإن لم يجد  
كل من أثار فيها أثرا  
كل من في دهره قد أجملا  
كلُّهم لله نغم العابدُ  
فاصطنع للخيرِ فكراً ويذا

\*\*\*

## لا رهبانية في الإسلام

يحبسُ الأعمال والفكر معه  
فثوى في ضيقه قد خنعا  
عابداً تخشى البرايا وجلا  
موضحاً فيه سبيلاً للتَّجاة  
ذاكراً مولاه في كلِّ عمل  
يتصل بالحق لا يخش الفتن  
إن يفكّر ظالم في ظلمه  
يطلبُ الرزق بعزم وجناح  
لا يرى حول الدنايا حائماً  
لو يراه الجوع يوماً ما أسف  
لم يطق صبراً عليه فهلك  
فأسار الحرّ فيه مهلك

ليس منا من ثوى في صومعه  
ضاق نفساً عن مجال وسعا  
ليس شيئاً أن تُرى معتزلاً  
إنما العابد من خاض الحياة  
أخذاً بالعدل ما عنه حول  
إنه بالحق موصول ومن  
ثورة مضمرة في حلمه  
أرايت الصقر في متن الرياح  
طائراً في الجو يسمو عازماً  
يأكل الجوع ولا يرضى الجيف  
فإذا الجدّ رماه في الشرك  
ليس يحوي الحرّ يوماً شبك



يا فتى هذا الجهادُ الأكبر  
 قلَّ في النَّاسِ عليه صابِرُ  
 عزماتُ الحرِّ فيه تُخبر  
 ليس إلا الحرُّ فيه ظافر  
 وامضِ فيمن صَحَّ عزمًا واتَّكل  
 يا أسير الوهمِ أقدم لا تُبلُ

\*\*\*

### معنى التَّوَكُّلِ

مَنْ يَنْمُ عَنْ سَعِيهِ لَا يَتَّكِلُ  
 مُقَدِّمٌ فِي أَمْرِهِ الْمَتَّكِلُ  
 عَازِمٌ مَاضٍ عَلَى خَيْرِ سَنَنِ  
 أَرَأَيْتَ الطَّيْرَ فِي نَوْرِ الصَّبَاحِ  
 إِنَّهَا تَخْرُجُ فِي كَفِّ الْقَدْرِ  
 طَالِبَاتِ الرِّزْقِ فِي كُلِّ رَجَا  
 يَا لَهَا مِنْ أَمَلٍ قَدْ صَوَّرَا  
 أَرَأَيْتَ الْعَزْمَ فِي شَكْلِ جَنَاحِ  
 لَا يَصُدُّ الطَّيْرَ خَوْفُ التَّهْلُكَةِ  
 ضَرْبِ الْمَخْتَارِ هَذَا مِثْلًا  
 أَرَأَيْتَ الطَّيْرَ فِي أَوْكَارِهَا  
 ثَاوِيَاتٍ تَبْتَغِي أَرْزَاقِهَا  
 مَنْ وَنَى فِي سَعِيهِ لَمْ يَتَّكِلْ  
 إِنَّمَا التُّكْلَانُ عَزْمٌ وَعَمَلٌ

إِنَّمَا التُّكْلَانُ سَعْيٌ مُتَّصِلٌ  
 وَاثِقٌ بِاللَّهِ فِيمَا يَأْمُلُ  
 لَا يِيَالِي بِعِقَابٍ أَوْ مِحْنٍ<sup>(١)</sup>  
 تَطْلُبُ الرِّزْقَ بِعَزْمٍ وَجَنَاحِ  
 مَقْدَمَاتٍ لَا تَبَالِي بِالْخَطَرِ  
 تَمَلُّ الْجَوَّ وَثَوْقًا وَرَجَا  
 طَائِرًا يَطْلُبُ رِزْقًا قُدْرًا  
 خَافِقًا لَا يَنْشِي دُونَ النَّجَاحِ  
 أَوْ تَبَالِي بِطَرِيقٍ مَهْلِكَةٍ  
 لِلَّذِي يَسْعَى عَظِيمًا أَمَلًا<sup>(٢)</sup>  
 رَاجِيَاتٍ رِزْقِهَا فِي دَارِهَا؟  
 لَيْسَ تَذْرِي مَنْ إِلَيْهَا سَاقِهَا  
 إِنَّهُ لِلْوَهْمِ وَالْعَجْزِ وَكُلِّ  
 إِنَّهُ الْإِقْدَامُ فِي ضَوْءِ الْأَمَلِ

(١) العقاب : جمع عقبة .

(٢) جاء في الأثر : لو توكلتم على الله حقَّ التوكل ؛ لرُزقتم كما ترزق الطير ؛ تغدو

خماصاً ، وتروح بطاناً .

إِنَّهُ الإِعْدَادُ وَالْعِزْمُ مَعَا  
 إِنَّهُ التَّقْدِيرُ فِي سَعْيِ الْبَشْرِ  
 هَمُّ الْأَحْرَارِ فِي إِيْمَانِهَا  
 سُنَّةُ اللَّهِ التَّيَّيُّ لَا تَبْدَلُ  
 إِنَّهُ الْحَزْرُ إِلَى الْقَصْدِ سَعْيِ  
 هُوَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْضِ الْقَدْرِ  
 سُنُّ الْخَلَاقِ فِي أَكْوَانِهَا  
 مَا لَهَا كَرُّ اللَّيَالِي حَوْلُ

\*\*\*

### غفلة بعض المسلمين عن معنى التوكل

أَهْ مِنْ لِي بِقُلُوبٍ وَاعِيَه  
 آه مَنْ يَفْقَهُ هَذَا الْكَلِمَا؟  
 أَيُّهَا الْمُسْلِمُ مَاذَا قَدْ عَدَا؟  
 آه لِلنُّورِ الَّذِي قَدْ طَفْنَا  
 آه لِلنَّارِ الَّذِي تَشْتَعَلُ  
 خَمَدْتُ فَالْقَلْبُ بَرْدٌ وَهَمُودُ  
 إِنَّ هَذَا الْقَوْلُ زِنْدٌ وَحَجَرُ  
 إِنِّي أَضْرِمُ هَذَا الْأَلْمَا  
 إِنِّي أَنْفُخُ فِي هَذَا السَّوَادِ  
 عَلَنِي أَذْهَبُ هَذَا الْخَبْثَا  
 إِنِّي أَبْعَثُ فِيهِمْ نَغْمِي  
 إِنِّي أُمْطِرُ فِي أَرْضِ مَوَاتِ  
 مُقَدِّمَاتِ فِي الْمَعَالِي سَاعِيَه  
 آه مَنْ يَدْرُكُ هَذَا النَّغْمَا؟  
 كُنْتَ فِي الْأَرْضِ جِهَادًا وَهُدَى  
 آه لِلْقَلْبِ الَّذِي قَدْ صَدِنَا  
 فَيُضِيءُ الْأَرْضَ مِنْهَا شُعْلُ  
 خَمَدْتُ فَالنَّفْسُ عَجْزٌ وَرُكُودُ  
 لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَدِيهِ مِنْ شَرِّ  
 عَلَّهْ فِي الْقَلْبِ يَذْكَي ضَرْمَا  
 عَلَّ جَمْرًا مَحْرَقًا تَحْتَ الرَّمَادِ  
 عَلَنِي أَمْحَقُ هَذَا الْعَبْثَا  
 عَلَنِي أَبْعَثُ مَيْتَ الْهَمِّ  
 عَلَّهَا تُنْبِتُ أَلْوَانَ النَّبَاتِ

\*\*\*

### الأمل

لَا تَرَانَا فِي جِهَادِ نِيَاسُ  
 لَيْسَ مِنْ أُمَّتِنَا مَنْ يَسُوا

واقسح العزم إذا الهولُ دجا  
وابعثن من كل يأسٍ أملا  
واخلقن في كل حينٍ ما تشاء  
يصدعُ الظلماء في نور الأمل  
وهو في الكفِّ جهادٌ ومضاء  
إنَّه النجمُ الذي لا يافلُ  
يصدعُ الظلمةَ هذا الكوكبُ  
ويُريه في الدِّياجي قُصدَه  
هو هدي الله في هذي الحياه  
كلُّ قلبٍ وإليه يَفزعُ  
تَقصدُ القُطبَ وعنه لا تميل  
أنت سرُّ الله في كلِّ فؤاد  
شراً منه منيراً مُحرقاً  
يوضح النهج وفيه يذفعُ  
إنَّما الدُّنيا رجاءٌ وَعَمَلٌ  
وهو في عَوْنِ الأباةِ العاملين  
لا يردُّ الله عبداً عاملاً  
فأبرَّ الله مِنْهُ القسماً<sup>(١)</sup>  
إنَّه الفعلُ على القولِ أبرَّ  
مُضَمَّرٌ يَعْلَمُه مَنْ يَعْلَمُ  
فدعاه في يقينٍ يقسم

أشعل الإيمان في كلِّ دُجى  
وَأزفَعَن في كلِّ ليلٍ شَعلاً  
وصلِ القَلْبَ بخلاقِ الرجاء  
إنَّما الإنسانُ فِكْرٌ وَعَمَلٌ  
أمل الإنسان في القلب ضياء  
إنَّه النَّارُ التي تَشْتعلُ  
إن دَجَا باليأس ليلٌ غَيْهَبُ  
هو وَخِيُّ الله يهدي عبده  
هو نورُ الله في أفق النجاه  
إنَّه القُطبُ إليه يَنْزِعُ  
إبرةٌ تهدي إلى قُصدِ السبيل  
يا دليلاً هادياً في كلِّ واد  
يَقْدحُ القلبُ إذا ما خفقا  
فهو نورٌ وهو نازٌ يَلذعُ  
فاؤمِّل لخيرٍ وصابرٌ لا تمل  
وقضاءُ الله عَوْنُ الأمليين  
لا يردُّ الله قلباً آملاً  
ربَّ عبدٍ مخلصٍ قد أقسما  
وجهادُ العبدِ أولى أن يُبر  
إنَّ عزمَ الحرِّ فيه قَسَمٌ  
قد تولَّى الله هذا المقسَمُ

\*\*\*

(١) إشارة إلى ما جاء في الأثر: « ربَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره » .

## الوجدان السليم

ذلك الوجدان إن لم يصدأ  
 أو تحجبه رياح عاتيه  
 أو يجللُهُ ظلام الغفلة  
 أيقظ الوجدان يا مَنْ غفلا  
 أيقظ الوجدان واسمع وحيه  
 إنَّه المرآة ، إمَّا صُقلا  
 اجلُّه بالفكر والعلم معا  
 لا تُضغ في الشوق هذا الجوهر  
 لا تُضغ في لغوهم هذي الحكم  
 نحن في الدنيا حوانا مهممة  
 تقصد المنزل هذي القافلة  
 فاتبعن حرَّيتها لا تبلس  
 إنَّه الوجدان في هذي الفلاة  
 رأيت الفلک تسري ماخره  
 تهدي فيها بنور بارق  
 تهدي النهج على لمحاته  
 وهديتها إبر لا تغفل  
 إنما الوجدان في بحر الحياه

\*\*\*

(١) جرس القافلة ، وفيه إشارة إلى قول سعدي الشيرازي - ما زمنز مقصود من خيريم - ابن قدرهست كه بانگ جرس میآید .

## طغيانُ العقلِ على القلبِ

محنةٌ للناس هذا الزمنُ  
كلُّ ما نبصرُ فيه فتنُ  
أُطْلِقَ الإنسانُ مِنْ أغلاله  
جُرِّدَ العالمُ مِنْ أستاره  
وأجال الفكرَ فِي طيَّاته  
وأحاط الأرضَ مِنْ أقطارها  
فارعاً فِي ظهرها أجبالها  
طائراً فِي اللوحِ مِنْ فوق السَّحابِ  
طاوياً أقطارها لا يغترب  
يَسْمَعُ الهمسَ بأقصى المغربِ  
ضاقَت الأرضُ عليه فانتحى

كلُّ إنسانٍ به مُنتَحَنُ  
فتنٌ فيها تحارُ الفطنُ  
سُيِّبَ الشَّيْطَانُ مِنْ أجباله  
وانبرى يكشفُ عن أسراره  
ومضى يبحثُ فِي ذرَّاته  
ومضى يبحثُ فِي أغوارها  
مخرجاً مِنْ بطنها أثقالها  
حيثُ لا يطمع صَقْرٌ أو عُقاب  
كل ما يسمو إليه يقترب  
مِنْ بأقصى الشَّرْقِ فاسمعِ واعجبِ  
فِي ذُرَى الأفلاكِ يبغى مسرحاً

\*\*\*

آه لو أعطى قلباً خافقاً  
آه لو يعمر قلباً راحماً  
آه لو أغمَرَ عيناً ساجمه  
آه لو هَدَّبَهُ إيمانُهُ  
آه لو سَيَّطَرَ فِي أهوائه  
آه لو لم يُعِمِّه طغيانُهُ  
ليتَهُ لم تُطغِه أعمالُهُ  
ليتَهُ لم تغشه أضواؤه  
آه لو أنَّ شعاعَ الكهرباءِ

مثل ما أعطي عقلاً بارقاً  
مثل ما يَغْمُرُ عقلاً راجحاً  
مثل ما أعمل كَفّاً حاطمه  
مثل ما مَكَّنَهُ عِزْفانُهُ  
مثل ما سيطر فِي أجوائه  
فيهذم فوقه بنيانه  
ليتَهُ لم تُغمه أموالُهُ  
وتوقر سمعَهُ ضوضاؤه  
فِي ظلام الصِّدرِ منه قد أضاء

ويله من ماردٍ قد دمَّرا      ما بناه مخرباً ما عمرا  
 ليته حاط الذي قد شيدا      بوئامٍ وسلامٍ وهدى  
 ليته حاط البلاد الزاهرة      ليته صان الجنان النَّاضرة

\*\*\*

إِنَّ هَذَا الْعَصْرَ رَوْضٌ مُزْهَرٌ      كَلُّ غُضْنٍ فِيهِ نَامٌ مَثْمَرٌ  
 نَضْرَتْ فِيهِ فَنُونَ الزَّهْرِ      أَيْنَعَتْ فِيهِ ضُرُوبُ الثَّمْرِ  
 آهٍ لَكُنْ فِي مَهَبِّ الْعَاصِفَةِ      كَلُّ حِينَ تَعْتَرِيهِ جَائِفَةٌ  
 صَرَصَرٌ تَأْتِي عَلَيْهِ لَا تَذَرُ      تَخْطُمُ الْأَغْصَانَ فِيهِ وَالشَّجَرَ  
 يَخْرُبُ الْبِسْتَانَ مَنْ قَدْ غَرَسَا      يَهْدِمُ الْبُنْيَانَ مَنْ قَدْ أَسَّسَا  
 كَلُّ طَاغٍ يَدْعِي الْبِسْتَانَ لَهُ      يَتَغَيُّ الْأَشْجَارَ وَالْبُنْيَانَ لَهُ  
 لَوْ تَأَخَّوْا وَرَضُوا بِالْمَعْدَلِ      وَجَنُّوا فِي غَيْرِ بَغْيٍ أَكَلَهُ  
 لَوْ تَأَخَّوْا وَاهْتَدَوْا وَاسْتَمَرُّوا      ثُمَّ أَسْمَى عَدْلُهُمْ مَا دَمَّروا  
 لَأَوْزَا مِنْهُ إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ      وَرَأَوْا فِي زَهْرِهِ كَلَّ جَمِيلٍ  
 وَجَنُّوا أَثْمَارَهُ وَانْتَفَعُوا      وَنَمَا بَسْتَانُهُمْ فَاسْتَمْتَعُوا  
 فَتَعَالَوْا نَنْظُرِ الدَّاءَ الْعَصِيَّ      وَنَرَى الْأَسْبَابَ فِي الدَّاءِ الدَّوِيِّ  
 إِنَّ هَذَا الشُّعْرَ لَا يَحْصِي الْعِلْلَ      إِنَّهُ يَعْبَأُ بِذَا الْأَمْرِ الْجَلَلِ  
 إِنَّهُ لِمَحَّةٌ عَيْنٍ عَابَرَهُ      لَيْتَهُ كَفُّ طَيْبٍ مَاهَرَهُ  
 إِنَّهُ نَفْثَةٌ نَفْسٍ شَاعَرَهُ      لَيْتَهَا كَفُّ حَكِيمٍ قَادَرَهُ

\*\*\*

### البيت

معبدٌ لله ما أطهره      فيه سرُّ الله ما أظهره  
 روضةٌ ينبُتُ فيها الخلقُ      وترى الحقُّ عليها يُشْرِقُ

من رأى الخير له أمّ وأب !  
 ألفتها في حماها الوالده  
 كالمرايا حول وجه واحد  
 حسدٌ فيها ولا حقدٌ ولا  
 وكلا الصنوين يفدي الوالدا  
 تنهَرُ اللَّيْلُ إليهم رانيه  
 يسط الحبّ عليهم والجنح  
 كلُّ غصنٍ بأخيه اتصلا  
 كلُّ برٍّ هاهنا مطلعته  
 وهما الخلاقُ فيه يعْبُدان  
 والديه وإلى البرِّ اهتدى  
 قرَنَ الرَّحْمَنَ برَّ الوالدين  
 بيناً كالشمس نوراً يطلع<sup>(١)</sup>  
 ﴿ وقضى ربُّك ألا تعبدوا ﴾  
 ﴿ قل تعالوا أتُلُّ ﴿ فيها النبا<sup>(٢)</sup> ﴾  
 وارفعوا بالدين من بنيانها  
 وسلامٍ ووئامٍ وإخاء  
 مثل بيت الشعر في نظم النغم  
 آزرت أسبائبه أوتاده

تنشأ الخيراتُ فيه وتربُ  
 أنفسٌ فيه كنفسٍ واحده  
 بل شكولٌ مثلثٌ للوالد  
 كلُّها حبٌّ وإيثارٌ فلا  
 فأخٌ يفدي أخاه جاهدا  
 وترى الأمَّ عليهم حانيه  
 وأبوهم في غدوٍّ ورواح  
 روضةٌ للحبِّ فيها مثلاً  
 كلُّ خيرٍ هاهنا منبعه  
 مسجداً يسعدُ فيه الوالدان  
 يعْبُدُ الرَّحْمَنَ من قد عبدا  
 فالى توحيدِهِ مِنْ غيرِ بَيْنِ  
 إن تشاؤوا مثلاً لا يُدْفَعُ  
 فاقروا يا قومنا كي تشهدوا  
 ﴿ واعبدوا الله ﴾ ﴿ فيها فاقروا  
 أحكموا الأسرةَ من قرانها  
 واعمروا البيتَ ببرٍّ ووفاء  
 إن هذا البيتُ في نظم الأمم  
 كلُّ بيتٍ ألفت آحاده

(١) الآية : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

(٢) الآياتان : ﴿ ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [النساء : ٣٦]

﴿ قُلْ نَسَاوًا أَتُلُّ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

[الأنعام : ١٥١] .

كُلُّ لَفْظٍ بِأَخِيهِ يَنْتَظِمُ  
 كُلُّ حَرْفٍ بِأَخِيهِ ائْتَلَفَا  
 لَيْسَ فِيهِ مِنْ قُصُورٍ أَوْ مَزِيدٍ  
 وَرَوِيَّ نَاطِمٍ أَشْتَاتِهَا  
 تَرْتَقِي الْأَنْفُسَ فِيهَا عَالِيَهُ  
 كُلُّ بَيْتٍ فِيهِ ذُو مَعْنَى وَضِيعٍ  
 مِنْ بِيوتٍ جَمَعَهَا لَا يُنْظَمُ  
 يُوذُنُ الْبَيْتُ أَخَاهُ بِالْفِرَاقِ  
 كُلُّ لَفْظٍ فِيهِ حَرْفٌ نَافِرٍ  
 بَلْ شَذُوذٌ وَسِنَادٌ وَخَلَلٌ

وَنِظَامِ الْبَيْتِ مِنْ نِظْمِ الْكَلِمِ  
 كُلُّ لَفْظٍ مِنْ حُرُوفٍ أَلْفَا  
 وَنِظَاماً وَاحِداً يُبْنَى الْقَصِيدُ  
 فِي قِوَافٍ أَلْفَتْ أَيْبَاتِهَا  
 وَمَعَانٍ بَعْدَ هَذَا غَالِيَهُ  
 هَلْ رَأَيْتُمْ قَطُّ مِنْ شَعْرِ رَفِيعٍ  
 كَيْفَ تُبْنَى لِلْمَعَالِي أُمَّمُ  
 مِنْ بِيوتٍ فِي خِلافٍ وَشِقَاقِ  
 كَلِّ بَيْتٍ فِيهِ لَفْظٌ ثَائِرٍ  
 لَا تَقْلُ فِيهَا زِحَافٌ وَعَلَلُ

\*\*\*

مَا أَصَابَ الْخَيْرَ فِيهِ وَالْهُدَى  
 لَا وَلَا صَفًّا لَدَيْهِ قَوْمًا  
 لَا وَلَا أَسْمَعُ تَرْجِيْعَ الْأَذَانِ  
 عَطَلَ الْمِحْرَابُ مِنْ آيَاتِهِ  
 وَمَضُوا فِي كُلِّ أَفْقٍ بَدَدًا  
 وَمَضَى فِي عَيْهِ كُلُّ فَرِيْقٍ

لَيْتَ شَعْرِي مَا أَصَابَ الْمَسْجِدَا  
 لَا أَرَى جَمْعاً لَدَيْهِ نُظْمَا  
 مَا أَحْسَنُ الْيَوْمَ تَرْتِيلَ الْقُرْآنِ  
 خَرِسَ الْمَنْبِرُ عَنْ أَصْوَاتِهِ  
 ذَهَبَ الْعِبَادُ عَنْهُ قَدَدَا  
 غَلَبَ الْمَلْهَى عَلَيْهِ وَالطَّرِيْقُ

\*\*\*

كَانَتْ الْأَمْسَ زَهُوراً زَاهِيَهُ  
 وَدَوَتْ أَوْرَاقُهَا وَالرَّهْرُ  
 وَحَمَتِهَا الْمَاءَ أَيْدٍ سَاقِيَهُ  
 فَطَغَى الشُّوكُ عَلَيْهَا وَالتُّرَابُ  
 أَنْعَمُوا التَّفْكِيرَ فِيهَا وَالنَّظْرُ

رَوْضَةُ الْبَيْتِ أَرَاهَا ذَاوِيَهُ  
 صَوَّخَتْ أَعْشَابُهَا وَالشَّجَرُ  
 صَدَفَتْ عَنْهَا عِيونٌ وَأَقِيَهُ  
 غَابَ بَسْتَانِيَّتُهَا دُونَ إِيَابِ  
 إِنَّهَا يَا قَوْمَنَا إِحْدَى الْكَبْرُ



هي أصل الداء أو أصل الدواء      نعمة الأقوام فيها والشقاء

\*\*\*

اعمروا بالخير هذا المسجدا      وابتغوا الخيرات فيه أبدا<sup>(١)</sup>  
اعمروا البيت وردوا والديه      واجعلوه حرماً يؤوى إليه  
نصّروا الرّوضة من إروائها      وابتغوا النّعمة في أفيائها  
أرجعوا الطير إلى أوكانها      ليشبّ الولد في أحضانها  
ألفوا الأحرف في كلماتها      وانظموا الأمة من أبياتها

\*\*\*

### تنافر الجماعة

إننا نبصر في كل مكان      حسرة الأنفس في هذا الزمان  
من وجوه مات فيها الحفر      وعيون حارّ فيها النظر  
يلعن الوجه أخاه نافرا      يبغيض الطرف أخاه ناظرا  
قطّعوا من بينهم كل سبب      هجر الناس حياءً وأدب  
ثورة تبصرها كل طريق      يتجلّى الهجر فيها والعقوق  
ليست الأمُّ بها أما ترى      لا ولا الوالدُ فيها عزراً  
لا ولا الأختُ لها حرمتها      من أخيها وقِدَتْ حسرتها  
لا صغيرٌ قد رعى حقَّ الكبير      أو كبيرٌ راحمٌ ضعف الصغير  
فنرى في قبورها أفعالها      تسمعُ الألفاظُ أصداءَ لها  
تلك فيضٌ من قلوبٍ في نفور      تقدحُ النيران منها في الصدور  
إنما الناس صلاحٌ وفساد      بالتثام أو شقاقٍ وعناد  
إننا نبصرُ أحاداً ولا      نبصرُ الحُبَّ بها متصلاً

(١) المسجد : هو الأسرة .

لم يؤلفها على النهج احتساب  
ومن الأعداد حباً وائتلاف  
ومن الأعداد رُحماً ووفاق  
فهي بغضٌ وشقاقٌ وفتن  
فاستقامت في طريق واحد  
وحسابٌ بالغ كل مراد  
وانظروا ما الجمع في آحادنا  
واجمعوا هذي الوجوه الشائره  
واجمعوا بالحب هذا البددا  
أطفئوا بالود هذا الضغنا

إنها الأعداد في غير حساب  
ومن الأعداد بغضٌ واختلاف  
ومن الأعداد حقدٌ وشقاق  
فإذا سارت على غير سنن  
وإذا ألفتها في قاعده  
فهي نظمٌ وائتلافٌ وأطراد  
فانظروا ما النظم في أعدادنا  
انظموا هذي القلوب النافره  
املؤوا الأنفس خيراً وهدي  
اغسلوا بالحب هذا الدرننا

\*\*\*

إنما الأهواء أسباب النوى  
إن للحق طريقاً واحده  
ما سوى الحق إليه نستجيب  
أشعروها الحق في أحضانها  
لا تزيغوا عن شمال أو يمين  
ليس إلا الحق للخير رفيق  
ومن الحب إلى الجمع المصير

ما ينال الحب يوماً بالهوى  
يجمع الحق نفوساً شارده  
ليس إلا الحق في جمع القلوب  
أرضعوها الحق في ألبانها  
واجعلوه قبله في كل حين  
ومن الحق إلى الخير طريق  
ومن الخير إلى الحب المسير

\*\*\*

كل حق من سناه يُشرق  
كل خير من جداه ينبع  
كل ينبوع إليه عائد  
باري بالحق كل العالمين  
بره في خلقه فيض عميم

لا يرى للحق إلا مشرق  
ليس للخيرات إلا منبع  
إنما للحب نهر واحد  
منبع الحق هو الحق المبين  
منبع الخير هو البر الرحيم

هو مولى للبرايا ووليها  
وانظروا الآيات من إحسانها  
وانظروا إبداعها في كل حين  
فيه قلب كسراج في ظلم  
ذلك الثور لرب العالمين  
فهو وحش همة سفك الدماء  
وبهذا القلب كون لا يحد  
من يعش في وسعة القلب خلد  
أو قوام فيه لحم ودماء  
ورجاء وجهاد وكفاح  
فيه أمر الله للخلق مبین  
إنه يكبر عن وزن وعد  
انظرون في القلب يوماً لتراه  
وحواه القلب ، هذا الخاتم  
كل ما أبصرت من أمر جليل  
من جلال وجمال وعبر  
كل ما حدث عن أبراره  
أو تجلي الله في الكون الكبير<sup>(١)</sup>  
هو خفق القلب يرمي بالشر  
فهو نار في دجاها وهو ثور  
واملؤوا الآفاق منه بالسنا  
ارفعوها عن معان خامده  
ومعان كلها نبت الثراب

منبع الحب هو الله العلي  
فأضيئوا النفس من إيمانها  
املؤوا الأنفس من نور اليقين  
إنما الإنسان من لحم ودم  
ذلك اللحم إلى ماء وطين  
فإذا أطفئ فيه ذا الضياء  
إن هذا الجسم ذو وزن وحد  
هالك من عاش في ضيق الجسد  
أنت في جسمك من طين وماء  
أنت في الروح حياة وطماح  
أنت في قلبك سر العالمين  
لا يحد القلب في الآفاق حد  
أيها الغافل عن سر الإله  
ضاق عن أمر الإله العالم  
كل ما أدركت من معنى جميل  
كل ما أوعاه تاريخ البشر  
كل ما سجد عن أخياره  
هو نور الله في القلب الصغير  
هو نبض القلب في الدنيا انتشر  
إنما الإيمان بالدنيا يدور  
فاجعلوا منه تباشير المنى  
ارفعوا الأنفس فيه صاعده  
عن متاع وطعام وشراب

(١) الكون الكبير : القلب .

لا رياشٌ ومتاعٌ للبلى  
وزنُه بين السورى مَبْتُهُ  
حلَّقنُ في جوّها مثل العقاب  
من لهذا الكونِ في يومٍ وغدٍ  
أبصر الإنسان يا قومي هوى

قيمة الإنسان قلبٌ لِلْعُلَى  
كلُّ ساعٍ قَذْرُه بغيثُه  
أيُّها القانع دوداً في ترابٍ  
أيُّها السادرُ في لهوٍ وَدَذُ  
أنقذوا الإنسان من هذا الردى

\*\*\*

ليكونَ الحقُّ فيه خُلُقاً  
أنت في الأرضِ عن الله وكيل  
قسم الأرزاق يوماً بيديك  
واحكمنُ بالعدلِ ما بين العباد  
وأزل من أرضنا هذا العناء  
وسلامٍ وودادٍ وإخاء  
وانعمنُ بالأمن في أفيائها  
واملأن بالخيرِ آفاقَ الدُّنا  
علِّم الإيثارَ والزهدَ الغني  
وهي في عينه لغوٌ وزيوف  
فعلتُ في الخيرِ أعلى عنده  
كلُّ ما ينفق منها مغنمُ  
لا تساوي ذلّةَ الحرِّ الأبى  
إنَّها الدُّرهمُ في كفِّ الكريم  
وهي عند العارفين الصَّدْفُ  
وسِعَ الأرضَ جميعاً والسَّماءُ  
آخذاً في الأرضِ كلَّ الثَّمراتِ  
رَبِّمَّا أوفى على آمادها

أيُّها المسلمُ يا من خُلِقاً  
انهضنُ يا صاح بالعبدِ الثَّقيلِ  
قد قضى الخلاقُ بالأمرِ إليك  
سَطَّرنُ بالحقِّ في هذي البلاد  
أنقذِ الإنسان من هذا الشَّقَاءِ  
املأ الأرضَ بحبِّ وصفاء  
واحكمنُ بالحقِّ في أرجائها  
واملأ الآفاقَ حقّاً وسَنّاً  
علِّم الإيمانَ والحقَّ العلي  
زهّد مَنْ يملك آلاف الألوف  
قولةً في الحقِّ أعلى عنده  
كلُّ ما يمسكُ منها درهمُ  
هذه الأموالُ جمعاً يا بني  
إنَّها اللبّةُ في عينِ الحكيم  
جوهرأ يحسبُ من لا يعرفُ  
إنَّما الجوهرَ قلبٌ قد أضاء  
لا يعافُ الحرُّ أكلَ الطَّيباتِ  
رَبِّمَّا استولى على أعدادها

رابعاً أو خاسراً لا يأبه  
فاكهاً في نعمة لا تفسده  
لا يُريغُ الرزاق فيها صاغراً  
مثل ما يُفزعُ من قد لُسعاً  
واستثار النار من عزمته  
وإذا الحلمُ ضرباً وطعان  
فارق الدنيا إلى غير إياب  
وحياة الحر في عزته

أخذاً أو معطياً لا يشوره  
عبء الدنيا ولا تستعبده  
حائماً للرزقِ صقراً طائراً  
فإذا شيمَ هواناً فزعا  
واستمداً العز من همته  
فإذا الماء لهيبٌ ودُخان  
وإذا سُددَ عليه كلُّ باب  
إن موت الحر في ذلته

\*\*\*

من بني ينبع شهيمٌ عربي  
في القرى من ينبع النخل الجميل  
اصطياد الطير فيهم وطير  
سابعاً في جوه قد خفقا  
وسمانى وضعوها في الشبك  
بل هوى هذا القضاء المنزل  
وثوى في حبله يرتبك  
عينه في اللوح لكن لا يطير  
ذلك الخفاق فيه أخفقا  
صاده بالختل صياد القضاء  
بدل الشباك من متن الرياح  
كيف يرضى في إسارٍ مطرحا؟  
لنرى الأجدل أنى يؤسر  
وإذا المهجة فيها سائله

قال لي شيخٌ وقورٌ المعني  
كنت يوماً في عيون ونخيل  
ومعي من أهل نجد نقر  
وإذا صقرٌ علينا حلقتنا  
أسرع الرفقة في نصب الشرك  
وهوى فانقض هذا الأجدل  
فطوى سقطيه هذا المهلك  
وأتى الصياد للطير الأسير  
سابعُ الجو بخيطة علقنا  
ذلك الصياد في جو السماء  
قاهرُ الجو بعزم وجناح  
ضاقت الأجواء عنه مسرحا  
ثم قال الشيخ جئنا ننظر  
فإذا دمعاً عينٍ هامله

ذا يسمّى « الحُرّ » من بين الصُّقور  
 فكِنِ الصَّقْرُ الأبَيِّ العَالِيَا  
 واحذرنُ يَا حُرُّ هذِي التَّهْلِكَةَ  
 إِنَّهَا مَعْرَكَةٌ لَلأَبْطَنِ  
 فِي وَغَاهَا كَلَّ حَزْمٌ ضِيْعَا  
 لَا تَغْرَنُكَ مَرَايَا بَارِقِهِ  
 إِنَّهَا رَأْسٌ بِلَا قَلْبٍ يَسِيرِ  
 قَدْ أَضَلَّ الغَيِّ هذِي الأَمَمَا  
 فدعَاهَا فِي ظَلَامٍ تَصْطَدِمُ  
 لَا يَطِيقُ الأَسْرُ مِنْ بَيْنِ الطَّيُورِ<sup>(١)</sup>  
 وَكِنِ الحُرُّ الكَرِيمِ الأَيَا  
 احذرنُ مِنْ حَوْضِ هذِي المَعْرَكَةَ  
 ضَلَّ فِي وَغَاثِهَا ذُو الفِطْنِ  
 غَابَ عَنْهَا العَقْلُ وَالقَلْبُ مَعَا  
 وَفَنُونٌ وَعَلُومٌ خَارِقِهِ  
 إِنَّهَا هَزْجٌ وَمَزْجٌ وَسَعِيرِ  
 فَتَوَى إبْلِيسَ فِيهَا حَكْمَا  
 وَرَمَاهَا فِي ضَلَالٍ تَحْتَدِمُ

\*\*\*

### الشيوعية

أحدثُ الدَّعَوَاتِ فِي هذِي الأُمَّمِ  
 تَعَدُّ الإِنْسَانَ بِالمَرَعَى الخَصِيبِ  
 تَعَدُّ الإِنْسَانَ أَعْشَابَ الرِّبْعِ  
 يُوْعَدُّ المَرَعَى وَلَا شَيْءَ لَهُ  
 لَيْسَ يَرْغُو سَرْبُهُمْ : أَيْنَ المَسِيرِ  
 وَيَتَمُّ الشُّبُهَةَ فِيهِ بِالمَغْنَمِ  
 كَفَرُهُ بِاللهِ وَالخَيْرِ وَمَا  
 وَضِياعُ البَيْتِ مِنْهُ وَالرَّجْمِ  
 كَافِرٌ بِاللهِ لَا بِالمَوْتِ  
 يَبْصُرُ الظُّلْمَةَ عِنْدَ الصَّنَمِ  
 تَسْلُكُ الإِنْسَانَ فِي سِلْكِ المَغْنَمِ  
 فِيهِ عُشْبٌ وَرُغَاءٌ وَنَيْبِ  
 ثُمَّ عَيْشٌ مِثْلُ مَا عَاشَ القَطِيعِ  
 وَعَصَا الرِّاعِي تَرْبِهِ أَكْلَهُ  
 لا ، وَلَا يَنْغُو إِلَى أَيْنَ المَصِيرِ  
 قَطَعَهُ عَنِ مَنبَعِ الخَيْرِ العَمِمِ  
 فِيهِ إِنْسانٌ عَنِ العُجْمِ سَمَا  
 وَحَنانِ القَلْبِ مِنْ أختِ وَأُمِ  
 كَافِرٌ بِالمَوْتِ لَا بِالمَغْنَمِ  
 عَنِ ضِيَاءِ اللهِ وَالحَقِّ عَمِي

(١) الحُرُّ : نوع من الصقور قل أن يعيش بعد إمساكه .

لا يساوي عنده مكيالَ حَبِّ  
لا يساوي عنده كَفًّا شعير  
أنعموا التفكيرَ يا أهلَ النَّهْيِ  
كُلُّ ما في البيت من وُدِّ وحبِّ  
كُلُّ ما يدعو أناسٌ بالشعور  
ذاكُمُ السَّيْرُ وهذا المنتهى

\*\*\*

## إقبال

بَيْنَ الإقبالِ مِنْ سِرِّ الحياه  
بَيْنَ الإقبالِ مِنْ سِيرِ الزَّمانِ  
بَثًّا في النفسِ كلاماً مِنْ شَرِّرٍ  
فتفتت نظراته كلَّ حجاب  
ضاقَتِ الأفاقُ عن نظراته  
وَصَلَّتْهُ نَفْحَةٌ مِنْ رَبِّهِ  
قد ثوى في قلبه كلُّ الجهات  
سال في أَلحانه دمْعٌ ودمٌ  
وأزال السُّترَ عن نورِ النجاه  
وأفاضَ الثُّورَ من هدي القرآن  
منه عشقُ الحقِّ في القلبِ استعر  
فرأى الدَّوْحَةَ من تحت الثُّراب  
ضجَّتِ الأفلاكُ من أناته  
فتجلَّى نورُه في قلبه  
واستوى في فكره ماضٍ وآتٍ  
والتقى الماءُ عليها والضَّرم

\*\*\*

يا بَرودَ القلبِ خذْ مِنْ نارِهِ  
يا مواتِ القلبِ خذْ مِنْ رجعه<sup>(١)</sup>  
يا صغيرَ الهَمِّ خذْ مِنْ هَمَّتِهِ  
يا أسيرَ اليأسِ خذْ آماله  
أيُّها المسلم صعد في السماء  
وخذِ الإقدامَ منه والطَّماحَ  
فالحياةُ الحقُّ في أشعاره  
يا جمودَ العينِ خذْ مِنْ دَمْعِهِ  
يا كليلَ العزمِ خذْ مِنْ عزمته  
في دجى اليأسِ أئِزْ أقواله  
وابلغني في جوِّها أعلى العلاء  
وجناحاً قاهرأ هُوجَ الرِّياح

(١) الرَّجْعُ : المطر ، كماء ، جاء في القرآن .

ذا جلالُ الدِّينِ مِنْ خَلْفِ العُصُورِ      قد أتى في شِعْرِهِ نازُّ ونورٌ<sup>(١)</sup>  
 إنَّه الإسلامُ في عَزَّتِهِ      إنَّه الإيمانُ في قوَّتِهِ  
 إنَّه القرآنُ في أنوارِهِ      إنَّه الفرقانُ في أسرارِهِ

\*\*\*

بلُغِي يا رِيحُ في شَطِّ النَّوَى      أدمعي قِبراً بِلَاهُورِ ثَوَى  
 وامنضِ يا برقِ بوجدي وهيامي      أبلغنُ قِبراً بِلَاهُورِ سَلَامِي  
 إنَّ : إقبالاً بِلَاهُورِ أقام      رحمَةُ اللهِ عليه والسَّلَام

\*\*\*

### دعاء

فالقُ الإصباحِ رَبِّ المشرقينِ      باسطُ الليلِ وربُّ المغربينِ !  
 أنت في الصُّبحِ ضياءٌ في جمال      أنت في الليلِ ضياءٌ في جلال  
 ناشِرَ الشَّمسِ خِضَمًا من ضياء      طاوي الذَّرَّةَ شمساً في خفاء  
 أنت نورٌ في ظهورِ وجلاء      أنت نورٌ في حجابِ وخفاء  
 يا جليساً في دُجى أستاره      يا خفياً في ضُحى أنواره  
 يا أنيساً في قلوبِ العارفينِ      وحياءاً لقلوبِ الغافلينِ  
 يا ضياءَ العينِ في النورِ العمم      وضياءَ القلبِ في داجي الظُّلم  
 قربُك المؤمنسِ في هذي القفار      هديك المنقذِ في هذي البحار  
 ناظمَ الكونِ البليغِ المبدعا      محسناً مطلعَه والمقطعا  
 خلُقك الألفاظُ فيه وافيهِ      أمرُك الوزنُ له والقافيهِ<sup>(٢)</sup>  
 كلُّ لفظٍ فيه نُظَّارٌ إليك      كلُّ معنى فيه برهانٌ عليك

(١) مولانا جلال الدين الرومي ، والشاعر يعترف باقتدائه به .

(٢) في القرآن الكريم : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [ الأعراف : ٥٤ ] .



طالبٌ إِيَّاكَ سَاعِ حَائِرُ  
يُكشِفُ الأَسْتارَ يبغي وجهكَا  
في الـدياجي منك نورٌ بارق  
خفُّه ذكْرٌ وشوقٌ وحينين

منك هذا العقلُ ، هذا الثَّائِرُ  
جاوز الأفلاك يسعى نحوكَا  
منك هذا القلبُ ، هذا الخافقُ  
ذاكِرٌ إِيَّاكَ راجٍ كلَّ حين

\*\*\*

يُضدِّعُ الباطلَ حقّاً صائبَا  
واحبُّني التوفيقَ في كلِّ مراد  
واحفظنهُ من شقاقٍ ومِراء  
وجناني فيه عضباً ماضيا  
هوئنُ في عين قلبي ما عداه  
واحبه بالعلم عقلاً بارقا  
واهده ربُّ الصراطِ المستقيم  
قاضيّاً بالعدلِ إمّا حكما  
هادياً للخير لا يسعى لِشَر

اجعلن عقلي ضياءً ثاقبَا  
واشددن فكري بصدقٍ وسداد  
واملأن قلبي بحبِّ وصفاء  
وازفَعن في الحق صوتي عاليا  
واجعلن وجهك قصدي لا سواه  
وامنح المسلم قلباً خافقا  
امنحنهُ العقلَ والقلبَ السَّليم  
واجعلنهُ في البرايا حكما  
اجعلنهُ قائداً بين البشر

\*\*\*

أنجِين من بغيها هذي الأمم  
حينما أمر عقلاً كفرا  
واجعل القلب عليه أمرا  
إنك الداعي إلى دار السلام<sup>(١)(٢)</sup>

أنقذ الإنسان من هذي العُمم  
هدم الإنسان ما قد عمرا  
فاهد بالإيمان عقلاً حائرا  
أذكرك النَّاسَ بحبِّ ووئام

\*\*\*

(١) في القرآن الكريم : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ [يونس : ٢٥] .

(٢) تمت الترجمة عشية يوم الجمعة السابع من رجب سنة ١٣٧٠ من الهجرة ، في مدينة كراچی . والله الحمد أولاً وآخراً ﴿ سُبْحَانَكَ لَا إِلَهَ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

[البقرة : ٣٢] . المترجم الدكتور عبد الوهاب عزام .

الدِّيَّوَانُ الرَّابِعُ

زُبُورُ الْعَجْمِ

نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ شِعْرًا  
الدُّكْتُورُ حَسِينُ مَجِيْبِ الْمَصْرِيِّ



هذا الديوان - في الأصل - جزءٌ هو أشبه بالفصل ، ترتيبه قبل الأخير في الديوان ، عنوانه : « زبور العجم » .

وليس من التزويد وتجاوز الحد قولنا : إنه على لطافة حجمه يستغرق جمهرة أفكار محمد إقبال في عموم وشمول ، ويكشف النقاب عن وجه الحقائق التي أوماً إليها الشاعر ، ويوضح على نحوٍ دقيق عميق قيماً ومثلاً كان حاثاً عليها موجباً للأخذ بها ، كما يجري عليه صفاته ويميزه بسماته مفكراً ، يغوص على الجوهر منصرفاً عن المظهر ، في دعوةٍ بلغت من الجرأة مداها ، يتمسك صاحبها فيها التمسك الشديد العنيد بمذهبه الجديد ، ضارباً صفحاً عن معروف القوم ومألوفهم في العصور الخوالي ، وإن كان في نظرهم مقدساً من تراثهم .

## محتوى الديوان

يحتوي أصل الديوان على أربعة أقسام :

القسم الأول : فيه دعاء ، وست وستون قطعةً أكثرها بدون عنوان .

القسم الثاني : فيه خمسٌ وسبعون قطعةً تقلُّ فيها العناوين أيضاً .

القسم الثالث : ( الذي هو بين أيديكم ) هو بعنوان « حديقة السرِّ الجديد »

(كلشن رازجديد) وهو على طريقة «كلشن راز» .

أخرجه الشاعر عام ١٩٢٩م ساجلاً به كتاباً لصوفي من أهل القرن السابع

وأوائل الثامن هو الشيخ محمود الشبستري ، عنوانه روضة السرِّ (كلشن راز) ،

ألّفه الشيخ الشبستري إجابة لأسئلة في التصوّف أرسلها إليه بعض الصّوفية ،

ولهذا سماه الشاعر - محمد إقبال - « روضة السر الجديد » (كلشن راز جديد)

وفيه يُجيب عن تسعة أسئلة فيها رقائق فلسفيّة وصوفيّة .

القسم الرابع : كتاب العبودية ، ويبيّن فيه الشاعر آثار العبودية في الحياة  
والفنون الجميلة على مذهبه المعروف .

وإليكم الآن القسم الثالث من هذا الديوان الذي نقله من الفارسية إلى العربية  
شعراً الأستاذ حسين مجيب المصري :

لك عينٌ ، نظراً فيها خلقت لك نفسٌ ، ولها دُنْيَا خلقت  
نامَ هذا الشَّرْقُ لا يرعاه نَجْمٌ بنشيد العَيْشِ فجرأً قد خلقت<sup>(١)</sup>

\*\*\*

### تمهيداً

خبأ في الشَّرْقِ ذِيكَ اللّهِيبَ فأين الرُّوحُ بل أين الوجيب<sup>(٢)</sup>  
وأضحى صورةً ترنو إليها وما للعيش من ذوقٍ لديها<sup>(٣)</sup>  
يجافي قلبه طيفاً الأمانى ويُسكت نايه رجعُ الأغاني<sup>(٤)</sup>  
عن المقصود من قولي أبنتُ على سفرٍ لمحمودٍ أجبثُ  
توالت بَعْدَ ذا الشيخِ العهود وما لِلنَّارِ في روحٍ وقود<sup>(٥)</sup>  
لنا كَفَنٌ ونَزَقْدُ في ثرانا قيامُ البعثِ يوماً ما عنانا<sup>(٦)</sup>  
وفي تبريزَ عينٌ للحكيم رأثَ آثارَ جنكيزَ الظَّلوم<sup>(٧)</sup>

(١) رعى النجم : راقبه ، وانتظره . وفي الأصل أنَّ الشرق نام مستراً عن النجم .

(٢) خبت النار : انطفأت . الوجيب : خفقان القلب .

(٣) يرنو : ينظر في سكون ودوام . الذوق : نورٌ يلقيه الله في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل .

(٤) يجافي : ضد يواصل ويؤانس . الرجع : الصدى .

(٥) أبان : أفصح وبين . والسفر : الكتاب . والإشارة إلى كتاب گلشن راز لمحمود الشبستري الذي نظم الشاعر منظومته تلك في الرد عليه . وقادت النار وقوداً : اشتعلت .

(٦) الإشارة في قيام البعث إلى تحرك الهمم إلى العمل على ما فيه صلاح الدنيا والآخرة . عنانا : أهمنا .

(٧) تبريز : مدينة في شمال إيران ينسب إليها الشبستري . وإقبال يذكر ما ماج به عهد المغول من جسام الخطوب ، وقد عاصر الشبستري هولوكو ، فذكر چنكيز على سبيل المجاز .

ولكن ثورةً أخرى وَجَدْتُ  
 رفعتُ أنا عن المعنى التُّقَابَا  
 أَلَسْتَ ترى بلا كأسِ خُمَارِي  
 وكلُّ الخَيْرِ فيمن قال تَعَدَمُ  
 فما أشتاقُ داراً للحبيب  
 ترابي ليس من هذا الممر  
 لقد صافيتُ جبريلَ الأَمِينَا  
 بفقري كان لي مالُ الكلِيمِ  
 وما الصَّحراءُ تحويني تُرابَا  
 زُجاجي منه ترتعد الصُّخُورُ  
 هي الأقدارُ تكمنُ خلفِ ستري  
 بذاتي برهةً ها قد خلوتُ  
 وليس العازُّ من شعري عليا

وشمسٌ غير هذي ما شهدتُ  
 جعلتُ الشَّمْسَ ما كان الترابَا  
 وليس لشاعرٍ غيري شعاري<sup>(١)</sup>  
 بأنِّي شاعرٌ يا صاح فافهم<sup>(٢)</sup>  
 وما في القلب من وَجِدٍ مَذِيبِ  
 وفيه القلبُ لا يشقى بأسر  
 عَدُوًّا لا أشاهدُ لي مِينَا<sup>(٣)</sup>  
 وجاهُ الملكِ في سَمَلِ العديمِ<sup>(٤)</sup>  
 ولا الدَّماءُ تطويني عُبابَا<sup>(٥)</sup>  
 وأفكاري بلا شَطِّ بُحُورِ  
 قياماتٍ أقمتُ بمحضِ أمري  
 بدنيا الخُلْدِ أخلقها بدوت  
 فللعطار لن تجدِ السَّمِيًّا<sup>(٦)</sup>

(١) الخمار : صداع السكر . يقول : إنَّ مذهبه مخالف لمذهب غيره من الشعراء .

(٢) عدم الشيء : لم يجده . يا صاح : يا صاحبي ، حذف آخره للترخيم . وكأنما إقبال يكره أن يعدَّ شاعراً .

(٣) العدو المبين : الشديد العداوة .

(٤) الكلِيم : موسى عليه السلام . وظاهر أنَّ الإشارة إلى قوله تعالى في سورة القصص : ﴿ فَكَلَّمْنَا رَبِّي إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [ القصص : ٢٤ ] وقد أراد موسى أنه فقير الدنيا لأجل ما أنزل الله إليه من خير الدين وهو النجاة لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة ، وقال ذلك وهو راضي بهذا البدل ، وفرحاً به وشاكراً له ، والفقير عند الصوفية من مقاماتهم . وهو ليس فقداً الغنى ، بل فقدان الرغبة فيه والميل إليه ويؤثر عنهم قولهم (الفقير فخري) . السَّمَل : الثوب البالي . العديم : الفقير .

(٥) الدَّماء : البحر . والعباب : الموج .

(٦) العطار : هو الشاعر الفارسي الصُّوفي « فريد الدين العطار » من أهل القرن السادس الهجري . وله منظومة بعنوان منطق الطير ، يصور فيها فناء الصُّوفي في الذات =

صراعٌ ، لا أرى غَيْرَ البقاء  
 ففيه نفختُ من روعي ديبياً<sup>(١)</sup>  
 دجاكُ أنير بمصباحي المنير<sup>(٢)</sup>  
 كلوحِ خطِّه ما في سواه<sup>(٣)</sup>  
 وهذا كُلُّه من وارداتي<sup>(٤)</sup>  
 منحت الشرقَ منه في النهاية  
 أنارَ لنا بلمحٍ من سناه<sup>(٥)</sup>  
 وحالُ القلبِ بينَ في كلامه  
 ولكنْ ما حوى القلبُ العميد<sup>(٦)</sup>  
 لذتُ شكاةَ قلبٍ لي شجي<sup>(٧)</sup>  
 إذا ما ذابَ أو أمسى دُموعاً !

بروحي للحياة مع الفناء  
 رأيتُ ثراكَ عن روحٍ غريباً  
 ولي في القلبِ وهاجُ السَّعير  
 وذاك القلبُ حبُّ في ثراه  
 وذوقِ الذَّاتِ شهدٌ في لهاتي  
 لقد جربت ذلكَ في البدايه  
 وجبريلُ كتابي إن رآه  
 لرَّبِّي ظل يشكو من مقامه  
 جلاءٌ للتَّجَلِّي لا أريد  
 كفتُ عن الوصالِ السَّرمدي  
 غرورَ المرءِ هبني والخضوعاً

## السؤال الأول

وقفتُ حيالَ فكري في التحيرُ فما مفهوم ما يُدعى التفكُّرُ

- = الإلهية . وكأنما يريد إقبال ليقول : إنَّ شعره في تصوير مذهبه مغاير لشعر العطار .  
 السَّميُّ : النظر هنا .
- (١) الدبيب : دبُّ الشراب والسُّقم في الجسم ديبياً : سري ، وكأنه مشى .  
 (٢) السعير الوهاج : النار المتأججة المضيئة .  
 (٣) يشبه قلبه باللوح الذي كتب فيه . غير أنَّ ما يحويه مخالفٌ لما يحوي غيره .  
 (٤) اللهاة : لحمة في الحلق . الواردات : ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمُّد من الإنسان .  
 (٥) السنأ : الضوء . وقد صرفنا المعنى عن أصله بعض الشيء في ترجمة هذا البيت خشية فهم المبالغة فيه على ظاهرها .  
 (٦) العميد : من هدَّه العشق .  
 (٧) السَّرمديُّ : الخالد . والشَّجِيُّ : الحزين .



طريق شزطها من أي فكر؟ نطيعُ الله ثم نكادُ نكفر!

## الجواب

بَصْدِرِ الْمَرْءِ مَنَّا أَيُّ نَسور  
بدا لي الثَّابِتُ السَّيَّارُ جَهْرَةً  
وفيه النَّارُ حيناً من دليـل  
بهذا الثُّورِ لِلرُّوحِ الشُّرُوقِ  
بمَسِّ التُّرْبِ يَنأى عن مَكَانِ  
وما بَتَرْدُدِ الأَنفَاسِ يَبقى  
ويهنأ في الشَّوْاطِئِ بِالمَقَامِ  
عصا موسى وهذا كان بحرّه  
غزاًلٌ ، وهو يرعى في السَّماءِ  
له في الأَرْضِ وَالزَّرْقَا مَقَرِ  
ومن أحواله ظلمٌ ونور  
لإِبْلِيسَ وَأَدَمَ مَنْسُهُ مَظْهَرِ

عجيبٌ ، غيُّه عَيْنَ الحَضُورِ  
أراه النَّارُ أو نوراً بِنَظَرِهِ<sup>(١)</sup>  
وَيَسْطَعُ نورُهُ مِنْ جِبْرِئِيلِ  
شعاعٌ منه شمساً قد يفوق  
بقيدِ اليَومِ يَخْرُجُ مِنْ زَمَانِ<sup>(٢)</sup>  
دؤوباً مثله في البَحْثِ تَلقى؟  
يعبُّ البَحْرَ أحياناً بِجَامِ<sup>(٣)</sup>  
وَقَدْ ضُرِبَتْ فَشَقَّتْ مِنْهُ صَدْرَهُ  
وَيُزَوِّى مِنْ مَجْرَتِهَا بِماءِ<sup>(٤)</sup>  
وحيداً بين قافلةٍ يَمُرُ<sup>(٥)</sup>  
وجناتٌ وموتٌ ثمَّ ضُورِ  
وَيَكْمُنُ تَحْتَهُ لا شَكَّ مَخْبَرِ<sup>(٦)</sup>

(١) جهرة : عياناً . أو : بمعنى الواو .

(٢) التراب : الثُّراب . اليوم : المراد به هنا مرور الليل والنهار .

(٣) عب الماء : شربه بلا تنفس ، والجام : الكأس .

(٤) المجرة : نجوم تسمى حاملة التبن أو نائرتة في الفارسية ، والطريق اللبنية في الإنجليزية ؛ لأنها تشبه طريقاً يتناثر فيه التبن ، كما شبهت في الشعر الفارسي والعربي بالنَّهْرِ .

(٥) الزرقاء : السماء .

(٦) يشير إلى أن إبليس مخلوق من نار وهو يجسد الفكر ، أمّا آدم وهو يجسد الروح فإنه بالإلهام انعكاس للنور الإلهي .

إليه العينُ في شوقٍ شديد  
 بعينِ خلوةٍ ها قد رآها  
 حرامٌ عَضْبُ عَيْنٍ بامتهان  
 وذاك البحرُ يخلقه بنهره  
 فيبدو صورةً ليست لجنسه  
 هياجٌ فيه منعدمٌ صداه  
 وهذي كأسه تحوي الزمانا  
 حياةً منه بالأوهاق تُرمى  
 ولكنْ نَفْسَهَا أسرث بذلك  
 وأنتَ العالمينَ إذا غزوتنا  
 وهذا البحثُ في القفر احذرته  
 ضعيفٌ؟ خذْ من الذَّاتِ قوى  
 بغزو الذَّاتِ إنْ يوماً ظفرتنا  
 لكِ الدُّنيا ، ليسعد يومُ نصرِك  
 جعلتِ البدر يسجدُ في هوانٍ

تجلُّ منه إعجابُ الحميد<sup>(١)</sup>  
 تجلُّ عينه الأخرى ملاحا<sup>(٢)</sup>  
 فشرطٌ للطَّريق ، له اثنتان  
 ويُصبح جوهراً في مستقره  
 وغواصاً يصير للقط نفسه !  
 له لونٌ ، وما أحدٌ رآه  
 وبالتدرج نُدركه عيانا  
 ومنْ يعلو ولا يعلو لتُسمى<sup>(٣)</sup>  
 وغيرَ اللهِ أوردتِ المهالك<sup>(٤)</sup>  
 فَوَخَدَكِ من هلاكٍ قد نجوتنا<sup>(٥)</sup>  
 عليكِ بعالمٍ فيك ادخلته  
 تريدُ اللهَ؟ قرَّبها ، لذاكا  
 لكِ الآفاقُ في ملكٍ وجدتا  
 سماءٌ قد شَقَّقتَ فتَهُ بِقَدْرِك  
 عليه رميتِ أوهاق الدُّخان<sup>(٦)</sup>

(١) تصرفنا بعض الشيء في ترجمة هذا البيت كراهية فهم المبالغة فيه على ظاهرها ، والحميد : هو الله تبارك وتعالى .

(٢) ملاحا : ملاحا .

(٣) الأوهاق : جمع وهق وهو حبل ذو أنشطة يطرح في عنق الحيوان أو الإنسان ليؤخذ به . ويصمى : يقتل .

(٤) غير الله : ترجمة ماسوا في الفارسية أي ماسوى الله . وفي هذا إشارة إلى طلب الوجدانية والانصراف عن التعدد إلى الواحد .

(٥) يريد بالعالمين عالم الطبيعة وعالم الذَّات .

(٦) الأوهاق : تقدَّم شرحها .

بهذا الدَّيرِ حراً قد أقتما  
من الدُّنيا بملك كلِّ حذفوز  
وتنقصه وأنتَ تزيدُ فيه  
بِقَطْعِكَ عَنْهُ قَلْبِكَ كُلَّ قَطْعِ  
وإبطالِ الطَّلسم لسحرِ تسع<sup>(٣)</sup>  
فَقَمَّحَكَ فَضَّلَنْ عَلَى شَعِيرِهِ  
وهذا الملكُ ، والملكُ العظيم  
وأصناماً كما تهوى نحتاً<sup>(١)</sup>  
مقامَ الصَّوتِ والألوانِ والنُّوز<sup>(٢)</sup>  
تغيُّره على ما تشتهيهِه<sup>(٣)</sup>  
وتوءمه هو الدِّين القويم<sup>(٥)</sup>

## السُّؤال الثَّاني

وعلم كان ساحلٌ أيُّ بحر؟ بعيدِ القاع يُخرجُ أيُّ درّ

## الجواب

حياةً ، يالها بحراً يمور  
عميقٌ موجُّه أبداً يُميد  
عُبابٌ فيه قد عَدِمَ القارارا  
وساحله الفطانة والشُّعور<sup>(٦)</sup>  
وفي الشُّطآن أطوادٌ وييد<sup>(٧)</sup>  
فلا تسأل ، على شطِّ أغارا<sup>(٨)</sup>

- (١) الدَّير القديم : من أسماء الدُّنيا في الشُّعر الفارسي .
- (٢) الحذفوز : الجانب . وجمعه حذفير . يقال : ذكره بحذافيره ؛ أي بجميع جوانبه ، وتفصيله .
- (٣) يريد العالم .
- (٤) الطلسم : كتابة للسحرة . والتسع هي السموات السبع .
- (٥) في رأي إقبال أنَّ الملك ينبغي أن يقوم على أساسٍ من الدين أي : الدِّين الحنيف .
- (٦) الفطانة : الإدراك ، والفهم .
- (٧) يميد : يضطرب . الشُّطآن : جمع شاطيء . الأطواد : جمع طود وهو الجبل . والبيد : جمع بيداء وهي الصحراء .
- (٨) العباب : الموج .

روى الصَّحراءَ منقطعاً عن اليَمِّ  
 وما تلقاه جاء إلى حضوره  
 بخلوته انتشى كرة الرِّفِيقا  
 ويظهر أولاً للمستتير  
 وقربه من الدُّنيا الشعورُ  
 بدا بالعقل مرفوع النُّقاب  
 وفي دنياه ليس له مُقام  
 ترى الدُّنيا ولكن ليس فيكما  
 من الأزهار دنيا اللون طاقه  
 طريق القلب سرى إليها  
 إذا أغمضت عنها العين هانت  
 برؤيتنا لدنيانا النَّماء  
 ومنظورٌ وناظرٌ غورٍ سرٌّ  
 أنا المشهودُ يا مَنْ أنت تُشهدُ

أفاد العين معنى الكَيْفِ والكمِّ<sup>(١)</sup>  
 ينيرُ بفضل فيضٍ من شعوره<sup>(٢)</sup>  
 بقلب الكائناتِ بدا شروقا<sup>(٣)</sup>  
 بمرآة ليؤخذ كالأسير  
 فأدرك سرّها وهو الخبير  
 ولكن قد تعرّى بالخطاب  
 من الدُّنيا له هذا المقام<sup>(٤)</sup>  
 بما تحويه فلتدع الشُّكوكا  
 نُقيدها ، لها منّا انطلاقه<sup>(٥)</sup>  
 ويثني كلُّ مخلوق عليها  
 وإلا البحرَ والأطوادَ كانت<sup>(٦)</sup>  
 بنا لغصونها هذا العلاء  
 تَصْرُغُ قلبِ ذراتٍ لأمر  
 لتجعلني ، فبالنظراتِ أوجد<sup>(٧)</sup>

- (١) اليَمِّ : البحر .
- (٢) الحضور في الاصطلاح : حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبي كالحكم العيني .
- (٣) انتشى : سكر . والمراد أنه طاب نفساً بعزله .
- (٤) المقام : بضم الميم الإقامة . وافتحها الرياضة الروحية عند الصوفية التي توجه سلوكهم ، وهي من الأمور المكتسبة الاجتهادية وتخضع للإرادة . وقالوا : إنَّ المقام هو القيام أو موضع قيام العبد في طريق الحق . ومن مقامات الصوفية التوبة ، والورع ، والزهد ، والفقر ، والصبر ، والتوكل ، والرِّضا .
- (٥) طاقة الزهر : ما يجمع منه في حزمة . يقول : إنَّ العالم الخارجي خليطٌ من ألوان وأشكال وروائح . ونحن نقيّد هذا العالم ونخضعه لنظام معين .
- (٦) الأطواد : تقدم شرحها .
- (٧) الإشارة هنا إلى الخلاف بين الواقعية والمثالية .

وذاثُ الشيءُ تَكْمُلُ بالوجود  
فليس زوالها بالبعد عَنَّا  
تَجَلِّينَا به الدُّنْيَا تكون  
ومنها العونُ في الأواءِ جَرَّبُ  
وأَيِّقُنْ أَنَّ آسَادَ الفلَاةِ  
تعيْنِك ، أنتَ تلكَ الذَّاتُ فاعرف  
وعالمُ كثرةِ بالعقلِ شاهدُ  
ومن رِيحِ القميصِ فتلُ نصيبا  
وذاثك نَيْرينَ بها تصيدُ

(١) إقبال لا ينكر الوجود ، بل ما يبدو من مظاهر الموجودات ، وهو يؤكد أثر العقل على ما يقع تحت الحسن ، ويشير إلى أَنَّ العالم يحمل طابع الإنسان عليه .

(٢) الأواء : الشدة .

(٣) هذا مذكور بقوله تعالى في سورة النمل : ﴿ وَحِثْرَ لِسْتَيْمَنَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ١٧ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُم لَّا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٨ فَنَبَسَهُ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِلَّةً لِّرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [ النمل : ١٧ - ١٩ ] فلما رأت النملة جنود سليمان فرت منهم فتبعها غيرها وصاحت محذرةً منبهةً . وهذا منها شبيه بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم وكأنها بذلك أنجت النمل كما أنجت جنود سليمان من ظلم كادوا يرتكبونه وهم لا يشعرون وهو سحق تلك النمل ، فعجب سليمان لها على ضعفها كيف كانت سبباً في نجات جنوده من ظلمهم النمل من هلاكها . آسَادُ الفلَاةِ : أسود الصحراء . وهم هنا جنود سليمان .

(٤) إِنَّ النظر في هذا الكون بكلِّ ما وسعَ أولُ دليلٍ على قدرة الواحد تبارك وتعالى .

(٥) قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ أَذْهَبُوا بِقِصِي هَذَا فَالْقُوَّةُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي بَاتٍ بَصِيرًا وَأَنزِلْ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ يوسف : ٩٣ ] وقد أرسل قميص يوسف من مصر إلى أرض كنعان ، ووجد فيه يعقوب رائحة يوسف ، فارتدَّ إليه بصره . الريح : الرائحة . تنسم : شم .

(٦) المراد بالنيرين الشمس والقمر .

وتلك الذّات في دنياك أضرم بغزوك ما ترى أو غاب حطّم<sup>(١)</sup>

\*\*\*

### السؤال الثالث

يقال لممكن صلة بواجب وما بعدُ وقربُ يا مخاطب؟<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

### الجواب

وهذا العالمَ الفاني فجذّد      وعقلَ كيفه والكمّ قيّد  
لإقليدس وطوسيّ أراه      وعقل قاس أرضاً قد كفاه<sup>(٣)</sup>  
وليس حقيقةً فيه الزّمانُ      ولا أرضٌ ولا حتّى المكانُ  
أقم هدفاً لترشقَ بالسّهام      وما المعراجُ فافهم من كلامي<sup>(٤)</sup>  
أتحوي مطلقاً دنيا الجزاء      وليس سوى ضياءٍ للسماء<sup>(٥)</sup>

(١) في الأصل المكان واللامكان أي هذا العالم والعالم الآخر . يرى إقبال أننا لا نتجاوز عالمنا بالعقل ، ولكننا نبغ العالم الثاني بالزّوج الملهمة . وتسمى هذي القوّة الروحية سلطاناً .

(٢) في الأصل : القرب والبعد والكثير والقليل .

(٣) هو إقليدس الذي علم الهندسة في الإسكندرية على عهد بطليموس ووضع مبادئ علم الهندسة السّطحية . والطوسي : هو نصير الدين الطوسي فلكي رياضي ، كان معقود الصلة ببلاد هولانكو . وقد شرح كتاب الأصول لإقليدس .

(٤) رشقه بالسهم : رماه به .

(٥) في الأصل دير المكافاة . والدير في الشعر الفارسي يطلق على الدّنيا . يشير إلى قوله تعالى في سورة النور ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [ النور : ٣٥ ] وعند إقبال أنّ النور أقرب شيء إلى المطلق .

وما لحقيقة زمنٌ وحَدٌ لها حدٌ ولكن ليس يظهرُ وليس بباطنٍ أيُّ ارتفاع إلى أبدٍ لعقلٍ ما السبيل؟ وأعرجُ كان ، بغيته الشكون ومزقنا الحقيقة في يدنا وفي غير المكانِ رأى مكانا زمانٌ ما بدالي في الضمير يمرُّ العام ، ما ساوى الشعيرا لذاتك عُد ، تَخَلَّص من هدير وفصلُ الجسمِ عَنْ رُوحِ كلامٍ وتخفي الرُّوحُ سرَّ الكائنات

فكيف تريدُ دنيا لا تحداً ! ولا يخفى بها ما كان أكثر<sup>(١)</sup> ويقبلُ ظاهرٌ كلَّ اتِّساع<sup>(٢)</sup> فواحدُه كثيرٌ ، والقليل على القشر اللبابُ له يكون<sup>(٣)</sup> مظاهِرَ للفوارقِ ما رأينا وكالزُّنارِ يتخذُ الزمانا<sup>(٤)</sup> خلقت الوقت يمضي بالشهور<sup>(٥)</sup> بآية ﴿ كم لبثتم ﴾ كن بصيرا<sup>(٦)</sup> ونفْسَك ألتي في قاع الضمير<sup>(٧)</sup> فتفرقةً وتمييزٌ حرام وهذا الجسمُ حالٌ للحياة

- (١) في الأصل أنَّ حدها في داخلها لا في خارجها وليس في داخلها منخفضٌ ولا مرتفع ولا قليلٌ ولا كثيرٌ .
- (٢) يذهب إقبال إلى أنَّ الزمان والمكان مما يقيس به العقل عالم الطبيعة إلا أن العقل يعجز عن إدراك المطلق ؛ لأنه يربط الواحد بغيره والقليل بالكثير .
- (٣) كان هنا تامة .
- (٤) راجع ما قلناه في المكان واللامكان في ديوان « هدية الحجاز » . والزُّنار : ما يشد به النصارى وسطهم .
- (٥) الحقيقة في نظر إقبال لا تقبل التجزئة وهي في تغيير ، وليس في الإمكان قياس الزمان بالأعداد .
- (٦) حبة الشعير مضرب المثل في حقاقتها في الفارسية ، أمَّا آية ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ فمن قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ [ الكهف : ١٩ ] ولقد لبثوا في الكهف طويلاً طويلاً . وإقبال بذلك يقدم الحجة على عجز الحساب عن قياس الزمن .
- (٧) الهدير : صوت الرعد والبحر .

لها الحنَاء مِنْ صَوْرِ عروس  
تَسْتَرُ الحَقِيقَةَ بِالنُّقَاب  
وبَيْنَ الرُّوحِ والجَسَدِ الفِراق  
رجالُ الدِّينِ سُبْحَتُهُمْ تَدور  
ففي التَّمويهِ منقَطْعُ الشَّيْبِه  
وَقَلْبُكَ ثُمَّ عَقْلُكَ فاصْحَبَنُ  
بتَقْلِيدِ لَهُمْ ذاتاً أَضاعوا  
وكم جِزءٌ لواحِدٍ قَدْ رأينا  
تَرى دَنيائَكَ ما يَدُو كَتِرب  
وصورةٌ مِيتِ رِسمِ الحَكِيمِ  
وما مِنْ حَكْمَةٍ قَلْبِي رَأها  
أرى الدُّنْيا بِثورتِها تَمِيد  
دَعِ الأَعْدادَ واطرَحِها ، لتَهْمَل  
فَمَنْ كَلَّ جِزْيَءَ كانَ أَكْثَر

- (١) تَميس : تَبختر .  
(٢) يَقول : إِنَّ أَهلَ الغَربِ يَفصلونَ بَينَ الرُوحِ والجَسَدِ ، وبِالتَّالِي فَصلوا بَينَ الدِّينِ والدُّولَةِ ، وَعَكفَ رِجالَ دِينِهِم عَلى العِبادَةِ دونَ أنْ يَلتَفِتوا إلى شَأنِ مِنْ شُؤنِ الحَكَمِ في دَوْلَتِهِمْ .  
(٣) يَريدُ نِظامَ الحَكَمِ الَّذِي يَفصلُ عَن تَعالِيمِ الدِّينِ . وَالتَّمويهِ : الخِداءُ بِالظَّاهِرِ .  
(٤) يَريدُ ليقولُ : إِنَّ العالِمَ كِئَلَةٌ مِنَ المِوادِ ، وَلَكِنَّها أَحادِثٌ مِتلاحِقَةٌ . وَسِلوْكُهُ مِنتَظَمٌ ، وَالتَّطِيبَةُ لِلذَّاتِ الإِلهِيَةِ ، كالتَّطِيبِ لِلذَّاتِ الإِنسانِيَةِ ، وَهيَ في تَصوِيرِ القُرآنِ عادَةٌ إِلهِيَةٌ ، كما يَقولُ إِقبالُ .  
(٥) هُوَ عِيسَى عَليهَ السَّلَامُ الَّذِي أَحيا المِوتى ، وَالكَلِيمِ موسىَ عَليهَ السَّلَامُ الَّذِي ضَربَ البَحرَ بَعصاهُ .  
(٦) تَمِيد : تَضطَرِبُ .  
(٧) في الأَصْلِ : نَصيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ ، وَفخرِ الدِّينِ الرَازِيِّ مِنْ أَهلِ القُرْنِ السَّادِسِ الهِجَريِّ .



أرسطو مرةً إياه فاعرف  
لهذين المقامُ فغادرته  
بعقلك وهو يدرك كلَّ كم  
على دنياك سَنَطرُ ثمَّ هَيمن  
ولكن حكمةً أخرى تعلم  
ودغ دنيا الدِّياجي والنَّهار

ويكون لحنه يوماً لتعزف<sup>(١)</sup>  
تضيحُ بمنزلٍ ، فحذارٍ منه  
وباطنَ مَعَدِنٍ أو قِباعِ يَم<sup>(٢)</sup>  
وفي أفلاكها الأجرامَ مَكُن<sup>(٣)</sup>  
وذاتك نَحَّ عن يومٍ لتسلم<sup>(٤)</sup>  
يميناً فاطلبن بلا يسار<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

### السُّؤال الرَّابِع

أهذا محدثٌ هجرَ القديمَا  
أمعروفٌ وعارفُه ، إلهي  
فكانا الكونَ والباري العظيما  
لم الأشواقُ أزمَصَتِ الظَّلِيمَا<sup>(٦)</sup>

### الجواب

حياةُ الدَّاتِ إيجادٌ لغيرِ  
وللمعروفِ بعدُ كلُّ خيرِ<sup>(٧)</sup>

(١) أرسطو صاحب المنطق يمثل الاستنتاج ، وفرانسيس بيكون الفيلسوف الإنجليزي يمثل الاستدلال بالتجربة .

(٢) المعدن : المنجم . واليَمُّ : البحر .

(٣) هيمن على الشيء : راقبه وحفظه .

(٤) في الأصل : عني خداع الليل والنهار .

(٥) الدِّياجي : الظلمات ، والمراد بها هنا : الليل .

(٦) يقول : إنَّ المحدث انفصل عن القديم ، فأصبح الأول العالم ، أما الثاني فالله تبارك وتعالى .. وإذا ما كان المعروف والعارف هما ذات الله ، فما الحنين الذي أضنى

الإنسان . والظليم : التراب ، والمراد به الإنسان .

(٧) يقول : إن الفراق بين العارف والمعروف خيرٌ عظيم .

قديماً أو مغايره حسينا  
 ذكرنا الأمس والغد في دوام  
 وفطرئنا انقطاع عنه كانا  
 وليس لنا بفرقته عيأز  
 بنا وبه ! عجيب ، أي حال  
 فراق يمنح النظر الترابا  
 وهذا العشق يزكو بالفراق  
 تباريح الفراق لنا الحياة  
 من المولى ؟ ومن إياه يُعبد  
 يدوم له التجلي نور ذات  
 وتلك محبة في الجمع تُبصر

طلسماً كان حُسياناً ، فخبنا<sup>(١)</sup>  
 ( فكان ) و ( سوف ) أسراً للكلام<sup>(٢)</sup>  
 سبيلاً قد ضللنا في سُرانا<sup>(٣)</sup>  
 وواصلنا ، فدام له القرار<sup>(٤)</sup>  
 ففرقتنا فراقاً في وصال<sup>(٥)</sup>  
 وقشاً ما به بلغ السحابا<sup>(٦)</sup>  
 مع العشاق كان على وفاق<sup>(٧)</sup>  
 تخلدنا ، فيقيننا الممات<sup>(٨)</sup>  
 هما سرٌّ يؤيد أن سنخلد<sup>(٩)</sup>  
 ويين الجمع معنى للحياة<sup>(١٠)</sup>  
 بغير الجمع ذا ما ليس تُبصر

- (١) مغاير القديم هو المحدث . وحسبه حساباً : عدّه وأحصاه . وكان هنا تامة .
- (٢) في تفيد معنى المصاحبة . والأس : الأساس .
- (٣) السرى : السير ليلاً .
- (٤) العيار : ما يكون في الدراهم والدنانير من الذهب والفضة يكسبها قيمتها . والمراد به هنا القيمة . واصله : ضد قاطعه وهاجره .
- (٥) في الأصل : ليس بدوننا ولسنا بدونه .
- (٦) المراد بالتراب هنا الإنسان . وفي الأصل : يجعل القش جبلاً . وفي الفارسية كاه بمعنى : القش ، وكوه بمعنى : جبل .
- (٧) زكا : نما وصلاح . وفي الأصل : أن الفراق حامل المرأة للعشق . وحامل المرأة يعين على التزين ، وإصلاح المظهر .
- (٨) تباريح الشوق : شدته وآلامه .
- (٩) في الأصل : ما أنا وما هو . وإقبال بذلك ينكر مبدأ فناء النفس الإنسانية في الذات الإلهية ؛ لأنه يتحدث عن الفراق والتلاقي ، ويرى الخير كل الخير في اجتماع المحب بالمحبيب .
- (١٠) الجمع : الجماعة من الناس .

تجلياتُ محفلنا تأمل  
فلا الأبوابَ أمسكنا علينا  
ويجعلُ نفسهُ عنَّا غريباً  
وننحتُ مثلَ صورتهِ الحجارةِ  
هتكنا سترَ فطرتنا علينا  
وهذا التُّربِ ما جَ به الخيال  
ولكن من فراقٍ وهو يشكو  
به كانت له هذي البصيره  
وأنفد حزنه جزعُ الصُّبور  
وأصبح دمه دُرّاً ثميناً  
وذاتك : إن تعانقها طويلاً  
مقاماتٌ لها بالحُبِّ عقدُ  
تسير له الأمورُ بلا ختام

تجلى الله لا الدنيا تأمل<sup>(١)</sup>  
ونحنُ به بمفردنا اختلينا<sup>(٢)</sup>  
يُداعينا كمعزفه طروباً<sup>(٣)</sup>  
ونسجدُ ، ما رأته العينُ ، تاره  
جمالَ حبيننا ها قد رأينا<sup>(٤)</sup>  
فباطنه أضاء ولا يزال<sup>(٥)</sup>  
بفضلِ فراقه تلقاه يزكو<sup>(٦)</sup>  
فهذا ليله أضحي الظهيره  
ومن حزنٍ تبدل بالشُّرور<sup>(٧)</sup>  
الحزن أودتِ الغصوناً<sup>(٨)</sup>  
تجد في الخلد من موتٍ بديلاً !  
وما من منتهى يحدوه حدٌ<sup>(٩)</sup>  
به الفجرُ الصُّحوكُ بلا ظلام

(١) الحفل : مكان اجتماع المجتمعين .

(٢) أمسك عليه الباب : أوصده . وفي الأصل : أن هذا المحفل يخلو من باب ودار وقصر .

(٣) في الأصل : أنه يجعل نفسه غريباً عنا تارةً ، ويعزف علينا كآلة الطرب تارةً أخرى .

(٤) هتك الستر : مزقه أو جذبه من موضعه .

(٥) التُّرب : التراب . والمراد به الإنسان الذي خلق من تراب .

(٦) يزكو : ينمو ويصلح .

(٧) أنفد : أفنى . والجزع عدم احتمال الصبر ، يقول : إنه حزن حزناً لا يطيقه حتى الصُّبور .

(٨) أودته : نناه وعطفه . يقول : إنَّ للحزن ثماراً طيبة أثقلت الغصون . وهو مأخوذ من نخلة المأتم في الفارسية ، بمعنى النعش .

(٩) في الأصل : أنه ربطها في عقدة فهو مقيد ، كما أنه يمضي لا يقف عند نهاية فهو مطلق . يحدو : يسوق . والوخد : سرعة السير .

يغاير عقلنا وعزُّ الطريق      ودينا كان في وهج الشروق<sup>(١)</sup>  
 بآلاف العوالم قَدْ مررنا      على بعضِ التوقف هل قَدَرنا ؟  
 خلوداً في حياتك يا مسافر      وفي موتٍ ، إلى الدَّاني فبادر<sup>(٢)</sup>  
 وليس البحر يغرقنا انتهاء      تعلَّق فيه ، ما هذا فناء<sup>(٣)</sup>  
 وجودُ الذات في ذاتِ محال      لتصبحِ نفسها ، هذا كمال<sup>(٤)</sup>

## السؤال الخامس

أجبنني من أنا؟ وَضَّح (أنا) لي      وما في الذات من (شدُّ الرِّحال)<sup>(٥)</sup>

## الجواب

بذاتٍ عُوذَةٌ للكائنات      وأوَّلُ نورها أصلُ الحياة<sup>(٦)</sup>  
 وتصحو مِن رُؤاها في كراها      بكثُرٍ بَعْدَ واحِدِها تراها<sup>(٧)</sup>

- (١) الوهج : اتقاد الشمس وحرها . وفي الأصل : أنه عالم في نور برهة .
- (٢) المسافر في اصطلاح الصوفية : هو من سار قلبه متوجهاً إلى الحق . الداني : القريب . بادر : أي سارع إلى أول وأقرب طريق إليك ، واسلكه .
- (٣) لا يريد إقبال للنفس الإنسانية فناء في الذات الإلهية كفناء القطرة في البحر على أن ذلك قصارى ما ينشد الصُّوفي . ويقول : إنَّ الإنسان إذا تعلق بالذات الإلهية فليس هذا فناء فيها .
- (٤) يعني : أن كمال الذات الإنسانية في قدرتها على ضغط كيانها ، حتى إذا اتصلت بالذات الكلية .
- (٥) الرِّحال : جمع رحل ، وهو ما يشد على ظهر البعير لركوبه . وشدُّ الرحال كناية عن السفر ، وفي الأصل : ( أي معنى في قولنا سافر في الذات ) .
- (٦) العوذة : ما يعلق على الإنسان لحفظه من الشرِّ والحَسَد .
- (٧) الرؤى : جمع رؤيا وهي الحلم . والكرى : النوم . الكثر : الكثرة . وعند إقبال أنَّ الحياة في تعدد الأناسي على اختلافهم والوحدانية لله .

ونمضي في اتساع ، ماريونا  
يضمُّ صميمُها في العمق بحرا  
تخالفُ من بشيمته تَصَبَّر  
كنارٍ ، والذاتُ لها شَراؤُ  
وراءَ حدودِها والغيرُ تشهد  
تأمل في انطواء كيف تبدو  
تثور وراء سترٍ للخفاء  
بنارٍ في الصَّميم ثوث وقامت  
فَمِنْ هذا لعالمنا النظام  
ذواتٌ أطلعتها من شعاع  
ترابُ الجسمِ للذاتِ الحجاب  
وتلك الذاتُ تشرقُ من صُدرٍ  
ومعنى لنا كما قلت بين  
على صلةٍ بأرواحِ جُسومٍ  
بذلك مولدٌ من غير أمٍ  
على خلد حصولك بالتياحِ

ولولا ذاكَ منها ما زكونا<sup>(١)</sup>  
وقلبُ القطرِ موجٌ ما استقرا  
وفي ملأٍ لنا تبدو بمظهر<sup>(٢)</sup>  
نجومٌ ، سائر وله القراؤُ<sup>(٣)</sup>  
وفي الجمع الكبير كَمَنْ توخَّذ<sup>(٤)</sup>  
ترابٌ ديس ، منه كيف تنمو  
وتبحثُ في دوامٍ عن رواء  
تحاربُ نفسها ، والحربُ دامت  
وكالمرآة قد أضحي الرِّغام<sup>(٥)</sup>  
جواهرُ أُخرِجَتْ كانت بقاع  
وتبدو الشمسُ أطلعها السَّحاب  
بجوهرها التُّراب لنا كنورٍ  
( بذاتك فلتسافز ) فلتُعِين  
فسافز كي تحقِّق ما تروم<sup>(٦)</sup>  
ومن سطحِ كإمساك بنجم  
كأنك قد رأيت بلا شعاعِ

(١) ربا : زاد ونما ، وما في الشطر الأول شرطية زمانية ، أي تتسع مدة نمونا . وزكا : كريا .

(٢) الشيمة : الفطرة ؛ أي : تخالف من يصبر بطبعه ، فهي لا تستطيع صبراً . الملأ : الجماعة .

(٣) يشبهها كذلك بالنجوم الثوابت والسيارة .

(٤) توحد : انفرد واعتزل .

(٥) الرِّغام : التراب .

(٦) الجُسوم : جمع جسم . تروم : تريد .

وعن أملٍ وعن وجلٍ تناء  
 طلسمَ البرِّ والدأماءِ فاصدع  
 بأوبةٍ مَنْ يطوف بلا مكان  
 لهذا السرِّ تفسيرٌ محال  
 فما قولي (أنا) وهي الضياء  
 ويرجفُ من سناها الأزهران  
 مقرُّ ضمِّها كانَ القلوبا  
 عن الغيرِ افتراقٌ ، وارتباط  
 خيالٌ في التراب له الكيان !  
 سجينٌ ، في قيودٍ ، كيف أفلت !  
 بصدرك مثل مصباحٍ منيرٍ

كشقُّ أنت محدثُه بماءٍ<sup>(١)</sup>  
 وبدرَ التَّمِّ فلتصدغِ بإصْبَعِ<sup>(٢)</sup>  
 له الدُّنيا لتحملُ في الجنان<sup>(٣)</sup>  
 وتنفع فيه عينٌ لا مقال<sup>(٤)</sup>  
 وفي ﴿إنا عرضنا﴾ ما نشاء<sup>(٥)</sup>  
 زمانٌ تحتضنه والمكان<sup>(٦)</sup>  
 لهذا الثُّربِ أصبحتِ النَّصيبا<sup>(٧)</sup>  
 بنفسِ ضيعةٍ ، وبه اختلاط<sup>(٨)</sup>  
 أيحويه الزَّمانُ أم المكان؟<sup>(٩)</sup>  
 فما الرَّامي وأوهاقُ تدلَّتْ؟<sup>(١٠)</sup>  
 لك المرأةُ ، فيها أيُّ نور

(١) الثنائي : البعد . الوجل : الخوف .

(٢) الدأماء : البحر .

(٣) الأوبة : العودة . الجنان : القلب .

(٤) المقال : القول . أي : أن الرؤية بالعين تنفع في معرفة السرِّ لا الكلام .

(٥) قال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] . والأمانة الطاعة ، وقد عظم شأنها . وحملها الإنسان على ضعفه ولم يف ، ولم يراع حَقَّها ، فكان ظلوماً ، وبكته عاقبتها جهولاً . وقيل : إن هذي الطاعة تتمُّ باختيار الإنسان وإرادته .

(٦) الأزهران : الشمس والقمر ، السَّنا : النور ، والسنا : الرفعة . وفي الأصل : أن الفلك يرتعد من سناها ، أو سنائها .

(٧) الثُّرب : التراب . وإقبال يسمي الإنسان على الدوام حفنة التراب .

(٨) الضيعة : الضياع ، وبه : أي بالغير .

(٩) الخيال في الفارسية بمعنى النية .

(١٠) الأوهاق : الحبال التي يصاد بها .

عليها أنتَ قد كنتَ الأмина بإدراكِ لذاتِكَ كنُ قمينا<sup>(١)</sup>

## السؤال السادس

أهذا الجزء عن كلِّ يزيد! وكيف البحثُ عنه لمن يُريد؟

## الجواب

وما لِلذَّاتِ مقياسٌ لدينا  
من الأفلاك تهبطُ ثمَّ تَعَلو  
فَمَنْ بالنَّفْسِ يملكه الشعور  
حوتها ظلمةٌ والصَّدر نورُ  
لها حكمٌ بها الأبوابُ تسحر  
خلوداً في الصميم العيش كانا  
مقامُ الكونِ منها قد تقدَّر  
أَسألُ عن طبيعتها وتَسأل  
وماذا عَن طبيعتها لقائل  
فما قولي؟ وفي قولِ النَّبي

وأعظمُ ما يلوخُ لناظرينا<sup>(٢)</sup>  
ببحرِ الكونِ تسقطُ ثمَّ تَسمو<sup>(٣)</sup>  
سواها ، أو بلا ريشٍ يطير  
تناءت جنةٌ ، في الحُضنِ حورُ<sup>(٤)</sup>  
ومِن قاعِ الحياةِ أتتْ بجوهر  
ولكنَّ للعيونِ بدا زمانا  
وتحفظه بما للعينِ يَظْهَر  
وعنها ما بقدرٍ ليس يفصل  
فجير ظاهر والضدُّ مائل<sup>(٥)</sup>  
بذا الإيمانِ في قولِ جلي<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) القمين : الجدير .  
(٢) الناظران : العينان . يقول : إِنَّ الذَّاتِ أعظم ما نرى ، وإن كانت الرؤية ليست بالبصر .  
(٣) تسمو : تَعَلو .  
(٤) تناءت الجنة : بعدت .  
(٥) المراد بالضد هو الاختيار . مائل : قائم . وفي الأصل أنَّ الاختيار داخلها .  
(٦) قيل : إن جبريل مضى إلى النبي عليه الصلاة والسلام في هيئة رجل وسأله عن الإيمان فقال له : هو أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وبالقدر خيره وشره .

وَمَا لِلْخَلْقِ عِنْدَكَ غَيْرَ جَبْرٍ  
 وَتِلْكَ الرُّوحُ مِنْ نَفْسِ الْإِلَهِ  
 وَهَذَا الْجَبْرُ وَهَمٌّ أَوْ ظَنُّونَ  
 تَصُولُ بِعَالَمِ الْكَيْفِ وَالْكَمِّ  
 وَذَلِكَ الْجَبْرُ مِنْهُ إِنْ أَفَاقَتْ  
 بِرَغْبَتِهَا خَفُوقُ النُّجْمِ وَاجِبٌ  
 تَمِيطُ السُّتْرَ عَمَّا أَضْمَرْتَهُ  
 وَأَهْلُ الثُّورِ قَدْ وَقَفُوا طَوِيلًا  
 وَمِنْ كَرَمٍ لَهَا خَمْرُ الْمَلَائِكِ  
 تَقُولُ : وَهَلْ إِلَيْهَا مِنْ سَبِيلٍ  
 لَكَ الْأَيَّامُ فَاجْعَلْهَا خَلُودًا  
 لِهَذَا الْعَقْلِ مِنْ حَسْبِ صَدُورٍ  
 لِعَقْلِ جِزْوِهِ ، لِلنُّوحِ كُلِّ  
 وَذَلِكَ الْعَقْلُ مَا وَسِعَ الْخُلُودًا

وَمِنْ بَعْدٍ وَمِنْ قَرِيبٍ بِأَسْرٍ  
 بَخْلُوتِهَا تَلُوحُ بِلَا اشْتِبَاهِ<sup>(١)</sup>  
 بِغَيْرِ إِرَادَةِ رُوحٍ تَكُونُ!؟<sup>(٢)</sup>  
 وَعَنْ جَبْرِ إِلَى الْمُخْتَارِ تُقَدِّمُ<sup>(٣)</sup>  
 لَهَا الدُّنْيَا كَتَلِكَ النُّوقُ سَاقَتْ<sup>(٤)</sup>  
 بِرَحْمَتِهَا تَلَالِاتِ الْكُوكَبِ<sup>(٥)</sup>  
 وَجَوْهَرِهَا بِعَيْنَيْهَا رَأَتْهُ<sup>(٦)</sup>  
 أَرَادُوا أَنْ يَرَوْا وَجْهًا جَمِيلًا<sup>(٧)</sup>  
 وَكَانَ عِيَارَهَا تَرْبَاً كَذَلِكَ<sup>(٨)</sup>  
 إِذَا أُرِدَ مَقَامًا لِلْعَوِيلِ  
 وَنُحٌ فِي الْفَجْرِ ، عَقْلُكَ لَنْ يَفِيدَا  
 وَمِنْ عَشْقٍ نَحِيبُ الْفَجْرِ نُورٍ  
 وَنُوحٌ دَامَ ، مَا إِنْ دَامَ عَقْلُ  
 مِنَ الْأَنْفَاسِ مَا يَحْصِي عَدِيدًا<sup>(٩)</sup>

- (١) أي أنّ الروح في خلوتها مع الله تبدو في كل مظاهرها بجلاء .
- (٢) كان هنا تامة .
- (٣) صال : غلب وقهر ، في الأصل أنها تغير على عالم الكيف والكم . وتمضي من الجبر إلى الاختيار .
- (٤) في الأصل : أنها إذا نفضت عنها غبار الجبر ساقط عالمها كما تسوق الناقة . والنوق جمع ناقة .
- (٥) خفوق النجم : اضطرابه . وفي الأصل أنّ السماء تدور بإذنها .
- (٦) تميط : تزيح وترفع .
- (٧) أطلقنا أهل النور على النورانية ، وهم طائفة من الملائكة .
- (٨) الكرم : شجر العنب . والملائك : الملائكة . والعيار ما يضاف إلى الدنانير والدرهم من ذهب وفضة . والمراد قيمتها . والتراب : التراب ، فهي تستمدّ قيمتها من ترابها .
- (٩) في الأصل : إنّ أنفاسنا تحصى الساعات كعقرب الساعة . والعديد : العدد .



ومن نارٍ له بعضُ الشَّرارِ<sup>(١)</sup>  
وتحوي برهةً منه زمانا  
لحَلَّتْ عقدةٌ في العمق منها<sup>(٢)</sup>  
وتحسبُ أن سيديكُها الفناء  
إذا نَضِجَتْ ، فعنها الموتُ نائي  
وروحِي بل وماءٌ لي وتربي  
ولبعادُ الشَّرارِ عن الهشيمِ<sup>(٣)</sup>  
وموتٌ جاءنا نلقى بأعين  
تذْغُرُ ، واخشَ عادية المنونِ<sup>(٤)</sup>  
ومنكرٌ فيه جاوره نكيرِ<sup>(٥)</sup>

بخلق الليلِ يُشْغَلِ والنَّهار  
قصارانا نواحِ العِشْقِ كانا  
وذاتٌ إن بدا المعروف عنها  
لعينك مثلها هذا الضياء ؟  
فكيفَ تخافُ من ريبِ الفناء  
وموتاً غير هذا خاف قلبي  
سكون الخَفْقِ في شوقِ أليم  
وأنفسنا بأيدينا نكفُّن  
فوتكُ كامنٌ لك في الكمين  
بجسمك كان حفرٌ للحفير

### السؤال السابع

ومن عبر السبيلَ ومن مسافرٍ ووصفُ كمالٍ من في ذكرِ ذاكرٍ ؟

\*\*\*

### الجواب

أطلُ نظراً على قلبِ ترددٍ بصدركَ منزلٌ ، إيَّاهُ فاشهد<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) يقول : إنه لا يأخذ الشعلة بل شرارها .  
(٢) المراد بالمعروف عنها العظيم من قدرتها .  
(٣) يقول : إنَّ الموت الحق الذي يرهبه هو عدم العشق ، والهشيم : ما يبس وتكسر من النبات .  
(٤) المنون : الموت .  
(٥) منكر ونكير : اسم ملكين يحاسبان الناس في القبر ، والحفير : القبر .  
(٦) المنزل : مكان النزول ومرحلة من المراحل التي ينتهي إليها سالك طريق التصوُّف .

وفي حَضْرٍ بِذَلِكَ تَلْكَ سَفْرَةٌ  
فَأَيْنَ مَقْرُونًا يَا لَيْتَ شِعْرِي  
وَمَالِكَ غَايَةً ، لَا تَبْغُ غَايَةَ  
بِنَا نَضْجًا ظَنَنْتُ وَمَا نَضَجْنَا  
وَفِي عَدَمِ الْوَصُولِ لَنَا الْحَيَاةُ  
تَجَوُّلْنَا بِرَحْبِ الْأَفْقِ كَانَا  
لِغَبْنَا ، حَوْلَ أَنْفُسِنَا نَدْوُرُ  
وَدَوْمًا كُنْ لِدَاتِكَ فِي الْكَمِينِ  
وَمَا لِأَجِيحٍ عِشْقٍ مِنْ فَنَاءٍ  
كَمَا لَا نَظْرَةَ كَانَتْ بِذَاتِ  
بِذَاتِ الْحَقِّ تَخْلُو أَنْذَاكَ

ومن ذاتٍ إلى ذاتٍ ، بخطرته<sup>(١)</sup>  
وما لحنا لشمسٍ أو لبدرٍ  
فروحك تنتهي عند النهاية  
نقصنا في المنازل أو كملنا  
بسفرتنا تحشانا الممات<sup>(٢)</sup>  
وطئنا ذا المكانَ وذا الزمانا<sup>(٣)</sup>  
بقاع الكون موجتُنا ثور<sup>(٤)</sup>  
ومن شكٍّ ففرَّ إلى اليقين  
ونظرةُ ذي اليقين بلا انتهاء<sup>(٥)</sup>  
وذلك بالخروج عن الجهات<sup>(٦)</sup>  
تري مولاك والمولى يراكا<sup>(٧)</sup>

- (١) الحضر : ضد السفر . الخطرة : ما يلوح في الفكر . ومن معاني السفر : السير إلى الله من منازل النفس حتى يصل العبد إلى مقام القلب .
- (٢) السفرة : المرة من السفر . والباء هنا للسببية . تحشاه : استثناءه . يقول في الأصل : إن هذا السفر لنا حياةٌ خالدة .
- (٣) الرحب : السعة . والمراد بالمكان والزمان هذا العالم بأسره . وفي الأصل مجالنا من السمكة إلى القمر . وهما في الفارسية ما هي وماء . كما قال إن الزمان والمكان تراب طريقنا .
- (٤) لغبنا : تعبنا .
- (٥) أجيح النار : شدة اشتعالها .
- (٦) المراد بالجهات : العالم أجمع .
- (٧) عند إقبال أن هذا ما تبلغه الذات في أوج كمالها حتى في اتصالها المباشر بالذات المحيطة بالكل . جاء في سورة النجم عما شاهده ﷺ ليلة المعراج : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا كَلَفَ ﴾ [ النجم : ١٧ ] أي : إن بصره أثبتته ما رأى إثباتاً صحيحاً مستيقناً ، فما عدا عن رؤية المعجائب التي أمر برؤيتها .
- ومن المفسرين من قال باستحالة تلك الرؤية كما أن منهم من أجازها لأن موسى =

بنور فلتنر مِن ﴿ لن تراني ﴾  
بذاتك كن قويا في حضوره  
ومما ماج فيك لتعط ذره  
تحرق حيث يبدو في جلاء  
برؤيته ، لعالمنا إمام  
وإياه اطلبن إذا افتقدته  
ولا تمدد إلا الملا يمينا  
لأمر الدين والدنيا إمام  
كمثل الشمس تشرق في الصباح  
وغربي له حكماً أقاما  
بغير العزف ليس له غناء  
ومن بستانه الصحراء أجمل

وإن أغمضت عينك أنت فان<sup>(١)</sup>  
حذار من الصياع ببحر نوره<sup>(٢)</sup>  
بجانب شمسنا لتنير مره  
وأظهر منك ذاتك في ضياء<sup>(٣)</sup>  
له لا للورى كان التمام<sup>(٤)</sup>  
بفضل ثيابه خذ إن وجدته<sup>(٥)</sup>  
ولا تغمض عن الشص العيوننا<sup>(٦)</sup>  
هو الرائي ، وقد عمي الأنام<sup>(٧)</sup>  
لديه شمس أفكار صحاح  
عن الشيطان قد خلغ الزماما  
حوته بما يطير به السماء<sup>(٨)</sup>  
مديته فدغ ، فالفقر أفضل

= طلبها .

- (١) قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا بَهِجَلُ الرَّبُّ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ سُوقًا ﴾ [ الأعراف : ١٤٣ ] .
- (٢) هذا صريح في دلالة على أن إقبالا لا يأخذ بمذهب الفناء في الذات الإلهية .
- (٣) يقول : أنر ذاتك عياناً وذاته في الخفاء .
- (٤) الورى : الناس . والمراد هنا بالتمام : الكمال .
- (٥) أخذ بفضل ثيابه : تمسك بما يمكن التمسك به منها .
- (٦) الملا : هو الشيخ الذي لا يفقه الدين على ما ينبغي . الشص : الحديدية التي تؤخذ بها السمكة . يقول : إن مثل هذا الشيخ يخدعك ، كما تُخدع السمكة بالشص لتصاد .
- (٧) الأنام : الناس .
- (٨) يقول : لا غناء ولا صدى عند الغرب إلا بالمعازف ، ولا يطير في السماء إلا بطائرة صنعها . وهذا من الدليل على إغراقه في المادية .

من السَّرَّاقِ شَرِذْمَةٌ تَغْيِرُ  
صَحَابَ جِسْمٍ وَلِلرُّوحِ السُّبَاتُ  
لدى الكَفَّارِ زَادَ الكُفْرَ عَقْلُ  
وهَذَا رَاصِدٌ وَلِذَا الكَمِينُ  
إِذَا مَا شَتَّتْ بَلَّغَهُمْ كَلَامِي  
على هَذَا الحَسَامِ الرُّوحُ تَجْرِي  
لِيَدْخُلَ ذَلِكَ الصَّمْصَامُ غِمْدَهُ  
وراء الخبز طَالَ بِهَا المَسِيرُ<sup>(١)</sup>  
مع الدِّينِ الفَنُونُ مُحَقَّرَاتُ<sup>(٢)</sup>  
ولِلإنْسَانِ عِنْدَ الغَرْبِ قَتْلُ  
إِلَهِي ! كُنْ لَهُمْ نِعْمَ المَعِينُ !  
نِظَامُ الحَكْمِ كَالسَّيْفِ الحُسَامِ<sup>(٣)</sup>  
يَصُولُ عَلَى الرِّقَابِ وَلَيْسَ يَدْرِي<sup>(٤)</sup>  
وإلا أَهْلَكَ الإنسانَ بَعْدَهُ<sup>(٥)</sup>

### السؤال الثامن

أتعرف ما تَضَمَّنَهُ (أنا الحقُّ) أتَحْسِبُهُ هراءَ حِينَ يَنْطَلِقُ<sup>(٦)</sup> ؟

### الجواب

أَعَاوِدُ عَنْهُ قَوْلًا لِي يَطْوُونَ  
بِحَلَقَتِهِ مَجْوسِيَّ أَشَاعَا  
وعِنْدَ القَوْمِ سَرٌّ مَا أَقُولُ<sup>(٧)</sup>  
(حياة بالأنا خدعت خداعا)

- (١) السَّرَّاقُ : جمع سارق . والشَرِذْمَةُ : الجماعة من الناس .
- (٢) السُّبَاتُ : النوم . فِي الأَصْلِ : الدين والفن والعلم .. وَأَطْلَقْنَا الفنونَ عَلَى العلوم والفن .
- (٣) السَّيْفِ الحَسَامِ : القاطع . يَقُولُ : إِنَّ هَذَا نِظَامَ الحَكْمِ فِي بِلَادِ الغَرْبِ .
- (٤) يَصُولُ : يَثِبُ . وَفِي الأَصْلِ : إِنَّ هَذَا السَّيْفَ لَا يَمِيزُ فِي الضَّرْبِ بَيْنَ مُسْلِمٍ وَكَافِرٍ .
- (٥) الصَّمْصَامُ : السَّيْفُ . يَرِيدُ لَهُ أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي غِمْدِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَقْتُلُ نَفْسَهُ بِقَتْلِهِ النَّاسِ .
- (٦) أَنَا الحَقُّ : قَوْلٌ مَنْسُوبٌ إِلَى الحَلَّاجِ ، ذَلِكَ الصُّوفِي الَّذِي كَانَ يَتَجَوَّلُ فِي الأَسْوَاقِ ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الوَجْدُ والطَّرِبُ ، وَحَرَّصَ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى آرائِهِ وَتَعَالِيمِهِ الَّتِي خَرَجَتْ عَلَى مَأْلُوفِ القَوْمِ فِي زَمَانِهِ ، فَبَلَغَتْ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ مِيلْغًا شَدِيدًا ، وَاتَّهَمُوهُ بِالحُلُولِ وَالكُفْرِ ، وَأَفْتَرُوا بِقَتْلِهِ ، فَصَلَبَ فِي بَغْدَادِ سَنَةِ ٣٠٩ هـ . وَإِقْبَالَ يَرَى فِي الحَلَّاجِ رَأْيًا آخَرَ يَنَاقِضُ رَأْيَ قَوْمِهِ ، وَيَعَانِدُهُ . وَلِذَلِكَ انْتَبَرَى لِلدَّفَاعِ عَنْهُ فِي عَدِيدٍ مِنْ تَأْلِيفِهِ .
- (٧) عَاوِدُ الشَّيْءِ : عَادَ إِلَيْهِ . وَالمِرَادُ بِالقَوْمِ هُنَا أَهْلُ إِيرَانَ وَالهِنْدِ .

وهذا الحلم مِنْهُ قد خُلِقْنَا! <sup>(١)</sup>  
 بما يحوي ولا وُجِدَ الزَّمان  
 هو التَّفَكِيرُ والتَّصَدِيقُ والرَّيبُ <sup>(٢)</sup>  
 وأقوالاً وأعمالاً لَدَيْكَ <sup>(٣)</sup>  
 فَمَنْ شوقاً سيشري أو يبيع <sup>(٤)</sup>  
 وتعويلُ القياسِ على الحواسِ <sup>(٥)</sup>  
 لعالمنا ، فيشملنا التطوُّرُ  
 ولا ييدي لنا الآثارَ كون <sup>(٦)</sup>  
 على وجهٍ لخالقنا حجاب  
 دخلنا من خِداعِ الحسِّ فيها <sup>(٧)</sup>  
 بذاتِ حَسْنًا قطعُ الصَّلَاتِ  
 تشاهدها بلا نظر ، بخطرهِ <sup>(٨)</sup>  
 تأملها فما شكُّ يشور <sup>(٩)</sup>  
 كمظهرٍ أيِّ شيءٍ قلت حتما  
 تأملها ، لتعرفَ مَنْ يكون

سبات الربِّ فيه الحلمُ كُنَّا  
 ولولاهُ لما وُجِدَ المكان  
 هو العقلُ المميزُ بل هو القلبُ  
 وفي الأحلام تُغْرِقُ ناظريكَ  
 وباستيقاظه يفنى الجميع  
 لدينا العلمُ نورٌ بالقياس  
 تغيُّرُ حَسْنًا سببُ التغيُّرِ  
 فما مِنْ حولنا ريحٌ ولون  
 وهذا كُلُّهُ وهمٌ عجاب  
 وخذعةٌ حَسْنًا لا ريبَ فيها  
 فما ذاتٌ لنا في الكائنات  
 حريمُ الذَّاتِ ما بَلَّغَتْهُ نظره  
 لها يومٌ بلا فلكٍ يدور  
 إذا سَمَّيْتَ تلكَ الذَّاتِ وهما  
 معي قل : من تخامرهُ الظنون

- 
- (١) السبات : النوم . يقول : إن هذا الكون وما فيه حلم رآه الله في سباته . وهو ينسب هذا إلى المجوسي ؛ لأن الله جل جلاله لا تأخذه سنةٌ ولا نوم .  
 (٢) يقول : إن العقل والقلب هما هذا الحلم .  
 (٣) الناظران : العيان .  
 (٤) يشري : يشتري .  
 (٥) التعويل على الشيء : الاعتماد عليه .  
 (٦) الريح : الرائحة . وطالما سَمَّى إقبال العالم عالم الرائحة واللون .  
 (٧) التيه : الصحراء التي تاه فيها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر .  
 (٨) الحريم : ما يحيط بالبناء كالحرم . الخطرة : المفكرة .  
 (٩) يقول : إن أيامها ليست زماناً يحسب بدوران الفلك .

أعمالنا ترى ؟ أورد دليلاً  
لقد خفيت ، دليلاً فاطرحن  
أراها الحق ما في ذاك باطل  
إذا نَصِبَجَتْ ، لها امتنع الزوال  
جناحٌ لو حبوت به الشَّرارا  
بما أبلاه ربي ما الخلود  
لروح طابَ خلد ، تستعازُ  
وما للطَّودِ والوادي البقاء !  
عن المنصورِ ما جدوى الكلام ؟  
بذاتِكَ ضع ، ودغ عنك الجدالا

بفكركَ كانَ ذلكَ مستحيلاً<sup>(١)</sup>  
تفكَّرْ ، ذلكَ السرُّ اكشِفْ  
لها أكلٌ ، فأيقنْ لا تجادلُ<sup>(٢)</sup>  
فراقُ العاشقين هو الوصال  
لخلد في الخفوقِ به وطارا<sup>(٣)</sup>  
ببحثٍ ليسَ هذا ما يُريدُ<sup>(٤)</sup>  
ويُتملُّها من العشق العُقار<sup>(٥)</sup>  
ستبقى الذَّاتُ ، للدُّنيا الفناء<sup>(٦)</sup>  
بذاتِكَ فاطلبنْ ربَّ الأنام<sup>(٧)</sup>  
وحقَّقها بما الحلاجُ قالَا<sup>(٨)</sup>

## السؤال التاسع

وسرُّ الوَحْدَةِ الخافي أتدري أيعلمُ عارفٌ يا ليت شعري؟!<sup>(٩)</sup>

- (١) يقصد أنَّ العالم ظاهر لنا ، إلا أنه مع ذلك في حاجة إلى دليل ، وهو ما يعجز حتى فكر جبريل .
- (٢) الأكل : الثمر والرزق الواسع .
- (٣) حياه : أعطاه .
- (٤) أبلى في ذلك بلاء حسناً : أظهر قدرته فيه . والمقصود هنا عمل . وفي الأصل أن خلود الله ليس جزاء على عمله ، لأن هذا الخلود ليس له بالبحث والطلب .
- (٥) يشمل : يسكر . العقار : الخمر .
- (٦) الطود : الجبل . يقول أي قيمة لبقاء الجبال والوديان ، فالبقاء للذات وللدنيا الفناء .
- (٧) المنصور : هو الحلاج . وقد ذكر إقبال معه من يسمى « شنكر چريا » وهو مفسر هندي لكتاب من كتب الهند المقدسة . الأنام : الناس .
- (٨) دع عنك : اترك وأهمل .
- (٩) العارف : العالم ، والحكيم ، والصُّوفي في ذروة المعرفة .

## الجواب

مقامٌ تحت قُبَّتِها يطيب      وفيها النيرانِ إلى مغيب! (١)  
 ونعشُ الشَّمسِ يحمله المساء      كواكبُه لها الكفنُ الضياء  
 كمنهالِ الرَّمالِ هَوَتْ جبالُ      لهذا البحرِ بعد الحالِ حالُ  
 على الأزهارِ عاصفةٌ تُثور      ورعبٌ للقوافلِ من مغير  
 وإنْ بالدُّرِّ زان الطَّلُّ زهرا      فباقٍ تارةً ليزولَ أخرى (٢)  
 بغيرِ سماعها الألحانُ تَفنى      وتلقى النَّارَ في الأحجارِ دفنا (٣)  
 حمامٌ عنه تَسألُ أيجدي      من الأنفاسِ قُيدنا بقيد (٤)

\*\*\*

## غزل

لنا الكاساكُ دارثُ بالفناء      وقد ذُقناه من داني ونائي (٥)

- 
- (١) المراد بهذي القبة قبة السماء. وبالنيرين: الشمس والقمر، ولهما المغيب بعد ظهورهما.  
 (٢) الطَّلُّ: الندى. وهذا الندى يبقى تارةً ثم يزول تارةً أخرى.  
 (٣) يقول: إنَّ الألحان التي لا تسمع تموت في قيثارتها، كما تموت النَّار الكامنة في الحجر.  
 (٤) الحمام: الموت، والتَسأل: السؤال.  
 (٥) الغزل عند الفرس منظومة ذات رويٍّ واحدٍ لا تقلُّ أبياتها عن سبعة ولا تزيد على خمسة عشر، وموضوعها الغزل وغالباً ما تتضمن المعاني الصُّوفية. والشاعر يلتزم في البيت الأخير منه ذكر لقبه الشعري. وإقبال لا يلتزم شروط الغزل في هذي المنظومة.  
 دارت الكأس: تناولها الشاربون الواحد تلو الآخر. يقول الشاعر: إننا جميعاً نلقى الفناء.

تسمى ساحةً قد جال فيها  
بها إن ذرةً أبدت نَفَاراً  
أتطلبُ أن يقرَّ لنا قِراؤُ  
شغاف القلب فاحفظ فيه ذاتاً  
هي الدُّنيا مقامُ الآفينا  
بقلبٍ باطلاً ما إن أردنا  
هنا الرغباتُ ما هم يَزْمقونهُ  
وفي الإمكان تخليدٌ لذات  
ومصباحٌ يزفرتنا تَأَلَّقُ  
لدى القيوم ذوقٌ للكلام  
فَمِنْ برقِ التجلّي كان فيه

- (١) الرقية : ما يقرأ على المسحور ليزول عنه أثر السحر . والغناء : الكفاية . وتكفي نظرة تبطل هذا النفار ، كما تبطل الرقية السحر .
- (٢) شغاف القلب : غلافه ، والسراج : المصباح .
- (٣) الإشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنعام : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأَلَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ [ الأنعام : ٧٦ ] وأفل النجم : غاب . وهذا في شأن إبراهيم عليه السلام الذي لم يحبَّ عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال ؛ لأنَّ مثل هذا التغيُّر من صفات الأجسام .
- (٤) أفاد : استفاد .
- (٥) يرمق : ينظر ويطلب .
- (٦) الشتات : التفرق .
- (٧) رتق الفتق : سدَّه .
- (٨) القيوم : من أسماء الله الحسنى ، وهو بمعنى الباقي . وفي الأصل : الله الحي .
- (٩) الجام : كأس الشراب . احتسى : شرب . وفي الأصل : من قدح برق التجلّي في قلبه ، وشرب تلك الخمر ، ثم ضرب رأسه بالكأس .



لَمَنْ قَلْبُ عِيَارِ الْحَسَنِ مِنْهُ  
 ( أَلَسْتُ ) لَخْلُوءِ قَدْ صَعَّدَتْهَا  
 لِعَشْقِ أَيُّ نَارٍ فِي التَّرَابِ  
 تَدْوُرُ الْكَأْسُ ، لَكِنْ مَا بَقِينَا  
 لِعِزْلَتِهِ فَوَادِي قَدْ تَحَرَّقَ  
 وَأَنْثَرُ حَبَّةً فِي الْأَرْضِ ذَاتِي  
 وَطَافَ بَيْتٍ مَنْ ؟ مَا زَالَ عَنْهُ <sup>(١)</sup>  
 ( بَلَى ) أَيُّ الْمَعَارِفِ رَدَّدَتْهَا <sup>(٢)</sup>  
 وَحَرَّقَ لِحَنَّا كَمْ مِنْ نِقَابِ <sup>(٣)</sup>  
 بِمَحْفَلِهِ الْحَيَاةُ عَدَّتْ رَيْنَا <sup>(٤)</sup>  
 أَهْيَىءَ مَحْفَلًا مَا إِنْ تَفَرَّقَ  
 لَهُ قَدْ صُنْتُ لَا لِسِوَاهُ ذَاتِي !

\*\*\*

- 
- (١) العيار : ما يضاف من ذهبٍ أو فضةٍ إلى الدينار والدَّهْرَم . زال عن المكان : غادره .  
 وفي الأصل : بمنزل من يطوف قمره .  
 (٢) قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ  
 أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ﴾ [ الأعراف : ١٧٢ ] والشاعر يسأل عن الخلوة التي ذكرت  
 فيها ألسنتي ، والمعزف الذي رددت لحنها .  
 (٣) التراب هنا هو الإنسان .  
 (٤) ما بقينا : ما دمنا باقين . بمحفله : أي بمحفله الله .

## الخاتمة

لِيُشْهَزَ مِنْكَ ذِيكَ الْحُسَامِ      بِغَمْدِكَ لَا يَطِيبُ لَكَ الْمَقَامِ<sup>(١)</sup>  
 وَتَمَلِكُ قَدْرَةَ فَارْفَعِ نَقَابَا      تَنْلُ شَمْساً وَبَدْرًا وَالسَّحَابَا  
 دُجَاكَ أَنْزِ بِأَنْوَارِ الْيَقِينِ      يَدَا بِيضَاءَ أَظْهِزْ لِلْعُيُونِ<sup>(٢)</sup>  
 وَعَيْنَكَ فَافْتَحَنَّ عَلَى فؤَادِكَ      مِنَ الشَّرِّ الثَّرِيًّا فِي حِصَادِكَ<sup>(٣)</sup>  
 وَمَنْ قَلْبِي لَتَقْتَبِسِ الشَّرَارَا      أَنَا الرُّومِيُّ إِمَّا شَنْتَ نَارَا<sup>(٤)</sup>  
 وَإِلَّا ، نَارَ غَرْبٍ خَذْ وَحَاذِرْ      وَمُتْ فِي الْقَلْبِ كِي تَحْيَا بِظَاهِرْ

\*\*\*

- (١) شهر السيف : أخرجه من غمده . الحسام : السيف .  
 (٢) الذُّجَى : الليل . واليد البيضاء : المشعة . قال تعالى في سورة طه : ﴿ وَأَضْمَمْتُمْ يَدَكُمْ إِلَى جَنَاحِكُمْ فَخَرَجَ بِبَيْضَاءَ مِنْ عَيْرٍ سَوَوْنَاهُ آيَةً أُخْرَى ﴾ [٢١] لِرُبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٢﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٣﴾ [ طه : ٢٢ - ٢٤ ] .  
 (٣) الشرر : جمع شررة وهو ما يتطاير من النار كالشرار . والحصاد : الزرع . في الأصل : من فتح العين على قلبه ، نثر الشررة ، وحصد الثريا . والثريا مجموع كواكب تشبه بالعنقود والسنبلة في الشعر الفارسي .  
 (٤) الرومي : هو جلال الدين الرومي من أهل القرن السابع الهجري أكبر وأشهر شعراء التصوف عند الفرس ، وصاحب كتاب المثنوي الذي يعد أعظم الكتب أهمية في التصوف الإسلامي . وإقبال يردد ذكر الرومي في كتبه ، وينظر إليه نظرة المرید إلى الشيخ .



الدِّيوانُ الخَامِسُ

جِنَاحِ جَبْرِيلَ  
بِالْحَبْرِ

نَقَلَهُ مِنَ الْأُرْدُونِ إِلَى الْفَرَنْسِيَّةِ نَثْرًا  
السَّيِّدُ مِيزْزَا سَعِيدٌ ظَفَرُ شَاغِي  
وَالسَّيِّدَةُ سَوْرَانُ بُوَسَاكُ

ثُمَّ نَقَلَهُ مِنَ الْفَرَنْسِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ نَثْرًا  
السَّيِّدُ مِيزْزَا سَعِيدٌ ظَفَرُ شَاغِي

ثُمَّ صَاعَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ شِعْرًا  
السَّيِّدُ مِيزْزَا سَعِيدٌ ظَفَرُ شَاغِي



طُبِعَ هذا الديوان عام ١٩٣٥م ، وهو يحتوي على قصائد باللغة الأردوية حول زيارات محمد إقبال لفلسطين ، ومصر ، وأفغانستان ، وإنكلترا ، وفرنسا ، وإيطاليا ، وإسبانيا .

لا يُوجد في الأدب الأردوي ما يمكن مقارنته بهذا الديوان من حيث العمق وسعة المطلب والبيان ، وما يلفت انتباهنا هنا هو أنّ محمّد إقبال يحكي خواطره الخاصّة عن أسفاره إلى إسبانيا وفلسطين وبكائه على أطلال قرطاجنة وغيرها من الآثار الإسلاميّة التاريخيّة ، وما يلفت النظر هو الجزء الخاص عن المحاورّة بين محمد إقبال وجلال الدين الرّومي ، فالمرید الهندي ( محمد إقبال ) يسأل بالأردوية والروميّ يُجيب عن كل سؤال من المثنوي ، وهذا الحوار يوضح لنا أهم عقائد وأفكار محمد إقبال .

ربّما لا يجد القارئ العربي في هذا الديوان محمد إقبال البليغ الجذّاب في شعره الأثخاذا الذي تفرّد به بين كبار شعراء الأردوية القُدماء والمُعاصرين ، وهو بسبب كثرة نقل هذا الديوان من شعر إلى نثر ، ثم من نثر إلى صياغة شعرية بالعربية ، فهكذا زال جمال الشعر وروعته وخفّت بلاغة الشاعر وإبداعيته ، لذا ضَمَمْتُ إلى بعض عيون قصائد هذا الديوان تراجمها النثرية للعلّامة السيد أبي الحسن علي الحسنی النّدوي ملتقطاً من كتابه « روائع إقبال » الذي قرأ هذا الديوان - مع جميع دواوينه - بكل عمق ودقّة بلغته الأصليّة فبلّغ مُحسناً ومُجيداً بترجمته النثرية مبلغاً لم يبلغه أحد قبله ولا بعده .

\*\*\*

## محتوى الديوان

يحتوي هذا الديوان على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : إحدى وستون قطعة تتناول أفكار الشاعر الشائعة في شعره في صور شتى ، ورباعيات قليلة .

القسم الثاني : قصائد نظمها في الأندلس حين زارها .

القسم الثالث : قصائد ، ومن عيونها « لينين أمام الله » وهي صورة تمثيلية رائعة ، ويوجد في هذا القسم غير هذه القصيدة ، بعض القصائد منها عن فلسطين ، ومحاورة طويلة بين جلال الدين الرومي ومحمد إقبال .  
وقطع كثيرة متفاوتة العناوين ومختلفة المواضيع .

وقد نقله أولاً من الأردوية إلى الفرنسية نثراً ثم نقله من الفرنسية إلى العربية نثراً الأستاذ عبد المعين الملوحي ، ثم صاغه في العربية شعراً الأستاذ زهير ظاظا ، وهو الآن بين أيديكم .

## القسم الأول

( ١ )

دَوَّتْ بِصَرَخَةٍ رَغْبَتِي أُرْكَانَ حَضْرَتِهِ الشَّرِيفَةِ  
فَاسْتَرْحَمْتُهُ الْعَاكِفُونَ لِفَرْطِ جِرَاتِهَا الْمُخِيفَةِ  
هِيَ ذِي مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ وَحَوْرُهَا أُسْرَى خِيَالِي  
بِصْرِي يَكْدُرُ مَا يَفِيضُ بِهِ التَّجَلُّي مِنْ جَمَالِ  
إِنْ كَانَتْ اقْتَصَرَتْ عَلَى نَقْشِ الْمَسَاجِدِ هَمَّتِي  
لِي سَاعَةً تَجْتَاخُ فِيهَا الْكُونَ جِدَّةً نَظَرْتِي  
مَاذَا فَعَلْتَ ، أَبَحْتِ سِرِّي هَاهُنَا ، لَكِنْ لِمَاذَا ؟ !  
وَأَنَا هُوَ السِّرُّ الْوَحِيدُ لَهُمْ بِصَدْرِ الْكُونَ هَذَا  
أَنَا مَا سَكْرْتُ بِمَا سُقَيْتُ فَهَلْ بِكَأْسِكَ مِنْ ثَمَالِهِ  
مَا مَدْحَةٌ لِلْبَحْرِ أَنْ يَهْبِ النَّدَى ظَمِئًا حِيَالِهِ

( ٢ )

لِمَ أَهْتَمُّ بِأَخْطَاءِ النُّجُومِ ؟      وَأَذِيبُ الْقَلْبَ فِي هَذَا الْعَنَا  
إِنْ أَصَابَتْ شَاوَهَا أَوْ أَخْطَأَتْ      فَهَوَ شَيْءٌ لَيْسَ يَعْنِينِي أَنَا  
ثُمَّ هَلْ يُمْكِنُنِي أَرْتِي لَهَا      وَأَنَا أَطْلُبُ مِنْ يَرْتِي لِحَالِي  
لَسْتُ فِي كَوْنِكَ إِلَّا حَفْنَةً      فَلِمَاذَا يُشْغَلُ الْعَالَمُ بِأَلِي  
هُوَ لِي أُمُّ لَكَ أَنْتَ      عَالَمِي أَمْ عَالَمُكَ ؟  
كُلُّ غَيْبٍ وَشَهَادَةٍ      لَيْسَ لِي مِنْهُ نَصِيبُ  
جَاهِدَ الْعَقْلُ جِهَادَهُ      هُوَ أَمْ أَنْتَ الْمَصِيبُ  
أَنَا مَا قَصَّرَ فِي بَحْرِيكَ هَذَا      هَذَا مَضَائِي  
رُغْمَ أَنِّي لَيْسَ لِي عِلْمٌ بِمَا خَلْفَ الْفَضَاءِ  
كَيْفَ إِبْلِيسُ الرَّجِيمِ      قَالَ : لَا ، لِلْكَوْنِ هَذَا



ولماذا ( أنا حتى الآن لا أدري لماذا ) !!  
 ليت شعري أنت حقاً أم أنا موضع سرّة  
 أنا بالنسبة لي طوّختُ في خيري وشرّه  
 يا أبا القاسم يا جبريلُ يا قرآنُ إنّي<sup>(١)</sup>  
 حلفُ سيرٍ فإليكم أيّها السّادة عنّي  
 أئنا يشرحُ ما في القول هذا من حلاوة  
 أنا أم أنت الذي يمتنّحه هذي الطّلاوة  
 عطرك اللهمّ في الإنسان ما زال ولو نوك  
 وبإشراقه هذا النّجم قد أشرق كونك  
 أنا من آدم فرغ وهو من صنّع يدك  
 هل أساءت هذه الرّحلة في شيء إليك

\*\*\*

قد تألفت فزده ألقاً هذا العذاز  
 وأدم لسي حكمتي في أسره ليل نهاز  
 خذ إلي أسرك قلبي فلقد طاب التهالك  
 أنا لا أرغب أن يكشف حبي وجمالك  
 أنت كاللّجة لا ساحل لك وأنا الجدول لا لجة لي<sup>(٢)</sup>  
 قل لها تأخذني في حضنها وأغثنى مرة من ساحلي

(١) يريد الشاعر أن يقول : إنّ القلب السليم هو الذي لا يحول بينه وبين الله رسول ولا ملك ، إنّه حتى القرآن الكريم ممكن أن لا يزيد الظالمين إلّا خساراً .

(٢) المقصود ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [ المائدة : ١١٦ ] أنت أقرب إلي من حبل الوريد وأنا لا أرى شيئاً ، يا للفضيحة أنا كالجدول ، أيّ كان ذلك الذي سيمر على ضفافه فإنه من غير أن يبذل كبير جهدٍ سيميز بين الحصى الخضراء والزرقاء .

أما أنت فكاللّجة ، حتى السماء إذا نظرت إليها فلن تجد أكثر من مرآة تعكس زرقتها .

فمن المسؤول عن هذا السلوك ؟  
 جوهرأ يُلهبُ تيجان الملوك  
 فاحفظ اللهم هذا النَّفسا  
 ذلك الغصنَ الذي قد يسا  
 مع ما أخرجتني من جنتك  
 وأرى كم رحمة في صفحتك  
 حين تبدو صُحفِي بينَ يديك  
 أنني أنظرُ يا ربي إليك  
 عن قلوبِ سُمتها من ضَرَمِكَ  
 لم تطفُ إلا به في حَرَمِكَ  
 ضاعَ في حقلٍ وبيدز  
 أعطه قوَّةَ حيدز

إن أكن قوقعةً فارغةً  
 أنت من يجعل من هذا الحصى  
 ربِّ ما قدَّرت لي رَجَعَ الربيعُ  
 فعسى تروى به قُبْرَةٌ  
 مع ما أرهقني عبء الحياه  
 سترى كم توبة في صفحتي  
 أنا قد يَخمُرُ وجهي خجلًا  
 فرجائي عندما تقرؤها  
 أعرفُ الحبَّ الذي خَبَّأته  
 أنت لو جعله قطباً لها  
 ارحم الكَلَّ الضعيفُ  
 بدلاً من ذا الرَغيفُ

( ٤ )

شكوايَ أطلبُ تُصغي إلي  
 فيا طالما العدلُ يبغي علي  
 وكلُّ على قبضة من تراب  
 وهل هذه رحمة أم عذاب  
 تقاومُ ريحاً بيستانك  
 إلى الآن تزهو بألوانك  
 وضيعُ وأكثرُ من مزدري  
 وأنشأت مملكة في العرا  
 فتاهت عليه المها والطَّباء  
 فليس يصيدُ بهذا العراء  
 إلى عالمِ الحُبِّ لا تستطيعُ وصولاً ملائكة في السماء

سواء أهزتك أم لم تهزك  
 أنا وقحٌ لست أسأل عدلاً  
 سماءُ وأرضُ وريحُ غضاب  
 فهل لك في الخلق من فرحة  
 أنا العطرُ خيمته وردة  
 وبالرغم من ضعف أسبابها  
 وبالرغم من أنني في السماء  
 رضيتُ ببؤسي الذي اخترته  
 خلا الروض ما فيه من أجمة  
 إذا كان صيادنا ماهراً  
 إلى عالمِ الحُبِّ لا تستطيعُ وصولاً ملائكة في السماء

لمن لا يهابون سَفْكَ الدِّمَاءِ  
إذا لم تنل من ضِرامِ الهِجْرِ  
بأناتِ إقبالِ هذا الفِجْرِ  
لتنزلَ منزلها في القَمَمِ  
تقسُمُها بينَ كلِّ الأُمَّمِ

( ٥ )

أفقدَ الحَبَّ بهجَتَهُ  
نفحةُ الموتِ جذوتَهُ  
بَدَدَ العَمْرُ حُرْقَتَهُ  
أَخَذَتْ مِنْهُ زَهْرَتَهُ  
قاومتْ مِنْهُ شُغْلَتَهُ  
وَأدِمَّ فِيهِ سَخَطَتَهُ  
يَهْبُ الأَرْضَ نَظْرَتَهُ

ورأيتُه ليس تُعْطَى سِوَى  
ومن أينَ تعرفُ معنى الوِصالِ  
سألتك تملأُ رُوحَ الشَّبَابِ  
وتؤتي الشَّواهِينَ عونَ الجِناحِ  
وأمنيَّةَ العُمُرِ هذي الجِراحِ

نمطُ العَيْشِ هَاهُنَا  
أدركَ الحَبَّ أحمَدَتْ  
ففي لهيبِ انتظاره  
ضاع عمري بلحظةٍ  
تربيتُ من شرارةٍ  
هبَّ له خُلْدَ رُوحِهِ  
وانظُرِ الأَرْضَ عِنْدَمَا

\*\*\*

( ٦ )

أبدأ هاهنا بتقويم قلبي  
مثل يومي غداً أمامك ربي  
وترى الحورُ لوعتي ونحيبي  
يأخذوا أيَّ فكرةٍ عن لهيبي  
كلَّ وخزٍ رآه عَبْرَ الطَّرِيقِ  
ذلك الوخزُ في فؤادي الرَّقِيقِ  
لم أجدُ ساحلاً له في حياتي  
وأرى ساحلي شعوري بذاتي  
وهو بحثٌ بغير لونٍ ومنهجٍ

أنا أرجو ألا يقوم رمادي  
ورجائي ألا يكون عذابي  
ثمَّ أرجو ألا أخورَ وأبكي  
وعسى هذه المحافلُ ألا  
ربَّما يذكرُ المسافرُ يوماً  
فرجائي ألا يصير حنيناً  
جعلَ الحَبَّ من فؤادي بحراً  
أنا أرجو ألا أفاجأ يوماً  
ورجائي ألا أكون ببحثي

كالذي ضاع عمره خلف ليلي  
 آدمُ الأرض في صعودٍ غريب  
 ربما صار للسّمواتِ بدرأ  
 مولاي سرُّك ماضٍ في عوالمه  
 ولست غيرَ صراخِ الفَجْرِ أملكه  
 أنا بكونك كالعُصفورِ في الشَّرِكِ  
 يقتني إثرَ هودجٍ بَعْدَ هودجٍ<sup>(١)</sup>  
 ولهذا التُّجُومِ طرّاً تمورُ  
 ربما عاد نجمُه المكسورُ  
 من عالمِ الطَّيرِ حتّى عالمِ السَّمَكِ

(١) في الأصل ص ٢٦٧ حرفياً ( ملاحقة الهودج ) .

إشارة إلى أسطورة : كان امرؤ القيس وهو شاعر عربي في القرن الأول قبل الهجرة . ذو شهرة واسعة وقع في حبّ ليلي ؟ عندما رآها فكان يلحق بكلٍ بعير يحمل هودجاً على أمل أن تكون فيه ، والعبارة تعني ( كل ملاحقة نصر على تحقيق الغاية التي وضعها الإنسان لنفسه ) .

وفي تأويلات أخرى أنّ المجنون أرسل رسالة إلى حبيبته ليلي ثم نفذ صبره فلحق بحامل الرسالة .

قال الأستاذ المَلُوحِي : ونلاحظ في هذا التعليق جملة من الهفوات فحبيبة امرؤ القيس التي ذكر امرؤ القيس هودجها ليست ليلي في قوله :

ولما دخلت الخدر خدر عنيزة . . . إلخ

قلت في ديوان الأسرار ص ٧٠ يعلق عزّام على البيت :

صدر عصري ما يقلب يؤهل نوح قيس حين يخلو المحمل  
 قال : يبكي لخلوّ عصره من القلب كما يبكي المجنون لخلوّ المحمل من ليلي وقد  
 يكون من ذلك قول المجنون :

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نساها  
 وفي البداية والنهاية حوادث سنة ٦٣١هـ : كان السهروردي صاحب العوارف مرةً في  
 مجلسه فكان يكرر هذا البيت :

ما في الصحاب أخو وجد تطارحه إلا محب له في الركب محبوب  
 فقام شاب وكان في المجلس فأنشده :

كأنما يوسف في كل راحلة له وفي كل بيت منه يعقوب  
 فصاح الشيخ ونزل عن المنبر وقصد الشاب فلم يجده ووجد مكانه حفرةً فيها دم كثير  
 من كثرة ما كان يفحص برجليه عند إنشاد الشيخ البيت .

أَيْهَا السَّاقِي لَقَدْ قَامَ الْغَفَاةُ  
 ذَرَّةٌ لَمْ تَخُلْ مِنْ عَاصِفَةٍ  
 نَهَبَتْ خَيْرَاتِنَا أَجْمَعَهَا  
 أَيُّ عَيْنٍ قَدْ أَصَابَتْ رَكْبِنَا  
 فَتَنَةٌ فِي الْقَلْبِ قَدْ أَوْدَتْ بِنَا  
 أَيْنَ فِي وَدْيَانِنَا الْمَاءُ الَّذِي  
 لِمَ لَا يَنْطَلِقُ التَّوْقُ الَّذِي  
 حُجْبٌ غَطَّتْ عَيُونَ الْمُؤْمِنِينَ  
 رَغَمَ أَنَّ النَّهْرَ وَالْبَسْتَانَ فِي  
 تَبْرِيْزَ بَسْتَانَ وَنَهْرَ  
 لَمْ يَزَالَا لَمْ تَقُمْ جَوْقَةٌ رُومِيٍّ مِنْذَ دَهْرٍ  
 قَلَّ لَهَا إِنْ شَتَّتَ هَذَا النَّهْرَ وَالْبَسْتَانَ قُومِيٍّ  
 لَوْ تَرَى إِذْ رَقَصَتْ تَبْرِيْزَ فِي حَضْرَةِ رُومِيٍّ  
 أَنَا لَا أَيَّاسَ مِنْ حَقْلِ ذَوِي  
 فَأَعِذْ رُونِقَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ  
 أَيُّهَا السَّاقِي هُمُ قَدْ مَنَحُوا  
 أَنَا لَوْ أُعْطِيتُ دُنْيَا أَبْرُوِيْزَ  
 أَنَا لَا أَخْلُو بِمَا أَنْعَمْتَ مِنْ مَوْهَبِهِ  
 أَنَا بِالْفَطْرَةِ أَصْبَحْتُ رَقِيْبًا لِلْوَجُودِ  
 ثَوْرَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ  
 أَيُّهَا السَّاقِي خُذِ الْكَاسَ وَهَاتِ  
 لَمْ نَعُدْ نَنْفَعُ شَيْئًا لِلْعِبَادِ  
 جَعَلْتَهُ هَائِمًا فِي كُلِّ وَادٍ  
 نَحْنُ أَبْنَاءُ أَطْبَاءِ الْقُلُوبِ  
 قَبْلُ أُخِيْنَنَا بِهِ رُوحَ الشُّعُوبِ  
 يُوقِدُ الْجَذْوَةَ فِي صَدْرِ الْحَرَمِ  
 أَنْ تَرَى زَمْزَمَ قُرْبَ الْمَلْتَزَمِ  
 رَغَمَ أَنْ النَّهْرَ وَالْبَسْتَانَ فِي  
 تَبْرِيْزَ بَسْتَانَ وَنَهْرَ  
 لَمْ يَزَالَا لَمْ تَقُمْ جَوْقَةٌ رُومِيٍّ مِنْذَ دَهْرٍ  
 قَلَّ لَهَا إِنْ شَتَّتَ هَذَا النَّهْرَ وَالْبَسْتَانَ قُومِيٍّ  
 لَوْ تَرَى إِذْ رَقَصَتْ تَبْرِيْزَ فِي حَضْرَةِ رُومِيٍّ  
 أَنَا لَا أَيَّاسَ مِنْ حَقْلِ ذَوِي  
 فَأَعِذْ رُونِقَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ  
 أَيُّهَا السَّاقِي إِذَا الْمَاءُ هَطَلَ  
 وَابِلًا يَا أَيُّهَا السَّاقِي فَطَلْ  
 لِذَوِي الْكَدِيَّةِ أَسْرَارَ الْمُلُوكِ  
 لَمْ أَكُنْ أَرْغَبُ عَنْ هَذَا السَّلْوِكِ  
 لَيْسَ مِنْ طَفْرُلٍ أَوْ سَنْجَارٍ فِي بَيْتِي هَبْ  
 رَغَمَ هَذَا مَا لَجْمَشِيْدٍ عَلَى قَلْبِي قِيُوْدُ

\*\*\*

أَلَا يَا أَيُّهَا السَّاقِي  
 لَعَلِّي أَنْ أَرَى يَوْمًا  
 لِمَاذَا أَغْلَقْتَ أَبْوَابَهَا  
 مِنَ الْكَاسَاتِ هَاتِيكَ  
 مَكَانِي مِنْ مَعَانِيكَ  
 الْحَانَاثُ فِي الْهِنْدِ

مضت هدراً ثلاثاً قرونٍ بَعْدَ سَقُوطِ سرهندي<sup>(١)</sup>  
 مضت هدراً ثلاثاً قرونٍ في حانٍ هَدَمناها  
 ولم تتحمَّل التُّدمان بُعْدَكَ أيها السَّاقِي  
 ذوت غزليتي لا شيءٍ والأشياء حَرَّمه  
 علينا بائع الأهلوت بَعْدَكَ أيها السَّاقِي  
 قلوبُ أسودنا في الغاب قد هَجَرَتْ تحقُّقها  
 مع الصُّوفِيِّ والملا عبيدُ أيها السَّاقِي  
 من انتزع الحقيقة من مهتد حنَّنا هذا  
 وما أبقى لها إلا قراباً أيها السَّاقِي  
 كلامُ القَلْبِ حينَ يكونُ حَيًّا خمُرنا الباقي  
 وإلا كان للأرواح موتاً أيها السَّاقِي  
 أنا ليلٌ بلا قمرٍ ومالي هاهنا قَدْرُ  
 ألا يا أيها السَّاقِي بكأسك ذلك البدرُ  
 بكأسك سرُّ ذِيكَ الشُّكون وهذه الحركة  
 فأين الماء ، ماذا كان ردُّ الخضرِ للسمكة

(٩)

ساقِي ما حصل الذي أبغيه الذَّات عالمها متى نلغيه  
 القلبُ منشغلٌ بما عاطيته عمَّن يغنيه ومن يسقيته  
 ذهبَتْ بجوقته كؤوسك كلُّها لم تبقى إلا الصُّمْت في واديه

(١) إشارة إلى المصلح الكبير الإمام الزباني مجدد الألف الثاني الشيخ أحمد بن عبد الأحد  
 السَّرهندي المتوفى سنة ١٠٣٤هـ ، ويذكره الشاعر في مناسبات عديدة في دواوينه  
 المختلفة ، انظر للاطلاع على حياته وجهوده الإصلاحية الجزء الثالث من سلسلة  
 العلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي لكتاب « رجال الفكر والدعوة في الإسلام »  
 طبع دار ابن كثير بدمشق .

ما مثله متسوّل في حانةٍ  
لو جاء ماء الخضر كسر كأسه  
باللامبالاة التي ترويه<sup>(١)</sup>  
ورثى لذي كلف به يأتيه

\*\*\*

ساقِي والكأس الصغيرة لم تعد  
فرغت دنانُ القوم في أديارهم  
تكفي هلمّ له بما يكفيه  
وأيتُ أسألك الذي تخفيه  
بصري على طمحٍ وقلبي جامعٌ  
فاستز إذا أحببت ما أنويه  
غادرتُ لؤلؤتي التي أغرقتها  
في البحر تنعمُ من ضيائك فيه

\*\*\*

نظراتُ هذا الشعر تسحرُ لبنا  
تضفي على لونِ الشقائق رونقاً  
والحسنُ لا يحتاجُ للتنويه  
وتزيدها ألقاً بما تضفيه

\*\*\*

مرة تبصرُ المحبَّ شريداً  
مرة يقحمُ النزال عرياً  
مرة تبصرُ الملوكَ لديه  
مرة يحشدُ الدرود عليه

( ١٠ )

أحرقتُ رغبتِي بلاهةً سُوقِ  
لستُ أبتاغُ سكرةَ الملكِ عُنباً  
فأتتني ملوكُه تشتريها  
لا يليقُ الوجودُ هذا بحرّ  
بعبوديتي التي أنا فيها  
لم يجدْها هنا من الموتِ بدأ  
سرُّه يشتكي وجودك ذاكاً  
لذّة العشق من فراقٍ وهجرٍ  
أو مفرّاً من الحياة هناك  
ما ترددتُ أو تشردتُ يوماً  
أو تسكّعتُ في طريقِ كهذا  
لا يملُ الشاهين ما يرتجيه  
بين غابٍ يرودها وجبالٍ

(١) انظر : « حانة القلندرية في ( منطق الطير ) للعطار ص ٣٧١ ، طبع دار الأندلس . »

ناعمٌ بأله شديدُ المحالِ  
 بعدما كان تَلَّهُ للجبينِ  
 إنَّ في ذاك آيةً للضَّنينِ  
 وضريحِي لكلِّ طلعةٍ حرِّ  
 فغبارُ الطريقِ يعرفُ سرِّي  
 كيفما قَلَّتْه سببَت الغواني  
 حينَ صاعَتْ شقائق النُّعمانِ

ويرى في اتخاذهُ العُشَّ عاراً  
 من تُرى يسَّر الذَّيِّحَ لبرِّ  
 كثرةِ الدَّرْسِ أم نباهةً نفسِ  
 سلوةِ الشرقِ حينَ يجرح شعري  
 جئتُ (آلوند) (١) مرةً بعد أخرى  
 ليس يحتاجُ زخرفَ القولِ معنى  
 ما استعارتُ يدُ الحديدِ لونا

\*\*\*

مرةً وحدهُ يغني الجبالا  
 يملأ القلبَ غبطةً ووصالا  
 طالما أضلح المنابرَ بالا  
 أخذ العلمَ كلُّه والقِتالا

هو ذا الحبُّ مرةً إلفَ وإد  
 مرةً بالغيابِ يَشْقَى وأخرى  
 طالما ألهبَ المحارِبَ وَجداً  
 مثله مثلُ الإمامِ عليّ

( ١١ )

وتاريخَ لحظتِه الحاسمةِ  
 وأسيافَ نظرتِه القاسمةِ  
 ولم يبقَ منه سوى وسوسةِ  
 إلهِ سوى صنمِ المدرسةِ  
 ولأنَّ ما عرفوا رسمه  
 هُم وثيئون لا يعرفونَ من فنِّ آزرٍ إلا اسمَه  
 رشاقةً فطرتِه البائدةِ

ألا يتذكَّرُ يومَ اللقاءِ  
 وما قدَّسَ الحبُّ من بقعةِ  
 ذوى الحبِّ في أنفُسِ العاشقينِ  
 وصرنا إلى زمنِ ماله  
 يقولونَ أستاذنا آزرُ  
 هُم وثيئون لا يعرفونَ من فنِّ آزرٍ إلا اسمَه  
 نَعَمْ هُم إلى الآنَ لم يعرفوا

(١) آلوند : جبل في إيران جنوبي غرب طهران وهو بمثابة ( رضوى ) عند شعراء العرب  
 ومن هنا اختار عزّام أن يستبدل آلوند برضوى في ترجماته ومن الجدير بالذكر أن إقبال  
 نظم جناح جبريل على غرار رباعيات ( بابا طاهر الهمداني ) الذي يكثر في شعره ذكر  
 جبل آلوند وميمند .



ولم تبق زاوية هادئة  
 فلا هو عُشٌّ ولا هو قَفْصَن  
 فلم يبقَ في الدَّنُّ إلا غصن  
 وهذي التي فجَّرت عَيْنَا  
 وما علموا ما الذي بيننا  
 اللذان يجيشان فيما تشيد  
 وخذُ التألُّق أجرُ الشهيد  
 ولا أشتكي جَوَزَ هذا الزمان  
 بفضلِكَ أخلعُه في أمان  
 كما فني السَّابقون الأول  
 ولا الخوفُ أفعدهم في الدُّول  
 وخلصتني من شياطينه  
 وتجعلني من مجانينه

تطوِّح معبدهم في الرِّياح  
 تعجَّبت من عالم هكذا  
 هب الكزَمَ رونقه يا كريم  
 وحنانُ إيران قد أجدبت  
 يظنُّون شعري لأجل الرِّبيع  
 دمبي وغباري هما الجوهران  
 وأنت سفكتَ عليها دمي  
 بفضلِكَ لا أشتكي الأصدقاء  
 وثوبُ الحياة التي خضتُها  
 فهبني بسرِّكَ ذوقَ الفناء  
 فلا الحزنُ ثَبَطَ من عزمهم  
 نعم ، عقَدَ الفكرِ أطلقَتْها  
 متى الحبُّ تمنحني سرَّه

( ١٢ )

فترى الكؤوس على مدى البُستان  
 لأقلِّ بارقةً بهذا الحانِ  
 من طعمة المتسولين ملوكا  
 فتظنُّ كان كمثلهم صُعلوكا  
 هل من نجومٍ غيرها وسماء  
 ما حظُّها من هذه الضوضاء  
 عني لحلَّ الويل بي في لحظتي  
 حاشاك تحرمني وداعة غبطني  
 ولو اهتممت جعلت منه يقينا  
 دللت على عدم اكتراثك فينا

يَهَبُ الشَّقِيقُ بلا حسابِ خمره  
 عجباً من الصُّوفيِّ يترك زُهدَه  
 الحبُّ يجعلُ حيثُ مدَّ سِياطَه  
 يرثون شرفة أبرويز بمكرهم  
 هذي النُّجومُ عتيقةٌ كسمائها  
 يا ليت شعري والقيامةُ أزلفتُ  
 مولاي عينك لو أدت لحاظها  
 أنا غبطني عند الصبح تنهَّدي  
 لم لست مُهتَمًّا بهذا كلِّه ؟  
 عيناك لامعتان إلا أنها

بالرَّهر لم يُدركِ مدى أحزاني  
غنى له العصفور في البُستانِ  
فكنِ ابنَ عصرك أيها المجنون<sup>(١)</sup>  
فمن المناسب حربنا المكنونُ  
الرُّوح لا تفسى إذا فني الجسد  
هي أنكرت هذا الشُّعاعَ إلى الأبد<sup>(٢)</sup>

أنا لا يلائمني ربيعُ طافحٍ  
ويظنُّ من خيالاته عن فرحةٍ  
قالت لي الحمقى تبدد شملنا  
فأجبُّهم إن كان غيرَ مناسبٍ  
حقاً أبو الحسن المحقِّق قال لي :  
أتظن تبقى الشَّمس مشرقةً إذا

( ١٣ )

لم أستفد شيئاً بكلِّ غنائي  
هذا فضاؤك أنتَ أينَ فضائي ؟  
والكونُ سحرُك أم تموجُ ذاتي  
في ساحتها أنفقْتُ كلَّ حياتي  
نشبتُ على لغزٍ من الألفاظِ  
حيناً وحيناً باكتسابِ الرّازي  
وترعرعتُ بين النُّسور الكاسرة  
لم تدره تلك العُقَابُ الحائرة  
لغةً ، ولا تحتاجُ لالفاظِ  
فالسرُّ كلُّ السرِّ في الألفاظِ

عدمُ اكتراثك لم يزلْ وشقائي  
رَبِّاه أينَ أنا وأنتَ وإنْ يكنْ  
ولك الوجودُ جميعه أم لي أنا  
ما خضتُ إلا وقعةً نشبتُ به  
ما خضتُ طوال العمر إلا وقعةً  
بحرارة الرُّوميِّ كنتُ أخوضها  
ما أفلحتُ تلك العُقَابُ وقد نمتُ  
فليصقُرنا الملكيُّ سرّاً واحداً  
للحُبِّ أغنيةً وما لِينائها  
هي إن تكنْ أو لم تكنْ عريبةً

- (١) شاهد من سعدي شيرازي وهو حرفاً : انسجم مع الزمن .  
(٢) في الأصل ( أيمكن أن تظل الشمس مشرقة لو أنكرت أشعتها ) وفي الهامش أن الشمس هي الذات الكونية ، وأشعتها هي الذوات الفردية .  
قلت : وقريب من هذا .

رباه ذاتك في سماء حياتنا شمس أشعتها ذوات الناس  
وقريب من هذا قول شوقي في معارضته لعينية ابن سينا :  
يا نفس مثل الشمس أنت أشعة في عامرٍ وأشعة في بلقع  
فيذا طوى الله النهار تراجعت شتى الأشعة والتقت في المرجع

فرق إذا صلحت أمور الذات  
بيد الجنود وتلك بالنظرات  
والبعض يكتُم جرحه ويعاني  
لم يرغبوا عنه لحادٍ ثانٍ  
يرضى بقول القلب في تفسيرها  
ويردُّ قول الفكر في تقريرها  
وإلى متى تجتاحني أنفاسي  
أقسو عليها رحمةً بالناس

(١٤)

ما بين دروشة ولا ملكية  
كلتاها تغزو الوجود فهذه  
البعض قد ترك الركاب لغيرها  
لو أتقن الحادي مقاماً واحداً  
الفكر حتى بالفضيلة لم يعد  
والقلب حتى بالتجارب كافر  
فإلى متى هذا النفور يقودنا  
الله يعلم ما رأت نفسي التي

يتعدى أبداً ظلّ القمر  
ليس في كوني سوى هذا السمر  
عندما مزقت أطراف الرداء  
بقعة زرقاء في هذي السماء  
طوّحت خلف تلافيف الأثير  
بعض من صاحبت في هذا المسير  
في حجاب السر لا تنتهيان  
تجعل الأسرار في جبة كان  
فضحته صرختي عند الصبح  
لم تدع للحب سراً لا يُباح  
صرخة التائه من غير دليل  
دعوة تُعرب عن قزب الرحيل

أنا لا يبدو مجالي هاهنا  
وأرى اللعبة من ماء وطين  
أي عين هاهنا ما افتتنت  
تربت من أعين كانت ترى  
كم لنا قافلة مرهقة  
إن هذا المشتري واليَّيرين  
هذه الأرض وهاتيك السماء  
قفزة واحدة من عاشق  
أنت إن حاولت كتمان الهوى  
صرخة الحب التي تملكني  
رغم ما تطلقه من حيرة  
هي عندي وكما أعرفها

\*\*\*

صرت تهتم بأرضي وسماء  
لهناء في صباح ومساء

إن تكن رباً فيعني عندنا  
وجع في الرأس لا يتركه

أَسْتَمِيعُ الْعُذْرَ إِمَّا إِنْ تَكُنْ  
فَهُوَ لَا يَعْنِي (تَمَاماً) عِنْدَنَا

( ١٥ )

مَخْضَ إِنْسَانٍ عَلَى هَذَا الْوَهَادِ  
وَجَعَا فِي الرَّأْسِ ، لَكُنْ فِي الْفَوَاذِ

وَاضِحٌ قَوْلِي ، وَفِكْرِي نَيِّرُ  
طِينَتِي هَذَا الَّتِي أَمْلِكُهَا  
لَيْسَ عِنْدِي غَيْرَ شَيْءٍ وَاحِدٍ  
أَنْتَ لَوْ مَكَّنْتَنِي مِنْ صَوْنِهِ  
كَيْفَ لَا تُعْرِبُ عَنِّي صِرْخَتِي  
أَنَا غَنَيْتُ كَمَا عَلِمْتَنِي  
خَطَأً إِنْ كَانَ فِي تَصْمِيمِنَا  
ذَلِكَ الْإِنْسَانُ مَا قِيمْتُهُ  
رَغِمَ أَنْ الْغَرْبَ مَا عَلَّمْنِي  
فَأَنَا يَوْسُفْنِي ( الْمَلَأَ ) الَّذِي

رَغِمَ أَنِّي حَافِلٌ بِالْحَيَرِ  
كُلُّ مَا أَعْرَفَهُ عَن قَدْرِي  
أَنَا أَمْ أَنْتَ الَّذِي يَمْلِكُهُ ؟  
عَنْ زَمَانِي لَمْ أَكُنْ أَهْتِكُهُ  
كَيْفَ لَا تَمَلَأُ أَرْجَاءَ السَّمَاءِ  
أَنَا أَمْ أَنْتَ الَّذِي صَاغَ الْغِنَاءَ ؟ !  
مَا الَّذِي يَدْعُو إِلَى تَكَرَّارِهِ  
وَمَتَى يَخْرُجُ مِنْ فِخَّارِهِ  
مِنْ جَمِيعِ الْعِلْمِ غَيْرَ التَّرَاهَاتِ  
صَارَ لِلْإِسْلَامِ عَاراً فِي الْحَيَاةِ

\*\*\*

أَيُّهَا الْمُسْلِمُ<sup>(١)</sup> يَا نُورَ السَّمَاءِ  
أَنْتَ سُلْطَانُ اللَّيَالِي لَا كَمَا  
إِنَّ أَصْنَامِي الَّتِي فِي مَعْبَدِي  
لَمْ تَحْطَمْهَا يَدٌ غَيْرُ يَدِي  
ذَلِكَ الْأَعْمَى الَّذِي تَقْصِدُهُ  
هُوَ لَا يَبْصُرُ حَتَّى نَفْسَهُ

كَيْفَ لَا تَشْرِقُ فِي أَرْضِ الْبَشَرِ  
قَالَتِ الْحَمَقَى أَسِيرٌ لِلْقَدْرِ  
مِثْلُهَا تِلْكَ الَّتِي فِي مَعْبَدِكَ  
فَتَرَفَّعَ عَنْ يَدٍ غَيْرِ يَدِكَ  
مَا لَهُ عِلْمٌ بِمَا فِي قَلْبِكَ  
وَتَرَاهُ تَحْفَةَ مَنْ رَبَّكَ

(١) في ترجمة الشر للأستاذ الملوحي « يا أنت ! وقد اختلف النقاد في تحديد المنادى »  
ص ٩٨ .

رَبَّاهُ هَذَا الشُّوقُ يَنْبُضُ رَوْعَةً  
 بِالرَّغْمِ مِنْ هَذَا فَأَرْخَصُ سَلْعَةً  
 مَلِكَ الْمَرَابُونَ الْبِلَادَ جَمِيعَهَا  
 وَالنَّاسُ يُعْتَقِدُونَ رَغْمَ شِقَائِهِمْ  
 لَمْ تَمْنَحِ الْعُلَمَاءَ حَتَّى قَشَّةً  
 وَالْإِنْكَلِيزِ وَهُمْ عِبَادٌ مِثْلُنَا  
 مَلَيْتُ كِنَائِسُهُمْ بِكُلِّ مَلْدَّةٍ  
 هَلْ فِي مَسَاجِدِنَا بِكُلِّ بِلَادِنَا  
 قَرَأْتُكَ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَإِنْ يَكُنْ  
 لَوْ يَرْغَبُونَ بِرَأْيِهِمْ أَنْ يَجْعَلُوا  
 فَرْدُوسَكَ اللَّهُمَّ لَمْ يَرَهُ هُنَا  
 الْإِنْكَلِيزِ بِلَادُهُمْ فَرْدُوسُهُمْ  
 مَا زَالَ فِكْرِي فِي سَمَائِكَ حَائِمًا  
 تَأْبَى عَلَيَّ مَلَائِكِيَّةُ فَطَرْتِي  
 لَكَ ذَلِكَ الدَّرْوِيشُ جَرَّحَ نَفْسَهُ  
 لَا فِي سَمَرْقَنْدٍ وَلَا دَلْهِي وَلَا  
 أَنَا لَسْتُ مَسْكِينًا وَلَسْتُ مَرَاوِغًا  
 غَضِبْتَ عَلَيَّ الْأَصْدِقَاءَ جَمِيعُهُمْ  
 لَمْ أَسْتَطِعْ أَبَدًا أَسْمِي سُمَّهُمْ

وَيُرُوجُ حَتَّى فِي ابْتِيَاعِ الْبَدَاءِ  
 عِنْدَ الشِّرَاءِ مَوَاهِبُ الْعُلَمَاءِ  
 وَتَقَامَرُوا حَتَّى عَلَى الْأَدْيَانِ  
 لِلْإِنْكَلِيزِ بِمَطْلَقِ الشُّلْطَانِ  
 وَجَعَلْتُهُمْ أَخْلَى الْعِبَادِ وَفَاضًا  
 يُعْطُونَ أَبْنَاءَ الْحَمِيرِ رِيَاضًا  
 فَهِنَا لِلْحَوْمِ وَهَاهُنَا الْكَاسَاتُ  
 إِلَّا الْمَوَاعِظُ تَلِكُ وَالصَّلَوَاتُ<sup>(١)</sup>  
 قَاسَى كَلَامَ مَفْسَّرِيهِ وَعَانَى  
 الْقُرْآنَ (بِازَنْدِ الْمَجُوسِ)<sup>(٢)</sup> لَكَانَ  
 أَحَدٌ وَأَنْتَ هُوَ السَّمِيعُ الْمُبْصِرُ  
 وَالْمُسْلِمُونَ إِلَى سَمَائِكَ تَنْظُرُ  
 فَاسْجَنُهُ فِي فَلَكٍ مِنَ الْأَفْلَاكِ  
 أَنْ أَسْتَمِرَّ بِهِذِهِ الْأَشْرَاكِ  
 حَاشَا تَكُونَ لِقَلْبِهِ جِهَتَانِ  
 فِي أَصْبَهَانَ لَهُ مَقَامٌ ثَانِ  
 وَالْحَقُّ : أَرْفُضُ غَيْرَ نَفْسِي شَاهِدًا  
 وَالْحَقُّ لَا يَبْقَى صَدِيقًا وَاحِدًا  
 حَلَوَى وَأَعْرَفُ أَنَّهُ قَتَالُ

(١) المقصود اللادنيوية التي مني بها المسلمون والالادينية التي انتهى إليها الغرب ، فليس في كُنائسه إلا دنيا ، وليس في دنيا المسلمين إلا مساجد .  
 (٢) البازند : شرح ترجمة معدلة لكتاب زرادشت ( رأيسا ) ويُشير الشاعر إلى عناصر في هذا الدين مثل الثنوية وارتكاب المحارم ( من ترجمة الأستاذ الملوحى الثرية ) .

( دومند ) عندي لا يسمّى صخرةً  
لما قُذِفَتْ لِنَارِ نَمْرُودِ أَتَى  
وَصَمْتُ لَمَّا قَالَ : هَلْ لَكَ حَاجَةٌ  
رَبِّاهُ ! إِنِّي أَنْعَبْتَنِي حَيْرَتِي  
الْحَسَنُ مِنْ حَوْلِي يَشِيعُ وَصَالُهُ  
سَكَرَانُ مَغْتَبِطُ السَّجِيَّةِ مَتَشَشِ  
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يُخْرَمُ بَرَعَمُ  
لَمْ يَسْتَطِعْ إِقْبَالَ يَكْتُمُ جِرْحَهُ  
مَنْ سَوْفَ يُسَكِتُ ذَلِكَ الْوَقَحَ الَّذِي  
وعليه من قُللِ الْجِبَالِ جِبَالُ  
جَبْرِيلُ يَسْأَلُنِي فَلَمْ أَتَكَلَّمِ  
أَنَا مُسَلِّمٌ أَنَا لَسْتُ حَبَّةَ شَيْلِمِ  
مَا عَادَ يُمْكِنُ أَنْ أَغْضَرَ عَيْوَنِي  
وَالْحُبُّ فِي صَدْرِي يَذِيعُ فَتُونِي  
بِالْفَقْرِ فَرِحَانُ الْفَوَادِ بَهِيْجُهُ  
مَنْ رَغْبَةٌ فِي الْإِبْتِسَامِ تَهْيِجُهُ  
حَتَّى أَمَامَ اللَّهِ قَامَ وَقَالَ  
لَمْ يَبْقِ لِلْمُتَجَمِّلِينَ جَمَالًا

\*\*\*

## القسم الثاني

علق إقبال على هذه القصيدة بقوله :

تفضّل جلاله السلطان نادر شاه - الذي استشهد بعد ذلك - بدعوتي فاغتنمتُ  
زيارة ضريح الفيلسوف السنائي الغزنوي في شهر ( تشرين الثاني ) عام ١٩٣٣م  
وقد نظمتُ هذه التأمّلات على نمط قصيدة مشهورة لهذا الفيلسوف<sup>(١)</sup> ذكرى  
لهذا اليوم السعيد :

« إِنَّا نَسِيرُ عَلَى خُطَى السَّنَائِيِّ وَالْعَطَّارِ »<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

- (١) القصيدة نمط من الشعر العربي اقتبسه الفرس ، ويتّجه إلى مدح شخصية ما ، أو إلى  
تجسيد عقيدة عند أهل التصوّف كالسنائي ( من ترجمة الأستاذ الملوحي الثرية ) .  
(٢) الشطر الثاني من بيت لمولانا جلال الدين الرومي .

لما جنتُ على احتواء جنوني  
 لم آتِها بمخاوفي وظُنوني  
 بعثته من عطرٍ ومن تلوين  
 أسرارَ وحدانية التَّكوين !  
 فاملاً عيونك ما ملأتُ عيوني  
 ألقى بموج الظنِّ بحرُ يقيني  
 عَصَفْتُ بِمَنْبَرِ ذَلِكَ الْمَسْكِينِ  
 كَسَرَ الصَّلِيبَ تَعْصِباً لِلدَّيْنِ  
 لم ألق غير خصومةٍ من طِينِ

لم تَقَوَّ صحراءَ الطبيعة هذه  
 لولا الجنونُ أساء في تقديرها  
 بالذاتِ يمكنُ أن نكسُرَ سِحْرَ ما  
 لا أنتَ تملكُ في الحياةِ ولا أنا  
 صُورُ الوجودِ تموجُ نُصَبَ عيوننا  
 لو يستطيعُ البحرُ يتركُ موجه  
 بين المحقِّقِ والفقيرِ خصومةً  
 لَمَّا رُئِيَ الحلاجُ فوق صليبه  
 ما بَيْنَ مَنْبَرِ ذَا وَبَيْنَ صليبِ ذَا

\*\*\*

سَيِّانَ عَبْدًا كَانَ أَوْ سُلْطَانَا  
 لا يشتكي زمناً ولا شيطانَا  
 لا أنتَ أستاذي ولا أنا عَبْدُكَ  
 شَتَانٌ وَجَدِي فِي السَّمَاءِ وَوَجْدُكَ  
 لَكِنَّهَا فِي الْأَرْضِ أَقْدَسُ فَرْضِ  
 يَسْتَغْفِرُونَ بِهَا لِمَنْ فِي الْأَرْضِ  
 أَتَفَحَّصُ الحاناتِ فِي الْأَفَاقِ  
 وهناكِ خمرٌ ما لها من ساقِ  
 وبلاطٍ قيصر من دمائهما ندي  
 لا يابهُون لصارمٍ ومهنِّدِ  
 بوشاحِ فاطمةٍ ومصحفِ أحمدِ  
 شكواي قال - بحرقَةٍ وتنهُدِ - :  
 ينهي الوجودِ بشِغْرِهِ المتمرِّدِ  
 هذي النَّهايةِ ما ترى يا سيدي

رجلُ البصيرةِ لا يذوقُ هوانَا  
 يختالُ والدُّرْعِ الوحيدهُ زهدهُ  
 جبريلُ دعني في الحياةِ وسكرتي  
 أنا إن تَبِعْتُ خُطَاكَ خنْتُ خلافتي  
 سَفَكَ الدِّمَاءَ رسالةً مذمومةً  
 أهلُ السَّمَاءِ صلاحُهم في أنهم  
 كم ذا ذهبُ مُشْرِقاً ومُغْرَباً  
 فهنا كؤوسٌ لا مذاقَ لخمرها  
 طورانُ من إيرانَ تأخذُ ثارها  
 ذهبِ الدراويشِ الذين عهدتهم  
 وبقيتُ في حرمٍ يتاجر شيخه  
 لما اشتكى لله إسرائيلُ من  
 هذا الفتى قبل الأوانِ يريد أن  
 فأجابه صوتٌ : أليس أشدَّ من

إحرامُ أهلِ الصَّيْنِ داخلَ سدِّها ورقودُ مَكَّةَ في جوارِ محمَّد

\*\*\*

مِنْ ( لا إِلَهَ ) لَنَا  
وَكَاؤُوسِ ( إِلا اللهُ )  
الكَأْسُ طَافِحَةٌ  
وَالكَأْسُ فِي الإِثْبَاتِ  
العَازِفُ المَوْهوبُ  
نَبْكَي بِلا صَوْتِ  
عَجَبًا لأوربَّةَ  
وَبِذاتِ لَجَّتْ هـ  
تُخْفِي بِهَدَاتِهَا  
عَصَفَتْ فَمَا تَرَكَتْ  
رَأْيِ العَبِيدِ بِهَا  
وَتَقَرَّرُ الأَحْرَارُ  
لا شَيْءَ يُقْنَعُنَا  
يَأْتِي بِوَلْوَةِ  
ذَلِكَ السَّرْجُجِ إِذَا  
فَأَنَا أَسْوِيه  
لِي فِي الجَهَادِ يَدُّ  
بِضَاءِ مَا مُدَّتْ  
أَتَظُنُّ أوروبَّةَ  
أَوْ تَنْطَفِئِي نَارِي  
نَارِي وَقَدْ أذْكَتْ  
لا شَيْءَ يَمْنَعُهَا

كَأْسٌ يَمِينُنَا  
كُسِرَتْ بِأَيْدِينَا  
بِالنَّقْصِ فِي الأرواحِ  
تَبْكَي ذَهَابِ الرِّيحِ  
بِالعَزْفِ أَخْرَسْنَا  
وَنَخْوُنُ أَنْفُسَنَا  
بِالنَّهْرِ تُغْرِبُنَا  
ضَاعَتْ مَعَانِينَا  
تَيَّارَهَا المَاحِي  
وَكُنْراً لِمَسْجِحِ  
لا نَظْمُنُّ لَه  
السَّرْأِي مَجْمَلَه  
إِلا اجْتَهَادُ وَفِي  
مَنْ ذَلِكَ الصَّادِفِ  
عَجَّتْ هـ فِي الكَيْسِ  
صَخْرًا بِإِكْسِيرِي  
فِرْعَوْنُ يَخْشَاهَا  
إِلا لَمَوْلَاهَا  
أَنْ يَنْتَهِي نَفْسِي  
فِي قَشِّهَا اليِّيسِ  
مَا اخْضَرَّ مِنْ قَصْبِي  
مَنْ ذَلِكَ الحَطْبِ



لا يعرف اليأسا  
 أن يُزغم النفسا  
 يستخرجُ اليسرا  
 يرجو ولا كسرى  
 بركاب سيده  
 ينقطن في يده  
 هو خاتم الرؤسلى  
 في هذه السبل  
 يمشي أمام الركب  
 لغبار هذا الدب  
 هو آخر الدب  
 من نشوة الحب  
 للناس أعطاهما  
 هو مالكي طه  
 وترك أحمالا  
 أفلغت إجلا  
 لولاه ما جلت  
 أضعاف ما قلت

متفاهم قلبى  
 الحبيب علمه  
 من عشر عالمه  
 لا قصر قيصره  
 متعلق أبدا  
 لا غزوا للاقماز  
 هو سيد الأشياء  
 هو شغل السارى  
 هو مركب من نور  
 أعطى جنون الطور  
 هو أول الميبدان  
 في أعين السكران  
 هو رحمة القرآن  
 هو سيدي ياسين  
 أفلعت عن غوصي  
 لولا (سنائي) ما  
 لولاه عن بحري  
 فلألي فيه

( ٢ )

حذر الحكيم أشوبه بجنونه  
 ورميت بالاثنين حول عيونه  
 ذا الفقر فيه فمن عظيم فتونه

الشاعر الفرخ الحزين معاً أنا  
 أوتيت ملكهما بوجه معذبي  
 والرهد من شيم الملوك فإن تجذ

ألقى ممالكه إلى شيرينه<sup>(١)</sup>  
 ما بين مِخْلَبِه وبين عرينه  
 من فقد دُنياه وضيعه دينه  
 سمعت لأهات ابنها وأنينه  
 سيثِرُ عاصفة النُشور بطينه  
 حيٌّ كمثلِ البَرْقِ بين شؤونه  
 والعَبْدُ يفضُحُه غباءُ سكونه  
 ملكاً وخذش الله فوق جبينه  
 طربوا له وتحَيروا لشجونه  
 سيفٍ ولا رمحٍ فَمَنْ لجنونه

زهدُ الملوكِ كأبرويزِ محبةً  
 وكهدأةِ الأسدِ المقيمِ كما يُرى  
 لا قعدةُ الصُّوفيِّ مُنهدِمِ القُوى  
 ما قول سادتنا الدَّراوِشِ التي  
 هو من رجالِ الله إلا أَنه  
 رجلٌ تَنيرُ طريقه شطحاته  
 ملكٌ أماراتُ الجنونِ بوجهه  
 تيمورُ أو جنكيزُ كانَ كلاهما  
 شعري بفارسَ والعراقِ محيِّرُ  
 الكافرُ الهنديُّ<sup>(٢)</sup> يذبحُ دونما

(٣)

وَأَتَيْ مِكنسي منها الجنونُ  
 أَخَذَتْ مِنْ صَدْرِ جبريلَ الأمينِ  
 عن مصيري هاهنا كيف يكونُ  
 في رحابِ الكونِ منبوذٌ مَهينُ  
 وهي في اليقظة أو في الحُلُمِ  
 كثرةُ الحيرة موتُ الهَمَمِ

روعةُ السرِّ التي أعطيتها  
 إنَّ أنفاسي التي أهدو بها  
 لستُ آتي النّجم كي أسأله  
 هو لا يعرف من أين أتى  
 ما حياةُ الناس إلا سكرةً  
 لا تُضغُ عمرك في تفسيرها

\*\*\*

فـرحـي تـفـجـر مـن قـدمـي إلـى رأسـي

(١) يمكن أن يكون في هذا إشارة إلى قصر « دربند عجم » الذي بناه أبرويز لمعشوقته شيرين رمزاً لحبه كالملك المغولي شاهجهان الذي بنى « تاج محل » في القرن الخامس عشر الميلادي رمزاً لحبه لزوجته « ممتاز محل » .

(٢) انظر من تلَّب من الشعراء بالكفري (مكتوبات الإمام الرباني الجزء الأول ، ص ٣٢) .

أَنَسَلَّ مِنْ نَفْسِي  
 لَضْمِيرِهِ الْعَذْبِ  
 فِي سَكْرَةِ الْحَبِّ  
 عَنِ قَلْبِي الْمَجْنُونِ  
 وَعُلُومِ أَفْلَاطُونِ  
 عِلْمِ عَظِيمِ الشَّانِ  
 فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ  
 مَا كَانَ يُحْتَمَلُ  
 مَا زَالَ يَكْتَمَلُ  
 نُضْغِي إِلَى إِعْلَانِ  
 مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ  
 بِالسُّحْرِ عَنْ ذَاتِكَ  
 عَنْ كَثْرِ مِرَاتِكَ  
 وَلِهَيْبِ حَرَقْتِهِ  
 فِي نَارِ نَظَرَتِهِ

وَالْقَوْمُ تَطْلُبُ أَنْ  
 مَا سَرُّ قَلْبِي ؟ آه  
 وَسَمَوُ نَظَرْتِهِ  
 لَا أَرْضَى بِسَدَلَا  
 بِكُنُوزِ قَارُونِ  
 مَعْرَاجِ سَيِّدِنَا  
 بَدَتِ السَّمَاءُ بِهِ  
 لِابْدَ يُذْهِبُنَا  
 فَوَجُودِنَا هَذَا  
 فِي كَلِّ أَوْنَةِ  
 يَلْغِي خِرَافَاتِ  
 الْهَتَكِ أَوْرَبَّةِ  
 إِيَّاكَ أَنْ تَرْضَى  
 لَا تَتْرَكَ الرُّومِيَّ (١)  
 فَدَوَاؤِكَ الشَّافِي

(١) يرى إقبال أنَّ المراحل المختلفة للخبرات الداخلية ترتبط بأحوال مختلفة من الوعي الذاتي ، وبالتالي فالخبرات الداخلية التي نجدها في الأدب الديني العالمي مهما كانت مغلفة في مفاهيم سيكولوجية متقدمة فإنها لا تتركز على وهم ، وإنما تحمل قيمة معرفية كاملة .

والظاهر : أنَّ العلم الحديث ما زال لا يملك الأدوات التي يستطيع بمقتضاها أن يحلّل بدرجة مناسبة مضمون هذه الخبرات الصوفية .

ويريد إقبال بتمجيده للرومي أن يعرب عن سخطه على الفلسفة المجردة داعياً إلى الفلسفة التجريبية التي تجلت عند الرُّومي في مبدأ العشق العيني المشار إليه في قول الرومي : ليس الحرام تنظر إلى وجه الحبيب ، وإنما الحرام أن لا يكون لك حبيب تنظر إليه « انظر مجلة فكر وفن عدد ٣٢ فصل إقبال والرومي » .

أوما استَعَدَّتْ بِهِ      مَا ضَاعَ مِنْ نَفْسِكَ  
إِيَّاكَ كُنْتَ تَرَى      جِيحُونَ فِي كَأْسِكَ

( ٤ )

أَلَا يَا عَالِمًا فِي الْمَاءِ      بَيْنَ الثُّرْبِ وَالْأَهْوَاءِ  
ظَاهِرَ ذَلِكَ السَّرِّ      أَنَا أَبْدِيهِ أَمْ أَنْتِ  
وَهَذَا اللَّيْلُ فِي حَزْنٍ      وَحَرَقْتُهُ وَحَيْرْتُهُ  
وَلِحْنٍ مُؤَدَّنُ الْفَجْرِ      أَنَا أُعْطِيهِ أَمْ أَنْتِ  
نَشَاطِ الدَّهْرِ يَطْلُبُ مَنْ      أَنَا أَمْ أَنْتِ يَثْقُلُهُ  
وَيُخْمَلُ عَيْتُهُ يَجْرِي      أَنَا أُغْرِيهِ أَمْ أَنْتِ  
غِبَاؤُ نَحْنِ يَا أَعْمَى      وَلَكِنِّي أَعْيِي ذَاتِي  
فَحَقْلُ الْكُونَ لَا أُدْرِي      أَنَا أُسْقِيهِ أَمْ أَنْتِ

\*\*\*

( ٥ )

كَمَا أَنْتَ لَا تَكْتَرُثُ لِلسَّنِينِ      وَسِرُّ فِي طَرِيقِكَ نَحْوَ الْأَمَامِ  
كَمَا أَنْتَ لَا تُضْغِ لِلْقَائِلِينَ      فَلَسْتَ لِنَجْدٍ وَمَصْرِ وَشَامِ  
تَعَالَى جِهَادُ النَّزِيهِ الْغَيُورِ      تَعَالَى يَكُونُ لِنَيْلِ الْحُطَامِ  
وَجَائِزَةُ الْحَرِّ غَيْرُ الْخَمُورِ      وَغَيْرُ الْغَوَانِي وَغَيْرُ الْخِيَامِ  
عَلَى الطُّغْمِ يَسْقُطُ مَنْ لَا يَطِيرُ      وَمَنْ لَا يَحْلُقُ فَوْقَ الْغَمَامِ  
إِذَا سَلَبَ الْغَرْبُ قَلْبَ الْغَرِيرِ      فَسُرُّكَ يَغْزُو مَصِيرَ الْأَنَامِ  
عَصَاكَ تُصَدِّعُ صُومَ الْجِبَالِ      وَتَعْرِفُ سِيْنَاءَ صِدْقِ الْكَلَامِ  
فَدَغُ تَرْفِ الْغَمْدِ مَا لِلْهَلَالِ      عَلَى فَخْرِهِ غَيْرُ شَكْلِ الْحَسَامِ  
إِمَامُكَ يَفْقَدُ مَعْنَى الْخُشُوعِ      وَيَتَّقُضُ نَجْوَاكَ عَزَّ الْقِيَامِ  
أَمْثَلُكَ يَرْضَى بِهَذَا الْخُشُوعِ      وَتَلُكَ الصَّلَاةُ وَذَاكَ الْإِمَامِ

\*\*\*

نسيبُ جبريلَ معصومٍ من الرّيبِ  
 كم كانَ مِنْ سفنٍ للقومِ أغرقها  
 كنْ ثاقبَ العينِ في قلبِ الأسودِ لها  
 جسَّ الطيبُ بقلبي ما أكابدهُ  
 تطلعائكِ لا طاقاتُ تحملها  
 وما يُسمّى صفاءَ الرّوحِ أعرفه  
 هذا الدّمُ القِرْمِزِيُّ اللونِ (نَضْرَتُهُ)

وحكمةُ الذّوقِ تعلو حكمةَ الكُتُبِ  
 سلّمُ التّصوِّفِ واللاهوتِ والأدبِ  
 جرحُ فما لثغَاءِ الشاةِ من عَتَبِ  
 فقال : ويحك ما تخفيه من طلبِ  
 لكن (لك الحقُّ) لا تيأس من السَّببِ  
 وليس هنذا الذي في قلبك اللّجِبِ  
 تدلُّ أنّك لم تشرب شرابَ غبي

(٧)

لشقائق النعمان قنديلٌ على الآكام يشرقُ من جديد<sup>(١)</sup>  
 ويحشني العصفورُ في البستان ، يرغب أن أجدد في الشّيد  
 الحورُ صفٌ بعد صفٌ والزهورُ مبعثرة  
 ضجّ الجميعُ ولا أظنُّ جميعاً هذا ثرثرة

(١) يبدو أنّ القصيدة ستكون غامضةً إذا تُركت بغير تعليق للزوموز التي طفحت بها والتي  
 تعطيك فكرةً بشرحها عن طبيعة شعر إقبال وما فيه من رمزية مغرقة ، وتستطيع أن تأخذ  
 فكرةً واضحةً عن ذلك إذا تأملت ما هُمس به جناح جبريل - الأصل - من اختلاف النقاد  
 في فهم كثير من شعر إقبال .

يشير إقبال في هذه القصيدة إلى أنّ الحضارة قد دخلت في طورٍ جديد ، وهي بحاجة  
 إلى ديانة تناسبها ، وهذه الناس الذاهبة هنا وهناك تبحث عن شيء ، وهاهي الذوات  
 بدأت تستقل ، كلُّ واحد معتصمٌ بذاته وهذا سيجعل تلك الديانة أكثر جمالاً ؛ لأنّ  
 الديانة الحقّة إذا نزلت على الفطرة الحرة كانت كمثل لؤلؤة الندى على الزهرة  
 الحمراء . سيتألق البستان ، وغاية الفطرة هذه هي الجمال كله ، ولا يمكن لهؤلاء  
 الذين أصبحت نفوسهم كالمدن في تعقيدها إزاء صفاء الفطرة لا يمكن لهم أن يفهموا  
 كلّ هذا ؛ لأن هذه الزحمة في نفوسهم ستحول بينهم وبين تجلّي القصة في ثوبها  
 الجديد ، ويختم إقبال رموزه بإشارات لا تحتاج إلى تعليق .

الثُّوبُ أَضْفَرُ أَضْفَرُ      وَالثُّوبُ أَزْرَقُ أَزْرَقُ  
 وَالْقَزْمَزِيَّةُ قَزْمَزِيَّةٌ      وَالتَّفْرُودُ مُطْلَقٌ  
 أَلْقَى نَسِيمُ الصُّبْحِ لَوْلُوَّةً عَلَى تَاجِ الرَّهْوَرِ  
 وَالشَّمْسُ نَوَّرَتِ النَّسْدَى      لَتَزِيدُ مِنَ الْقَوِ الْعُطُورِ  
 مِنْ هَذِهِ الْغَابِيَاتِ قَامَ الْحَسَنُ يَبْدَأُ رَقِصَتَهُ  
 فِي هَذِهِ الْغَابِيَاتِ لَا فِي الْمُدُنِ نَفْهَمُ قَصَّتَهُ  
 اغْرَقَ بِذَاتِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَشَطَّ بِحَرَكِ فِي حَيَاتِكَ  
 إِنْ كَانَ يَزْعُجُكَ انْتِسَابِي فَاَنْتَسِبْ لِحِمَالِ ذَاتِكَ  
 مَا عَالِمُ الْقَلْبِ؟ الْمَحَبَّةُ وَالْمَرْوَةُ وَالْحِمَاسَةُ  
 مَا عَالِمُ الْجَسَدِ؟ التَّجَارَةُ وَالتَّمَلُّقُ وَالسِّيَاسَةُ  
 يَا أَنْتَ أَنْتَ إِذَا وَجَدْتَ غَنَى الْفَوَادِ فَلَنْ تُرَاعَ  
 أَمَا غَنَى الْأَجْسَادِ فَهِيَ وَكُلُّ مَا فِيهِ ضِيَاعٌ  
 وَإِذَا وَجَدْتَ الْقَلْبَ ثُمَّ أَضَعْتَهُ فَالْحَقُّ أَنَّكَ مَا وَجَدْتَهُ  
 وَالْحَقُّ: أَنَّكَ ضَائِعُ الْخُطُواتِ مِنْ وَهْمِ تُصَدِّقُ مَا ظَنَنْتَهُ  
 لِإِنْكِلِيلِ سِيَادَةٍ      فِي غَيْرِ قَلْبِ الْمُسْلِمِ  
 مَا فِيهِ تَأْوِيلَاتٌ      شَيْخٌ أَوْ مَسَائِلُ بَرَهْمِي  
 لَوْ كُنْتَ تَسْمَعُ لِلْقَلْبِ حِينَ قَالَ وَحِينَ جَلَّلَنِي حَيَاءً  
 لِمَا انْحَنَيْتَ أَمَامَ غَيْرِكَ صرْتَ مِنْ جَسَدٍ وَمِنْ قَلْبٍ هَبَاءً

( ٨ )

دَمُ الْمُسْلِمِ النَّوْرُ فِي دَرْبِهِ      وَمَوْهَبَةُ السَّحْرِ فِي قَلْبِهِ  
 وَيَعْتَرِفُ الْعَصْرُ أَنَّ الْجَمَالَ      صَبَا وَتَرَعْرَعَ فِي شَعْبِهِ  
 وَلَوْ لَا مَدَارِسُ هَذَا الشُّيُوخِ      وَأَجْبَارُ سُوءٍ وَرَهْبَانُهَا  
 لَرَوَى الْمَدِينَةَ مِمَّا ارْتَوَاهُ      وَأُورِقَ بِالْحَبِّ بِسْتَانُهَا  
 صَغَارُ الشَّوَاهِينِ مَا ذَنْبُهَا      هُمْ عَلَّمُوهَا عِنَاقَ الْغَبَازِ

هُمُ قَتَلُوا الْقَلْبَ فِي صَدْرِهَا      هُمُ أَبَدَلُوهَا بِهَذَا الشَّنَازِ  
 ترى النشأ يملأ وجه الطريق      بروحاتٍ نسرٍ وغدواتٍ بازٍ  
 ومفتي المدينة وإد سحيق      يضجُّ بمصطلحاتِ الحجازِ  
 أنا لستُ أفهمُ هذي الكؤوس      ويؤسفني مثلُ هذا اللجاجِ  
 ومن كان يحسنُ نختَ الصُّخور      ترفُّعٍ عن أن يَصُوغَ الرُّجاجِ  
 يقولون إقبالُ ماذا يريدُ      ومن أين جاء بهذا السُّلوكِ  
 سألتُ الدِّراويشَ عن سِرِّها      وألقيتُه في وجوهِ الملوكِ

( ٩ )

هو الحبُّ يمضي جِبالَ الحياة      ويغنِّي نسيئةَ الحانِه  
 ويرسلُها في وجوهِ التُّرابِ      ويمنحُها بعضَ ألوانِه  
 يُغْلَغِلُ فِي الأَرْضِ أوتارَه      ويملأ هيكلَ إنسانِه  
 كما يَتَغَلَّغُلُ لِينِ النَّسِيمِ      بسيقانِ زهرٍ وقفطانِه  
 إذا المرءُ لم يَذِرْ ما رُبُّهُ      تحوَّلَ عبداً لسلطانِه  
 ومن طلبَ اللهَ لا مِن سِوَاهِ      وأدركَ قيمةَ عِزِّفانِه  
 تحوَّلَ ( داراً ) له طالباً      و ( جمشيداً ) من بعضِ نُدَمَانِه  
 يجاهدُ للقلبِ حرَّ الجهادِ      وللبطنِ صعلوكِ أوطانِه  
 وذاك يحصِّلُ سرَّ الخلودِ      وهذا يموتُ بميدانِه  
 تمعَّنْ بقلبك واستشْرِه      ولا تسألِ الشَّيخَ عن شأنِه  
 خلا حَرَمُ اللهِ من أهله      فكن أنتَ جَذوةَ أركانِه

\*\*\*

( ١٠ )

الْقَلْبُ يَنْقُضُ الهوى      والعَيْنُ يَنْقُضُهَا الصَّفَاءِ  
 مَنْ لَمْ يُغَامِرْ مِثْلَمَا      غَامَرْتُ تَدَهْشُهُ السَّمَاءِ  
 مَا سَرُّ طَيْتِكَ الَّتِي      ذوقُ التَّجَلُّي نَقْشُهَا

أَنْضِيعُ فِي وَهْمِ الْحَيَاةِ وَأَنْتَ قَلْبِكَ عَرْشُهَا  
 حَاشَا لِأُورُوبَةِ النَّتِيِّ جَعَّتْ دَمَوْعُ عَيْوُنِهَا  
 حَاشَا تَنْيِرُ بَقْطَرَةٍ مُلِئَتْ بَلِيلِ ظَنُونِهَا  
 هَلْ يَعْرِفُ الصُّوفِيُّ وَالْمَلَأَ حَقِيقَةَ جَذْبَتِي  
 ضُنُّوا بِكُلِّ ثِيَابِهِمْ وَأَنَا أَمْرُقُ جَبَّتِي  
 مَا مَرَّقَا يَوْمًا وَلَا حَشَوًا وَلَا طَرْفَ الرِّدَاءِ  
 فَاعْجَبْ لَصُوفِيٍّ وَمَلَأَ يَلْجئونَكَ لِلرِّيَاءِ  
 حَتَّى مَتَى يَا طَيْتِي تَتَوَسَّلِينَ إِلَى التُّجُومِ<sup>(١)</sup>  
 كَانَتْ نَجُومًا ثُمَّ ضَاعَتْ خَلْفَ أَوْهَامِ الْعُلُومِ  
 إِمَّا أَكْفُ أَنَا وَإِمَّا أَنْ تَكْفَ عَنْ الْوُجُودِ  
 هَذَا الصُّرَاعُ الْبَارِدُ الْوَاهِي طَرِيقٌ لِلْجُودِ  
 مَا دُمْتُ صَاعِقَةً فِي الصَّحْرَاءِ أَعْمَلُ وَالْجِبَالِ  
 عُشْبٌ وَقَشٌّ يَا بَسُّ لَا يَسْتَحَقُّ أَنْفَعَالِي  
 الْكُونَ مِيزَانٌ يَكُونُ لِذِي الشَّجَاعَةِ وَالْجِلَادِ  
 لِلْمُؤْمِنِ الْحَقُّ الْمَخَاطِرُ بِالْحَيَاةِ لِمَا يَنَادِي  
 حَاشَا لِمَنْ (لَوْلَاكَ)<sup>(٢)</sup> فِي يَدِهِ يَرَى شَيْئًا مَنِيعًا  
 مَا مَوْمِنًا مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْكَوْنِ عَلَيْهِ جَمِيعًا

\*\*\*

( ١١ )

أَلْفُ خَوْفٍ وَلَا قِيَامُ لِسَانِي بِحَدِيثٍ مِمَّا يُكَذِّبُ قَلْبِي  
 عِنْدَمَا قَلْتُ لِلْقَلَنْدَرِ<sup>(٣)</sup> هَذَا قَالَ : أَحْسَنْتَ إِنَّ ذَلِكَ دَأْبِي

(١) ربما كان المقصود هنا : « بأبهم اقتديتم . . . » ( الحديث ) .

(٢) لولاك لما خلقت الأفلاك .

(٣) القلندرية : طريقة صوفية يمكن أن تكون امتداداً للملامتية ، ويشير السهروردي في =



عوارفه (٢٣٢) إلى عدة فروق بينهما ، وعنه ينقل المقرئ في الخطط  
(٤٣٢/٢) .

وترتبط نشأتها في التراث الإسلامي بمجىء جمال الدين الساوي إلى دمشق بعد سقوط  
ساوة في أيدي التتار حوالي عام ٦١٧هـ .

انظر الوافي للصفدي (٢٩٢/٤) . النعيمي (٢٠٩/٢) معجم البلدان (ساوة) ، تلبس  
إبليس (٣٩٨ ، ٤٠٥ ، ٤١٧) . (الكواكب السائرة ٣/١٩١ ترجمة علي بن  
صدقة) . (وفيه ٤٨/١ ترجمة محمد الجارحي) . (وخلاصة الأثر ٣/٣٨٩  
محمد بن أحمد العبادي) وانظر التذكرة التيمورية وعلى هامش لطف السمر  
(٣٥٣/١) . والعبر (١٤١/٥) والبداية والنهاية حوادث سنة ٧٦١هـ ورحلة ابن بطوطة  
(٣٣) ونلفت النظر إلى وجود جملة من المعتقدات الزرادشتية ترتبط ببحيرة ساوة ،  
وفي الحديث (خمدت نار فارس وغارت بحيرة ساوة) وهذا ما يفسر وجود بقايا  
زرادشتية في الأدب القلندري .

وينبغي أن يمحّص رأي دائرة المعارف الإسلامية «النسخة الفرنسية» من أنّ قلندر  
يوسف الإسباني هو مؤسس القلندرية وعنها نقل فروخ في (التصوف في الإسلام)  
ص ٢٦ وكذا حسين مجيب المصري في ترجمته غير المشهورة لأرمغان حجاز (١٥٦)  
ومحقق لطف السمر (٣٥٣) أو عن قاموس المنجد .

وربما كانت أخبار قلندر يوسف هذا شفوية غير مكتوبة ، أو أنها بمعنى آخر تقليدية .  
كما أننا غير مطمئنين إلى صحة كون (قلندر نامه) من تأليف شيخ الإسلام عبد الله بن  
محمد الهروي كما تقطع بذلك دائرة المعارف الإسلامية . «النسخة الإنكليزية»  
والمرجح أن يكون من تأليف هاتفي (عبد الله بن محمد الهروي) صاحب تيمورنامه  
و«شاه نامه» الذي ألفه للملوك الصفوية ، وهو ابن أخت جامي صاحب النفحات وقد  
توفي سنة ٩٢٧هـ .

والمشهور أنه عن طريق رباعيات بابا طاهر الهمداني / التي يرى فيها النقد مبيّنة قوية  
لرباعيات الخيام / انتشرت نظرات القلندرية للحياة .

والتداخلات التي تحيط بحياة بابا طاهر لها أهميتها في تفسير كثير مما نسب للقلندرية .  
فمن ذلك اتهامهم بالإيمان بالتناسخ وكون بابا طاهر أحد أولياء (أهل الحق)  
التناسخية كما في دائرة المعارف مادة أهل الحق ، ومن ذلك أنّ الدرگزيني الهمداني  
شيخ الساوي كان من بلدة بابا طاهر كما في الوافي للصفدي .

الذي يَحْشُدُ الجُمُوعَ بِحَانِ  
 حَوْرِ القَلْبِ لا يَدَاوِيهِ رَازِي  
 المَرِيدُ البَسيطُ وَهُوَ نَقِيٌّ  
 اسأل الله نعمةً مثل هذي  
 ربّ ما زال نجلُ آدم هذا  
 صنمُ النَّفسِ تحت إبطيه يُضفي  
 لستُ في صرختي أبْرِيءَ نفسي  
 وأنا ، كلُّ تهنّأتي ( لِمَلاً )  
 مؤمنٌ لا يكون للحبِّ أهلاً  
 وإذا الكُفْرُ صادفَ الحبَّ يوماً

( ١٢ )

أو لا تزال مسافراً تسري  
 والعصرِ إنَّ القومَ في خُسْرِ  
 وتَفُكُّ الدُّنيا بما فيها  
 وسلَّ الطبيعةَ عن فيا فيها

= ومن ذلك أن الخاكسارية وهم من مقدسي بابا طاهر يطلقون اسم القلندر على من هو في  
 المرتبة الخامسة من مراتبهم السبعة كما في كتاب ( الشبك ص ٥٣ ) ويلاحظ أن ما فيه  
 من وصف للقلندر (ص ٥٤) ترجمة حرفية لما في البرهان القاطع (ج ٢ ص ٣٠٤) .  
 ولا يكاد يختلف حديث إقبال عن القلندر وحديث بابا طاهر عن نفسه ، قارن قصيدة  
 الشاهين (ص ٣٥٧) بهذه القصيدة التي يصف بها بابا طاهر نفسه كما في دائرة  
 المعارف ، يقول : إنه قلندر ينتقل من مكان إلى آخر ، لا يغطي رأسه سقف .  
 ويتوسّد في نومه وسادة من الحجر ، ويزعجه القلق الروحاني باستمرار ، تمزّق قلبه  
 الكآبة والهم ولا يزهر في قلبه إلا زهرة الأسي وحدها ، حتى الربيع بما فيه من حسن  
 وسحر يخلفه شقياً بانساً .

يقول : عيناى وقلبي لا ينصرفان بسهولة عن التعلّق بأسباب هذه الحياة الدنيا وقلبي  
 الثائر يشتعل بين ضلوعي ولا يريحني لحظة واحدة ، أنت أسد أيها القلب أم نمر من  
 نمور ، أنت الذي لا تكف عن حربي وكفاحي ، سأسفك دمك أيها القلب إذا وقعت في  
 يدي ، لأرى من أي لون أنت .

لا زاهداً حقاً ولا ملكاً  
 ملكاً يُجَّجَلُ أينما سلكا  
 في حمل سيفٍ يَبْعَثُ الفرقا  
 قدراً يشوبُ سيوفه ألقا  
 حرّاً ولا مِنْ صَوْلَةِ القَدْرِ  
 مُتَعَلِّلاً بِالْعِلْمِ والنَّظْرِ  
 نرمي بها الجهلاء بالذِّين  
 متسِّئراً في زيِّ مسكين  
 مزقَّتْ أسراري إلى الأبدِ  
 لا أستطيع بلوغها بيدي

يمشي المنافقُ في نقائصه  
 وترى الموقِّقَ رغم محتته  
 كفُّ المنافق لا تساعده  
 والمؤمن الصديق محتته  
 ما للمنافقِ مِنْ إرادته  
 يستقبلُ الأقدارَ مرتبكاً  
 المسلم المغوار حجَّتْنا  
 في نفسه أقدارُ أمته  
 حتى تحسَّ بما أكابده  
 وجدورُ غفلتك التي سكرت

( ١٣ )

فاهداً قليلاً وكن منها على حذرٍ  
 وبعضُ ما فيه موجُ الشَّمْسِ والقمر  
 أن تستطيع احتواءَ اللّحنِ والوتر  
 يريدُ يستبدلُ البُحورَ بالحَجَرِ  
 من صيحةِ الحقِّ أو من صرخةِ السّحر  
 روحُ الجبالِ وأين الصّغق في الصّور  
 فإذ بها أمةُ الصّحراءِ في خورٍ  
 وماله في وجوه القومِ من أثر  
 تلوحُ بين دخانِ العَرَبِ بالشَّرَرِ  
 تفوحُ رَغَمَ حروبِ الكُفْرِ والأشِرِ

الحوُرُ في الغربِ سكرُ القلبِ والبَصْرِ  
 بحرُ الوجودِ تعالى أن نحيط به  
 حاشا لقيشارةٍ مهما بدلتَ لها  
 صوفيئنا خلفَ لاهوتيِّ أديرةٍ  
 والمنبرُ اليومِ والمحرابُ قد فرغا  
 أين الأذانُ الذي كانت تميد له  
 طوّفتُ في أمةِ الصّحراءِ أسألها  
 رأيتهم في سجودٍ لا اتجاه له  
 مهلاً فقرطبةِ الحمراء ما برحت  
 حماسَةُ الشّعْر هذا من شبيبتها

\*\*\*

( ١٤ )

يَقْظُ كما الفاروقُ يقظةً قلبه      يقْظُ كمِثلِ المرتضى في حربِه

حجرُ الفلاسفةِ المجرَّبِ مثله  
أيقظُ فؤادَكَ إِنَّ عُمْرَكَ ضائعُ  
أنا ، لا عصاي ولا عصاك تُفيده  
ستكون في الصَّحراءِ أحمقَ باحثٍ  
وغزائنا التَّريُّ لستَ تصيدهُ  
ربَّاهُ أينَ يلوذُ مركَّبكَ الَّذي  
أبروحُ في طلبِ الشواطئِ مخطئاً  
لولا الرِّياءُ بذلتُ خالصَ زفرتي  
كُتِمَتْ مخافةً برهميِّ لم يزلُ  
فإلى متى صمتي وحولي أمةُ  
هذا بِسُبْحَتِهِ وذاك بِسَيْفِهِ  
سمحتُ حضارتنا الحديثةُ هذه  
مَكَرَتْ بعالمهم فظاهرُ أمرها  
مولاي خُذْ بيدي ليثربَ إِنَّه  
ضَيَّعَتْ معرفتي وإيماني على

يستخرجُ الذَّهَبَ الدَّفينَ بتربهِ  
مادام قلبُك غارقاً في حجِّهِ  
إن لم يذوقَ ذوقَ الكلِّيمِ بضربهِ  
إن كانَ لم يَضْحِكْ مُزَهَفُ شَمَكَا  
مهما نصبتَ له جِبالةً وهمكا<sup>(١)</sup>  
عصفتُ بطيبةِ نفسه الرُّهبانُ  
والبحرُ بحرُك أنت يارحمنُ  
للمُسْلِمِ المطروحِ حولِ منارِهِ  
يخفي شرارته بمعبدِ نارِهِ  
يلهو بها السُّلطانَ والدَّرَويشَ  
وكلاهما مما تكذِّبُ يعيش  
للناسِ يتَّجهون كيف أرادوا  
حريةً والواقِعُ استعبادُ  
بترابِ يثربِكَ المطهَّرِ مرهمي  
شكُّ الفِرْنَجِ ووسوساتِ البرهمي

\*\*\*

( ١٥ )

عيونُ اللذاتِ دافقةُ  
بغيرِ تصنُّعٍ منها  
إذا كانتَ لها أسلُوبها في الهَجْرِ والشُّوقِ  
فذلك من تواضعها  
خلال الدرِّ والصَّدفِ  
ولا دَجَلٍ ولا صَلَفِ  
وذلك منتهي الدُّوقِ

(١) إشارة إلى قول مولانا جلال الدين الرومي : سير مرحلة على هدي رائحة المسك خير  
من سير مرحلة في اقتفاء الأثر والدوران حوله .

أَظَلُّبُ جِيْفَةَ الْغَرِبَانِ هَاتِيكَ الشَّوَاهِيْنَ  
إِذَا أَخْفَتْ مَخَالِبَهَا فَأَعْيُنُهَا سَكَكِيْنَ  
مَتَى الْأَوْتَارِ تَلْهُبُهَا بِلُوعَةِ ذَلِكَ الْحَبِّ  
فَنَعْمَةٌ صَوْرٍ إِسْرَافِيْلَ لَا تَفْتَنُ فِي الْقَلْبِ  
أَتَيْتُ الْغَرَبَ لَمْ أَعْبَأْ بِسُكْرَةِ دَلِّ سَاقِيهَا  
كَرَامُ النَّاسِ لَا تَشْجُو عَلَى مَرَأَى أَعَادِيهَا  
غَزَاةُ الْعَصْرِ لَيْسَ لَهَا عَلَى عَشَّاقِنَا عَوْنُ  
وَمَا مِنْ عَاشِقٍ إِلَّا لَهُ مِنْ حَبِّهِ كَوْنُ  
غِيَابٍ كَالْحَضُورِ بِهِ مِنْ الْهَيْجَانِ أَدْوْمُهُ  
لَعَلَّ الْهَجْرَ لِلْجُرْحِ الَّذِي فِي الْوَضْلِ مَرْمُهُ  
وَلَوْلَا ذَلِكَ عَانِيَتْ مَا عَانِيَتْ مِنْ عُصْصِي  
وَلَوْ أَنِّي ظَفِرْتُ بِهِ رَجَعْتُ وَلَمْ تَطُلْ قِصْصِي !  
إِذَا أَحْبَبْتُ تَلْمُسُهُ فَذَلِكَ فَيَضُ أَشْجَانِي  
أَقُمْ فِي عَزْلَةٍ وَأَقْرَأْ (مَزَامِيرِي بِإِيرَانِ) <sup>(١)</sup>  
وَلَا يَحْزَنُكَ مَا تَقْرَأُ مِنْ شَطْحِي وَمِنْ مَيْلِي  
يَقَالُ : يَرُنُّ صَوْتُ السَّرِّ فِي مُتَصَفِّ اللَّيْلِ !

( ١٦ )

شَبَابٌ قَعُودٌ رَقُودٌ نِيَامٌ لِعَجْزِ الْأَمِيرِ وَفَوْضَى الْجَنُودِ  
فَوَأَسْفَا كَيْفَ هَذَا السَّهَامِ تَطِيْشُ بِلَا هَدَفٍ فِي الْوَجُودِ  
يَقُولُونَ بَحْرٌ عَمِيْقٌ عَمِيْقٌ وَمَا أَضْيَعُ الْبَحْرَ مَا أَضْيَعُهُ  
بَحْثٌ بِهِ مَوْجَةٌ مَوْجَةٌ وَقَلْبْتُ قَوْعَةً قَوْعَةً  
أَمَا أَنْ تَهْجُرُ أَصْنَامَهُمْ أَمَا أَنْ تَخْرُجُ مِنْ قُمْمِكَ

(١) أحد دواوين الشاعر يحتوي على غزليات فارسية تُثير الدهشة بشطحاتها .

تزخرفُ هيكَلُها من دَمِكُ  
 بسرُّ كهذا الذي أهتِكُ  
 كسغلِ المحبِّ بما يُهلكه  
 وتفضُّحُ سرِّكَ آثاره  
 وما العيشُ جَلَلَهُ عازُهُ  
 طريقةً روميٍّ وأحوالُهُ  
 وما زلتُ أحفظُ ما قالَهُ  
 رؤوسُهُمُ تحتَ أطمارها  
 ويكشفُ أوهامَ أفكارها  
 كموسى بخطوته الضَّاربة  
 تصاعدُ في الأجمة اللَّاهبة  
 لدى الغربِ لم يستطع فتتي  
 غبارُهُما كانَ في مُقلتي  
 وأنفعُ طبِّ لذي علَّةِ  
 وما كان من مستبدِّ عتي

وغايةً أصنامهم أنَّها  
 أنا كيفَ أجهزُ هذا المساء  
 وسغلُ الحكيمِ بهذا العراء  
 هو الحبُّ ينسبك وقعَ الجراح  
 وما الحبُّ إن لم تمت عزةً  
 أنا لم أَرِ السَّرَّ لو لم أنلُ  
 ومن بَدءِ تلمذتي قال لي  
 رأيتُ فلاسفةً بالألوف  
 وذو الوحي يزفَع من رأسه  
 إذا خُضت معركةً فلتكن  
 فَمِنْ ﴿ لا تخف ﴾ شعلةً لم تزل  
 بريقُ الحضارة أوجُ الترف  
 أنا ابنُ المدينة وابنُ النَّجف  
 غبارُهُما قطرةً للعيون  
 مقيمٌ برغمِ رياحِ القُرون

( ١٧ )

وكان طَرْفُ الهوى في مَيعةِ الولعِ  
 بما تضمُّ من الحاناتِ والبيعِ  
 على الصَّقيعِ بمرأى الفاجرِ الهلِعِ  
 يثير في حتمه آلامَ مجتمعي  
 وتدَّعي أنَّ همَّ الشرقِ جاء معي  
 ما تدَّعيه يدُ العمَّال من شرع<sup>(١)</sup>

كانَ الشُّتاءُ كمثُلِ السَّيفِ حدُّتهُ  
 أيامَ لندنَ ماخوِزٌ لطالِبها  
 أيامَ كنتُ صلاةَ الفجرِ أبعثُها  
 ما لي هنا ولهيبِي حيثُ رحَّت ذكي  
 وكيفَ كانتُ هناكَ النَّاسُ تُنكرُني  
 أيامَ آلتُ مقاليدُ الأمورِ إلى

(١) لعلها إشارة الشاعر إلى تولي حزب العمال الحكومة في إنكلترا أول مرة عام ١٩٢٤ م، =

فكان في دربِ قُطَاعِ الحِجَارَةِ ما  
يا لَعْبَةً من ديمقراطيةٍ طَلَبَتْ  
كانتْ حكايةُ فصلِ الدينِ آخِرها  
ذَكَرْتُ دلهي بروما حين طَفْتُ بها<sup>(٢)</sup>  
كلا الدروس لها سحرٌ وأبْهَةٌ

لأبرويز من التَّدليسِ والطَّمعِ<sup>(١)</sup>  
عرشَ الملوكِ بما أبدته من وَرَعِ  
إنَّ السِّياسَةَ جنكيزيةَ الجَشَعِ  
فكنتُ بينهما في ملتقى وجعي  
رَبَّاهِ عَفْوِكَ قد أَبَعَدْتَ مُتَجْعِي

( ١٨ )

استفتِ قلبَكَ كيفَ المسجدُ افترقا  
وأين ذو جَلَدٍ منهم يَمُرُّ به  
الحبُّ ، يَعْرِفُ من زَلَّتْ له قدمٌ  
وأَنَّهُ جرحٌ سَهِمٌ إن صَبَرْتَ له  
ضاعَتْ عقيدةُ قومٍ في مصادمةٍ  
هيهاتَ يُذِرْكُها من لَيْسَ في دمه  
درسُ الشَّرِيعَةِ غيرُ الوَجْدِ وهو كما

وكيف نخرج من محرابه فِرَقا  
تقوى طويئته إن تكتُمِ الحُرَقا  
بأنَّه أقصرُ الأشياءِ أزمانا  
أوتيتُ من جُعبَةِ الصَّيادِ سُلوانا  
بائني وسبعين وادٍ من معانيها  
وجدتُ يؤلَّفُ قاصيها ودانيها<sup>(٣)</sup>  
رأيتُ مُنتشرٌ في جُمَلَةِ الفِرَقِ

= ( من ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية ) .

(١) يمثل أبرويز حزب المحافظين وهو عند إقبال حزب استعماري صريح (الأصل) .  
قلت : لا يخفى أن المقصود بقوله قطاع الحجارة هنا فرهاد وبذلك : أعطى إقبال أبعاداً  
جديدة لقصة فرهاد وشيرين ومرةً أخرى يقول في قصيدة (اجتماع لينين بفيلهم  
إمبراطور ألمانيا) إذا الشعب لبس تاج السلطان ستستمر أيضاً فوضى المجتمع .  
ذلك التاج هو شيرين ؛ إذا لم يُكَيِّم بها أبرويز فسوف يتيم بها فرهاد قاطع الحجارة .  
انظر مجلة فكر وفن عدد ٣٢ ص ٧٩ .

(٢) عند عودة إقبال من لندن بعد اشتراكه في مؤتمر المائدة المستديرة ، الذي دعت إليه  
الحكومة البريطانية للبحث في الإصلاح الدستوري في الهند زار روما في نهاية عام  
١٩٣١م وقابل موسوليني (الأصل) .

(٣) يذكرنا هذا المعنى بيتاً ربما كان من شعر بابا طاهر ، أي : كن قلندري الصفة صوفي  
المظهر والمشرّب معروفاً لدى اثنين وسبعين فرقة (الشبك ٥٤) .

إسلامنا الغير مكتوب على الورق  
ولا يفوحُ بغير الوجودِ معناه  
هيهات تبلغُ بالأوهام مغناه  
فكنْ بحبِّك في هذين سَكِّيرا  
فإنَّ ذلك لا يجديكَ قَطْميرا  
ولن تراقبَ يوم الحشر ذا جاهٍ  
شَقَّتْ أمام البرايا معطفَ الله<sup>(١)</sup>

وأَنه وكما نَمَّتْ تجارُبنا  
غصنُ اليقين الرَطيب الوجودُ ينبتهُ  
فقل لذي هِمَّةٍ بالدرسِ مجتهدِ  
الحبِّ في قحةٍ يحلو وفي سفهِ  
ولا تكوننَّ ذا حُبِّ بلا سفهِ  
لن تهدأَ الرَغْدَةُ الملقاةُ في خَلدي  
إن لم تَشُقَّ بسيفِ الشُّكرِ جذبتها

(١٩)

وليس في بُعدنا عن عالمِ البشر  
هذا العذابُ عقابُ الجُنِّ والخور  
وقلتَ : أطلب منكم زُهدًا مُقتَدِرِ  
أضاع أمجاد تيمورلنك في سمر

الرُّهد إخضاعُ هذا الطَّينِ والشَّررِ  
فقل لصوفيَّةٍ بالفقرِ راضيةٍ  
وما عليك إذا أنكرت مَذهَبَهُم  
فالزُّهد والملكُ لا يُستحسنان لمن

\*\*\*

يليقُ بالقول هذا جسمُه القمري  
وأيقظُ الطَّيشُ منهم رَقْدَةَ الفِكرِ  
ومزَّقوا سرَّهم في ثوبِ معتذر  
في سكرةٍ من كؤوسِ السَّمعِ والبصرِ  
من روحِ ذي طمَحٍ في عينِ مُنبَهرِ  
لو أمعنوا قبل هذا التيهِ بالنَّظَرِ

يا حَبْدًا يغفلُ السَّاقِي الجميلُ فلا  
إنَّ الرِّفاق إذا جاشت قرائنُهُم  
خاضوا بكلمة ( عفواً ) ما يروقُ لهم  
أفيلسوفٌ وصوفيٌّ ومجتهدٌ  
ما في الثلاثة من أبدى فوا أسفأ  
كانت بزواويةِ الأقفاصِ بغيتُهُم

(١) في ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية :

لن تسكني رعدتي حتى في يوم الحساب ، إما أن تشق ثوبها أو أن تشق معطف الله !  
يريد الشاعر أن يقول : لن أضحي بهذه الرعدة التي تمتلكني ولا بد لي من أن أجد من  
يُصغني إليها ولو لم يبقَ إلا الله فإنني سأتمسك بمعطف كبريائه ولن أبرح حتى أشقه  
بجذبتَي أو يمحوها بخمره . ( انظر ص ١١٩ ، من الترجمة النثرية ) .



سَجُنُ التَّمَلُّتِ لَا قَضِيَانُ تُنْسِكُهُ  
 وَرُبَّ غُلِّ حَفِيٍّ بِالْبَالِغِ الْأَثَرِ  
 تَغْنِيكَ إِنْ حَرَّتْ فِيمَا قَلَّتْ تَجْرِبَةٌ  
 فَمَا التَّجَارِبُ إِلَّا مَرَهُمُ الْحَيْرِ  
 انظُرْ خَرَابَ فَوَادِ الْعَرْبِ يَأْكُلُهُ  
 وَعَقْلُهُ فِي كِمَالٍ وَافِرٍ بِطَيْرِ  
 يَقُودُهُ الْعَقْلُ فِي نَهْرٍ يَفْجُرُهُ  
 وَخَلَفَهُ قَلْبُهُ يَمْشِي عَلَى كَدَرِ

\*\*\*

( ٢٠ )

رُغْمَ أَنْ الْعَقْلَ لَا يَمْنَعُهُ قَرَبٌ وَبُعْدُ  
 إِنَّهُ وَالْحَقُّ : مَا أَهْلَلَ لِلْحَضْرَةِ بَعْدُ  
 اسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى وَالتَّمَسُّ عَيْنًا لِقَلْبِكَ  
 إِنَّهَا أَتَمُّنُ مَا تَكْسِبُهُ مِنْ فَضْلِ رَبِّكَ  
 أَنَا لَا أَنْكَرُ أَنَّ الْعِلْمَ لِلنَّفْسِ حُبُّور  
 هُوَ فَرْدُوسٌ وَلَكِنْ فَارِغٌ مَا فِيهِ حُورُ  
 مَا أَحَقُّ النَّاسَ بِالسَّرَافَةِ مِنْ عَصْرِ سَفِيهِ  
 لَيْسَ فِي الْعَالَمِ قَلْبٌ يَجِدُ الْغَبْطَةَ فِيهِ  
 إِنَّهُ صَحْوٌ بَأَنٍ وَاحِدٍ هَذَا الْجَنُونَ  
 ذَلِكَ النَّوْعُ جَنُونٌَ مَا لَهُ صَحْوٌ يَكُونُ  
 قَلْبُ الْقَلْبِ غِذَاءٌ وَعَطَاءٌ حَيَّوِيٌّ  
 إِنَّ قَلْبًا لَيْسَ فِيهِ قَلْبٌ ، قَلْبٌ شَقِيٌّ  
 أَنْتَ لِلْحَضْرَةِ سَرٌّ مَا لَهَا سَرٌّ سَوَاكُ  
 إِنَّهَا إِنْ كُنْتَ حَيًّا حَيْثَمَا كُنْتَ هُنَاكَ  
 كَسَّرَ اللَّوْلُؤُ كَسْرًا كَلَّ أَصْدَافِ الْبُحُورِ  
 فَلَمَّاذَا أَنْتَ يَا لَوْ لَوْ تِي تَأْبَى الظُّهُورِ  
 مُسَلِّمٌ أَنْتَ وَقَدْ أَلْهَيْتُ سَيْنَانِي عَلَيْكَ !؟

أولا يزعج قولي : ﴿ أرني أنظر إليك ﴾ (١)

( ٢١ )

إنَّهَا الذَّاتُ إِن تَمَعَّنْتَ بَحْرًا  
ومحالٌ تكونُ جدولَ أنسٍ  
رُبَّمَا تَكْسِرُ السَّمَاءَ بِفَاسٍ  
والذي يجعلُ البحارَ بحاراً  
لا يطبقُ الجبانَ لَجَّةَ ذاتٍ  
وقوامُ الشُّجاعِ ليسَ علوماً  
كيفَ يستوعبُ المنجِّمُ هذا  
أنتَ من طينةٍ يحكُّ عليها  
إنَّ فردوسنا على الأرضِ هذي  
حبَّذا أن تكونَ ثاقبَ عينٍ  
بجنونِي فهمتُ عصري تماماً  
ألبسُ الدُّرْعَ من نسيجِ جنوني  
إنَّ شحَّ الطبيعةِ اليومَ هذا  
لليواقيتِ كاللهيبِ احمراراً

( ٢٢ )

جاءَ من نَسَمَةِ الصَّبَاحِ كتابٌ  
فإذا فيه : مبصرَ الذَّاتِ أقبلُ  
شرفُ الرأْيِ ذاكَ جاءكَ منها  
وحياةٌ تكونُ من غيرِ ذاتٍ

وأنا جالسٌ على عرشِ ذاتي  
صرتَ في رتبةِ الملوكِ الكُماةِ  
والحيأةِ الكريمةِ المستقيمهِ  
أيُّ معنى لها وأيَّةُ قيمهِ

(١) إشارة إلى قوله تعالى حكايةً عن موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ قَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

فأنا مدركٌ إلى أين أمضي  
لك دربي وأنتَ في غيرِ أرضي  
من بعيدٍ إلى مدارسِ شعري  
واقضِ في أمرها إذا كُنتَ تدري  
ذلك العيشُ في طُقوسِ الصَّوامع  
مُلِئْتَ نفسُه بذلَّ المطامع  
أم تراجعَتَ عنهما وجَبُنْتَ  
كالوجودِ الذي تعانیه أنتَ  
كنتَ أو لم تكنِ فليس يُفيدُ  
يَكُ للذِّكرِ في الفؤادِ شهيدُ

أيهَا الفيلسوفُ دعكَ وشأنِي  
لستَ مثلي مسافراً كيف أشكو  
ليس سهلاً إذا الدَّرَاوِيشُ حجَّتْ  
القضايا دقيقةً فاستلمها  
لستُ أخفيك أنني لم يَرُقْ لي  
لا يصيدُ<sup>(١)</sup> العنقاءَ صيادِ سوءِ  
طِرزتَ أم غُضتَ في سماءِ وبحرِ  
ليس يدعو إلى الرِّثاءِ وجودُ  
وسواءً ، فلا تقلِ عربيُّ  
سترى الذِّكرَ أجنيباً إذا لم

\*\*\*

( ٢٣ )

مما تبقي من بقايا طينتك<sup>(٢)</sup>  
وتطوفُ مخنوقاً بعلمانيتك  
إلا بحوثُ مغفَلٍ وبليد  
لو كنتَ تُتَقِنُ صرْخَةَ التَّوْحِيدِ

النخلة الشماءُ أختك كُوتتُ  
أتطوفُ في الحاناتِ تسقي كأسها  
ما في مدارسك التي ترتادها  
سرُّ الدَّرَاسَةِ في فؤادك كامنٌ

(١) يرى الدكتور كفاي أن اصطيد العنقاء رمز للظفر بأعمق حقائق العرفان التي تستعصي على الآخرين (المثنوي ، ص ١٠٥) .

(٢) في حاشية ترجمة الأستاذ الملوحي الثرية : يرى التراث الإسلامي أن النخلة خلقت من بقايا الطين الذي خلق منه آدم ( عليه الصلاة والسلام ) وتسمى ( خيمة الإنسان ) ويرمز بها إلى آدم أحياناً .

يقول الأستاذ زهير ظاظا ( مترجم هذا الديوان شعراً من نثر الأستاذ الملوحي ) يريد الشاعر أن يقول : أيها الإنسان إذا كانت النخلة شقيقتك فمن الذي سرق نبيذك أيها المسكين . . . إنها العلمانية .

لم تبق يا مسكينُ إلا فرصةٌ  
اطلبِ علومَ القلبِ من أستاذها  
لك في استعادة سِرِّكَ المفقودِ  
واجهدْ لنيلِ مقامِكَ المحمودِ

\*\*\*

إن كان زئبُكَ زئبُ سلطانِ  
فغِطْناؤنا لا رأسَ يَحْمِلُهُ  
ليس النُّجومُ برغمِ لعبتها  
بل موتٌ ذاتِكَ بعدما شَقِيَتْ  
أنا آسفٌ جدًّا ويَحْزِنُنِي  
ضاعتُ هناك بصيرتِي وذوِي  
أو كان زئبُكَ زئبُ مسكينِ  
فيليقُ إلا رأسُ شاهينِ  
مسؤولةٌ عن هدمِ أمجادكُ  
ما بين قُمْمِها وأصفادكُ  
غضبي على ديري ومدرستي  
جَبِي وأظلمِ دربُ معرفتي

\*\*\*

( ٢٤ )

دواءُ البصيرة - هذا الدواء -  
وما العقلُ إلا جدالُ العلومِ  
مصيرُكَ أرفعُ من وقفَةٍ  
وسرُّ اللآلئِ خُلدُ البريقِ  
وما هي جدوى دمِ العروقِ  
فقلْ للشَّقائِقِ في خِذْرِها  
وما عدَّه الغربُ سقطَ المتاعِ  
يقولون إقبال في فقره  
وعالمُهُ لهبٌ كُلُّهُ  
رجاؤك في كشفِ داءِ البصرِ  
وحربُ الظُّنونِ ورجمُ النظرِ  
وأولُ معناه ذوقُ السَّفَرِ  
وإلا فمعدنُها من حَجَرِ  
إذا كان يطفئُ نارَ الفِكرِ  
تجلِّي فإني نسيْمُ السَّحَرِ<sup>(١)</sup>  
بمذهبنَا رأسُ مالِ الطَّفَرِ  
غنيٌّ على أيِّ كَنزِ عثرِ  
ولا يمنحُ النَّاسُ إلا الشَّرزِ<sup>(٢)</sup>

(١) المقصود قل لهذه المتعلمة : لا تخافي يا أنتِ تعالي إلي فلن أعصف بك أنا لست إلا

جمالاً وعطاءً أنا نسيم السحر ولست ريح الظهيرة .

(٢) البيت من روائع إقبال ومعناه : لا جدوى لك من لهب إقبال إذا كنت غير قابل =

أظهرت أبهة الإسكندر  
وهي تستجدي نساء البيدر  
ومن الله تعالى تياسر  
غير هذا أيها المنتكس  
وهي بالسلطة لو شاءت تطيح  
أي مفهوم عن الشغب الجريح  
وشؤون القلب عنها تضد  
نظرة فارغة لا تسحر  
باعتزال القصر محكوم علي  
ومصير الكل معلوم لدي  
ماله من طمع في السلطة  
أنا حرر سلطتي في خلطتي  
أرضت الناس جميعاً كلمي  
خطرات في قلوب الأمم

أعين الدرويش لم تعبأ بما  
هذه التيجان ما قيمتها  
كيف لا تياسر ترجو صنماً  
أنت هل تعرف كفراً آخرأ  
أنا لا أفهم ما قصد السماء  
تهب السلطة من لا يملكون  
وحدهما النظرة ما أطلبه  
نظرة خالية من جذبة  
وأنا من أجل هذا كله  
أنا لا أجهل ما تقصده  
مع هذا لا أرى من زاهد  
أنا لا أقتل ذاتي هكذا  
وحياتي عندما شرذتها  
قيمة الأعمار هذي أنها

\*\*\*

= للاشتعال .

إقبال لا يرضى أن يكون شعلة في يد الآخرين .

« إقبال يشعل ولا يضيء »

وسياتي قوله :

حطب الموقد الغليظ ممل  
أنا لا أمنح الحصاد لحقل  
وأنا رغبتني بحرق الدقاق  
عملي الفرد والوحيد احتراقي

لست لهذي الأرضِ والسَّماءِ  
ولستُ موضوعَهُما وإنَّما  
تطلُّعُ العقلِ ووجدُ القلبِ  
والعُشبُ موجودٌ ليجرقاهُ  
والرُّوضُ هذا بقعةٌ تصطفقُ  
أعشابهُ ليستُ لصنعِ عشٍّ  
حتَّى متى مركبُ هذي الذاتِ  
قُدِّرَ أن يركبَ بحرأَ ماله  
فكيفَ عند هؤلاءِ رغبةٌ  
رغابُهُم بالرُّغمِ من نشاطها  
ألحاظُ موهوبِ وعينِ ثاقبه  
كلُّ الَّذي يملكهُ من عُدةٍ  
فيا لحسنِ فارسٍ ووحيةِ  
بحسبِ طولِ العُمُرِ في بستانه  
تَرُقِدُ في حَنجرتي أغنيةٌ  
أحرصُ أن تبقى هنا مطويةً

وإنَّما السَّماءُ والأرضُ لكِ  
هذان جانبانِ من موضوعِكَ  
شرارتانِ من لهيبِ الحبِّ  
في ذلك السَّهْلِ الخصبِ الرَّحْبِ  
بصرخةٍ وزفرةٍ تنطلقُ  
كلُّ الجمالِ عندما تحترقُ  
يمخُرُ في النيلِ وفي الفُراتِ  
من ساحلٍ في هذه الحياةِ  
بأن يدلَّها المدارُ الحائرُ  
يَنقُصها اليومَ دليلٌ ماهرُ  
وسحرُ ألفاظٍ وروحٌ لاهبه  
قائدُ هذي القافلاتِ الدَّاهبه  
ويالكأسِهِ ويالغصَّتِي  
فما وَجَدْتُ زينةً لِقِصَّتِي  
لو قُلْتُها لحيَّرت جبريلا  
هناكَ سوفَ أنقُعُ الغليلا

\*\*\*

لستُ دمعاً على منازلِ رسمِهِ  
بين صلصالهِ وهيكلِ جسمِهِ  
فلماذا ملأتُ بالخوفِ عشَّكَ  
عندما تحرقُ الصواعقُ قشَّكَ  
ملأتُ عالمَ القلندرِ طيباً

لستُ يا أنتَ في الفضاءِ سجيناً  
يشهدُ الحرُّ أن سرَّ التجلِّي  
لا يخاف البستانُ شَهَرَ خريفِ  
يرقصُ العشبُ في السَّماءِ لهيباً  
الحياةُ الحياةُ لفظةٌ سرُّ

إِنَّهَا السَّهْمُ مِنْذُ كَانَتْ رَمْتُهُ  
 لَا تَعِيْقُ النُّجُومُ سِرَّكَ هَذَا  
 أَخْطُ فِي الْمَوْعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ  
 لَا تَقْلُ لِلدَّلِيلِ دَعْنِي لَوْحَدِي  
 لَا يَطِيْقُ الْكَرِيمُ ذَلَّ سَوَالِ  
 وَمِنَ الْقَوْسِ لَا يَزَالُ قَرِيْبَا  
 فَمَا أُنْجَمٌ غَيْرُ سَمَاثِكِ  
 لَتَرَى زَرْقَةَ السَّمَاءِ بِمَاثِكِ  
 إِنَّ أَمْرًا كَمَثَلِ هَذَا بَدِيْهِ  
 فَاجْتَهِدْ وَخَدِّكَ اجْتِهَادَ فِقِيْهِ

\*\*\*

( ٢٨ )

تَأْمُلُ فَيَلْسُوْفٍ كُلُّ مَا أَعْطَانِي الْفِكْرُ  
 وَلَوْ لَا الْحَبُّ مَا أَدْرَكْتُ مَا يَضْمَنُ الشَّكْرُ  
 وَنَظَرْتُهُ هِيَ الشَّرْرُ الْمُشْعُ بِمَحْفَلِ الْقَلْبِ  
 بِلَا دَنْ وَلَا خَمْرٍ      تَدُوْرُ كَوْوَسْهَا جَنَبِي  
 تَظُنُّ تَنَافُرَ الْكَلِمَاتِ مِنْ شَعْرِي وَمِنْ أَدْبِي  
 فَحَانَتْ عَلَيَّ عِلْمٌ      بِمَا مَزَّقَتْ مِنْ حُجْبِي  
 إِلَيْكَ الْبَرَعَمَ الظَّامِي      لِمَقْدَمِ نَسْمَةِ الصُّبْحِ  
 تَأْمُلُهُ تَجِدُ فِيهِ      حِكَايَةَ ذَلِكَ الْجُرْحِ  
 غِيَابٌ أَمْ حُضُوْرٌ لَسْتُ أَدْرِي مَا أَكْبَاهُهُ  
 فَهَلْ مِنْ بَيْنِهِمْ أَحَدٌ      يَشَاهِدُ مَا أَشَاهِدُهُ  
 هُنَا يَا أَنْتَ كُلُّ النَّاسِ يَعْرِفُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا  
 هُنَا إِلَّا أَنَا فِيهِمْ      غَرِيْبٌ يُنْكِرُ الْأَرْضَا  
 وَكُنْتُ بِقَصْرِ أَوْرِيَّةِ      مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ أَبْقَى  
 شَرِيْطَةَ تَحْمُلِ الصَّحْرَاءِ حِيْنَ أُجِنُّ مَا تَلْقَى  
 مَضَى إِقْبَالَ هَسُوْنًا فِي دُرُوْبِ الْفِكْرِ وَاجْتَاذَا  
 وَلَمَّا جَاءَ دَرَبَ الْحَبِّ مَا لَ الْقَلْبُ وَانْحَاذَا

وأخيراً انتبهتُ ولَبَّثْتُ صَرَخَتِي هَذَا السَّمَاءِ  
وسمعتُ ما قالوا : أخيراً سوف يَنكشِفُ الغُطاء  
للعاشقين حكايةً وتكاد تَتَفَقُّ الحكاية  
نارٌ وحزنٌ وانفجارتُ في البداية والنَّهاية  
فانظرْ إلى قَدْرِ الشُّعوبِ وكيف يبدأ بالسُّيوفِ  
فإذا انتهى فالإلى المزامير الشَّجِيَّةِ والدُّفوفِ  
حاناتُ أوربَّةِ كذلك والغريبُ طقوسُها  
السُّكُورُ يبدأ أولاً وتدورُ بعدُ كَوُوسِها  
سَيِّانِ تيمورلنك في سُلْطَانِهِ سَلْطَانِ نَادِزِ  
الكلُّ تسقطُ أخيراً سَكْرَةُ الرِّمَنِ المُبَادِزِ  
ولَّى زمانُ الوُخْدَةِ المطروحِ في دَربِ الفناءِ  
خرجتُ أخيراً من صدور الغَيْمِ عاصفةُ البقاءِ  
لم يتحمل موجةَ الشُّطْحَاتِ هَذَا أَيُّ سَاحِلِ  
هتكتُ يا مجنونُ أسرارَ الكتابِ بغيرِ طائلِ

يرحلُ كلُّ كائنٍ ويذهبُ  
وأنتَ أنتَ فارسُ الميدانِ  
يا سيِّدَ الجبالِ والصَّحراءِ  
أهكذا قيمتُك الذاتِيَّةِ  
فيا لها بصيرةً في كدرِ  
لا تعبدِ الأرضَ فإنَّها لَكا  
لا شكَّ فيما قُلْتَهُ ولا جَرَمِ  
قولُ بلا فِكْرٍ ولا إشارةِ  
حوتٌ وطيرٌ ، لجةٌ وكوكبُ  
وقائدُ الجيوشِ في الزَّمانِ  
جندُك في الأرضِ وفي السَّمَاءِ  
هدرتُها وروحك الفتِيَّةِ  
وياله من قِصْرِ في البصرِ  
كنْ راهباً إن شئتَ أو كُنْ ملكاً  
فقد رأيتُ اليوم سيِّدَ الحَرَمِ  
وعملُ تَنقُصِهِ الحَرَارَةِ



رغبةً في التَّمَوِّ يهلك نفسه  
 يحتويها، يسومها الموت بؤسه  
 يَهَبُ النَّصْرَ في الحياة لأعزل  
 ويرى في الجبال حبة خردل  
 ليس يعني ضلالةً واختلاطاً  
 ليس عن صُدْفَةٍ وليس اعتباراً  
 أصفرَ الوجه في السماء وحيداً  
 سوف تخبو به رويداً رويداً  
 كلُّ ما ترتجيه نفسك عندك  
 شَهِدَ اللهُ أنَّكَ الحقُّ وَخَدَكَ  
 عَقَدَ السَّالِكِينَ من حيث يُدْمِي  
 لستَ تنجو بلا جنونٍ وحزمٍ  
 يستطيع أن يفكَّه العِلْمُ كلُّهُ  
 وبأسلوبه اللطيفِ يحلُّهُ

كلُّ شيءٍ إلى التَّجَسُّدِ يسعى  
 وحياةً بغير ذوقٍ ظهورٍ  
 قُوَّةُ الذَّاتِ قُوَّةُ الذَّاتِ سرٌّ  
 خَوْرُ الذَّاتِ يجعل السَّيفَ عبثاً  
 شرَّدتْ نفسها النُّجُومُ ولكن  
 لفراقٍ يؤوُلُ كلُّ وجودٍ  
 يظهر البَدْرُ آخر الليل فرداً  
 كلُّ نورٍ أخذته من غريبٍ  
 قلبك الشَّمْسُ فاقِسِ النُّورَ منه  
 كلُّ شيءٍ سواك - أنت - سرابٌ  
 شوكٌ صحرائنا يحلُّ بلطفٍ  
 فامضِ في الشُّوكِ حافياً وتقرِّح  
 لغزُ هذي التَّدَاخِلَاتِ وإن لم  
 شوكٌ صحرائنا يغورُ برفقٍ

( ٣٢ )

مَا لِمُلْكِ الْغَرْبِ خُلْدٌ  
 كَلَّمَا شَيْدٌ صَرْحاً  
 عِنْدَمَا أَنهَيْتُ عَشِيَّيْ  
 صَرْخَاتُ الْعُشْرِ بِرَقْ  
 أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ فَالزَّمْ  
 مَا عَدَا عَزَّ الْعَبْدِيَّةَ اللَّهُ تَسْوُلُ  
 سِيِّدُ الْأَحْرَارِ عَبْدٌ  
 فَاحْفَظِ الذَّاتَ وَصُنْهَا  
 كَيْفَ (إِلا اللهُ) لَمْ تَذْمَغْ أَسَاطِيرَ مَسْطَرُ

أَيْنَ ذَاكَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالطَّبْعِ الْمُسَيَّبِ  
 كَمْ قُلُوبٍ فِي صَدُورِ دُعِرَتْ مِنْ نَظَرَتِكَ  
 دَرَسَ الْعِلْمَ اللَّذِي وَذِي فِي فَطَرَتِكَ  
 رِيْمَا أَشْرَفَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى السِّرِّ الْقَدِيمِ  
 حَدَّثَ السُّرَّ حَدِيثاً كَحَمِيمِ لَحْمِيْمِ

( ٣٣ )

لِمَ تَسْأَلُونَ الْقَوْمَ مَا هُوَ مَصْدَرِي ؟  
 مَا زِلْتُ مِنْذُ وَجِدْتُ أَشْرُقُ سَائِلاً  
 الْحُرُّ يَسْمُو فِي الْحَيَاةِ بِذَاتِهِ  
 يَا أَنْتَ حَتَّى اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ  
 أَسْرَارُ رُوحِكَ جَدُّ سَيْمَانِيَّةِ  
 بِلَهِيْبِ أَنْفَاسِي الَّتِي أَطْلَقْتُهَا  
 سِرِّي تَتَرَجَّمُهُ سِلَاطَةُ أَعْيُنِي  
 لَوْ أَنَّ ( نَيْتَشَهُ ) جَاءَنِي بِحِمَاسِهِ  
 صَرَخَاتُ وَجْدِي فِي الصَّبَاحِ تَلَطَّحَتْ  
 رَبَّاهُ ! أَيُّ جَرِيْمَةٍ قَارَفْتُهَا

( ٣٤ )

تَدَخَّلُ الْحَبَّ بِأَطْوَارِ السُّلُوكِ  
 مَا كَانَ لِلرَّازِي وَاللُّغْزَالِي  
 لَوْ لَمْ يَمَانُوا رَغْبَةَ الصَّبَاحِ  
 فَيَا رَيْسَ الرَّئِثْلِ كُنْ حَلِيمَا  
 تَنْقُصْنَا شِجَاعَةَ الرَّسُولِ  
 إِيَّاكَ يَا قُبْرَتِي مِنَ التَّلْفِ  
 يُعْرَقُ لُجْنَاحَ أَنْ يَطِيرَ  
 يَكْشِفُ لِلْعَبِيدِ أَسْرَارَ الْمُلُوكِ  
 وَالرُّومِي وَالْعَطَارِ مِنْ نَوَالِ  
 وَصَرَخَةَ الْحَيْرَةِ فِي الصَّبَاحِ  
 لَا يَقْتُلُ الْيَاسَ فَتَى حَكِيمَا  
 لَا تَنْقُصُ الرِّغْبَةَ فِي الْوَصُولِ  
 فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذَا الْعَلْفِ  
 وَرَبَّمَا يَتْرُكُهُ كَسِيرَا

أَعَزُّ مِنْ أَهْمَةِ الإسْكَندَرِ  
ذَرُوشَةٌ تَنَمُّ عَنْ قَلْبِ مَلِي  
شَرِيعَةُ الشَّجَعَانِ هُوَلاءُ  
وَمَا لَهُوَلاءُ قَطُّ غَالِبُ

وَمَلِكِ ( دَارَا ) نَظْرَةَ القَلَنْدَرِ  
فِيهِ عَيْسُرُ أَسَدِ عَلِي  
الْجَهْرُ بِالْحَقِّ بِلَا رِيَاءِ  
هَذَا أَسْوَدُ اللَّهِ لَا تُعَالِبُ

\*\*\*

( ٣٥ )

جَاءَ مِنْ عِنْدِهِمْ كِتَابٌ جَدِيدٌ  
فَإِذَا فِيهِ : يَا مَسَافِرُ أَمْسِكْ  
رَبِّمَا كُنْتَ ذَاهِباً مِنْ جَدِيدِ  
عُصْنٌ طَوِيلًا فَأَنْتَ أَيْضاً عَمِيقٌ  
أَنَا ( سَيْفًا خَرَجْتَ ) مِنْ غَيْرِ غَمْدِ  
يَجْرَحُ النَّاسَ مِنْظَرِي مِنْ بَعِيدِ  
أَيُّ مُسْتَهْتَرٍ بِكُلِّ مَلَامِ  
( هَذِهِ الْأَغْيَاءُ تَسْجُدُ لَمَّا  
أَمَضِ يَا شَاهِدَ الشَّقَاءِ بِصَمْتِ  
بَعْدَمَا الْحَفْلَةُ انْتَهَتْ وَتَوَلَّوْا  
وَهَبَ الْمُسْلِمِينَ إِقْبَالَ نَاراً  
مَا عَلَى الْكَأْسِ فِي الْحَقِيقَةِ لَوْمٌ  
ذَلِكَ إِقْبَالَ كُنْتُ أَبْحَثُ عَنْهُ  
وَأَخِيراً وَبَعْدَ لَأَيِّ طَوِيلِ

صَرَخَةُ اللَّيْلِ أَوْصَلَتْهُ إِلَيَّا  
وَتَفَكَّرْتُ بِمَا قَطَعْتَ مَلِيًّا  
فِي طَرِيقِ كَمَثَلِ تِلْكَ عَسِيرِهِ  
وَأَفْهَمَ الْقَضْدَ فَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ  
ضَاعَ فِي غَمْرَةِ الْمَعَارِكِ غَمْدِي  
وَيَخْوَضُونَ فِي مَرَامِي وَقَضْدِي  
خَطٌّ فَوْقَ الْمِخْرَابِ تِلْكَ الْحُرُوفَا  
يَقْتَضِي الْأَمْرُ أَنْ يَكُونُوا وَقُوفَا )  
إِنْ تَكُنْ مَوْضُوعِي لَمْزَقَتْ نَفْسِكَ  
جَاءَ دَوْرِي وَقِيلَ : كَأْسَكَ كَأْسَكَ  
فَإِذَا النَّارُ ذَاتُهَا فِي ذُبُولِ !!  
خَامِلٌ طَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْخَمُولِ  
وَهُوَ مُسْتَعْصِمٌ بِحَصْنِ رُوحٍ  
وَقَعَ الْبَازُ فِي حَبَائِلِ فَحْيِي

( ٣٦ )

أَنَا لَوْلَا مَوْجَةُ الرَّغْبَةِ لَمْ تَوْجِدْ حَيَاتِي  
فَحَيَاتِي مَوْجَةُ الرَّغْبَةِ فِي أَعْمَاقِ ذَاتِي

كلُّ حينٍ عالمي يَضطُرُّني أطلقُ وَجُدي  
 علَّ إنساناً جديداً يحملُ اللُّوعةَ بعدي  
 ممكِنٌ للنَّارِ أنْ تحرقَهُ عَشَّكَ هذا  
 تسألُ السَّاقِي إذا لم تكُ ظمآنًا لماذا  
 لا تقلُ في الغَربِ رأياً بيـريـتو يتعلَّق  
 ما سهُ من كهرِباء جعلتَهُ يتألَّق  
 لا تتوقُّ النَّفْسُ أنْ تخُكِّمَ آفاقَ الفُضاء  
 حينَ لا تتصَفَّ الأبصارُ حقًّا بالمَضاء  
 أنا لو لم تسقطِ الأوراقُ عن عَشِّي اللطيف  
 عَجَزَ الصَّيَادُ عن صيدي ولو وقتَ الخريف  
 عن قريبي تَقَلَّبُ النِّياتُ أقدارَ الخلائق  
 ليس أوهامٌ غيبي إنَّها جدُّ حقائِق

\*\*\*

( ٣٧ )

العقلُ هذا ليس يفهَرُ وسعُهُ وسعَ الطَّبيعِ  
 وجهاً لوجهٍ ضَعُفُها وانظرْ لقوتها المطيعة  
 الحقُّ : أنَّك قد أضعتَ الذاتَ فاطلبِ ما أضعتا  
 وعلى العطورِ وعالمِ الألوانِ سيطرْ ما استَطَعْتَنا  
 وانظرْ مقامَ القبَّةِ الزرقاءِ ليس له حدود  
 واخترْ مقاماً مثله يسمو بذاتِكَ في الوجود  
 أشجارُ حَورِكَ عارياتٌ حول قارعةِ الطَّريقِ  
 أوقفْ تمرُّقَ وردك الطَّامِمي وتحطيمِ الشَّقِيقِ  
 لم يستطعْ ذوقُ الطَّبيعةِ أنْ يوَكِّدَ وسعَهُ  
 اضنَعْ بِذوقِكَ أنتَ ما لم تستطعْ هي صنَعَهُ

شيوخُ القومِ أجدُرُ بالرِّثاءِ  
 حصاُدُ جهودِهِم ظلماتُ شكِّ  
 بنفسكِ تُقْ تجذُ ( نغفور ) عبداً  
 أنا حزني على هجري تبدَّى  
 بسكرةِ قربه ، بضراخِ وَجِدِ  
 ومنْ يكُ شأنه حَباً وسكراً  
 جرى قدرُ الجمالِ بكلِّ قلبِ  
 وذنُبُ الرَّاجعينِ بلا نصيبِ  
 أما كانت بنو تيمور تركا  
 أولئك في ترابِ السند ضاعوا  
 بِمَ النُّسَاكُ في الحَرَمِ استبدَّتْ  
 ولم تَقوَ الملوكُ عليه يوماً  
 فما هو سرُّه ؟ الشَّاهين هذا  
 يطيرُ على القُصور فيزدريها

العلمُ أَطْلَقَ الحياةَ الراقدة  
 من كلِّ سحرٍ عصرنا مُحاشُ  
 ذو العقلِ مثلُ نصلِ سيفِ عقله  
 والحبُّ مسكينٌ شريدٌ زاهدٌ  
 حُجَّاجُه تَظَلُّ في تلهُّفِ

(١) ابن السَّماء : إمبراطور من أباطرة الصين ، وكذا نغفور ، وللأخير تتسبُّ الكؤوس  
 النغفورية التي يُضرب بها المثل بالجودة والندرة .

بدوا مقيمين لم يراهم  
 بالزاد والمطيّة انشغالك  
 لكنك كالنسيم تعبُر الجبل  
 في أن يعيش ويموت حُرّاً  
 نفوسهم كما يريد الذهب  
 ورأسهم من الضرائب

مسافرون دائماً وإن هُم  
 ليس سيراً هاهنا انتقالك  
 وأنت لو أقيت ذلك الثقل  
 يا أنت! ثروة الحكيم طرّاً  
 والآخرون جهدهم مُتّهب  
 أرواحهم ترزح في المصائب

( ٤٠ )

يصاحبها ركبها المستمر  
 وقافلة خلف أخرى تمر  
 ولا تستقر معاناته  
 إذا هي زالت سمواته  
 ففي روضنا ألف عش لك  
 لكنك ببيت له مثلك  
 ولا تبك عشاً رماه القضاء  
 وألف مناسبة للبقاء  
 وأنت قصاراك في أن تطير  
 تضيق نكهة هذا المسير  
 وأقيت في وجههم وخذني  
 بأخبارهم ترتوي جلوتي

حياة تمزق صدر الفضاء  
 مغامرة خلف أخرى تخوض  
 كذلك جُك لا ينتهي  
 هناك تجارب أخرى له  
 إذا ضاع عُش فلا تكتئب  
 ولولا بساتين أخرى هناك  
 فطر ليس للباز أن يستريح  
 ففي دزينا ألف قلب جريح  
 سمواتنا تلك لا تنتهي  
 فإياك أغلالهم إنها  
 أنا قد تخلّيت عن حنقهم  
 وأصبحت لي أصدقاء هناك

\*\*\*

( ٤١ )

( نظمت في فرنسا )

يرى الغرب أن بقاء الرّفاه أن يستمرّ بهذا النهج

وَيُنْقِصُ رَغْبَتَهُ مِنْ نُضْجِ  
كَذَلِكَ أَغْلَنَ شَيْخُ الْحَرَمِ  
لِتَسْمَعَ ذَلِكَ كُلَّ الْأُمَّمِ  
كَمَوْسَى لِأَعْرَفِ أَسْرَارِهِ  
وَمِثْلِي جَدِيدٌ بِمَا اخْتَارَهُ  
تُهْتِكُ أَسْرَارَهَا فِي الْبِلَادِ  
فَإِنَّ الطَّرَائِقَ هَذَا الْجَرِيئَةَ يَضْعُبُ إِطْلَاقَهَا لِلْعِبَادِ  
عَيُونَ ضِعَافٌ وَقَلْبٌ هَلْوَعٌ  
فَأَيْنَ الْحِمَاسَةُ أَيْنَ النَّضَارَةُ أَيْنَ السَّكِينَةُ أَيْنَ الدُّمُوعُ  
كَمِثْلِكَ عَطْشَانٌ لَمْ تَرْتَوِ  
وَلَكُنَّا فِيهِ لَمْ تَنْضَوِ  
فَكَانَتْ لَنَا أَرْضُ رُومٍ وَشَامِ  
ذَهَبْنَا دَوَالِيكَ خَلْفَ الْأَنَامِ

فَكَمْ يَفْعَلُ الطَّيْشُ فِي عَقْلِهِ  
لَقَدْ بَلَّغْتَ صَرَخَتِي أَوْجَهَا  
وَحَدَّرْتَنِي الْيَوْمَ مِنْ كَتْمِهَا  
أَنَا لَمْ أَقْلُ ﴿ أَرْنِي ﴾ مَرَّةً  
فَمَوْسَى جَدِيدٌ بِالْحَاجِهِ  
وَبِالزُّعْمِ مِنْ أَنَّ أَهْلَ الْقَلُوبِ  
فَإِنَّ الطَّرَائِقَ هَذَا الْجَرِيئَةَ يَضْعُبُ إِطْلَاقَهَا لِلْعِبَادِ  
تَضْرُغُ حَاشِيَةَ السَّالِكِينَ  
فَأَيْنَ الْحِمَاسَةُ أَيْنَ النَّضَارَةُ أَيْنَ السَّكِينَةُ أَيْنَ الدُّمُوعُ  
أَنَا لَمْ أَزَلْ عَطِشًا مَا ارْتَوَيْتُ  
هُوَ الْحَبُّ أَسْمَى صَعُودٍ لَنَا  
نَهَضْنَا بِأَسْلُوبِ دَرُوشِنَا  
وَلَمَّا زَهَدْنَا بِأَسْلُوبِهِ

( ٤٢ )

مَعْرِفَةٌ يَغْبِطُهَا جَبْرِيلُ  
فِي النَّاسِ مَا يُطْلِقُ إِسْرَافِيلُ  
وَعُدَّتِي مَعْرِفَةُ الْأَيَّامِ  
فَكُنْتُ فِي النَّيْرَانِ فِي نَعِيمِ

ذَاتِكَ فَالذَّاتُ الَّتِي تَدْعُمُهَا  
وَإِنْ أَضَافَ الْحَبُّ عَوْنًا أَطْلَقَتْ  
أَنَا خَلِيلُ هَذِهِ الْأَصْنَامِ  
فِي النَّارِ الْقَوْنِي كِإِبْرَاهِيمَ

\*\*\*

حَائِرَةٌ يَسْحَرُهَا التَّوَقُّفُ  
تَجَاوَزَتْ غَبْطَةَ تِلْكَ الرَّاحِ  
فَقَمِ إِذَا كُنْتَ بِلَا بَصِيرِهِ  
نَبِيلَةٌ كَحَدِّ سَيْفٍ بَاتِرِ

قَافِلَةُ الْقَوْمِ بِوَضْعِ يَوْسُفَ  
وَرُغْمَ هَذَا غَبْطَةَ السِّيَاحِ  
أَنَا عَلَى شِعْرِي شَدِيدُ الْغَيْرَةِ  
أَنَا مَجَالِي الذَّاتُ فِي مِشَاعِرِي

\*\*\*

تذكرت رحي دروس الغزبِ أيام حوره سكرن جنبي  
فآه يا لفرحة الحضور وآه من منطقه المغرور

\*\*\*

هذا الزمان ليله شديدُ لهيبُ زفرتي هو المصباح لك  
وأنت عن قافلتني بعيدُ يُبذد الليل وَيَفْشع الحلك

\*\*\*

حكاية ليس لها نظيرُ بثات إسماعيل مُبتداها  
بسيطةً لكنّها تُثيرُ ومقتل الحسينٍ منهاها

\*\*\*

( ٤٣ )

غصنُ العقيدة في المدارس عارٍ بالرغم من طول الطريق وعُشره  
أسفاً لدينٍ ليس يَكسبُ دولةً من أين للاثين كرهة حيدر  
لا تبلغ العلماء باطن مؤمنٍ أسراره فيما وراء حدودهم  
ومذاق أديرة بلا أسرار عيناك ظاعنة وقلبك سارٍ  
لدولة وقفت كخيبر وجهه يلقي سخافتها ويصلحُ فقهاء  
ومذاق رغبته ولطف تأملته وعجوزُ حانتنا يقول مؤكداً  
وجماله فيما وراء تجملته هذي المريا من جليد ما لها  
عن صرح أوربة المضيء المعتم وسع لتعكس نور قلب المسلم

( ٤٤ )

الحادثُ المحجوبُ قبل ظهوره لا حظ للأفلاك من دورانها  
للناس تُعلنه نقاوة مُهجتني أتري بلا روح شرارة أنتي  
فالسُرُّ مظهره جسارة صرختي  
أم أن عُشْبك ما يزال ندياً



تُذْكَرُ لِهَيْبِكَ بِكَرَّةٍ وَعَشِيًّا  
حَتَّى يُحَرَّرَ كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا  
فُضِّحَتْ شِيُوخُ الشُّكْرِ فِي نَادِيهَا

صَرَخَاتُ هَذَا الْقَلْبِ فِي صَلَاحِهِ  
لَنْ يَخْمُدَ اللَّهْبُ الَّذِي فِي طَبِئَتِي  
بِالرُّغْمِ مِنْ قَدَرٍ قَدْ اِزْتَبَكَّتْ بِهِ

( ٤٥ )

فِي حَوَاشِي الصُّوفِيِّ إِلَّا غُبَارَا  
كَبَّدَتْهُ هَزِيمَةً وَسَنَارَا  
وَارْتَضَى هَذِهِ الْحَيَاةَ السَّقِيمَةَ  
وَقُصَّارَاهُ أَنْ يَكُونَ غَنِيمَةً  
يَصِلُ اللَّيْلَ حَوْلَهَا بِالنَّهَارِ  
أَوْلِيَاءَ يَقُولُهَا لِلصُّغَارِ  
فِي الرِّوَايَا وَفِي تَكَايَا السُّلُوكِ  
كَيْفَ دَبَّتْ إِلَى قُصُورِ الْمُلُوكِ  
أَيُّ يَوْمٍ مَضَى عَلَيْكَ كِيَوْمِي  
يَطْفَحُ النَّجَاحُ فِي مَنَازِلِ قَوْمِي  
وَالَّذِي عِنْدَ كُلِّ مُلَأٍ وَصُوفِي  
وَوَقُوفاً يَكُونُ مِثْلَ وَقُوفِي  
عَرَبِيّاً أَمْ لَا ، مَعَانِيهِ بِيضُ  
وَعَنِ الْعَالَمِ الْأَخِيرِ يَفِيضُ  
نَظْرَةُ السَّاقِي فِي الْفُوَادِ كَنْضَلِ  
فَسَلُّوهُ فِدْيَتَهُ لِمَ قَتَلْتَنِي ؟  
يَضْبُغُ الرُّوْحُ مِنْهُ لَوْناً فَلَوْنَا  
وَدَوَاءُ يَكُونُ لِلدَّاءِ عَوْنَا

مَا وَجَدْنَا وَقَدْ بَحَثْنَا كَثِيرَا  
يَدَّعِي أَنَّهُ يَخْوِضُ حَرُوبَا  
كَيْفَ زَالَتْ حَرَارَةُ الْحَبِّ عَنْهُ  
حَرْبُهُ لَمْ تَكُنْ لِيَغْنَمَ شَيْئَا  
كُتِبَ الْقَوْمِ عِنْدَهُ فَوْقَ بَعْضِ  
مَا تَبَقَّى لَدَيْهِ إِلَّا حِكَايَا  
مَا تَعَجَّبْتُ أَنْ يَشِيَعَ خَرَابُ  
عَجَبِي مِنْ نَهَايَةِ مِثْلِ هَذَا  
اِمْضِ يَا شَاهِدَ الشَّقَاءِ بِصِمْتِ  
مِثْلَ سَجَادَةِ الصَّلَاةِ نِفَاقَا  
الْكِتَابُ الَّذِي يَمُوجُ بِيَاضَا  
يَمَلَأُ الْحَشَرَ حَيْرَةً وَارْتِبَاكَا  
وَسِوَاءُ كَانَ ابْنُ آدَمَ هَذَا  
وَعَنِ الْعَالَمِ الَّذِي هُوَ فِيهِ  
ذَهَبَتْ سَكْرَةُ الْمَسَاءِ وَلَكِنْ  
وَلَهَا فِيهِ طَعْنَةٌ بَعْدَ أُخْرَى  
لَا يَذُمُّ الْبَسْتَانَ مُرَّ غَنَائِي  
رُبَّ سُمٍّْ يَكُونُ تَرِيَاقَ دَاءِ

\*\*\*

تَقْلِبَ الْعَصْرَ فِي لَيْلٍ مِنَ التَّيِّبِ  
 مَا مَزَّقَتْ طَوْقَ زُرٍّ وَاحِدٍ فِيهِ  
 لِمَنْكَرِ الْحَبِّ إِلَّا الْوَهْمُ يُفْنِيهِ  
 فَحَسْنُهَا بَارِدٌ لَا رُوحَ تُذَكِّيهِ  
 مَتَى ابْنُ آدَمِنا هَذَا تَرْقِيهِ  
 اللَّارُوزُ دِيَّةُ الْمَجْنُونَةِ الْفَرِحَةِ  
 رَأْسٌ مَنِيرٌ وَآكِنٌ نَظْرَةٌ وَقِحَةٌ  
 إِلَّا وَلِلْعَقْلِ مَصْبَاحٌ بِمَذْهَبِهِ  
 لَعَلَّهُ هُوَ أَيْضاً أَنْ يُصَابَ بِهِ  
 وَلَمْ يَكُنْ مِنْ خُصُوصِيَّاتِ إِنْسَانِ  
 مِيرَاثِهِ ، وَأَنَا - لَوْلَاكَ - بَرَهَانِي

أَقْصَى مَوَاهِبِ أَوْرَبَّةِ النُّشَيْطَةِ أَنْ  
 كَمْ وَرْدَةٌ قَصَفْتُ فِي رَوْضِنَا يَدُهَا  
 حَرَارَةُ الْحَبِّ مِنْ خَمْرِ الْيَقِينِ وَمَا  
 هَبَّ الْمَدَارِسُ يَا رَبِّاهُ حُرْقَتَهَا  
 مَتَى سَمَوَاتُنَا تَنْشَقُّ وَزَدَّتْهَا  
 هَذِي السَّمَاءُ الَّتِي أَغْرَثَ كَوَاكِبِنَا  
 سَمَاءٌ شَيْطَانٍ مَا فِيهَا مَلَائِكَةٌ  
 الْعَقْلُ حَجَّتْنَا طُرّاً فَمَا أَحَدٌ  
 هَذَا الْجِنُونَ - وَمَنْ يَدْرِي حَقِيقَتَهُ -  
 الْعَقْلُ عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ مِنْهَجُهُ  
 وَالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ هَذَا الْكُونُ أَجْمَعُهُ

يَرْفُضُ الْبَحْرُ أَنْ يَقُولَ لِمَاذَا  
 وَخِلَالَ الطَّرِيقِ تَعْرِفُ هَذَا  
 مِنْ عَيُونِ الْقَلَنْدَرِ<sup>(١)</sup> الْمَلِكِيَّةِ  
 وَجَدُ مُوسَى أَمْ فِكْرَةٌ فِلْسَافِيَّةٌ ؟  
 أَمْ ( يَدُ اللَّهِ ) فِي طَرِيقَةِ حُبِّهِ ؟  
 هِجْمَاتُ التُّرْكِيِّ دَاخِلَ حَرْبِهِ  
 تَحْرُسُ الْمَعْبَدَ الَّذِي شَيَّدَتْهُ ؟  
 يُمَسِّكُ الْكَعْبَةَ الَّتِي أَلْهَبَتْهُ

لَيْسَ سَهْلاً فَاقْبَلْ بِدَيْكُكَ فَارْجِعْ  
 مَوْضِعُ الدُّرَّةِ الْفَرِيدَةِ صَعْبٌ  
 مَا لِسِنْجَارٍ أَوْ ل ( طَغْرُل ) حَظٌّ  
 حَيْرَةُ الْفِكْرِ أَمْ حِمَاسَةٌ رُومِيَّةٌ ؟  
 هِيَ أَسْلُوبٌ ثَعْلَبِيٌّ فِي ظِلَامِ  
 حَيْلَةِ الْإِنْكَلِيزِ تَظْهَرُهَا أَمْ  
 أَهْيَ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ قَامَتْ  
 أَمْ هِيَ الْوَجْدُ فِي فَوَادٍ مُلَبَّبٌ

(١) من شيوخ المتصوفة في الهند، وقد سبقت ترجمته في الديوان الثاني (القسم الأول).

كُنْ غَنِيًّا وَكُنْ إِذَا شِئْتَ عَبْدًا  
كُلُّ هَذَا الْأَلْقَابِ الْقَابُ وَهَمَّ

أَوْ أَمِيرًا مَا بَيْنَ ( سَمْعًا وَطَاعَةً )  
لَا يَكُونُ الْوَصُولُ دُونَ شَجَاعَةٍ

( ٤٨ )

لَيْسَ لِلْجُنْدِ غَيْرُ شَكْلِ سَيُوفٍ  
فِي عَرُوشٍ وَفِي جِيُوشٍ بَحْثَنَا  
لَمْ تَحْضُلْ مِنْ ( لَا إِلَهَ ) ضِيَاءُ  
أَصْبَحْتَ مَعْبَدًا لِأَصْنَامٍ وَهَمَّ  
يَصْنَعُ الْحَرُّ كَوْنَهُ بِجِهَادٍ  
لَسْتَ أَجْرَةَ لِقَصْرِ غَرِيبٍ  
كُلُّ مَا فِي سَمَانِنَا مِنْ مَدَارٍ  
وَمَصِينُ الْقُلُوبِ أَعْدُ شَأْوًا  
قَالَ أَهْلُ الْبِحَارِ أَهْلُ الْبِرَارِيِّ :  
وَاقِفٌ فِي طَرِيقِ سَيْلٍ عَنِيدٍ  
قِفٌ قَلِيلًا فَأَنْتِ أَيْضًا قَدِيدٌ  
كُلُّ فَجْرِ يَطْلُ تَبْدُعٌ كَوْنًا  
أَنَا فِي حَانَتِي قَنَعْتُ بِدَنِّي  
أَبْدًا لَا تَقْدُمُ الْخَمْرُ هَذَا

لَيْسَ لِلتَّاجِ غَيْرُ لَمْعَةٍ جَوْهَرِ  
مَا عَشَرْنَا عَلَى فِؤَادِ الْقَلَنْدَرِ  
هَذِهِ الذَّاتُ لِلطَّرِيقِ الطَّوِيلِ  
عِنْدَمَا ضَيَعْتَ حَوَارِ الْخَلِيلِ  
وَيَرَى فِي تَدَخُّلِ النَّاسِ عَارًا  
لَسْتَ فِي وَقْعَةِ الْحَيَاةِ غُبَارًا  
لَا يَسَاوِي مَدَارَ هَذَا الْقَلُوبِ  
مِنْ غِبَارٍ مُشَرَّدٍ فِي الدَّرُوبِ  
لَيْسَ لِلغُرْبِ غَيْرُ رَاحَةٍ بِأَسِهِ  
لَيْسَ يَقْوَى عَلَى حِمَايَةِ نَفْسِهِ  
وَلَكِنَّ الْحَقُّ فِي اخْتِيَارِ الْحَيَاةِ  
صَرَخَةٌ الْوَجْدِ فِي عَوَالِمِ ذَاتِي  
لَسْتُ مَمَّنْ يَطُوفُ حَوْلَ الْكِنَائِسِ  
نَفْسَهَا فِي رَحَابِ تِلْكَ الْمَدَارِسِ

( ٤٩ )

لَمْ تَهَبْ لِي الطَّبِيعَةَ الْيَوْمَ فِكْرًا  
عُدَّتِي طَيْتِي الَّتِي وَهَبْتِي  
طِينَةً بِالْجَنُونَ تَصْفُلُ جِسِّي  
رَبَّمَا مَرَّقْتُ لِجَبْرِيلَ سَرًّا  
طَيْتِي لَا يَهْمُهَا صُنْعَ عَشِّ

ثاقباً ، غير أنني لا أبالي  
طيرانى المِخْفُ عَبْرَ اللَّيَالِي  
طِينَةٌ تَجْعَلُ الْغَبِيَّ نِيهَا  
ورأى قوله : ﴿ أتجعل فيها ﴾  
من دقاق الأغصان في البستان

وجيئِنُ النُّجُومُ يَزْشَحُ عاراً لبريقِ الثُّمُوعِ في أجفاني

( ٥٠ )

يَقْصِدُ المُبْدَعُ الغَيُورُ بلاداً لا إلى الكوفة التي ما استطاعت  
نظراتي التي تموجُ فتوناً مَنَحْتَنِي في حانةِ الغربِ صحواً  
لست أحتاج فيلسوفاً ومُلاً كيف لِلاهوتيّ أبدي ازدرائي  
الدَّرَاوَيْشُ يطربون لهذا لستُ أغنى بمثلِ هذا فدعني  
ممكناً يُشْتَرَى غنى ( أبرويز ) ومحالُّ جراح ( فرهاد ) تُشْرَى (٢)

(١) بغداد : عاصمة العباسيين إذاً فهي السلطة المادية ، والكوفة عاصمة علي رضي الله عنه إذاً فهي السلطة الروحية .

(٢) فرهاد : شخصية إيرانية أسطورية وقصة حبه لشيرين مشهورة في الأدب الفارسي ، كان فرهاد قاطع أحجار فشغف بالملكة شيرين شغفاً جنونياً وهي زوجة أبرويز وقبل من أجلها معاناة كل المصاعب أمره وزير أبرويز بحفر قناة في الجبل لجرب بحر اللبن لعلاج الملكة التي زعم أنها مريضة فحفر فرهاد القناة ، وقيل له عندئذ : إن الملكة ماتت فانتحر عند سماع النبأ .

وعندما علمت الملكة بانتحاره وكانت صحيحةً سليمةً مضت إلى قبر العاشق وعندئذ انفتح القبر ومضت شيرين للحاق بالحبيب فرهاد . وتناول الشعراء هذه الأسطورة بطرائق مختلفة ، فرأى فيها بعضهم أنّ الحبّ لا بدّ أن يفتك بالمحبّ والمحجوب معاً . وكان آخر تأويل إنكار استغلال الفقير ورأى في ذلك صراعاً بين رأس المال وبين العمل . الأصل .

قلت : وقد نقل الملحمة إلى العربية المرحوم محمد فريد أبو حديد ، وانظر كذلك ( مختارات من الشعر الفارسي ) د . محمد غنيمي هلال ، الدار القومية للطباعة والنشر =

أَنَّهُ لَا يَخَافُ لِلسَّرِّ نَشْرًا  
تلك أسرارنا وليس وساوس  
هَبَّةُ الفِكرِ من رُقَادِ المَدَارِسِ  
غَيْرُ مَجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي  
برهمي مشعوذ في البلادِ

( ٥١ )

عابت أمام الله جرأة صرختيه  
ويجمل الدنيا بلؤلؤ نظرتيه  
لا الشأم موطنه ولا قاشان  
ملك وفي رغباته إنسان  
ويعيقه بستائه المتناهي  
لطريق آدم في رحاب الله

( ٥٢ )

أرني مظهراً لتلك المغازي  
فاز رومي بها وأخفق رازي  
أي ملكية بلا شعوذات  
إن تمكنت في صدور الفئسات  
ودواء الضعيف ذوق العبادة  
فصلاتي كما صلاتك عادة  
فوق سجادة بغير حراك  
تعلن النصر قبل بدء العراك !!

والذي يجعل القلندر حراً  
لست عن متعة أمزق ثوبي  
طمعي الفرد والمطامع كثر  
رأي غاندي إن كنت غير قوي  
ليس إلا عصا الكليم لسحر

إقبال تحزنه الملائكة التي  
وقح يهتك للطبيعة سره  
لا ينتمي للأرض وهو سليلها  
متعدّد الأوصاف في قدراته  
قلق رياح الخد تملأ صدره  
في ظل مذهبه الملائكة اهدت

لُعبَةُ النَّزْدِ لَمْ تَكُنْ دُونَ نَرْدِ  
خَمْرَةُ القَوْمِ لَا تُنَالُ بِبَحْثِ  
كَأْسُ جَمَشِيدَ لِمُعْهَافِ فِي دَوَامِ  
لَيْسَ قَلْبِي وَلَيْسَ قَلْبُكَ فَاَبْحَثِ  
لَيْسَ لِلعَاجِزِ الضَّعِيفِ حَيَاةً  
لَا تَقُلْ فِي الصَّلَاةِ : وَجْهَتِ وَجْهِي  
نَحْنُ سَجَّادَةٌ لِهَ حَرَكَاتِ  
إِنَّ حَرْباً أَبْطَالُهَا نَحْنُ حَرْبِ

\*\*\*

عذبة ملؤها الطرب  
ملكك ترك ولا عرب  
حسبه كنزه الدفين  
لهجة الناس أجمعين  
صنعة العاجز الذليل  
حسبه صنعة الخليل  
إنك النجم والمداد  
ذلك النقع والغبار

لغة الترك والعرب  
لكن الحب لم يكن  
حسبه البعد عنهما  
حسبه الخب إننه  
نحسب أصنام آزر  
والذي يطلب العلاء  
لست نقعاً مجرداً  
من جنون مثابر

\*\*\*

( ٥٣ )

بدء المسير فقم مع الزكبان  
يتوقع الترحال كل أوان  
ديراً وعصرك غير طبعك فان  
أو لم يدغ للعقل من سلطان  
وطويلة وكثيرة الأشجان

دوى النداء على القوافل معلناً  
أواه ماذا يفعل الساري الذي  
انهض فخمرك لا تناسب هاهنا  
سيان كان القلب عبداً طائعاً  
فالدرب يا هذا المسافر صعبة

\*\*\*

( ٥٤ )

خمدت لواعجها على الأغصان  
فانظر لآثاري مدى البستان  
وهتكت للبسطاء سر الحان  
وملأت أنفسهم برشح دناني  
أطلقت في الحرم الشريف لسانی  
مزقته باللحن من الحانني

نفسی یؤجج ناراً وزدتك التي  
لم يهدأ البستان منذ أتته  
أيقظت قلب العارفين بصدرهم  
ووهبت للجيلين ذوق لهيبهم  
أنا أعجمي الحب إلا أنني  
كم ثوب إحرام على متضرع

متلطخُ قلبي بنظرة عادلي  
 في الشّام أم في الكوفة التّردُّ الذي  
 أخشى يكونُ كلاهما متعثراً  
 لمَ تعجبون لمسلمٍ متحرِّقٍ  
 فقرُ الجنيدِ وملكُ سنجارٍ به  
 بالرُّغمِ ممّا قلتُ قبحي ظاهرٌ  
 بسهامِ سيدنا الحسينِ رماني  
 كانا على شقّيه يختصمان  
 فالنّرد هذا ماله شقّان  
 ورداؤه قطعٌ من الأحزان  
 وحنونٌ طيفور الطليقِ العاني  
 تأذَى به عيناك حين تراني

( ٥٥ )

هذا الهلالٌ بصدقهِ يتسامى  
 لولا تجاوزه لكلِّ وجوهه  
 لا تفتحُ الأنسامُ بُزعمَ وردةٍ  
 طهرُ العيونِ هو الحقيقةُ كلّها  
 هذي الشّقائِقُ تحرقُ القلبَ ارتمت  
 كوقائعِ (الغوري) و(أبيك) <sup>(١)</sup> عطلاً  
 أبداً يريدُ الكرَّ والإقداما  
 ما كان في فلَكِ السّماءِ إماما  
 بلهاءٍ عن شمسِ الصّباحِ تحيدُ  
 والقلْبُ في حِضْنِ العيونِ يريدُ  
 في الحَقْلِ ما احتملتِ سيوفَ سنابله  
 ونشيد (خسرو) في قلوبِ بلايله

( ٥٦ )

يا أيُّها الإنسانُ كُنْ يَقْظاً فَدَرْبُكَ فِي السّماءِ  
 لا ترمِ نَفْسَكَ خَلْفَ هَذَا الصُّبْحِ أَوْ ذَاكَ الْمَسَاءِ  
 الدَّزْبُ ذَلِكَ مَالُهُ زَمَنْ لِيَأْسُفَ رَكْبُهُ  
 وَمَنْ الَّذِي يَدْرِي وَيَعْرِفُ أَيْنَ تَنْشَبُ حَرْبُهُ  
 لا سِرٌّ يَنْبِضُ فِي التَّسْكُوعِ وَالتَّمْخُلِ وَالْيَقِينِ  
 فَوْقَ الْمَوَاحِرِ وَالْمَسَاجِدِ وَالْكَنَائِسِ أَجْمَعِينَ

(١) هو قطب الدين أبيك المتوفى سنة (١٢١٠م) مؤسس سلالة المماليك الأتراك ، أولى سلالات سلطنة دهلي بنى مناراً عالياً يُسمّى اليوم بـ « قطب المنار » ( وهي من أهم الآثار الإسلامية في الهند ) وخلفه الشمس .

الـؤلـؤ الفـردُ الـذي قد نـدَّ عن صـدرِ المـحـارة  
 مجـلاه في دَمـعِ الصُّبـاحِ وليـس في خـدَعِ الحـضـارة  
 القـرمـزِي الخـدُّ لا يـحـتـاج مـسـحـوقـاً يـبـاغ  
 والعـازفُ المـوهـوبُ لا يـرضـى بـألـحـان الرُّعـاغ  
 ألـحـانُ هـذا العـصر يـلـزمـها الكـثـير مـن الـذِّكـاء  
 إذ طـالـما الصُّوتُ الـذي في السـرِّ يـخـطـىء في الغـناء

( ٥٧ )

يَمَّمْتُ مـدرسةَ الـأسود رأيتها  
 جـارثُ عـليها الحـادثـاتُ فأصـبـحتُ  
 ما للـقـوافلِ مـنْ يـقـود رِكـابها  
 مـن أـين للـعـصـفورِ ذوقُ نـشـيده  
 لآهٍ لـأنفـاسٍ مَـصَّتْ وكـأنها  
 وهـي الـتي أذـكت لـهـيبَ جـماله  
 في لـيلِ دـهـشته هـناك وَوَجـده  
 هل دـهـشةٌ أُخـرى وَوَجـدٌ أُخـرٌ  
 جـرحـي تـألَّقُ كـالـبروقِ بـليلهم  
 وليـعلم الغـربـاءُ لـيست فـجـةً  
 تـبكي أبـاطرةَ الرِّمـانِ الذَّاهـبِ  
 مـرعـى لـخـرفانٍ ووكرَ ثـعالـبِ  
 بـحوارِ مـوسـى في رـحـابِ الله  
 والـجـمـع سـاهٍ والمـردُّ لاهٍ  
 طـيفٌ ومـرٌّ بـذلك البُـسـتانِ  
 وهـي الـتي رَوَّته بـالـألـحـانِ  
 ظـلماتُ تـاريخٍ يُكـرِّرُ نـفسَهُ  
 يـروي حـقيقتَهُ ويمـلأ كـأسَهُ  
 لـيروا حـقيقتَهُ هـذه الحـسـناءِ  
 ثـمـراتُ هـذا السَّيرِ في الصَّحـراءِ

( ٥٨ )

أَتَذُكُرُ البـيتَ الـذي قـد قاله  
 ( سـيـظـلُّ عـالـمنا بـرُغمِ صـعابِه  
 البـحثُ يـلـزمه مـواهبُ باشقِ  
 سلـمان<sup>(١)</sup> ذاك الشـاعـرُ الحُرُّ الأـمين  
 ( سـيـظـلُّ ) مـفتوحاً أـمامِ العـاملينِ )  
 وفـؤادٌ لـيـثٌ لا يـخـاف جـروحـا

(١) هو مسعود سعد سلمان : شاعر فارسي مشهور ، ربما وُلد في لاهور في العهد الغزنوي  
 ( إقبال ) .



من غير معرفة وغير قراءة  
 دغ عنك طاووساً يتيه وبلبلاً  
 السُرُّ ليس بنغمة وبصورة  
 يجدُ الشُّجاعُ طريقه مفتوحاً  
 يَشْدُو فليس السُرُّ في الاثنين  
 السُرُّ في سَمْعِ ورقة عينِ

( ٥٩ )

### المعرفة أم التجرد

ليس يقوى على القَلَنْدَرِ دهرٌ  
 سرُّه ليس في العلوم ولكن  
 هي ترمي لَصَقْلِ عَقْلِ وفكرِ  
 هو دربٌ بذاته مُسْتَقَلٌّ  
 هو عند الصُّعاب عيسى وموسى  
 هو لِلسرِّ والبصيرة روحٌ  
 هو سكرانٌ بالفضيلة سارٍ  
 مُطلقُ الشُّكر في الحقيقة حالٌ  
 الذي يقتضي التجرُّد شيءٌ  
 نظرةُ النَّفْيِ لِلْقَلَنْدَرِ سيفٌ  
 واحدٌ من جنودها الحقُّ يُغني  
 وإذا المرءُ كان صاحبَ قلبِ  
 قلبه تحت عَرْشِهِ مُسْتَقَرُّهُ  
 علمه بالتجرُّد الحقُّ سرُّهُ ؟  
 وهو يرمي لَصَوِّغِ عَيْنِ وَقَلْبِ  
 وهي بحثٌ على مجردِ دَرْبِ  
 وهي للنَّاسِ فيلسوفٌ وقاضٍ  
 وهي ليست سوى أقاويلِ ماضٍ  
 وهي سكرانةٌ بِخَمْرِ الرَّذِيلَةِ  
 ليس فيه رذيلةٌ وفضيلةٌ  
 ليس سِيَّانٍ والذي يقتضيها  
 طَبَعَتُهُ الذَّاتُ الَّتِي يقتفيها  
 عن جيوشِ تخاف وَهَمَ الفَنَاءِ  
 كَسَّرَتْ عَيْنُهُ مَرَايَا السَّمَاءِ

( ٦٠ )

وقف الجميعُ يعارضون ندائي  
 ذهبوا مع الصُّحراءِ خَلْفَ جنونهم  
 حمداً لِمَنْ رَجِمَ العبادُ فَأَسَدِلْتُ  
 وبقيتُ وحدي مرةً أخرى وَقَدْ  
 فقهاؤنا وقفوا بصوتٍ واحدٍ  
 لم يُجْمِعُوا إِلَّا على إقصائي  
 وبقيتُ مجنوناً بلا صحراءِ  
 أَسْتَأْزِرُ كَعَبْتَنَا بوجهِ صياحي  
 طافتُ على الحَرَمِ الشريفِ جِراحي  
 دوني وما حاروا بأيِّ جوابِ

وغيابيه والسلب والإيجاب  
 وحمية أوحث بها الأعراف  
 لا الكشف ينفعها ولا الكشاف  
 تأسى فإنك في السفينة تغرق  
 بالرغم من أقدارها يتألق

( ٦١ )

جعل الوجد والتعقل دربا  
 تركته في ساحة الحب نهبا  
 ثم كانت عذولة ورقية  
 مخفل يربك الضمير خطية  
 فأقرئوهم من شعر إقبال بيتا  
 كل ما في يديه لولا وليت  
 وانتهاك لحرمة الساجدين  
 لوجوه الرهبان والسالكين  
 من بقايا الأسرار يكشف بعدي  
 ليس عصراً لذي جنون ووجد  
 ثم عُص في البحار واعثر عليها  
 ليس من شاطيء يقود إليها  
 من تراني أنا وما جنسي؟!  
 قفصي الكون؟ أم نهاية نفسي؟  
 وكأني في أرض ذاتي دخيل  
 سهر دائم وليل طويل  
 وغنائي أشد نقشاً ولونا  
 تارة أطلب الفراق لأفنى

لا مثل أفلاطون بين حضوره  
 كانت رجال الفكر تبض جراءة  
 نفس إذا القرآن ما انتفعت به  
 إن كنت من وهم بشيء مفرح  
 في خمرة أوربة شعاع ذائب

عجبا من مغامرات ذكي  
 لم تزل حوله المواجد حتى  
 كيف ناخت حمامة الأيك قربي  
 إنني مدرك إلى أين يمضي  
 قيل إن الأتراك بالشعر أدرى  
 ( لا يكون القوي جاز ضعيف  
 ما طقوس المساجد اليوم؟ ظلم  
 ما سلوك الكنائس اليوم؟ سوق  
 في ردائي الذي تمرق سر  
 لا يليق الجنون بالعصر هذا  
 أضح النفس في البحار وغامز  
 وأقم بين ضجة وتلو  
 هل لمثلي من الفضاء نصيب  
 جئت للأرض؟ أم تخلقت منها؟  
 كم تعترت في متاهات ذاتي  
 بين نفسي من الخصام وبينني  
 قصة الحب ألف نقش ولون  
 تارة أملاً الحياة وصالاً

من خليل بنارٍ نمرودَ يُمَسِّكُ  
 وقصاراه أن تلوذَ بِنَفْسِكَ  
 طافت الفرسُ والمغولُ عليه  
 حرمٌ يجمعُ القلوبَ إليه  
 أعجميٌّ لكنَّ لحني حجازي  
 حين جرَّعته مصيرَ إياز<sup>(١)</sup>  
 أم يُغني لوحيدِه في الزحامِ  
 لا يذلُّ الزَّمانَ قلبَ همامِ  
 لا تُلْمِني فأنتَ تفضحُ عينك  
 إنَّ هذا الحديثَ بيني وبينك  
 مالكَ اليومَ في السَّماءِ اجتيازُ  
 أنك اليومَ بالوراثَةِ بازُ  
 شغلتَه عن الحياةِ جُدودُه  
 أينَ سلطانُه وأينَ وجودُه  
 ويرى العُسرَ عونَه ونصيرَه  
 فسلحُ الدَّرويشِ نورُ البصيرةِ  
 تنعُمُ النَّاسُ في ظلالِ النُّبُوَّةِ  
 عندما تأخذُ الكتابَ بقوةِ  
 لا ترى نَفْسَها بعرشٍ وكرسي  
 صرخةُ الفَجْرِ في قرارةِ نفسي  
 يجعلُ الكونَ هيكلًا للعقولِ

اليقينُ اليقينُ جلسةُ حَبِّ  
 سرُّهُ أن تقومَ لله شُكْرًا  
 كعبةُ العُزْبِ أطلقتْ كلَّ لحنِ  
 كيف تسمو حضارةٌ ليس فيها  
 صوت قيثارتِي التي سَمِعَوها  
 شهيدَ الغربِ أنِّي غزنويٌّ  
 أيهيمُ الفؤادُ في كلِّ حسنِ  
 رُغمُ أنَّ الزَّمانَ للقلبِ غلٌّ  
 أيها المسلمُ الذي يشتكيني  
 لا تخفُ من صراحتي في حديثي  
 طيرانُ الأنبياءِ ليس كهذا  
 ليس يعني إن كان جدُّك بازا  
 آه للمُسلمِ الذي بات رسماً  
 سألوني فقلت : يوجد ، قالوا :  
 لا يبالي الدَّرويشُ عُسرَ طريقِ  
 اسألِ الله أن تكونَ بصيراً  
 إنَّها الذَّاتُ عندما تتجلَّى  
 إنَّها نَفْسُها حجابٌ إليه  
 تصلُ الذَّاتُ قابَ قوسين لكن  
 كلُّ شيءٍ هناك تُغربُ عنه  
 صنَمُ العَيْنِ كلُّ لَوْنٍ تراه

(١) كما قصَّ الغزنوي ضفائر إياز التي تنبضُ إغراءً هكذا فعل إقبال بصفائر أوروبية فعاد منها  
 وقلبه في صدره وفي يده قصاصة شعرها منادياً .  
 إن الحسن الذي يمكن للمقص أن يزلزله لا يستحق أن يكون كعبة للقلوب .

مُنْكَنَ أَنْتَ أَنْ تَكُونَ خَلِيلاً  
 فِيهِمْ هَذَا الْمُحِبُّ يَغْبِثُ سُكْرًا  
 لَمْ تَزِدْهُ الشُّبَاكَ إِلَّا جُبُورًا  
 عِلْمُ رَازِي تَهَوُّزٌ وَانْحِدَازٌ  
 قِمَّةُ الشُّكْرِ وَالْمَحَبَّةُ تَبْدُو  
 أَيْنَ مَنْ أَطْلَقَ الْحَيَاةَ بِعَقْلِي؟  
 هُوَ فِي عُزْلَةِ الْفُوَادِ مَقِيمٌ  
 أَنَا لَا أَرْكَبُ الْهُوَادِجَ هَذَا  
 أَرشُدُ الرَّكَبَ لِلطَّرِيقِ وَأَمْضِي  
 حَطْبُ الْمَوْقِدِ الْغَلِيظِ مُمْلٌ  
 أَنَا لَا أَمْنَحُ الْحَصَادَ لِحَقْلِ  
 قَدْ تَنَفَّسْتُ لَيْسَ مِنْ نَارِ قَلْبِي  
 شَعْلَةُ الْفِكْرِ لِلطَّرِيقِ ضِيَاءٌ  
 أَرْضُنَا هَذِهِ لَطْهْرِكَ تَهْفُو  
 قَلْبُكَ الْمَطْمَئِنُّ قَبْضَةُ نَوْرِ  
 عَنِ يَدِ اللَّهِ طَزَّتْ لَا عَنِ غِبَاءٍ  
 وَلَكَ الْحُوْزُ وَالْمَلَائِكُ صَيِّدٌ  
 أَتُرَى مَا لِلْمُسْلِمِينَ نَصِيبٌ  
 دُمُهُمْ كَانَ لِلشُّعُوبِ مَنَارًا  
 ذَاكَ أَنَّ الصُّلُوعَ خَارَتْ قُوَاهَا  
 سَجَدَاتٌ رَتِيبَةٌ فِي خَمْوَلٍ  
 أَيُّهَا الْمُسْلِمُ الْمَشَابِرُ يَرْجُو  
 كُنْ وَحِيدًا وَوَحَّدِ اللَّهَ وَاكشِفْ  
 كُنْ كَمَا الْمَوْجُ كُلَّ حِينٍ تَرَاهُ  
 انْتَزِعْ مِنْ يَدِيهِ ثَوْبَكَ وَارْجِعْ

فِي صُرَاخِ الصَّبَاحِ بَعْدَ الْأَفْوَلِ  
 بِحِبَالِ الصَّيْنِدِ الَّتِي أَوْقَعْتَهُ  
 وَكَأَنَّ الشُّبَاكَ قَدْ أَطْلَقْتَهُ  
 وَحَيَاةَ الْقُلُوبِ عِلْمُ الْقَلَنْدَرِ  
 فِي السُّلُوكِ الَّذِي يَمُتُّ لِخَيْدَرِ  
 أَيْنَ ذَاكَ الَّذِي أَبَادَ حَصَادِي  
 وَسَوَالِي الْوَحِيدِ أَيْنَ فَوَادِي؟  
 أَنَا لَا أَمْتَطِي الرُّكَابَ دَلِيلًا  
 لَسْتُ عَمَّا يُفْتَتَشُونَ بِدَلِيلًا  
 وَأَنَا رَغْبَتِي بِحَرَقِ الدَّقَاقِ  
 عَمَلِي الْفَرْدُ وَالْوَحِيدُ احْتِرَاقِي  
 نَفْسًا بَارِدًا أَهَاجَ رِمَادًا  
 وَدَلِيلٌ لَهُ وَلَيْسَ مُرَادًا  
 أَنْتَ بَرَهَانُهَا وَأَنْتَ هُدَاهَا  
 مَنَحْتَ أَعْيُنَ السَّمَاءِ مَدَاهَا  
 أَنْتَ شَاهِينُهُ وَأَنْتَ رَسُولُهُ  
 ذَاكَ دِينَ وَلَيْسَ شَعْرًا أَقُولُهُ  
 مِنْ جَنُونَِ الْحَبِّ الَّذِي أَطْلَقُوهُ  
 ثُمَّ هُمْ فِي ظِلَامِهِمْ أَهْرَقُوهُ  
 لَمْ يَعْدَ بَيْنَهَا لَهَيْبٌ يَصُولُ  
 وَصَفُوفٌ مُعْوجَةٌ وَذُهُولُ  
 ثَوْبٌ تَقْوَاهُ كُنْ نَسِيحَ حَيَاتِكَ  
 سِخْرَ الْوَانِنَا بِقُوَّةِ ذَاتِكَ  
 يَدْرُسُ الشَّاطِيءَ الَّذِي يَبْتَغِيهِ  
 لَا تَغْرُنْكَ الْإِقَامَةُ فِيهِ

ليس فيها من الخلاعة كُفء  
فورة ما لها هُنالكِ دِفء  
ضاعَ في غمرة الحياةِ فؤاده  
والَّذي يُلهبُ الطَّريقَ مُرادُه  
نارَ مصباحنا بهذا الطريقِ  
ليس للعقلِ مِنْهُ غيرَ بريقِ

النَّدى شَفَّ عن صُدور وروِدِ  
فَوَّر الخضرةَ النسيمُ صباحاً  
احمرازُ الشَّقِيقِ صورةُ نارِ  
شعلةُ العقلِ للمسافرِ عونٌ  
ما هو العقلُ ؟ إنَّه ليس إلاَّ  
وضجيجُ الطَّريقِ من فعلِ قلبِ

\*\*\*

## القسم الثالث

### في مسجد قرطبة

وقف محمد إقبال - في عام ١٩٣٢ م ، الذي زار فيه إسبانيا ، ذلك الفردوس المفقود - في جامع قرطبة العظيم وقفة مؤمن شاعر ، وقفة خاشع أمام الإيمان ، الذي جاء بهذه الحفنة المؤمنة العربية التي كان يقودها صقر قريش عبد الرحمن الداخل ، وأخضع هذه البلاد النائية الجميلة لعقيدته وعزمه ، وقفة خاشع أمام العاطفة القوية ، والحبِّ الطاهر ؛ الذي حمّله على بناء هذا المسجد العظيم الذي أسس على التقوى ، خاشع أمام العبقرية المعمارية التي أنتجت هذا الأثر البنائي الخالد ، وأمام الفنِّ الإسلاميِّ العربيِّ الذي ظهر في تصميمه الحكيم ، وبساطته الرائعة ، وجماله الفريد ، وأثار كلِّ ذلك إيمانه وشاعريته ، ورأى أنّ هذا المسجد العظيم صورةٌ للمسلم في هذه الأرض الحنون ، تجلّت فيه أخلاق المسلم وصفاته ، علوّ في الهمة ، واتساع في القلب ، وبساطة في المظهر ، وبراعة في النية ، وثبات على الحقِّ ، وإعلانٌ للعقيدة والمبدأ ، وجمع بين الجمال والجلال ، والأنفة والتواضع .

وتذكّر بهذا المسجد أهله الذين رفعوه وشادوه ، وتذكّر بهم العقيدة التي كانوا يدينون بها ، ورسالتهم التي كانوا يعيشون لها ، تذكر - والشيء بالشيء يذكر - بهذا المسجد ذلك الأذان الذي كان يدوي في الجوّ ، وكان أول ما يسمعه الناس وآخر ما يسمعونه ، ذلك الأذان الذي انفردت به هذه الأمة ، فليس له نظيرٌ في الأصوات ، والتهافتات ، والإعلانات ، والرسالات ، ذلك الأذان الذي كان يخشع له الكون ، ويضطرب له العالم ، وتزلزل به أوكازُ الفساد ، ذلك الأذان الذي تنفّس له الصبح الصادق في العالم ، في القرن السادس المسيحي ،

وانطلقت موجةً من نور ، عاشت بها الدنيا وما بين العالم اليوم وبين الصبح  
الصَّادِق إلا هذا الأذان الصَّادِق الذي ينادي به المؤمن الصادق .

وتذكر بهذا الأذان الرسالة السامية السَّماوية ، التي يحملها ويبلغها هذا  
الأذان في الآفاق ، والمعاني السامية البليغة التي يتضمَّنُها ، وامتلاً إيماناً و يقيناً  
بأنَّ الأُمَّة التي تدين بهذه العقيدة ، وتعيش بهذه الرسالة - التي كتب لها الخلود -  
لا تموت ولا تفنى .

حرَّك هذا المنظرُ الرائعُ ، وهذا الأثرُ التاريخيُّ ، وهذا المسجدُ الغريبُ  
الفريدُ الذي لم يعرف منبره الخطبة ، ولا بلاطه السجود ، ولم تعرف منائره  
الرفيعة الأذان منذ قرون ، حرَّك كل ذلك في إقبال الإيمان والحنان ، والأحزان  
والأشجان ، وجادت قريحته الوقادة بهذه القصيدة الخالدة التي أسماها « في  
جامع قرطبة » وقد كتبها في إسبانيا ، وأكثرها في قرطبة .

ذكر محمد إقبال أنَّ هذا العالم خاضعٌ للفناء ، وأنَّ الآثار التي تخلفها  
الأجيال ، وأنَّ البدائع الفنية التي تنتجها العبقريَّةُ الإنسانيَّةُ بين حينٍ وآخر ، كتب  
لها الاضمحلالُ والاندثارُ ، ولا يعيش بين تلك الآثار والمنتجات إلا ذلك الأثر  
الذي أكمله عبدٌ مخلص لله ، وأضفى عليه حيويته وخلوده ؛ لأنَّ عمله يستمدُّ  
الحياة والنور من عاطفته المؤمنة ، ومن حبِّه القويِّ الخالص<sup>(١)</sup> - والحب هو  
أصل الحياة الذي حرم الله عليه الموت - إنَّ الدهر سريعٌ ، ورفيقٌ في سيره ، وهو  
تيازٌ عنيفٌ لا يقف في طريقه شيء ، والحبُّ هو القوة الوحيدة التي لا تقاوم لأنه  
سيل ، والسيل لا يمسكه إلا السيل ، إنَّ الحبَّ غيرُ خاضع للنظام الرياضي  
المرسوم ، فله عصورٌ ليس لها اسم في لغتنا ، الحبُّ هو الذي تجلَّى في  
الرسالات السماوية ، وفي الأخلاق النبوية ، وهو الذي أفاض على الكون النور

---

(١) الحب أو « العشق » كما يسميه إقبال هي العاطفة التي تسمو على المادة والمعدة ، وهي  
حقيقة جامعة بين الإيمان والحنان ، ولا صلة له بالغرام والعاطفة الجنسية .

والسُرور ونشوة الخمر ، التي سكر بها العارفون ، وتغنى بها المحبون ، الحبُّ قد يقف إماماً في المحراب ، وحكياً يمسك بيده الكتاب ، وقد يقود الجنود ويهزم الأحزاب ، فله أطوار وأدوار ، وهو رحالة لا يزال في سير وانتقال ، وحلٌّ وترحال ، له منازل ومقامات يمرُّ بها ويخلفها وراءه ، هو الذي أطلق قيثار الحياة فانطلقت منها نغمات وأناشيد ، وهو الذي استمدت منه الحياة نورها ونارها .

ثم يلتفت الشاعرُ العظيم إلى مسجد قرطبة ، ويقول له : « تدين أيها المسجد العظيم ! في وجودك لهذا الحب البريء ، ولهذه العاطفة القوية ، التي كتب لها الخلود فهي لا تعرف الزوال والانقراض ، إنّ البدائع الفنية إذا لم ترافقها العاطفة ، ولم يسقها دم القلب - الحب - أصبحت مصنوعات سطحية من لونٍ ، أو قرميدٍ ، أو حجرٍ ، أو لفظيةٍ ، أو كتابيةٍ ، أو صوتٍ ، لا حياة فيها ولا روح ، إنّ المعجزات الفنية لا تعيش إلا بالحبِّ ، ولا تقوم إلا على العاطفة والإخلاص ، الحبُّ هو الذي يفرق بين قطعةٍ من حجر ، وقلبٍ خفّاقٍ حنونٍ للبشر ، فإذا فاضت منه قطرة على الحجارة الصمّاء خفقت وعاشت ، وإذا تجرّدت منه القلوب الإنسانية جمدت وماتت » .

ويقول في عقيدة مؤمنٍ ، ودلال شاعرٍ محبٍ : « إن بيني وبينك أيها المسجد العظيم ! نسباً في الإيمان والحنان ، وتحريك العاطفة وإثارة الأحزان ، إنّ الإنسان في تكوينه وخلفه قبضةٌ من طينٍ لا تخرج من هذا العالم ، ولكن له صدرأ لا يقل عن العرش كرامةً وسمواً ، فقد أشرق بنور ربه ، وحمل أمانة الله ، إنّ الملائكة تمتاز بالسجود الدائم ، ولكن من أين لهم تلك اللوعة واللذة التي امتاز بها سجد الإنسان !؟ » .

وهنا يتذكر محمد إقبال جنسيته ووطنيته ، ويتذكّر أنّه هنديّ النجار ، وأنه من إحدى بيوتات « البراهمة »<sup>(١)</sup> ، ويتذكّر أنّه أمام أثر إسلاميٍّ عربيٍّ صميمٍ

(١) أصله من سلالة برهمية كشميرية تسمى « سيرو » أسلم جده الأعلى قبل مئتي سنة .



قديم ، فيقول : « انظر أيها المسجد ! إلى هذا الهندي - الذي نشأ بعيداً عن مركز الإسلام ومهد العروبة ، نشأ بين الكفار وعباد الأصنام - كيف غمر قلبه الحبُّ والحنان ، وكيف فاض قلبه ولسانه بالصلاة على نبي الرحمة ، الذي يرجع إليه الفضل في وجودك ، كيف ملكه الشوق ، وكيف سرى في جسمه ومشاعره التوحيدُ والإيمان » .

ويذكره هذا المسجد العظيم بالمسلم العظيم الذي رفعه وشاده ، وبالأمة الإسلامية العظيمة التي تعبد الله في أمثال هذا البيت ، فيرى أنه صورةٌ صادقةٌ للمسلم ، فكلاهما يجمع بين الجلال والجمال ، وكلاهما محكمُ البنيان ، كثيرُ الفروع والأغصان ، ويلتفت إلى المسجد فيراه قائماً على أعمدة كثيرة ، تشبه في كثرتها وعلوها نخلاً في بادية العرب ، ويرى شرفاته مشرقةً بنور ربها ، ومنارته العالية الذاهبة في السماء منزلاً للملائكة ، ومهبطاً للرحمة الإلهية ، وهنا يقول في إيمان وثقة : « إن المسلم حيٌّ خالد ، لا يزول ، ولا ينقرض ؛ لأنه يبلغ في أذانه تلك الحقائق والرسالات التي جاء بها إبراهيم ، وموسى ، وجاء بها النبيون ، وقد قضى الله بخلودها وبقائها ، فكيف تنقرض الأمة التي حملت هذه الأمانة ، وتكفّلت بتبليغ هذه الرسالة ! » .

وينطلق الشاعر العظيم في وصف هذه الأمة التي يمثلها هذا المسجد ، الذي لا يعرف الفوارق الوطنية ، والحدود الجغرافية الضيقة ، فيقول : « إنَّ المسلم لا تعرف أرضه الحدود ، ولا يعرف أفقه الثغور ، وقد وسعت عاطفته ورسالته ومملكته الشرق والغرب ، فليست دجلة في العراق ، ودانوب في أوربة ، والنيل في مصر ، إلا موجةً صغيرةً في بحره الواسع ومحيطه الأعظم ، إنَّ له عصوراً في التاريخ لا يقضى منها العجب ، وله حكاياتٌ ومواقفٌ في البطولة لا تزال موضع الدهشة والاستغراب ، هو الذي أمر العصر العتيق - العصر الجاهلي - بالرحيل ، وافتتح العصر الجديد ، إنَّه إمام رجال الحبِّ والعاطفة ، وفارس ميدان الإيمان والحنان ، لسانه لبنٌ وعسل ، وسيفه علقمٌ وحنظل ، يعيش في ميدان الحرب

وتحت ظلال السيوف متذرعاً بالتوحيد ، كلما اشتد به الخطب وعضته الحرب  
التجأ إلى إيمانه واعتماده على الله .

ويقبل على المسجد يتحدث إليه ، ويناجيه ، ويقول : « لقد كشفت أيها  
المسجد العظيم ! عن سرّ المؤمن ، ومثلته في العالم ، وصورت ذلك الاضطراب  
الذي يقضي فيه نهاره ، والرقّة التي يمضي فيها ليله ، صوّرت للعالم مقامه  
الرفيع ، وتفكيره السّامي ، ومسرّاته وأشواقه ، وتواضعه ودلاله .

ويقبل على المؤمن بهذه المناسبة ، فيصف سموّه ، وأخلاقه ، وسيرته في  
العالم ، فيقول : « إنّ يد المؤمن هي جارحة القدرة الإلهية ، فهي غلابةٌ ،  
فتّاحةٌ ، قاهرةٌ ، ناصرةٌ ، أصله من تراب ، وفطرته من نور ، عبدٌ تخلّق بأخلاق  
الله ، واستغنى عن العالمين ، آماله ومطامعه قليلةٌ ، وأهدافه ومطامحه رفيعةٌ  
جليلةٌ ، ألقي عليه الحب ، وكسي المهابة والجمال ، دقيقٌ رقيقٌ في الحديث ،  
قويٌّ نشيطٌ في الكفاح ، نزيهٌ بريءٌ في السلم والحرب ، إنّ إيمانه هو النقطة  
الدائرة التي يدور حولها العالم ، وكل ما عداه وهمّ وطمسٌ ومجازٌ ، إنّه الغاية  
التي يصل إليها العقل ، ولبّ لباب الإيمان والحبّ ، وبه نالت هذه الحياة بهجتها  
وقوتها .

ويقبل مرّةً ثانيةً على المسجد ، فيخاطبه في إجلال وإكبار ، ويقول :  
« يا مثابة هواة الفنّ ! ويا مقصد رواد الجمال ! ويا مجد الدين الإسلامي ! لقد  
سمت بك أرض الأندلس ، وتقديست في أعين المسلمين ، إنك فريدٌ في الفنّ  
والجمال ، لا يوجد لك نظير تحت السماء إلا في قلب المؤمن ، أين لنا أولئك  
الرجال ، هؤلاء الفرسان العرب ، أصحاب الخلق العظيم ، وأصحاب الصدق  
واليقين ، الذين برهنت حكومتهم على أنّ حكومة أهل القلوب خدمةٌ وزهادةٌ ،  
وليست حكماً ولا ملكاً ، هؤلاء العرب المسلمون الذي كانوا مربّي الشرق  
والغرب ، وكانوا أصحاب عقولٍ حصيفةٍ وبصيرةٍ نافذة ، يوم كانت أوربة تتسكع  
في الجهل المطبق ، والظلام الحالِك ، والذين لا تزال في الشعب الإسباني

بفضل دمهم العربي ، خفةً روح ، وحفاوةً ، وبساطةً ، وجمالاً شرفياً ، فنكثر فيهم عيون المها ، ولا تزال عيونهم ترشق بالنبال ، ولا تزال الريح في الوادي تحمل نفحات اليمن ، ورنات الحجاز .

ثم يخاطب إسبانيا - الأندلس الإسلامي المغصوب - فيتغنّى بأرضها التي تطاولت السماء سموماً ورفعة ، ويتوجع على أنّ أجواءها لم تسمع الأذان من قرون ، ثم يذكر ما مر على العالم المتمدن من تقلبات وثورات ، ويتشوّق إلى ثورة جديدة ، مركزها الشرق الإسلامي ، فيقول : « لقد شهدت ألمانيا ثورة الإصلاح الديني التي عفت الآثار القديمة والتقاليد العتيقة في أوربة ، فحدثت أوربة المسيحية عصمة القسوس والباباوات ، وتحزّر الفكر الأوربي ، وتحزّرت سفينته في يسرٍ وسهولة ، وشهدت فرنسا الثورة الكبيرة التي اضطربت لها أوربة اضطراباً ، وأصبح الشعب الطلياني - الرومي - شاباً فتياً بلذة التجديد<sup>(١)</sup> ، هكذا الروح الإسلامية مضطربةً قلقاً ، تطلب انتفاضةً جديدة ، ولكن متى ذلك ؟ إنّه سرٌّ من أسرار الله ، لا يفصح به اللسان ، والعالم يتمخّض بحوادثٍ جسام ، فلا يستطيع أحد أن يتكهّن بالمستقبل » ، ويخاطب نهر قرطبة « الوادي الكبير » ويقول : « إن على شاطئك أيها النهر العزيز ! رجلاً يرى حلماً لذيذاً ، يرى في مرآة المستقبل عصراً لا يزال في طيّات الغيب ، يرى عصراً قد بدت تباشيره ، وظهرت طلائمه لعينه ، ولكنها لا تزال محجوبةً عن أعين الناس ، لو كشفت الغطاء عن وجه هذا العالم الجديد ، وبحث ما في صدري من أفكار وأسرار ؛ لشقّ ذلك على أوربة ، وفقدت رشدها ، وجنّ جنونها » .

ثم يعود مرّةً ثانية ، يشيد بفضل التجديد في حياة الأمم والشعوب ، والحاجة إلى الثورة على الأوضاع الفاسدة ، ويقول : « كلُّ حياة لا تجديد

---

(١) قال الشاعر هذه القصيدة قبل الحرب الثانية ، وقد نفخ موسوليني في الشعب الطلياني روح النخوة والطموح ، والاعتداد بالنفس والقومية الرومية .

فيها ، ولا ثورة أشبه بالموت ، إنَّ الصراع هو حياة روح الأمم ، إنَّ أمةً تحاسب عملها في كل زمان سيفٌ بتأثر في يد القدر ، لا يقاومه شيء ، ولا يقف في وجهه شيء .

ويختتم محمد إقبال قصيدته البديعة ، بكلمة حكيمة مأثورة ، مبنية على تجارب واسعة ، ودراسات عميقة ، واستعراضٍ واسعٍ للأدب ، والشعر ، والفن ، والأفكار ، يقول :

« إنَّ كلَّ مآثرة وكلَّ إنتاج ، لم تذب فيه حشاشة النفس ناقصٌ ، وجديرٌ بالفناء والزوال السريع ، وكلَّ رنةٍ أو نشيدٍ لم يذمَّ له القلب ، ولم تتألق به النفس قبل أن يصدر ، ضرب من العبث والتسلية ، ولا مستقبل له في المجتمع وعالم الأفكار .

وهذا هو سرُّ الخلود والبقاء للأدب ، والأفكار ، والإنتاج ، وهذا سرُّ تفاهة الأدب الجديد ، الذي يولد سريعاً ، ويموت سريعاً ، وهذا هو سرُّ التأثير والخلود في شعر إقبال وإنتاجه فهل يسمع أديباؤنا وشعراؤنا<sup>(١)</sup> ؟

\*\*\*

( نُظِمَّتْ فِي مَسْجِدِ قَرْطَبَةَ )

إنَّ هذِي الصرْخَةَ اليَوْمَ التِّي تفضُحُ أمْري  
صرْخَةَ القَلْبِ التِّي خبَّأتْهَا طِيلَةَ عُمْري  
صحبْتُهُ الأطْهَارِ نَورٌ ورضَا الله حُبُور  
وشقيقتُ الرُّوضِ كاسَاتُ عَلى النَّهْرِ تَدور  
هَاهُنَا يَمْكَنُ أَنْ أذْكَرَ وَعْثَاءَ المَسِيرِ  
ووضوئِي لِصَلَاتِي مِنْ دَمِ القَلْبِ الكَسِيرِ

(١) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي .

مع من يمشي الذي يمشي على هذا الطريق  
 وأنا إلا رجائي ليس لي فيه رفيق  
 أيكون القصر عشي وأنا أكره لونه  
 أنت ذاك العش والغصن الذي ينشر كونه  
 أنت من أطلقت من صدري صراخ الفجر بعثا  
 لي من التوحيد نارا تلهب العالم بحشا  
 بك أنفاسي تغني لك تغدو وتروخ  
 ذات شجور وحماس ونادوب وجروح  
 أملي أنت وشغلي طلبي أنت التوحيد  
 وأنا هذا نصيبي غير هذا لا أريد  
 عندما تخطر قربي تصبح الصحراء بحرا  
 وإذا لم تك في البستان فالبستان صحرا  
 أتمنى مرة أخرى ولو جرعة كأس  
 عل أن أخرج يوماً من طوافي حول نفسي  
 أنا منها في خمار كيف لي أشرب منها  
 كل حانات الوري حطمتها في البحث عنها  
 أيها الساقى متى تنظر لي عين حنانك  
 ومتى الجمهور بالأقداح تروي من دنانك  
 خلقتك اللهم هذا لم يذق ذوق فتوني  
 وأنا، إن لم تبدله يبدله جنوني  
 ما هو العار الذي يلحق هذا الفيلسوف  
 وهو بالسر الذي خبأته أنت يطوف؟!

\*\*\*

نسمه الأسحار الذي نفحه الله الخبير

في نسيج الرُّوح يجريها كُنُشغ في الضمير  
يصبح الرّاعي كموسى بتعاليم شعيب  
﴿ لا تخف ﴾ سيف فخذها وهي وحيّ دون ريب

\*\*\*

## مسجد قرطبة

( نظمت في أرض الأندلس وبخاصة في قرطبة )

( ١ )

ضياء الضُّبح بعد الليلِ آتٍ ( ومن هذين كلُّ الحادثاتِ )  
هما في الدَّهر خيطٌ من حريرٍ تلوّن بالحياة وبالمماتِ  
هما إيقاعُ أغنية الجِبابِ ولحنُ الحقِّ في هذي الرُّحابِ  
على وتر الخلود لهم نشاطٌ مُلِمٌّ بالقرار وبالجوابِ  
وعندهما بكلِّ النَّاسِ علمٌ هما حجرُ المحكِّ لكلِّ شغبِ  
فلا تفخر بقلبك دون زيفٍ وجرب مثلما جرّنتُ قلبي  
فإن هو كان زيفك مثل زيفي ولم يك لي ولا لك أيُّ قيمة  
فعيدك مثل عيدي عيد موتٍ وحطُّك مثل حطِّي في الوليمه  
وما المعنى ليوميك أو ليومي بلا ليلٍ يكون ولا نهار  
إذا عبر التُّبوغُ بأرض قومٍ تولّى مثل زوبعة الغبار  
حكايةً كوننا وهمٌ وظنٌّ وهذي كلُّ أطوار الحكاية  
من العدم البدايةً أخرجتنا وترميننا إلى العدم النهايةً

( ٢ )

الموت لا يَمحو رجالَ الله من هذا الوجود  
الحب في دمهم تلوّن بالثبات وبالخلود

مهمما يَكُنْ جَرِيانُ هَذَا العَصْرِ جَبَّاراً عَنيفاً  
 فَالْحَبُّ يَخْرُفُهُ وَلَكِنْ سَيْلُهُ يَنْدُو لَطِيفاً  
 الْأَمْسُ وَالغَدُ لَيْسَ وَجْهَتَنَا الَّتِي نَسْعَى إِلَيْهَا  
 الْحَبُّ أَمْنَةٌ بِلَا أَسْمَاءٍ نُطَلِّقُهُ عَلَيْهَا  
 مَا الْحَبُّ؟ مَا هُوَ؟ إِنَّهُ وَثِيكٌ أَوْقَاتِ الصِّفَا  
 فِي نَفْحَةِ الوَحْيِ الْأَمِينِ عَلَى فِؤَادِ المِصْطَفَى  
 مَا الْحَبُّ؟ سَكْرَةٌ وَرَدَةٌ خَلَعَ الجَمَالَ عِذَازَهَا  
 لِعِيبِ النَّسِيمِ بِهَا عَلَيْهِ فَقَطَعْتَ أَرْزَاذَهَا  
 الْحَبُّ فِي سَاحِ الجِيوشِ هُوَ المَقْدَمُ وَالتَّبِيهَ  
 وَالْحَبُّ فِي الحَرَمِ الشَّرِيفِ هُوَ المَشْرَعُ وَالفَقِيهَ  
 أَسْأَلُ بِهِ مَتَسَكِّعاً خَلَفَ الهِوَادِجِ وَالتَّقِوَا فَلَ  
 بَيْنَ الْأَلُوفِ مِنَ المَنَازِلِ وَالْأَلُوفِ مِنَ المَرَا حِلِّ  
 الْحَبُّ لَيْسَ مَغْنِيّاً الْحَبُّ إِبْدَاعُ الْأَغَانِي  
 أَوْتَارُهُ نَوْرُ الحَيَاةِ وَقَوْسُهُ نَارُ المَعَانِي

\*\*\*

### مسجد قرطبة

(٣) و(٤) و(٥) و(٦)

قَصْرُ التَّارِيخِ وَمَسْجِدُهُ مَا أَرُوغَ مَا صَنَعْتَ يَدُهُ  
 لِلْقَوْمِ بِصَنْدَرِ حِكَايَتِهِ صَوْتُ مَا زَالَ يُرَدِّدُهُ  
 ظَمّاً لَا رِيَّ لَهُ وَبِهِ طَلِبُ الظَّمَّانِ وَمَقْصِدُهُ  
 يَزْدَادُ بِرَوْيَتِهِ وَلَهَا وَيُرِيدُ يَقَوْمٌ فَيَقْعِدُهُ  
 وَكَأَنَّ عِلَائِقَ زَيْتِهِ خَفَقَاتُ القَلْبِ وَمَعْقِدُهُ  
 فِي الصَّخْرِ فَنُونَ سَرَائِرِنَا بِلَطَائِفِنَا نَتَعَهَّدُهُ

لِيَهَيِّجَ رَيْنُنْ جَوَانِبَهُ بِأُنَيْنِ الرُّوحِ نَزْوُدُهُ  
يَا ظِلَّ العَرْبِ ودوحتَه من ذَا تَارِيخُكَ يَجْحَدُهُ  
بِكَ أَضْحَتْ تَرْبَةُ أَنْدَلَسِ حَرَمًا فِي الغَرْبِ نَمَجَّدُهُ  
لَانْدَ لَهُ فِي سُوُدَدِهِ إِلَّا الإِيمَانُ وَسُوُدَدُهُ  
عَرَبِيُّ اللّٰحْنِ حَجَازِيُّ رُوْحِ الإِسْلَامِ تُخَلِّدُهُ  
يَمْنِيُّ العِطْرِ تَهَبُّ بِهِ أَنْسَامُ الشَّامِ وَتَخْشُدُهُ  
نَظْرَاتُ ظَبَائِكَ لَاعِبَةٌ بِسَهَامِ الحَبِّ تَكْبُدُهُ  
أَنَا مِنْ كَفَّارِ الهِنْدِ وَفِي نَظْرَاتِي مَا لَا تَجْحَدُهُ  
وَحِمَاسَةٌ أَغْنِيَتِي هَذَا مِنْ لَحْنِ قَلْبِكَ يُنْشِدُهُ  
وَصَلَاةُ الحَبِّ عَلَى شَفْتِي ( وَعَلَى خَدَيْكَ تَوْرُدُهُ )  
الْفِتْنَةُ وَجْهُكَ يوقِدُهََا وَأَنَا أَشْرَحُ مَا تُوقِدُهُ  
تَوْحِيدُ اللهِ لَنَا نَوْرٌ وَحِيَاةُ القَلْبِ تَوْحِيدُهُ  
لَوْ كَلَّ رِيَاحٌ فِي السُّدُنِيَا اجْتَمَعَتْ لَا تَقْدِرُ تُخْمِدُهُ  
يَحْكِيكَ جَمَالًا وَجَلَالًا رَجُلٌ لَّهِ تَعْبُدُهُ  
وَحِمَاسٌ ضَحَاهُ وَوَجْدٌ مَسَاهُ وَمَا يَخْفِيهِ لَهُ غَدُهُ  
وَمَسْرُوتُهُ وَمَحَبَّتُهُ وَتَوَاضُعُهُ وَتَوَدُّدُهُ  
عَذْبُ الكَلِمَاتِ خَفِيفُ الرُّوحِ رَقِيقُ القَلْبِ مُسَهَّدُهُ  
أَبْدِيُّ الحَبِّ نَقِيُّ الحَنْزِبِ مَصُونُ العِرْضِ مَهْنَدُهُ  
وَعَلَى يَدِهِ اللهُ يَسُدُّ بِلَطِيفِ القُدْرَةِ تَعْضُدُهُ  
العَالِمُ قَصْرُ خِلَافَتِهِ وَسَمَاءُ العَالَمِ مَعْبَدُهُ  
سِرُّ الكَوْنِيْنَ بِنَظْرَتِهِ وَعَنِ الكَوْنِيْنَ تَجَرُّدُهُ  
وَسِرَابُ العَضْرِ بِنُورِ الدِّينِ وَنِسَارِ الحَبِّ يُبَدِّدُهُ  
هُوَ أَوَّلُ سِرِّ فِي الدُّنْيَا وَرَجَاءُ الكَوْنِ وَمَقْصِدُهُ  
هُوَ مِثْلُكَ شَاغِلَ عَالَمِهِ بِقَدِيمِ الحُسْنِ يُجَدِّدُهُ



كَنخِيلِ الشَّامِ وَأَعْمُدِهَا شَمَخَتْ فِي الْمَسْجِدِ أَعْمُدُهُ  
 تَأَلَّقُ زَرْقَةً قَبَّتَهُ وَتَقِيمُ اللَّيْلَ وَتُقْعِدُهُ  
 وَتَنْهَضُهَا فِي وَخْدَتِهَا كَالطُّورِ كَوَاهُ تَنْهَضُهُ  
 بَعَثَتْ جَبْرِيلَ مِنْ أَيْدِيهَا بِجَمَالٍ أَنْتَ مُحَمَّدُهُ  
 نَادَى إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى لِشُهُودِ هَذَا مَشْهَدُهُ

( ٧ )

إِنَّ أَرْضاً أَنْتَ فِيهَا لِسَمَاءٍ لِلْغُيُـوْنِ  
 كَيْفَ لِمَ يَسْمَعُ أَذَاناً أَهْلُهَا مُنْذُ قُرُونِ  
 لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أُسْرَى مَوْكِبُ الْحَبِّ الْعَضُوبِ  
 لَيْتَ شِعْرِي مَا يَرَى الْآنَ وَفِي أَيِّ الدَّرُوبِ  
 هَيَّجَ الْأَلْمَانَ حَوْلَ الدِّينِ إِصْلَاحاً عَرِيقاً!  
 بَدَدَ الْأَسْرَارَ لِمَ يَتْرِكُ لَهَا بَيْتاً عَتِيقاً  
 أَصْبَحَتْ مِنْهُ هَبَاءً عَصْمَةُ الْبَابِ الْعَجُوزِ  
 وَأَفَاقَ الْفِكْرِ لَا يَعْرِفُ شَيْئاً لَا يَجُوزُ  
 مِنْذُ أَنْ ثَارَتْ فَرَنْسَا بَدَأَ الْغَرْبَ الْعِرَاقَا  
 لِمَ تَعُدُّ تُبْصِرُ فِيهِ بَعْدَهَا إِلَّا ارْتَبَاكَا  
 هِيَ ذِي رُومَا الَّتِي شَاخَتْ عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ  
 تَحْتَسِي خَمِراً جَدِيداً مَعَهَا الْبَابَا نَدِيمِ  
 فِي فَوَادِ الْمُسْلِمِ الْيَوْمَ كَهَذَا الْغَلِيَانِ  
 هُوَ سِرُّ اللَّهِ عَنِ تَبْيَانِهِ كُلِّ اللِّسَانِ  
 فَارْقَبُوا مِنْ ذَلِكَ الْوَاثِبُ فِي بَحْرِ الْقَضَاءِ  
 وَارْقَبُوا الْكُـوْبَ الَّذِي يَخْتَارُهُ مَاءُ السَّمَاءِ

تَمِيلُ سَحَابَةُ الْوَادِي فَتَحْكِي فِيهِ غَطَاسَا  
 رَمَتْهَا الشَّمْسُ بِالْيَاقُوتِ أَكْدَاسَا فَأَكْدَاسَا  
 وَأَغْنِيَةَ ابْنَةِ الْفَلَاحِ تُطْرِبُ رُغْمَ رَكَّتْهَا  
 بِرَقَّتْهَا إِذَا غَنَّتْ وَأَهْتَهَا وَأَنْتَهَا  
 كَأَنَّ غِنَاءَهَا فِيضٌ يُقْلُّ سَفِينَةَ الْقَلْبِ  
 تَغَازِلُ نَهْرَ قُرْطُبَةَ الَّذِي يَذْخِرُ بِالْحَبِّ  
 هِنَالِكَ يَزْتَعُ السَّارِي هِنَالِكَ تَضَدُّحُ الْوَرَقِ  
 كَأَنَّ النَّهْرَ تَارِيحٌ يَغْنِي فَوْقَهُ الشَّرْقُ  
 نَعَمْ ، مَا زَالَ عَالَمُهُ الْجَدِيدُ يَحْوِطُهُ الْقَدْرُ  
 وَمِثْلِي لَيْسَ يُعْجِزُهُ عَلَى إِدْرَاكِهِ نَظْرُ  
 وَلَوْ هَتَكَتُ أَسْتَارِي وَأَسْفَرَ وَجْهَهُ أَفْكَارِي  
 لَكَلَّ الْغَرْبُ أَنْ يَحْمِلَ مَا غَنَّتْهُ أَوْتَارِي  
 حَيَاةٌ لَيْسَ فِيهَا ثَوْرَةٌ مَوْتٌ لَطَالِبُهَا  
 وَهَلْ لِحَيَاتِنَا فِكْرٌ يَكُونُ لغيرِ غَالِبِهَا  
 وَبَدءُ الْفِكْرِ بَدءُ تَأْهُبِ الْأَحْرَارِ لِلخَطَرِ  
 وَشَعْبٌ وَاثِقُ الْخَطَوَاتِ سَيْفٌ فِي يَدِ الْقَدْرِ  
 إِذَا الْأَثَارُ جَوْهَرِنَا أَبْنَةُ عَابِهَا التَّقْصُرُ  
 وَإِنْ لَمْ تَأْخِذِ الْأَنْغَامَ عَنَّا أَضْحَكَ الرِّقْصُ

\*\*\*

## صرخة «المعتمد»<sup>(١)</sup> في السجن

تَكَادُ صرْخَةُ قَلْبِي عِنْدَ حَنْجَرَتِي تَشُقُّ مِنْ كَثْمِهَا قَلْبِي وَتَنْطَلِقُ  
كَأَنَّهَا جَمْرَةٌ فِيهِ بِلَا شَرَرٍ قَلْبِي بِهَا دُونَ كُلِّ النَّاسِ يَحْتَرِقُ  
كَذَاكَ تَفْعَلُ بِالْحَرِّ الْحَيَاةُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً وَحَالَتْ دُونَهُ الطُّرُقُ  
أَلَيْسَ عَاراً عَلَى الْأَحْرَارِ يَسْجَنُهُمْ مَعَ الْعَبِيدِ دَعِيَّ جَيْشُهُ الْحَمَقُ  
لَعَلَّ فَوَلاذَ سَيْفِي صَبِغَ ثَانِيَةً غِلاً لِكْفِي الَّتِي لَمْ يَثْنِهَا فَرَقُ  
لَا أَشْمَتَ اللَّهُ بِالْأَقْدَارِ حَاسِدَنَا فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَقْدَارِ يُسْتَبَقُ

\*\*\*

---

(١) المعتمد بن عبّاد : ملك إشبيلية حالف الفونس السادس فأسره يوسف بن تاشفين وألقاه في السجن فمات فيه .

وقد نشرت قصائده مترجمة إلى اللغة الإنكليزية في سلسلة ( WISDOM OF the east ) ( من ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية ) .

## النخلة الأولى (١)

( ١ )

( يلاحظ أن المقطع الأول من القصيدة ترجمة لقصيدة  
عبد الرحمن الأول التي وردت في نفع الطيب ٥٤ / ٣ وقد عُرِسَتْ  
النَّخْلَةُ في مدينة الزَّهْرَاءِ ، والقصيدة كما ذكرها المقرئ ) .

تبدَّت لنا وسط الرُّصَافَةِ نخلةٌ      تناءت بأرضِ الغَرْبِ عن بلدِ النَّخْلِ  
فقلتُ شبيهي في التغرُّبِ والنَّوى      وطولِ اكتئابي عن بنيٍّ وعن أهلي  
نشأت بأرضٍ أنتِ فيها غريبةٌ      فمثلك في الإقصاءِ والمُنتأى مثلي  
سقتك غواذي المُرْنِ في المُنتأى الذي      يسُخُّ ويستمرى السِّماكينِ بالوَبْلِ

(١) وقد ترجمها الشاعر كما في ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية :

أنت نورٌ عيني  
أنت فرحٌ قلبي  
أنا بعيدٌ عن وطني  
وأنت عندي شجرةٌ من سيناء  
ترغزعت في أرض الغرب  
ومع ذلك فأنت حوريةٌ من الصحراء العربية  
أنا نَفْدٌ صبري في غربتي  
وأنت نَفْدٌ صبرك في غربتك  
أيمكن أن تؤتني ثمارك في الأرض الغربية  
عسى أن يكونَ ندى الصُّباحِ هو الذي يسقيك .

( وقد استوحى إقبال المقطع الثاني من القصيدة ذاتها لذلك أثرنا  
نظم المقطع الثاني على نهج أبيات عبد الرحمن ) .

وأعجب ما في الكونِ غربهٌ مثلنا	وفي الشام من أمثالنا عددُ الرَّمْلِ
وما زلتُ في التَّطوافِ ألقى على المدى	زماناً غريب الوجه مختلف الشَّكلِ
وليس لهذا البحر من ساحلٍ يُرى	مضيتُ به عريانَ مُمتَشِقاً نصلي
وما من حياةٍ للذي أنفَ الرَّدَى	وهل يقدح الرِّند الشرارَ من الوحلِ
إذا شامَ طرفي البرقَ زادَ تألُّقاً	وحنَّ بذكرِ الشامِ للأعين النُّجْلِ
وما ضرَّنا مُلكُ تركناه خلفنا	فكلُّ بلادِ الله ملكُ ذوي العَدْلِ
سنبني كما كُنَّا بنينا لغيرنا	وحاشا لأهلِ الجُودِ توصمُ بالبُخلِ
إذا نَضَبَتْ أجسادنا من دماننا	فمنزلنا رِيانُ من عَدَقِ البَدْلِ
ستذُكُرنا الدُّنيا وتندُبنا الورى	وتطلُّب من آثارنا كعبةَ الفضلِ
يقال هنا صلَّتْ وضجَّتْ قلوبهم	هنا انتبذتْ أرواحها رسلُ النُّخلِ

\*\*\*

## إسبانيا

( كُتبت في إسبانيا ساعة مغادرتها )

صوتُ المنائر في نسيْمِك يَرْقُدُ وصداه في أرواحنا يتردَّدُ  
يا توءَمَ الحرم الشريف تطوَّفَتْ بِكَ رُكْعٌ من عاكفينَ وسُجَّدُ  
سيماكٍ من أثرِ السُّجودِ على الثَّرى طربُّ يفوحُ ونضرةٌ تتجدَّدُ

\*\*\*

تحكي النجومُ أسنةً لرماحهم بإزائها ليلٌ يقومُ ويَقُعدُ  
ملؤوا وهادِك بالخيامِ ولم تنزلْ أوتادها بنسيمهم تتأوَّدُ  
إنْ تسألِ الحسناءَ عن حُنَّائهم فتخيَّبُ يُنصِفُها دمي المتورِّدُ  
يا طالما سُفِكتَ هناكَ دماؤُنا ظلماً ونحنُ المشفقونَ العودُ

\*\*\*

ما كان صقرُ قريشٍ غيرَ موحدٍ عجباً أما في المسلمين موحدُ  
خمدتْ حقيقتُنا وزالَ لهيبتنا وبريقُ قرطبةَ الشَّريدُ مخلدُ  
ووقفَتْ لا نومي حمدتْ ولا السُّرى أتكبَّد الجرح الذي أتكبَّدُ  
عانيتُ مشهدهم وقلْتُ وقيل لي سيَّان قولٌ في العزاءِ ومشهدُ

\*\*\*

سُتْهتِك الأستارُ عن سينائنا وتُبأحُ أسرارُ لنا وتُبَدُّ  
ويكونُ أولُ من يقومُ بهتكها للناس أولُ مصلحٍ يتحمَّدُ

\*\*\*

## دعاء طارق

نزل طارق بن زياد - القائد الشاب - بجيشه العربي المسلم على أرض إسبانيا ، مدخل أوربة ، وأمر بإحراق السفن التي حملت الجيش الإسلامي لتتقطع بالمسلمين أسباب الرُّجوع ، ويستطيع أن يقول لإخوانه : « أيها الناس أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر »<sup>(١)</sup> ، فيشير ذلك فيهم القوة الكامنة ، والاعتماد على الله ، ثم على سواعدهم وسيوفهم .

صفَّ طارق جيشه أمام العدو ، واستعرضه فرأى أنه لا يكافئ الجيش الإسباني في العُدَّة والعَدَد ، ووصول الميرة والمدد ، فإن العدو في مركزه ومملكته ، والجيش الإسلامي غريبٌ منقطع عن مركزه وبلاده ، لا يطمع في ميرة ولا مددٍ ، إلا ما ينتزعه من أيدي عدوه انتزاعاً ، ويتغلب عليه ، ويعرف أنه لو حدث به حدث ، ودارت عليه دائرة لأصبح خبيراً من الأخبار ، وكان طعمة السباع والنسور .

كل ذلك أثار في طارق التفكير والاهتمام ، وفكَّر فلم ير حيلة إلا أن يضم إلى هذا الجيش قوة لا تُهزم ، وإرادة لا تغلب ، إنها القوة الإلهية ، وإنها الإرادة الربَّانية ، وقد وثق بها طارق ، ووثق أنها معه ، أليس هذا جند الله ؟ أما جاء ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة الناس إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، وقد قال الله : ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [ الصافات : ١٧٣ ] .

(١) قطعة من حُطبة طارق بن زياد .

هنالك وقف القائد المؤمن يناجي ربه ، ويطلب نصره ، وكان في ذلك مقلداً للرسول الأعظم ﷺ - قائد الكتيبة المؤمنة الأولى - إذ عبأ جيشه يوم بدر ، وصفه أمام العدو ، ثم اعتزل في العريش ، ونصب جبهته يبكي ، ويقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد » ، فتأسى طارق برسوله وسيده ، ودعا بهذا الدعاء العجيب الذي لا يدعو به قادة الجيوش ولا يخطر منهم على بال ، وقد سبكه محمد إقبال في قالب شعره ، فزاد في تأثيره وسحره .

قال طارق : اللهم ! إن هؤلاء الفتيان الذين خرجوا جهاداً في سبيلك ، وابتغاء مرضاتك ، رجالاً غامضون مجهولون لا يعرف سرهم وحقيقتهم غيرك ، لقد منحتهم طموحاً وعلو همة ، لا يرضون معه إلا أن يكونوا سادة العالم ، يحكمون الدنيا كلها بحكمك وينفذون فيها أمرك ، لا يعلوهم غيرك ، أبطال مغاوير ، تنفلق بهيبتهم البحار ، وتنضوي لصولتهم الجبال ، لقد ذاقوا لذة الإيمان والحب ، حتى استغنوا بها عن العالم والمادة ، وهانت عليهم الدنيا وزخارفها وشهواتها ، وذلك شأن الحب إذا خالطت بشاشته القلوب ، ما جاء بهم من بلادهم النائية إلا الحنين إلى الشهادة ، التي هي وطر المؤمن العزيز ، وهمم الوحيد ، لا يفكرون في الغنائم ولا في فتح البلاد ، ولا في بسط السيطرة والنفوذ على العباد .

إن العالم قد وقف على شفا حفرة من النار ، لا يمنعه من التردى في الهاوية إلا أن يبذل العرب دماءهم ونفوسهم بسخاء وشجاعة ، إن العالم بحاجة إلى دم عربيّ زكيّ ، فلا يروي غليله ، ولا يشفي عليه إلا الدم العربي الطاهر ، ها إن الأزهار والورود في الغابة في انتظار أن تسقى بهذا الدم القاني ، فترفل في حلتها ، وقد قدمنا لتزرع نفوسنا ، ونريق دماءنا في هذه الأرض النائية ، لتخصب الإنسانية بعد جذب طويل ، ويحل الربيع بعد انتظارٍ شاقٍّ طال أمده .

لقد أكرمت يارب ! رعاة الإبل وسكان الوبر - العرب - بنعم فريدة لم يشركهم فيها أحد ، لقد أفردتهم بعلم جديد ، وإيمان جديد ، وشعار جديد ،



هو : أذان الصبح ، فقد أفلست الأمم من العلم الصحيح ، والإيمان القوي ، والذوق الرفيع ، والدعوة الصارخة السافرة إلى التوحيد ، على حين غفلة من الناس ، أما العرب فقد فاجؤوا العالم بصحة علمهم ، وجدة إيمانهم ، وسلامة ذوقهم ، ودويّ أذانهم في السكون المخيم على العالم ، والظلام الحالك ، لقد كانت الحياة فقدت لوعتها وحرارتها من قرونٍ طويلة ، وقد وجدتها من جديد في قلوبهم الفائضة بالإيمان والحنان ، إنهم لا ينظرون إلى الموت كنهاية لهذه الحياة ، وكتلف للنفس الإنسانية ، إنهم يرون فيه فتحاً جديداً ، وعيشاً جديداً ، أعد يارب ! إلى هذه الأمة المؤمنة الحمية الإيمانية والغضبة المؤمنة ، التي تجلّت في دعاء نوح ، فقال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] . حتى تصبح صاعقة على عالم الكفر والفساد ، وأخلق فيها المطامح البعيدة ، والعزائم القوية الشديدة ، واقذف في قلوب الناس رعبتها ، وهيتها حتى تعمل نظراتها عمل السيوف<sup>(١)</sup> .

وقد استجاب الله دعاء طارق - القائد المؤمن المخلص - وانتصر الجيش الإسلامي على عدوه ، الذي كان يفوقه مراراً في العدد والعدد ، وأصبحت إسبانيا النصرانية الأوروبية الأندلس الإسلامي الغربي ، وقامت دولة المسلمين في ربوعها وازدهرت قروناً ولم تضعف ولم تزل ، إلا بفقدهم الروح التي تضلع بها طارق وأصحابه ، وبنسيانهم الرسالة التي جاءت بهم من جزيرة العرب ، وبفقرهم في الإيمان الذي امتاز به طارق بين قادة الجيوش ، وفاتحي البلاد ، وبانغماسهم في الشهوات والحروب الداخلية ، ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلشُّرَكِيَّةِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٢] <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

(١) من « بال جبريل » ( جناح جبريل ) ديوانه .

(٢) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي .

## دعاء « طارق »

« نُظِمَتْ فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ فِي الْأَنْدَلُسِ »

حملوا عَنَاءَ الْعَالَمِينَ وَسَارُوا  
وَالنُّورَ فِي نَظَرَاتِهِمْ وَالنَّارَ  
وَتَرَاجَعْتَ لَخَطَاهُمْ الْأَنْهَارَ  
وَالعِشْقَ فِي أَرْوَاحِهِمْ إِعْصَارَ  
عِلْمٍ عَلَى الدَّارِينَ لَا يَنْهَارُ  
وَإِذَا تَقَحَّمَ فَالْجِرَاحُ غِبَارُ  
وَمَطَامِحُ الْهَمِّ الْكِبَارِ كِبَارُ  
تَرْجُو رَجَاءَ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ  
وَتَضِجُ لَيْلَ نَهَارٍ فِي البُسْتَانِ  
سَكَّانَهَا وَجَعَلْتَهُمْ أَفْذَاذَا  
وَجَعَلْتَ أَعْرَابِيَّهُمْ أَسْتَاذَا  
عَزَّتْ وَطَلَبْتُهَا مَذَاقُ النَّارِ  
كَلَّتْ مِنَ التُّرْحَالِ وَالتُّسْيَارِ  
هُوَ لِلْبَصِيرَةِ بَابُهَا الْمَفْتُوحُ  
يَتَوَسَّلُونَ كَمَا تَوَسَّلَ نُوْحُ  
وَهُمْ وَأَنْتِ الْفَرْدُ لَا تَتَغَيَّرُ  
وَالنَّاسُ مِنْهَا مُوسِرٌ أَوْ مُعْسِرُ  
إِلَّا ظَنُونُ الْوَاهِمِ الْمَتَقَوْلُ  
سَكْرَانٌ مِنْ مَاضٍ وَمِنْ مُسْتَقْبَلِ

هَذَا الْكُمَاةِ عِبَادُكَ الْأَخْيَارُ  
أَصْحَابُ سِرِّكَ وَالسِّيَادَةُ طَبْعُهُمْ  
فَعَلْتَ كَمُوسَى فِي الْبَحَارِ عَصِيَّتُهُمْ  
الْبَحْرُ حَبَّةُ خَرْدَلٍ فِي كَفِّهِمْ  
عَزَفُوا عَنِ الدَّارِينَ إِلَّا أَنَّهُمْ  
نَيْلُ الشَّهَادَةِ لِلْمَوْحِدِ مَطْمَحُ  
لَا سَبِيَّ غَانِيَةٍ وَسَلْبِ خَزَانَةِ  
كُلِّ الْعِبَادِ عَلَى اخْتِلَافِ عَرُوقِهِمْ  
تَرْجُو مِنَ الْعَرَبِيِّ لَوْنَ دِمَائِهِ  
رَبَّاهُ أَنْتِ بَعَثْتَ مِنَ صَحْرَاتِهِمْ  
وَمَلَأْتَ صَدْرَ الصُّبْحِ مِنْ آهَاتِهِمْ  
طَوَتْ الْحَيَاةُ الدَّهْرَ تَنْشُدُ طُوبَى  
وَبِرُوحِهِمْ عَثَرَتْ عَلَيْهَا بَعْدَمَا  
الْمَوْتُ لَيْسَ نَهَايَةً فِي عَيْنِهِمْ  
رَبَّاهُ! فَابْعَثْ مُسْلِمِينَ أَعْرَةَ  
لَتَغْيِرَاتِ الْعَضْرِ مِنْ ثُورَاتِهِ  
رَبَّاهُ! أَنْتِ هُوَ الْحَقِيقَةُ كُلُّهَا  
الدَّهْرُ مَلِكٌ يَدِيكَ لَيْسَ لِأَهْلِهِ  
يَتَنَازَعُونَ عَلَى تَفْهَمِ عَالَمِ

\*\*\*

## « لينين » أمام الله (١)

يا من نرى في النفس والآفاق من آياته  
الحق : أنك خالدٌ حيٌّ يقوم بذاته  
ما كان يمكن في وجودك أن يكون على يقين  
والعقل يخرج مرغماً عن رأيه في كل حين  
ما كان يدرك عقلنا في طيش نظرتة السريعة  
ما كنت تُزسله من الأنعام في خلد الطبيعة  
سيان رصاد النجوم ومن توغل في النبات  
وقفوا على مصادهم والكل ينقصه الثبات  
اليوم أعلن بعدما شاهدت عالمك الأخيـز  
وأنا الذي كابدت أفهمه وعانيت الكثير  
أني - وتعلم - لم أكن وحدي هنالك في غرور  
كانت أساطير الكنيسة حول عمتنا تدور

(١) علّق الأستاذ المُلُوحِي على القصيدة بقوله : يهّم القارئ أن أذكر تعليقاً على هذه القصيدة ورد في كتاب « مدخل إلى فكر إقبال » للكاتب الفرنسي ( لوك كلومبتر ) ( طبع بيرسيجرس باريس عام ١٩٥٥ م ) وفيه ص ٧٣ :

هذه القصيدة العجيبة كتبها إقبال آخر سني حياته ، ويخطيء من يرى فيها تغيراً في وجهة أفكاره والصحيح أنها تعميق لهذا التفكير . . فليست هي المرة الأولى التي يفضح فيها إقبال مساوىء الرأسمالية .

ويجب أن نقول إن هذه القصيدة تدل على يقظة وجدان أكثر وضوحاً وأشد وعياً للواقع الاجتماعي ونجد بها هذا الغضب الرّاعد الذي كلّه حب وصفاء .

انظر مجلة فكرو فن عدد ٣٢ ص ٧٩ وما بعدها .

كُنَّا هُنَاكَ مَكْبَلِينَ بِكُلِّ أَغْلَالِ اللَّيَالِي  
أَيَّامَ أَنْتَ تَصَوِّرُ الْأَزْمَانَ فِيهِ عَلَى التَّوَالِي  
قَلْبِي يَمزُقُهُ سَوْأَلٌ فِيهِ فَائِذْنَ بِالسَّوَالِ  
تَرْكَّتُهُ خَوْفًا مِنْ عَوَاقِبِهِ أَبَاطِرَةُ الْجِدَالِ  
هَذَا السَّوَالِ وَكَانَ طَوَّلُ الْعُمْرِ يَرْمِينِي شَرِيدَا  
وَيُثِرُنِي تَحْتَ السَّمَاءِ أَسَى وَيَتْرُكُنِي وَحِيدَا  
هَذَا الَّذِي أَلْقَى بِأَيَّامِي حُطَامًا فِي الْوَهَادِ  
هَذَا السَّوَالُ وَكَانَ مَغْرُوسًا كَشُوكٍ فِي فَوْادِي  
هَذَا السَّوَالِ عَنِ الْأَنَامِ وَلَنْ أَجُورَ عَلَى الْأَنَامِ  
وَأَنَا تَضَايِقُنِي مِرَاقِبَةُ الطَّرِيقَةِ فِي الْكَلَامِ  
فَالْمَرَّةُ لَمَّا تَعَصَّفُ الْأَفْكَارُ فِي أَرْجَاءِ رُوحِهِ  
لَا يَسْتَطِيعُ تَخْيِيرَ الْكَلِمَاتِ تَخْرُجُ مِنْ جُروحِهِ  
[ مَنْ كَانَ آدَمُ حِينَ كَانَ الطَّيْنُ صَلْصَالًا عَلَيْهِ  
مَنْ كَانَ سَيِّدُهُ سَوْأَلٌ لَا أَوْجُهَهُ إِلَيْهِ ]  
إِيَّاكَ يَعْجِدُ - لَا أَظُنُّ وَأَنْتَ عَلَامُ الْغَيْبِ -  
عَاصِرُتُهُ أَيَّامَ كَانَ الدِّينَ أَفْيُونَ الشُّعُوبِ  
عَاصِرُتُهُ مَتَرْنُحًا بِهِيَ أَكُلُ الصَّنَمِ الْقَبِيحِ  
فِي دَرْبِ أَوْرَبَّةِ الَّتِي ائْتَمَرَتْ عَلَى الشَّرْقِ الْجَرِيحِ  
فِي دَرْبِ أَوْرَبَّةِ الَّتِي تَبْدُو مِنْسَارًا لِلْحَيَاةِ  
وَالْحَقُّ أَنَّ النَّبْعَ فِي ظِلْمَاتِهَا نَبْعُ الْمَمَاتِ  
تَاهَتْ بِأَبْنِيَةِ الْمَصَارِفِ فَوْقَ أَبْنِيَةِ الْكِنَائِسِ  
وَأَتَتْ لِهَيْكِلِهَا الْجَدِيدِ بِكُلِّ أَنْوَاعِ النَّفَائِسِ  
قَالُوا تَجَارَاتُ تَدَارُ وَكُلُّ مَا فِيهَا قَمَارِ  
وَمَصَادِفَاتُ تَجْعَلُ الْبُلْدَانَ فِي جَيْبِ الْكِبَارِ  
أَيُّ السِّيَاسَةِ وَالْحُكُومَةِ وَالْكَنِيسَةِ وَالسَّمَاءِ

رفعوا مساواةً تقال وأشربوا حُبَّ الدماء  
 العُزْيُ والفقر المبادلُ والبَطْالَة والفَسَاد  
 آياتُ أوربَّة التي انتشرت بأنحاء البلاد  
 أسفلاً لشعبٍ كاملٍ ردَّ المحبَّة للسماء  
 حُصِرَتْ روائعُه بما أوحى إليه الكهـرباء  
 لم يَنقَ بعد حكمة الآلات معنى للقلوب  
 كان الحنان ملاذناً فَمَحَتْه من بين الشعوب  
 وبرُغم هذا كلُّه تبدو الدلائلُ أنهم  
 سيُبددون وَيَقْرَعُونَ على الهزيمة سنَّهم  
 حانأتهم وقعت بما نصبوه من تلك الشباك  
 فإذا شيوخُ السكر مما يشربون بلا حَرَاك  
 الحمرة الملقاة فوق وجوههم عند المساء  
 آثَارُ خميرِ زائفٍ وخضابِ زورٍ لا دماء  
 ربَّاه ! أنت القادرُ الحقُّ الرَّحِيمُ العادلُ  
 من ذاق من مرِّ المعيشة ما يذوقُ العامِلُ  
 الرأسماليون مركبُهُم يُعزَّبُ في بحارك  
 فمتى تُغَرِّقُه وتأخذُ من مظالمهم بشارك

\*\*\*

## الملائكة تغني

« مقطوعة تابعة لقصيدة لبنين »

الفكرُ حرٌّ لا يُرَدُّ جِماحُه      والحبُّ لا ماوى له يُؤويه  
رباه ! لوحتك التي لم تكتمل      جارت على السرِّ الذي تطويه  
كُهانِ خلقك في صفوف طُغاتهم      يَقْفُونَ للبطاء بالمرصاد  
محنٌ صباحَ مساءً لا معنى لها      إلا لجوءُ النَّاسِ للإلحاد  
فقراؤهم من بؤسهم في سكرة      والأغنياء من الرِّفاه سُكاري  
عبدٌ يلمُّ من الشُّوارع خبزه      عوزاً ، وعبدٌ يُطعمُ الأقمارا  
هل تَسْلَمُ الحكماءُ والفقهاءُ من      طمعِ تاجِّجِ في النفوسِ وقَيْدِه  
أم تَسْلَمُ الآراءُ من لعناته      هذي عطاياه ، وتلك عبيدُه  
يرعونَ كلَّ ضغينةٍ لبائهم      والحبُّ من ألمِ الشَّقَاءِ يصيحُ  
سبحانَكَ اللهمَّ فالحبُّ الذي      يأسو جراحَ البائسين جريحُ  
ذاتُ الحياةِ الحبُّ جوهرُ سرِّها      والحبُّ جوهرُه حياةُ الدَّاتِ  
أسفاً لهذا السيفِ يخبطُ سرَّه      في الغمِّدِ بين الدُّلِّ والآهاتِ

\*\*\*

« أوامر الله للملائكة »

قوموا إلى كوني الغريقِ وأطلقوا فقراءه فيه على الأمراء  
أيبدلون مساجدي بقصورهم      جوراً على خلقي وهم أجزائي

قوموا إليهم وانفخوا من روحنا  
قولوا لحائريهم تبدل أمركم  
قوموا إلى ضعفائهم وهبؤهم  
وامحوا من الماضي جميع ذبوله  
وخذوا من العذل الأخير لأرضهم  
وتقلّبوا بالنار في الحقل الذي  
لم هذه الحُجُبُ التي تلهو بهم  
لا تتركوا في الأرض سترًا مسبلًا  
ومن الكنائس أخرجوا أربابها الغارقين بلُجّة الأوهام  
لله قد شرع الشُّجود وما عدا  
جوسوا الكنائس والمساجد لا  
أنا غير راضٍ عن رخام أبيض تلقى به سوّد القلوبِ مراحا  
وابنوا من الطّين المعابدَ علّ أن يَجِدَ السكينة عابدي المسكينُ  
يتنافسون بِنقشِها

\*\*\*

فيهم ولا تأسوا على أسراره  
فاستبدلوا بزّد اليقين بناره  
ما يجعلُ العُصفورَ يَضْرَعُ بازا  
لا تتركوا للجامدين مفازا  
سيفاً يقيمُ بحدّه الإصلاحا  
تجدونه لا يشبَعُ الفلاحا  
وتحولُ بينَ الخلقِ والخلّاقِ  
أرخاه كاهنُهم على أرزاقِ  
ومن الكنائس أخرجوا أربابها الغارقين بلُجّة الأوهام  
هذا ، مؤامرةٌ مع الأصنام  
أرى لكنيسةً ولمسجدٍ مصباحا  
أنا غير راضٍ عن رخام أبيض تلقى به سوّد القلوبِ مراحا  
وابنوا من الطّين المعابدَ علّ أن يَجِدَ السكينة عابدي المسكينُ  
وبرقشها والطّينُ لا يهديه إلا الطّينُ

\*\*\*

لم ألقَ فيها غيرَ نافخِ كير  
وليعلُّ شاعرُهُ بصوتِ نكير  
تهديمُ صرحِ الذاتِ في الإسلام  
وحوارِ موسى ليس محضَ كلام  
سراً ودروشة القلندر تاجُهُ  
والمرءُ محكومٌ بما يحتاجُهُ

فتشّت في هذي الحضارة كلّها  
فتداركوا الشَّرْقَ الذي يرنو لها  
في الغربِ فلسفةٌ وفي تصديقها  
وصميمٌ ذاتك في حوارِ إلهها  
آثارُ دروشة القلندر لم تُعدْ  
في كبرياء الفقرِ صونُ ذواتنا

## في أرض فلسطين

تحركت السيارات التي كانت تقل ضيوف المؤتمر الإسلامي المنعقد في القدس عام ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) ، ودخلت في الفضاء الواسع ، وطلعت الشمس ، وأرسلت خيوطها الذهبية ، كأنها جداول نور نبعت من عين الشمس ، ولم يزل الشروق مصدر سرور وإلهام للشعراء ، يجدون فيه الحياة للقلب والنشاط للفكر ، والتقى جمال المكان بجمال الزمان ، فأثار ذلك الشاعرية في الشاعر العظيم والفيلسوف الكبير الدكتور محمد إقبال ، الذي جاء من أوربة يمثل الهند الإسلامية في المؤتمر الإسلامي ، وبدأ يتمتع بهذا المنظر الخلاب ، ويسخو بنظراته - التي يحتفظ بها الشعراء - في سبيل القلب ، فكلُّ نظرة تضيع في جمال الطبيعة ترجعُ إلى القلب بالريح العظيم ، لأنها تشحن « بطاريتته » بالنور الجديد ، والقوة الجديدة .

هذا وقد تهيأ الجو ، وتوفرت الأسباب لإمتاع الشاعر العظيم وإثارة قريحته ، فقد غطت الجو سحائب ذات الألوان ، واكتست جبال فلسطين بطيلسانٍ جميلٍ زاهي اللون ، وهبَّ النَّسيم عليلًا بليلاً ، وهفت أوراق النَّخيل مصقولةً مغسولةً بأمطار الليل ، وأصبحت الرِّمال في نعومتها وصفائها حريراً .

ورأى الشاعر العظيم آثار نيرانٍ انطفأت قريباً ، وأثافي<sup>(١)</sup> منثورةً هنا وهناك ، وبقايا من خيامٍ وأخبية ، ضربت في هذه الصحراء بالأمس القريب ، وتخبر بالقوافل التي أقامت ثم ظعنّت .

وطاب المكان والزَّمان للشاعر ، وسمع كأن منادياً من السماء يحثه على أن

---

(١) الأثافي : الحجارة التي توضع عليها القدور .



يلقي عصا التسيار ، ويؤثره بإقامته<sup>(١)</sup> .

حرك هذا المنظر البديع في هذا المكان الرفيع ، الذي أكرمه الله بجمال الطبيعة والرسالات السماوية ، عواطف الشاعر وهاجت قريحته ، وتحرك الحبُّ الدفين ، ومن شأن هذه المناظر أن تثير الدفائن ، وتظهر الكوامن ، فيتذكر الإنسان أحب شيء إليه ، فيحن إليه ، ويتمثله ، ويتغنَّى به ، وقد حلَّ « الإسلام » ، وحلت الأمة الإسلامية في قلبه محلَّ الحبيب الأثير ، وسيطر حبه على مشاعره ، فما كان من الشاعر المؤمن إلا أنه تذكر حبيبه وتغنَّى بجماله ومحاسنه ، وركز آماله وأحلامه عليه ، وقال بلسان الشاعر العربي البليغ :

ولما نزلنا منزلاً ظلَّه التدى أنيقاً ، وبستاناً من النور حالياً  
أجدُّ لنا طيبُ المكان وحسنه منىً ، فتمنينا ، فكنت الأمانيا

وثارت فيه العواطف والخواطر ، ورأى أنَّ ركب الحياة بطيء لا يسايره في أفكاره الجديدة ، وخواطره الوليدة ، ورأى أن العالم عتيق شائب ، وفكره « الإسلامي » جديد فتىً ، ورأى أن العالم قد تجددت فيه أصنامٌ وأوثان ، وبنيت هياكل جديدة يعبد فيها صنم القومية ، والوطنية ، واللون ، والجنس ، والنفس ، والشهوات .

وقد تسربت هذه الوثنية إلى العالم الإسلامي والعربي ، أفليس العالم في حاجة إلى ثورة إبراهيمية جديدة ، إلى كاسر أصنام يدخل في هذا الهيكل فيجعل هذه الأصنام جذاذاً ؟

وسرح طرفه في العالم الإسلامي ، فوجد إفلاساً محزناً في العقل والعاطفة ، رأى العربي قد ضعف في إيمانه وعقيدته ، وفي لوعته وعاطفته ، ورأى العالم العجمي قد فقد العمق والسعة في التفكير ، ورأى أنَّ النظام المادي ، والحكم الجائر المستبد ينتظر ثائراً جباراً جديداً ، يغضب للحق ،

---

(١) الوصف للمكان والمنظر لإقبال ، نقلناه إلى العربية في لفظنا .

ويثور كالليث ، ويمثل الحسين بن علي في حميته وفروسيته .

ورجا العالم الإسلامي أن يطلع هذا الثائر من ناحية بلد عربي ، ويفاجيء العالم بصراحته وشجاعته ، وتطلع العالم إلى الحجاز - معقل الإسلام وعرين الأسود - فما كان منه إسعاف وإنجاز ، ولم تتجدد معركة كربلاء على ضفاف دجلة والفرات ، مع شدة حاجة الإنسانية إلى ذلك ، ورغم شدة حنين العالم الإسلامي إلى بطله الجديد .

وهناك شعر محمد إقبال أنَّ السبب في هذا التحول العظيم ، هو ضعف العالم الإسلامي في العاطفة والحب ، الذي هو مصدر الثورات والبطولات ، فانطلق يشيد بفضل الحب وتأثيره ، ويقول :

« لا بدَّ أن يعيش العقل والعلم في حضانة الحب ، وإشرافه وتوجيهه ، ولا بد أن تسند الدين وتغذيه عاطفةً قوية ، وحب منبعه القلب المؤمن الحنون ، فإذا تجرَّد الدين عن العاطفة والحبِّ أصبح مجموعةً من طقوس ، وأوضاع ، وأحكام لا حياة فيها ولا روح ، ولا حماسة فيها ولا قوة ، هذا الحب الذي صنع المعجزات ، هو الذي ظهر في صدق الخليل وصبر الحسين ، وهو الذي تجلَّى في معركة بدر وحنين » .

وهنا يُقبل الشاعر الكبير على « المسلم » الذي دائماً يستهين بقيمته ، ويجهل مكانته وشخصيته ، فيقول : « إنك غاية وجود هذا الكون ، ولأجلك خلق الله هذا العالم ، وأبرزه إلى الوجود ، وأنت البغية المنشودة ، التي هام في سبيلها الهائمون ، وحرار في الوصول إليها الباحثون » .

ثم يستعرض العالم الإسلامي - وقد عرف شرقه وغربه وعربييه وعجميه - فيحزنه قصر النظر ، وقلة الذوق في رجال العلم والثقافة ، وسقوط الهمة ، وقلة البضاعة<sup>(١)</sup> في رجال الدين ، ويرى أن المراكز العلمية والدينية - بمعناها

(١) المراد منها البضاعة العلمية والدينية وما همَّ بصدوره .

الواسع - محرومةً من عمق الفكر ، وسلامة الذوق ، والنشاط العقلي ، والطموح الذي كان سمة هذه المراكز التي تتزعم العالم الإسلامي ، وتقود الأجيال البشرية ، ويقول : « إنني هائم في شعري وراء الشعلة التي ملأت العالم أمس نوراً وحرارة ، وقد قضيت حياتي في البحث عن تلك الأمجاد التي مضت ، وأولئك الأبطال الذين رحلوا وغابوا في غياهب الماضي ، إن شعري يوقظ العقول ، ويهز النفوس ، ويربي الآمال في الصدر ، ولا عجب إذا كان شعري يملأ القلوب حماسة وإيماناً ، وكان وقعته في النفس كبيراً وعميقاً ، فقد سألت في شعري دموعي ودمائي ، وفاضت فيه مهجتي ودعائي ألا يخفف الله من هذا الجوى ، بل أسأل الله المزيد والجديد » .

ثم يقبل في شعره إلى الله ، ويذكر كيف أحاطت تجلياته بالوجود ، كيف صغر هذا الكون الواسع ، وكأنه ذرةٌ حقيرة. أو قطرةٌ صغيرة في جنب هذه السعة التي لا نهاية لها ، وكيف أشرق نوره على ذرةٍ فكانت شمساً بازغة ، وكيف تجلى بالجلال فكان في الأرض ملوكٌ كبار ساقوا الأمم وحكموا العالم ، وكيف تجلى بالجمال فكان زهاد وعباد ، زهدوا في متاع الدنيا ورفقوا بخلق الله ويقول : « إن الحنين إليك هو حادي الروح ورائد القلب ، وهو الذي يضيفني على صلاتي ، وعبادتي حياةً روحانية ، فإذا تجردت صلاتي من هذا الحنين لم أر أنها تقربني إليك ، لقد وجد عندك العقل والعاطفة ما يعوزهما وما يحتاجان إليه ، فأصبح العقل - بعد توفيقك - يغيب أحياناً ، ويهيم في البحث بعد ما كان قد ركد ، واقتصر على الدراسة والتفكير ، ووثق بنفسه ، وعرفت العاطفة الحضور والاضطراب » ، ويناجي ربه ويقول : « إن الشمس لم تستطع أن تنير هذا العالم المظلم ، وقد آن أن تشرق الأرض بنور ربها ، ويعيش العالم من جديد » .

ويعترف أمام الله بأنه لم يكن سعيداً في دراساته العلمية الطويلة الواسعة ، وأنه قد اتضح له أخيراً أن المعلومات لا تعطي الثمرات ، وليس كلُّ من درس

علم النخيل تمتع بالرطب ، ويذكر الصراع بين العقل والعاطفة ، والمصلحة والإيمان ، ذلك الصراع الذي لم يزل ولا يزال قائماً حامياً ، ويذكر معركة قامت في فجر التاريخ الإسلامي بين المادة والإيمان ، حمل لواء المادة فيها أبو لهب وأضرابه ، ورفع راية الإيمان فيها محمد ﷺ وأصحابه ، ولكل حلفاء ، ولكل معسكر (١) .

فلينظر العالم العربي إلى أي معسكر ينضم ؟ إلى معسكر المادة والمعدة ، أم إلى معسكر الإيمان والإخلاص ، وإلى أي راية ينضوي ؟ إلى الراية الجاهلية التي قاتل تحتها أبو جهل وأبو لهب ، أم إلى الراية المحمّدية التي التفّ حولها أبو بكر وعمر (٢) .

## « فلسطين » في أرض

كُتبت أكثر هذه الأبيات في فلسطين حين زيارة إقبال لها عام ١٩٣١ للاشتراك في المؤتمر العالمي الإسلامي .

من الفقر أن تأتي وفاضك فارغ  
وقد طُفّت في تلك الرياض جميعها (٣)  
« سعدي »

نزلت بريّة الوادي بذي سلم  
والشّمس ترتعُ بين البّان والعلم

(١) من « بال جبريل » ( جناح جبريل ) قصيدة « ذوق وشوق » .

(٢) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي .

(٣) البيت في الأصل :

« ما أفقر من يطوف في كل هذه البساتين ذاهباً لزيارة الأصدقاء ويداه فارغتان » .

وقد ترجمه الفراتي :

واحسرتا قد عدت فارغ اليد  
من تحف الدنيا لهذه البلد

انظر البستان ( ١ : ١٦ ) .

يشفي العليل من الأوصابِ والسَّقَمِ  
تَقَعَمُ القلبُ منها ألفَ مُفْتَحِمِ  
حمراءُ زرقاءُ من وردٍ ومن عَنَمِ  
وأومضَ البرقُ في الظَّلْماءِ من إضْمِ  
مرفوعةُ الراي تحكي رفعةَ القِمَمِ  
يموجُ فيها بما في الخَزْ من عَمَمِ  
يدوي ، هنا بضعُ أشلاءِ من الخِيَمِ  
وعَضَّ من لَغَبِ نضوٍ على لُجَمِ  
فإن رضيتَ بسكرها هنا أقمِ  
سَلوَهُ ، ويهيج الوَجْدُ بالشَّبَمِ

وفاح رِيحُ صباحٍ من مواجدها  
بنظرةٍ لجمال الوادي واحدةٍ  
وللمساءِ سحابٌ من غلائلها  
أَلَقَتِ براقعَ مجلاها على إضْمِ  
نقيَّةُ الخدِّ سعفُ النخلِ مشرقةٌ  
والرَّمْلُ كالخزفي في أرجاءِ كاظمةٍ  
هنا بقيَّةُ أطلالٍ ، هنا لهبٌ  
كم خَلَفَ ليلي ركابٌ من هنا عبرتْ  
هُمُ أقاموا سكارى هاهنا زماناً  
يرى هنا من نأت عنه أحبُّهُ

( ٢ )

عندي ، ومن ذا الذي يُضغني إلى كلمي  
وزناً زماناً تعاطى سكرةَ القِدمِ  
بغزنويٍّ جديدٍ غير منهزمِ  
أمام ( سومنات ) مبعوثٌ من الحَرَمِ  
يُرَجِّجِي ، ولا في غِناءِ الفرسِ من نَعَمِ  
وهل هنالك محمودٌ من العَجَمِ  
قلبٌ ، ولم يلقه خالٍ ولم يهَمِ  
وحسنٌ دجلةٌ في محرابهم صنمي  
وهم سلالةُ أهلِ الحبِّ والتَّيَمِ  
بغيرِ حبٍّ وهل للشعبِ من قِيَمِ  
وابنُ الحسينِ على كفِّ الحسينِ رُمي  
كم ضَرَجَ الحبُّ فيهما من فؤادِ كمي

خمرُ الحياةِ كمِثْلُ السُّمِّ عاقبةٌ  
صياحُ وجهٍ جديدٌ لا يقيمُ له  
أما لمعتريك الأيَّامِ من طَمَعِ  
عباد ( سومنات ) تخشى أن يحزَمَها  
لا في لهيبِ تراثِ العُرْبِ من رَصَدِ  
هل في الحجازِ حسينٌ من بني مُضَرِ  
ألا يهيم على وجه الفُراتِ لهم  
أحسنُ دِجْلَةَ لم يفتنُ سرائرهم  
أما لهم من بقايا الحبِّ باقيةٌ  
أستغفرُ الله هل للدينِ من قِيَمِ  
بالحبِّ قدَّم إبراهيمَ واحده  
فسل حُنيناً وبدراً عن حروبهما

في آية<sup>(١)</sup> الخلق أنت السرُّ لا أحدٌ  
لأجل معنك ما تلقى وما لقيتْ  
ولو تجلّيت ما أبقيتْ من عِصَم  
قوافل القوم في الوديان والأكم

\*\*\*

رهباننا انقطعت عنّا بأديرة  
لا يرتضي القومُ عن حاناتهم بدلاً  
وكلُّ منقطع في الدَّير عنك عَمِي  
بالرُّغم من أن ساقِي الناشئين ظمي

\*\*\*

أنا - وفي غزلياتي التي اشتهرتْ  
حكايّتي البحث عن قوم هنا عُدِمَتْ  
بصيصُ نارٍ ذَكَتْ مِنْ صالِفِ القِدَمِ -  
أخبارُهم وهنا سادوا على الأمم

\*\*\*

لِلشَّوكِ كالوَرْدِ حَظٌّ مِنْ نِساءِكم  
أنا أعينُ على ورْدٍ بلا جَذلٍ  
ونسمةُ الصبحِ للرَّيحانِ والسَّلَمِ  
كما أعيبُ على شوْكٍ بلا ألمِ

\*\*\*

هذا الغناء الذي ماج الرجاء به  
كما تسيلُ دماءُ العازفين على  
تسيل أنفاسُه من مُهجتِي ودمي  
أوتارهم وتروى من أكفهم

\*\*\*

فلا تدع لهياج القلب فرصته  
أرجو جدائل هذا الشعر تنصفتني  
فإن ذلك يعني فرصة العدمِ  
بموجة من معاني هذه اللَمَمِ

( ٤ )

اللَّوحُ أنت وما في اللُّوحِ من قَدَرٍ  
وكلُّ ما فيه من سطرٍ ومن كَلِمِ

(١) يبدو أن إقبالاً في المقاطع الثلاثة اللاحقة يخاطب الله عزَّ وجلَّ ومع ذلك فإن هذا التأويل غير مؤكد .

ويرى تشيشتي أنَّ الحبيب هنا وفيما بعد هو النبي ﷺ .

لو تنطقُ القبّةُ الزرقاءُ ما كَذَبَتْ      بأنّها ذرّةٌ في بحركَ العَرِمِ

\*\*\*

لكَ الجلالُ الذي لم تبقَ روعتهُ      مِن ملكِ سِنجارٍ إلا عبرةُ النَّدَمِ  
لولا جمالُكَ ما ذاقَ الجُنَيْدُ نوَى      ولا أهيلَ على طيفورَ بالثُّهَمِ  
نذاكَ لا تَعْرِفُ الأنسابَ نَفْحَتُهُ      يا منَ عَمَزَتِ جميعَ النَّاسِ بالكَرَمِ  
إنْ لم تكن نُصَبَ عيني في الصَّلَاةِ فلا      قامتَ على الرُّورِ في محرابها قَدَمي

\*\*\*

مذاهبُ الفِكرِ من بحثِ الغيابِ وَهَتْ      ومشهدُ الحَبِّ من وَثبِ الحَضُورِ دَمي  
بالرُّغمِ من ثورَةِ للشَّمسِ ساطِعِهِ      ما زالتِ الأَرْضُ في بحرٍ من الظَّلَمِ

\*\*\*

( ٥ )

أنا - وتعرفُ أيامي التي سلفت      وما تحمَلْتُ من كَدِّي ومن سأمي -  
ما كنتُ أعرفُ أنَّ العلمَ مضيعةٌ      وأنَّه سببُ الأطماعِ والنَّهَمِ

\*\*\*

هزرتُ كلَّ نخيلِ الفِكرِ ما سَقَطَتْ      عليّ غيرُ عراجينِ من الهَرَمِ  
لقد تيقَّظَ وجداني الَّذي عَصَفَتْ      به مقالاتُ موتورٍ ومُنْتَقَمِ

\*\*\*

الفِكرُ من حيثَ تأتيه أبو لهبٍ      وكلُّه كلُّه مكرٌ مِن الأَمِّ  
والحَبُّ حيثَ يكونُ المصطفى يَدُهُ      وكلُّه كلُّه من مقلتيه نُمَي

\*\*\*

أخذتُ عنه فنونَ الحَبِّ فاغتنموا      مذاهبَ الحَبِّ في شعري وفي حِكَمي

نهاية الحب أحلى من بدايته      وربما صحّت الأجسام بالسقم

\*\*\*

وليس أغرب منه عند مُبتدأ      وليس أعجب منه عند مُختتم  
إذا رماك فما للقلب من حيل      وإن جرحت فجرح غير ملتئم

\*\*\*

يا سائلي عن فراقى بعد ليلتنا      وعن حظوظي من البلوى وعن قسَمي  
فراقه رغبة في القلب محرقة      وصرخة من صُراخ الفجر ملء فمي  
أهل الوصال لهم قلب بلا طلب      وأني معنى لقلب غير مضطرم  
وهل لقطرة ماء مجد تسمية      إلا إذا نُبذت من عجمة الدِّيم

\*\*\*

حاولتُ لما تجلّى أن أشاهده      وسوّلت لي نفسي هتكة الحُرَم  
بالرّغم من أن طرفي في الهوى وقح      أغضيتُ لما تجلّى خشية الدّهَم

\*\*\*

## الفراشة واليراعة

قال الفراشُ لنفسه لما رأى      رقص اليراع على المداد الأسود  
كم في حياتك من غبيّ أحمق      ما ذاقَ تصليّة بنارِ الموقد  
سمع اليراعُ كلامه فأجابَه      حاشا لأمثالي بمثلِكَ تقتدي  
حمداً لرَبّي ما خُلقتُ فراشةً      بجناحها وسمُ العبيد الرُّقد  
أنا لست أستجدي سواي تسوُّلاً      أنا في فؤادي جُذوتي وتوقُدي

\*\*\*



## وصية « إقبال » لولده « جاويد »

أبني ! لحنُ الذَّاتِ في أعماقنا  
 أبني ! ليلُ الشَّعبِ ليس يضيئُه  
 أبني ! قولك : كان آدمَ جدُّنا  
 فيه مِنَ الإيمانِ ألفُ حقيقةٍ  
 أبني ! لن يصلِ الغرابُ لعشِّنا  
 هذي الشَّواهِينُ التي يلهو بها  
 أبني ! صان الله وجهك عالياً  
 إِيَّاكَ أن يأتِي لقبري زائرُ  
 إقبالُ ما رضِيَ الترهُّبَ سيرةً  
 أبني ! ليس بُنيَّ إلا مَنْ روى

باقٍ يندلُّ على خلود حياتِه  
 إلا تصليُّه بشعلةِ ذاتِه  
 ملكاً لهذي الأرض قولُ نبيِه  
 ومِن التألُّقِ ألفُ نوعٍ فيه  
 مهما استطلت في السَّماءِ قواه  
 أبناءُ سيِّدهِ الذي ربَّاه  
 ما في زمانِكَ من يَصُونُ حياةَه  
 ويقولُ لي جاويدُ ييدلُّ ماءَه  
 لنقاءِ فكرتهِ وخِصْبِ فؤادِه  
 بوصيتي هذي جميعَ بلادِه

\*\*\*

## تسول

صاح في الحانة سَكِيرٌ ظريفُ  
 أيُّكُمْ يخرجُ عن برِّتِه  
 أيُّكُمْ يَضْبَحُ عُريانَ لِكَيِّ  
 كأسُه حمراءُ في لونِ الشَّقِيقِ  
 كلُّ ما في قَضْرِهِ جَمَعَهُ  
 ليس مَنْ يَسْرِقُ في جِنحِ الدُّجى  
 كمَ بذالكِ الحَقْلِ من فِلاحةٍ  
 بلَّغُوهم أنِّي قلتُ لكم

إنَّما السُّلطانُ شَحَّاذٌ جَلِيفُ  
 طمعاً في ذلك التَّاجِ الصَّلِيفُ  
 يرتدي في القَضْرِ ثوباً من ذَهَبِ  
 وعليها من دَمِ النَّاسِ حَبَبُ  
 بقرارٍ مُجْحَفِ إثْرَ قَرارِ  
 مثلَ مَنْ يَسْرِقُ في وَضْحِ النَّهْازِ  
 شَحَذُوا منها طعاماً للدَّجَّاجِ  
 إنَّما الشَّحَّاذُ من سَنِّ الخِراجِ

\*\*\*

## المُلاّ والفردوس

أنا أيضاً كنتُ لكن ما تحمّلتُ الشكوت  
كنتُ مِنْ شِدَّةِ غيظي أتمنّى أن أموت  
كنتُ إذْ بَشَّرتِ الحَجَّابُ بالفردوسِ (مُلاّ)  
فتقدّمتُ أنادي : عفوك اللهمّ كلاً  
ليس للمُلاّ اهتمامٌ بمغانيك وحمورك  
هو سكرانٌ ، نعم سكران ، من غير خمورك  
ما درى من لُجَّةِ الذُّوقِ سوى قيلَ وقال  
يَحْسَبُ الدِّينَ الذي أنزلتَ تاريخَ جدال  
أنا لا أرضى لنفسي أن أرى عبيدي جباناً  
كيف ترضاهُ زعيماً وهو لا يُخسِنُ شأننا  
لم يُعْذِ يابَهُ إنسانٌ بملاك المنفّر  
فإذا ما جاء يوماً قيل قد جاء المكفّر  
لا يرى في خَلْقِكَ المسكينَ إلهةً مُطيعاً  
كيف ترضى عن غبيّ كفّر الناسَ جميعاً  
ليس في الفردوس ذكرٌ لكهوفٍ وصوامع  
إنما الفردوسُ فيضُ الحبِّ من صَدْرِ الجوامع

\*\*\*

## الدِّينُ والسِّياسة

عندي لرهبة الكنائسِ طُرْفَةٌ      فهلمّ نضحك للحياة قليلاً  
بُيئت لأعداء الملوكِ وأصبحت      للطامعين من الملوكِ سيلاً

والقَصْرُ فوقَ النَّاسِ يرفعُ أنفَه  
وتريدُ تلعنه فتمشي خلفه  
سبحانَكَ اللهمَّ ربَّ النَّارِ  
في النَّاسِ غيرَ تبادلِ الأدوارِ  
وصلوا بفتنتهم إلى التَّيجانِ  
أصبحتَ سلطاناً بلا سُلطانِ  
حظاً له من ذلك التغييرِ  
صارتُ مصالِحَ حاكمٍ ووزيرِ  
سقتِ الدَّيَانَةُ كأسها والدَّارِ  
تُزجِي التناقضَ يمنةً ويساراً  
بالسرِّ هذا سيِّدُ الصَّخْرَاءِ  
إنَّ لم تُقْمِ من حُمقِ هذا الدَّاءِ  
لن تستطيعَ لأمرنا ترقيعاً  
خَرَقَ الطرائقَ أردشيرُ جميعاً

رأسُ الكنيسةِ في الوَدَاعَةِ غارقُ  
تنوي المضيِّ فيستبدُّ أمامها  
هذا التناقضُ كيفَ أمكنَ دمجُهُ  
ما لِلْقُصُورِ وللكنائسِ حيلةُ  
فصلوا عن الدِّينِ السياسةَ بعدما  
وتطاولَ البابا فليل له : استرخِ  
وتلقَّتِ الشَّعبُ الجريحُ فلم يجدُ  
كانتُ مصالِحَ راهبٍ ومتوَجِّحِ  
ثويةً لم تُبقِ درباً صاحباً  
هي في اليسارِ وفي اليمينِ مقيمةُ  
هي لعنةُ الدُّنيا كما أفضى لنا  
لن تعرفَ النَّاسُ السَّلَامَةَ ساعةً  
أبدأ مرقعةً الجُنَيْدِ لُوخِدها  
إنَّ لم يكنِ هو أردشيرُ صراحةً

\*\*\*

### الأرض لله (١)

من ظلمةِ الطَّينِ ربُّ الحبِّ والطَّينِ  
إلى السَّمواتِ سلطانُ السُّلطينِ  
فيطلقُ الزَّهْرُ أنعامَ البساتينِ  
وللنَّدى نسبٌ من حوره العيني

الْحَبُّ ذو العَصْفِ والرَّيحانِ يُنبِئُهُ  
والغَيْمُ من لُجَجِ الأمواجِ يَرْفَعُهُ  
يسوقُ للزَّهْرِ أنساماً تهيجُها  
للشَّمسِ من نوره طوقٌ يزيئُها

(١) العنوان مقتبس من قوله تعالى : ﴿ ... إِنَّكَ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ  
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] .

فقل لصاحبِ تاجِ يدَّعيه له      أفقُ فإنَّك مسكينُ المساكينِ  
مالي ومالكُ من هذا التُّرابِ سوى      ضجيجِ حينِ نُؤلِّي عنه في حينِ  
الأرضُ لله يعطيها أحبَّته      والحُبُّ عاقِبَةُ الغرِّ الميامينِ

\*\*\*

## رسالة إلى شاب

سَجَّادُكَ العَجَمِيُّ هَذَا والأثباتُ الإنكليزي  
ماذا يفيدك يا عزيزي !  
ماذا تفيدك ثروةٌ حصَّلتها      في مثل أبهة الملوك بذلتها  
أبكي لأجلك يا عزيزي !  
هل ذُقتَ يوماً غِبْطَةَ الإيمانِ      أو بأس حيدرَ أو رضا سلمانِ  
ارحم شبابك يا عزيزي !  
سلعُ الحضارة لا تقاسُ بذاتكَا      أتظنُّها ثمناً لكلِّ حياتكَا  
أخطأتُ جدًّا يا عزيزي !  
المؤمنُ الصديقُ سيِّدُ ساعته      ورقِيُّ عالمه رقيُّ قناعته  
فاعرِفْ مكانك يا عزيزي !  
لو دبَّ روح النُّسر في قلب الشَّبابِ      لم يبحثوا عن سرِّهم بين التُّرابِ  
إياك تياسُ يا عزيزي !  
باليأسِ معرفةُ الفتى تغتاله وبصيرته      والمؤمنُ الصديقُ برهانُ الإله سريرته  
فاربأ بنفسك يا عزيزي !  
يا أيُّها الشَّاهين عُنْكَ ليس في قصر الملوك لو كنت شاهين الجبال حقيقةً ما أمسكوك  
فازجع لعُنْكَ يا عزيزي !

\*\*\*

## نصيحة

قال للبازِ الفتى نَسْرٌ عَجُوزٌ  
لي رموزٌ كنتُ قد حَصَلْتُهَا  
لا تقلْ أصلي وفصلي أبداً  
إنَّما الشَّاهين من يَخْرُقُه  
قسوةُ التَّدریبِ رُوحُ السُّودِ  
سترى قيمته يا ولدي !  
ما أرينا فرحةً أمتعُ من  
فرحِ والله لا يعدله

أنت في الجوّ كما سُتت تجوزُ  
من شبابي فاغتنم هذي الرُّموز  
قيمةُ الشَّاهين في أخلاقه  
دمهُ الشَّخصيُّ في أعماقه  
لا تضيِّغه سدى هذا الكلام  
حين تنقضُّ على فرخ الحمام  
فرحة المنقضُّ من أفق السَّماء  
فرحٌ ، حتى ولا سفك الدِّماء !

\*\*\*

## شقائق النعمان في الغاب (١)

لَمَنِ السَّماءُ تَزَيَّنَتْ بِلآلي  
والدَّيْرُ من أهلِ الصَّبابةِ خالٍ  
أشقيقةُ النُّعمان هل تجدين في  
تلك البراري من يرُقُّ لحالي

(١) شقائق النعمان رمز العلمانية والمادية والعقلانية التي تنكر ما يقابلها كما يرى إقبال . وعلى العموم هي رمزٌ لكل ما ليس لظاهره معنىً يجانسه ، فشقائق النعمان حمراء كالنار ، إلا أنها لا تحرق هي كالدَّم إلا أنها تفتقر لحيويته فلذلك ينبذها البستان على ضفافه .

قال إقبال في ديوان الأسرار والرموز ( ٦٩ ) في حديثه عن نار الشقائق : إنَّ هذه النار الباردة تمحوها نار دموعي إلا أن إقبالاً يعود فيقول : إن هذه الشقائق تحترق لأنها ضيعت معناها .

ولهيب دائم دين الشقيق دمه من ذاك يسري في العروق إلا أنه ليس من السهل السيطرة على رموز إقبال التي تظهر أحياناً وكأنها زئبق لمعانيه ، وهي تتبادل الأدوار من أجل تحقيق هدفٍ واحد .

قفصٌ يضيق بمثله أمثالي  
فتعالي تفتسم الهموم تعالي  
والإم هذا الكد في الترحال  
وشتات بالك في الجبال وبالي  
وأنا تجليها وأنت جبال  
من بين أوصالٍ ومن أحوالٍ!  
أم فرحة بتفوقٍ وتعالي!  
منه وتفضح سره في الحال!  
فسألتها فاستغربت لسؤالي  
لم تلطم الشط الغبي السالي  
وأنا أجر إلى السماء رمالي

هي رُغم ما تبدي رحابة صدرها  
سافرت تائهة وتهت مسافراً  
وعلام أيتها الشقيقة سيرنا  
موسى غريبٌ عن نوى وديانيا  
سيناء أنتِ ونار واديها أنا  
من ذلك الغواصُ أخرج دُرنا  
هل كان مخفياً فرام ظهوره  
البحرُ تكشف ما يكابدُ قطرةً  
شاهدتُ زوبعةً تئنُّ لموجةٍ  
قالتُ : ألا تبكي لثورة موجةٍ  
أتعيقها تلك الرّمالُ أمامها

\*\*\*

والشمسُ تشهدُ لي بصدقِ مقالي  
لك يا بن آدم يا كبير الآل

آلام آدم شمسُ كلِّ حقيقةٍ  
هذا الوجودُ بصمته وحماسه

\*\*\*

### قطعة

رشيقة هيّجت في الرّوض شكواه  
إن شاء مرّقه أو شاء أبقاه  
ولا يمزق ثوبي غير حُمّاه

إقبال غنى أمّ الرّوض أغنية  
ما كنتُ كالزّهر رهنُ الرّيح عالمه  
أمشي ويمشي جنوني في الطّريق معي

\*\*\*

## كتاب السّاقِي

( ١ )

نَثَرَ الرَّبِيعَ عَلَى الْفِلا      يَدَهُ وَأَطْلَقَ عَسْكَرَهُ  
وَتَحَوَّلَ الْوَادِي إِلَى      حَانَ فَقَامَ وَأَسْكَرَهُ  
الْوَرْدُ وَالنُّسْرِيْنَ يُمَسِّكُ بِالْأَكْفِ وَالْقَدُودُ  
فِي صَبْغَةِ الْوَانِهَا مِنْ كُلِّ مَا خَلَعَ الْوَجُودُ  
وَشَقَائِقُ النُّعْمَانِ تَرْقُصُ فِي الْوِشَاحِ الْأَحْمَرِ  
مَا بَيْنَ بَسْمَةِ أَيْضٍ      يَرْنُو وَغَمَزَةَ أَسْمَرِ  
وَتَرَى السَّمَاءَ مِنَ الشُّرُورِ تَكَادُ تَسْقُطُ فِي الْفِجَاجِ  
وَنَدَى النِّسِيمِ خِلَالَ زُرْقَتِهَا تَكْسَّرُ كَالرُّجَاجِ  
وَتُدْفَقُ الدَّمُّ فِي الْحِجْرِ      وَمَضَى يَكَابِدُ مَا هَجَرَ  
وَالقُبْرَاتُ تَرْكُنُ فِي الْأَعْشَاشِ أَغْلَالَ الشَّجَرِ

\*\*\*

أِهْ لَهَذَا الْجَدُولِ الْمُحْزُونِ يَقْفِزُ فِي الْوِهَادِ  
لَا يَشْتَكِي ضَيْقَ الْحَيَاةِ وَلَا يَمَلُّ مِنَ الْجَهَادِ  
يَنْسَابُ ، يَرْقُدُ ، يَسْتَقِرُّ ، يَهِيْجُ ، يَضْحَكُ ، يَلْتَوِي  
يُرْوِي الْجُلُوسَ عَلَى الضَّفَافِ وَبِالْتَمَرُوقِ يَرْتَوِي  
وَإِذَا تَجَمَّعَتِ الصُّخُورُ عَلَيْهِ شَتَّتْ حَزْبَهَا  
وَإِذَا تَخَارَ مِنْ ثَغَرَاتِهَا دَرِيَاءً وَمَرَّقَ قَلْبَهَا  
يَا أَيُّهَا السَّاقِي فَهَاتِ مِنَ الْكُؤُوسِ مِنَ الدَّنَانِ  
لَا تُنْخَنِ الْقَلْبَ الْجَرِيحَ وَأَنْتَ أَجْدَرُ بِالْحَنَانِ

هذي الشَّقَائِقُ جَوْقَةٌ      بالسَّرِّ تَرْقُصُ فِي الطَّرِيقِ  
دَعْنِي أَبَدُّ خَمْرَتِي      أَسْفَأَ عَلَى الكَاسِ العَتِيقِ  
مَا كَلُّ مَا دَارَ الشَّقْبَاءُ      بِهِ تَدُورُ بِهِ القَلُوبِ  
أَنَا أَطْلُبُ الخَمْرَ التِي      كَانَتْ تُشَقُّ لَهَا الجُيُوبِ  
كَانَتْ تَفِيضُ كَأَبَّةٍ      كَالوَزْدِ يَذْبُلُ فِي الخُدُودِ  
فَتَسْرُ إِشْكَالَاتِنَا      وَتَذِيغُ أَسْرَارِ الخُلُودِ  
أَيْهَا السَّاقِي      هَتَّكَ الأَسْتَارِ  
عُمْرُنَا البَاقِي      جَلَّوهُ الأَسْرَارِ  
لِلذَّةِ التَّلْحِيحِ      لَيْسَ فِي الأَوْتَارِ  
يَضْرَعُ الشَّاهِيحُ      أَصْفَرَ الأَطْيَارِ

\*\*\*

( ٢ )

بَدَّلْتَ أَنْعَامَ الزَّمَانِ وَنَوطَةَ العَزْفِ البَلِيدِ  
وَتَدَاخَلْتَ آثَمَهُ      وَتَمَرَّدَ النَّعْمُ الجَدِيدِ  
فَرِحَ لِلْفُزِ الإنْكَلِيزِ      وَلِلذِي عَرَى غُرُورَهُ  
وَلأن ذَاتَ السَّرِّ يَغْكَسُ      مِنْ زُجَاجِ الصَّيْنِ نَوْرَهُ  
هُوَ ذَا عَلَى مَرَأَى وَسَمْعِ الكَوْنِ يَرْقُصُ فِي المَرَايَا  
وَيَجِيشُ فِي ( أَلْبُونِد )      يَلْمَعُ فِي رُؤُوسِ الهَيْمَلَايَا  
فَرِحَ لِأنَّ الأَرْضَ تَلْفِظُ      كَلَّ سُلْطَانِ مَهْيَمِنِ  
وَتُعَلِّمُ الشَّعْبَ المَكْبَلِ      كَيْفَ يَأْخُذُ بِالْيَمِينِ  
فَرِحَ لِأنَّ الرُّأْسِمَالَ      يَنَالُ مِنْهُ جَنُودُ طُورِهِ  
وَلأنَّهُ كَالسَّاحِرِ المَفْضُوحِ      بَعْدَ أَدَاءِ دُورِهِ

\*\*\*



لم يبق إلا الرُّوحُ تلكَ وذلكَ الشَّعبُ العِراءُ  
 نزلت على سِنَاءِ صَعْقَتِهَا فَلَمَلَمَهَا جِراءُ  
 ما مسلماً مَنْ يَسْأَلُ التَّوْحِيدَ يَضُقُّ لِنَاسِهِ  
 لِيَحِطَّ بِالأَصْنَامِ أَجْمَعِهَا وَيَتْرَكَ نَفْسَهُ  
 نَفْسٌ أَقَامَ لِأَجْلِهَا مَا شَاءَ مِنْ أَصْنَامِهِ  
 وَيُرِيدُهَا صِنماً يَرافِقُهُ إِلَى إِسْلامِهِ  
 هَذَا هُوَ الصَّنَمُ الَّذِي شَيْطَانُهُ عَقْلُ العَلِيمِ  
 خُذَائِمُهُ أَهْلُ الطَّرِيقِ كِتَابُهُ العِلْمُ الأَلِيمُ  
 أَسْفَافاً لِحَقِّ يَتْرَكَ الطَّاغُوتَ يودِعُهُ صَروحه  
 وَيَرى الفَقِيرَ يَكادُ يَلْفِظُ فِي خِصَمِّ الجَهْلِ رُوحَهُ  
 كَلِمَاتُهُ هَذَا المَبْشُورُ تَجْذِبُ القُلُوبَ الغَرِيرَ  
 لِكِنَّ ذُوقِ الحَبِّ يَنْقُضُهَا وَيَنْقُضُ الكَثِيرُ  
 وَلَهُ مَواعِظُ يُنظِمُهَا بِدَقَّةِ مَنطِقِهِ  
 لِكِنَّهَا سَريعانِ ما تَخْفَى بِعُقْدَةِ رَونقِهِ  
 حَتى المَرِيدُ فَوادِهِ بِقِيودِ سُبْحَتِهِ أُسِيرَ  
 حَبَّاتُ فَحْجٍ أَوْقَعَتُهُ وَكِوانِ شَاهِنياً يَطِيرُ  
 هَذَا المَسْأَفُ كَيْفَ يَرجِعُ مِنْ ظُنُونِ الأَرْتِقاءِ  
 هُوَ نَفْسُهُ ما عَادَ يَعرِفُ ما الفَناءُ وما البَقاءُ  
 خَمَدَتْ حَقِيقَتُهُ وَنارُ الحَبِّ تَهاهَتْ فِي فَوادِهِ  
 فَإِذا هُوَ المَتَحَرِّقُ المَجْزُونُ يُشْحَطُ فِي رَمادِهِ

( ٣ )

قلوبُ القَوْمِ ما عَرَفَتْ      كَلِذَّةَ خَمْرِكَ الباقِي

( أذ كَأْساً وَنَاولِها  
رمادِيّ ذُرٌّ أَجْنَحَةٌ  
وَمَما مِن ذَرَّةٍ إِلاَّ  
بِوَدِّي أَن أرى شِخْراً  
يَقوومُ وَيَجْعَلُ التَّلْمِيذَ  
لِأَسْتِئَاذِ أَسْتِئَاذا  
يَخافُ البَازُ عَصْفوراً  
فَأَتِ شِبابِنا نوراً  
وخلَّصَهُم بِما تَخْتارُ  
مِن قِيادِ العَبودِيَّةِ  
وَلِوِ أَلْقِيَتَهُم حَطْباً  
بِنيِرانِ الوِجودِيَّةِ  
تَصَرَّفَ بِالجَنونِ لَهُم  
وَفَجَّرَهُ بِهَمِّ شُعْبَا  
فَلِيسُوا شِعبَةً مِنْهُ  
إِذا لَكم يَسْقُطُوا تَعْبَا  
شِبابٌ لا يَلِيقُ بِهِم  
مِثالُ الجَمْرِ في ضَرَمِهِ  
كَقَلبِ المَرْتَضَى بِأَساً  
وَكِالصُّدِيِّ في كَرَمِهِ  
بِظَلِّ جِمالِكَ الرِّيانِ أورِقَ شِغْبِنا اليَبَسِ  
وَلَمَّا أَن بِخَلَّتْ بِهِ  
تَوَقَّفَ ذلِكَ التَّنَفُّسِ  
أَسْهُمَكَ لِم يَعدِ يَقوى  
عَلَى تَجْرِيحِ أمْثالي  
أَم الرِّكْبُ الَّذي تَرمِيهِ أَصْبَحَ فَارِغَ البِالِ  
سَأَلْتُكَ هِذِهِ الحِسانِ تُطَلِّقُها مِنَ الخِذْرِ  
لِيعْرِفَ عُدْلي مَعنى  
لِهِيبِ العِشْقِ في صَدْرِي  
بِشِعْرِي ضَغَّ لَهُم شَرَكَأ  
وَهاتِ الحَبَّ مِنَ سَلْبِي

(١) ذكر العلامة السوداني في شرحه التركي على ديوان حافظ أن هذا البيت الذي افتتح به حافظ ديوانه هو من قصيدة ليزيد بن معاوية وقد عاب بعض الشعراء على حافظ الشيرازي فعلته هذه .

انظر العقد الجوهري شرح ديوان الجزري ، ص ٣ .

وخلَّ حُسامَكَ الهنديَّ يجرُّحُ كلَّ ذي قلبٍ  
مرادي رشفُ أسرارٍ      وإلا قلبتُ للطَّلابِ  
تؤوِّل راحة اليأسِ      ما أخفيه في نفسي  
بأعينه صنعناه      وعكسَ الرِّيحِ أجراهُ  
على قلقي طوى جنبي      طلُّ من ندى قلبي  
وهذا الدَّمعُ في عينيَّ

\*\*\*

خُشوعي في عذاباتي      ونوعُ طرقتي هذي  
وفكري وهو بُستانُ      وحضنُ يقينها المُضني  
وقلبي وهو ميدانُ      ودروشتي التي تبدو  
سألتُك أن تعتقها      وتسقيها لقافلتني  
ووثبي في طموحاتي      التي أمحو بها ذاتي  
ونفسي وهي مرآتي      وجيشُ ظنونها العاتي  
تضجُّ به عراكاتي      نصيبي من مُعاناتي  
وتمزجها بأهاتي      بموكبِ جيلنا الآتي

( ٤ )

إنَّه البحرُ دائمُ الحركاتِ      ذلك بحرٌ من الحياة تجلَّى  
والذي يحتوي جنونَ الدُّخانِ      وهو راضٍ عن كلِّ ما يصنعانِ  
إنَّه قاطنٌ وسارٍ بآنٍ      حذِرَ الموتِ في شبَّاك المعاني  
يرفضُ المُكثَ بين ماءٍ وطينٍ      ما الذي يطلبُ اللهبُ بهذا  
في فرارٍ إلى السَّماءِ تراهُ

حَلَقَاتُ التَّعَدُّدِيَّةِ هَذِي  
وَحَدَّةٌ مَا لَهَا نَظِيرٌ مَحَاذِي  
ذَاتُ أَعْبَادِهِ الْقَدِيمَةِ سِنَّةٌ<sup>(١)</sup>  
إِنَّ سَوْمَنَاتَ لَا يُكَرَّرُ نَحْتَهُ  
عَنكَ يَا أَنْتِ كَاخْتِلَافِكَ عَنِّي  
خَلَقَ الْحَادِثَاتِ مِنْكَ وَمَنِّي  
هُوَ فِي قَلْبِهَا يَظَلُّ وَحِيدَا  
تَسْبُكُ النَّبْرَ نَارُهُ وَالْحَدِيدَا  
كُلُّ مَا فَاضَ فِيهِمَا فَاضَ عَنْهُ  
كُلُّ شَوْكِي وَكُلُّ زَهْرِكَ مِنْهُ  
لَيْتَ شِعْرِي عَرَفْتُ مَا هُوَ كَيْدُهُ  
هُوَذَا الْحُورُ وَالْمَلَائِكُ صَيْدُهُ  
حَجَلًا فِي دِمَائِهِ يَتَشَخَّطُ  
فِي شِبَاكِ حِيَالِهِ تَتَخَبَّطُ

إِنَّهَا الْوَحْدَةُ الَّتِي كَبَلَتْهَا  
رُغْمَ كُلِّ التَّعَدُّدِيَّةِ تَبْقَى  
إِنَّ أَعْبَادَ مَعْبَدِ الْعَصْرِ هَذَا  
وَلِسَوْمَنَاتِ كُلِّ عَصْرِ وَجُودُ  
نَحْنُ فِي ظِلِّهِ مَعًا وَاخْتِلَافِي  
وَاللَّهِيبُ الَّذِي تَأَجَّجَ فِينَا  
حَلَقَاتُ اللَّهَيْبِ نَحْنُ وَلَكِنْ  
فِي بَرُوقِ وَفِي نَجُومِ مُشَعِّ  
فِي غِيَاضِ وَفِي رِيَاضِ مَقِيمٌ  
لَا يَعْجَبُ زَهْرِكَ الْمُفْتَحِ شَوْكِي  
لَيْتَ شِعْرِي يَفِيدُ كَيْدَكَ هَذَا؟  
هُوَذَا يَنْسِفُ الْجِبَالَ بِحَزْمِ  
هُوَ حِينًا تَرَاهُ بَازَاً وَحِينًا  
وَهُوَ حِينًا حَمَامَةٌ دُونَ عَشْرٍ

( ٥ )

الرَّاحَةُ الْكُبْرَى بِقَلْبِكَ وَالسَّكِينَةُ خُذَعَتَانُ  
فَالْكَوْنُ ذَرَاتٌ يَهِيْجُهَا بِرَقِصَتِهِ الرَّزْمَانُ  
وَقَوَافِلُ الْأَشْيَاءِ فِي الْأَفَاقِ تَضْرِبُ بِالرِّدْفِ  
وَتُرُوحُ تُنْمَعُنُ فِي التَّجَدُّدِ لَا تَفْكَرُ بِالرُّوْقِ  
السَّيْرُ مَعْنَاهَا الْعَمِيْقُ بِهِ تَجُولُ بِهِ تَصُولُ  
فَدَعِ الرُّوْقَ لِمَنْ يَرِيدُ فَلَيْسَ مَطْلَبُنَا الرُّوْقُ

(١) اهتم إقبال بنظريات « أنيشتين » التي وضعت حداً للهندسة التقليدية ( الأستاذ الملوحي  
في ترجمته النثرية ) .

تَوَاقُ إِلَى الطَّيْرَانِ يَتْرُكُ سَرَّهَا يَنْفَطَّرُ  
وَتَحْسُ رَاحَةَ صَدْرِهَا فِي وَثْبَةٍ لَا تَفْتَرُ  
وَتَجِلُّ ، تَغْقِدُ مَا تَجِلُّ ، تُفَيِّمُ تَهْدِيمُ مَا تُفَيِّمُ  
فِرْدَوْسُهَا أَنْ تَسْتَمِرَّ وَرَوْحُهَا السَّيْرُ الْمُقِيمُ  
وَإِذَا ابْتَدَاهَا الْمَوْتُ وَهُوَ النَّدْفُ فِي وَجْهِ الْحَيَاةِ  
وَمِنَ الْعَسِيرِ كَفَاحِهِ تَمْضِي إِلَيْهِ فِي ثَبَاتِ  
وَيَذُوقُهَا الثَّنَوِيَّ تَنْقَسِمُ اثْنَتَيْنِ إِلَى النَّزَالِ  
وَتَرُوحُ تُخَشِدُ فِي الشُّهُولِ تَعُودُ تُخَشِدُ فِي الْجِبَالِ  
كَالْغُصْنِ إِنْ جَرَّدَتْهُ مِنْ سَكْرَةِ الدُّنْيَا صَحَا  
وَازْدَادَ فِي وَقْتِ الرَّيِّعِ تَنْوُرًا وَتَفْتَحَا  
لَا شَيْءَ أَسْرَعُ مِنْ تَدَاوُجِهَا لَمَّا أَفْسَدَتْ مِنْهَا  
الْوَقْتُ سَلْسَلَةٌ وَكُلُّ جِهَاتِهِ يَضْدُونُ عَنْهَا  
شَفْتَانِ فِي فَمِهَا أَزَلُّ إِلَى أَبَدِ  
الْوَقْتُ بَيْنَهُمَا كَالنَّفْسِ فِي الْجَسَدِ !

( ٦ )

مَوْجَةُ الْأَنْفَاسِ سَيْفٌ جَعَلَتْهُ الذَّاتُ حِدًّا  
طَلَبَتْ ذَاتُكَ شَيْئًا نَيْلُهُ يَضْعُوبٌ جِدًّا  
هَذِهِ ذَاتُ شَرِيحٍ هَذِهِ ذَاتُ مُقِيمِ  
إِنَّهَا الْيَقْظَةُ وَالْعَزْلَةُ وَالسَّرُّ الْحَمِيمِ  
إِنَّهَا الذَّاتُ سَوَالٌ فِي طَرِيقِ الْمَسْتَدَلِّ  
مِثْلَمَا الشُّوقُ إِلَى الْعَزْلَةِ فِي وَقْتِ التَّجَلِّيِ  
إِنَّهُ الْبَحْرُ الَّذِي تَحْمُلُهُ قَطْرَةٌ مَاءٍ  
وَهِيَ فِي الظُّلْمَةِ وَالنُّورِ عَلَى حِدِّ سَوَاءٍ  
وُلِدَتْ مِنْكَ وَمَنْبِي فَأَضَعْنَاهَا كِلَانَا

وأنا أزهقُ ظنِّي هو من أين اجتلانا  
 أزلِّيَّاتي ورأيتي أبدئيَّاتي أمام  
 وأنا رُغمَ غبائي طامحٌ نحو التمام  
 إنها الذَّاتُ التي تمخر في بحر الحياة  
 فتُناغي لطماتٍ وتُقاسي لطماتٍ  
 عندما تَطْمَئِنُّ أن تفلحَ أمالَ الشَّبَابِ  
 تتخفَّى وتديرُ اللَّحْظَ من تحت النَّقَابِ  
 فتري الصَّخْرَ تراباً صَعِقاً ممَّا تُدير  
 وتري العالمَ وَجْداً يتمنَّى لو يَطِير  
 إنها البَدْءُ جميعاً إنها ذاك الغُبار  
 إنها في البَدْرِ أضواءٌ وفي الصَّخْرِ شرار  
 إنها في ظُلْمَةِ النُّورِ إذا شِعَّ النَّهْازُ  
 مالها أعلى وأدنى مالها جازٌ ودار  
 من قليلٍ وكثيرٍ ويمينٍ ويسار  
 لم تزلْ حِلْفَ كِفاحٍ وانقلابٍ وانتصار  
 أحرقَتْ آدمَ لَمَّا جَسَّدَتْهُ لِلْقَضَاءِ  
 فإذا آدمٌ لحنُّ وإذا الذَّاتُ جِذَاءُ  
 وإذا في بؤبؤ العَيْنِ انطباعاتُ السَّمَاءِ  
 قبْحُ السَّلَامَةِ أَنَّهَا في عين صاحبها قذى  
 والعُمْرُ حَرْبُ الذَّاتِ فالشَّرْفُ الرَّفِيعُ أو الأذى  
 الذَّاتُ عند تجاهل الأهل الأهل مرهمها الأكيـد  
 وتجاهلُ الأهلِ دربُ الذَّاتِ والخبْزُ السَّوْحِيـدُ  
 (محمود) ترفع رأسه ذاتٌ تؤلِّفُ جنده  
 و (إيـاز) عند الناس ملءُ الأرض ممَّا عنده

لما أراد الغَزَنِيُّ يحطِّم الصنم الكبير<sup>(١)</sup>  
جاؤوا إليه بكلِّ أصناف الجواهر والحريز  
فرمى بما جمعوه في بحرٍ وبدَّدهُ جميعاً  
وأجابَ جئتُ لِكَيْ أَحطِّمه وَلَيْسَ لِكَيْ أُبيعهُ  
فَلأنَّ أسْمَى هادمِ الأصنام خيرٌ في السُّلوكِ  
من أن أسْمَى بِأَنْعِ الأصنام من بين الملوك  
ليسَ الشُّجود تهْدُلُ الكتفين من فَزطِ القُعود  
ما كان يغني عن سجودٍ آخرٍ فهو الشُّجود  
مِن هذه الأصواتِ والألوانِ عالِماً خليط  
وجَلُّ يطاردُه الفناء من المُحيطِ إلى المُحيطِ  
أصنامُ ألوانٍ وأصواتٍ تلمُّ الكونَ لَمَّا  
أسفأ على سَمعٍ وعينٍ ألقا عُنياً وضمَّما  
الأمْرُ مرحلةٌ ودربُ الذاتِ تَذخِرُ بالمراحل  
ما أبعدَ الجُزُرِ التي تغريك عن تلك السَّواحل  
يا أنتَ نازِكٌ لم تكنِ مِن موقِدِ هذا لهيبه  
ضاعتُ شرارتُكَ التي كانتَ بنظرِها تهيئه

\*\*\*

عبدك العالمُ فاؤمر	فهو لا يهْرُبُ مِنكَ
غَيْرِ الموقوفِ وانظر	إنَّه يَضِدُّ عَنكَ
امضِ لا تركزن لشيء	وانضُ عن كونِكَ هَوْلَهُ
لهثة الرَّاكنِ مِن	سُرعة ما يبصرُ حَوْلَهُ
ظاهرُ العالمِ سحرٌ	وعصا موسى ثباتُكَ

(١) الأبيات ليست في الأصل وإنما هي توضيح لمراد إقبال بقوله : همّة محمود .

أَسَدُ اللَّهِ الَّذِي يَقْتَنِصُ الْعَالَمَ ذَاتَكَ  
جَوْهَرُ الْكَوْنِ قَدِيمٌ فَكُرِّكِ الْكَشْفُ الْجَدِيدُ  
أَيْنَ كَفْتُ تَنْظِمُ الْجَوْهَرَ فِي سِلْكِ فَرِيدِ  
أَيْهَا الْمَسْلَمُ فَارْقُبْ نَظْرَةَ الدُّنْيَا إِلَيْكَ  
فِي مَلَاءٍ مِنْ رَجَاءٍ يُعَقِّدُ الْعَزْمَ عَلَيْكَ  
إِنَّ لَلْأَمَادِ شَغْلًا حَوْلَ أَقْطَارِ الْوُجُودِ  
عِنْدَمَا تَكْشِفُ عَنِ ذَاتِكَ تُدْعَى لِلشُّجُودِ  
لَسْتُ فِيمَا قَلْتُهُ أَشْرَحُ لِلْعَالَمِ قَدْرَكَ  
فَأَنَا حَاوِلْتُ حَتَّى الْآنَ أَنْ تَفْتَحَ صَدْرَكَ  
مَزَّقَ الْكَلِمَةَ ضَيْقٌ عَنِ مَعَانِ نَفْتِهَا  
نَحْنُ مَرَاةٌ مَعَانِ كَدَرُ الْكَلِمَةِ فِيهَا  
زَفَرْتِي تُضْرِمُ صَدْرِي وَأَنَا بَيْنَ الشُّيُوفِ  
غَيْرَ أَنَّ الْقَوْلَ مِنْ خَشِيئَتِهِ يَرْجُو الْوُقُوفِ  
أَنَا مِنْ كَثْرَةِ مَا حَلَّقْتُ الْهَيْبَتُ النَّوَاحِي  
فَلَوْ اجْتَنَزَتْ قَلِيلًا أَحْرَقَ النَّوْرُ جَنَاحِي

\*\*\*

## الزَّمن

شُغِلْتُ الْعُمُرِ مِنْ لَهَيْبِ الثَّوَانِي  
عَدَدُ الطَّعْمِ فِي جِبَالِ أَمْسٍ  
يَزُقُّ النَّاسُ طَالِعًا ذَا خِيَالٍ  
وَأَنَا ذَلِكَ الْخِيَالُ وَلَكِنْ  
يَسْقُطُ الْعَالَمُ الْجَدِيدُ بِكَأْسِي  
سُبْحُ الْقَوْمِ لَعَبَةٌ فِي يَدِيهِمْ  
أَشْعَلَتْهَا تَغْيِيرَاتُ الزَّمَانِ  
فَتَرَفَّقْ بِيَوْمِكَ الْمُتَّفَانِي  
وَيَخُوضُونَ فِي جَمِيعِ الْأَمَانِي  
يَضَعُبُ الْيَوْمَ شَرْحُ تِلْكَ الْمَعَانِي  
قَطْرَةٌ قَطْرَةٌ كَرَشِحِ الدَّنَانِ  
أَنَا سُبْحَتِي لِيَالِي زَمَانِي



لا أسوي بين الجميع بشاني  
 بعضها فارسي وأخرى حصاني  
 مرة أجعلُ السَّياطِ عَناني  
 فإذا لم تكنِ فليستِ بجاني  
 لنديمِ على كرامةِ حاني  
 وهي ليستِ تعرُّجاتِ جَباني  
 وهي ليستِ لمقتفٍ في هوان  
 غيرُ محتاجةٍ لحَمَلِ سِنان  
 فتحَمَلُ نهرِ الدَّماءِ وعانِ  
 حاكتِ اللُّغزَ ذاكِ أسطورتانِ

\*\*\*

سلطاتِ الطَّبيعةِ المستبَدَّة  
 ليس صعباً لمثلها أن تُهَدَّه  
 إنَّها البحرُ والسَّفينَةُ عنده  
 فإذا بالقضاءِ يَفْتُلُ جنده  
 أمسكِ الطُّفْلُ للجمالِ فِرْنَدَه  
 أتري يَسْلُمُ المقاتلُ بعده  
 وكذا الدَّهرُ لا يقامِرُ وحده  
 لا تبالي بريحِ تلكِ الشُّكوكِ  
 علَّمتِ قلبه سلوكَ الملوِكِ

\*\*\*

كلُّ حَبَّاتها عَرَفْتُ ولكنْ  
 ولكلِّ طَريقَةٍ وسلوكِ  
 مرةً أجعلُ الأَعنَّةَ سوطاً  
 لك من حفلةِ اللِّقاءِ نصيبُ  
 ليس من عادتي أُخْبِيءُ كأساً  
 بدءُ هذي التَّعَرُّجاتِ عسيرُ  
 وهي ليستِ لراصدٍ في غرورِ  
 إنَّ عيناً خييرةً بَقُواها  
 شَفَقُ الأفقِ ذاكِ نهرُ دماءِ  
 وانتظرُ مَطْلِعَ الصَّباحِ وقهقهه

هذه الفِكرَةُ الجريئةُ عرَّتْ  
 إنَّ عُشّاً هي الصَّواعقُ فيه  
 إنَّها الرِّيحُ والفضاءُ جميعاً  
 كان جُنْدُ القضاءِ للموتِ ذعراً  
 وإذا أنتِ جئتِ بالسَّيفِ طفلاً  
 ذهبَ العالمُ القديمُ قتيلاً  
 قامرِ الإنكليزِ حتى تولَّوا  
 إنَّ هذا الصُّوفيَّ يحملُ ناراً  
 ملأ اللهُ دربَه بمعاني

## آدمُ يُغادرُ جنةَ عدنَ والملائكةُ تودِّعُه

أنتَ موهوبٌ وآ  
كُنْتَ مِن طينٍ ويبدو  
كانتِ التَّفخمةُ منه  
ويقولون تـرابُ  
ومع النكتة هـذي  
كَلِيفُ بِالْحُسْنِ حَتَّى  
لِكَ فِي الْحُلْمِ نَعِيمٌ  
دمُكَ الصُّبْحَ لَسَدِينَا  
يطلبُ الرِّوْضَ لِسَقِي  
فَاكشِفِ الْأَسْرَارَ وارْقُصْ  
إِنَّمَا السُّدُنِيَا بَكَاءً

لَمْ نَجِدْ لِلْغَزِ حَلًّا  
أَنَّ ذَاكَ الطَّيْنِ وَلَّى  
زُبْقًا فِي السَّرِّ حَلًّا  
قَلَّ عَسَى هَذَا وَعَلَّ  
أَحْمَلُ الْعَالَمِ كُلاًَّ  
أنتَ فِي الْحُلْمِ تَصَلَّى  
يَغْمُرُ الْيَقْظَةَ ظِلًّا  
يَمَلَأُ الْجَنَّةَ طَلًّا  
زَهْرَهُ مَمَّا تَمَلَّى  
تَرْقُصِ الْجَوْفَةَ دَلًّا  
وَعِنَاءً لِيَسَّ إِلَّا

\*\*\*

## روح الأرض تستقبل آدم

فأتى الأرض فقالت  
أنتَ يَا آدَمُ فاعلم  
حَوْلَكَ الْعَالَمُ فَانظُرْ  
ووراء الحُجُبِ حُسْنٌ  
لَا تَكُنْ نَافِذَ صَبْرٍ  
ضَجَّةُ الْعَالَمِ هَذَا  
لِكَ مَا فِي الْكُونَ مُلْكُ

إِنَّهُ آدَمُ جَاءَ  
كُنْتَ مِن طينٍ وماءٍ  
وتمعن في السَّمَاءِ  
فتأمل ما وراء  
واحتمل وَهَمَّ الشَّقَاءِ  
حربُ خَوْفٍ ورجاءِ  
مِن بَحَارٍ وَفَضَاءِ

هذه الشُّخْبُ جميعاً هذه اليُّنْدُ العَراء

( ٢ )

كنتَ من وجه ملائِكِ في اندهاشٍ وفناء  
فَخُذِ المِرآةَ وانظُرْ فيكَ أسرارَ القضاء  
نظراتٌ ذاتٌ مغزىٍ أطلَقَتْ سرَّ البقاء  
وشراراتٌ صراخٍ يتعالى في السَّماء

( ٣ )

إنَّ ضوءَ الشَّمْسِ هذا من شراراتِك ضياء  
عالمٌ أنتَ جديداً أنت والكونُ سواء  
أنتَ فردوسُكَ ذاتٌ مالها قَطُّ انتهاء  
جسدٌ؟ لا ليس هذا جسداً هذا جزاء  
أيُّها الزَّهْرَةُ فانظُرْ كيفَ تمضي في العطاء

( ٤ )

كلُّ أوتارِك تبكي أيُّها العودُ الشَّريد  
كلُّ ميراثِك حبٌّ فتخيَّر ما تريد  
سيِّدُ الأسرارِ في المعبد من وقتٍ بعيد  
تنفق الذَّاتُ وتبلى ثم تُبدي وتُعيد  
ثمَّ في غير كثيرٍ تمتطي كلَّ جديد

\*\*\*

### قطعة

خطاي كمثُل نسيم الصَّباح تُبْطِئُ حيناً وتُسرع حيناً  
أنا شوكتي إبْرَةٌ للورودِ ترقعُ ما انقَدَّ عبر السنينَا

بدأبي كَسَوْتُ ثِيَابَ الحَرِيرِ هذي الشَّقَائِقَ والياسمينا

\*\*\*

## المُرْشِدُ والمُرِيدُ

إقبال وهو التلميذ الهندي يوجه إلى مرشده  
أسئلةً نجد أجوبتها كاملةً مدرجةً في كتابه  
( المثنوي ) وهو يوردها بنصّها بالفارسية .

قال إقبال لروميٍّ      يا إمامَ العاشقين  
لم يزل يملأُ سمعي      ذلكَ القولُ الميين  
وترُ العودِ وقشُرُ العودِ      والعودُ سجونُ  
عندما تبيسُ فيه      يبيسُ اللحنُ الدفينُ  
عصرُنا الشوان هذا      تنتشي منه الظنون  
رقصةُ الأجسادِ لا تمحو أسى القلبِ الحزين  
مبدأُ العالمِ يا أستاذُ ما شاؤوا يكون  
ليس في قلبِ حضورٍ      أو بوجدانِ يقين  
كيف يستوعبُ سرًّا      ذلكَ الصَّذرُ المهيمن  
ردًّا للصَّديقِ ما يروي عن السوحي الأمين  
كيف جرَّته إلى الأوهامِ قيثارةُ طين  
رُغمَ ما أنفقَه للمجد من كدِّ القُرون  
قال رومي أيُّ فرقٍ      بين لحنِ وطنين  
إنَّ فنَّ الاستماعِ الحقِّ      سلطانُ الفنون  
كالعصافير وليست      كلُّها تاكلُ تين  
قال : طوِّفْتُ لأجلِ العِلْمِ في شرقِ وغربِ

وأنا الآن وحيـدٌ والأسى يملأ قلبي  
 قال : هذا طبُّ كَفِّ ليس أهلاً لعلاجك  
 جَعَلْتُ مِنْكَ مَرِيضاً فِي فِرَاشٍ مِنْ لَجَاجِكَ  
 اسأَلِ الأُمَّ عِلاجاً مِنْ عِقايرِ الأمانِ  
 إِنَّ نِصفَ الطَّبِّ مِنْ عِلْمٍ وَنِصفاً مِنْ حِنا  
 قال يا مَنْ شَرَحْتَ نِظْرَتَهُ ضيقَ فؤادي !  
 أَمَلِي أَفْهَمُ ما تَفْهَمُ مِنْ أَمْرِ الجِهادِ  
 قال : مِنْ سِوَى لِكَ الأَصنامِ سِوَى لِكَ فأسه  
 وبأحجارِ الحبيبِ يَضْرِبُ الحاذقُ كأسه<sup>(١)</sup>  
 لا تَقُلْ لَيْتَ وَلَوْ لا ما عَلَى هُمَّكَ بِاسُ  
 أنت يا هذا الذي يَجْرُحُ فِي الدَّهْرِ وَيأسو  
 قال : حورُ العَرَبِ أَلَقَتْ فِتْنَ الشَّرْقِ شِباكاً  
 صَرََعَتْ ذَا اللُّبِّ حَتى لا تَرى فِيهِ جِراكا  
 قال : يا إقبال ! اخذْ ظاهراً يَطغى عَلَيْكَ  
 عِندَما تَفَرِّكُها الفِضَّةَ انظر لِيديكَ  
 قال : يا رومي ! وَسِخِرُ الإنكليزيِّ إِلاما  
 ياأخذِ الطالِبِ لِحِماً ثُمَّ يَرميه عِظاما  
 قال : كالعصفورِ إِنْ لَمْ يُكْمِلِ الرِيشَ وَطار  
 هَجَمَ القِطُّ عَلَيْهِ وَرَمَاهُ لِلصُّغارِ  
 قال : إِنَّ السِّدِّينَ وَالقِومِيَّةَ اليَومَ صِراعُ

(١) في المثنوي ( كسر زجاجة الحبيب لا يكون إلا بحجر الحبيب ) ومعناه كما شرحه  
 د . كفاي : إنه لاحق لإنسان في أن يميت إنساناً آخر فالله وحده هو الذي يميت سواء  
 كان ذلك بفعل مباشرٍ أو بأمر واجب الاتباع مما نصّت عليه الشريعة .  
 انظر ترجمة د . كفاي للمثنوي ص ٦١٣ .

أَنْتَ هَلْ تَدْرِي بِمَاذَا يَنْتَهِي هَذَا النِّزَاعُ  
 قَالَ : مَا فِي اللَّيْلِ لِلزَّائِفِ وَالْمَحْضِرِ عِيَاذُ  
 وَدَلِيلُ الذَّهَبِ الْخَالِصِ إِشْرَاقُ النَّهَارِ  
 قَالَ يَا شَيْخُ ! بِمَاذَا أَمَلَا الدَّرْبَ الْقَصِيرَ  
 وَبِأَيِّ الْأُمْرِ أَغْنَى بَعِيَانٍ أَمْ بِصِيَرِهِ  
 قَالَ : يَا إِبْرَاهِيمُ مَا هَذَا الَّذِي لَيْسَ يَبِينُ  
 إِنْ تَكُنْ تُبْصِرُ يَعْنِي أَنْتَ إِنْسَانٌ مَبِينٌ  
 يَمَلَأُ الْمُهْجَةَ حَقًّا وَحَبِيبٌ دَامِغٌ  
 مَا عَدَا ذَلِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ جَوْزٌ فَارِعٌ  
 قَالَ : يَا مَنْ مَلَأَ الشَّرْقَ بِمَا يَحْيِي الْقُلُوبَ  
 مَا الَّذِي يَغْصِفُ بِالشَّرْقِ وَمَادَاءِ الشُّعُوبِ  
 قَالَ : مَا أَعْرَفَ شِعْبًا مَاتَ إِلَّا مَاتَ لَمَّا  
 حَسِبَ الْأَحْجَارَ بِخَوْرًا وَظَنَّ الشُّهَدَاءَ سَمًّا  
 قَالَ : يَا شَيْخُ ! وَهَذَا الْمُسْلِمُ الضَّائِعُ كَوْنُهُ  
 دُمُهُ أَصْبَحَ ثَلْجًا عَطْرُهُ غَابَ وَلَوْنُهُ  
 قَالَ : يَا إِبْرَاهِيمُ ! إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ شِعْبًا  
 وَرَجَالَ الْقُلُوبِ لَا تَجْرُؤُ أَنْ تَجْرَحَ قَلْبًا  
 قَالَ : يَا أَسْتَاذَ ! إِنَّ الشُّوقَ وَالْحَقَّ أَقْوَلُ  
 كَسَدَتْ فَالْبَيْعُ أَيُّ الْبَيْعِ يَحْظَى بِالْقَبُولِ  
 قَالَ : أَذْهَبَ وَاشْتَرَى الْحَيْرَةَ بِالْعَقْلِ الطَّنِينِ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّهُ وَهَمٌّ وَظَنٌّ وَهِيَ حَقٌّ وَيَقِينٌ  
 قَالَ : جِيرَانِي جَمِيعًا نَدْمَاءٌ لِلْأَمِيرِ

(١) انظر « المثنوي » ترجمة كفاي « حيرة المحب أمام الحبيب لا حيرة من يوليئه ظهره »

وأنا فوق حصيري حاسرُ الرأس فقير  
قال : كن خادماً حرّاً قلبه دون حدود  
لا تكن في مجلس السلطان من بعض القرود  
إن تكن عبداً لإنسانٍ له قلبٌ كبير  
هو خيرٌ من طوافٍ بين ندمانِ الأمير  
قال : يا هذا الذي يُسهِمُ في وجدِ الكبار !  
ضعتُ من قلةِ علمي بين جبرٍ واختيار  
قال : يا إقبال ! ما الشاهين ؟ يبدو كالغراب  
ريشه يُضبحُ تاجاً ريشُ هذا للثُراب  
يطلب الموتى غرابٌ ظفْرُهُ عبءٌ عليه  
وترى الشاهين يمضي أكله صنعُ يديه  
قال : ماذا يأمل الإسلام من هذا السلوك  
ألكي نرضى بفقيرٍ أم إلى طيشِ الملوك  
قال رومي : جنّة الإسلام في ظل الشيوف  
ليس ما تطلبه الرهبان من أمنِ الكهوف  
قال : يا أستاذ ! كيف الخوضُ في ماءٍ وطين  
أين ما يوقظُ قلبي وهو في صَدْرِي سجين  
قال : لا تمشُخْ كنعشٍ فوراءِ النَّعشِ كَفُ  
وتواضعْ كحصانٍ أينما شاء يخفُ  
قال : يا أستاذ ! أين البعثُ من ضعفٍ يقيني  
وأنا أجهلُ ما أجهلُ من أسرارِ ديني  
قال : ما أنت وهذا ابْعَثِ النَّفْسَ بذاتك  
ثم سل نفسك ماذا إنَّها درُبُ حياتك  
قال : يا أستاذ ! إنَّ الذات تمضي في السَّماء  
تحملُ الظُّلْمَةَ والنُّسور على حدِّ سواء

مع هذا غابَ عنها  
 هي مِنْ فَقْدِ التَّجَلِّي  
 في ازدهارٍ وانھیارٍ  
 هي مما افترسْتَه  
 قال رومي : ليس إلا الحَبُّ أهلاً للعراكِ  
 لكنِ الموضوع ( مَنْ يوقعه بين الشِّبَاكِ )  
 قال : يا أستاذ ! قل لي  
 أنت للإسلام شمسٌ  
 قال رومي : كلُّ حَبِّ  
 لا تكن بُزْعَمَ وري  
 كنْ على حَبِّكَ فحْماً  
 واسترِ البُزْعَمَ واضرب  
 قال : يا أستاذ ! ما الحربُ التي تملأُ جنبَكَ  
 أنا ما جنتك إلا  
 هو ذا قلبي بِصَدْرِي  
 بين كدٍّ وخمولٍ  
 قال : يا إقبالُ لَسْنَا  
 أنا لي مثلُك قلبٌ  
 إنَّما القَلْبُ سماءٌ  
 وله ربٌّ حواءه  
 ما لملك القلبِ يا إقبالُ دربٌ تسلكُه  
 مُنتهى الحكمة أن تبحتَ عَمَّن يملكُه  
 قال : يا أستاذ ! فكري  
 وأنا في الأرض هذي  
 لِمَ نسترشد بالمُضْلِحِ لا يُضْلِحُ أهْلُه ؟



وَلَمَّا الْعَارِفُ بِالذِّينِ بغيرِ الذِّينِ أبله  
قال رومي بعدما استرسل في الكون الكبيرُ :  
فسي سماء الله يسري مَنْ على الأرض يسير  
قال : يا أستاذ ! لا أبصرُ في الدُّبِ منارا  
أين مَنْ يَفدُحُ للحكمة في صدري نارا  
قال : يوري العلمَ ناراً يابسُ الخبز الحلالُ  
والذي يأكل كدَّ النَّاسِ يُفنيه الضَّلَالُ  
قال : يا أستاذ ! إنَّ العصر يستدعي النَّزالُ  
ولهيبُ الشُّعرِ يخبو  
وقدُّه دون اعتزال  
قال : يا إقبال ! لنا  
نقصُ العزلة قصدا  
عندما الأحباب تأتي  
تُضح الخِلطةُ شهدا  
بذِّ العزلة واذهب  
من قطيعٍ لقطع  
تشتري النَّاسُ فراء  
ليس من أجل الربيع  
قال : أين الهندُ ضاعت  
لا لهيبُ لا ضياء  
ورجالُ القلبِ فيها  
تُعساءُ أشقياء  
قال : يا إقبال ! هذي النَّاس لا تعرفُ روحا  
أجلِ الدمعة هذي  
وكفى اليومَ جروحا  
يلفظُ الحقُّ بعيداً  
جسداً ما فيه قلبُ  
إنَّ ربَّ النَّاسِ حيٌّ  
وهو للأحياء ربُّ  
كلُّ ما في الشُّعر هذا  
من صُراخٍ وصياح  
ليس ما يُذهشُ أن يذهبَ أدراجَ الرِّياح

\*\*\*

## جبريلُ والشَّيْطَانُ

التقى سيّدنا جبريلُ إبليسَ الرَّجِيمِ  
قال : ما شاهدتَ قل لي أيها الخُلُ القديم !  
ما جرى في عالم الألوَانِ والعِطْرِ الجديذ  
قال : شوقٌ وطموحٌ وبكاءٌ ونشيدٌ  
قال : ما زالَ حديثُ القوم في الحضرة خلقتك  
أولا يُمكن أن يُزقَعَ في الجلبابِ خزقُك  
قال : هيهاتَ ولكن لَسْتُ تدري ما أسرُّ  
هو في الظاهر يُشقي وهو في الحقُّ يسرُّ  
قدحُ السرِّ الذي أشكرني منه تكسّر  
ورجوعِي للأعالي بعد سُكُري يتعسّر  
أنا حتّى لا أطيّقُ العيشَ في تلك الأعالي  
أنتَ للرحمةِ حالٌ وأنا اللّعةُ حالي  
ذلك العالم ما معناه من غير أوابد؟  
إنّهُ الموتُ الذي تغرّف لولا ما أكابد  
فإذا كنتَ حياةً بقنوطي للوجود  
أتري الواجبَ أبقى في قنوطي أم أعود  
قال : لكنّ عندما استكففتَ كِبْرًا أن تطيعه  
نالك العارُ ونال الملاء الأعلى جميعه  
صارَ شغلَ الملاء الأعلى أمام الله خوفه  
يهدرُ الدُّغْرُ عليه تملأ الرّعدةُ جوفه  
قال : يا جبريل لكنّ جرأتِي سرُّ البقاء  
وهبتُ للحمأ المسنون شوقاً للنماء

أنت في الشاطيء ترنو لِصِراعاتِ المواقف  
أنا أم أنت الذي تَضَعُهُ تلك العواصف  
عندما تَغصِفُ ريحي لُجَجَ البحرِ الجليلِ  
لا يرى إلياس والخضرُ من الواقِعِ حيله  
فإذا أمكن يوماً تسألُ الله تعالى  
فأنا أرجو أن تسأله هذا السؤال  
دُم من ذاك الذي خَضَّبَ تاريخ ابن آدم<sup>(١)</sup>  
دُم من هذا (دمي أم دمه أم دم آدم)  
صاغني الله تعالى شوكة تجرح قلبه  
أنت لا تتقن إلا التَّقْيَ والإثباتِ قرْبَه

\*\*\*

### قطعة

بالأمس أوصى مُرشدُ أصحابه  
أغلى وأثمنُ من بحور لآلئ  
يا ليتها كُتبت بماء من ذهب  
سُمُّ يُسَمِّمُ ذاته وإرادته  
تمحو مواهبه تُبيدُ كرامته  
في خمير أوروبا لشعب كامل  
تفني بنيه بالتسكُّع خلفها

\*\*\*

(١) يبدو أن إقبالاً يريد أن يقول : إن ما نفخه الله تعالى في آدم من روحه هو ما في دماء ابن آدم من حنين إلى الخير والسيطان بشوكته الشريرة يسيل تلك الدماء لتسقي نبتة الأرض ، ومن باب آخر يحاول إقبال أن يدافع عن المعتقدات الغيبية في التصور الإسلامي ؛ خاصة وجود الشيطان الذي يجري في الناس مجرى الدم كما في الحديث .

## الأذان

قال نجمُ الصُّبحِ للأفلاكِ يوماً لاجيها  
أحدٌ منكم رأى آدمَ يوماً صاحيها  
سَخَّرَ المَريخَ ممَّا قاله نجمُ الصُّباحِ  
قال : هل ينفع شيئاً صاحياً أو غير صاحٍ  
تدركُ الأقدار ما تفعلُ في هذا الظُّلامِ  
وأرى الخيرَ لداومتِه في أن تنامَ  
قالت الرُّهرة : أف غيِّروا الموضوعَ هذا  
تُنْفِقُ الليلةَ في الباطلِ واللغو لمَ إذا  
فيم نهتمُّ لهذي الذَّرَّةِ العمياءِ قولوا  
فأجاب البدر هذا النجم في الأرض يصولُ  
نحنُ في الظُّلمة نبدو وهو يبدو في النَّهارِ  
روحُه سرُّ الليالي قلبُه قَطْبُ المِدارِ  
وهو لو أدرك معنى سهرِ الليل وذائقه  
جاز أطباق الثُّريا وأرى الله طباقه  
إنَّه في صَدْرِهِ يستر نوراً باهراً  
وهو أطلقه لهم يبقو نجماً ساهراً  
فعلا صوتُ أذانٍ بينما هم في جدالِ  
يا لها صرخةٌ وعظٌ صدَّغتُ قلبَ الجبالِ

\*\*\*

## قطعة

رُغَمَ ما يوجد في رِگَّةِ شعري من عُيوبِ

ربما تبلغ يوماً      كلماتي للقلوب  
 ما على الشارع لومٌ      كيفما قال وعبّـز  
 أنا تغنيني عن الشعر نداءً (الله أكبر)  
 أنا تغنيني إذا أخفقتُ في كشفِ النوايا<sup>(١)</sup>  
 صلواتٌ وتراتيلٌ      بهاتيكِ السرايا  
 معشرُ الجانبِ هذا      دينهم لا يستطاعُ  
 عرفوا النفسَ ولما      نظروا في الله ضاعوا  
 وعبادُ الجانبِ الآخرِ عمَّالٌ مناجمُ  
 هم عن اللآهوتِ أغرابٌ وفي البخسِ أعاجمُ

\*\*\*

## الحب

مَنْ شهيدُ الحبِّ الذي زعموه  
 سِمَةُ العِشْقِ لا تُتَّخَذُ لشعبٍ  
 في هياجِ الفؤادِ للحبِّ سرٌّ  
 إنَّما الغزنويُّ صنوُّ إيازٍ  
 رَوَّجَ الحبُّ سوقَ كلِّ حَكِيمٍ  
 هي لولا تدخلُ الحبِّ فيها  
 رجلُ الحبِّ لا يذللُ لشيءٍ  
 ليس يحتاجُ أو يخافُ ملكاً  
 تاجُ إسكندرِ الشَّهيرِ متاعٌ  
 أنا أبني الرُّجالِ بالفقرِ هذا

ابحثوا عنه في جميع الفجاج  
 دونَ شعبٍ ولا تُباحُ لراجي  
 كهياجِ الفُراشِ حولَ السُّراجِ  
 إنْ يكنْ قلبُه بغيرِ هياجِ  
 حاكِ آراءه به للسرَّاجِ  
 لعبةٌ من لآلئِ مَنْ رُجاجِ  
 مستقلُّ الفؤادِ حرُّ المزاجِ  
 إنَّما الخوفُ مظهرُ الاحتياجِ  
 وأنا الفقُّرُ والتدروشُ تاجي  
 وهو بيني مدينةٌ من رُجاجِ

\*\*\*

(١) يقارن إقبال بين الإسلام والمسيحية .

## رسالة نجم

بَعَثَ النَّجْمُ لِي يَقُولُ : محالٌ أن يعينك الظلامُ شُغْلَةَ ذاتي  
أنتَ مثلي مسافرٌ ذو لهيبٍ فأنزِ باللهيب ليلَ الحياةِ

\*\*\*

### إلى جاويد (١)

لتكن لِقَلْبِكَ يا بنيِّ مكانةً  
كُنْ في أماسيه وفي أسماره  
وعى الفؤاد حقيقة الدُّنيا فإن  
أخْرَجْتَ من صَدْرِ الورود حديثها  
إِيَّاكَ يوماً أن تدينَ لصانعِ  
صُغْ من ترابِ الهند كاسكَ وافتخرْ  
أبنيِّ عرجونٌ بداليةِ ( أنا )  
من هذه الأعناب أعصرُ خمرةً  
أنا عيشة الأمرء لم أبه لها  
فاذْخُلْ سجلَّ الفقر باسمك إنَّه  
في موطن الحبِّ البعيد النائي  
نَغْمًا يُجَدِّدُ حرقَةَ التُّدماءِ  
وَهَبَّتْكَ إِيَّاهِ يَدُ الرَّحْمَنِ  
ونزعتَ صمتَ شقائقِ الثُّعْمَانِ  
في ليلِ أوربيةِ يَصُوعُ زُجاجا  
وارفعِ بلادك فوقَ رأسك تاجا  
أبياتُ شعري هذه أعنابي  
حمرء تُلْهَبُ بالحياةِ شبابي  
أنا عِشْتُ درويشاً مع الفقراءِ  
فخرُ النَّبِيِّ وسيِّدُ الأسماءِ

\*\*\*

### الدينُ والفلسفة

محلُّ الدِّينِ من يدِ فيلسوفٍ محلُّ الشَّمْسِ من كَبِدِ السَّمَاءِ

(١) قدم إقبال هذه القصيدة بقوله : « جواب أول رسالة تلقيتها منه وكتبها بخط يده وأرسلها إلى لندن » .

له في كل يوم وهمُ بحثٍ  
 أنا في ظلّ بيتي أم غريبٌ  
 قد استوحشتُ من جبلٍ ووادٍ  
 أضعتُ على رسومِ القومِ عُمري  
 تعجّب جئت من أين (ابن سينا)  
 أرانقُ في طريقي كلّ سارٍ  
 ولم أر في طريقي مستعدّاً  
 يكونُ من الصّباح إلى المساء  
 وهل سفري بعيدٌ أم قريب؟  
 فأينَ تراه يستتر الحبيبُ  
 أفتشُ عن بصيرٍ بالرسومِ  
 وساءلني ستذهب أين (رومي)  
 وأُغطيه نصيباً من طريقي<sup>(١)</sup>  
 يكونُ إلى نهايته رفيقي

\*\*\*

## رسالة من أوربة

الاعتصامُ بجبلِ الحسِّ ضيّعنا  
 وللبصيرة بحرٌ عاصفٌ حظيت  
 أنا لقافلةِ الرُّوميّ متبّعٌ  
 هبّ عصرنا مثنوياً آخراً فلقد  
 طريقُ حُرّيّةِ الأحرارِ مُظلّمَةٌ  
 في الليل من بحثنا عن شاطئ البصر  
 من قعره غطسةُ الروميّ بالدُّررِ  
 وهل لقافلةِ الروميّ من أثر  
 جارت رسالةُ أوربة على البشر  
 تضيئها شعلةُ الروميّ بالشّررِ

\*\*\*

(١) شاهيدٌ دخله بعض التحوير من شعر غالب الشاعر الأردني الكبير في القرن التاسع عشر، وله دواوين رائعة باللغة الأردية والفارسية، وقد سبقت ترجمته في الديوان الثالث.

## جواب

على ابنِ آدمَ أن يرعى العُلَى أنفًا  
ولا يجوزُ له بلْ لا يليقُ به  
هُمُ يُضْحَكُونَ بِالْمُقْتَاتِ مِنْ كَلِّ  
وَمَنْ تَخَلَّقَ بِالْقُرْآنِ مَجْدَهُ  
كظبي (خوتان)<sup>(١)</sup> يرعى نبتة الجودي  
أكلُ الشَّعِيرِ ورعي العشبِ والعُودِ  
ويَخْضَعُونَ لِمَنْ نَاوَاهُمُ الشَّانَا  
وأصْبَحَتْ نَفْسُهُ لِلنَّاسِ قِرَانَا

\*\*\*

## على قبر نابليون

التَّوَقُّ لِلْفِعْلِ سَيْفُ الخالدين به  
وقبل مولد نابليون خاضَ به  
جبال (آلوند) هدَّتْهَا حماسُته  
تصير صرخةُ أهلِ الله صَرْخَتَهُ  
والتَّوَقُّ لحظته لا تستمرُّ فإنْ  
وقام يثار ليلُ القَبْرِ منك له  
(مسيرنا نحو وادِ الصَّمْتِ لذَّته  
تشقُّ في جُبَّةِ الأسرار أقدار  
إسكندرُ الأرضَ أمصاراً فأمصاراً  
وأطلَقَتْ سَيْلُ تيمورلنك تياراً  
إذا أصرَّتْ على الإيمان إصراراً  
لم تغتنمِ نَيْلَهُ في وقته غاراً  
لا يستقرُّ إلى أن يأخذ الثَّاراً  
أن تملأ القُبَّةَ الزرقاءَ آثاراً)<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

(١) خوتان : بلدة كانت تحت حكم التتر المسلمين ، تنسب إليها طباء المسك .

(٢) شاهد من شعر حافظ الشيرازي وقد أورده إقبال بالفارسية .



## موسوليني (١)

نشاطٌ جديدٌ وفكرٌ جديد  
صَبَا شعْبُهُ أن يردَّ الصُّبَا  
نشاطٌ جديدٌ وفكرٌ جديد  
يصوغان من حجرٍ لؤلؤاً  
تأمّلت روما وقد جدت  
فقلتُ : أيّ ربِّ ماذا أرى  
حياة تُقرُّ عيونَ الشُّيوخ  
فيا للتَّجَلِّي الذي هاهنا  
وهل تستطيعُ رؤوس الرُّهور  
سماؤك يا نعمةَ الثَّائرينَ  
وروحك تنتظرُ العازفينَ

يثيرُهما أَمَلُ الثَّائرينَ  
إلى مجدِ أُمَّتِه الغابرينَ  
وهذان معجزةُ القادر  
وتاجاً لحاضره الرُّاهرينَ  
بتجديدها حيرةَ الناظر  
وهذا الهُدَى خطأً أم صواب  
وتذكي الطُّموحَ بصدرِ الشُّباب  
ويالللحماسةِ ماذا تُذيع  
أن تتوارى بفصلِ الرِّيع  
تهرُّ أغانيك أقطارها  
فَمَنْ سيهيِّجُ أوتارها

(١) في ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية :

نظم إقبال هذه القصيدة حوالي عام ١٩٣١م حين زار موسوليني بعد عودته من لندن وانفضاض مؤتمر المائدة المستديرة الذي دعت إليه الحكومة البريطانية للبحث في الإصلاح الدستوري في الهند ، ويبدو أنه نظمها قبل استيلاء هتلر على السلطة .

وفي قصيدة تالية يقارن إقبال بين عمل موسوليني وبين أعمال السياسيين الإنكليز بهذه العبارات :

بحجة نشر الحضارة سوَّغتم أمس تلك المذابح الجماعية والمجازر كما يسوغها اليوم موسوليني .

وعن غزو الحبشة دان إقبال مرة أخرى رئيس الحكومة الإيطالي وكتب قصيدة عنوانها :

( جثة الحبشة ) مايلي :

وأسفا مرآة شرف الكنيسة حطمتها روما إلى ألف كسرة أيها الحبر الأعظم ، ياله من حادث مروع ( الأصل ) وانظر فيما يتعلّق بغضب إقبال على موسوليني مجلة فكر وفن

عدد ٣٢ ص ٧٤ - ٧٥ .

ومن ذا الذي صاغَ هذا الجمال  
هو الحرُّ ذو النظراتِ التي  
وباركَ بالحبِّ تلكَ النفوس  
بها تقْتدي نظراتِ السُّموس

\*\*\*

## سؤال

قال درويشٌ أبيُّ يسألُ الله تعالى  
أنا لا أشكو إليك الفقرَ والعيشَ المحالاً  
لكن اللهم قل لي أنت أرسلت الملائك؟  
ليقيموا سلطنة الأوغاد في ظلِّ سمائك

\*\*\*

## إلى فلاح البنجاب

أيها الفلاح ما سرُّ الحياة؟  
أنت فيها منذ آلاف السنين  
خمدت نازك في الطين الذي  
قل لمن أذن في هذا الصُّباح  
لم يقل للناس حي للفلاح  
هو يدعوهم إلى مآدب  
كيف ترضى أن يكونوا هكذا  
إنَّ تبغ الخضر لا يبلغه  
ليس يُجدي الهَمُّ في شيء إذا  
حطّم الأصنام يوماً واحداً  
حطّم الأوثان أو ثان العروق  
ما الذي يكُتمه هذا المداز  
خلفَ محراثٍ يُعطيك الغبار  
علقت أكوامه في نعلك  
أرني الله الذي في فعلك  
إنما حي على الفلاح قال  
أنت أرسلت لها كلَّ السُّلال  
وهُمُ مثلك من حماة طين  
وجل من ظلمات المعتدين  
لم تَضغ ذاتك تحت التجربة  
لا تخف مبعدها أن تخربه  
واهدم الأصنام أصنام القبائل

وانضُ أغلالَ التقاليد التي      تتعنى خلفها من غيرِ طائل  
لا تقلْ أنشدُ في الدينِ الخلاص      وامنحِ الكهَّانَ روحانيَّة  
إنَّ دينَ الله في الدينِ الذي      يهبُ الإنسانَ وحدانيَّة  
أحفظِ القلبَ الذي تحملُهُ      لا تدعُه تحتَ أقدامِ العباد  
الَّذي يزرعُه في صدرِهِ      يجدُ المتعة أيامَ الحصاد

\*\*\*

## نادر شاه ملك الأفغان

في حضورِ الحقِّ كانَ الحَدَثُ الفرْدُ الكبير  
غيمَةً تحملُ في أعماقها روحَ الرُّهور  
رأتِ الفردوسَ في الدَّرْبِ فقالتَ للسماءِ<sup>(١)</sup>  
أه ما أجملَ هذا      هاهنا نلقي الدَّلاء  
فأجابتها وقالت      نترك الهند لقابل  
أدركي عشباً جديداً      ظمئاً في أرضِ كابل  
وعسى نادرُ يأتي      ليرى هذي الحقائق  
علَّه يَغسلُ بالدمعِ جراحاتِ الشَّقائِقِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

(١) في ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية : « ربما كانت الهند التي مرَّ بها نادر شاه قادماً من باريس إلى إيران لمحاربة (بجه سقا) الذي خلع أمان الله خان عن عرشه ، هي المقصودة بهذا الفردوس ، وهم يرددون ( الهند جنة نيشان ) يعني إنَّ الهند تشبه الفردوس كما يقولون عن روما : إنها المدينة الخالدة » .

(٢) جراح شقائق النُّعمان هي آلام الأفغان .

## حلمٌ تَتَرِي (١)

كلُّ شيءٍ حولنا يَسْلُبنا  
 أنا لا أستاء أن تَزْمُقنا  
 مجدنا حتى سَجَّاجيدُ الصَّلَاةِ (٢)  
 شزراً أعيُنُ أولادِ الطغاةِ  
 بِلَيْتِ أثوابنا أجمعها  
 جبَّةُ الشيخِ وجلبابُ الأميرِ  
 ما الَّذي أفعلُه في وحدتي  
 ما الَّذي يفعلُ إيماني الكسيرِ

\*\*\*

## وصية « خوش حال خان » (٣)

يا أمة الأفغان شدُّوا بعضكم  
 ما شاهدت عيناى أجملَ منظراً  
 بعضاً وكونوا سادة الأفغانِ  
 يرمون في بحر السماء شباكهم  
 كجمال صياديكم الفتيانِ  
 أطفال كوهستان وعدُّ مفعم  
 (صيدُ النجوم رياضةُ الشجعانِ)  
 ليسوا أقلَّ من المغول شجاعةً  
 متوائبٌ في قلب كوهستان  
 أنا (خوش حال) أحبُّ قبراً إن أمت  
 ليسوا بأدنى منهم في شانِ  
 فوق الجبالِ ممردَ البنيانِ  
 لا ريحَ تصفُعه بنقعِ حاملٍ  
 مرّت عليه خيول مغلستان  
 ما تبقى غيرُ جمرِ هامدٍ  
 يتخفى تحت أكوام الرماذ

- (١) في ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية : « إذا كان إقبال يؤيد ثورة « خوش حال خان »  
 فليس من الغريب أن يؤيد تطلعات التتر في تركستان إلى الاستقلال » .  
 (٢) في ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية : « يعني أن الأتقياء يبهوننا » .  
 (٣) في ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية :

من المهم أن نذكر أن إقبالاً رغم نزعته للجامعة الإسلامية يمدح ثائراً على الإمبراطورية  
 المغولية في عهد (أورنك زيب) وإقبال لا يريد فرض الوحدة من الخارج ولكنه يريد  
 وحدة عفوية تنبثق من الداخل .

جَعَلْتُ مِنْهُ حَدِيثاً لِلْعِبَادِ  
 وَسَمِرَقَنْدَ بَلِيلِ قَاتِمِ  
 أَنَا فَصْرٌ مَالِهِ مِنْ خَاتِمِ (١)  
 زَلَزَلْتُ أَرْضَ سَمِرَقَنْدِ السَّمَاءِ  
 بَدَّدَ اللَّيْلَ بِسَيْفِ مَنْ ضِيَاءِ  
 كَضِيَاءِ الشَّمْسِ مِنْ قَبْلِ الْأَفْوَالِ  
 رُوحُ تِيمُورَلَنْكِ فَاسْمَعْ مَا أَقُولُ  
 سَدَّتِ الْأَيَّامُ أَبْوَابَ التَّتَرِ  
 فَرَّقَتْ أَبْنَاءَ طُورَانَ الْبَشَرِ  
 وَبَرِيقاً ثَانِياً مِنْ مَقَلَّتِكَ  
 لِمَ لَا تَخْلُفْنِي فِي أُمَّتِكَ

أَيُّ رِيحٍ فَوْقَهُ لَوْ عَصَفَتْ  
 غَطَّتِ الرِّيحُ بُخَارِي كُلَّهَا  
 ( وَتَطَلَّغْتُ لِنَفْسِي فَإِذَا  
 بَيْنَمَا أَنْدَبُ حَظِّي فَجَاءَ  
 وَإِذَا مَرَقْدَ تِيمُورَلَنْكِ قَدْ  
 كَانَ نُوراً أبيضاً فِي صُفْرَةٍ  
 قَالَ لِي : يَا أَيُّهَا الْبَاكِي أَنَا  
 إِنَّ بَابَ اللَّهِ مَفْتُوحٌ وَإِنْ  
 أَنْتَ مِنْ أَبْنَاءِ طُورَانَ وَإِنْ  
 فَهَبِ الذَّاتَ لَهَيْباً آخِراً  
 أَنَا حَظْمَتُ بَهْدِينَ الْجِيُوشِ

\*\*\*

## الحالة النفسية والظرف

هي أولٌ وهو المحلُّ الثاني  
 والحالُ خيرٌ ذخائرِ الإنسانِ  
 ظلُّ تُولَفِهِ ظُرُوفُ الْحَالِ  
 وَمَنَازِلُ الْقَلْبِ الْمُقِيمِ خَوَالِ  
 لَا فِي مَعَانِيهَا وَلَا فِي لَفْظِهَا  
 لَيْسَتْ كَسَجْدَةِ نَاسِكٍ فِي وَعْظِهَا  
 مَا زَادَ عَنْ قِرَائِهِ قِرَائُهُ  
 لَكِنْ لِكُلِّ مِنْهُمَا طَيْرَانُهُ

الرَّأْيُ بَعْدَ شِجَاعَةِ الشَّجْعَانِ  
 إِنْ كُنْتَ يَقْظَانَا فَأَنْتَ مَظْفَرُ  
 كُلِّ الْحَيَاةِ عَلَى اخْتِلَافِ ظُرُوفِهَا  
 فِي كُلِّ وَقْتٍ لِلْمَسَافِرِ جِدَّةٌ  
 كَلِمَاتُنَا مَعَ أَنَّهَُا لَمْ تَخْتَلِفْ  
 فِي سَجْدَةِ الْجُنْدِيِّ نَلْمَحُ غِبْطَةً  
 هُوَ مُسَلِّمٌ لَكِنْ وَهَذَا مُسَلِّمٌ  
 لِلنَّسْرِ كَالشَّاهِينَ جَوْ وَاحِدٌ

(١) تعليق إقبال : بيتٌ لشاعر مجهول ربّما أورده الطوسي في شرح الإشارات .

## أبو العلاء المعري

يقال : إِنَّ المعرِّي لم يكن أبداً  
يقالُ : كان نباتياً بمذهبه  
شوى له مرةً مستهزئاً حَجَلاً  
لكنَّ شيخَ اللُّزوميَّات حين رأى  
وقال : يا أيُّها المسكينُ ما اقترفتَ  
لو كنتَ بازأً لأعطوك الدَّجاجِ فِدَى  
لم تُلقِ بالكِ للاديانِ إذ وَعَظْتَ  
اللهُ سَخَرُ للاقوى خلائقَه

ليأكل اللحم لا يلوي على دين  
وليس يقتاتُ إلا من يدِ الطين  
يريد يلقاهُ فيما اختار مُزْتَبِكا  
شناعة الشيخ ألقى فوقه وبكى  
يداك حتَّى دَخَلْتَ النَّارَ بالشيخِ  
وما لجأتِ إلى شُجبي وتوبيخي  
وللطبيعةِ إذ قالت لطالبها  
وقدَّر الموت للمستضعفين بها

\*\*\*

## سينما

أيعودُ آزرُ مرةً أخرى  
أصنامُها في صَدْرِ صالِتها  
ما كان يُنحِتُ قبلُ من صنم  
صاغت لنا الدُّنيا لنعبدها  
ما كان فَنّاً فَتُّه أبداً  
فتفحَّصِ السِّينما الَّتِي ظَهَرَتْ  
هو صاغُ أصناماً لعالمه  
وتصوغُ صالِتها لعالمنا  
ما في زوايا المعبدينِ سِوى  
إن لم يَلِ التَّوحيدُ أمرَهما

ويذيعُ في السينما معانيه  
عادت له بِرِواجِ ماضيه  
جاءت تُريدُ تبيُّعه فينا  
وثناً وصاغَ لِعَضْرِهِ الدُّينا  
ما كان غيرَ طقوسِ أوْثانِ  
هي في الحقيقةِ ثوبُهُ الثَّانِي  
ما صاغَ من طينٍ وفخَّارِ  
أصنامها من مارجِ النَّارِ  
هذا الرَّمادِ وذلكِ الطِّينِ  
لم يتركها شرفاً لمِسْكِينِ

\*\*\*

## إلى جماعة «بيرزاده»<sup>(١)</sup> في البنجاب

ووقفتُ ليلي نادباً ونهاري  
غَبَطْتُهُ فِي قَضْرِ السَّمَاءِ جَوَارِي  
فهاهنا توارى صاحبُ الأسرارِ  
ذَلَّتْ عَمَامَتُهُ لوصمةِ عارِ  
وهنا يقيمُ معلّمُ الأحرارِ  
كيفَ افتداها من جحيمِ النارِ  
نالَتْ شريعةَ أحمدَ المختارِ  
دار الحديثِ عن الزّمانِ الدائرِ  
ألقاه من شوقي وعزمي الخائرِ  
هو مبصرٌ لكنّ بغيرِ نفوذِ  
أصبحت في عيني كالمنبوذِ  
لم يبقَ سرٌّ في دمِ البنجابِ  
مجنونةٌ ولو ارتدى جلبابي  
لم ترضَ قنزعةَ العمامةِ جارا  
لم يتركوا لذوي القلوبِ منارا

جزتُ البلادَ إلى ضريحِ مجدِّ<sup>(٢)</sup>  
وعلى الثُّرابِ من الضُّريحِ تألَّقُ  
لا غرورَ للأسرارِ تلمعُ هاهنا  
من ردِّ جاهنكير عن يده وما  
هذا المكانُ من الوجودِ ضريحُه  
الهندُ تعرفُ أرضها وسماؤها  
هو أحمدُ المختارِ للمخَنِ التي  
لما وقفتُ على ضريحِ مُجدِّ  
فشكوتُ دروشةَ الزّمانِ له وما  
فأجاب : طرفك ليس يبصرُ قلتُ : لا  
من أين ألتمس البصائرِ إنني  
فأجابني ذهبَ الذين عرفتهم  
لا تكثرِثُ منهم بصاحبِ شطحةِ  
أرني قلنسوةَ لِدزويشٍ لهم  
ذهبوا مع الفقهاءِ خلف ملوكهم

\*\*\*

### سياسة

تقضي السياسةُ أن نُحدِّدَ أولاً أدوارنا في لعبة التَّيجانِ

(١) بيرزاده : تعني عضواً في طريقة رئيس جماعة روحية ومؤسسو هذه الطريقة كانوا

دراويش أتقياء ، ولكن أولادهم انقلبوا إلى الماديين .

(٢) يريد به إقبال مجدِّ الألف الثاني الشيخ السرهندي .

لا الشاه أنت بها ولا أنا بيدقُ      هذا اختيارُ اللأعيبِ الشيطانِ  
إنَّ البيادق إن أعاقت نفسها      دللت على شاهٍ بلا سلطانِ

\*\*\*

## التَّجَرُّدُ

ليس التَّجَرُّدُ أن تقيمَ على الطَّوى      وقواك خائرةً وبيتك مُغدمُ  
فَمِنَ التَّجَرُّدِ ما يطيحُ بأهله      وَمِنَ التَّجَرُّدِ ما يعرُّ ويكرمُ  
أنا لم أجد عند الملوك تجرُّداً      أحلى وأجدى مِنْهُ في شابور  
شابورُ في صنع الإمارة مسلمُ      فتعلّموا الإسلامَ من شابور

\*\*\*

## الذَّاتُ

لا تَرْضَيْنَ فِضَةً بِالذَّاتِ أو ذهباً      ولا تبغِ بِشَرارِ ذلكِ اللُّهبِ  
إليك ما قال ( فردوسي ) الذي كشفتُ      للفرس أقواله الأستارَ والحُجُبِ  
( المالُ يوجدُ حتّى حينَ تَفْقِدُهُ      فلا تكنِ وَقِحاً إن رمتَه طلباً )<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## فراق

النُّورُ حول الشمس يزهو إذ يفارقها صباحاً      غَزَلْتَهُ من ذهبِ الحريرِ فصار للذَّنِيا وشاحاً  
والكـونُ مُغْتَبِطٌ بما      جَلَبَ الفراقَ من التَّسْلِي

(١) شاهد من ديوان الفردوسي بالفارسية .



مترنحٌ في صمته      نشوانٌ من مُتَعِ التَّجَلِّي  
هل تعرف الأنهارَ والأفلاكَ أسرارَ التَّشَوُّفِ  
هل يرتوونَ من الفراقِ ويكتوونَ من التلهُّفِ  
أنا قسمتي قلبُ الفراقِ سواه مآلي من مُنَى  
هو في الصَّمِيمِ من التُّرابِ وما التُّرابُ سوى أنا

\*\*\*

## الدَّير

لا العَصْرُ للقولِ بالألغازِ مُخْتَمَلٌ      ولا أنا أستطيع اليومِ إلغازا  
مضى الَّذِينَ إذا قالوا لميَّتهم      قم ، قامَ فيهم بإذنِ الله واجتازا  
فما الَّذي بعدهم في الدَّيرِ تفعله      جماعةٌ بمذاقِ الدَّيرِ كَفَّارُ  
أخدمةً لقبورِ القومِ ما بَرِحُوا      أم أَنَّهُم لقبورِ القومِ حُفَّارُ

\*\*\*

## شكوى الشَّيْطَانِ

قال إبليسُ الرَّجِيمُ      يشتكي الله تعالى  
ما لِنَجْلِ الطَّيْنِ هذا      فوقَ ناري يتعالى  
هُوَ ذَا آدَمَ بعدي      هُوَ ذَا كَوْمِ التُّرابِ  
واهنُ الرُّوحِ كيبَرُ الكِرْشِ موفورُ الثَّيابِ  
عقله في الأوجِ لكن      قلبه يلفظُ روحه  
ما لقلبي غيركَ اللهمَّ لو تأسو جروحه  
كَلَّمَا يجعلُ منه الشرقَ معيارَ النَّجَاسَةِ  
لا تبالي حكماءَ الغربِ أن ترفعَ رأسه

حورُ فردوسِكَ تخشى عالمَ الفردوسِ يُقْفِرُ  
جنتُكَ اللهمَّ بِالْحُجَّةِ كِي تَرْضَى وتغْفِرُ  
فَسَّرَ الغرْبُ السَّديمَةَ رَاطِي تَزَكِي لِسُجُودِي  
لم يعدْ من بعده في الأرض معنى لوجودي

\*\*\*

## دمٌ في الشرايين

لا تَخْشَ نيلَ الشَّوءِ من رجلٍ إن كان فيه دمٌ وناموسُ  
وارغبَ عن المحرومِ من دمه فالخيرُ من كَفَيْهِ ميؤوسُ  
رجلٌ يحرِّكُ قلبه دُمُهُ لا الفقْرُ يُخزِنُه ولا الجودُ  
إِيَّاكَ من لم يَهْدِهِم دُمُهُم سوْدُ الدِّمَاءِ عقولُهُم سود

\*\*\*

## الطَّيرَان

تشكَّتِ التينةُ للعصفورِ من معبدِ الألوانِ والعُطُورِ  
قالت له : يا أيُّها المغرَّدُ حتَّى متى يكفرُ هذا المعبُدُ  
لو أنَّ لي أجنحةً وعَوْنًا أغرقتُ بالجمالِ هذا الكونا  
أجابها العصفورُ في وداعةٍ إجابةً في منتهى البراعةِ  
قال لها : أَيُّهَا المسكينةُ كيف تطيرين وأنت تينة  
قولُكَ لا يَنِمُّ عن غباءٍ وإنَّما يدعو إلى الرِّثاءِ  
أتدعين الظلمَ في عينِ العدلِ وأنتِ أحرى من أريثُ بالعدلِ  
الطَّيرانِ سرُّنا المحجوبُ لا يستطيعُ نيلُه مجذوبُ

\*\*\*

## معلم المدرسة

أمامَ روحِ التَّلَامِيذِ الَّتِي اخْتَنَقَتْ      بيني المعلمُ هذا صرَحَ فحَارَ  
الحقُّ ما قال كاغاني<sup>(١)</sup> وَيَسْحَرُنِي      ما قال من بيت شعرٍ بَدَّ أشعاري  
( إذا الجدارُ أمامَ الشَّمْسِ ترفَعُه      فلن ترى نورَها في باحة الدَّارِ )

\*\*\*

## الفيلسوف

يعرفُ الفيلسوفُ كيفَ يطيرُ      وهو في العِلْمِ غايةٌ في البراعةِ  
جسدٌ فارغٌ وعِلْمٌ غزيرٌ      لو أضافوا إليه روحَ الشَّجاعةِ  
يَزُومُ النَّسْرُ في السَّمَاءِ دوائرَ      كالشَّواهينِ والطَّيُورِ الحرائرِ<sup>(٢)</sup>  
لا تغرَّنَكَ المظاهرُ هذي      فهو يخفي نقيضها في السَّرائِرِ  
هي تقفَاتُ مَنْ إورٌ وِبطٌ      وهو يقتات جيفةً وفطيسه  
أيُّ معنىٍ له إذا حرموه      متعة الانقضاضِ فوق الفريسه

\*\*\*

---

(١) كاغاني : هو شاعر فارسي من القرن السابع عشر الميلادي .  
(٢) النَّسْرُ : رمزٌ لمتوسطي الشجاعة عند إقبال فهو لا يصل إلى رتبة الشاهين لأنه يأكل من فرائس غيره ، إلا أنَّ قيمته تتجلى في أنه مهما كان من الغربان على الجيفة فإنها لن تجد غير الانسحاب إذا لمحت قدوم النسر إلى الساحة ، وستقف ترمقه من بعيد مترقباً ما إذا سبقي على شيء لها أم لا .

## (١) الشَّاهِين

جزتُ في الأرض بلدةً بعد أخرى  
ذلك العالمُ الذي زعموه  
أنا نَجَلُ الصَّحراءِ والرُّهْدُ ديني  
أجْهَلُ الرُّهْرَ والنَّسِيمِ وما في  
ورجالُ البُستانِ تغري ولكنْ  
أين مجدي إذا شقيتُ لجوعِ  
بافتراسي أصونُ عزَّةً وجهي  
كلُّ طيرٍ له من الأرض عشٌّ  
كيف بيني قلندر الطَّيرِ عشاً

ثم أَلْقَيْتُ كُلَّ شَيْءٍ ورائي  
ليس يفتاتُ غير حَبِّ وماءِ  
وهما في سَجِيَّتِي ودمائي  
لوعة العندليب عند المساءِ  
ليس تُغري منشأً في العراءِ  
وأذلتُ حمامةً كبريائي  
وأروِّي حماستي وإبائي  
وأنا هاهنا حليف مضائي  
وهو الفَرْدُ في رحابِ السَّماءِ

\*\*\*

(١) في ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية :

الشاهين : الطَّير المختار عند إقبال لأنه :

١ - لا بيني لنفسه عشاً يعني أنه درويش .

٢ - يطير إلى الأعلى .

٣ - ليس بخيلاً ، ويقنع بالزهد .

٤ - لا يأكل مما يقنصه الآخرون ، يعني أنه يصون كرامته .

وينبغي أن يفهم من البند الرابع أنه رمز للمجتهد الذي يعاف التقليد كما يعاف الشاهين فريسة غيره .

## المريدُ الثائر (١)

أنا فانوسي الذي أمْلِكُه      شمعةً في قصعةٍ من خَزَفِ  
 إن أقمْتُ الليلَ ذابْتُ وإذا      هَبَّتِ الرِّيحُ عليها تنظفي  
 ما الَّذي يفعَلُه سيّدنا      بالمصاييح التي حول المزار  
 ثمَّ ما معنى مزارٍ وضريح      وستورٍ وعطورٍ وجمّار  
 يا إلهي كم لنا من كعبةٍ      كم لنا من صنمٍ في الحرم  
 وفقاعاتٍ قبابٍ فوقهم      جعلتنا ضحكةً للأمم  
 ليس ما يعطى لهذي الأولياء      من ندورٍ باسمهم إلا رَبَا  
 المرابي دائماً مختبئٌ      ووليُّ القوم في القبر اختبا  
 أتراهم سلكوا كالأولياء      إنَّما هم أولياء بالوراثه  
 ملأ الغربانُ أوكار التُّسور      خلَّصَ اللهُ من القوم تراثه

\*\*\*

## آخر وصايا هارون

قال الرَّشيد لابنه يوصيه : ها أنذا اختَضِرْتُ  
 ستمرُّ بعدي أنت في هذا الطَّريق كما مررتُ  
 أبنيَّ إنَّ الموتَ نورٌ في عيونِ المؤمنين

(١) من المهم أن نشير هنا إلى أن قصيدة إقبال هذه لا تتناقض مع وقفة إقبال على ضريح سنائي ومجدد وقوله : سيكون ضريحي كعبة الأحرار ، وأمثال ذلك ، فهو لا يريد هنا أن يقرر عقيدة ما ، ونستطيع أن نفهم مراد إقبال من قصيدته السابقة (الذير) .  
 وفي مناسبة أخرى يقول إقبال : إنَّ الصوفية حين تفسر تفسيراً خاطئاً وتقدم إلى الجماهير غير المتعلمة من خلال الأشعار المحببة ؛ يمكن أن تكون أكثر خطراً من حشود جنكيزخان .

والتُّور هذا لا تشاهِدُهُ عِوَنُ الكافِرينَ

\*\*\*

## إلى عالمِ نفس

دغ عنكَ فكَرَكَ فالإعصارَ جَرَّارُ      وليس تجدي ببحر الذَّاتِ أفكارُ  
وَأين أنتَ بهذا البحرِ من جُزُرٍ      صغيرة ما أتاها قطَّ بِحَارُ  
إن لم تشقَّ كموسى ثوبَ لُجَّتِها      فحطَّكَ الصَّمْتُ إن وافاك إعصارُ

\*\*\*

## أوربة

مقتبسة عن نيتشة

أشباه ( شيلوخ )<sup>(١)</sup> في المِرْصادِ واقفةٌ      مَكْرُ الثَّعالِبِ يَفْري قوَّةَ الأسدِ  
لا بدَّ تسقطُ أوربة إذا نَضِجَتْ      في كيسِ شيلوخها المجهولِ للأبدِ

\*\*\*

## الأسدُ والبغلة

قالَ للبغلةِ يوماً أسدٌ      أنتِ حقاً لكِ سرٌّ من أبوكِ  
فأجابته ألا تَعْرِفُنِي      أنا خالي فَنَحْرُ إصطبلِ الملوكِ

\*\*\*

---

(١) كذا في الأصل ويبدو أنه تحريف ( شيلون ) وستكون الفكرة أشدَّ إغراءً إذا كنا مصييين في رأينا . انظر مادة شيلون في قاموس الكتاب المقدس .

## فكرة حرّة (١)

ألا ترثني لعصفورٍ عن الطَّيْرانِ قد مُنعا  
إذا استخفى وحاوِل أن يطيرَ لوخْدِه وقعا  
يحاوِل أن يكوِن فؤادُه بيتاً لجبريلِ  
وليس له من الطَّيْرانِ غير القَال والقيِلِ  
هل العصفورُ بين الشُّوك كالعصفورِ في الجنَّة  
بربك هذه حرِّيَّةٌ في الفكرِ أم جنَّة  
فقل لمفكِّر حرٌّ أضلَّ الفكرُ وجدانُه  
تعالى الله أن يلهمَ ما يُبطلُ قرآنُه  
وهل يهدم مجدَّ الشَّعبِ غير الفِكْرَة الحرَّة  
وهذي الفِكْرَة البلهاء سيِّدُها (أبو مرَّة)

\*\*\*

## النَّسْرُ والنَّمْلَة

قالت النَّمْلَة للنَّسْر الذي مرَّ يوماً ما على وادي النَّملِ  
أنت ترعى في بساتين النَّجوم وأنا في شقوة العيش المُذِلِ  
قال : لكن أنا لا أبحث عن مؤني مثلك في هذا التُّراب  
لستُ ألقى نظرةً حتَّى ولا للسمواتِ التي فوق السَّحاب

●●●

(١) في ترجمة الأستاذ الملوحي النثرية :

نرى أن الشاعر لا يقصد الفكرة الحرة على الإطلاق وإنما يقصد ( فكرة حرة معينة ) هي كما ورد في دائرة معارف لاروس مادة LIBRE ( الفكرة الحرة هي رأي المفكرين الأحرار . والمفكر الحر : هو الذي يفكر ويتحدث في حرية في موضوع الدين ) .

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	الإهداء
٧	المقدمة
١٣	محمد إقبال عند رجال الفكر والدعوة
١٧	محمد إقبال - حياته - شخصيته - فكره - فلسفته
١٩	أسرته وولادته
١٩	نشأته ودراسته
٢٠	نبوغه في الشعر
٢٣	رحلاته
٢٤	وفاته
٢٥	آثاره في الشعر والنثر
٢٧	العوامل التي كونت شخصيته
٤٣	الحقائق التاريخية في شعر محمد إقبال
٦٣	فكر محمد إقبال
٧٦	فلسفة إقبال
٨٣	تفسير اصطلاحات في الديوان
٨٧	الديوان الأول : صلصلة الجرس
٩١	النشيد الإسلامي
٩٣	الشكوى وجواب الشكوى ( حديث الروح )
١٠١	جواب الشكوى
١١١	الديوان الثاني : الأسرار والرموز
١١٥	محتوى الديوان
١١٧	خلاصة المقدمة التي كتبها محمد إقبال للديوان



الصفحة	الموضوع
١١٩	خلاصة مقال الشاعر إلى الأستاذ نكلسون
١٢٠	دوام الذات أو الشخصية
١٢١	تربية الذات
١٢٥	القسم الأول : أسرار إثبات الذات
١٢٧	تمهيد
١٣٣	نظام العالم وتسلسل حياة أعيان الكون
١٣٦	حياة الذات بتخليق المقاصد وتوليدها
١٣٨	الذات تتحكم بالمحبة والعشق
١٤١	الذات تضعف بالسؤال
١٤٣	الذات تسخر قوى العالم الظاهرة والباطنة
١٤٤	نفي الذات من مخترعات الأمم المغلوبة
١٤٧	آراء أفلاطون وأثرها في تصوّف المسلمين وآدابهم
١٤٨	في حقيقة الشعر وانسلاخ الآداب الإسلامية
١٥٣	مراحل التربية الذاتية
١٥٣	المرحلة الأولى : الطاعة
١٥٤	المرحلة الثانية : ضبط النفس
١٥٥	المرحلة الثالثة : النيابة الإلهية
١٦٠	فتى مرو وبغي الأعداء
١٦٢	قصة الطائر الذي أجهده العطش
١٦٣	قصة الألماس والفحم
١٦٤	قصة الشيخ والبرهمي
١٦٧	حياة المسلم لإعلاء كلمة الله
١٦٩	نصيحة مير نجاة لمسلمي الهند
١٧٤	الوقت سيف
١٧٧	دعاء
١٨١	القسم الثاني : رموز نفي الذات

الصفحة	الموضوع
١٨٣	محتوى الديوان
١٨٧	تمهيد : مهداة إلى الأمة الإسلامية
١٩٠	في معنى ارتباط الفرد والأمة
١٩٢	الملة تنشأ من إخلاص الأفراد
١٩٥	أركان الأمة الإسلامية
١٩٥	الركن الأول : التوحيد
١٩٧	التوحيد دواء العلل الخبيثة
١٩٩	محاورة السهم والسيف
٢٠٠	قصة السلطان عالمكير والأسد
٢٠٢	الركن الثاني : الرسالة
٢٠٤	مقصود الرسالة المحمدية
٢٠٥	قصة أبي عبيد وجابان
٢٠٦	قصة السلطان مراد والعمَّار
٢٠٧	الأمة الإسلامية مؤسسة على التوحيد
٢١٠	الوطن ليس أساس الأمة
٢١١	الأمة المحمدية ليس لها حدود زمانية
٢١٤	شريعة الأمة المحمدية القرآن
٢١٦	التقليد في زمن الانحطاط أولى من الاجتهاد
٢١٨	كمال سيرة الأمة من اتباع الشرع الإلهي
٢٢٠	حسن سيرة الأمة من التأدب بالأداب المحمدية
٢٢٢	مركز الأمة الإسلامية البيت الحرم
٢٢٥	مقصد الأمة الإسلامية حفظ التوحيد ونشره
٢٢٨	توسيع حياة الأمة بتسخير قوى العالم
٢٣٠	كمال حياة الأمة أن تشعر بنفسها كالأفراد
٢٣٣	بقاء نوع الإنسان بالأمومة
٢٣٥	سيدة النساء فاطمة الزهراء

الصفحة	الموضوع
٢٣٦	خطاب إلى المرأة المسلمة
٢٣٧	خلاصته مطالب المنظومة في تفسير سورة الإخلاص
٢٤٤	شكوى إلى من أرسل رحمة للعالمين
٢٤٩	الديوان الثالث : رسالة الشرق
٢٥٢	محتوى الديوان
٢٥٣	مقدمة محمد إقبال
٢٦١	القسم الأول : شقائق الطور
٢٧٥	القسم الثاني : أفكار
٣٠٥	القسم الثالث : الخمر الباقية ( غزليات )
٣٢٣	القسم الرابع : نقش الإفرنج
٣٣٧	القسم الخامس : رقائق
٣٤١	اللمعات
٣٦٩	الديوان الرابع : زبور العجم
٣٧١	محتوى الديوان
٣٧٣	تمهيد
٤٠١	الخاتمة
٤٠٣	الديوان الخامس : جناح جبريل
٤٠٦	محتوى الديوان
٤٠٧	القسم الأول
٤٢١	القسم الثاني
٤٦٩	القسم الثالث - في مسجد قرطبة
٤٨٣	النخلة الأولى
٤٨٥	إسبانيا
٤٨٦	دعاء طارق
٤٩٠	لينين أمام الله
٤٩٣	الملائكة تغني

الصفحة	الموضوع
٤٩٣	أوامر الله للملائكة
٤٩٥	في أرض فلسطين
٥٠٣	الفراشة واليراعة
٥٠٤	وصية إقبال لولده جاويد
٥٠٤	تسول
٥٠٥	الملا والفردوس
٥٠٥	الدين والسياسة
٥٠٦	الأرض لله
٥٠٧	رسالة إلى شاب
٥٠٨	نصيحة
٥٠٨	شقائق النعمان في الغاب
٥١٠	كتاب الساقى
٥١٩	الزمن
٥٢١	آدم يغادر جنة عدن
٥٢١	روح الأرض تستقبل آدم
٥٢٣	المرشد والمريد
٥٢٩	جبريل والشيطان
٥٣١	الأذان
٥٣٢	الحب
٥٣٣	رسالة نجم
٥٣٣	إلى جاويد
٥٣٣	الدين والفلسفة
٥٣٤	رسالة من أوربة
٥٣٥	على قبر نابليون
٥٣٦	موسوليني
٥٣٧	سؤال

الصفحة	الموضوع
٥٣٧	إلى فلاح البنجاب
٥٣٨	نادر شاه ملك الأفغان
٥٣٩	حلم تترّي
٥٣٩	وصية خوش حال خان
٥٤٠	الحالة النفسية والظرف
٥٤١	أبو العلاء المعري - سينما
٥٤٢	إلى جماعة بيرزاده في البنجاب - سياسة
٥٤٣	التجدد - الذات - فراق
٥٤٤	الدير - شكوى الشيطان
٥٤٥	دم في الشرايين - الطيران
٥٤٦	معلم المدرسة - الفيلسوف
٥٤٧	الشاهين
٥٤٨	المريد الثائر - آخر وصايا هارون
٥٤٩	إلى عالم النفس - أوربة - الأسد والبغلة
٥٥٠	فكرة حرة - النسر والنملة
٥٥١	فهرس الموضوعات

\*\*\*





ديوان

محمد إقبال  
زبد فیکر

إعداد  
سيد عبد الماجد الغوري

الجزء الثاني

خالد ابن كثير  
(دمشق - بيروت)





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى  
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ  
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ  
الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ  
تُحْمَلُهُ السَّحَابُ  
وَيُنزِلُ مِنْ سَحَابِهِ  
مَاءً بَارِكًا فِيهِ  
لِيَشْرَبَ بِهَبْلَتِهِ  
الْأَنْعَامَ  
وَلِيَجْزِيَ السَّيْرَ  
وَالْحَبْلَ الْمُتَمَدَّ  
وَلِيُنزِلَ مِنَ السَّمَاءِ  
مَاءً مِثْقَالَ ذَرَّةٍ  
فَلْيَنْبُتِ الْوَالِجُ  
وَالْحَبُّ ذَرْبًا  
وَالْحَبْلُ ضَرْبًا  
وَلِيُقَدِّسَ لِيَوْمَ  
الْحُكْمِ  
الَّذِي الْيَوْمَ  
نُفِخُ فِي الصُّورِ  
وَالَّذِي هُوَ يُخْرِجُ  
الْحَيَاةَ مِنَ الْمَوْتِ  
وَالَّذِي يُمْسِكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
أَنْ تَزُولَا  
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ  
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ



دِيَوَان

مجلد اول  
دوبلہ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الطبعة الثالثة

1428 هـ - 2007 م

## جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

# دار ابن كثير

## للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : أدب - الشعر

العنوان : ديوان محمد إقبال 2/1

الإعداد : سيد عبد الماجد الغوري

نوع الورق : شاموا

ألوان الطباعة : لون واحد

عدد الصفحات : 1112

القياس : 24×17

نوع التجليد : كرتونيه

الوزن : 2 كغ

التنفيذ الطباعي : مطبعة ipex - بيروت

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجبالي

ص.ب : 311 - هاتف : 2225877 - 2228450 - فاكس : 2243502

بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 - تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com



الدِّيَّوَانُ السَّادِسُ

ضَرْبُ الْكَلِيمِ  
ضَرْبُ كَلِيمٍ

نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ شِعْرًا  
الدكتور عبد الوهَّاب عزام



هذا الديوان الثالث<sup>(١)</sup> لمحمد إقبال باللغة الأردوية ، نُشر عام ١٩٣٦ م ، ولم ينشر في حياته ديوانٌ بعده ، يشتمل هذا الديوان على آراء ونظرات في الناس جماعات ووحداً وفي الدين والتربية والفنون والأدب والسياسة ، فهو أدخل في الفكر والفلسفة ، ولكن فيه من العاطفة والخيال ما يدخله في الشعر .

وكل حقيقة في هذا الكون أهل أن تدخل في الشعر ، إن صبغتها عاطفة الإنسان ، أو صورها خياله ، وموضوعات الشعر تتوالى من محيط دائرته إلى مركزها ؛ بعضها عند المحيط يدخل في الشعر قليلاً ، ويجاوز ما هو خارج الدائرة . وبعضها أدخل في الدائرة ، وهكذا تتوالى إلى مركز الدائرة ، على قدر نصيب الموضوعات من العاطفة والخيال .

فالكلام في هذا الديوان ( ضرب الكلیم ) شعر يقارب الحقائق المجردة أحياناً ، لكنه في جملة أقرب إلى المحيط منه إلى المركز .

والديوان في جملة ضرب يفجر الماء من الحجر لا موسيقا وغناء ، كما قال إقبال :

كفاحٌ شديد ، وضربٌ شديد فلا تبغ في الحرب عزف الوتر

ومن أجل هذا سمّاه إقبال « ضرب الكلیم » ، رمزاً إلى قصة موسى عليه الصلاة والسلام حين ضرب بعصاه الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً .

فلعل القارئ يقدر حقائقه في معرض من الشعر شفاف أكثر مما يلتمس فيه خيال الشعر وزينته وبهجته .

---

(١) وهو الثالث بالأردوية ، وأما بترتيب الدواوين بالفارسية والأردوية فهو السادس .

## محتوى الديوان

قسّم الشاعر هذا الديوان على ستة أقسام ، وقدم قبلها مقطعتين وقصيدة :  
القطعة الأولى أبيات قدم بها الديوان إلى أمير ولاية بهوفال حميد الله خان ،  
والثانية يخاطب فيها القراء ، والقصيدة سماها تمهيداً .

وهذه أقسام الديوان الستة :

القسم الأول : الإسلام والمسلمون .

القسم الثاني : التعليم والتربية .

القسم الثالث : المرأة .

القسم الرابع : آداب الفنون الجميلة .

القسم الخامس : سياسات المشرق والمغرب .

القسم السادس : أفكار محراب حبل الأفغاني .

وهذه الأقسام مؤلفة من قطع صغيرة بين بيتين وعشرة ، لا تتجاوز العشرة  
إلا قليلاً .

والقسم الأخير منظومة واحدة مقسمة عشرين قسماً تختلف أقسامها أوزاناً  
ووفافي ، ولكن الشاعر جعلها منظومة واحدة وربط بين أقسامها بأعداد متوالية .

وقد نقل هذا الديوان من الأردوية إلى العربي شعراً الأستاذ الدكتور  
عبد الوهاب عزام ، وكتب الأستاذ غلام أحمد برويز لهذا الديوان كلمات قيمة  
يعرّف فيها هذا الديوان ، يقول فيها :

« هذا الديوان الذي نقدم إلى القراء ترجمته ، سماه العلامة إقبال « ضرب  
كليم » . ووصفه بأنه ( إيذان العصر الحاضر بالحرب ) وأرى أنّ هذا الوصف  
لا يخصّ ضرب الكليم ، بل يشمل جانباً كبيراً من رسالة إقبال العظيمة ، فنحن  
إذا قسمنا رسالة إقبال انقسمت إلى قسمين خطيرين :

الأول : ثورة على « الإسلام غير المنزل من الله » وضعه الأعاجم وخيلوا إلى الناس أنه عين الإسلام ، وفرضوه على الأمة التي بُعثت لتمحو ما لا يلائم الدعوة القرآنية . وكان هذا الكيد للإسلام انتقاماً من الهزيمة التي أصابت الأعاجم بسيف المسلمين . فقد علموا أن سرَّ القوة والسطوة في هذه الأمة المجاهدة ، سنن القرآن وعقائده التي تبعث الحياة في النفوس . فكادوا لها ليبعدوها عن القرآن ، ويربكوها في حباله « الإسلام غير القرآني » . وقد أحكموا كيدهم حتى حسب المسلم الغرُّ هذا السراب ماءً . لقد أدخلوا في الإسلام فلسفة اليونان المخدرة ، وخضوع المجوس للسادة ، وشريعة اليهود المعنّية بالصور والأشكال ، كذلك عمدوا إلى هذه الأمة التي كانت شعلتاً من العمل والإقدام ، فجعلوها بالاستسلام واليأس كومةً من رماد .

والقسم الأول من رسالة إقبال نذير الموت لهذا الإسلام غير المنزل ، وبشير الحياة للإسلام القرآني .

\*\*\*

والقسم الثاني من رسالة إقبال احتجاجٌ دائم على هذه الفتن التي تموج بها الحضارة الغربية ، والتي يذهب موجهها بشباب الأمة الإسلامية كما يذهب السيل بالغناء . وضرب الكليم هو إيذان هذه الحضارة بالحرب .

ما حضارة العصر الحاضر ؟ ولماذا يشتدُّ إقبال في معاداتها ؟

لا نعرف جواب هذا السؤال حتى نعلم ما الحضارة الإسلامية .

إنَّ من يتدبر القرآن يتجلّى له أن الإسلام نظام حياة يسمى ديناً . فقد بيّن القرآن للحياة الإنسانية مقاصد ، وحدَّ حدوداً ، وجعل للإنسان الاختيار والاجتهاد غير متعدِّ هذه الحدود وهذه المقاصد ، والحدود لا تتبدل ، فهي حقائق أبدية ، وقيم للحياة خالدة . يتبين من القرآن أنَّ للحياة مظاهر مختلفة متغيّرة ، ولكن لها ينبوعاً واحداً لا يتغير ، وهذا ينبوع أصل هذه الحقائق التي ذكرت آنفاً .



والإيمان بوحدة ينبوع الحياة ، ينبوع الحقائق الأبدية ، يؤدي حتماً إلى هذه النتائج .

( أ ) كلُّ إنسانٍ مودعٌ في فطرته إمكانات الحياة ، وغاية الحياة نموُّ هذه الممكّنات وتجلّيها . وهذه الجواهر الفطرية الخفية إذا نضجت وتألّأت تجلّت ذات الإنسان . وحفظ هذه الذات وخلودها هما غاية سعي الإنسان وجهده .

( ب ) والناس آحادٌ في أخوةٍ شاملةٍ عامّة ، لا تحدها الأوطان ، والأقوام ، واللغات .

( ج ) ثم فلاح النوع الإنسانيّ في أن يمضي في الحياة على شريعةٍ واحدة ، يتلقى بالوحي ، وهو اليوم محفوظ بين دفتي القرآن تحت هذه السماء . في الإسلام نظامٌ للمعايش محكم ، قائم على هذه القواعد المحكمة . يمضي الإنسان به على سنن التقدّم والترقي ؛ حتى يبلغ في مراحل الكمال سدرة المنتهى .

واليك خصائص هذا النظام :

( أ ) في هذا النظام يستطيع كلُّ فردٍ في الجماعة أن يمثل في نفسه الصفات الإلهية التي يسمّيها القرآن « الأسماء الحسنى » . وهي ينبوع القيم الدائمة في الكائنات .

( ب ) وتستحكم نفس الإنسان فيستطيع أن يوازن بين هذه الصفات كلها ، فقد وصفت الأسماء بأنها الحسنى . ولا يكون الحسن بغير اعتدال وتناسب .

( ج ) وتتجلّى في الإنسان بصيرة يصعّبُ بها حكمه ، ويستقيم رأيه ، فيعلم أيّ هذه الصفات الإلهية تقابل أيّ الحوادث الخارجية التي تنتابه .

( د ) ثم يبدو في الجماعة - التي تؤلفها أفرادٌ من هذا القبيل - قدرةٌ على تسخير عالم الطبيعة ، وصلاحيّةٌ للانتفاع بهذا التسخير في فلاح الإنسان وسعادته .

( هـ ) وبالإيمان المحكم بوحدة الخالق ، ووحدة الكائنات ، ووحدة الأمة

وائتلافها تتوافق الأضداد الظاهرة بين الإنسان والكائنات ، وبين الإنسان والإنسان ، وبين الإنسان ونفسه ، فيزول التنافر والاضطراب عن الجماعة الإنسانية .

( و ) ثم يرى كلُّ واحدٍ في هذه الجماعة نفسه مظهراً للصفة الإلهية « رب العالمين » ، فيقوم على الإنسانية بالحق والعدل غير راجٍ أجراً ، ولا عوضاً . فتيسر لوحدان الجماعة ضروريات الحياة ، وتنمو فيهم القوى الفطرية ، وتذلل لهم الوسائل والأسباب أبداً .

\*\*\*

هذه خلاصة المدنية القرآنية في كلماتٍ قليلة . وعلى عكسها المدنية الحاضرة . فهي تناقض هذه الأصول كلَّ المناقضة .

هذه المدنية قائمة على هذه الفلسفة : إنَّ الحياة تنشأ من اجتماع العناصر ، المادية اتفاقاً ، وتفنى بتفرُّق هذه العناصر . والدنيا هي دنيا هذه العناصر المادية التي يتغيَّر فيها كلُّ شيء ، فليس فيها قيم دائمة ، وليس فيها قانون لمكافأة الأعمال . والخير ما يجلب لواحد أو جماعة نفعاً خاصاً ( ولو كان في هذا هلاك آحادٍ ، أو جماعاتٍ أخرى ) . والشَّرُّ ما يضرُّ واحداً أو جماعة . وكل أمل هؤلاء الوحدان والجماعات في الحياة أن تجرَّ إلى أنفسها منفعةً . وعمل العقل والعلم أن يهيئ الأسباب والوسائل أو الحيل والمكائد لتحصيل هذه المنفعة .

ونتيجة هذه الفلسفة ( مدنية العصر الحاضر ) في الأفراد : أن في كلِّ ستَّةٍ من تلك الأفراد فرداً يختلُّ عقله ، فيرسل إلى مستشفى المجانين ، كذلك دَلَّ إحصاء أهل الغرب أنفسهم . ونتيجة هذه الفلسفة في الجماعات : أن أمم العالم في شغلٍ بالقتل ، وسفك الدماء ، والتدمير ، أو بالاستعداد للقتل ، والسفك ، والتدمير .

\*\*\*

أنعم إقبال النظر في فلسفة الحياة ، ونظريات السياسة وال عمران عند الأمم الغربية ، فتجلت له هذه الحقيقة : إنَّ هذه الفلسفة ، وهذا المنهاج في الحياة يجعلان هذه الدنيا جهنم لا محالة .

وإلى هذا كشف له السنن القرآنية حقائق الحياة حتى رأى البروق الكامنة في الشحب ، والعواصف المضمرة في الرياح .

هذا النظر حفز إقبالاً إلى أن يحذر الغرب ، فيقول للغربيين سنة ١٩٠٥ م :  
« ستقتل حضارتكم نفسها بخنجرها . لا يثبت العرشُ على غصنٍ رطبٍ ضعيفٍ مضطرب » .

ولم يأل إقبال جهداً ، منذ ذلك الحين إلى آخر لمحات حياته ، في أن يحذّر الناس عامّةً والأمم الإسلامية خاصّةً من هذه الحضارة الشيطانية ، ويخوفهم عواقبها .

\*\*\*

وهذه طائفة من النذر ، اسمها « ضرب كليم » يكتبها إقبال بعد أن يحطم كلّ أصنام العصر الحاضر ، ولكنه لا يكتفي بأن يبطل سحر الفرعونية ، والهامانية ، والقارونية<sup>(١)</sup> ، بل يهدي هذه الأمة في نور القرآن إلى الأودية المباركة من سينا ، وفاران ، حيث تفيض البركة من ينابيع الأرض ، وينزل الخير من السماء .

هذا ما يتعلق بـ « ضرب كليم » . ويجدر بنا الآن أن نبرز نقطة من الأهمية بمكان في دراسة إقبال بوجه عام ، وهي : أنّ شعر إقبال حافل بكلماتٍ معينة ، عربية وفارسية ، لم يقصد إلى مدلولها اللغوي ، إنما استخدمها كاصطلاحات من وضعه هو . إذ لا يتأتى لأحد أن يتبين ما يرمي إليه الشاعر ما لم يكن ملماً بحدود تلك المصطلحات الخاصّة ، مثل « علم وعشق ، ذكر وفكر ، خبر

---

(١) يعني : صفات فرعون ، وهامان ، وقارون .

ونظر ، سوز وساز ، أو درويش وقلندر ومردخُر « وأخرى غيرها . ومع أنّ كلّ واحدة من تلك الاصطلاحات لها أهميتها إلا أن من بينها اصطلاحاً هو بمثابة المحور لفكر إقبال ، المحور الذي حوله يدور شعره كله ، ألا وهو « خودي = الذاتية » . لقد كان هذا اللفظ يستعمل عندنا ( بالأردوية ) من قبل بمعنى الكبرياء والغرور ( الأنانية ) لكن إقبالاً أفاض عليه معنى خاصاً مغايراً للمعنى القديم الذي لم يلبث أن اختفى في أيامنا هذه أمام مزاحمه الجديد .

فماذا يعني إقبال بـ « خودي » ؟ .

إنّ الإجابة عن هذا السؤال تأتي إلا البسط والتفصيل ، لأنّ فلسفة إقبال هي فلسفة « خودي » سواء بسواء ، بحيث لا يمكن الإحاطة بمغزى هذا الاصطلاح بدون استعراض فلسفته برمّتها . وليس هذا مقام التفصيل والإطناب ، إلا أنه نظراً إلى تكرار وجود هذا الاصطلاح في « ضرب الكلم » يتحتم علينا أن نعرّفه تعريفاً خاطفاً بكلمة موجزة قدر الإمكان :

هل شخصية الإنسان ووجوده الفردي ، أو بعبارة أخرى « أنا » حقيقة مستقلة ، أم هي من نسج الخيال فقط ؟ هذا هو السؤال الذي قلّمنا أغفل مفكرو أية أمة من أمم العالم الإجابة عنه . فذهب أفلاطون ومن ورائه حكماء إيران والهند ، إلى أن الكون لا يتمتع إلّا بالوجود الكلّي ، وأنّ ذات الإنسان ( شخصيته أو « أنا » ) وهم وخدعة لا غير . ثم إنّ هذه الخدعة إنما تستمد القوة من العمل الذي هو بدوره ينشأ من الرغبة . فالطريق إلى التخلص من هذه الخدعة هو أن يتدرّج الإنسان من ترك الرغبة إلى ترك العمل ، لكي يتلاشى حجاب ذات الإنسان في بحر الوجود الكلّي . وفناء الذات هذا هو النجاة والغاية من الحياة . فهذه هي فلسفة الحياة التي ظهرت وانتشرت بيننا باسم نظرية وحدة الوجود والتي حوّلت المسلمين من أمة دائبة في العمل إلى جمادٍ لا حراك به .

وقد عُني إقبال بتفنيد فلسفة الحياة هذه ، ومعارضتها بضدها أعني فلسفة « خودي » ، وتتلخص هذه الفلسفة الأخيرة في أن الوجود ليس كلياً يشمل

الكون من حيث المجموع ، بل هو فردي يخصُّ جميع الموجودات كُلاً على حدة ، حتى أن الله أيضاً فرد ، وإن كان متميزاً عن سائر الكون في طبيعة وجوده الفردي الخاص . فـ « خودي » عبارة عن أسمى صورةٍ للحياة الفردية التي بها تتشكَّل شخصية الإنسان ، ووجوده المستقل . وعلى هذا فالغاية من الحياة الإنسانية هي إثبات « خودي » لا سلب الذات . ويعتقد إقبال : أن الإنسان كلما تشبه بذلك الفرد الكامل العزيز الوجود ( الذي يطلق عليه « أنا » المطلق أو الله ) أصبح هو نفسه منفرداً عزيز الوجود ، وذلك بما يسمى بتقوية « خودي » وإحكامها . و« التشبه بالله » إنما يعني استمرار الإنسان في التحلِّي بصفات الله إلى أن يتم بذلك جذب « أنا المطلق » في نفسه ( نفس الإنسان ) . والمحك الذي يكشف عن قوة « خودي » وضعفها هو مدى تغلب الإنسان على الموانع التي تعترض سبيله في الحياة ، ولا يخفى أن أعظم تلك الموانع هي المادة ، ولكن لا يفهم من هذا أن المادة شرٌّ يستوجب الابتعاد والنفور منه ، فإنها ليست شراً ، إنما هي وسيلة لإيقاظ الهمم ، وإبراز قوى الإنسان من مكانها .

واحتناك الموانع والعوائق ، وتغلب الإنسان عليها يصل بـ « خودي » إلى أن تستطيع الصمود حتى لصدمة الموت - الأمر الذي ييسر لها الحصول على الحياة الخالدة . فكلُّ عملٍ يؤدي إلى تقوية « خودي » خير ، كما أن كلَّ عملٍ يؤدي إلى إضعافها شر .

وبيين إقبال المراحل المختلفة لارتقاء « خودي » فيقول : إنَّ المرحلة الأولى هي ( خلق المقاصد ) أو ( توليد الرغبات ) ، فإنَّ الرغبات والأمانى هي عين الحياة وأصل القوة من حيث إنَّها تحرك وتدفع إلى العمل . والمرحلة الثانية لخلق المقاصد هي مرحلة الجهاد المتواصل لتحقيق تلك المقاصد ، والحماس للحصول على المقاصد والسبق إلى الغايات هو ما يسمَّى بـ « العشق » في عرف إقبال . ثم إنَّ هناك ثلاثة شروط للنجاح في هذا الجهد : أولها الطاعة ، أعني : الانقياد التام لأوامر الله ، وذلك يستلزم إنشاء مجتمعٍ على النظام الذي جاء به

القرآن . وينتج من الطاعة ضبط النفس ؛ الذي هو الشرط الثاني للنجاح . وليس المراد بضبط النفس القضاء أو الضغط على الشهوات ، بل مجرد « كظمها » أي : تغيير مجراها ، وتحويل وجهتها ، بحيث يتم التوازن بينها ، ذلك التوازن الذي يتجلى بأكمل وجه في الذات الإلهية الجامعة لصفات متضادة متعادلة للغاية .

وإذا تمّ تطهير الفكر والعمل ، وتهذيب النفس على النحو الذي تقدّم ، وصل الإنسان إلى المقام الذي يسمّيه إقبال « نيابة الله » . وذلك هو الشرط الثالث . وإنما يعني إقبال بـ « نيابة الله » القوة التنفيذية التي تتولى إجراء حدود الله ( أحكام القرآن ) في العالم . ( ولا تعني نيابة الله الحلول محلّ الله ؛ لأن ذلك يستلزم خلوّ المحل ، وانعدام شاغله أولاً ) .

هذا المقام هو « مقام المؤمن » والمقام الذي يؤكد إقبال أنه يمثل آخر مدى قوة « خودي » واستحكامه . إذا انتهى الإنسان إلى هذا المقام غلب هو على الدنيا ، ولم تغلب الدنيا عليه - الحال التي تسمّى في عرف إقبال « الفقر ( حال الدرويش أو القلندر ) » وهي عبارة عن تسخير جميع الكون ، ثم الاستغناء عنه بحيث يكون الإنسان مظهراً لتلك الصفة من صفات الله التي ذكرها بقوله « الصمد » و« غني عن العالمين » . والجماعة التي تنتظم أفراداً هذه حالهم هي الأمة المسلمة . وأقصى ما تهدف إليه رسالة إقبال هو البعث الجديد لهذه الأمة التي قيل عنها :

ميان امتان والامقام است كه آن امت دو كيتي را امام است  
نياسا يد زكار آفرينش كه خواب و خستكي بروي حرام است

( إنها تعلو فوق الأمم ؛ لأنها أمةٌ نيطت بها الإمامة في الدنيا والآخرة فهي لا تني عن مواصلة أمور الخلق ؛ لأنّ النوم والتعب محرمان عليها ) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] وقيل عنها أيضاً :

« ياغان عندليبي خوش صفيري براغان جره بازي زودكبري  
أمير أو بسطاني فقيري فقير أو به درويش أميري  
( إنها في البساتين عندليبُ حسن التفريد ، وفي الصحارى باز خفيف سريع  
الانقراض ، الأمير فيها فقير على الرغم من كونه سلطاناً ، كما أنَّ الفقير فيها  
أمير على الرغم من كونه درويشاً )<sup>(١)</sup> .

﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

---

(١) قام بترجمة هذه الكلمات من الأردوية الأستاذ الدكتور محمد يوسف ( المدرس بكلية  
الأداب بجامعة القاهرة ) .

فَطْرَهُ الحُرَّ لَا تُطِيقُ مُقَاماً      فائلف السيرَ دائباً كالنسيم  
ألفُ عَيْنٍ تَشُقُّ صَخْرَكَ فاضرب      بَعْدَ غَوْصٍ فِي (الذَّاتِ) ضَرْبَ الكَلِيمِ



## إلى القارئ

إذا لم تُصب في الحياة النظر فليس زجاجك كُفءَ الحجر<sup>(١)</sup>  
كفاحٌ شديدٌ ، وضربٌ شديد  
معيّنُ الحياة دمَاءُ القلوب ولحنُ الدِّمَا لا المِياهِ الفِطَرِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

---

(١) أنت بالنظر الصائب صلبٌ تطيق الصدام في الحياة ، وإن لم يصب نظرك كنت كالزجاج لا تقوى على الصدام .

(٢) لحن المِياه يستخرج من أوان تصف ، ويوضع فيها الماء مقادير مختلفة على نسب محددة ، ويضرب عليها . وهذه تسمى « جل ترنك » أي : لحن الماء . فقال الشاعر : إنَّ الفطرة لحن دم ، لا لحن ماء . يعني : أن أنغامها تنبعث من دمء الناس ، لا من المِياه .

## تمهيد

( ١ )

يَقْظَةُ « الذات » لا أراها بدَيْرٍ      لا ولا تُجْتَلَى لَدَى المِحْرَابِ  
 إِنَّ رَوْحَ الشُّعُوبِ فِي الشَّرْقِ غَافٍ      من سُمُومِ التَّرِياقِ ، رَهْنُ غِيَابِ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّ تَضِيقَ بِالْجِهَادِ فِي الأَرْضِ ذَرَعاً      فَحَرَامٌ مَسْرَاكُ فَوْقَ السَّحَابِ<sup>(٢)</sup>  
 لَيْسَ مِنْ خَيْفَةِ المَمَاتِ نَجَاةٌ      إِنَّ تَر ( الذات ) هَيْكَلًا مِنْ تَرَابِ<sup>(٣)</sup>  
 لَيْسَ يُخْفِي صُرُوفَهُ الدَّهْرُ لَكِنْ      لَكَ قَلْبٌ وَنَاطِرٌ فِي حِجَابِ  
 قَدْ مُنِحَتْ الهَشِيمَ فِي آسِيَا إِذْ      أَنْ نَارِي حَديدَةٌ فِي التَّهَابِ<sup>(٤)</sup>

( ٢ )

ذَنْبُ إِقْبَالِ البِيَانِ وَإِنْ كَانَ      شِبِيَةَ الزَّمَانِ نَزَرَ الوَصَالِ<sup>(٥)</sup>  
 هَاجَ أَنْعَامُهُ عَكُوفاً عَلَى الخَشْخَاشِ مَوْتَى ، إِلَى طَلَابِ المَعَالِي  
 فَمَهِيضُ الجَنَاحِ أَلْفُ دَارٍ      قَدْ رَنَا اليَوْمَ لِلْفَضَاءِ العَالِيِ<sup>(٦)</sup>  
 فَعَدَاهُ التَّغْرِيدُ فِي الأَسْحَارِ      وَحِينَئِذٍ وَتَمْتَعَةُ الأَبْصَارِ<sup>(٧)</sup>

(١) الترياق : الأفيون .

(٢) يقول : إن لم يستطع الإنسان المجاهدة على هذه الأرض ، فاشتغاله بالفلك ، وما وراءه حرام .

(٣) يرى إقبال أن الحياة الخالدة بقوة الذات . فمن حسب ذاته تراباً كالجسم لم يخلص من خشية الموت .

(٤) ناري شديدة الالتهاب ، فأنا قادرٌ على إحراق هشيم آسيا ؛ أي أممها التي هي كالهشيم ؛ أي إزالة مفاسدها وإعدادها للحياة .

(٥) إقبال قليل المخالطة للناس ، ولكن بيانه سائر فيهم .

(٦) إقبال دعا إلى طلاب المعالي العاكفين على الأفيون حتى طمحت الطير الداجنة كسيرة الجناح إلى عنان السماء لتطير .

(٧) دعاء على إقبال بأن يحرم مما يحب من التغريد . . إلخ جزاء إيقاظه الغافلين .



القسم الأول

الإسلام والمُسلمون



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الصبح

لكنما الصبحُ الذي ارتجَّت له      يُدعى بيومٍ أو غدٍ في الأزمنِ  
إنَّا لنجهلُ مطلعَ الصُّبحِ الذي      ظلَّمُ العوالمَ ، من أذانِ المؤمنِ

\*\*\*

### لا إله إلا الله (١)

مُنْتَسِرٌ في الذاتِ معنَى بعيدٌ	سُرُّهُ	لا إِلَهَ إِلا اللهُ
سيفُ الذاتِ قاطعٌ غيرُ نابٍ	شَحْدُهُ	لا إِلَهَ إِلا اللهُ
عصرنا يبتغي خليلاً حَطوماً	وُثْنُهُ .	لا إِلَهَ إِلا اللهُ (٢)
إنَّ دنيَاكَ مَوثَنٌ لا تصدِّقُ	زوره .	لا إِلَهَ إِلا اللهُ
في متاعِ الغرورِ تسعى وتبغي	ربحه !	لا إِلَهَ إِلا اللهُ
يا أسيرَ الخسارِ والربحِ ينسى	نفسه !	لا إِلَهَ إِلا اللهُ
مالُ دنيَاكَ والبنونُ خداعٌ	كلُّهُ .	لا إِلَهَ إِلا اللهُ
هي أصنامٌ واهمٌ قد براها	وهمُّهُ .	لا إِلَهَ إِلا اللهُ
حبسَ العقلَ في مكانٍ ووقتٍ	كفرُهُ .	لا إِلَهَ إِلا اللهُ
لا زمانٌ ولا مانٌ فحطَّم	غلُّهُ .	لا إِلَهَ إِلا اللهُ

\*\*\*

(١) بنى الشاعر هذه الأبيات على كلمة التوحيد بلفظها العربي فجهدت في الملاءمة بينها وبين الوزن وجعلتها ردفاً وبنيت الروي قبلها على الهاء غير ملتزم حرفاً آخر .

(٢) الوُثْنُ : جمع وثن ، والموثن : مكان الأوثان .

## الاستسلام للقدر<sup>(١)</sup>

من القرآن قد تركوا المساعي      وبالقرآن قد ملكوا الثرى  
إلى (التقدير) ردّوا كلّ سغي      وكان زماغهم قدراً خفياً  
تبدّلت الضمائر في إساير      فما كرهوه صار لهم رضىاً

\*\*\*

## المعراج<sup>(٢)</sup>

وذرة طار فيها الشوق صاعدة      تُغيّر في عرصات الشمس والقمر  
يارفقة المريج ا تلقى الصقر مقدمة      دُراجة تملأ الأنفاس من شرر  
المسلم السهم ، والأفلاك غايته      سرائر الرّوح في المعراج فأذكر<sup>(٣)</sup>  
جهلت **﴿ والنجم ﴾** أسراراً فلا عجب      ما زال مدك محتاجاً إلى القمر<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) يقول إقبال في هذه الأبيات : إنّ المسلمين احتجوا بالقرآن في القصور عن السعي ، ومن هذا القرآن نفسه ملك المسلمون الآفاق . وقد ركنوا اليوم إلى القدر وكان عزمهم من قبل قدراً . والحق أنّ العبودية بدلت النفوس ، فأروا حسناً ما كان عندهم قبيحاً .
- (٢) الذرة التي يملؤها الشوق تعلقو على الشمس والقمر ، والدُراجة إذا ملأ صدرها الحماس قاتلت الصقر ، فإنما القوة الحق قوة الروح ، لا شيء يستعصي عليها .
- (٣) يريد أن في المعراج سرّ الروح . وهو رمز إلى أنّ المسلم سهم هدفه الفلك .
- (٤) جهلت أسرار الآيات في أول سورة النجم ، التي يذكر فيها الوحي ، وتقريب الرسول إلى ربه . وليس جهلك عجبياً ، فإن نفسك لم تكمل ، ولا تزال خاضعة لما يؤثر فيها محتاجة إليه ، كما يحتاج البحر إلى القمر في مدّه .

## إلى سيد مصابٍ بالفلسفة

لو لم تُؤَلَّ « ذَاتَكَ » النسياناً  
أصداف ( هيكل ) من الخوالي  
فكيف صاح تُحكّم الحياةُ  
وطلّب الإنسان للثبات  
يحوّل الدُّجى إلى الإشراق  
وإنني في الأصل سُومناتي  
وأنت من أولاد هاشميين  
في عَصَبِي فلسفةُ الأشياء  
أحاط إقبالٌ بها تفصيلاً  
عاقبةُ العقل إلى شتاتٍ  
ونعمةُ الأفكار دون صَوْتِ  
الدِّينِ في حياتنا تقويم  
( قلبك فاربط بالهدى المحمدي  
إن تك بالطريق غير داري

لم تَحْمِلَنْ زُنَّارَ ( بَرُوجَسَانَا )<sup>(١)</sup>  
طَلَسَمَهُ جميعه خيالي  
وكيف تجتازُ الزمانَ ( الذاتُ ) ؟  
وقصدُه دستور ذي الحياة ؟  
أذانُ مؤمِنِي نِدا الآفاق  
إلى مَناءَ سَلَفِي واللاتِ<sup>(٢)</sup>  
وطيتتي من نسلِ بَرُهَمِي  
قد مُزِجَتْ بطيتتي ومائي  
وإن يكن عرفانُه قليلاً  
فلسفةُ بُعدٍ من الحياة  
للذّة الأعمال حادي الموت  
الدِّينِ أحمدٌ وإبراهيمُ  
« أبا علي » اتركُنْ يابن علي  
فالقُرشيُّ اتبَعه لا البخاري<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

- (١) برجسون : فيلسوف فرنسوي ، ويلفظ اسمه في الهند بركسان ، وهيكل : فيلسوف ألماني .
- (٢) سومنات : معبد كبير في الهند هدمه السلطان محمود الغزنوي حينما فتح الهند ، ويشيده الهنادك اليوم . واللات ، ومناة من أصنام العرب .
- (٣) هذان البيتان من شعر الخاقاني في « تحفة العراقيين » وأبو علي والبخاري في البيتين : ابن سينا .



## الأرض والسماء

صاح عَلى الذي رأيتَ ربيعاً      هو في أعين خريف الزمان  
سالك النهج اكل حين شؤون      لا تفكر في الربح والخسران  
رُب ما خلته بدنياك أوجاً      هو أرض لعالم غاب ثان

\*\*\*

## اضمحلال المسلمين

إن كان ذا الذهب الذي      يقضي الحوائج في الدنى  
فالفقير صاح ميسر      ما لا يسره الغنى  
شبان قومي لو تحلوا      بالشجاعة ديدنا  
لم تُلَفَ صغلكي أقل      من الملوك تصوننا  
الأمر ليس كما زعمت      وقد وصفت المؤمنا  
فزعمت أن طمأحه      من قلة المال انثنى  
إن كان في الدنيا بدا      لي جوهراً فيه سنا  
فمن التصغلك قد بدا      لا بالخزائن والقنى

\*\*\*

## العلم والعشق

قان لي العلم غروراً :      إنما العشق جنون  
قال لي العشق مجيئاً :      إنما العلم ظنين  
لا تكن سوس كتاب      يا أسيراً للظنون  
فمن العشق شهود      ومن العلم حجاب  
من لهيب العشق نارث      ثورة في الكائنات

وشهوْدُ ( السَّدَاتِ ) للعِشْقِ ، وللعَلَمِ الصَّفَاتِ  
 وَمِنَ العِشْقِ ثَبَاتٌ وَحَيَاةٌ وَمَمَسَاتُ  
 عَلِمْنَا سُؤْلَ جَلِيٍّ عِشْقُنَا خَافِي الجَوَابِ  
 مَعْجَزَاتُ العِشْقِ مُلْكٌ زَانَهُ فَقَرٌّ وَدِينِ  
 وَعِيْدُ العِشْقِ أَدْنَا هَمٌ لَهُ عَرْشٌ مَكِينِ  
 وَمِنَ العِشْقِ زَمَانٌ وَمَكَانٌ وَمَكِينٌ (١)  
 إِنَّمَا العِشْقُ يَقِينٌ وَيَسَهُ يَفْتَحُ بَابَ  
 أَلْفَةِ المَنْزَلِ فِي شَرْعِ مَنَ الحُجْبِ حَرَامِ  
 خَطَرُ البَحْرِ حَلَالٌ رَاحَةُ السَّرْبِ حَرَامٌ  
 خَفَقَةُ البَرْقِ حَلَالٌ وَفِرَةُ الحَسْبِ حَرَامٌ (٢)  
 عَلِمْنَا نَسْلُ كِتَابِ عِشْقُنَا أُمَّ الكِتَابِ

\*\*\*

## اجتهاد

حَكْمَةُ الدِّينِ كَمَا قَدْ زَعَمُوا  
 مَا بَهَا لَذَّةٌ سَعِيٍّ دَائِبِ  
 أَيْنَ مِنْهُمْ جُرْأَةُ العَقْلِ لَدَى  
 آهٍ لِلتَّقْلِيدِ وَالأَسْرِ بِمَا  
 عَلَّمَتْ فِي الهِنْدِ مِنْ أَيِّ طَرِيقِ؟  
 لَا وَلا فِيهَا مِنْ الفِكْرِ العَمِيقِ  
 مَخْفَلٍ يَهْفُو إِلَى الفِكْرِ مَشُوقِ  
 أَلْفَسُوهُ وَزَوَالِ التَّحْقِيقِ

(١) يستعمل كثيراً في الآداب الإسلامية غير العربية كلمة مكين مع مكان . ويراد بها من يحل في المكان .

(٢) الحب لا يرضى القرار ففي شرعه ألفة المنزل حرام ، وحلال ركوب الخطر في البحر ، وحرام الدعة على البر . وخفقة البرق التي تحرق اليبدر حلال ، ووفرة الحب ؛ أي : الجمع والادخار وحب السلامة حرام . وذكر البرق واليبدر شائع في الشعر الفارسي والأردني .

بَدَّلُوا الْقُرْآنَ لَا أَنْفُسَهُمْ كَمَ فَقِيهِ مُبَعَدٍ مِنْ تَوْفِيْقٍ (١)  
وَكَفَى الْقُرْآنَ نَقْصاً أَنَّهُ مَا هَدَى الْمُؤْمِنَ مِنْهَا جَ الرَّقِيقِ (٢)

\*\*\*

## شكر وشكوى

لَكَ الْحَمْدُ إِنِّي عَبْدٌ جَهْلٌ وَلَكِنْ وُصِّلْتُ بِسِرِّ الْغِيُوبِ  
مَنْخَتْ الْقُلُوبِ هِيَاماً جَدِيداً أَثَرْتُ الْبَعِيدَ بِهِ وَالْقَرِيبَ  
وَمِنْ حَزٍّ شَدْوِي يُرَى فِي الْخَرِيفِ طَرُوباً بِصَحْبَتِي الْعَنْدَلِيبِ  
وَلَكِنْ خُلِقْتُ بِأَرْضٍ بِهَا نَفُوسٌ الْعَبِيدِ بِرِقِّ تَطِيبِ

\*\*\*

## الذكر والفكر

ذَانِ لِلسَّالِكِ الطَّمُوحِ مَقَامٍ نَزَلَتْ فِيهِ «عَلَّمَ الْأَسْمَاءَ» (٣)  
وَمَقَامِ التَّفْكِيرِ قَوْلُ ابْنِ سِينَا وَمَقَامِ الْعَطَّارِ بِالذِّكْرِ ضَاءً (٤)  
وَالذِّكْرِ «سَبْحَانَ رَبِّي» وَالْفَكْرُ يُقَيِّسُ الزَّمَانَ وَالْأَرْجَاءَ (٥)

\*\*\*

- 
- (١) كرر إقبال هذا المعنى في شعره ، يقول : إن النفوس قد ضعفت ، فأولت القرآن تأويلاً يلائم ضعفها إشفاقاً من تكاليفه .
  - (٢) يعني أن الذين بدلوا القرآن المذكورين في البيت السابق لم يجدوا في القرآن طريقاً إلى العبودية التي سكنوا إليها ، فحسبوا القرآن ناقصاً .
  - (٣) الآية : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [ البقرة : ٣١ ] .
  - (٤) في الأصل : العطار والرؤمي ؛ أي : فريد الدين العطار ، وجلال الدين الرومي ، وهما من كبار شعراء الصوفية .
  - (٥) الذكر يتصل بالحقيقة الإلهية ، والفكر في شغل بقياس الزمان والمكان .

## شيخ الحرم

يَخْفَى عَلَيْكَ مَقَامُ آدَمَ فِي الْوَرَى      فَالْنَفْسُ مَا نَالَ الْإِلَهَ وَصَالَهَا<sup>(١)</sup>  
مَا فِي أذَانِكَ مِنْ صَبَاحِي دَعْوَةً      أَوْ فِي الصَّلَاةِ جَمَالَهَا وَجَلَالَهَا

\*\*\*

## (٢) القدر

رَبِّمَا يَبْلُغُ اللَّثِيمُ مُنَاهُ      وَيُنَالُ الْكَرِيمَ ضِيمُ الزَّمَانِ  
عَلَّ فِي مَنْطِقِ الْقَضَاءِ خِفَاءً      وَيُرَى دُونَ مَنْطِقِ فِي الْعِيَانِ  
عَلِمَ النَّاسُ ذِي الْحَقِيقَةَ طُرّاً      وَجَلَاهَا التَّارِيخُ كُلَّ أَوَانِ  
نَحْوَ مَسْعَى الْأَقْوَامِ يَرْنُو الْقَضَاءُ      نَظْرَةً كَالْحُسَامِ فِيهَا مَضَاءُ

\*\*\*

## التوحيد

قُوَّةٌ كَانَ فِي الْحَيَاةِ عَلَى الْأَرْضِ      فَصَارَ التَّوْحِيدُ عِلْمَ الْكَلَامِ  
رَدَّهُ فِي الْفِعَالِ غَيْرَ مَضِيءٍ      جَهَلْنَا الْيَوْمَ مَا لَنَا مِنْ مَقَامِ  
قَائِدَ الْجَيْشِ ! قَدْ رَأَيْتُ غُمُوداً      مِنْ « هُوَ اللَّهُ » مَا بِهَا مِنْ حُسَامِ<sup>(٣)</sup>

(١) يخفى عليك مقام الإنسان ، ولهذا أخذت إلى الأرض فلم تصل إلى الله .

(٢) يقول إقبال في هذه الأبيات : إن القضاء يبدو غير تابع للمنطق ، ولعل له منطوقاً خفياً ، وعلى كل حال نرى حقيقة لا جدال فيها ، هي أن عين القضاء تنظر إلى مساعي الأمم ، فتقضي فيها على قدر مساعيها .

(٣) رأيت غموداً ليس فيها حسام من التوحيد ، وفي الأصل : من « قل هو الله » أي قل هو الله أحد .

ما درى الشيخُ أنّ توحيدَ فكرٍ      دونِ فعلٍ ، يُعدُّ لغوَ كلامٍ<sup>(١)</sup>  
يا إماماً لركعةٍ كيف تدري      في الوَزي ما إمامةُ الأَقومِ ؟

\*\*\*

## العلمُ والدين<sup>(٢)</sup>

العلمُ يخلقُ إبراهيمَ موثته      إذا تراه نديمَ القلبِ والنَّظيرِ  
هذي الحياةُ وهذا الكونُ ، ما يُدلا      ما مُحدثٌ وقديمٌ قولٌ ذي بصرِ  
ما يُحسنُ المرجُ تربيبَ الزُّهورِ إذا      لم تشركِ النَّسماتُ الطَّلَّ في الزَّهرِ  
العلمُ إن لم يُضِفِ نجوى الكليمِ إلى      رأيِ الحكيمِ فما للعلمِ من قَدَرِ

\*\*\*

## المسلمُ الهندي

قال البَرَهْمَنُ : خائنٌ أوطانه      والإنكليزُ تقول : هذا مجتدي  
وَبُيُوءَةُ البَنَجابِ قالت : كافر      مستمسكٌ بقديمه لا يهتدي<sup>(٣)</sup>  
أَيَّانَ صوتُ الحَقِّ يعلو هاهنا ؟      ويلٌ لقلبي في الصِّراعِ المُجهدِ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) لا يفيد توحيد الأفكار دون توحيد الأفعال ، فإنَّ ثمرة وحدة الفكر وحدة العمل .  
(٢) العلم وحده عاجز مُضِل حتى يتَّصل به القلب ويصاحبه الإيمان ، ويهديه العشق . فإن كان كذلك خلق هو إبراهيم ليحطم أوثانه التي يصنعها . هذا شأن الحياة ، لا قديم فيها ولا حديث ، والعلم والبصيرة أو العقل والقلب كالطَّل والنسيم لا بدَّ من اشتراكهما في تربية الزهر .  
(٣) نبوة البنجاب يقصد بها من ادعى النبوة ( هو مرزا غلام أحمد القادياني ) .  
(٤) هذا الشطر مضمن في الشعر ، وقد جاء في الأصل بلفظ فارسي .

## على ذكر الإذن بحمل السيف<sup>(١)</sup>

أيها المسلم تَذري اليومَ ما هو مصراعٌ من البيت الذي وأرى مصراعه الثاني في أنتَ يا مسلمٌ - إن تظفر به -

قيمةُ الفولاذ والعَضْب الذَّكَر مضمراً فيه من التَّوْحِيدِ سِرِّ سيفٍ فَفَرٍ تحتويه كَفٌّ حُرِّ خالداً أو حيدرٌ يومَ المَكْر<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## الجهاد<sup>(٣)</sup>

الشيخُ أفتى أَنَّهُ عصرُ القلم أما دَرى الشيخُ بأنَّ وعظهُ فما ترى السِّلَاحَ كَفٌّ مسلمٍ مَنْ قلبه يهابُ مَوْتَ كافرٍ فعَلَّمَنْ تركَ الجهادِ طاغياً أما ترى الغربَ بدأ مُدَجَّجاً يا مُفتياً على الكنيسِ مُشفقاً الحربُ في المشرقِ شرٌّ داهمٌ

ما السيفُ فيه حاكمٌ بين الأممِ في مسجدٍ قد صار من لَعْوِ الكَلِمِ؟ بل قلبه من لَذَّةِ الموتِ حُرِّم فكيف ميتةُ الشَّهيدِ يَغْتَنم<sup>(٤)</sup>؟ مِنْ كَفِّهِ يَسِيلُ في العالمِ دَم ليحفظَ الباطلَ في عِرْزِ عَمَمٍ؟ قد حارَ في أحكامِهِ أولو الفَهَم والحربُ في المغربِ شرٌّ لا جَرَم

(١) أذن الإنكليز للناس بحمل السيوف بعد أن حرّم حمل السلاح كله ، فنظم إقبال هذه الأبيات .

(٢) يريد خالد بن الوليد ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

(٣) قامت طائفة في الهند تنكر الجهاد ، تقول : إن هذا عصر الدعوة بالقلم لا القتال بالسيف ، وتدعو المسلمين إلى السلم ، فيأخذ عليهم إقبال أنهم يدعون المسلمين ولا سلاح في أيديهم ويتركون الأمم المدججة في السلاح التي تشن الحرب بين الحين والحين .

(٤) يريد بموت كافر : الموت في غير جهاد .

إن يَبْتَغِ الْحَقَّ فَكَيْفَ حَاسِبَ الْمَسْءَلِ لَمْ لَا الْفِرْنَجَ ذَلِكَ الْحَكَمُ ؟

\*\*\*

## القوة والدين

كم أصاب الإنسان في هذه الأركان  
ويقول التاريخ في كل عصر :  
هي سيل غشاؤه الفن والعلم  
وهي سُمٌ بغير دين . وبالدين  
ضِ مِنْ إِسْكَندَرٍ وَمَنْ جَنَكِيزِ  
خَطَرٌ فَزَطُ قُوَّةٍ لِعَزِيزِ  
وَمَا أَثَلَّ الْوَرَى مِنْ كَنُوزِ  
دَوَاءٍ لِكُلِّ سُوءٍ نَجِيزِ

\*\*\*

## الفقر (١)

الفقر يمضي بلا سلاح في حومة الحرب كالرُجوم

(١) يشيد محمد إقبال بالفقر في مواضع كثيرة من شعره في هذا الديوان وفي غيره ، ويعده مفتاح كل خير والوسيلة إلى كل سُودد ، والمقتمح كل عقبة ، ومن الأبيات التي ذكر فيها الفقر في هذا الديوان .

في القطعة : « على ذكر الإذن بحمل السيف » :

أيها المسلم تدري اليوم ما  
هو مصراع من البيت الذي  
وأرى مصراعه الثانوي في  
وقوله في القطعة « الفقر والملكية » :

في حومة الحرب كالرُجوم  
وقوله في قطعة « السلطان » :

تعلّم فالف مقام وشان  
وقوله في قطعة « الإمامة » :

يُمُرُّ عَلَيْكَ مِنْ فِقْرِ مَسْنَأٍ  
فيطبع منك سيفاً للمنايا =

وكلُّ ضربٍ له سديدٌ      إنَّ نارَ من قلبه السَّليمِ  
 حماسُهُ قَصٌّ كلُّ عصرٍ      قِصَّةَ فرعونَ والكلِّيمِ  
 يا غيرةَ الفقر أنجدينا      واهدي إلى نهجك القويمِ  
 عبادةَ الغرب جمعُ مال      تنخَّرُ في رُوحه السقيمِ

= وقوله في القطعة « نكتة التوحيد » :

أيُّ ملكٍ مقام فقر ، ولكن      تؤثِّر الذلَّ مذعناً ما احتيالي  
 وقوله في القطعة التي أولها « متاعك في الحياة فنون علم » :

وما إن ذلَّ قومٌ قد أعدوا      حماس العشق والفقر الغيورُ  
 ويتبين للقارئ من التأمل في هذه الأبيات أنَّ الفقر في لغة إقبال ليس عدم المال أو قلته ، ولا هو حاجة إلى ما يعيش به الإنسان ويعتزُّ به من متاع الدنيا . فما يعني إقبال حين يذكر الفقر ويُشيد به ويُبالغ في إكباره ؟ الذي يُدركه القارئ من كلام الشاعر : أن الفقر الذي يعنيه الشاعر هو خلاص النفس من قيد التملك أو الطمع ، ومضيتها عاملة مقدمة لا يطغىها وجدان ولا يذلها حرمان . وربما يملك الفقير قناطير من الذهب وربما يكون ملكاً مسلطاً لا يُعمر سلطانه مال أو متاع .

وليس هذا المعنى بعيداً عما فسَّر به بعض الصوفية الفقر .

في « رسالة القشيري » :

سُئِلَ يحيى بن معاذ عن الفقر ، فقال :

« حقيقته ألا يستغني إلا بالله » .

وقال الشبلي :

« أدنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها في يوم ثم خطر له أن لو أمسك منها قوت يوم ما صدَّقَ في فقره » .

وفي الرسالة أيضاً :

« وقيل : صحة الفقر ألا يستغني الفقير في فقره بشيء إلا بمن إليه فقره » .

وفي كتاب « عوارف المعارف » للسهروردي :

وقال الكتاني : « إذا صحَّ الافتقار إلى الله تعالى صحَّ الغنى بالله تعالى ، لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر » .

فترى أنَّ الفقر في هذا الكلام ليس عدم الملك وفوات المال ؛ ولكن ألا يرتبط الإنسان بما أدرك أو بما فات ، أعني أن لا تكون الدنيا في قلبه وإن كانت في يده .



العشْقُ والشُّكْرُ ما أباحا      أنْ أضْيَطَ النفسَ في همومي  
فَعُقْدَةُ الكِمْ لَمْ تُفْتَحْ      إلا بَمَوْجِ مِنَ النِّسِيمِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## الإسلام

إنَّ نارَ « الذَّاتِ » ، والنورُ لديها      هي للإسلام رُوحٌ مستنير<sup>(٢)</sup>  
إنَّ نارَ « الذاتِ » ، فاقبس من لظاها      في حياة الخَلْقِ نورٌ وسُفُورٌ  
هي تقويمٌ وجودٌ وهي أضلُّ      للتَّجَلِّيِ أُخْفِيَتْ خَلْفَ سُتُورِ  
إنَّ قَلْبِي الغَرْبُ مِنَ الإسلامِ لفظاً      فله اسمٌ آخِرُ : الفقرُ الغَيُورِ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

## الحياة الأبدية<sup>(٤)</sup>

صَدَفٌ لنا هذه الحياة ، وذاتنا      كالقطر من نَيْسانِ في الصَّدَفَاتِ<sup>(٥)</sup>  
ما قيمة الصَّدَفِ الذي لا يستطيع      يُحْيِلُ قَطْرَاتِ إِلَى دُرَّاتِ  
إنَّ صَانَتِ الذَّاتِ المَتِينَةُ نَفْسَهَا      أَعَيْتْ عَلَى الأَيامِ كُلَّ مَمَاتِ

\*\*\*

- 
- (١) كِمْ الزهر لا يفتح إلا بالنسيم ، وبيان الشاعر وشكواه كالنسيم تفتح بهما نفسه .
  - (٢) روح الإسلام هي الذات نارها ونورها .
  - (٣) إنَّ نَفْرَ الفَرْنِجِ من لفظ الإسلام فنحن نسميه اسماً آخر فيه حقيقته هو الفقر الغيور .
  - (٤) يؤكد الشاعر في هذه الأبيات رأيه في الذات أنَّها مقصد الحياة ، وأنَّها إن قويت واستحكمت ؛ لم تمت .
  - (٥) يقال : إنَّ الأصداف تكون على سطح الماء مفتوحة ، فإذا نزل مطر نيسان تدخل في كل صدفة قطرة منه فتطبق عليها حتى تتحوَّل دُرَّة . والشاعر يجعل الحياة صدفةً ، والذات قطرةً من نيسان . ويريد أن تحكم الحياة الذات كما تحيل الصدفة القطرة دُرَّة .

## السُّلْطَانُ (١)

تَعَلَّمْ ؛ فَأَلْفُ مَقَامٍ وَشَانٍ  
إِذَا أَنْجَلْتَ ( الذَّاتِ ) فِي قَهْرهَا  
وَتَوَزَنَ فِي ذَا الْمَقَامِ الْقُوَى  
وَإِنَّكَ فِي ذَا الْمَقَامِ عَظِيمٌ  
وَمَا ذَاكَ بَغْيٌ وَقَهْرٌ وَلَكِنْ  
فَمَا يَسْتَطَاعُ بِقَهْرٍ وَبَغْيٍ  
وَأَعْيَاكَ فِي الدَّهْرِ حَفْظُ لِفْقَرٍ  
وَكَانَ عَلَى الدِّينِ سِيَمَا سَجُودٍ  
وَكَانَ عَلَى الشَّمْسِ مِنْهُ سَنَاءٌ  
لِفْقَرٍ بَدَأَ فِيهِ رُوحَ الْقُرْآنِ  
فَهَذَا مَقَامٌ لِمَلِكِ الزَّمَانِ  
قُوَى مُؤْمِنٍ تُبْتَلَى بِأَمْتِحَانِ  
وَظَلٌّ مِنْ اللَّهِ فِي ذَا الْمَكَانِ  
هُوَ الْعَشْقُ وَالْوَجْدُ مِلءُ الْجَنَانِ  
عَلَى الْأَرْضِ حَفْظُ الْوَرَى فِي أَمَانِ  
فَأَصْبَحْتَ فِي الرِّقِّ خِدْنَ الْهَوَانِ  
تُبَارِي الْكَوَاكِبَ مِلءُ الْعِيَانِ  
فَهَلْ فِي نَجُومِكَ مِنْهُ مَعَانِ ؟

\*\*\*

## إِلَى الصُّوفِيِّ

تَرَى عَيْنَاكَ دُنْيَا الْمَعْجَزَاتِ  
وَمِنْ دُنْيَا الْخِيَالِ عَجَبَتْ ، فَاعْجَبْ  
تَبَدَّلْهَا بِنَظَرَةٍ غَيْرِ وَاِعٍ  
وَفِي عَيْنِي دُنْيَا الْحَادِثَاتِ  
لِدُنْيَا الْحَيَاةِ وَاللِّمَمَاتِ  
وَكَمْ تَدْعُوكَ دُنْيَا الْمَمَكِّنَاتِ

\*\*\*

---

(١) السُّلْطَانُ الْحَقُّ هُوَ أَحَدُ شُؤُونَ الْفَقْرِ ، كَمَا يَفْسِرُهُ الشَّاعِرُ ، فَهُوَ تَجَلَّى « الذَّاتِ » - ذَاتِ الْفَقِيرِ - بِالتَّسَلُّطِ . وَلَيْسَ السُّلْطَانُ طَغْيَانًا ، أَوْ بَغْيًا إلخ . . ( كَتَبْتُ فِي بَهْوِ بَالٍ فِي رِيَاضِ الْمَنْزَلِ دَارِ السَّيِّدِ رَأْسِ مَسْعُودِ ) .

## صريح الفرنج

- ١ -

مِنْ تَجَلَّى الْفَرَنْجِ نَلْتَّ وَجُوداً      فَهَمْ مِنْكَ هَيْكَلًا قَدْ أَقَامُوا  
وَمِنْ (الذات) هَيْكَلُ التُّزْبِ خَالٍ      أَنْتَ غِمْدٌ مُذَهَّبٌ لَا حَسَامُ

- ٢ -

ووجودُ الإله عندك ريبٌ      وأرى الريبَ في وجودك أنتا  
إنَّما الكونُ جوهرٌ (الذات) يُجَلَّى      فانظرنُ أيَّ جوهرٍ قد دفتنا

\*\*\*

## التصوُّف (١)

إنَّ علمَ اللاهوتِ في ملكوتِ      ليس للدينِ آسيا - ليس شيئاً  
وقيامِ الأسحارِ في طولِ وَجْدِ      ليس للذاتِ راعياً - ليس شيئاً  
ذلكَ العقلُ صاعداً للثريا      ليس بالوجدِ سارياً - ليس شيئاً  
ينطقُ العقلُ « لا إله » ولكن      ليس بالقلبِ مسلماً - ليس شيئاً<sup>(٢)</sup>  
كلماتي خوافتُ وسنا الإصباح      لم يبدُ خافقاً - ليس شيئاً

\*\*\*

---

(١) يقصد الشاعر أنَّ علم الكلام إن لم يصلح الدين فهو لا شيء . وكذلك الذكر الذي لا يحفظ « الذات » والعقل الذي لا يصحبه العشق ، والفكر الذي لا يستجيب له القلب .

(٢) أي : يقول العقل : « لا إله إلا الله » . . . إلخ .

## الإسلامُ الهنديُّ

بوحدة الأفكار تحيا أمةٌ  
لا تُحفظ الوحدة إلا بالقوى  
يا عابداً ليس لديه قوةٌ  
وهات إسلاماً به تصوّفٌ  
للشيخ في الهند أجزت سجدةٌ  
فحسب الإسلام حُزراً سيّداً  
ودونها الإلهام يُلقَى ملحداً<sup>(١)</sup>  
لم يُفلح العقلُ هنا ولا اهتدى  
أذهب إلى كهفٍ وسبّح واعبداً  
إلى الردى والذلّ واليأس هدى  
فحسب الإسلام حُزراً سيّداً

\*\*\*

### قطعة (٢)

ما القلب مات ، قلبٌ  
يمحو الفؤاد داءً  
بحرّك في سُكونٍ  
لا وحشٍ أو هياجاً  
وفي السماء سرّ  
ما هاج طرفُ نجمٍ  
رمى نسيباً صبحي  
شـرارةً أكنت  
ذنيا غداً وأمسي  
فأحيي ذا الرميما  
في أمم قديما  
سُحّر أم أنيما؟  
أو ساحلاً لطيمما  
لست به عليمما  
منك فتى كليما  
أبـاءك الهشيمما<sup>(٣)</sup>  
في طينتي قديما  
يُصـرهما عليمما

- (١) بغير توحد الأفكار تعمّ الفوضى . فالإلهام الذي هو سبيل الإيمان يصير إلحاداً .  
(٢) عنوان هذه القطعة في الأصل ( غزل ) والغزل عندهم آيات قليلة تجمع أفكاراً مختلفة .  
(٣) الأباء : القصب ، وهو سريع الاحتراق . ثم القصب يحرق أحياناً لإخصاب الأرض ، فالشاعر يعني أنه يحرق الأنفس لتزداد حياة .

مَنْ حَازَ مِثْلِي عَيْنًا جَرِيئَةً هَجُومًا

\*\*\*

### الدُّنْيَا (١)

كذالكم بدا لي بوقلمونٍ      وقَلْبْتُ في الملكوتِ النظرُ  
فهذا هلالٌ ، وهذي نجومٌ      وهذا عقيقٌ وهذا حجر  
وعينُ البصيرة أعملتها      فأوحى إليَّ صحيحُ الخبر  
فهذا ترابٌ وتلك سماءٌ      وذلك طودٌ وهذا نهر  
ولا أكتُم الحقَّ : أنت وجودٌ      ولا شيء ما ساح فيه البصر

\*\*\*

### الصَّلَاةُ (٢)

تلوُّنٌ في كلِّ ثوبٍ مناةٌ      وشاب بنو الدهر وهي فتاةٌ  
فهذا السجود الذي تجتويهه      به من ألوف السُّجود نِجاةٌ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) أنا كذلك أبصر دنيا الألوان التي تشبه بوقلمون ، وأعرف الهلال والنجم والسماء والأرض . . إلخ ، ولكنني أرى أنَّ الإنسان وجودٌ حقٌّ ، وما عداه ليس شيئاً .  
(٢) الأصنام لم تنقطع عبادتها ، فلا تزال تظهر بين الناس في صورٍ مختلفةٍ ، فتعبد ضروب العبادات . فاعلم أنَّ سجود الصلاة الذي يثقل عليك ينجيك من آلاف السجود لهذه الأصنام .  
(٣) تجتويهه : تكرهه .

## (١) الوحي

ليس هذا العقل ذو الوهد من حرياً بالإمامة  
فحياة الظنِّ والتَّخمينِ ضَعْفٌ وَسَقَامَةٌ  
ليس في فكرك نورٌ أو إلى السعي استقامه  
كيف يجلو في حياة ذلك الليلُ ظلامه؟  
إنَّ لغز الحسن والقبح ليعيي ذا الفهامه  
حين لا تجلو الحياة السرَّ منها مستهامه

\*\*\*

## هزيمة

خلا الصُّوفيُّ مِنْ حُرْقٍ وكَدٍّ؛ شرابُ (ألسْتُ) معذرةُ البطالة<sup>(٢)</sup>  
وفرَّ إلى ترهُّبه فقيهٌ يرى في الشرع معتركَ البسالة<sup>(٣)</sup>  
إذا خشي الرجالَ وعَى حياةً فتلك هي الهزيمةُ لا محاله

\*\*\*

## العقل والقلب

سيطر العقلُ على الكونِ أميراً وطوى الأفلاكَ والأرضَ مسيراً  
ذا جلالٍ يخضع الكونُ له غيرَ قلبٍ ثار بالعقلِ جسوراً

- (١) العقل ظنٌّ وتخمينٌ ، لا تضيء به النفس ، فلا تنجلي به ظلمات الحياة . وإنما إدراك الحسن والقيح بالوحي ، وهذا لا يتاح إلا بأن تجلو الحياة أسرارها بنفسها .  
(٢) يوم « ألسْتُ » أو عهد « ألسْتُ » إشارة إلى الآية ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [ الأعراف : ١٧٢ ] ، فالصوفي في سكر بذكرى « ألسْتُ » يتعللُّ به ، ويعتذر لبطالته .  
(٣) لما رأى الفقيه أنَّ الشرع جهادٌ وكفاحٌ فوّ إلى الترهُّب .

## سكر العمل

في طريق الصُّوفيِّ سُكْرُ الحال      وطريقُ الفقيهِ سُكْرُ المقال  
ونشيد الشُّعرِ المرْجَعِ مَيْت      خامدُ اللَّحْنِ لم يُشَبَّ بجمال  
بين نومٍ ويقظةٍ غيرُ صاحٍ      بين سُكْرِ الأفكارِ والبَلْبالِ  
وبنفسِي مجاهدٌ لا أراه !      فيه سُكْرُ الأعمالِ لا الأقوالِ

\*\*\*

### (١) القبر

لا يجد القلندرُ راحةً      وإن ثوى بقبره تحت الثرى  
سكينةُ الأفلاكِ في الضُّريحِ لا      فساحةُ الأفلاكِ أو طولُ الثرى

\*\*\*

### (٢) همّة القلندر

يقول للزمان ذلك الفتى :      امض إلى حيث يسير المؤمنُ  
مالك في معتركي من طاقةٍ      حذارٍ من قلندرٍ لا يُذعن

(١) فكرة الشاعر أنَّ النفس القوية المجاهدة لا تسكن في الحياة ولا بعد الموت . والقلندر أو القلندري : الحر الذي لا يركن إلى سكون ، ولا تقيده رغبةٌ أو رهبة .

(٢) القلندر : يعني به الشاعر الإنسان الذي لا يصل نفسه بمال ، ولا أهل ، ولا دار وهو في الأصل اسم رجل ذهب هذا المذهب ، وأحدث طريق كان سالكوها يُدِيمون السفر ، لا يلبثون في مكان ، ولا يقيدهم ملك ، ولا أهل ، ولا وطن ، ويحلقون رؤوسهم .  
وسُمِّي سالك هذه الطريقة : قلندر باسم صاحب الطريقة .

وقد رأى المترجم أن يبقى اللفظ في الترجمة لأنه عَلِمَ في الأصل ، وجعله أحياناً وصفاً وأحياناً نَسَبَ إليه ، فقال : القلندرُ والقلندريُّ .

إذا طفى اليمُّ فهَيَّا أقدمنُ      ما حاجتي مَلاحه والسُّفن  
لقد محاسرك تكبيرى فهل      تقوى على جحوده يا وهن ؟  
يحاسب الأفلاك ذا القلندر      وقاهرٌ أيامه لا يقهر

\*\*\*

### الفلسفة

ليس يخفى على القلندر فكرٌ      ساورَ النشءَ ظاهراً أو خفياً<sup>(١)</sup>  
أنا عندي بكلِّ حالِك خُبْرٌ      فهذا الطريق سرٌّ ملياً  
لا يقيم الحكيمُ في شَرِك اللف      ولا بالحروف كان حفيّاً  
ليس همُّ الغوّاص أصداف بحرٍ      يتبغي الغائصون دُرّاً بهيّا  
إنَّ في حلقة المجانين عقلاً      في شرارٍ يرى لهيّا مضيّاً<sup>(٢)</sup>  
إن أغلى من الجواهر ، معنى      صدق القلبُ سرّه مطويّاً  
فلسفاتٌ ما سَطرت بدم القلب      مَوَاتٌ أو للمات تُهيّا

\*\*\*

### رجال الله

إنما الحرُّ من يُجيد ضراباً      لا الذي حربهُ تدور هُراء  
وسجايا الأحرار تجمع تاجاً      ذا سناء ، وخرقةً وقَباء<sup>(٣)</sup>

(١) القلندر هنا إقبال نفسه .

(٢) بين الذين يعدون مجانين من أصحاب القلوب الحية من يرى الحقائق الكبيرة في مظاهر صغيرة ، فيرى في الشرارة لهيّا عظيماً .

(٣) سجية الحر فيها عظمة الملك ، وفيها خلق الصوفية لابسى الخرقه ، وفيها فقه العلماء لابسى القباء .



من خفايا تُرابهم أخذ الدهرُ      شراراً فصاغ منه ذُكاء  
 فطرةٌ حرّةٌ تعاف الدنيا      من طواف الأصنام عاشت براء  
 أنت في الكفر والتدينِ جمعاً      وثنيٌّ تُقدّس الأهواء<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## الكافر والمؤمن<sup>(٢)</sup>

أمسٍ عند البحر قال      الخضر لي قولاً أعيه<sup>(٣)</sup>  
 تبتغي الترياق من سُمِّ      فرنجٍ تتقيهِ ؟  
 فخذنْ قولاً سديداً      هو بالسيف شبيهه  
 ذا مضياءٍ وضيياءٍ      خبرة الصيقل فيه :  
 إنمّا الكافر حيرانُ      له الأفاق تيهه  
 وأرى المؤمن كوناً      تاهت الأفاق فيه

\*\*\*

- 
- (١) الأحرار منزهون عن عبادة الأصنام ، وأنت في إيمانك وكفرك لا تخلو من عبادتها .  
 (٢) يكرّر الشاعر هذا المعنى كثيراً : إنّ المؤمن مسيطرٌ على الكون ، يتصرف فيه ، لا يضلُّ فيه ، ولا يحار ، فهو سائر على قانون يرفعه على الأحداث والغير ، وإنّ غيره مقهور في الكون حائر ، تتلقفه أحداثه ، وتقلبه غيره .  
 والفكرة مأخوذة من مشنوي جلال الدين الرّومي . فقد قصّ المشنوي قصة افتقاد حليلة الرسول في طفولته وطلبها إياه والهة ، وأنّ جبريل لقيها ، فقال لها : لا تخشي عليه أن يتيه في الأفاق ، فهذه الأفاق تتيه فيه .  
 (٣) يروى أن الخضر صاحب إسكندر سارا حتى بلغا أرض الظلمات ، وفيها عين الحياة ، فشرب منها الخضر ، فخلد ، ولم يهتد إليها إسكندر . فينسب الشعراء إلى الخضر المعرفة والحكمة ، ويقولون عنه ما يشاؤون .

## المهديُّ الحقُّ

كلُّ ثوى في مَحْبَسٍ من صنعه : سيَّارُ إفرنج وثابتُ مشرق<sup>(١)</sup>  
والشَّيْخُ في حَرَمٍ وحَبْرُ كنيْسةٍ لا جِدَّةٌ في القول أو في المنطق  
أهلُ السياسة في شِراكِ قديمهم والشَّعْرُ أفلس في خيالٍ مُغلق  
من لي بمهديٍّ له نظرٌ يزلزلُ عالمَ الأفكار ، غيرَ ممخِرِقُ

\*\*\*

## المؤمن

- ١ -

### في الدُّنيا

مع الصَّخْبِ لَيْنٍ كمْسٍ الحريرِ بعيدٌ من المَحَكِّ ، المؤمنُ<sup>(٢)</sup>  
حديداً إذا ما طغى باطلٌ جريءٌ لدى المَعْرَكِ ، المؤمنُ  
من الطَّينِ ، لكن على الطَّينِ يسمو ويأبى على الفلكِ ، المؤمن  
وما هُمُّه صيدٌ طيرٍ ولكن يصيد من المَلَكِ ، المؤمن

- ٢ -

### في الجَنَّةِ

تقول الملائك في غبطةٍ : حبيبٌ إلى قلبنا ، المؤمن

(١) الفرنجي : الدائب في العمل ، كالكوكب السَّيَّار ، والشرقي : القاعد عن السير ، كالكوكب الثابت .

(٢) القافية مردوفة بكلمة « المؤمن » والروئي الكاف التي قبلها .

وللحور شكوى إلى ربّها : سريعٌ إلى هجرنا ، المؤمن

\*\*\*

## محمد علي الباب (١)

مفيضاً في مقالات	أجاب (الباب) في حفل
بإعراب (السّموات)	وفات الشيخ توفيق
فلاقوه بسمات	سرت في الحفل غلطته
وفاتكم مقاماتي	فقال (الباب) : لم تذرُوا
في حبسٍ وإعنات	ثوى القرآن بالإعراب
بتحريرٍ لآيات	وإنّ إمامتي جاءت

\*\*\*

## القدر (٢)

### الخالق وإبليس

ليس عنه من مَحيد	إبليس : يا إلهاً أمره كُن
بعـدوّ أو حسود	لم يُصـب آدم مني
ومكانٍ في حدود	ويلُّ غرّاً ، من زمانٍ
أمرك أو كيف أحيـد	كيف أستكبر عن

(١) ناقش جماعة من العلماء في إيران محمد علي المسمى : الباب ، فقرأ من القرآن ، فلحن في إعراب السموات . فضحك الحاضرون ، فقال : إنّ بشرى إمامتي تحريرُ الآيات من الإعراب .

(٢) مأخوذة عن محيي الدين بن عربي .

كان في علمك أني حائدٌ عن ذا السجود

\*\*\*

الخالق : هل عرفت السرَّ هذا  
إبليس : بعداً ! يا من من تجلّيه  
قبل أو بعد الجحود؟  
كمالات الوجود  
( الخالق ناظراً إلى الملائكة )

خِسَّةُ الفطرة فيه  
قال : ما شئت سجودي  
علمته ذاك عذرا  
أنا لا أملك أمرا  
ذلك الظالم سَمَى  
اختياراً فيه جِبرا  
إنه سَمَى رَماداً  
شعلة فيه وجمرا

\*\*\*

### أين روح محمد! (١)

أرى الملة البيضاء بُدِّدَ نظمها  
وليس ببحر العُرب لَذَّةُ ثورةٍ  
فمسلّمك انظر حاله ، أين يذهب؟  
وفي الصّدر موجٌ غاله ، أين يذهب؟  
وقطعُ الفيافي هاله ، أين يذهب  
حفيظٌ لأيّ ، ياله ، أين يذهب؟  
ولا ركبٌ للحادي ولا زادٌ عنده  
فبيّن لنا الأسرارَ روح محمد!

\*\*\*

(١) يصف الشاعر في هذه الأبيات غمّه وحيرته ، فالأمة الإسلامية انفرط عقدها ، وفي صدره موجٌ ، ولكن بحر العرب الذين ماجت بهم أحداث التاريخ ليس فيه هياج اليوم ، فيخلط به هذا الموج . وهو حادٍ ولكن لا زاد له ، ولا قافلة يحدوها . وأمامه فيافي هائلةٌ . وهو حفيظٌ على آيات الله يبتغي أن يسير بها . فهو يلتمس سبيله في هذا العالم ويسأل روح الرسول أين يذهب .

## مدنية الإسلام

حياة المسلم أعرف في بياني  
سناً كالصُّبح مغربه طُلوعٌ  
ولا كالعصر ، خلوٌّ من حياءٍ  
حياةً بالحقائق في قرارٍ  
عناصرها يؤلِّفها جمالٌ  
وحسنُ الخلق من عُجمٍ لديها  
كمالُ العقل فيها والجنونُ<sup>(١)</sup>  
وحيدٌ ، كالزَّمان له شؤون  
ولا فيها من الماضي فتون  
وليسَتْ ما يُطلسِمُ أفلاطون<sup>(٢)</sup>  
تمثَّل فيه جبريلُ الأمين  
ونارُ العُرب فيها والشُّجون

\*\*\*

## الإمامة<sup>(٣)</sup>

أتسألني : الإمامة ما مداها؟  
إمامُ العصر حقاً من تراه  
بمراة الممات يريك وجه الـ  
جَباك الله مثلي بالخفايا  
فتسألم ما تشاهدُ في البرايا  
حبيب فتجتوي عيشَ الدنايا

(١) الجنون هنا معناه الحماس للعمل والإقدام في غير مبالاة . فحياة المسلم في رأي الشاعر تجمع العقل والإقدام . وهي كالشمس تغرب لتطلع . وهي فذة لا نظير لها ، ولكنها كالزمان في شؤون متعددة ، وهي قائمة على الحقائق ، وجامعة عناصر الجمال والقوة .

(٢) ليست قائمة على أفكار أفلاطون ؛ التي ترى الحقائق في عالم المثل ، لا على هذه الأرض .

(٣) يقصد إقبال من ادَّعوا الإمامة في الماضي وفي عصره . ويرى أن الإمام من يعلو بأصحابه عن قيود الحاضر المشهود إلى عالم المعنى الفسيح غير المحدود . . إلخ .

ويشعركَ التخلُّفَ عن كمالٍ      فينفخُ فيك مشوبَ السَّجَايا<sup>(١)</sup>  
يُمِرُّ عليكِ مِنْ فقرٍ مِسْنَاً      فيطبَعُ منك سيفاً للمنايا  
فُتُون المَلَّةِ البيضا إماماً      كأنَّ المسلمين به سبايا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

### الفقر والترهب<sup>(٣)</sup>

إسلامك الموهومُ شيءٌ آخر؛      الفقرُ عندك كالترهب يظهر  
شَتَانٌ ، فانظر ، بين خلوة راهبٍ      وشراع فقرٍ في عُبابٍ يمخر  
في الروح والأبدان يبغي جلوةً      فنهاية الإيمان ( ذات ) تبهر<sup>(٤)</sup>  
هو صيرفي الكائنات وجوده      فعن الفناء أو البقاء يخبر<sup>(٥)</sup>  
فاسأله عما ترثيه أعالمُ      أم موج رائحة ولون يزخر؟  
لما أضع المسلمون على المدى      ذا الفقر - لما ضاع هذا الجوهر  
لم يبق فيهم من سليمان ولا      سلمانَ دولةً عِرَّةً لا تقهر

\*\*\*

- 
- (١) يشعرك ما فيك من نقص وما فاتك من كمال .  
(٢) فتنة الملة الإسلامية إمامٌ يمكن أصحاب السُلطان من إذلال المسلمين .  
(٣) يشيد إقبال بالفقر ، وينسب إليه المعجزات . وهو فيما يؤخذ من كلامه : التحرر من الطمع والحرص ، وألا يملك الإنسان ما يملكه فيذله ، ويصدّه عن الحق والخير . وهو لا يشبه الرهبانية في شيء . فمن حسب الفقر رهبانيةً فإسلامه غير الإسلام الذي يعرفه الشاعر .  
(٤) الضمير في « يبغي » يرجع إلى الفقر ، وهو يطلب تجلّي الروح والجسم . وتجلي الذات هو مقصد الإيمان .  
(٥) هذا الفقر يتقد الكائنات ، فيقول : هذا للفناء وهذا للبقاء ، وهذا حق ، وهذا باطل .

## قطعة (١)

متاعك في الحياة فنون علم  
وما عندي متاع غير قلب  
لأهل الفكر معجزة تجلّت  
وأهل الذكر شادوا معجزات  
أقول لمسلم : ما فيك صدر  
ومزقتُ الجيوبَ وأنتَ خالٍ  
أقلّ القولَ وافتخَ عينَ قلبٍ  
وما إن ذلّ قومٌ قد أعدوا

تظّلُ الدَّهْرَ منها في حُبور  
طموحٍ ما أراه بالصُّبور  
بفلسفةٍ معقّدة السُّطور  
على موسى وفرعونٍ وطور<sup>(٢)</sup>  
لأنفاسٍ بها حرّ النشور  
جنوني - لا ألومك - في قصور<sup>(٣)</sup>  
ولا تكُ مُهذراً عند البصير  
حماسَ العشق والفقرِ الغيور

\*\*\*

## التَّسْلِيمُ والرِّضَا

على كل غصنٍ تبين أن النبات مَشوقٌ لِرَحْبِ الفضاء  
فما قرّ في ظلمةِ الترابِ حبّ  
جنونُ النشوءِ به والنَّماء  
فلا تبغ في فطرةِ تركٍ سعي  
فما ذاك معنى الرضا بالقضاء  
لأهل النَّماءِ فضاءً فيسبحُ  
وما ضاقَ مُلكُ الإلهِ ، فيسبحوا

(١) عنوان هذه القطعة في الأصل « غزل » والغزل في عرف شعراء الفرس ومن قبلهم : أبيات قليلة في موضوع أو موضوعات . وربما لا تشتمل على شيء مما يسمّى بالغزل في الشعر العربي .

(٢) يقصد بموسى وفرعون كل من له صفات موسى أو صفات فرعون ، فلهذا نكّرت الاسمين ، وصرفتهما .

(٣) يعني : إنني لم أصيرك مثلي مجنوناً ؛ لأن جنوني لم يكمل ، فلم يؤثر فيك ، فاللوم عليّ لا عليك .

## نكتة التوحيد (١)

إِنَّ سِرَّ التَّوْحِيدِ طَوْعٌ بَيَّانِي      شِدَّتْ فِي الرَّأْسِ مَوْثِنَا ، مَا اِحْتِيَالِي؟ (٢)  
رَمَزُ شَوْقٍ بِلَا إِلَهٍ خَفِيٍّ      لَيْسَ فِي الْفَقْهِ بَيْنَنَا ، مَا اِحْتِيَالِي ؟  
كَمْ سُرُورٍ فِي حَرْبٍ حَقٌّ وَزُورٍ      لَسْتُ فِي الْحَرْبِ مَطْعَنَا ، مَا اِحْتِيَالِي؟ (٣)  
كَمْ تُجَلِّسِي الْأَفَاقَ نَظْرَةً حَرًّا      حَجَبَ الرِّقِّ أَعْيْنَا ، مَا اِحْتِيَالِي ؟  
أَيُّ مُلْكٍ مَقَامٌ فَقْرًا وَلَكِنْ      تَوَثَّرَ الذَّلُّ مُدْعَنَا ، مَا اِحْتِيَالِي ؟

\*\*\*

## الإلهام والحرية

إِنَّ لِلْحُرِّ مَلْهَمًا نَظَرَاتٍ      تَحْفِزُ الْقَوْلَ وَالْفِعَالَ بِنَارِ  
حَرِّ أَنْفَاسِهِ يَشِيْعُ بِرُوضِ      فَتَرَى الرُّوْضَ مُزْهَرًا مِنْ شَرَارِ  
يَهْبُ الْعَنْدَلِيبَ سَيْرَةً بَازٍ      كَيْفَ حَالَتِ طِبَائِعُ الْأَطْيَارِ ؟  
يَنْحُ الْمُجْتَمِدِينَ شَوْكَةً جَمًّا      عَارَفُ النَّفْسِ وَالْهُ الْأَسْحَارِ (٤)  
وَوَقَى اللَّهُ حِكْمَةً لَلذَّلِيلِ      مِثْلَ جَنْكِيْزِ طَالِعِ بِالذَّمَارِ (٥)

\*\*\*

- 
- (١) بنى الشاعر هذه القطعة على القافية المردوفة فحاكيته في الترجمة . والروي حرف النون في موثنا ، ومطعنا . . إلخ ( المترجم ) .
- (٢) يمكن أن يبين سرَّ التوحيد ، ولكن ما حيلتي وقد بنيت في رأسك معبدًا للأوثان . وقد وضعت كلمتي مصنم وموثن لمكان الصنم والوثن ، ترجمة لكلمتي بت كده ، بتخانته ، ونحوهما .
- (٣) كم سرورٍ في مجاهدة الباطل بالحق في هذه الحياة .
- (٤) جم : يراد به جمشيد أحد ملوك الفرس في الأساطير .
- (٥) يريد أن حكمة الذليل تدمر الأمم كغارات جنكيز خان .



## الرُّوحُ والجِسْمُ (١)

تحير الناسُ في ذا اللغز من قدم : ما جوهر الرُّوح أو ما جوهر البدن؟  
ومشكلي في اضطراب بي وفي ثَمَل : وثورة وسرورِ النفس والحزن  
ومشكَلٌ لك أنَّ الخمر من قدح : أو أن من خمرة كاساً ، لذي زَكَن (٢)  
ما اللفظ والمعنى؟ وكيف الرُّوح في بدن؟ جمرٌ بدا في رَمادٍ منه للْفَطِنِ

\*\*\*

## « لَاهور » و « كراجي » (٣)

قد تولى الله عبداً مسلمٌ ما أمرا  
هو بالموت إلى عا لَم روح سافرا  
كيف تَفدون شهيداً لخلود آثرا  
دُمهُ من حَرَمِ أعلى وأغلى جوهر (٤)  
آه للمسلم غفلاًنَ نَسِيّاً ما درى :  
سرٌّ لا تدع مع الله إلهاً آخر (٥)

(١) يقول إقبال في هذه الأبيات : إنَّ همي في هذه الحياة القلق ، والثورة ، والسرور ، والحزن . وأنت شغلت نفسك بهذه الأسئلة ولم تشعر بحقيقة الحياة .

(٢) الزكن : الفطنة .

(٣) روي أنَّ هندوكياً في لاهور اسمه : راجيال ، أساء الأدب في الحديث عن الرسول صلوات الله عليه ، فذهب إليه مسلم اسمه علم الدين ، وقتله في غير ضوضاء ، وأن رجلاً من الهنادك في كراجي فعل فعله ، فذهب إليه مسلم من كوهات في غير مشاورة ، ولا مؤامرة فقتله . وأراد المسلمون أن يؤدوا دية القتيلين وينجوا القاتلين من العقاب ، فكتب إقبال الأبيات .

(٤) يعني : أن كل ما تبذلون لا يساوي دم الشهيد . . إلخ .

(٥) الآية : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [ الشعراء : ٢١٣ ] .

## النُّبُوَّةُ (١)

لَسْتُ الْمُحَدِّثَ وَالْفَقِيهَةَ      وَلَا الْوَلِيَّ وَلَا الْمُجَدِّدَ  
لَا عَلِمَ عِنْدِي بِالنُّبُوَّةِ      كَيْفَ تُوصَفُ أَوْ تُحَدَّدُ  
لَكِنِ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي الْأَيَّامِ      لِي نَظَرٌ مُسَدَّدُ  
أَوْحَى إِلَيَّ بِسِرِّهِ الْفَلَكُ      الْمُحِيطُ فَلَا أَفْنَدُ  
فَرَأَيْتَ فِي ظَلَمَاتِ هـ      إِذَا الْعَصْرُ ذَا الْحَقِّ الْمُؤَيَّدِ :  
عِنْدِي حَشِيئَةُ الْمُسْلِمِينَ      نُبُوَّةٌ فِيهِمْ تَجَدَّدُ  
مَا إِنْ لَدَيْهَا دَعْوَةٌ      لِلْبَاسِ وَالْمَجْدِ الْمُخَلَّدِ

\*\*\*

## الإنسان

ذَا طَلَسْنَا الْكَوْنَ وَالْعَدَمَ      سُمِّيَ الْإِنْسَانُ مِنْ قِدَمِ  
هُوَ سِرُّ اللَّهِ جَلًّا فَلَا      يَحْتَوِيهِ الْوَصْفُ فِي كَلِمِ  
إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ مِنْ أَزَلِ      مَنْ سَفَارِ بَاءٍ بِالسَّقَمِ  
وَمَضَى الْإِنْسَانُ سِيرَتَهُ      لَمْ يُصَبِّ بِالضَّعْفِ وَالْهَرَمِ  
وَإِلَيْكَ السِّرُّ أَعْلَنَهُ      إِنْ تَسَّغَهُ غَيْرَ مَتَّهِمِ :  
مَا بَدَأَ رُوحاً وَلَا بَدَناً      ذَلِكَ الْإِنْسَانُ لِلْفَهَمِ

\*\*\*

## « مكة » و « جنينا »

كَمْ حَدِيثٍ عَنِ الشُّعُوبِ سَمَعْنَا      وَحَدَّةَ النَّاسِ حُجِّبَتِ عَنْ عِيَانِ

(١) يعني الشاعر بهذه الأبيات من أَدْعَى النُّبُوَّةِ ، ودعا إلى المسالمة والكف عن الجهاد .

حكمة الغرب فُرقةُ النَّاسِ والإِسـ  
ومقالٍ من مَكَّةَ لَجِنِيوا  
خَبْريني اليقين : هل عصبه الأقد  
سلامٌ فيه توخُّدُ العُمَـرَانِ  
قد وعاه اللبيبُ في كلِّ آن :  
سوام خَيْرٌ أو عصبه الإنسان ؟

\*\*\*

## يا شيخَ الحرم

ودَّع الخلبوةَ يا شيخَ الحرم  
يحفظُ اللهُ لك الفتیان في  
هُم عن الغرب زجاجاً أخذوا  
طُول ذلُّ أظلم القلبُ به  
في جنوني منك أسراژ بدت  
واسمعنُ في الفجر مَنِّي ذا النغم  
حُكَمِ نفسٍ ، واشتعالٍ في الهمم  
عَلَّمَنَهُمْ صَدْمَةَ الصَّخْرِ الأَصم  
أدرِك الحيرانَ في هذي الظلم  
فاجزني يا شيخُ عن هذا اللَّـم (١)

\*\*\*

## (٢) المَهدي

أرى الأَـقوامَ تَمضي في حياة  
فمَجذوبُ الفرنجِ على خيالٍ  
على قدر التخييل في الحياة  
من المهدي قاد إلى النجاة (٣)

(١) يعني : أن نشوته وولاه وقد عبر عنهما بالجنون أدركا أسرار شيخ الحرم ، فأفشيها ، فهو يسأل الشيخ أن يكافئه عن هذا الجنون .

(٢) كتب سبنجلر يقول : إنَّ ضعف المسلمين من إيمانهم بالقدر والمهدي . فردَّ إقبال بأنَّ هاتين العقيدتين غريبتان عن الإسلام . وكتب مولانا أسلم جرابوري يأخذ على إقبال أنَّه يذكر المهدي في شعره أحياناً . فكتب إقبال هذه الأبيات يبين رأيه في عقيدة المهدي ، ويذكر أنَّه يتوسل بها أحياناً إلى نفع الحياة في موتى الأحياء .

(٣) يعني الفيلسوف الألماني نيتشه ؛ الذي تكلم عن الإنسان الكامل .

فإن تنفر من المهديّ يَنْفِرْ      إذا ما الحيّ من جهل تردّي  
 غزالُ المسك من هذي الفلاة<sup>(١)</sup>      تمرّق عنه أثواب الممات؟

\*\*\*

## المؤمن

إنّ للمؤمن العجيب الشان      هو في قوله السّديد وفي الفعل  
 كلّ حين جديد شانٍ وأنّ      فيه قدسيّةً إلى جبروت  
 على الله واضح البرهان      إن تُولّف هذي العناصرُ كان  
 ومن القهر فيه والغفران      هو تُربّ سما يجاورُ جبريلَ  
 المسلم المستعلي على الحدّثان      لست تدري بسرّه فتراه  
 ويأبى الحلول في الأوطان      فيه عزمٌ على القضاء دليلٌ  
 قارئاً وهو صورة القرآن      هو بَرْد النّدى بقلب شقيق  
 وهو في العالمين كالميزان<sup>(٢)</sup>      ليله والنهار لحنٌ حياة  
 وبقلب البحار كالطوفان<sup>(٣)</sup>      إنّ فكري مطالع لنجوم

\*\*\*

- (١) يعني أن هذه الفكرة تعطر بها النفوس المقفرة ، وتحمل ما يحمله غزال المسك في الفلاة ، فلا تحرم الناس منها .
- (٢) يقول إقبال في مواضع كثيرة : إنّ عزم المؤمن من القدر أو هو مشير على القضاء والقدر ، وإنّ رأيه وعمله ميزان الصلاح والفساد في الحياة . وهنا يقول : إنّ ميزان الأعمال في الدارين الدنيا والآخرة .
- (٣) هو تارة كالنّدى يبرد قلب الشقائق ، وتارة كالموج الهائج في البحر .
- (٤) يقول : أيها الباحث عن مستقبله في طوابع النّجوم هلمّ أدلّك على أسباب السعادة ، فإنّ فكري يطلع نجوماً صادقة تدلّ على السعد والنّحس .

## المُسلم البنّجايي (١)

مجدّد في كل حين مذهبا      يحلُّ في مرحلة ليركبا  
في حلبة التحقيق نكسُّ وإذا      قامره داع غويّ غلبا  
جباله التأويل إن تُنصب له      هوى من العُشِّ إليها مُعجبا

\*\*\*

## الحرية (٢)

ألا مَنْ يطيق اليوم نُصحاً لمسلم      وحرية الأفكار من ربّه أمر  
من الكعبة اجعل بيت نار وإن تشأ      فموثّن أفرنج به الزور والسحر  
وإن شئت فالقرآن تأويل لأعب      فجدّد لنا شرعاً يلائمه العصر  
رأيتُ بأرض الهند أيّ عجيبة      فإسلامها عبد ومسلمها حرُّ

\*\*\*

## نشر الإسلام في بلاد الإفرنج

هذي الحضارة ما تديّن قلبها      فأخوة الإفرنج بالعصبات  
فلئن تنصّر برهميٍّ لم يزل      للإنكليز إليه نظرة عات  
ولوّ أنّهم قد أسلموا لم يرفقوا      بالمسلم المنكود من إعنات<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) عُرف أهل البنجاب بكثرة التّحل والدعوات المبتدعة .  
(٢) ينعى إقبال في هذه الأبيات على من يدعون الحرية حين يتحدثون في الإسلام وحضارته ، فإذا عُرضت أوربة وحضارتها خنعوا لها فكراً وفعلاً .  
(٣) لو أنّ الإنكليز أسلموا لم يُحسنوا معاملة المسلم .

## لا وإلا (١)

لو لم تسر في ظلام التُّرب نابتةً      ما نَشَرْت في فضاء الثُّور أغصانا  
تقضي الحياة بـ « لا » في البدء نافية      وفي النهاية « إلا » تكمل الشانا  
إن لم تجيء بعدها « إلا » مثبتةً      كانت على الموت « لا » في الدهر عنوانا  
إن أمةً روحها لم يمض معتزماً      عن « لا » فقد آذنت بالهُلُك إيدانا

\*\*\*

## إلى أمراء العرب (٢)

هل يُسعدُ الكافرَ الهنديَّ منطقهُ      مخاطباً أمراء العُرب في أدبِ  
من أمةٍ قبل كلِّ النَّاسِ قد أخذت      بحكمةٍ فأعانتها على التُّوبِ :  
إخاءُ مصطفىويٍّ دون تفرقةٍ      وهجرُ كلِّ غويٍّ من أبي لهبِ  
ما من حدودٍ وأرضٍ كان منشؤها      من أحمدِ العُربِ كانت أمةُ العُربِ

\*\*\*

---

(١) يرى إقبال أنَّ الحياة محوٌّ وإثباتٌ ، أو هدمٌ وبناء . فالأمة الصالحة تمحو السيء وتثبت الحسن . وكلمة التوحيد قائمة على نفي غير الله وإثبات الله . فإن محت الأمة ولم تثبت ، أو هدمت ولم تبين فعاقبتها الفناء ، وهو يعني هنا حضارة أوربة عامَّة والروس الشيوعيين خاصَّة .

(٢) العرب هم الأمة التي حملت إلى الأمم رسالة الإسلام ، وعلمتها الأخوة والتعاون . والشاعر ينعي على أمراء العرب أن نسوا هذه الرسالة التي بلغوها ، وكانوا أحقَّ بها وأهلها .

## الأحكام الإلهية (١)

قيدَ القضاء ترى أم قيدَ أحكام  
في كلِّ حينٍ ترى التقديرَ في غيرِ  
إنَّ النبات وإنَّ الجامدات لها  
والمؤمن الحرُّ لا شيءٌ يقيدُه  
ما أعجزت هذه أربابَ أفهام  
رهينُها بين لذاتِ وآلامِ (٢)  
من القضاء قيودُ ذاتِ أحكام  
لكن لخالقه في قيد أحكام

\*\*\*

## الموت (٣)

في اللحد أيضاً يبقى  
إن يك قلبٌ حيّاً  
هذي النجوم تمضي  
والذاتُ فيها راحٌ  
إن مسَّ جسماً موتٌ  
فللوجود قُطبٌ  
الغيبابُ والحضور  
فالقلبُ لا صبور  
كشَّـرَ يطير  
في أبرد سُـرور  
واحتجب الظُّهور  
منـالـه عسير

\*\*\*

(١) إقبال يؤمن بحرية الإرادة ، وينفر كلَّ النفور من الاعتقاد بالجبر والاستسلام للأحداث . وفي هذه الأبيات يقول : إن الجماد والنبات خاضع لقوانين لا يحدد عنها ، وأما المسلم فهو خاضع لأحكام الله لا لقوانين طبيعية تسيره مجبراً . وهذه الفكرة تلقى قارىء شعره في مواضع كثيرة .

(٢) عالم الطبيعة والحادثات في تغير مستمر فمن خضع له تداولته اللذات والآلام .

(٣) يرى الشاعر : أنَّ القلب الحي لا يموت ، فهو حيٌّ بعد الموت ، طموح طلعة ، لا يرضى بالسكون والقرار . وإنما حياة القلب في رأيه بقوة الذات (خودي) . والموت لا ينال الذات حين ينال الجسم .

## قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ (١)

إِنْ تَحُلْ دُنْيَا فَلَمْ تَفْنِ أَرْضٌ      وَسَمَاءٌ ، قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ  
مِنْ « أَنَا الْحَقُّ » انطوى فيك قلب      وَمِضَاءٌ ، قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ (٢)  
لَا تُرْغِ مِمَّا تَرَى ؛ لِفَرْنَجِ      سِيمِيَاءٌ ، قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ (٣)

\*\*\*

---

(١) في هذه الآيات يبشّر إقبال بالمستقبل الوضاء على رغم الخطوب ، ويقول : تغيرت الدنيا ، ولكن الأرض والسماء كما كانت . وكلمة « قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ » مكررة بلفظها في الأصل .

(٢) يرمز إلى قصة الحلاج الصوفي الذي قال أنا الحق . يقول للمسلم : فيك روح تتسب إلى الأرواح العظيمة .

(٣) لا يرعك ما يحيط بك من فتن الإفرنج ، فهي سيمياء لا حقيقة له .





## القسم الثاني

# التَّعْلِيمُ وَالتَّربِيَةُ



## المقصود (١)

اسبنوزا :

يبصر العاقلُ الحياةَ وليست غيرَ نورٍ وجلوةٍ تُستحبُّ

أفلاطون :

يبصر الموتَ عاقلٌ . فحياةٌ  
ما إلى الموت والحياة التفاتٌ  
كشرارٍ بجنح ليلٍ يشبُّ  
مقصدُ الذات رؤية الذات حسبُ (٢)

\*\*\*

## إنسان هذا العصر

حُرِّمَ العِشْقَ وللعقل به  
تبغَّ العقلَ شروداً سادراً  
نكَزاتٌ كشجاعٍ يثأرُ (٣)  
ما هدى العقلَ لديه بصرُ  
وعلى الأفلاك دام السَّفَرُ  
هو من حكمته في شَرِّكٍ  
من شُعاعِ الشَّمسِ في قبضته  
غابَ عنه نفعُه والضررُ  
ما به ليلُ حياةٍ يُسفرُ !

\*\*\*

- 
- (١) يبين هنا الشاعر رأي اسبنوزا الفيلسوف ورأي أفلاطون ورأيه هو في المقصود من هذه الحياة . كُتبت هذه الأبيات في بهو فال في رياض منزل ( دار السيد راس مسعود ) .  
(٢) هذا رأي إقبال .  
(٣) النكزة : عضة الحية ، والشجاع : نوع من الحيات .

## أُمَمُ الشَّرْقِ

كَيْفَ تُجَلَى حَقَائِقُ لَعْيُونِ      عَمِيثٌ بِالْخُضُوعِ وَالتَّقْلِيدِ  
كَيْفَ يُحْيِي الْفَرَنْجُ عُزْباً وَفُزْساً      بَفَنُونِ تَسِيرُ نَحْوَ اللُّحُودِ

\*\*\*

### التَّنبُّه (١)

نَظَرَ الْمُنْجَمِ فِي جِبَاكَ نَجُومِهِ      لَكِنْ مَقَامُ الذَّاتِ عَنْهُ يُسْتَرُ  
مَنْ يَدِرُ أَنَّ الذَّاتِ أَرْفَعُ مَنْزَلاً      عَرَفَ الزَّمَانَ وَصَرْفَهُ لَا يُقْهَرُ (٢)  
وَجَمِيلَ أَنْظَارِ يَرَى وَقَبِيحَهَا      وَحَلَالَ قَلْبِ وَالْمَحْرَمِ يُبْصَرُ

\*\*\*

### مُصْلِحُو الشَّرْقِ (٣)

يَسْتِ فَلَ أَرْجِي فِي أَنَاسِ      لَهُمْ فَرٌّ كَفَنُ السَّامِرِيِّ (٤)

(١) فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يَنْعَى إِقْبَالَ أَيْضاً عَلَى الْإِنْسَانِ اِهْتِمَامَهُ بِعَالَمِ الطَّبِيعَةِ وَإِهْمَالَهُ نَفْسَهُ ، وَيَقُولُ : إِنَّ تَقْوِيَةَ الذَّاتِ وَتَقْدِيرَهَا يَعْينُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْحَادِثَاتِ وَيُبْصِرُهُ الْجَمِيلَ وَالْقَبِيحَ فِي الْبَصِيرَةِ ، وَالْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، حَلَالَ الْقَلْبِ وَحَرَامَهُ ( اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمَفْتُونَ ) .

(٢) أَرْفَعُ مَنْزَلاً مِنَ الْفَلَكِ .

(٣) يَأْخُذُ الشَّاعِرُ عَلَى مُصْلِحِي الشَّرْقِ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا لِلنَّاسِ شَيْئاً ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَمْسِكُوا بِالسَّنَنِ الصَّالِحَةِ الْقَدِيمَةِ ، وَلَا أَخَذُوا بِالسَّنَنِ الْحَدِيثَةِ .

(٤) السَّامِرِيُّ : الَّذِي صَنَعَ لِقَوْمِ مُوسَى عَجَلاً مِنَ الذَّهَبِ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ ، فَتُهُ سِحْرٌ وَضَلَالٌ .

سُقَاةٌ فِي رُبُوعِ الشَّرْقِ طَافُوا      عَلَى التُّدْمَاءِ بِالْقَدْحِ الْخَلِيِّ  
سَحَابٌ مَا حَوَى بَرْقًا قَدِيمًا      وَلَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ بَرْقٍ فَتِيٍّ

\*\*\*

## الحضارة الغربية

أرى تثقيفَ إفرنج      فسَادَ القَلْبِ والنَّظَرِ  
فَروخُ حضارةٍ لهمُ      خَلَّتْ مِنْ عَفَّةِ الوَطْرِ  
إذا ما الروحُ جانبها      جَمَالَ الصَّفْوِ والطُّهْرِ  
فأين جمالُ وجدانٍ      ولطفُ الذُّوقِ والفِكرِ

\*\*\*

## أسرار ظاهرة (١)

ما بهم حاجةٌ إلى السيفِ قومٌ      مِنْ حَدِيدٍ يُصَاغُ فِيهِمْ شَبَابٌ  
أين منك الأفلاكُ؟ إِنَّكَ حُرٌّ      وَهِيَ قَهْرٌ ذَهَابُهَا وَالْإِيَابُ  
ما اصطخاب الأمواج؟ لذة سعيٍ      وَاللَّالِي يَصْوَغُهَا الوَهَّابُ  
ليس يَهْوَى الشاهينُ مِنْ طَوْلٍ خَفِيٍّ      يَا أَخَا العِزْمِ لَا يَنْلِكَ التُّرَابُ

\*\*\*

---

(١) قال موسوليني لإقبال حين لقيه : من ملك الحديد ملك كل شيء . فأجاب إقبال :  
من كان هو حديداً فهو كل شيء . وقد ضمن هذا المعنى البيت الأول من هذه  
الآيات .

## وصية السلطان تيبو (١)

طاويي البيداء شوقاً ! أقبلن  
 لا ! وإن سار بليلى محملاً  
 جدول الماء ! تقدّم مُسرِعاً  
 لا تحز في مصنم الكون وسز  
 يا مُذِيبَ الحفَل ! لا تقبل له  
 كلُّ قلبٍ ذلٌّ للعقل فقد  
 وحّد الحقُّ وثنى باطلٌ  
 لا تعرّج ، منزلاً لا تقبلن (٢)  
 فامض شوقاً ، محملاً لا تقبلن  
 واغدُ نَهراً ، ساحلاً لا تقبلن  
 في البرايا ، ضللاً لا تقبلن  
 حُرقة ، كن مشعلاً ، لا تقبلن  
 قال ريسي أزلًا : لا تقبلن  
 فشوب حقُّ باطلاً لا تقبلن

\*\*\*

## قطعة

إلى عَصَبات العُرب ما أنت متممٌ ولستُ بهنديٌّ ولا أنا أعجمي

(١) السلطان تيبو كان من ملوك المسلمين في ميسور جنوبي الهند . وقد حارب الإنكليز زمناً طويلاً ، وحاول أن يولب عليهم دولاً إسلامية ، ويتفق مع نابليون ، وكان في مصر حينئذ . فجمع له الإنكليز ما استطاعوا . فلما يئس من النصر ألقى بنفسه من قلعة فمات سنة ١٢١٣ هـ .

وهو عند إقبال ممن تتجلّى فيهم ( الذاتية ) فقد جعل هذه الوصية على لسانه .  
 وفي هذه الأبيات أصول من فلسفة إقبال :

يدعو إلى السير الدائب ، وهجر المحمل ولو في صحبة ليلي ، وإلى المضي والتقدّم والنماء ، فهو يدعو جدول الماء أن يسير حتى يصير نهراً ، وإلى السيطرة على هذا الكون والعلو عليه حتى لا يضل الإنسان فيه ، وإلى أن يحرق الإنسان بحرارة ذاته ولا يقبس من أحد ناراً ، وألا يذل القلب للعقل .

(٢) القافية مردوفة والروي اللام في منزلاً وساحلاً . . . إلخ .

فقد علّمتني (الذاتُ) تحليقَ نافرٍ  
 بعينك أني كافرٌ غير مسلمٍ  
 فدينك تعدادٌ لأنفاسٍ مُحجَمٍ  
 تبدّلتْ فالتبديل في الشرع حكمةٌ  
 فلست أرى في بيدك اليومَ جنةً  
 إذا حاد عن نار الحياة منغمٌ  
 يمرُّ على الدارين غيرَ محوّمٍ  
 وأنت بعيني كافر غير مسلمٍ  
 وديني إحراقٌ لأنفاسٍ مُقَدِّمٍ<sup>(١)</sup>  
 فليس يُطبق الظبيُّ شرعةَ ضيغمٍ<sup>(٢)</sup>  
 تشبُّ بهذا العقل نارَ التَّقَدُّمِ<sup>(٣)</sup>  
 فموتٌ شعوبٍ لحنٌ هذا المنغمُ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

### اليقظة

خِدْنُ حَقٌّ تَنَبَّهتَ فِيهِ (ذاتُ)  
 نظراتٌ لَدَيْهِ تُشْرِقُ فِيهَا  
 إِيهِ عِبْدَ الْأَفَاقِ ! كَيْفَ تَدَانِي  
 أَنْتَ فِي الْبِرِّ قَاعِدٌ عَنِ طِلَابِ  
 كَالْحَسَامِ الْمَصْمُومِ الْبِرَّاقِ  
 مَا نَطَوَى فِي الذَّرَاتِ مِنْ إِشْرَاقِ  
 رَجُلِ اللَّهِ صَاحِبِ الْأَفَاقِ  
 وَهُوَ فِي الْبَحْرِ مَحْرَمِ الْأَعْمَاقِ

\*\*\*

### تربية الذات

رَبِّبِ «الذاتَ» بِالرَّعَايَةِ تُبْصِرُ (كفُّ تُرب) يُشِيعُ فِي الْكُونِ نَاراً<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) أنت تدين بالسكون والإحجام ، فحياتك عدُّ أنفاس ، وأنا أدين بالجد والإقدام فحياتي إحراق أنفاس .
  - (٢) كرر إقبال هذا المعنى ، يقول : إن الجماعة إذا ضعفت لم تستطع السير على شريعة القوة ، فهي تعمل في تبديلها بدل أن تبدل نفسها .
  - (٣) يرمز إلى هيام معجون ليلي في البيداء . والجنون في شعر إقبال الإقدام في غير مبالاة .
  - (٤) إذا لم تكن الألحان ناطقةً بحرقة الحياة وكدها فهي مميتة للهمم .
  - (٥) تكثر الكناية عن الإنسان بكف من تراب ، أو قبضة من تراب .



إِنَّ سِرَّ الْكَلِيمِ فِي الدَّهْرِ بَيْدٌ      وَشُعَيْبٌ وَالرَّعِي لَيْلَ نَهَاراً<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## حرية الفكر

بحرية الأفكار هلك جماعة      إذا لم يكن فيها تدبُّرٌ عالم  
فحرية الأفكار في رأس جاهلٍ      طريق لِرَدِّ الناس مثل البهائم

\*\*\*

## حياة الذات

إِنَّ الذَّاتُ حَيْثُ فَالْفَقِيرَ مَمْلُوكٌ      ترى طُغْرَلاً أو سَنَجْرَاً لا يَشَاكُلُ<sup>(٢)</sup>  
إِنَّ الذَّاتُ حَيْثُ فَالْبَحَارُ ضَحَاضِحٌ      إِنَّ الذَّاتُ حَيْثُ فَالْحَزُونَ مُخَامِلٌ  
ترى في الحياة الوحشَ قاهر لَجَّةً      وفي موته موجُ السَّرَابِ سَلاسلُ

\*\*\*

## حكومة<sup>(٣)</sup>

يَرْضَى الْمَرِيدُونَ قَوْلَ حَقٍّ      ليسوا عن الحقِّ بالعُتَاةِ  
وَالشَّيْخُ قَوْلَ الْفَقِيرِ يَقْلِي      وليس للحقِّ بالمُواتي  
قَدْ قَعَدَتْ أُمَّةٌ وَبَاءَتْ      في حَلْبَةِ السَّعْيِ بِالْخَزَاةِ  
إِنَّ شَغَلَتْ عَقْلَهَا بِبَحْثٍ      فلسفةُ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ

(١) يعني فسحة البيداء وتربية روح عظيمة كشعيب ، والجد الدائب .

(٢) طغرل وسنجر من ملوك السلاجقة .

(٣) بمعنى حكم .

دستورُ ذا السديرِ ليس فيه  
لكنما راحهُ نصيب  
الشَّهْدُ عند الشباب فيها  
المُرُّ من مورد الحياة

\*\*\*

## المدرسة الهندية

إقبالُ أقصر ، هنا لا تُعرف الذاتُ  
الخيرُ ألا تُرى في عين قُبْرَةٍ  
فلحظة الحرِّ عام للذليلِ فكم  
ولحظة الحرِّ من خلدِ رسالتهُ  
وفكرةُ الحرِّ من حقِّ منورةٍ  
كرامةٌ حيَّةٌ مائلةٌ  
حسب المُقيِّدِ تعليماً وتربيَّةً

فما لمدرسة هذي المقالاتُ  
من البُزاة مقاماتُ وحالاتُ  
تبطيء السيرَ بالعُبدان أوقاتُ  
ولحظةُ العبد من مَوْتِ فُجاءاتُ  
وفكرةُ العبدِ تغشاها الخرافاتُ  
والعبدُ من غيره تأتي الكراماتُ  
تصويرُهُ ولحونُ والنباتاتُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## التربية

فرقُ علمٍ وحياةٍ  
هو في الرأس ذكاءٌ  
قدرةٌ في العلم تبدو

ليس فيه مِنْ خفاءٍ  
وهي في القلب ذكاءٌ<sup>(٣)</sup>  
ومتعاغٌ وثرَاءٌ

(١) يكني عن الدنيا بالذير القديم ، وقد حذف القديم في الترجمة .

(٢) يعني : حسب الدليل أن يعنى بهذه العلوم والفنون ، لا تدرك نفسه معاني الحياة السامية التي تسيطر بها على العالم .

(٣) ذكاء : اتقاد .

مُعضِّلٌ أَنْ لَيْسَ فِيهِ      فِي خُطَا السَّيْرِ اهْتِدَاءُ  
 وَأُولُو الْأَبْصَارِ نَزْرٌ      وَأُولُو الْعِلْمِ زُهَاءُ  
 لَيْسَ بِدَعَاً أَنْ كَأْساً      لَكَ مِنْ رَاحِ خَلَاءِ  
 مَا طَرِيقُ الشَّيْخِ فِي الْمَكْتَبِ      لِلْقَلْبِ ضِيَاءُ<sup>(١)</sup>  
 كَيْفَ بِالْكَبْرِيتِ إِشْعَا      لُ سِرَاجِ الْكَهْرِبَاءِ؟

\*\*\*

## الحسن والقبح (٢)

إِنَّ لِلْفِكْرِ طُلُوعاً وَغُرُوباً      كَنُجُومٍ سَابِحَاتٍ فِي الْعَوَالِي  
 عَالَمُ الذَّاتِ بِهِ عُلوٌّ وَسُفْلٌ      وَاعْتِرَاكُ الْقَبِيحِ فِيهِ وَالْجَمَالِ  
 فِي اعْتِلَاءِ الذَّاتِ مَا يَبْدُو جَمِيلاً      وَقَبِيحٌ مَا بَدَأَ فِي الْاِسْتِفَالِ

\*\*\*

## موت الذات

مِنْ مَمَاتِ الذَّاتِ فِي الْغَرْبِ ظَلَامٌ      وَبِمَوْتِ الذَّاتِ فِي الشَّرْقِ جَذَامٌ  
 مِنْ مَمَاتِ الذَّاتِ فِي الْعُرْبِ خَمُودٌ      وَلَدَى الْعُجْمِ عُرُوقٌ وَعِظَامٌ  
 مِنْ مَمَاتِ الذَّاتِ فِي الْهِنْدِ جَنَاحٌ      هَيْضَ فِي الْأَقْفَاصِ وَالْعِشِّ حَرَامٌ  
 مِنْ مَمَاتِ الذَّاتِ يُعْرِي مُسَلِّماً      مِنْ ثِيَابِ سَادَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ<sup>(٣)</sup>

(١) المكتب - المدرسة : وفي تركية : المدرسة خاصة بالعلوم الدينية ، والمكتب لما يسمى مدرسة في مصر . والكلمة بعينها في الأصل .

(٢) هنا رأي لإقبال في الحسن والقبح متصل بفلسفته في الذات وقوتها وعلوها . يقول :  
 ما تدركه الذات في اعتلائها جميل ، وما تدركه في استفالها قبيح .

(٣) في الأصل « شيخ الحرم يبيع ثوب الإحرام ويأكله » والمعنى أن موت الذات قعدت بالمقيمين في الحرم عن المساعي ، وسوغت لهم سفاسف الأمور ، فطوعت لهم =

## ضيف عزيز

ضميرٌ أولي المدارس في ازدحام      بأفكارٍ كما امتلأ القفيزُ  
وهذا العصرُ ماضي في هواه      جميلاً من قبيح لا يميزُ  
ففي جنّات قلبك أحل بيتاً      عسى يثوي به ضيفٌ عزيزُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## العصرُ الحاضر

فأين يُصيب المرء ناصجَ فكرةٍ      وأجواءُ هذا العصر لا تُنضجُ الثمر  
مدارسُ فيها كلُّ عقلٍ محرَّرُ      ولكن بها الأفكارُ عقْدُ قد انتشر  
أطاحت بعشق الغرب أفكارُ ملحدٍ      وعبدَ عقلَ الشُّرق فوضى من الفكر

\*\*\*

## طالب العلم<sup>(٢)</sup>

الله يحبوكِ علماً      بمائجاتِ العُبابِ  
فإنَّ بحركِ رَهْوُ      ما يُبتلى باضطرابِ  
لن تستطيع فراغاً      في السُّفر من أبوابِ

= أنفسهم أن يأخذوا ثوب الإحرام ليعيشوا به .

(١) ينبغي أن يخلى القلب حيناً من الأفكار المتزاحمة التي تشغله ليفرغ للواردات النفسية ، والمعاني الروحية العالية .

(٢) يريد إقبال بالتعليم إيقاظ نفس الطالب ، وتحريكها ، وإثارتها للنظر ، وحفزها للمطالب العالية ، لا تلقينها مسطورات الكتب .

فأنت قاري كتابٍ ولستَ أهلَ كتاب

\*\*\*

## امتحان<sup>(١)</sup>

قال نهرُ الطَّوْدِ يوماً للحجر :      بسقوطٍ وانتكاسٍ تفتخر!  
أنت للاقدام والغمِّ لَقَى      وأنا يشتاقني بحرٌّ وبرّ  
لم تُدهدَه من جدارٍ مرَّةً      كيف تُدرى أزجاجُ أم حجر؟

\*\*\*

## المدرسة<sup>(٢)</sup>

مَلِكُ الموتِ عصرُنا يتوقى      كلُّ نفسٍ بفكرةٍ في المعاش  
يَرْجُفُ القلبُ مِنْ كفاحِ حياةٍ      وهي مَوْتٌ لمُشفقٍ من هِراش  
أبعدَ الدرسِ عن جِجَاك جُنوناً      صاحَ بالعقل : لا تَلذُ بِنقاش<sup>(٣)</sup>  
عينُ صقرٍ مُنحتَها وعليها      وضعَ الرقُّ نظرةَ الخفَّاش  
حجبتُ دونك المدارس سرّاً      هو في البيدِ والرَّواسخِ فاش

\*\*\*

---

(١) في الأبيات التالية يضرب إقبال مثلاً لرأيه في أنَّ الكدَّ والجهد يقويان الإنسان ، ويرفعانه ، وأنَّ الحياة لا تكمل دون عناء - يمثل بالنهر المنحدر من الجبل يهوي من صخر إلى صخر . . . إلخ .

(٢) يقول إقبال : إنَّ المدارس وسيلة إلى الوظائف ، وسبيلٌ إلى المعاش ، وهي لا تقدم بالإنسان على جهاد الحياة ، بل تهبط بالفطرة ، وتحجب عن الإنسان أسرار الخليقة . وإن يكن عنى مدارس الهند فما أشبه كثيراً من المدارس بها !

(٣) جنونٌ يقول للعقل أقدم ولا تتعلل بالجدل وتلذ بالمعاذير .

## الحكيم نيتشه (١)

أي قدرٍ لذا الحكيم ولكن لم يكن أهل نكتة التوحيد  
ليس إلا لذي البصيرة يبدو سرُّ معنى بـ (لا إله) بعيد  
أرسل الفكر أسهماً في سماء وحوى الشمس بالخيال المديد  
طاهر الطين في الترهّب لكن لذة الإثم نُصب طَرْفٍ حديد

\*\*\*

## الأساتذة

إن كان تربيةً الياقوت مقصدنا فما شعاع رمته الشمس حيران<sup>(٢)</sup>  
وما المدارس أو ما الدارسون بها وللروايات عمّ الأرض إذعان  
كانت جديراً بقود العصر أدمغة يقودها العصر ما فيهنّ نُكران

\*\*\*

## قطعة

يبلغ المنزل سارٍ لا ينام مُسرحٌ عين هزبرٍ في الظلام  
إنّما للعبد تُمنى راحة ليس للحرّ على الأرض حمام

- (١) إقبال يعجب بنيتشه الفيلسوف الألماني وفي فلسفته شبه بفلسفته ، ولكنه يأخذ عليه أنّه عرف العقل لا القلب ، وأدرك العلم لا العشق . وهنا يقول : لم يكن « لنكتة التوحيد أهلاً ، وأنه كان ضرورة عقاً ، ولكن كان يتشوّف إلى لذة الإثم ، فيكثر الحديث عنها .
- (٢) يقول الطبيعويون القدماء : إنّ العقيق والياقوت ونحوهما من الأحجار النفيسة تنضج بأشعة الشمس . ويقول إقبال : إن كان القصد تربية النشء فلا تجدي هذه الأشعة الحائرة المتفرقة . تربية النشء تقتضي أن يؤثر الأساتذة في التلاميذ تأثير أشعة الشمس المتجمعة في الأحجار النفيسة .

قد أزاغَ العينَ في الغرب سناً      لك من صاحبٍ ﴿ ما زاغ ﴾ إماماً<sup>(١)</sup>  
 ذاكُمُ الحفلُ الذي أكؤسه      كنجوم ، لمحّةً فيه المُقام  
 أعمتِ الأسفارُ حسّاً فالصِّبا      لم تعطرُ لك من روضٍ مشاماً<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## الدِّينَ والتَّعليمَ

قد عرفنا قدرَ أشياخِ الحَرَمِ      كلُّ دعوى دون إخلاصٍ سَقَمَ  
 ولتعليمِ النَّصارى نغمٌ      ليس من دينٍ وخلقٍ ذا النَّعمِ  
 تكتبُ الذُّلَّ على أقدارها      أمةً بالذاتِ فيها لا تُهَمُّ  
 ربما تَغْفِرُ للفردِ ولا      تغفِرُ الفطرةَ أمامَ الأممِ

\*\*\*

## إلى جَاوِيدِ<sup>(٣)</sup>

- ١ -

حَرَبٌ على الأديانِ ذا الزمانُ      مرَّكبٌ في طبعه الكفرانُ

(١) يشير إلى الآية في سورة ( النجم ) ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [ النجم : ١٧ ] وصاحب ما زاغ هو الرسول عليه السلام .

(٢) يعني أنّ العكوف على الكتب أمات الحس . فالصِّبا تمرُّ على الروض ، وتأتي الأيك فلا تشم رائحة الروض فيها . حجبت الكتب عن النفس إدراك المعاني الروحية العالية ، وأغفلت الإنسان عن وحي الكون .

(٣) جاويد ابن الشاعر ، وباسمه نظم « جاويد نامه » الديوان الخالد .  
 والأبيات الآتية معارضة لشعر نظامي الجنزي ( الكنجوي ) الذي ينصح فيه ابنه . وقد ختم إقبال كل قسم من الأقسام الثلاثة الآتية التي قسم إليها نصيحة جاويد ببيت فارسي من أبيات نظامي التي نصح بها ابنه . ونظامي من أئمة شعراء الفرس .

سُدَّةَ أهل الله - فاطلُبُنْهَا -  
لكنه « الحقُّ » عصرُ سحرِ  
عينِ الحياة ماؤها نَضُوبٌ  
مَنْ كان في نظرتهم سِهامٌ  
لكنما الدَّارُ التي سراجُ  
إِنْ تك ( لا إله ) في ضمير  
عُشْكُ فوق ( الذات ) أَحْكَمْنَه  
الأدميُّ يا بنيَّ بحسْرُ  
مِنْ حَبَّة تری ألوفَ حَبِّ  
لا تغفلنْ فلاتَ حينِ لِغِبِ

أرفعُ مما شَيَّدَ السُّلطانُ  
السَّحْرُ في أموره ميزانُ  
فأينَ راحَ الليلَ والرَّيحانُ  
منهم خلا الكُتَّابَ والديوانُ  
أنت لها مذاقُها عرفانُ<sup>(١)</sup>  
فالغرب من تعليمه أمانُ  
ثم اطرَبَنَ ما شاءت الأغصانُ  
في كلِّ قطرةٍ به طوفانُ  
إمَّا جفا راحته الذَّهقانُ  
العلمَ حصَّلَ واستَهَنَ بالصَّغِبِ

- ٢ -

إن لم يكن في الصَّدرِ حرُّ قلب  
إن ينشَطِ الغزالُ في ذكاء  
ماءُ الحياة هاهنا قريبُ  
في غيرِة أرى طريقَ حقِّ

لم تنضجِ الحياة في هُمام  
لم يظفرِ الصَّيَّادُ بالمَرامِ<sup>(٢)</sup>  
طريقُه حرارةُ الإقدامِ<sup>(٣)</sup>  
الفقرُ بالغيرِة في تمام

(١) يعني : دار إقبال التي نشأ بها جاويد .

(٢) إنَّما يصاد الصيد حين يغفل ، أو يبطن . فإن كان يقظاً وثاباً لا يظفر به الصياد .  
فالإنسان لا تخضعه الحادثات إن صحبه الذكاء والإقدام .

متى تحمل القلب الذكِّيَّ وصارماً وأنفاً حميماً تجتنبك المظالمُ  
(٣) ماء الحياة يوجد في هذه الدنيا والسبيل إليه الجدُّ والكُدُّ ، وشدة العطش . كما قال في  
رسالة المشرق :

غصنُ الحياةِ ندي من ظمئنا في الطَّلاب



لباشقِ ضَرَاعَةُ الحَمَامِ<sup>(١)</sup>  
 كم أنوريّ عندهم وجامي<sup>(٢)</sup>  
 نُوحُ خَالٍ فِي دُجَى الظَّلَامِ  
 فِي نَظَرِ الدُّنْيَا مِنَ الكَرَامِ  
 نِبَاهَةُ الذِّكْرِ عَلَى الأَيَّامِ  
 مَا أَجْمَلَ المَقَالَ مِنْ نِظَامِي<sup>(٣)</sup>  
 فِي حَلْبَةِ السَّبْقِ إِلَى المَعَالِي

يَا قِرَةَ الأَعْيُنِ مُسْتَحِيلٌ  
 لَيْسَ المَقَالُ فِي الأَنَامِ نَزْرًا  
 وَإِنَّمَا بَيْنَ الِوَرَى مُتَاعِي  
 وَصَدَقُ أَقْوَالِ بَهَا تِرَانِي  
 مَوْهَبَةُ الخَلَّاقِ لَا تُرَاثُ  
 لِنُورِ عَيْنِيهِ يَقُولُ نَصْحًا  
 أَبَوْتِي لَيْسَتْ بِذَاتِ بَالٍ

- ٣ -

الدِّينُ وَالدَّوْلَةُ فَعَلُ هَازِي  
 فَلَيسَ إِلا كَلِمٌ نَوَازِي  
 وَابْتَغِ فَقْرًا أَصْلَهُ حِجَازِي<sup>(٤)</sup>  
 كَاللَّهِ مُسْتَغْنٍ بِلا إِعْوَازِ  
 فَإِنَّمَا هَذَا مَقَامُ البَازِي  
 مَا بَابِنِ سِينَا كُجِلَتْ وَالرَّازِي  
 إِنَّ لَمْ يَكُنْ طَبْعُكَ مِنْ إِيَازِ<sup>(٥)</sup>  
 مِنْ نَفَخَاتِ النَّايِ فِي اشْمِزَازِ<sup>(٦)</sup>

عَبَاءٌ عَلَى المَوْمِنِ ذِي اللَّيَالِي  
 وَلَا أَرَى نَشْوَانَ فِي كِفَاحِ  
 فَإِن تَكُنْ ذَا هَمَّةٍ فَاقْدَمِ  
 الأَدْمِيَّ مِنْهُ فِي صِفَاتِ  
 هَذَا المَقَامِ لِلْبُغَاثِ حَتَفِ  
 تُضِيءُ عَيْنُ العَقْلِ مِنْ سَنَاءِ  
 سَطْوَةِ (محمود) تُصِيبُ فِيهِ  
 فَذَاكَ فِي دُنْيَاكَ إِسْرَافِيلُ

- (١) الباشق ضرب من الطيور الجوارح . ولا يذل الباشق كالحمام ، فكذلك الكرام لا تضرع ضراعة الحمام .  
 (٢) ليس الكلام في الناس قليلاً ، فكم فيهم من شاعر مثل الأنوري والجامي . وهما من كبار شعراء الفرس .  
 (٣) نظامي شاعر فارسي كبير ذكر في مقدمة هذه الأبيات .  
 (٤) فقر نسب إلى الرسول الحجازي . راجع المقدمة في الكلام على الفقر .  
 (٥) السلطان محمود بن سبكتكين وغلामه إياز يشيع ذكرهما في الآداب الإسلامية الشرقية .  
 (٦) وضرب محمود وإياز هنا مثلاً للعظمة والحقارة .  
 فذاك : إشارة إلى الفقر فنفسه لا يلائم الناي ولكن صور إسرافيل .

نظرته المثيرة الليالي      ساريةً بالكون في ارتجاز  
وصاحب الفقر الغيور هذا      بلا سلاح في الزمان غازٍ  
إمارة المؤمن فيه سرُّ      عطيةً الوهاب هذا الفقر

\*\*\*



القسم الثالث

المرأة



## الرَّجُلُ الْإِفْرَنْجِي

كم حكيمٍ قد تمنَّى حلَّه      مشكلُ المرأة في هذي الحياةِ  
لا تلُنْها في فسادِ شائعٍ      شهدتْ بالطُّهرِ كلُّ النِّيَّراتِ  
عِشْرَةَ الْإِفْرَنْجِ نَهَجٌ مُفْسَدٌ      جهلُ الحمقى طباعَ المحصناتِ

\*\*\*

## سؤال

إلى عالم الغرب من أسلست      له الرومُ والهندُ يُزجى سؤال :  
كمال معاشره عندكم      حيالُ النِّساءِ وعُطلُ الرِّجالِ؟<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## حِجَاب

أرى فلِكَأ كلَّ حينٍ للونِ      ولم تنضُرْ دنياك هذا الإهابِ  
ولا فرق ما بين عرسٍ وعرسٍ      فذي في نقابٍ وذا في نقابٍ<sup>(٢)</sup>  
ولم يزلِ النَّاسَ رهنَ حجابِ      ومن برزتْ ذاته مِنْ حجابِ؟

\*\*\*

---

(١) الحيال : الخلو من الحمل .

(٢) نقاب الرجل والمرأة في هذا البيت يفسره ما في البيت الذي بعده ، أن الذات لا تزال في حجاب . والعرس : الزوج للرجل والمرأة .

## الخلوة

فَصَحَّ العَصْرَ جِنَّةً بالسُّفُورِ      نُورُ عَيْنٍ وظُلْمَةٌ في الصُّدُورِ  
إنْ تُجْزِ متعةُ العيونِ مَداها      كان فيها الشُّتاتُ في التفكيرِ  
قطرةُ الماءِ لا تُحوِّلُ دُرّاً      دونَ أصداها بقاعِ البحورِ  
تُمْسِكُ الذَّاتُ نَفْسَها حينَ تَخْلُو      لا خِلاءً بمسجِدٍ أو دِيوَرِ

\*\*\*

## المرأة

إنَّما المِراةُ لَوْنٌ      في رسومِ الكائناتِ  
لحْنُها ينفثُ نارَ الوَجْدِ في صدرِ الحِياةِ  
ذلكَ الطِّينُ تعالَى      ففوقَ أوجِ النَّيِّراتِ  
إنَّها دَرَجٌ ليدِها      كلُّ دُرٍّ من صفاتِ  
ما لأفلاطونَ تَروي      من قضايا معضلاتِ  
وهو منها كشرارِ      من ذكِيِّ الجَمَراتِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## حريةُ النساءِ

قضيةُ عصرٍ لستُ فيها بفينصلِ      وإنْ كنتُ بينَ الشَّهَدِ والشُّمِّ أفْرِقُ  
وما نفعُ أقوالِ تَزِيدُ مَلامتي      وقبلاً بنو التمدينِ عَنِّي تفرقوا  
يبيِّنُ هذا السَّرَّ وجدانُ مِراةِ      وَيَعْجِزُ عنه في الرِّجالِ المحقِّقُ

(١) يعني : أن المرأة لا تتفلسف ، ولن تلد الفلاسفة .

أحرية النّسوانِ أجملُ زينةً أم الجيدُ بالدرّ الثمينِ يطوّقُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## حصانة المرأة

في الصّدر حقٌّ ليس يُدرّكه من حاز بردَ دِمائه عَصَبُ  
حفظُ الأنوثة في يدي رجلٍ لا العلم يحفظها ولا الحُجُبُ  
إن غاب هذا الحقُّ عن أممٍ فكسوفُ شمسٍ فيهمُ كَثَبُ

\*\*\*

## المرأة والتعليم

موتُ الأمومة إن رامت حضارتهم فالموتُ عاقبة الإنسان في الغربِ  
إن يجعل المرأة التعليمُ لا امرأةً فالعلمُ موتٌ يراه صاحبُ القلبِ  
إن تحرمنَّ الفتاةَ الدينَ مدرسةً فالعلمُ والفرُّ موتُ العشقِ والحبِّ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## المرأة

بغيره يتجلّى جوهرُ امرأةٍ ووحده يتجلّى جوهرُ الرّجلِ  
حرارةُ الشّوقِ سرٌّ في بلابلها كيانها لذّةُ التخليقِ كالشّعَلِ

(١) هذه قضية لا يفصل فيها إلا المرأة : أحرية المرأة كما نرى اليوم أحبُّ إليها . أو غل عنقها بعقد من اللؤلؤ في رعاية زوج وصيانة بيت .

(٢) إن أغفلت المدرسة الدين الذي يحفظ للمرأة حرمتها وحدودها ؛ فعلمها وفنها موت عاطفة المرأة ، وذهاب الحب الحق .

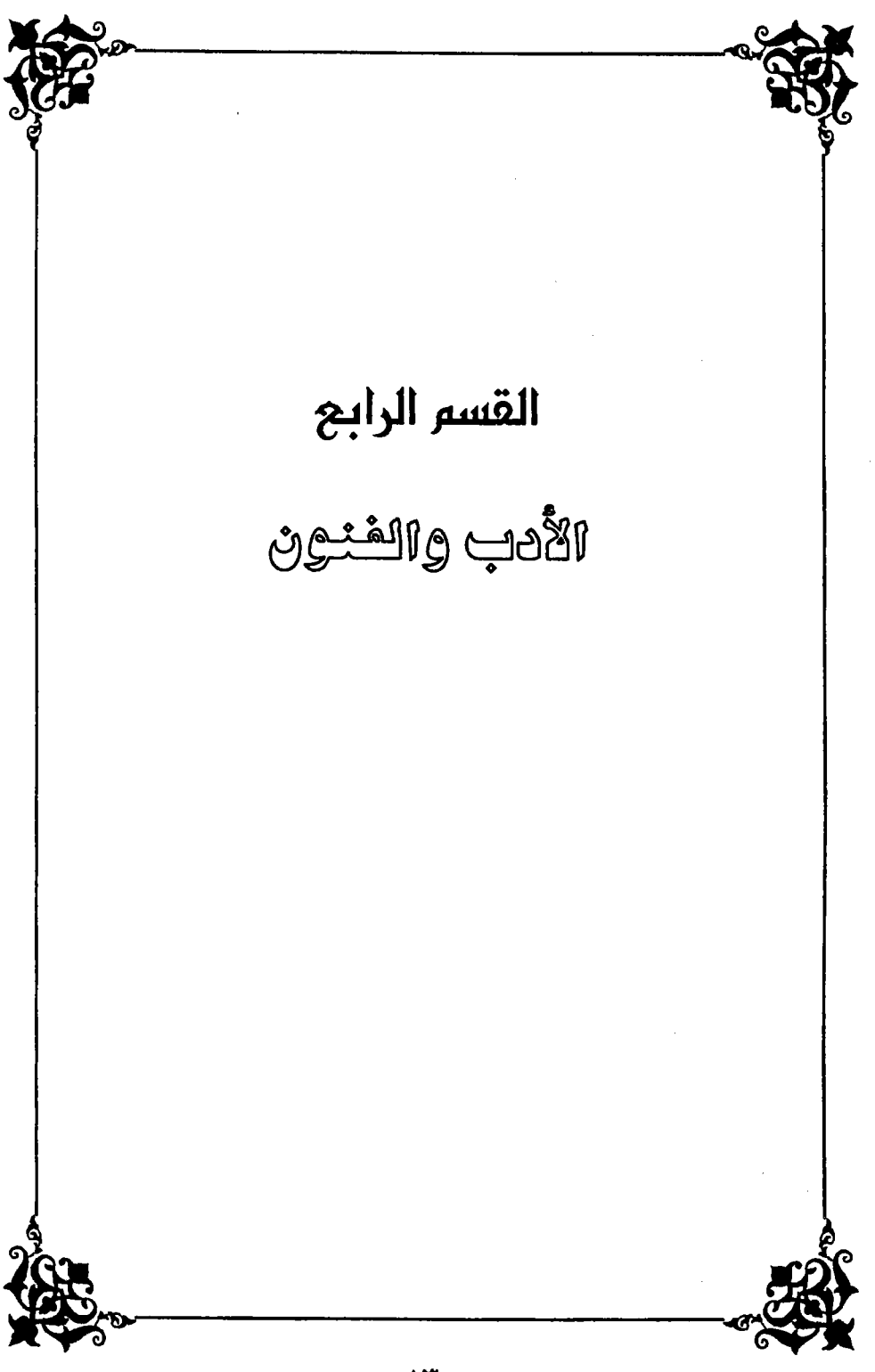


من هذه النار أسرارُ الحياة بَدَت  
كذلكم في فؤادي للنساء أَسَى  
والخلقُ والموتُ منها في وغَى زَجَلِ  
لكنَّها عقدةٌ أَعِيثُ على الحيل<sup>(١)</sup>

\*\*\*

---

(١) هو كذلك يرثي للمرأة مما أعدتها الفطرة له وما حملتها إياه . ولكن لا حيلة لأحدٍ في هذا .



القسم الرابع  
الأدب والفنون



## الدِّينُ وَالْفَنُّ

الدِّينُ وَالْفَنُّ وَالتَّدْبِيرُ وَالْحُطْبُ وَالشُّعْرُ وَالتَّنْثَرُ وَالتَّحْرِيرُ وَالكُتُبُ  
كُلُّ يُحِيطُ بِمَكْنُونٍ يَضُنُّ بِهِ ؛ فِي صَدْرِهِ يَتَوَارَى جَوْهَرٌ عَجَبُ  
وَمِنْ ضَمِيرِ سَلِيلِ الطِّينِ مَطْلَعُهَا لَكِنْ لَهَا مِنْ وَرَاءِ الرُّهْرِ مَضْطَرَبُ<sup>(١)</sup>  
إِنْ تَحْفَظِ « الذَّاتَ » هَذِي فَالحَيَاةُ بِهَا أَوْ لَمْ تَطُقْ ذَاكَ فَهِيَ السَّحَرُ وَالكَذِبُ<sup>(٢)</sup>  
كَمْ أُمَةٌ تَحْتَ هَذِي الشَّمْسِ قَدْ خَزِيَتْ إِذْ جَانِبِ الذَّاتِ فِيهَا الدِّينُ وَالأَدَبُ

\*\*\*

## التَّخْلِيقُ

جِدَّةُ الدُّنْيَا بِتَجْدِيدِ الفِكْرِ لَيْسَتْ الدُّنْيَا بِصَخْرٍ وَمَدْرُ  
هَمَّةُ الغَائِصِ فِي « الذَّاتِ » لَهَا مِنْ غَدِيرِ المَاءِ بَحْرٌ قَدْ زَخَرَ  
قَاهَرُ الأَيَّامِ مِنْ أَنفَاسِهِ هِيَ أَعْمَارُ خَلُودٍ فِي الدَّهْرِ  
رِيحُ أَصْحَابِ مِنَ البِيدِ أَتَتْ لِأَعْجِيبُ إِنْ بَدَا خِذْنُ سَفَرِ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

(١) سليل الطين : الإنسان .

(٢) الدين وسائر ما ذكره في البيت الأول مقصدها حفظ الذات . . . إلخ .

(٣) يعجب إقبال بالبادية : لأنَّ الذات فيها أقوى ، ولذكرى الرسول وأصحابه الذين

أخرجوا للعالم الحياة والقوة . وهو يجد من البادية ريحاً تبشر بصاحب مسعدي له ،  
يدعو دعوته ، ويحقق أمله .

## جُنُون

واهنُ البيت شاعرٌ وفقيةُ      وطوى البيدَ - ويحه - المجنونُ  
في طمّاحِ الجنونِ أيُّ كمالِ      حينَ تعدو البيداء منه فنونُ<sup>(١)</sup>  
فله في الدروس أيضاً مجالُ      ليس وقفاً على الفيافي الجنون

\*\*\*

## إلى شعره

ليَ من فعلك شكوى :      همتَ في حُبِّ الطلوعِ  
شِغْتَ عن قلبي فالأسد      - رارُ عن قلبي تشيغِ  
لا تكنُ مثلَ شرارِ      نددَ عن نارِ يضيغِ  
والتمسِ خلوةَ صدرِ      فيه من نارِ ضلوعِ

\*\*\*

## مسجدُ « باريس »

يا نظري لا يخدعَنَّك فُتُه      للزُّورِ هذا الحرِّمُ المغرَّبُ  
وليس هذا حرِّمًا لكنَّه      عند الفرنج للغرامِ ملعبُ  
قد أخفتِ الإفرنج رُوحَ موثني      في صورةٍ من حرِّمِ تكذِّبُ<sup>(٢)</sup>  
إنَّ الذي شيّد هذا موثناً      دمشقُ من عُدوانه تخرَّبُ

\*\*\*

(١) إن تجاوز البيداء إلى الحضرة فنونه ، وفيه إشارة إلى مجنون ليلي .

(٢) الموثن : معبد الأوثان .

## الأدب (١)

رأيتُ العشق يقفو اليوم نهجاً      من العقل الإلهي القويم  
وليس يُريق ماءً الوجه ذلاً      على عتبات محبوبٍ غريم  
محا التقليد في روح قديم      وأحيا الروح في جسدٍ قديم

\*\*\*

## البصيرة

الريبعُ النضيرُ ملءُ الفضاء      وجيوشُ الشقيقِ في الصحراء  
وشبابٌ ومتعةٌ وسُرورٌ      ودلائلٌ ونشوةٌ بالفتاء<sup>(٢)</sup>  
وعيونُ النجومِ في حلك الليل      وسَبحُ الأفلاكِ في الدماء<sup>(٣)</sup>  
وعروسُ الهلالِ في هودج الليل      تَهَادَى بِمُوكِبِ اللِّقَاءِ  
وتبديُّ ذُكَاءِ فِي رَوْنِقِ الصُّبْحِ      وَصَمْتُ الْأَفْلَاكِ فِي ذَا الرُّوَاءِ  
سَرَّحِ الْعَيْنَ ، لَا تَكَلِّفُ أَجْرًا      لَا يَبَاغُ الْجَمَالَ فِي ذَا الْفِضَاءِ

\*\*\*

## مسجدُ قُوَّةِ الْإِسْلَامِ (٤)

تملاً صدري همومُ مفؤودٍ      لم يبق إلا اذكأرُ مفقودٍ<sup>(٥)</sup>

(١) بهذا يُجمل الشاعر طريقة الأدب الحديث ، فهو مزاج من القلب والعقل . وهو يجدد الروح في صور قديمة ، أو يحرر من التقليد الأرواح العتيقة . ( كُتبت هذه الأبيات في بهوفال . - رياض المنزل - دار السيد راس مسعود ) .

(٢) الفتاء : الشباب .

(٣) الدماء : البحر .

(٤) مسجد عظيمٌ شامخٌ في دهلي ، هدمت بعض جدره .

(٥) المفؤود : حزين الفؤاد .

قد خمدت « لا إله » لا حُرَقُ  
 في الخلق كلُّ العيون تنكرني  
 مِنْ صَخْرِكَ المسلمونَ في خَجَلٍ  
 فَإِنَّمَا كُفِّءَ مَا تَمَثَّلَهُ  
 جلالُ تكبيره لذي أُذُنٍ  
 وما صلّاتي بقلب ذي حُرَقٍ  
 ولا أذاني جلالُ مقتدرٍ  
 ولا تجلُّ ثبوءاً ملحودٍ  
 أعياناً إيازاً مقامُ محمودٍ<sup>(١)</sup>  
 لجوهرٍ كالرُّجّاجِ معدودٍ<sup>(٢)</sup>  
 صلاة حُرِّ ريبٍ توحيدٍ  
 فيه وغي هالكٍ وموجودٍ  
 ولا دُعائي دعاءُ معمودٍ  
 فكيف ترضى سجدَ رِعديدٍ

\*\*\*

### مسرّح

تضيء حريمَ وجودك ذاتك  
 لها فوق أوجِ الثُّريا مقام  
 أمِن « ذات » غيرك تعمُر قلباً  
 فلا تبعثنَ وُثنها بعد موتٍ  
 كمال المحاكاة أنت تَفنّي  
 كيفها بها وسرورُ حياتك  
 جُلّيتَ بها وتجلّت صفاتك  
 معاذ الإله ! تُرى أين ذاتك؟  
 فتحيا مناتك فيها ولا تُك<sup>(٣)</sup>  
 فيكيفيك همّ الحياة مماتك<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) السلطان محمود وإياز مولاه ، أي لا ينال العبد مقام السيد .  
 (٢) لجوهرهم الضعيف كالرُّجّاج .  
 (٣) الوثن : جمع وثن . ومناة واللات صنمان ذكرا في القرآن .  
 (٤) كمال التمثيل أن يفنى الممثل فيما يمثله ، فعليك أن تفنى فيمن تحاكيه ما دمت مقلداً  
 فتستريح من عناء الحياة .

## شعاعُ الأمل (١)

- ١ -

تنادي أشعتها في ضجر  
عجبتُ لندينا نهاراً وليلاً  
إلامَ الهيامُ بهذا الفضاء  
فلا دِعةً في اتقادِ برملي  
ولا دِعةً في دوامِ طوافي  
تجمَّعنَ في صدري المستنير  
ذُكاءٌ وتجمعُ منها النَشْرُ (٢)  
عجبتُ عجبتُ لندينا الغيّر  
وجورُ الزَّمانِ بكنَّ استمرّ  
تَلالُماً ذرّاتُه كالشُّرر  
طوافَ الصِّبا في رياض الزَّهر  
ودغْنُ البداةِ ودغْنُ الحضّر

- ٢ -

تداعى الأشعةُ من كلِّ صوبٍ  
وصاحت : تعذّر في الغربِ نورٌ  
وفي الشّرقِ قلبٌ بصيرٌ ولكن  
أنوارَ العوالمِ لا تهجّرنا  
إلى الشمسِ تبغي لديها قرارا  
دُخانُ المصانعِ يكسوهُ قارا  
كعالمِ غيبٍ بصمتِ تواري  
إلى نورِ صدركِ آوى الحَيارى (٣)

- ٣ -

شُعاعُ جريءٍ له نظرةٌ  
ولا يستقرُّ على حالةٍ  
يقول : أضيءُ على الشرقِ حتى  
كنظرةِ حوراءٍ تغزو الضميرُ  
ترى زئبقاً في ضياءِ يموز  
أرى ذرّةَ كشمسٍ تبيّزُ

(١) لعلّ الشاعر يعني نفسه بشعاع الأمل . الشمس يثست من إضاءة في الشرق أو الغرب ، فدعت أشعتها إليها ، فجاءت الأشعة إلى صدر أمها معترفة بياسها إلا شعاعاً جريئاً يقول للشمس : ذريني أضيء الشرق ، ولا تياسي ، فكل ليل إلى صباح . الشاعر يرى في أمله ودعوته في الشرق هذا الشعاع .

(٢) النشر : المنتشر المتفرق .

(٣) الخطاب للشمس .



وأجلو عن الهند هذا الظلام  
 ففيها من الشرق آماله  
 تضيء بها أعين النيرين  
 وكم عاش في أرضها غائص  
 فأعوز أعوادها عازف  
 ينام البرهمان في سدة  
 ومسلمها خذن محرابه  
 فلا يحزنك من الشرق نوم  
 قضت فطرة الله أن تبدلي

فأوقظ نوامها للنشور  
 « وإقبالها » بالذموع مطير  
 حصاها يلوح كدر منير  
 يرى كالضحاح ليج البحور  
 وكانت تهيج الجوى في الصدور  
 لدى مؤنن والزمان يسير  
 ينوح ومن قدر يستجيز  
 وفي الغرب لا ترهبن الشرور<sup>(١)</sup>  
 بليل الظلام صباح الشفور

\*\*\*

## أمل (٢)

لا ولا ربك لــــواء  
 رتبت في اللقاء  
 وهيام وغناء  
 أم سواها ذا العطاء<sup>(٣)</sup>  
 في محياها ضياء  
 الكون منه في امتلاء  
 يك كفراً ذا البلاء  
 هود للحر سبباً<sup>(٤)</sup>

لست من أجناد حرب  
 بيد أني في صروف الدهر  
 عُدتني ذكراً وفكراً  
 لست أدري أهو شعر  
 إن عبد الحق يُزهى  
 من جلال ظلّ فكر  
 ليس دون الكفر إن لم  
 أن يرى بالحاضر المش

(١) الخطاب للشمس .

(٢) كتب في بهوبال - رياض منزل ( دار السيد راس مسعود ) .

(٣) هو يدري أنه وهبه الذكر، والفكر، والهيام، والغناء، ولا يدري أهذا شعر أم شيء آخر .

(٤) ليس أقل من الكفر أن يأسر الحر ما يراه ويشهده ، فيقيد به فكره وعمله . فالحر =

لا تذب غمًّا فكم في الدهر ——— أذوارٌ وضواء  
كم نجوم حادّثاتٍ سوف تجلوها السّماء

\*\*\*

## البصيرة

لم تُخفِ هذي الكائنات ضميرها إن صاحب النظرات شوق بصيرة  
شوق الظهور يثور في ذراتها تبذل الأيام في جلاواتها<sup>(١)</sup>  
من ذي البصيرة في الليالي قد غدا أبناء من خضعوا لها ساداتها  
من ذي البصيرة لي جنون ثائر عرفت به الذرات طي فلاتها<sup>(٢)</sup>  
هذي البصيرة لا تيسر لامرئ تخزي القلوب بنفسه وسِماتها

\*\*\*

## إلى أهل الفن<sup>(٣)</sup>

رأيت الكواكب لمحات نور وذاتك بالعشق رهن خلود

= لا يقيد ما يسمى « الأمر الواقع » .

(١) يعني أنّ نظرة البصيرة تنفذ إلى حقائق الأشياء فترى الدُّنيا على غير صورتها الظاهرة .

(٢) الجنون : هو الحماس والإقدام . ويعني الشاعر أنّ بهذه البصيرة ثار هذا الجنون في

نفسه ، فهذه الذرات التي تطوي الفلاة تعلمت من جنونه طي الفلاة . والشاعر يقرن

الجنون بالفلاة إشارة إلى قصة مجنون ليلي ( تراجع المقدمة في معنى الجنون ) .

(٣) مذهب الشاعر أنّ الفنّ ينبغي أن يحرر من محاكاة الطبيعة ، وينبغي أن يصور « ذات »

صاحب الفن . فالكواكب لمحات من نور لا ثبات لها ، و« الذات » العاشقة خالدة .

وضمير الإنسان لا تحده الألوان . والذات تخلو للذكر والفكر ، وتظهر للشعر والإنشاد

غير خاضعة لهذا العالم . والرُّوح المستعبدة فيها عبد ، والروح المقدره نفسها تسيطر

على كل شيء .

تعالى ضميرك عن كلِّ لونٍ      فعفبتَ من اللّونِ كلَّ القيودِ  
وغيبةُ ذاتك ذكراً وفكراً      ومحضُها شعراً والنشيدُ  
إذا أضنتِ السروحَ آلامُ رقٍّ      ففتنك عبدٌ رهينُ سجودِ  
وإن عرفتَ قدرها كنتَ حقاً      على الجنِّ والإنسِ ربَّ الجنودِ

\*\*\*

### قطعة

ثائرَ الموجِ كم لدى البحرِ دُرٌّ      وعلى السّاحلِ الصّموتُ غناءً<sup>(١)</sup>  
في شراري سنا البروقِ ولكن      رطوبةُ العُودِ هذه القصباءُ<sup>(٢)</sup>  
ولك الوقتُ والتصرّفُ فيه      ليس يا غرّاً! للنّجومِ غناءً  
قد رأينا عجيبةً من جنونٍ      فيه رَفُو لما يشقُّ القضاء<sup>(٣)</sup>  
إنّما الكاملُ الخلاءِ شهْمٌ      دونَ مَنْ الكرومِ فيه إنشاءً<sup>(٤)</sup>  
وإلى اليومِ حانةُ الشّرقِ فيها      خمرَةٌ للشّعورِ منها جلاءً<sup>(٥)</sup>  
يثس المبصرون من أمم الغد      رب فيها بواطنُ سَوداءِ

\*\*\*

- 
- (١) الدُرُّ في ثورة الموج ، وليس في سكون السواحل إلا الغناء ، فالحياة جدٌ وكدٌّ ، لا سكون .  
(٢) شراري يحرق كالبرق ، ولكن هذه النفوس كالقصب الرطب لا تشتعل .  
(٣) بعض الجنون يغير ما يظنه الناس قضاءً ، فهو يرفو ما يمزقه القضاء ، أي يصلح في هذا العالم مذلاً للطبيعة ، وما يحسبه الناس قضاءً وقدراً في هذا الكون .  
(٤) رجل نشوان بفكره وعمله مقدم بنفسه في غنى عمن يؤثر فيه سكران بغير خمر .  
(٥) الخمر المؤثرة تحجب الشعور ولكن خمره الشرق لا تؤثر فهي تزيد الشعور جلاءً .

## الوجود

أنت تحت الشمس تمضي كشرارٍ      لست تدري ما مقاماتُ الوجودِ  
ليس في فنك للذات بناءً      ويلُ تصويرٍ وشدوٍ وقصيدُ  
ليس في المكتب والحانة إلا      درسُ إفناءٍ به الذات تبيدُ  
ليت شعري هل تعلمتَ وجوداً      لحياةٍ ودوامٍ وخلودُ

\*\*\*

## الغناء

صاح من أين لناي نشوةٌ؟      صوتُ عودٍ ذاك أم من قلب حيّ؟  
صاح ما القلبُ؟ ومن أين له      قوةٌ سكرى تحدتُ كلَّ شيءٍ  
ولماذا نظرة منه سرت      مثلَ ريحٍ صرصرٍ في تختِ كي<sup>(١)</sup>  
ولماذا ذلك السرُّ له :      من حياةٍ فيه يحيا كلُّ حيّ<sup>(٢)</sup>  
ولماذا كلُّ حينٍ مبدلٌ      وارداتٍ زُمراً تهفو إليّ  
ولماذا صاحبُ القلبِ ازدرى      ملكَ رومٍ ومُنَى شامٍ وريّ  
إنْ وعى للقلبِ رمزاً مطربٌ      طويّ الفنُّ له أسرعَ طي<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) كي : كيكاموس أحد ملوك الفرس القدماء ، وفي الأساطير أنه كان له تخت يطير به .  
(٢) لماذا خص القلب بهذا السر : أنَّ بحياته تحيا الأمم .  
(٣) إن عرف المطرب رمز القلب ، فأرسل في نعماته خفقات القلوب ، طوى مراحل الفن ، فبلغ غايته دون عناء .

## النسيم والندى

النسيم :

لم أرق في فلك النجوم وإنني      في شق أبواب الأزاهر أعمل  
وأسير عن وطني غريباً مجبراً      في مسمعي شدو البلابل يثقل  
قل لي ، فقد أعطيت سرّ كليهما ،      المرج أم فلك الكواكب أجمل<sup>(١)</sup>

الندى :

لو لم تكن في المرج رهن هشيمه      لرأيته سرّ الكواكب يحمل<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## أهرام مصر<sup>(٣)</sup>

شادت الفطرة كُثباناً لها      في سُكونٍ من يباب قد وقد  
رَوَّع الأفلاك فيه هرمٌ      أي كفت صوّرت هذا الأبد!  
من إसार الكون حرّز صنعةً      صائد ذو الفن أم صيداً يعد<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

---

(١) و(٢) يسأل النسيم الندى وقد هبط من السماء إلى المرج ، أيهما أجمل . فيقول الندى لو لم تعلق بالهشيم ، وتقف عند المظاهر لرأيت في المرج سرّ الكواكب ، وما وجدت فرقاً بين السماء والمرج .

(٣) في هذه الأبيات يشيد إقبال بالإنسان وقدرته على الإبداع ، ويشير إلى ما قال في أبيات أخرى من أنّ صاحب الفن لا يحاكي الطبيعة ، بل يسيطر عليها ، ويؤثر فيها .

(٤) لم يحاك بانى الهرم كُثبان الرمال ، بل شاد هذا الأثر الخالد ، فحرر الصنعة من أسر الخليفة ، فإن صاحب الفن صائد لا صيد ، يأسر الخليفة ولا تأسره .

## مخلوقات الفن

قد رأى ذو بصرٍ سرَّ الذَّاتِ      وجلا الفنُّ لعينِ جَنَّاتِ<sup>(١)</sup>  
ما به الذَّاتِ ولا الكون يُرى      فهو من جهدِ حياةٍ في نِجاةِ<sup>(٢)</sup>  
تعسَّ الكافرُ مَنْ أصنامِه      من حُطامِ لمناةٍ واللاتِ<sup>(٣)</sup>  
هالكٌ صلَّى عليه فُتِّه      في ظلامِ اللَّحدِ يرنو للحياةِ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

## إقبال

قال للرومي<sup>(٥)</sup> في الخلدِ سنائي :      لا يزالُ الشرقُ بالتقليدِ يُوسرُ  
قال منصور : ولكنْ قد سمعنا      أن سرَّ الذاتِ أفشاه قلندرُ

\*\*\*

## الفنونُ الجميلةُ

نظراتُ الآفاق مُتعةٌ عينِ      سرَّحوا العينَ يا أولي الأبصارِ

- (١) ذات الإنسان أو مركز وجوده (خودي) في فلسفة إقبال .
- (٢) ليس في هذا الفن الذات ، ولا فيه عالم الصباح والمساء ، فهو فرار من جهاد الحياة .
- (٣) المقلد في الفن يتخذ أصناماً من بقايا أصنامٍ محطمةٍ كانت في العصر الخالية .
- (٤) في الأصل : أنت ميت وفنك أمام جنازتك .
- (٥) جلال الدين الرومي أكبر شعراء الصوفية ، ومجدُّ الدين السنائي طليعة شعراء الصوفية الكبار ، ومنصورُ في لغة صوفية الفرس والهند هو الحسين بن منصور الحلاج الصوفي المعروف . والشاعر يتخيل : أنَّ السنائي قال في الجنة للرومي : لا يزال الشرق في أسر القديم . فقال الحلاج : قد ظهر مجذوب أفشى للناس سرَّ الذات فهو حري أن يبدل الحياة في الشرق .

غَيْرَ أَنِّي أَقُولُ : مَا نَظَرَاتُ      لَا تَجَلِّي كَوَامِنَ الْأَسْرَارِ<sup>(١)</sup>  
 مَقْصِدُ الْفَنِّ فِي الْحَيَاةِ لَهَيْبٌ      أَبَدِيٌّ فَمَا وَمِضُّ الشَّرَارِ؟<sup>(٢)</sup>  
 قَطْرُ نَيْسَانَ ! مَا اللَّالِيءُ إِنْ لَمْ      تَتَلَاظِمْ بِهَا قُلُوبُ الْبَحَارِ<sup>(٣)</sup>  
 مَا نَسِيمُ الصَّبَاحِ فِي الشَّعْرِ وَاللَّحْنِ إِذَا مَا      أَذْوَى سَنَا الْأَزْهَارِ<sup>(٤)</sup>  
 لَيْسَ إِلَّا الْأَعْجَازُ يَحْيِي فَنًّا      لَيْسَ ضَرْبُ الْكَلِيمِ فِيهِ ، عَوَارِي<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

## صُبْحُ الْمَرْجِ<sup>(٦)</sup>

الرَّهْرَةَ :

وَإِنِّ الْأَفْلَاكَ ! هَلْ خِلْتِ بَعِيدًا      مَوْطِنِي ؟ لَا إِنَّهُ غَيْرُ بَعِيدِ

النَّدَى :

مَنْ يَطِرُ مَا بَيْنَ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ      يَتَيَّنُّ أَنَّهُ غَيْرُ بَعِيدِ

- (١) إن لم تنفذ نظرات صاحب الفن إلى حقائق الأشياء ؛ فما هي بمجدية .  
 (٢) الفنُّ يصوِّر لهيب الحياة الأبدية ، فلا قيمة للفنِّ الذي يخرج شراراً لا يلبث أن يُطفأ .  
 (٣) قطر المطر في نيسان يُخلق منه الدرُّ في الصَّدْفِ . يقول الشاعر : يا قطر نيسان !  
 ما قيمة الدرِّ الذي لا يضطرب له قلبُ البحر . يعني : أن بدائع الفن ينبغي أن يجيش لها قلب العالم .  
 (٤) إن كان نسيمُ الصبح المتمثِّل في إنشاد الشاعر ولحن المغني يذبلُ الرَّهْرَ في الرَّوْضَةِ ولا ينضِّره فأئِي نسيم هو ؟!  
 (٥) حياة الأمم بالإعجاز ، فالفنُّ الذي لا إعجاز فيه عاريةٌ لا دوام لها .  
 (٦) خلاصة ما يؤخذ من هذه الأبيات أنَّ الإنسان ينبغي أن يعمل في هذه الأرض غير غافلٍ عن عالم الغيب ، كضوء الصُّبْحِ يُغشى السهول والجبال ولكنَّه موصول بالفلك ، وعالم الغيب والشهادة ليسا متباعدين كما قال النَّدَى : إنَّ الطيرَانَ يُعَلِّمُ أَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَتْ بَعِيدَةً مِنَ السَّمَاءِ .

الصُّبْح :

أقبلن في الرّوض كالصُّبْح رقيقاً      ليس يؤذي وطؤه قطرَ النَّدى  
واحضن الأجيالَ والبيدَ ولكن      من عُرا الأفلاك لا تحلُّ يدا

\*\*\*

### (١) الخاقاني

ذا صاحبُ تحفةِ العراقيين      ذو القلب يراه قرّة العين  
تنشقُّ لفكره الشُّثور      الحُجُبُ جميعها تُنير  
يجتاز بعالم المعاني      لا يسمعُ قولَ : ﴿ كُنْ تَرَنِّي ﴾<sup>(٢)</sup>  
فاسأله بذلك التُّراب      والدَّهرُ يجيشُ في عُباب<sup>(٣)</sup>  
ذا محرّم عالم الثُّواب      كم دَلَّ بموجز الخطاب<sup>(٤)</sup> :

- (١) شاعرٌ فارسيٌّ كبيرٌ ، توفي في تبريز سنة ٥٨٢ هـ . وله من الكتب « تحفة العراقيين » . سجل فيها ما رأى في العراقيين العربي والعجمي حينما مرَّ بهما في طريق الحجّ ، وله ديوانٌ ، ومنظومةٌ اسمها « هفت إقليم » ( الأقاليم السبعة ) .  
وهذه الأبيات جاءت في الأصل في القافية المزدوجة وعلى وزن = مفعول مفاعلن فعولن . وهو ضربٌ شائع في الشعر الإسلامي الشَّرقي وهو مشتقٌّ من الأوزان العربيّة ، ولم أجده في الشعر العربي إلا في أبيات لبهاء الدين زهير أولها :  
يا مَنْ لعبت به شمولٌ      ما ألطفَ هذه الشمائل  
وقد ترجمتها على قافيتها ووزنها لأزيد في شعرنا مثلاً في هذا الوزن إلى أبيات زهير .  
(٢) ينكشف له عالم المعاني ، فلا يسمع منه ﴿ كُنْ تَرَنِّي ﴾ [ الأعراف : ١٤٣ ] وهذا رمز إلى الآية في قصة موسى : ﴿ قَالَ كُنْ تَرَنِّي ﴾ .  
(٣) أسأله عن هذا العالم الأرضي وعن حوادث الدَّهر . وفي القرآن الكريم ﴿ فَسْتَلِ بِهِمْ خَبِيرًا ﴾ [ الفرقان : ٥٩ ] أي أسأل عنه .  
(٤) المحرم : المطلع على السرِّ . واستعملها شعراء الفرس وغيرهم فأقررتها في العربية وليست بعيدة من المعنى الأصلي .



« نَاهِيكَ بِشَرِّ هَذَا الْعَالَمِ إِبْلِيسُ ثَوِي وَمَاتَ آدَمُ »<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## (٢) الرَّؤْمِي

ما زال طَرْفُكَ فِي حَلْطٍ وَفِي سِنَةٍ وَعِنكَ ذَاتُكَ فِي الْأَسْرَارِ لَمْ تَزَلِ  
وَلَمْ تَزَلْ فِي صَلَاةٍ لَا قِيَامَ لَهَا وَبِالصَّرَاعَةِ عَزَّ الرُّوحُ لَمْ تَصِلْ<sup>(٣)</sup>  
وَمِزْهُرُ « الذَّاتِ » أَوْ تَارٌ مَقْطَعَةٌ مَازَلْتَ عَنِ نِعْمَةِ الرَّؤْمِيِّ فِي شُغْلٍ

\*\*\*

## (٤) الْجِدَّةُ

إِنْ صَدَقَتْ نَفْسُكَ فِي الذَّهْرِ النَّظْرُ تُنَوِّرُ الْأَفْلَاكَ مِنْكَ فِي الْبُكَزِ  
وَتَسْتَضِيءُ الشَّمْسُ مِنْكَ بِالشَّرْرِ وَيَنْجَلِي قَدْرُكَ فِي سِيْمَا الْقَمَرِ  
وَالْبَحْرُ يَلْقَى مِنْكَ مَوْجاً ذَا دُرِّ وَتَسْتَحْيِي إِعْجَازَ صُنْعِكَ الْفِطْرِ<sup>(٥)</sup>

(١) حسبك تعريفاً بهذا العالم أن آدم مات ، وبقي إبليس أي : بقيت نزعات الشر في هذا

العالم . فهو عالمٌ محنٌ وجهاد . وهذا البيت مضمّنٌ من شعر الخاقاني .

(٢) هو مولانا جلال الدين الرُّومِي صاحب المثنوي ، والشاعر يتخذُه إماماً ، ويشيد بذكره في شعره .

(٣) الصلاة قيامٌ وسجودٌ ، يقول الشاعر : إنهما رمزُ الدلال والصَّرَاعَةِ ( ناز و نياز ) أي : الخضوع والسِّيَادَةِ ، ولكنَّ بعضَ الناس صلاتهم سجودٌ بغير قيام . . . إلخ .

(٤) يرى الشاعر أنَّ الإنسان لا ينفذ ببصره إلى حقائق الأشياء . يقول : إنك إن صدقت النظر فيما حولك ؛ رأيت دنيا أخرى جديدةً غير التي تراها ، وتغيّر إدراكك هذا العالم ، وتبيّن أنه مسخرٌ لك .

(٥) تستحي الخليفة من صنعك المعجز ، تراه أحسن منها .

تخذت أفكار الورى مرآتك فكيف لا تبلغ حتى ذاتك (١)

\*\*\*

### مرزا بيدل (٢)

ذي سماء وجمال وفجاج      ذاك حق أم عيون في اعوجاج ؟  
فرق الآراء إثبات ونفي      أهى دنيا أم خداع في الحجاج ؟  
عقدة قد حلها بيدل حقاً      أعجزت من قبله كل علاج :  
« ما بدا ذا المراج لو في القلب وسع      بان لون الخمر من ضيق الزجاج »

\*\*\*

### الجلال والجمال (٣)

حسبي كملاً قوة من حيدر      وكفاك من أفلاطن الإدراك

(١) إنك استعرت أفكار الناس فلم تبلغ في هذه الحياة حتى ذاتك ، فقد أضعتها بالتقليد .  
(٢) من شعراء إيران ، ذهب إلى الهند أيام السلطان شاه جهان ، فأكرم السلطان وفادته ، وهو شاعر صوفي له ديوان كبير يغلب فيه التعمق وتكثر الدقائق .  
وقد أعجب إقبال بفكرة في بيت لبديل ، فبنى عليه هذه الأبيات ، وهي : أن هذا العالم الحسي لا خطر له ، بل لا وجود له إلا عند من ضاق عن إدراك الحقائق الكبرى التي يختفي معها هذا العالم . كالخمر يظهر لونها كأس الزجاج لضيقها . وترجمة البيت في النشر :

« لو أوسع القلب ما ظهر هذا المرج ، خرج لون الخمر من شدة ضيق الزجاج » .  
(٣) الشاعر من المعجبين بالقوة ، الداعين إليها ، وهو يدعي هنا الإجمال بغير جلال ، يرى الكمالات في شجاعة علي لا في خيال أفلاطون ، ويرى سجود السماء للقوة جمالاً . وقد تخيل الشعراء أن انحناء السماء في رأي العين سجوداً - والنعمة التي لا قوة فيها نفخة ضائعة ، بل لا يحب أن يجازى إلا بنار شديدة الالتهاب .

وأرى جمالاً في بهاء أن تُرى      في سجدةٍ للقوّة الأفلاك  
ولنغمةً من دون نارٍ نفخةً      ما الحسنُ إلا بالجلال يُحاكُ  
لا أرتضي ناراً لجزء ولم تكن      وهما جنةٌ ولهيها دراكُ

\*\*\*

### (١) المصوّر

قلد الغربَ فنُّ عجمٍ وهندٍ      عمّ هذي البلادَ موتُ الخيال  
شقني الغمُّ أن بهزادَ عصري      يُفقد الشرقَ بهجةَ الآزال<sup>(٢)</sup>  
يا خبيراً بفنّه فيه تمّت      صنعةُ العصر والعصورِ الخوالي  
كم ترى من خليقةٍ وتريها      أرنّا الذاتَ فوق هذي المجالي

\*\*\*

### (٣) الغناء الحلال

تفتح القلبَ نغمةً من غناء      أيّ فتحٍ والقلبُ رهنُ همودٍ؟  
في صدور الأفلاك لحنٌ خفيٌّ      صاهرٌ حرّه نجومُ الوجودِ

- (١) يرى الشاعر أنّ المصوّر وكلّ ذي فنٍّ ينبغي أن يُظهرَ ذاته فيما يصوّر لا أن يحاكي الطبيعة ، وأنّ المحاكاة موت .
- (٢) بهزاد : مصوّرٌ فارسيٌّ مشهور نبغ أيام الدّولة الصفوية ، والشاعر يغمّ لأنّ بهزاد عصره يقلد الغرب ، فيفقد الشرقُ بهجةَ القديمة .
- (٣) يرى الشاعر أنّ الغناء وكلّ لحنٍ يحلُّ إن كان فيه قوةُ الذات وحرقة الحياة ، ويخزّم إن أضعف الذات ، ولم يقبس من الحياة ناراً . الغناء يفتح القلب فكيف يفتحه إن أماته؟! وفي الأفلاك ألحانٌ طبيعية تذيب النجوم ، وتبريء الإنسان من الخوف والغم ، وترفع النفس من العبودية إلى السيادة . . إلخ . والنغمة الحيّة التي يُحلّها فقهاء الذات لا تزال تنتظر مطرباً يعلنها .

يهجرُ الناسَ منه خوفٌ وغمٌ      إيازُ يسمو إلى محمود<sup>(١)</sup>  
 تيهُ هذي النُّجوم يفنى ولكن      أنت تبقى ونعمة التَّوحيد<sup>(٢)</sup>  
 قد أحلت شريعةَ الذَّاتِ لحناً      لم يزل في انتظار شادٍ مُجيد<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

## الغناءُ الحرام

ما بذكري من التصوِّفِ وَجَدُّ      أو برأبي ثوابهم والعذابُ  
 قَرَّبَ اللهُ مذهبي من فقيهِ      عُرِفَتْ عنه سُنَّةٌ وكتابُ :  
 « إن سَرَتْ في اللحون دعوةٌ موتِ      حَرُمَ النَّايُ عندنا والرَّبابُ »<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

## النَّافورة

لا يُطَيِّبُنِي مَسِيرُ النَّهْرِ مَطْرَدًا      مُسَايِرًا تُرِبَهُ جَنبًا إِلَى جَنبِ  
 دَعِ ذَاكَ ، وَانظُرْ إِلَى نَافُورَةٍ بَسَقَتْ      تُصَعَّدُ الْمَاءَ مِنْهَا قُوَّةُ الْقَلْبِ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

(١) السُّلطان محمود بن سبكتكين وخادمه إياز .

(٢) يشبه عالم الكواكب بالتيه ، ويقول : إنه يفنى ، ويبقى الإنسان ونعمته الموحدة .

(٣) اللحن الذي أحلته شريعةُ الذَّاتِ ، وهو الذي يحيي النفوس ويقويها ، لم يظفر به أحدٌ ، فلا يزال ينتظر مطرباً .

(٤) هذا مذهبه : الألحان التي تميت النفوس حرام .

(٥) لا يُعجب الشَّاعر بالنهر يساير الأرض ، بل يُعجب بنافورةٍ قويةٍ تقذف الماءَ عالياً في الهواء .

## (١) الشاعر

في غابة الشرق نايّ يبتغي نَفْساً  
من كان في ذاته من رِقّة خَوْزٍ  
إنّاؤها من زجاجٍ كان أو خزفٍ  
لم تبصر الشمسُ من دُنيا يُخال بها  
طُوْرٌ جديدٌ ، وبرقٌ كلّ آونةٍ  
يا شاعرَ الشَّرْقِ هل في صدرك النَّفْسُ؟  
فقلْ له من لُحونِ العُجْمِ يَحْتَرِسُ  
اجعل بخمرك سيفاً لمعه قَبَسُ  
مجددٌ بغير الجلاذ المرّ يُلْتَمَسُ  
لا قَرَبَ اللهُ للعشاقِ ما التمسوا

\*\*\*

## شعر العجم

كم بشعر العُجْمِ من سِخرٍ ولكن  
صَمْتُ طيرِ الصُّبْحِ أولى من غِناءٍ  
ليس ضرباً ما يشقُّ الطَّوْدَ لكن  
يَنْجِحُ العَصْرُ أيا إقبالاً ! صخرأ  
منه سيفُ الدَّاتِ ذو حدٍّ كليلٍ  
إن سرى باللَّحنِ في الرِّوضِ ذبولُ  
ليس منه عرشُ برويز يميلُ<sup>(٢)</sup>  
فاحذرنُ من كلِّ ما يُبدي الوذيلُ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) ينفّرُ إقبالُ من شعر الرِّخاوةِ والذَّلّةِ ، ويقول هنا : من ضعفت « ذاتهم » فليحترسوا من ألحان العجم ، فهي تدعو إلى الرِّقّةِ والترَفِ .  
ولا بدّ للشعر أن يكون في حدّةِ السيفِ ، ملائماً لمعركة الحياة مهما تكن صورته ، كالخمر في زجاجةٍ أو صراحيةٍ ، ينبغي أن تكون محرقةً . وليس لشوق الشاعر غايةً ففي كل حين طوْرٌ جديدٌ ، وبرقٌ للتجلّي جديد .
- (٢) ليس ضرباً ما لا يزلزل عرش برويز وإن شقَّ الجبل . والإشارة إلى قصة فرهاد الذي شقَّ طريقاً في الجبل ، ولم يظفر بشيرين ، كما وعده برويز .
- (٣) الوذيلُ : جمع وذيلة ، وهي المرأة . والشُّطرُ فارسيٌّ من شعر العراقي . ومعناه : احذر من كلِّ ما يبين في المرأة « أي هذا عصر حقائق لا خيالات . ينحت الصخور ، ويحطم كلُّ ضعيفٍ ، فكلُّ ما بدا في الزجاج فلا تركزن إليه » .

## أصحابُ الفنِّ في الهند

تَحْيَلُهُمْ جَنَازَةً كُلَّ عَشَقٍ      وَظَلَمَةٌ فَكْرَهُمْ لِلْحَيِّ قَبْرُ  
 وَمَوْتُهُمْ بِهِ نَقْشُ الْمَنَايَا      وَلَيْسَ لِفَنَّهُمْ بِالْعَيْشِ خُبْرُ<sup>(١)</sup>  
 يُنِيمُ الرُّوحَ فِي إِقْطَاطِ جَسْمِ      وَدُونَ الْمَجْدِ يُسَدِّلُ مِنْهُ سِتْرُ  
 يُسَخِّرُ لِلْأَنْوَاثَةِ كُلَّ شَيْءٍ      لَهُمْ قَصَصٌ وَتَصْوِيرٌ وَشِعْرُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## الرَّجُلُ الْعَظِيمُ

هُوَ فِي الْحُبِّ عَمِيقٌ      وَهُوَ فِي الْبُغْضِ عَمِيقٌ  
 قَهْرُهُ فَرُوقٌ عِبَادِ اللَّهِ      بَشِيرٌ وَشَفِيرٌ  
 نَشَأَتْهُ ظَلَمَةُ التَّقْلِيدِ      بِالنَّاسِ تَحْيِيقٌ  
 غَيْرَ أَنَّ الطَّبْعَ بِالْإِبْدِ      سَدَاعَ وَالْخَلْقَ خَلِيقٌ  
 هُوَ فِي الْمَجْمَعِ خَالٍ      وَمِنَ الْحَشْدِ طَلِيقٌ  
 مِثْلُ شَمْعِ الْحَفْلِ ؛ فِي      الْحَفْلِ وَحِيدٌ وَرَفِيقٌ<sup>(٣)</sup>  
 مِثْلُ شَمْسِ الصُّبْحِ ؛ فِكْرٌ      فِيهِ نُورٌ وَبَرِيقٌ  
 لَفْظُهُ حَرٌّ يَسِيرٌ      لَكِنَّ الْمَعْنَى دَقِيقٌ  
 نَظَرٌ فِيهِ سَدِيدٌ      عَنِ بَنِي الْعَصْرِ سَحِيقٌ

(١) الموتى : معبد الأوثان .

(٢) الفن الهندي بالشهواتِ الجسمية ، ويُفتن في تصويرها ، فهو يوقظ الجسم ، وينيم الرُّوح ، ويسخِّر كل شيءٍ للأنوثة .

(٣) يكون في جمعٍ من الناس وكأنه وحده ، له فكره ، ونظره . مثل الشمعة في الحفل رفيقة الحاضرين ، ووحيدةٌ بحرقتها ونورها .

ليس يدري أيُّ حالٍ فيه أشياخُ الطريقِ

\*\*\*

## عالمٌ جديدٌ<sup>(١)</sup>

مَنْ كَانَ حَيَّ الْقَلْبَ فِي الدُّنْيَا فَمَا      يخفي عليه من القضاء ضميره  
تجلو له رؤياه كوناً مُحدثاً      يدعُ المثالَ يروقه تصويره  
فإذا جلا صوتُ الأذانِ منامه      شادَ الذي في حلمه تعبيره  
ولهيكلُ الدُّنْيَا الجديدةِ طينه      هذا الضئيلُ ، وروحها تكبيره

\*\*\*

## خلقُ المعاني

خلقُ المعاني من الخلاقِ موهبةٌ      لكنَّ للفنِّ في الفنِّانِ إجهاداً  
من حُرقةٍ في دَمِ الباني ، مشيدةٌ      حاناتُ حافظٍ أو زوناتُ بهزادا<sup>(٢)</sup>  
ما جوهرٌ يتجلَّى دونَ مجاهدةٍ      من ومضةِ الفأسِ نارت دارُ فرهادا

\*\*\*

---

(١) الرَّجُلُ العَظِيمُ يَرى فِي مَنامِهِ أَوْ خِيارِهِ عالِماً جَديداً ، فيعَمَلُ عَزمَهُ ، فلا يَستعصِي عَليه أن يَحققَ فِي عالَمِ الحَقائِقِ ما رَأى فِي الرُؤيا أَوْ الخِيارِ .

وَهذا العالَمُ الجَديدُ الَّذي يَخْلُقُهُ نَاشِئٌ مَن نَفسِهِ ، فَيَهِيكَلُهُ : جِسمَهُ الصَغيرِ ، وروحَهُ : تَكييرَهُ ، وإيمانَهُ ، وَعَزمَهُ .

(٢) حَافظُ الشيرازي الشاعِرُ الفارسي الكَبيرِ ، وِحاناتُهُ : شِعْرُهُ . وَبَهزادُ مَصورُ فارسي مَشهورُ عاشَ فِي أيامِ الدُولَةِ الصَفويَّةِ . وَالزوناتُ : جَمعُ زونَةٍ وَهي مَعرَضُ الأَصنامِ ، أَو الدُّمى ، يَضْرَبُ بِها المِثَلُ فِي الجِمالِ وَالزِينَةِ .

## المُوسِيقَا

دلّ على بردِ دمِ المغنّي      لحنٌ له الوجوه لا تُنيرُ<sup>(١)</sup>  
أنفاسُ زامرٍ سُموماً لحنٍ      إن كان لم يَطْهُرْ به ضميرُ<sup>(٢)</sup>  
بالشرق والمغرب في رياضٍ      من الشقيقِ شاقني المسيرُ  
فما مررتُ بينها بمرج      شقّت به جُيوبها الرُّهُورُ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

## لذّةُ النَّظَرِ

أيُّ ذاتٍ حوى فتى الصينِ منَ قا      لَ لجلاده أمامَ الحِمَامِ :  
منظرٌ رائقٌ ، تمهّل ، تمهّل      لأرى لحظةً وميضَ الحُسامِ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

## الشَّعْرُ

لم أدرِ سرَّ الشَّعْرِ إلا نكنةً      سيّرُ الشُّعوبِ تُبينُها تفصيلاً

- (١) اللحن الذي لا تنير له وجوه السامعين دليل على برود نفس المغني ، وخمود عاطفته .
- (٢) لا بدّ للمطرب من طهارة الضمير لتكون ألحانه صدى الضمير الطاهر ، وإلا فأنفاسه في اللحن سمّ للسامعين .
- (٣) زهور الشرق والغرب لم يهجم بها الطرب فتمزق جيوبها كما يفعل من يغلبه الطرب من حزنٍ أو فرح - يعني : لم يظهر المطربون أسرار النفس ، ويبدو مكنون الضمير الإنساني ، ولا تزال « الذات » محجوبة .
- (٤) رجلٌ صينيٌّ قام أمام الجلاد والسيف مصلت فلم يشغله هذا المقام عن الإعجاب بوميض السيف ، فقال للجلاد : أمهلني لأمتع النفس بهذا المنظر . فهذا يعجب به إقبال أيّ إعجاب ، ويرى فيه ذاتاً كاملة .



الشَّعْرُ فِيهِ مِنَ الْحَيَاةِ رِسَالَةٌ      أَبَدِيَّةٌ لَا تَقْبَلُ التَّبْدِيلَا  
إِنْ كَانَ مِنْ جَبْرِيلَ فِيهِ نَغْمَةٌ      أَوْ كَانَ فِيهِ نَفْخُ إِسْرَافِيلَا<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## الرَّقْصُ وَالْمُوسِيقَا

إِنَّ لِلشَّعْرِ بِهَجَّةٍ ضَاءَ مِنْهَا      رُوحُ جَبْرِيلَ وَالرَّجِيمُ اللَّعِينُ  
وَمِنَ الْمُوسِيقَا ابْتِهَاجٌ شَوْقٌ      وَكَذَا الرَّقْصِ نَشْوَةٌ وَفُتُونُ  
قَدْ سَمِعْنَا فِي الصُّيْنِ قَوْلَ حَكِيمٍ      فِيهِ أَفْشَى مَخَبَّاتِ الْفُنُونِ :  
إِنَّ لِلْمُوسِيقَا مِنَ الشَّعْرِ رُوحًا      وَمِنَ الرَّقْصِ جِسْمُهَا فِي الْعَيُونِ

\*\*\*

## ضَبْطُ النَّفْسِ

دَابُّ أَهْلِ الزَّمَانِ شَكْوَى الزَّمَانِ      لَيْسَ لِلْحَرِّ آهَةٌ فِي طِعَانِ  
قَدْ أَسْرَّ النَّجْوَى إِلَيَّ عَلِيمٌ      مِنْ شِيُوخِ الْقُلُوبِ وَالْعِرْفَانِ :  
إِنَّ كَظْمَ النَّوْحِ شِيمَةٌ لَيْثٌ      وَمِنَ النَّوْحِ شِيمَةُ التُّغْلِبَانِ

\*\*\*

## الرَّقْصِ

دَغْ لِأَهْلِ الْغَرْبِ رَقْصًا بِجَسُومٍ      إِنَّ رَقْصَ الرُّوحِ مِنْ ضَرْبِ الْكَلِيمِ  
فَبِهَذَا الرَّقْصِ سُلْطَانٌ وَفَقْرٌ      وَبِذَاكَ الرَّقْصِ هَمٌّ لَا يَرِيمُ

\*\*\*

---

(١) الشعر يحمل رسالة من الحياة أبدية إن كان جميلاً هادياً ، كمنغمت جبريل ( وجبريل رسول الوحي ) أو كان فيه صغق وبعث ، كصوت إسرافيل .

القسم الخامس

سياساتُ المشرقِ والمغربِ



## انقلاب

أبمشرقٍ أو مغربٍ      نازُ الحياة ونورُها  
فهنأ تموتُ ذواتُها      وهناك ماتَ ضميرُها  
وأرى القلوبَ لثورةٍ      ملءُ البلادِ زفيرُها  
فلعلَّ دنياك القديمةَ      للمماتِ مَسيرُها

\*\*\*

### تملُّق (١)

جهلْتُ أمورَ الناسِ غيرَ مجرَّبٍ      ولكنَّ ربَّ القلبِ للغيبِ يشهدُ  
فقلْ لوزيرٍ ما بدا لك مادحاً      فذاتك دُستورٌ وعهدٌ مجدُّدٌ  
إذا قال : صقرُ الليلِ لليومِ مادحٌ      فهل ذاك حقٌّ أو دِهَانٌ يردُّدٌ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

### المناصب (٣)

سِحْرُ الفرنجةِ قد أحاطَ بمؤمنٍ      يا ويحَ عيني قد همتَ عبْرَاتُها

(١) العنوانُ في الأصل (خوش آمد) وهي عبارة فارسيَّة بمعنى مرحباً أو أهلاً وسهلاً . ومعناها بالأردوية التملُّق . وقد كتب إقبال هذه الأبيات حينما وضع الإنكليز نظام الاستقلال الداخلي لولايات الهند ، وكثرت مناصب الوزراء فيها .

(٢) إذا قال أحد المادحين للبومة وهي لا تطير إلا ليلاً إنها صقراً لليل فهل هذا حقٌّ أو ملق ؟

(٣) هذه الأبيات قيلت في الأحوال التي أنشئت فيها الأبيات السابقة .

فلعلَّ منصِبكَ الرفيع مباركٌ      فالذاتُ من جَرّاه حانَ مماتُها  
هذي القضيةُ معضِلٌ إخفاؤها      وضحتُ لكلِّ مفكّرٍ آياتُها :  
« لا شِرْكَ في حكمٍ لعبدٍ إنّما      شُرِيتُ عقولُهُمُ وخابَ شُرأتُها »<sup>(١)</sup>

\*\*\*

### أوربة واليهود<sup>(٢)</sup>

نظامٌ ومالٌ وعيشٌ رغيذٌ      وظلمةٌ صدرٍ لها القلبُ يَقلّي  
دخانُ المصانع في الغرب داجٍ      فواديه ليس بأهل التَّجَلّي  
رأيتُ حضارتَه في احتضارٍ      تموت اعتباراً ، وما الموت يُملي<sup>(٣)</sup>  
فليس غريباً تولّي اليهود      كنائسه بعد هذا التولّي

\*\*\*

### عبودية الأنفس<sup>(٤)</sup>

ليس يخلو زمانٌ شعبٍ ذليلٍ      من عليمٍ وشاعرٍ وحكيمٍ  
فرقتهم مذاهبُ القولِ لكن      جمَعَ الآراءَ مقصدٌ في الصِّميمِ :

- 
- (١) الأممُ المحكومة لا يمكن أن تشارك حاكميها في الحكم مهما وضعوا لها من نظم .  
شُرِيت : بيعت ، والشراة : البائعون .
- (٢) إقبال توفي سنة ١٩٣٨م فهو لم يشهد حرب فلسطين ولم يرَ تسلُّط اليهود على أوربة  
وأمریکا ، كما رأينا . ولكنّه نظر إلى الحوادث نظرة عارفٍ خبير .
- (٣) تموت في شبابها ، والموت يمهل .
- (٤) لا تخلو الأمم الذليلة من شعراء وحكماء وعلماء يسلكون مسالك شتى إلى غاية  
واحدة ، هي أن يروّضوا الأمة على الخضوع ، ويمحوا من سجايها الإقدام حتى  
ترضى بالرقِّ ، هذا مقصدُهم ، كلُّ تأويل في القول تحيّل لهذا المقصد .

« علموا الليث جفلة الطَّيبي وامحوا قصصَ الأُسْد في الحديثِ القديمِ<sup>(١)</sup>  
همَّهم غبطةُ الرِّقِينِ برقٌ كلُّ تأويلهم خِداغٌ عليهم

\*\*\*

## الرُّوسُ الشُّيعيون

إِنَّ سَيْرَ القِضَاءِ جِدُّ عَجِيبٍ أَيُّ سِرِّ حَوَى ضَمِيرُ الزَّمَانِ  
ليس يَألو الصَّليبَ سِرّاً قَبِيلٌ كان يَرْجو النِّجَاةَ بِالصُّلْبَانِ  
أَمَرَ الوَحْيِ مُلْحَدِي الرُّوسِ « هُدُوا مَا أَقَامَ القُسُوسُ مِنْ أوثَانِ »

\*\*\*

## اليَوْمُ والغَدُ

مَنْ عَدَاهُ لِيَوْمِهِ فِي جِهَادٍ نُورُ نَفْسٍ وَشُعْلَةٌ فِي الكُبُودِ  
مَالَهُ الحَقُّ فِي مَتَاعٍ وَهَمٌّ يَسْتَسِرُّانَ فِي الغَدِ المَوْعُودِ  
ليس أَهلاً لِمَعْرَكِ الغَدِ مَنْ فِي سِيرِهِ (اليَوْمُ) ليسَ بِالمَعْدُودِ

\*\*\*

## المِشْرِقُ

جَيْبُ الشَّقَائِقِ مِنْ شَدَوِي غَدَا مِرْقَاً وَنِسْمَةُ الصُّبْحِ رَوْضاً تَطْلُبُ الْآنَا<sup>(٢)</sup>

(١) في هذا البيت مقصد القائلين المذكورين في البيتين السابقين .  
(٢) أنا شدوت حتى مرقت شقائق النعمان جيوبها وهداً ، ونسيمُ الصبح لا يزال يطلب روضاً ينضر أزهاره .

ما «مصطفى» أو «رضا» جلى حقيقتها فالروح في الشرق جسماً تطلب الآنا<sup>(١)</sup>  
وحق ذاتي عقاب غير أن لها ذا العصر جذعاً وحبلاً يطلب الآنا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## سياسة الإفرنج

يا ربّ نذك في غرب سياسته وما تعبد إلا الهام والرؤسا<sup>(٣)</sup>  
خلقت إبليس فرداً من لظى لهب ومن تراب أقامت ألف إبليسا

\*\*\*

## العبيد

تعلمت بين الغرب والشرق حكمة أراها لأهل الرق أجدى الفوائد :  
فلا ملك أو فقراً وديناً وحكمة يؤسس إلا فوق صخر العقائد  
فإما خلا منها ضمير جماعة فأفعال رعيدي وأقوال هامد

\*\*\*

## إلى أهل مصر

من أبي الهول أتني نكتة وأبو الهول طوى السر القديم<sup>(٤)</sup>

---

(١) لا مصطفى كمال ولا رضا بهلوي كان مظهراً لروح الشرق ، فهي تطلب الآن بدناً تظهر فيه .

(٢) وذاتي تستحق العقاب بما دعت الناس إلى اليقظة والحرية ، ولكن العصر لا يزال يطلب حبلاً وجذعاً ليصلبني ليس قادراً على صليبي .

(٣) الروس : أي : الرؤساء ، أي : لا يعبد هذه السياسة إلا رؤساء أوربة وحكامها .

(٤) أبو الهول : رمز العقل والقوة ، رأس إنسان على جسم أسد .

بَدَلْتُ سَيْرَ شَعُوبِ جَمَلَةٍ      قُوَّةٌ لَمْ يَجْفُهَا الْعَقْلُ الْحَكِيمُ  
طَبَعُهَا فِي كُلِّ عَصْرِ مَائِلٌ      يُبَدِّلُ الشَّكْلَ وَيَبْقَى فِي الصَّمِيمِ  
فَهِيَ طَوْرًا فِي حُسَامِ الْمُصْطَفَى      وَهِيَ طَوْرًا فِي عَصَا مُوسَى الْكَلِيمِ

\*\*\*

## الْحَبْشَةُ

( ١٨ آب سنة ١٩٣٥ )

عِقبَانُ أوروَيْتَةٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ      فِي جَيْفَةِ الْأَحْبَاشِ أَيُّ سَمِّ  
قَدْ آنَ لِلْمَيْتَةِ أَنْ تَجِيفَا      وَعَيْشُ أَقْوَامٍ عَلَى الْغَارَاتِ  
حَضَارَةٌ تَكْمَلُ بِالْمَخْزَاةِ      وَكُلُّ ذَنْبٍ طَارِدٌ خُرُوفَا  
وَجْهَ الْكَنِيسَةِ اكْتَسَى شَنَارَا      رُومَا أَرَاقَتِ مَاءَهُ نَهَارَا  
يَا بَابُ قَدْ أَضْحَى الْوَرَى أُسَيْفَا<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## أوامرُ إبليس إلى أبنائه السَّاسة<sup>(٢)</sup>

عليكم بِالْبَرْهَمَنِ فَارِيكُوهِ      بِأَشْرَاكِ السِّيَاسَةِ وَالْحِبَالِ

(١) يعني : الباب رئيس الكاثوليك .

(٢) يَصُورُ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَمَلَ السَّاسَةِ بِأَوَامِرِ إِبْلِيسِ . وَإِنَّمَا يَأْمُرُهُمْ بِإِبْعَادِ  
أَهْلِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا مِنَ الدِّينِ ، وَلا سِيَمَا الْمُسْلِمِينَ ، هُوَ لِأَنَّ الصَّابِرِينَ الْمُسْتَمْتِينَ . وَقَدْ  
خَصَّ الْعَرَبَ الَّذِينَ نَشَأَ الدِّينَ فِي حَضَارَتِهِمْ ، وَالْأَفْغَانَ الَّذِينَ تَسَيَّرَ عَلَيْهِمْ حَمِيَّةُ  
الدِّينِ . . إلخ .

ثُمَّ أَوْصَاهُمْ بِإِخْرَاجِ إِبْقَالِ مِنَ الرُّوضِ لِأَنَّ نَفْسَهُ يَشْعَلُ الْحَقَائِقُ ؛ أَي : يَشِيرُ النَّارَ فِي  
الشَّبَابِ ، فَيُبْعِدُهُمْ عَنِ سِيَاسَةِ إِبْلِيسِ .



وأصحابَ الزَّنَانِيرِ اطردوهم  
وذلكم الصَّبُورُ على الرزايا  
فروحٌ محمدٍ منه اسلبوه  
وفي العَرَبِ اقدفوا في كلِّ فكرٍ  
بأرضِ العُزْبِ للإسلامِ كيدوا  
وفي الأفغانِ بالذَّيْنِ اعتصامٌ  
عليكم بالفقيهِ فأخرجوه  
وقوَّاماً على الحرَمِ اسلبوهم  
غَزَالَ المسكِ من خَتَنِ أثيروا  
وإقبالٌ له شَدُوٌّ مثير  
من المَرَجِ اطردوا هذا المغنِّي

\*\*\*

### جماعةُ الأممِ الشَّرْقِيَّةِ (٤)

سُخِّرَ الماءَ والهواءُ مسخَّرَ  
جبروتُ الفرنجِ غَرَّتَه رؤيا  
إن جنيوا للشرقِ طهرانُ صارت  
ليس يدعأُ إن القضاءَ تغيَّرَ  
علَّها غيرَ ما رآه تُعبَّرَ  
فلعلَّ التبديلَ للأرضِ يُقدَّرَ

(١) ذلكم الصبور . . إلخ . يعني : المسلم .

(٢) يريد بقوَّام الحرَم من تولى هداية المسلمين إلى دينهم في الحرَم وغيره .

(٣) بلاد ختن في تركستان كانت معروفةً بمسكها ، وغزالُ تينٍ مشهور في الشعر الفارسي وما يتَّصل به .

ويريد الشاعر : أدخلوا الأرض من المعاني الجميلة التي تعطرها . أي : أدخلوا بلاد

المسلمين من السنن القويمة ، والآمال العالية .

(٤) كتبت في شيش محل ( دار أمير بهوبال ) .

## المُلكُ الخالد

إني لَغَوَّاصُ المعاني فِطْرَةً      لكنني بَحَرَ السِّيَاسَةِ أَحْذَرُ  
ما إن يُحِبُّ الدَّهْرُ مُلْكَاً خالِداً      ولو أنَّ فيه من الرُّؤْيَى ما يَسْحَرُ  
فَرهاذُ أبقى الدَّهْرُ نَحْتَ صخوره      لم يَبْقَ من برويز مُلْكٌ يُؤَثِّرُ

\*\*\*

## الجمهورية

بدا السِّرُّ في قولَةٍ من أريبٍ      وما كان من قَبْلِهِ يُعْلَنُ<sup>(١)</sup> :  
نظامُ الجماهير حُكْمٌ به      تُعَدُّ العِبَادُ ولا تَوَزَنُ

\*\*\*

## أوربة وسورية

أهدت الشَّامَ إلى الغرب نبيًّا      هو عَفٌّ ومُواسٍ وصَبور  
ومن الغرب إلى الشام هدايا      من قمارٍ ونساءٍ وخمور

\*\*\*

## من مُوسوليني

( إلى أُنْداده في المشرق والمغرب )

أرى العصرَ يأبى من مُسولينَ جُرْمَهُ      وأخيارُ أوربةِ عليَّ غِضابُ

(١) سيظهر .

كَلَانَا بِأَلَاتِ التَّمِذُّنِ آخِذٌ  
 وَقَدْ نَقَمُوا مِنِّي غَرَامَ تَمَلُّكِ  
 لِمَنْ شَعْبَذَاتُ الْحَكْمِ تُبْقِي مَمَالِكَا  
 أَيْتَفُخُ فِي الْأَعْوَادِ أَبْنَاءَ قَيْصِرِ  
 نَهَبْتُمْ خِيَامَ الْبَدْوِ وَالزَّرْعَ وَالْقُرَى  
 قَصَدْنَا مِنَ التَّمِيدِينَ قِتْلًا وَغَارَةً  
 أَنْتَقِمَ أَفْعَالَ الشُّيُوفِ حِرَابُ  
 أَمَا ثَارَ مِنْهُمْ بِالضُّعَافِ ضِرَابُ  
 وَلَا مُلْكٌ أَوْ مَلِكٌ بِهِنَّ يُصَابُ  
 وَيُجَبَى إِلَيْكُمْ عَامِرٌ وَيِيَابُ<sup>(١)</sup>  
 وَكَمْ كَانَ مِنْكُمْ لِلْعُرُوشِ نِهَابُ  
 أَلْمُسْكَمِ فَخْرٌ وَيَوْمِي عَابُ ؟

\*\*\*

### شكوى

مَسْتَقْبَلِ الْهِنْدِ مَنْ يَدْرِي ؟ وَمَا بَرِحَتْ  
 دِهْقَانُهَا مِنْ ظَلَامِ اللَّحْدِ مَطْرَحِ  
 الْجِسْمِ وَالرُّوْحِ لِلْبَاغِيْنَ قَدْ رُهِنَا  
 رَضِيَتْ رَقًّا لِأُورْبَةِ بِلَا أَنْفِ  
 يَا وَيْحَهَا ، دَرَّةٌ فِي النَّجِجِ تُرْتَهِنُ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَمْ يَزَلْ مِرْقًا تَحْتَ الثَّرَى الْكَفْنُ  
 لَمْ يَبْقَ فِي أَرْضِهَا دَارٌ وَلَا سَكْنُ  
 فَمَنْكَ شَكْوَايَ لَا مِنْهَا ، وَبِي حَزْنُ

\*\*\*

### انتداب

مَلِكُ الْحَضَارَةِ أَيْنَ يُحْتَمِ سَيْرُهُ ؟  
 فِي حَيْثُ لَا خَمْرٌ وَلَا قَمَرٌ وَلَا  
 وَالرُّوْحُ فِي بَدَنِ قَوِيٍّ خَافِقُ  
 حَيْثُ الْمَدَارِسُ غَائِضٌ يَنْبِغُهَا  
 فِي عَصْرِنَا هَذَا السُّؤَالُ يَسِيرُ :  
 ضَيْقُ الثِّيَابِ عَلَى النِّسَاءِ يَجُورُ  
 لَكِنْ عَلَى سَنَنِ الْجَدُودِ يَسِيرُ  
 وَابْنُ الْبِدَاوَةِ فِي الذِّكَاةِ جَسُورُ

(١) يشغل أبناء الرومان بالزهر والموسيقا وغيرهم يملكون الأرض ، ويضربون الخراج حتى على الصَّحارى .

(٢) كان الإنكليز يقولون : إن الهند أئمنُ دَرَّةٌ في تاج الإمبراطورية .

يُفتي جهابذة الفرنجة أنما هذي البقاغ من التمدن بُور<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## السِّيَاسَةُ اللَّادِينِيَّةُ

ما الحقّ مخفٍ عن فؤادي سِرّه      فلقد جاني الله قلباً مُبصراً  
فسياسةُ اللادينِ عندي خِسَّةٌ      مات الضميرُ بها وإبليسُ افتري<sup>(٢)</sup>  
لَمَّا قَلَى حَكْمُ الفرنجِ كنيسَةً      ساسوا كشيطانٍ بلا قيدٍ جرى  
شَرِهَتْ لأموالِ العبادِ كنيسَةً      فإذا الخَميسُ سفيرُها بين الوري<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

## شبكة التمدين

أمانتها علت عن كلِّ ريبٍ      وإقبالٌ مُقَرَّرٌ دون نكرٍ  
فأوربة نصيرةٌ كلِّ شعبي      تشكّي الدهرَ من ظلمٍ وضُرِّ  
كراماتُ القساوسِ أن أضأوا      سراجَ الكهْرُبَاءِ بكلِّ فكرٍ  
ولكن من فلسطينَ بقلبي      وللشّامِ الكسيرةَ حرُّ جَمِرِ  
وتلكم عُقدةٌ ليست لحلِّ      تُلاقِي كلَّ تدييرٍ بعُسرِ  
من الترك الجُفَاءِ نجوا فلاقوا      بأشراكِ التمدنِ شرّاً أسرِ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) حيثما وُجدَ الناس على الأخلاق القويمة والفترة السليمة قال الفرنج هذه الأرض في حاجةٍ إلى التمدن ، فأرسلوا إليها ملك التمدن باسم الانتداب .  
(٢) إبليس افتراها .  
(٣) الخميس : الجيش .  
(٤) في هذا استهزاء : إن أوربة ادّعت أنها أنقذت الشام وفلسطين من قسوة الترك ، ولكنها أوقعتهم في شرِّ أسر .

## نصيحة

قال لُزْدٌ من الفرنج لنجل  
أظلمُ الظلم للمساكين إعلامُ  
إنَّ للملك سِرَّةً فاكْتُمْنَه :  
وبحمض التَّعليم فاغمِس نفوساً  
أينَ منه الإكسيرُ؟ هذا محيلٌ

ابغِ مَرَأَى يدومُ فيه المراد<sup>(١)</sup>  
خِرَافٍ شريعةَ الآساد<sup>(٢)</sup>  
لا تَرُمُ بالسُّيوفِ قهَرَ العباد  
ثمَّ صُغِ طينَها وفاقَ المراد  
جَبَلَ التُّبْرِ كومةً مِن رَماد

\*\*\*

## قرصانُ وإسكندر

إسكندر :

جزاؤك في سلاسلك ارتهانُ  
فقد صيرتُ وُسْعَ البحرِ ضيقاً

أو التصميمُ من سيفي العتيق<sup>(٣)</sup>  
بما أمعنتُ في قطعِ الطَّريقِ

القرصان :

سِكندرُ! للفتوة لم توفَّقني  
فإنَّ القتلُ دأبي لا أماري

أيجملُ بالفتى فضحُ الرِّفيقِ؟  
كذاك القتلُ دأبُك يا صديقي

تصوّلُ ، وَصَلْتُ في بحرٍ عميقِ  
كلانا اليوم قرصانُ : بئرُ

\*\*\*

- 
- (١) أطلب المنظر الذي لا تنتهي منه العين ، أي : المطمع الذي لا يحد .  
(٢) أظلمُ الظلم أن تعلمَ الغنمَ سيرةَ الأسد : أي : تعلم الأمم الذليلة طريق الحرية والقوة .  
(٣) صمم السَّيف : أصاب المفصل ، فقطعه .

## عصبة الأمم (١)

مِسْكِينَةٌ مِنْذُ زَمَانٍ تُحْتَضِرُ      لَا فَاةَ مِقْوَلِي بِسَيِّءِ الْخَبْرِ (٢)  
وَمَوْتُهَا مُحْتَمٌّ لَكُنَّمَا      يَدْعُو الْقُسُوسُ أَنْ يَزُولَ ذَا الْخَطَرِ  
عَجُوزٌ أَوْرَبَةٌ يَجُوزُ عَيْشُهَا      عَلَى رُقَى إِبْلِيسَ أَيَّاماً أُخْرَ (٣)

\*\*\*

## الشَّامُ وَفِلَسْطِينَ

مَرَحَى لِحَانَاتِ الْفَرَنْجِ فَقَدْ      مَلَأَتْ بَهْرًا زَجَاغَهَا حَلْبُ  
إِنْ فِي فِلَسْطِينَ الْيَهُودُ رَجَعَتْ      فَلْيَأْخُذَنَّ إِسْبَانِيَا الْعَرَبُ  
لِلْإِنْكَلِيزِ مَقَاصِدٌ خَفِيَّةٌ      مَا إِنْ يُرَادُ الشَّهْدُ وَالرَّطْبُ (٤)

\*\*\*

## أُمَّةُ السِّيَاسَةِ

مَا رَجَائِي بِسَاسَةِ قَدِ اسْتَفَوْا      وَإِلَى الْأَرْضِ أَخْلَدُوا إِدْرَاكَ  
نَظَرَاتٍ إِلَى ذُبَابٍ وَنَمَلٍ      فَهَمُّ الْعَنْكَبُوتِ مَدَّتْ شِبَاكَ  
حَبَّذَا الرِّكْبُ قَدْ هَدَاهُ أَمِيرٌ      ذُو مِرَامٍ تُجَاوِزُ الْأَفْلَاكَ

\*\*\*

(١) العنوان في الأصل : جمعية أقوام .

(٢) يعني لا أودُّ أن أخبرَ بموتها .

(٣) الظاهر أنَّ الشاعر نظم هذه الأبيات حينما كانت عصبة الأمم في آخر سنواتها .

(٤) بلاد العرب كلها معروفة في الهند بالنخل ، ويقول الشاعر ليس قصد السياسة الإنكليزية

ما تعلن من عمران البلاد بل لها مقاصد خفية .

## نزعات العبودية

بأسبابِ سُقْمِ الشُّعُوبِ خَفَاءُ      يقصّر في شزجِهِنَّ البيانُ :  
 بشرع الأسود إمام العبيد      يرى دائماً حكمة الثعلبان<sup>(١)</sup>  
 كليماً الإله يُرى لعنة      على قومه في خطوب الزمان  
 إذا كان في السرّ هذا الكليماً      لقوة فرعون طوع البنان

\*\*\*

## صلاة العبيد (٢)

قال بعد الصّلاة حلفُ جهادٍ :      كم يطيلُ الصّلاة فيكم إمامُ  
 ما درى ذاكُم المجاهدُ المؤمنُ الغرُّ      صلاة العبيد كيف تُقامُ  
 كم لدى الحرِّ في الحياة كَفاحُ      غيرَةُ الحرِّ للشعوب قوامُ  
 حُرْم العبدُ حرقة الكدِّ عجزاً      فعلى وقته المضى حرامُ  
 لا تعجّب إذا أطال سجوداً      ما لديه سوى الشُّجود مرامُ  
 رَبِّ وَقَفُّ أئمة الهندِ يوماً      لسجود تحيا به الأقوامُ

\*\*\*

(١) أسباب مرض الأمم أئمةً أدلّةً ، يرون في شريعة الأسود فلسفة الثعالب ، كالذين حادوا بالمسلمين عن شريعة الحياة والقوة إلى مذهب الخنوع والاستكانة . والحكمة هنا الفلسفة ، والثعلبان : الثعلب الذكر .

(٢) جاء إلى لاهور وفدٌ من الهلال الأحمر التركي فصحبهم إقبال في صلاةٍ بالمسجد الكبير ، فأطال الإمام الصّلاة ، فسأل أحدُ رجال الوفد : لماذا يطيل الصلاة إمامكم هذه الإطالة ؟ فكتب إقبال هذه الأبيات .

## إلى عرب فلسطين

لا يزالُ الزَّمانُ يَصَلَى بنايَ      لم تزل في حَشَاكَ دونَ خمودِ<sup>(١)</sup>  
لا دواءَ بلنـدُن أو جنـيـوا      بوريدِ الفرنجِ كَفُّ اليهودِ<sup>(٢)</sup>  
ومن الرقِّ للشعوبِ نِجاةً      قوَّةُ الذَّاتِ وازدهارُ الوجودِ

## الشَّرقُ والغربُ

علَّةُ الشَّرقِ ذِلَّةٌ واقتداءً      ونظامُ الجمهورِ في الغربِ داءُ  
مَرَضُ القلبِ والبصيرةُ فاشٌ      ما بشرقٍ ولا بـغـربِ شفاءُ

\*\*\*

## نزعات التسلُّطِ ( إصلاحات )

أرى رحمةَ الصَّيادِ سِتْراً لقهـره      ولم يُجدِ فينا ذا الصفيـرِ المجددُ<sup>(٣)</sup>  
وقد زَيْنَ الأقفاصَ بالزَّهرِ ذابلاً      لعلَّ أسيراً للإسارِ يُغَرَّدُ

\*\*\*

---

(١) يعني : أن النار التي سرت في الزمان من تاريخ المسلمين لا تزال في نفس المسلم لم تخمد .

(٢) يعني : يقبض اليهود على وريد أوربة .

(٣) يقصد الشاعر ما دعاه الإنكليز إصلاحاً ، حين جعلوا للهند نوعاً من الحكم الداخلي ، يقول :

ما يزال الصياد قاسياً ، وإن تظاهر بالشفقة ، ولا يرققه أن تجدد له غناء . وإنما همُّه أن يرضى الأسير فهو يزِينُ الأقفاص بزهورٍ لا نضرة فيها ، لعلَّ الطائر يرضى بقفصه .





## القسم السادس

### أفكار محراب غل الأفغاني

للشاعر إعجابٌ بالأفغان لقوتهم وبسالتهم ، واعتزازهم  
بجبالهم ، وحميتهم الإسلاميّة ، وقد تخيّل الشاعر أنّ شاعراً  
( محراب غل ) أنشأ هذا الشعر الذي في الصّفحات التّالية ، بيّن  
عمّا في نفوس هؤلاء النّاس وما في معيشتهم كما يُريد الشاعر  
( إقبال ) .



- ١ -

يا جبالي أيتان عنك الميسرُ  
لا زهورٌ ولا صدى عندليبِ  
جتني فيك مخرمٌ وشعابٌ  
لن يكونَ الشاهينُ عبدَ بُغاثِ  
خلعةُ الإنكليز أم سُحقُ نوبِ  
وترابُ الآباء هذي الصُخورُ  
فيك منذُ الأزال تأوي الصُقورُ  
ماؤك الثُور ، والثُرابُ العيبرُ  
الحفظُ الأبدانِ رُوحِي أبيضُ  
إيه فقري الغيور ! ماذا تشيرُ؟

- ٢ -

تنافرُ النَّاسِ دائمٌ أبداً  
في الذاتِ عُصن ، للزَّمانِ إذا أملِ  
تبقى على الدهرِ واحداً بطلاً  
لستُ ولا أنتَ القضاءَ فَصَلَّةُ  
دواؤُه في الجروحِ أرسله  
إن كان في القلبِ « لا شريك له »

- ٣ -

يجوز أن تُبدلَ أنتَ ، لا تَحُلْ  
إذا سرى في ذاتك انقلابُها  
يغني الشرابُ والفناءُ إذ ترى  
تدعو بتحقيقِ الرَّجاءِ جاهداً  
بدعوة أن القضاءَ يُبدلُ  
فجائزُ أن القضاءَ يُبدلُ  
رسمَ « السُّقاةِ » والإناءُ يُبدلُ  
ودعوتي أن الرَّجاءِ يُبدلُ

- ٤ -

وما فَلَكَ جائرٌ في السَّيرِ  
أرى رَكبَها جاهداً في الميسرِ  
سِكندُرُ زَمَجَرَ كالرَّعدِ حيناً  
وعائتُ بدلهي يدا نادرِ  
وماذا ذكاءٌ وماذا القَمَزُ؟  
وأقعدَها طولُ هذا السَّفَرِ  
وعندك يا موتُ صدقُ الخبرِ  
بضربةِ سيفِ حكي فاخْتَصَرَ<sup>(١)</sup>

(١) نادر شاه : ملك إيران وأفغانستان ، فتح دلهي ، وتوفي سنة ١١٦٠ هـ .

وتبقى الجبالُ وأفغانُها  
تُذَلُّ الحوائجُ صيدَ الرِّجالِ  
إنِ الدَّاتُ أَيْدِها فَفَرُّها  
قِوامُ الشُّعوبِ بِحُرِّ فِقيِرِ  
لك الملك والحكم ربَّ القُدَرِ !  
تري الليث كالثعلب المحتقر  
فَعندي وعندك مُلك البَشَرِ  
إلى سُدَّة المُلِك ما إنِ نظر

- ٥ -

مدارسُ ثم ضوضاءٌ ولهوٌ  
وسمُّ الحرِّ هذا ليسَ علماً  
وما أدبٌ وفلسفةٌ غناءٌ  
تحكِّمَ في الطبيعة ربُّ فنِّ  
فربُّ الفنِّ مِن بركاتِ فنِّ  
وذلك إنِ يشأَ قَطَرَتِ عليه  
وغمِّ دام في العيش الوفير  
إذا كان الجَدَا كَفَّ الشَّعير<sup>(١)</sup>  
قِوامِ الفنِّ في جَهْدِ المَسير<sup>(٢)</sup>  
يضيء الليل كالصُّبْحِ المَيرِ  
يطوِّعُ لحكمه كلُّ العَسيرِ  
أياةُ الشَّمسِ كالطَّلِّ النَّضيرِ<sup>(٣)</sup>

- ٦ -

عالمُ التَّجديدِ إنِ يظفرُ بحرُّ  
لا تَدعُ ذاتَكَ بالتَّقليدِ لَغَواً  
باركُ التَّجديدُ قوماً ليسَ فيهم  
خشيتي أنْ وغي التَّجديدِ في الشَّرِّقِ  
موجِدٍ من حوله طافَ الزمانُ  
جوهرٌ فردٌ فحُطَّه بصِوانُ  
غَيرَ حَفْلِ الأَمسِ ، ذَكَرِي وَعِيانُ<sup>(٤)</sup>  
على التَّقليدِ للغربِ دِهانُ

- ٧ -

تبدَّلُ الأَقيوامُ في البُلدانِ  
في الرومِ والشامِ وهندُستانِ

- (١) العلم الذي جدواه كف من شعير ؛ أي : متاع قليل ، ليس علماً ولكن سُمّاً للأحرار .  
(٢) الفنُّ بالجهد المستمر لا بالأدب والفلسفة .  
(٣) ربُّ الفنِّ إنِ شاء قطرت عليه أياة الشمس ( أي شعاعها ) كالنَّدى ، فجعلها مادة فنه .  
(٤) التجديد بركة لقوم لا يذكرون ، ولا يرون إلا صورَ الماضي .

يابن الجبالِ هُبَّ للزَّمانِ وأذركنْ ذاتك بالعرفانِ  
ذاتك بالعِرفانِ

يا غافلَ الأفغانِ

ذا موسمٌ ومأوه عُبَابُ وَعَسْجِداً يُنْبِتُ ذا الترابُ  
من لم يروْ زرعَه احتسابُ فكيف يُدعى الغرُّ بالدهقانِ  
ذاتك بالعِرفانِ

يا غافلَ الأفغانِ

ما لم يهيج في مَوْجِه الزخَّارِ فأبى بحرٍ ذاك في البحارِ؟  
ما ليس فيه ثورةُ الإعصارِ فكيف يُدعى عاصفَ الأكوانِ  
ذاتك بالعِرفانِ

يا غافلَ الأفغانِ

من اهتدى ونفسَه أصابا مقلَّباً في طينه الترابا  
فحرثُ ذا العبدِ الذي قد طابا يُفدى بكلِّ الجاهِ والسُّلطانِ  
ذاتك بالعِرفانِ

يا غافلَ الأفغانِ

جهلك هذا ما به مِنْ عارٍ قد صيَّر الجهلَ من الفخارِ  
كم عالمٍ فاضلٍ مماري متاجرٍ بالدينِ والإيمانِ  
ذاتك بالعِرفانِ

يا غافلَ الأفغانِ

- ٨ -

يدَّعي الزاعُ أنَّ ريشك قُبِحَ ويقول الخفَّاش : أعمى جهول  
ما رُذال البُغاثِ يا صقرُ! تدري في عَنانِ السَّماءِ كيفَ تصول  
كيف تدري بحالِ طائرٍ عزمَ كلُّه في المطارِ عينٌ تجول

لا يَسْفُ العَشْقُ دَابَّ الهوسِ  
رَبِّ روضِ حالِ حتى ليرى  
مُزْمَعُ الأسفار لا يبغى صدئ  
أُتري قافلة الموج لها  
خدعَ العينَ فتى مدرسةٍ  
وهو مَيِّتٌ ومن الغرب اجتذى  
إن تُرد تربية القلبِ فَمِن  
بذبابِ بازياء لا تَقْسِ  
عندليبٌ عَشَّه كالمحيسِ  
من أذانِ برحيل الغلسِ  
في مسير حاجةٍ بالجرسِ  
فَبَدت فيه حياةُ الأنسِ  
ما سرى في صدره من نَفْسِ  
نظر المؤمنِ شَزْراً فاقيسِ

سوادُ عيونِ عِثرتِه فتى  
يُرى في السلمِ ظيماً ذا جمالِ  
به نازٌ تُحرقُ كلَّ شيءٍ  
جِباه الله أبهةً ومُلكاً  
سبيلُ التَّاجِ حسرُ الرأسِ عنه  
حليفٌ طهارةٍ وفتى ضرابِ  
وفي يومِ الكريهة ليثَ غابِ  
وحسبُ الغابِ من شرِّ الثُّقابِ  
بفقيرِ حيدرئٍ واحتسابِ  
فلا تنظرُ إليه بارتيابِ<sup>(١)</sup>

في بارحاتك لألأث أنوازُه  
يشكو الضَّعيفُ من الزمانِ صُروفه  
من صوتِ طيرِ الصُّبحِ يدهشُ ذا الفتى  
يسطيعُ نُوراً ذا السُّراجِ الخابي<sup>(٢)</sup>  
والحرُّ فيه باسمٍ لِحِرابِ  
أتراهُ أهلَ تطاعنِ وِضرابِ

(١) وهو حاسر الرأس ولكنّه طموحٌ إلى التاج ، أو هو في همته وعزته كصاحب التاج ، فلا تحقره بأنّه حاسر .

(٢) هذا السراج الخابي هو الذي أضاء لك البارحة ، فهو أهلٌ لأن يضيء مرّةً أخرى ،  
يعني : الإسلام .

حذري لأنك في طباع طفولةٍ والغربُ تاجرٌ سُكَّرِ وجُلابٍ<sup>(١)</sup>

- ١٢ -

بلا دينٍ ولا تينٍ هوثٌ في الفسخِ رجلاه<sup>(٢)</sup>  
دواءُ العاجزِ المغلوبِ « لا غلابَ إلا هُوَ »  
وصيَّادُ المعانِي ما رَجَبَتْ في الغربِ عيناه  
فضاءٌ موزقٌ لكن يقوِّمُ ذاته سحرًا  
فهذا الزَّهرُ أحسنُّه بدمعِ العَيْنِ أوَاهُ<sup>(٤)</sup>  
وديرُ الكونِ ، زونُ الرِّيبِ على الأُمُوهِ تلقاهُ  
على الكُفَّارِ مُستوَلٍ سحِ والألوانِ معناهُ<sup>(٥)</sup>  
إمامَ المسجدِ ! امتنعهُ وذو الإيمانِ مـولاهُ  
زوى المحرابِ حاجِبُه أميراً حينَ يغشاهُ  
ولم تُعجِبهُ تقواه<sup>(٦)</sup>

- ١٣ -

دنياك في عينيَّ شيءٌ آخِرُ أنى لعينك - ليت شعري - تظهُرُ

- (١) يخاف على المسلم أو الشرقي لأن فيه طبع الطفل يحبُّ السكر والجلاب . وأوربة تحسن التجارة بهما ، فهو يتهافُ على تجارتها .
- (٢) يشير إلى مصطفى كمال وأتباعه سياسةً لا دينيةً ، واتخاذ الحروف اللاتينية للغة التركية .
- (٣) لا يجد صياد المعاني في أوربة غزلاً مسكياً يصيده فإنما هي فضاء لا صيد فيه . أي لا يجد المعاني الجميلة التي يحبُّها .
- (٤) الأواه : المتعبُد ، الرقيق ، كثيرُ الدعاء .
- (٥) هذا العالم الذي هو معرض لأصنام من الألوان والروائح ، يستعبد الكفَر ، ولكنه مسخرٌ للمؤمن .
- (٦) تخيل زاوية المحراب تقطياً لصلاة أميرٍ ليس فيها معنى الصلاة .



ماذا التقلبُ في عقول شبابنا  
 شيخُ المساجدِ ما دُعَاؤُكَ سُخْرَةٌ  
 في كلِّ صدرٍ قد تبدَّى مَحْشُرٌ  
 ما « الذَّاتُ » يُرجى في رِبَاطِ خَلْقِهَا  
 أبه الحياةُ بلا جهادٍ تَظْفَرُ<sup>(١)</sup>  
 هل للشَّرارِ مِنَ الرَّمَادِ تَسْعُرُ<sup>(٢)</sup>

- ١٤ -

كلُّ عشقٍ دونَ إقدامِ هوى  
 ويلتا مِن ترفٍ! أين فتى  
 ويذُ الله بعشقٍ مخطر  
 تَخِذَ الأهوالَ زاد السَّفَرِ  
 خَلْوَةُ الأَطوادِ ليست وَحِشَةٌ  
 يَعْرِفُ « النَّفْسُ » بها ذُو البَصَرِ

- ١٥ -

عِلْمُ فقيرٍ لسالكٍ غيرُ صَغْبِ  
 لا يكونُ الفولاذُ جوهراً سِيفِ  
 حَدَّثَ الناسَ عن هُداهِ الضميرِ  
 إنَّ يكنُ في الطباعِ منه حريزُ  
 إنَّ قَهْرَ الإلهِ فقيرٌ ذليلُ  
 وسبيلُ السُّلطانِ فقيرٌ غَيورُ  
 قد سبَّكَ الفرنجُ نفساً ولكن  
 أنت يا مؤمنُ البشيرِ النذيرُ<sup>(٣)</sup>

- ١٦ -

مَوْتُ الشُّعوبِ بُعْذُهَا  
 والذَّاتُ إمَّا رُكُوزُ  
 عن جَذَباتِ المراكزِ  
 فللمعالِي تُرْكُوزِ  
 فقيرٌ تراه شاكياً  
 باقٍ عليه مسحَةٌ  
 ولم يزل مُيسِّراً  
 أن يجعلَ الصُّخُورَ كالذَّراتِ غيرِ مُعْجَزِ<sup>(٤)</sup>

(١) في الأصل شيخ الحرم ، والمراد به المساجد عامة .

(٢) الرِّباط : مقام الصُّوفية ، وفي الأصل خانقاه .

(٣) جاء هذا المصراع في الأصل بالفارسية .

(٤) لا يحول دون همة الحرِّ شيء من عالم المادَّة فهو يحيل الصخور ذرات ، فلا تكون في =

فَأَيْنَ يَا مُؤْمِنٌ أَنْتَ      الْيَوْمَ لِمَ تُبْرَزُ  
 مَا فِي جِهَادٍ لَذَّةٌ      جَمْرُكَ فِيهِ مُعْزِي<sup>(١)</sup>  
 يَا شَمْسُ مِنْ سُرَادِقِ الْمَشْرِقِ      سُرْقِ هَيْبَا فَابْرُزِي  
 وَاكْسِي جِبَالِي حُلَّةً      تُزْهِئُ بِلَوْنِ الْقُرْمُزِ

- ١٧ -

إِنَّ يَكُنْ فِي الْأَلُوفِ رَبُّ يَقِينٍ      نَفَخَ النَّارَ فِي شَبَابٍ وَشَيْبٍ  
 رِمَا تَنْشَى الصَّحَارَى فَقِيرًا      يَخْلُقُ الدَّرَّ مِنْ حَصَى فِي الْجُيُوبِ<sup>(٢)</sup>  
 بِيْرَاعٍ لَكَ اكْتَبَنْ لَكَ حِطًّا      لَمْ يَخْطُ الْجَبِينُ رَبُّ الْغُيُوبِ<sup>(٣)</sup>  
 ذَا الْفِضَاءِ الَّذِي يُسَمَّى سَمَاءً      لَيْسَ شَيْئًا لَدَى الْعُقَابِ النَّجِيبِ  
 هُوَ فَوْقَ الرُّؤُوسِ يُدْعَى سَمَاءً      وَهُوَ أَرْضٌ تَحْتَ الْجَنَاحِ الْهَبِيبِ

- ١٨ -

أَيُّ قَوْلٍ لَشِيرِشَاهٍ رَشِيدٍ      فِي اخْتِلَافِ الْقَبِيلِ ذَلَّ الْعَبِيدِ<sup>(٤)</sup>  
 خَلَعُوا ثُوبَ أُمَّةٍ جَمَعْتَهُمْ      وَازْدَهَوْا بِالْوَزِيرِ وَالْمَحْسُودِ<sup>(٥)</sup>  
 ذَهَبَ الَّذِينَ فِي الْجِبَالِ شِعَاعًا      كُلُّ حِزْبٍ لِلْبُدْهِ فِي سَجُودِ<sup>(٦)</sup>  
 حَرَمٌ فِيهِ حُرْمَةُ اللَّاتِ تَرَعَى      فَجَبَاكَ الْمَوْلَى بِضَرْبِ سَدِيدِ<sup>(٧)</sup>

= طريقه عقبات .

(١) ليس في الجهاد لذة ما لم تكن فيه حرارة الإيمان . وجمر المؤمن يفتقد اليوم في الجهاد .

(٢) الجيوب وجه الأرض ، وهو يشير إلى الرسول صلوات الله عليه وسلامه .

(٣) اكتب حظك بقلمك ، فالله تعالى لم يكتب على جبينك مستقبلك ، كما تزعم .

(٤) شيرشاه : أحد أمراء الأفغان .

(٥) الوزير ، والمحسود من قبائل الأفغان في إقليم الحدود من باكستان .

(٦) اللبد : الصنم .

(٧) هذا حرم ولكن فيه أصنام . فالله يوقفك لضرب تكسر فيه الأصنام ، كما كسر الرسول =

ليس الذي يُدرك الألوانَ بالبصرِ  
يا مؤمناً قد شأى الإفرنج منزلةً  
وحانةُ الغزبِ للصادي مفتحةُ  
لك المماتُ بهذا الشكرِ مُستترُ  
هل يسمَعَنَّ بنو الخانات موعظتي  
بل مُعتَنِي عن ضياءِ الشَّمسِ والقَمَرِ<sup>(١)</sup>  
تَقَدَّمَنُ . ليس هذا مُنتَهَى السَّفَرِ  
ما الشُّكرُ فيها بعلمِ العصرِ بالتُّكْرِ  
إن لم يكن فيكَ للتَّوْحِيدِ مِنْ شَرَرِ<sup>(٢)</sup>  
في شَمَلَةٍ لستُ ذا تاجٍ ولا سُرُرٍ؟<sup>(٣)</sup>

مقاصدُ الفِطْرَةِ العلياءِ يحفظُها  
يراقبُ السَّحَرَ في التمدينِ يُطله  
للحُسنِ واللُّطفِ صاغَ الروضُ بلبله  
يا شيخُ كم تُعجِبُ الأبصارَ مدرسةُ  
هل يعرفُ الذَّهرُ للإسلامِ مِنْ شَبِيهِ  
مَنْ عاش في البيدِ أو في الطُّودِ إنسانا  
في فقره أودَعَ الخلاقُ سلطانا  
وتُنشِئُ البيدُ للإقدامِ عِقبانا  
لكنَّ في البيدِ فاروقاً وسلْمانا<sup>(٤)</sup>  
في نشوةٍ تتحدَّى السَّيفَ غضبانا

\*\*\*

- = أصنام الكعبة .
- (١) ليس بمبصر الذي يرى الألوان ، بل ما أدرك الحقائق والأسرار التي لا يحتاج في رؤيتها إلى الشمس والقمر .
- (٢) لا ضير في أن تأخذ علومَ العصرِ وتنتشي بها ، ولكنَّ الهلاكَ فيها أن تغفل بها عن الإيمان والتَّوحيد .
- (٣) الخانات : جمع خان ، ومعناه : الأمير . يعني يسمع هؤلاء الأمراء قولي وأنا في ثيابِ خشنة ، لست ملكاً ولا أميراً .
- (٤) يعني : الأصحاب الكرام ، مثل : عمر الفاروق ، وسلمان الفارسي .

الدِّيَّانُ السَّابِعُ

رِسَالَةُ الْخُلُودِ  
جَاوِيدِنَامَه

نقله إلى العربية شعراً  
الدكتور حسين مجيب المصري



يعتبرُ هذا الدِّيوانُ التُّحفَةَ الأدبيةَ لمحمد إقبال ، وهو عبارةٌ عن شعرٍ ( مثنوي ) للفلسفة الدِّينية ، ويحتوي على نحو ألفي مقطعٍ شعريٍّ مزدوج ، طبع عام ١٩٣٢ م ، وإنَّه يُبرزُ قوَى الشاعر الفكريَّة وذرأها الرفيعة ، وفيه توريَّةٌ إلى جاويد ابن الشاعر ، ويشتمل هذا الدِّيوان على ثمانية أقسام ، وفيها يحكي الشاعر قصَّةَ سفرٍ في الأفلاك كقصَّة دانتي الشاعر الإيطالي ، تبدأ القصَّة بمقدمةٍ فيها مناجاةٌ وفصولٌ أخرى ، إلى أن تظهر روحُ جلال الدِّين الرُّوميِّ ، فيشرحُ أسرارَ المعراج ، وهو دليلُ الشاعر في هذه الرحلة ، ثمَّ يأتي زورابه وهو روح الزَّمان والمكان ، فيحملُ الشاعرَ ودليله جلالَ الدين الرُّومي إلى العالم العلويِّ .

وفي القسم الأول يزورُ الشَّاعر « القمر » وهنا قدَّمه الروميُّ إلى الحكيم الهندي المعروف باسم « جهان دوست » ( محبُّ الدنيا ) يجلسُ تحت شجرةٍ يأكلُ ويشربُ في تأمُّلٍ وتفكُّرٍ على طريقة اليوجا الهندية ، وحديثه مع الرُّوميِّ واضحٌ ، وهو يبيِّن للإنسان أنَّ الطريق إلى التقدُّم يمكنُ خلالَ المزج بين الثقافة الشَّرقية والغربيَّة ، فالشرقُ قد ركز على الرُّوحانيات مهملاً المادِّيات ، بينما الغرب قد ركز على المادِّيات مهملاً الرُّوحانيات .

ويوافقُ الحكيمُ الهنديُّ على ملاحظاتِ الرُّوميِّ ، لكنَّه ينقلُ إلى الشاعر أخباراً مشجعةً ، وهي أنَّ الشَّرقَ النائم الكسلان هو مع هذا كله في طريقه إلى اليقظة من النَّوم والانشغال .

ويذهبُ الشَّاعرُ إلى وادي جرغميد ، حيث يرى الشاعرُ كتب البوذه وزردشت والمسيح ومحمد ﷺ ، والشَّاعر لا يقابلُ الرُّسل شخصياً بل من خلال كتبهم ، وهو يشرحُ تعاليمَ كلِّ رسولٍ على لسانِ أربع شخصياتٍ ، فتعاليمُ بوذه تُشرحُ على لسانِ فتاةٍ راقصةٍ ، بينما زردشت على لسانِ أهرمن ، وتعاليمُ المسيح

على لسان تولستي ، وتعاليم محمد ﷺ على لسان أبي جهل .

وفي القسم الثاني ينتقل الشاعرُ بعد ذلك إلى « عطارد » حيث يقابل جمالَ الدِّين الأفغانيّ<sup>(١)</sup> وسعيدَ حليم باشا ، وهنا يقدِّم الرُّوميُّ الشاعرَ على أنه « زنده رود » أو « النهر الحي » وهو الاسم الذي يستخدمه الشاعر من هنا فصاعداً خلال الكتاب . وفي إجاباته عن أسئلة الأفغانيّ ، فإنَّ الشاعر يصفُ الأخطاء التي ترتكبها أممُ الشَّرْقِ خاصَّةً الترك ، والفرس ، والعرب ، في تغريبهم لأنفسهم ، ويقارنُ سعيدُ حليم باشا بين الشَّرْقِ والغرب ، ويبينُ أنَّ إنقاذَ وخلصَ الجنس البشريَّ يَكْمُنُ في المزج والتأليف بين كلتا الثقافتين ، أو كما يعبر الشاعر في تزواج العقل بالعشق .

ويحكي سعيدُ حليم باشا بعد ذلك للنَّهر الحيِّ ( زنده رود ) أنَّ دين الله قد أصابه الفسادُ من جرَّاء تعصُّب « المُلَّا » فقد اقتصرَت وظيفتُه على خَلْقِ المتاعب .

وينتقلُ الشاعرُ في القسم الثالث إلى « فلك الزحل » ، حيث يزورُ مسكنَ الآلهة القديمة ، ويأخذُ الرُّوميُّ الشاعرَ إلى إقليمٍ يقعُ مباشرةً تحت نهرٍ ، حيث يقيم فرعون وكتشز ، ويقدِّم فرعونُ الاعتذارات ؛ لأنَّه لم يعترف بالولاء والإخلاص لموسى ، ويحدِّثُ الآخرين كي يكونوا أكثرَ حذراً في مثل هذه الحالات ، ويقارنُ الرُّوميُّ بين « الأثوقراطية »<sup>(٢)</sup> والاستعمارية في الشرق .

وفي القسم الرابع يتَّجه الشاعرُ إلى « المرِّيخ » حيث يقابل فلكياً ، ويناقشُ الشاعرُ مع حكيم المرِّيخ مشكلةَ القضاء والقَدْر ، وفي رأي الحكيم أنه من

---

(١) فيلسوف الإسلام في عصره ، نشأ في كابل ، جال في الشرق والغرب ، دعا إلى الوحدة الإسلامية ، له مؤلفاتٌ معروفة ، منها : « إبطال مذهب الدهريين » أصدره والشيخ محمد عبده مجلة « العروة الوثقى » في باريس عام ١٨٨٤م ، توفي عام ١٨٩٧م .

(٢) الحكم الفردي .

الممكن بالنسبة للإنسان أن يغيّر قدره ، والإنسانُ يجب أن يحاول أن يحرص على السيطرة التامة على القدرة .

وفي القسم الخامس ينتقل الشاعر إلى كوكب « المشتري » حيث يتقابل مع الشاعر غالب<sup>(١)</sup> والصوفي منصور الحلّاج<sup>(٢)</sup> وغيرهم ، ويناقش معهم فلسفة الحياة والموت ، بينما تستمرّ هذه المحادثة يظهر الشيطان على مسرح الأحداث ، ووصف الشيطان هنا رائع ، ويحتاج إلى دراسة مفصلة .

وفي القسم السادس يصل الشاعر إلى كوكب « زحل » ، حيث يقابل أرواح المتهمين بالخيانة العظمى ضدّ أوطانهم : مير جعفر من البنغال ، ومير صادق من الدكن ، والاثنان في قارب يكافحان دونما أملٍ ضدّ عاصفةٍ مثيرة في بحر من الدماء ، وفي تلك اللحظة .

وفي القسم السابع يصل الشاعر إلى « ما وراء الأفلاك » ، وأول من يقابل ، يقابل نيتشه ، الذي ظلّ طوال حياته يحاول البحث عن الله ، لكنّه فشل ، لأنّه اعتمد أساساً على العقل الذي لا يؤدّي إلى شيء . وبعد نيتشه يطير الشاعر إلى قصر عبد الصمد حاكم بنجاب ، ثم يقابل أخيراً الشاعر الشيخ سيد علي همداني ، والشاعر غنيّ من كشمير ، ويشير بعد ذلك إلى بيع البريطانيين لكشمير .

---

(١) هو ميرزا أسد الله غالب (١٧٩٧م - ١٨٦٩م) كان من أعظم شعراء الأردوية ، قد سبقت ترجمته في الديوان الثالث « رسالة الخلود » .

(٢) هو الحسين بن منصور أبو مغيث ، كان من عظام فلاسفة الإسلام ، وكبار الصوفيين الزمّاد ، أصله من البيضاء بفارس ، عاش في خلوات الصوفية لاسيّما مع الجنيد وسهل التستري ، اتهم بالزندقة والقول بالحلول ، فحكم عليه ، وسجن ثماني سنوات ثم عذب وصلّب عام ٣٠٩هـ / ٩٢٢م له كتب كثيرة ، لم يبق منها إلا « كتاب الطواسين » في شرح مذهبه الذي أنشأ في التصوف ، وأثار حوله الجدل ، فقدّمه البعض وكفّره آخرون .



ويقابلُ الشَّاعرُ كذلك نادر شاه ، وأحمد شاه ، والشاعر الهندي بهر تري هري ، وبينما هو يستعدُّ لمغادرة إقليم ما وراء الأفلاك يسمعُ الصَّوتَ الإلهيَّ المقدَّسَ يوضِّحُ له أن السرَّ الحقيقيَّ للتقدُّم والتطوُّر يكمنُ في نموِّ ، وتطوُّر الفرديات ، والمجتمعات ، وهنا تنتهي الرحلة .

وفي القسم الثامن الذي هو الأخير يخاطب فيه الشَّاعرُ الشَّبَابَ عن طريق ابنه جاويد فينصِّحُهم بتجنُّب الرفقةِ الشَّرِّيرة ، وأن ينمُّوا شخصياتهم وذاتياتهم عن طريق الجهاد والكفاح المستمر .

وقد نَقَلَ هذا الديوانَ من الفارسيَّة إلى العربيَّة شعراً الأستاذُ الدكتور حسين مجيب المصري بعنوان « في السماء » ، ويُقدِّم الآن إلى القراء هذا الديوان في عنوانه الأصل الذي سمَّاه الشاعر بـ « جاويد نامه » ( رسالة الخلود ) توريةً إلى ابنه « جاويد » وهو الآن بين أيديكم .

\*\*\*

## مُنَاجَاةٌ

إِنَّمَا الْإِنْسَانُ فِي دُنْيَا السَّرَابِ  
 شَوْقُهُ لِلْخَلِّ نَارٌ تَضْطَّرِمُ  
 عَالَمٌ يَحْوِيهِ مِنْ مَاءٍ وَطِينِ  
 تَضُمْتُ الدَّامَاءَ وَالْبِيدَا مَعَاً  
 وَذُكَاءً وَسَمَاءً حَوْلَهَا  
 النُّجُومُ فِي السَّمَاءِ عِدَّةٌ  
 مِثْلُنَا الْمَسْكِينُ أَمْسَى كُلُّ نَجْمٍ  
 مَا أَعَدَّ الرَّكْبُ زَاداً لِلرَّحِيلِ  
 صَيْدُنَا الدُّنْيَا وَنَحْنُ الصَّائِدُونَ  
 نَحْتُ فِي الشُّكُوى وَمَا مِنْ مُسْتَجِيبِ  
 شَاهَدْتُ عَيْنَايَ يَوْمَا أُشْرِقَا  
 مِنْ جَفُولِ النَّجْمِ فِي الدُّنْيَا ظَهَرَ  
 مَا لَدَيْنَا مِثْلَ هَذَا الْمُعْجَبِ  
 إِنْ أَنْارَ الرُّوْحَ وَمَضَّ مِنْ سَنَاهِ

لَا يَنِي عَنِ نَوْجِهِ شَبَهَ الرَّبَابِ<sup>(١)</sup>  
 رَقَّتِ الشُّكُوى وَمِنْهَا كَمْ عِلْمِ  
 وَالَّةٌ فِي الصَّدْرِ خَفَاقَ الْوَتِينِ؟<sup>(٢)</sup>  
 وَكَذَا طَوْذٌ وَبِدْرٌ لَعَلَعَا<sup>(٣)</sup>  
 كُلُّهَا فِي الْوِوْرِ تَشْكُو سَمْعَهَا<sup>(٤)</sup>  
 كُلُّ نَجْمٍ أَوْحَشَتْهُ وَخَدَةُ<sup>(٥)</sup>  
 ضَلَّ فِي الزَّرْقَاءِ مَغْشِيَا بِهِمْ<sup>(٦)</sup>  
 آهٌ مِنْ تَيْهِ وَمِنْ لَيْلٍ طَوِيلِ  
 أَوْ أُسَارِي مَا تَرَاهُمْ يَذْكُرُونَ  
 أَيْنَ لِلْإِنْسَانِ خِلٌّ أَوْ حَبِيبِ  
 فِي ضِيَاءِ كُلِّ شَيْءٍ أَغْرَقَا  
 بَرَهَةً يَبْدُو وَلَكِنْ مَا اسْتَقْرَ<sup>(٧)</sup>  
 مَالَهُ ظَهَرَ وَلَا مِنْ مَغْرِبِ<sup>(٨)</sup>  
 أَصْبَحَ الصَّوْتُ كُلُّونٍ إِذْ تَرَاهِ

(١) لَا يَنِي : لَا يَضْعَفُ ، وَلَا يَفْتَرُ .

(٢) الْوَتِينِ : عَرَقٌ فِي الْقَلْبِ وَالْمَرَادُ هُنَا الْقَلْبُ .

(٣) الدَّامَاءُ : الْبَحْرُ . وَالْبِيدَاءُ : الصَّحْرَاءُ . وَالطَّوْدُ : الْجَبَلُ . وَلَعَلَعَا : لَمَعَ وَتَلَأَلَا .

(٤) ذُكَاءُ : الشَّمْسُ . وَالْوِوْرُ : ثِقَلُ السَّمْعِ أَوْ ذَهَابُهُ .

(٥) الْعِدَّةُ : الْجَمَاعَةُ .

(٦) الزَّرْقَاءُ : السَّمَاءُ .

(٧) جَفَلَ : نَدَّ وَشَرَدَ .

(٨) الْمُعْجَبُ : الَّذِي يَثِيرُ الْعَجَبَ .

وعلى الدهر سيقى سزَمدا<sup>(١)</sup>  
 إنَّ يومي مُزْمَهْرٌ فلتُغْنِنِي<sup>(٢)</sup>  
 هذه الأفلاكُ فيمنَ حَيَّرتَ<sup>(٣)</sup>  
 أسكرتُ من خميرها أو من سقاه<sup>(٤)</sup>  
 فإليه بُخْتُ بالسرِّ الخفي<sup>(٥)</sup>  
 حرفٌ ﴿ادعوني﴾، لمن هذا الكلام؟<sup>(٦)</sup>  
 أتضنُّ؟ وعلى روعي الحزين  
 ما رأث في الشمسِ نقصاً عيننا  
 أينَ روحٌ لي تناهى صبرها<sup>(٧)</sup>  
 كي نرى روحاً وما فيها خمود  
 لم تنل ما كنتَ تبغي من رغبة<sup>(٨)</sup>  
 قلبُ إنسانٍ فذا كنزٌ ثمين  
 ظلمةَ الرُّوحِ تأملها معي

بدد الغيب بنور قد بدا  
 يا إلهي مثل هذا اليوم هبني  
 آية التسخير فيمن أنزلت  
 (علم الأسماء) سر من دراه  
 من جميع الخلق مندا تضطفي  
 قد رشقت الصذر منا بالسهام  
 لك وجه هو قرآني وديني  
 لو زمت ألف شعاع شمسنا  
 قيد هذا العصر قيد من نهى  
 ويمر الدهر من عمر الوجود  
 أنت ما لم تفلح الأرض الجديدة  
 إن نما من ذلك الطين المهين  
 أنت بدر مر بي في مخدعي

(١) السرمد : الدائم .

(٢) از مهر اليوم : اشتد برده .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة لقمان : ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ [ لقمان : ٢٠ ] أي سخر الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والثمار ، والأنهار ، والدواب للإنسان لينتفع بها .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [ البقرة : ٣١ ] أي أسماء المسميات ، فأراه الأجناس التي خلقها ، وعلمه أن هذا اسم فرس ، وهذا اسم بعير ، وهلم جرا .

(٥) اصطفى : اختار .

(٦) إشارة إلى قوله تعالى في سورة غافر : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [ غافر : ٦٠ ] أي : اعبدوني أنبكم .

(٧) النهى : العقل . وتناهى : بلغ النهاية .

(٨) فلاح الأرض : شقها ليزرعها . والرغبة : الأمر المطلوب .

أَيخَافُ الْبَرْقُ لَيْلًا زَلَّةً !  
 أَهْدِنِي رَبِّاهُ مَزْرَقَ الرُّوَاقِ (١)  
 وَاجْعَلِ الطَّيْنَ نَجِيًّا لِلْمَلَائِكِ (٢)  
 وَدَعِ الْعُودَ وَأَضْرِمِ حَطْبًا  
 وَعَلَى الْكُونِ دُخَانِي بَدَّدَنْ  
 وَبِغَضِّ الطَّرْفِ هَبْنِي نَظْرَةً  
 إِنَّمَا كَانَ عَمَانًا ذَنْبِنَا  
 أُؤْخِذِ الرُّوحَ الَّتِي مَا إِنْ تَرَاهُ (٣)  
 أَرْسَلِ الْمَعُولَ أَوْ رِيحَ السَّحْرِ (٤)  
 وَاهِدِ هَذَا الْقَلْبَ لِلْجَذْبِ الدَّفِينِ  
 عُشُّ ذَاكَ الْعِشْقِ قَلْبٌ لَا يَنَامُ  
 مَسْرَحًا أَضْحَى لِأَفْكَارٍ تُعَدُّ  
 عَلْمُنَا مِنْ غَيْرِ وَحْيٍ سَاحِرٍ (٥)  
 مَا رَمَاهُ الْوَهْمُ فِي جَوْفِ الرَّدَى  
 عَقَلُنَا مَسًّا وَجَبْرٌ دَيْبُنَا  
 نَحْنُ نَرْنُو وَهِيَ مِنْ يَرْوِي الْخَبْرَ

لَمْ نُنْزِ عَنْ هَشِيمٍ شَعْلَةً  
 عِشْتُ مَا قَدْ عِشْتُ لَكِنْ فِي الْفِرَاقِ  
 افْتَحَنْ كُلَّ بَابٍ لِي هُنَالِكَ  
 هَاكَ صَدْرِي فِيهِ أَشْعِلْ لَهَا  
 نَحْ تِلْكَ النَّارَ عَوْدِي أَوْ قَدَنْ  
 أَجْجِ النَّارَ بِكَأْسِي خَمْرَةً  
 قَدْ طَلَبْنَاكَ وَمَا تَبَدُّو لَنَا  
 وَعَنِ السَّرِّ أَمِطْ سِتْرًا خَفَاهُ  
 دَوْحُ فَكْرِي لَا يُرْجَى مِنْ ثَمَرِ  
 قَدْ وَهَبْتُ الْعَقْلَ فَا مَنَحْنِي الْجَنُونَ  
 إِنَّمَا لِلْعَلْمِ فِي الْفِكْرِ الْمَقَامُ  
 وَإِذَا الْعَلْمُ عَنِ الْعِشْقِ انْفَرَدُ  
 فِيهِ سِخْرُ السَّامِرِيِّ ظَاهِرُ  
 بِالتَّجَلِّيِ عَالَمُ الْقَوْمِ اهْتَدَى  
 عَيْشُنَا لَوْلَا التَّجَلِّيِ سَقَمْنَا  
 هَذِهِ الدُّنْيَا بِهَا بَحْرٌ وَبِرْ

(١) مزرقة الرواق : السماء .

(٢) يريد بالطين نفسه ؛ لأنه إنسانٌ خلق من طين . والتنجي : صاحب السر . والملائكة : الملائكة .

(٣) خفاه : أخفاه .

(٤) الدوح : جمع دوحه وهي الشجرة العظيمة .

(٥) بعد أن ذهب موسى لميقات ربه ، تحيّن رجلٌ يسمى السامري غيبته ، وأخذ من بني إسرائيل حلي نسانهم ، وألقاها في النار ؛ ليسبك منها عجلًا ، وجعله بحيث يكون له صوتٌ كالخوار ، وخذع بني إسرائيل بقوله : هذا إلهكم وإله موسى .

فَلَقَّةُ الْبَدْرِ إِلَيْهِ فَلْتَعْدُ<sup>(١)</sup>  
 وَكَلَامُ الْهَجْرِ يَخْلُو مِنْ خِتَامِ  
 مِنْ بَعِيدٍ فَلْتَقُلْ إِنِّي قَرِيبٌ  
 فَكُلُّ صَوْبٍ وَشِمَالٍ وَجَنُوبِ  
 وَوَرَاءَ كُلِّ نَجْمٍ اسْتَبِقُ<sup>(٢)</sup>  
 وَلِنَا الْأَنْفَاسُ عَمْرٌ مُسْتَعَارِ  
 أَي عَبْدٍ غَارَ مِنْ صُنْعِ الْإِلَهِ<sup>(٣)</sup>  
 لَمْ يَسِرَّ بِغِيَابٍ أَوْ حُضُورِ<sup>(٤)</sup>  
 وَأَنَا الْأَرْضُ أُسْكِنِي السَّمَاءِ  
 كُلَّ خَيْرٍ ، وَمَسِيرِي لِلْأَمَامِ  
 لَا وَلَا تِلْكَ السَّمَاءُ هَذَا الْكِتَابِ  
 أَيْنَ مِنْ غَاصَ عَلَى قَاعِي الْعَمِيقِ<sup>(٥)</sup>  
 وَتَرَى فِي الْبَحْرِ مَوْجَاتٍ تَفِرُّ  
 وَلَدَيْيَ عَنْ غَدِي قَوْلٌ مَبِينٌ  
 وَليَكُنْ كُلُّ عَمِيقٍ كَالضُّحُولِ<sup>(٦)</sup>

فإلى الدار فؤاداً ضلّ رُد  
 من ترابي ما نما إلا الكلام  
 إنني في الكون ذيبك الغريب  
 ريثما كالشمس يطوى بالغروب  
 من غدي والامس إنني مُنطلق  
 أنت نور خالد نحن الشرار  
 قل لمن ما ماز موتاً من حياه  
 جاب آفاقاً وليس بالصّبور  
 إنني الفاني فهب أنت البقاء  
 يا إلهي هب فعالي والكلام  
 ليس من دنياي هذا الخطاب  
 إنني بحر سكوني لا يليق  
 وعلى الساحل دُنيا تستقر  
 قد يشئت من شيوخ الأقدمين  
 وعلى الفتیان يسر ما أقول

\*\*\*

- 
- (١) فلقة البدر بكسر الفاء : القطعة منه .  
 (٢) استبق : تسابق .  
 (٣) ماز الشيء : فرزه عن غيره .  
 (٤) جاب البلاد : قطعها .  
 (٥) غاص على اللؤلؤ : غطس يستخرجه .  
 (٦) الضحول : جمع ضحل ، وهو الماء لا عمق له .

## تمهيدٌ سماويٌّ

في اليومِ الأوَّلِ لِلخَلْقِ ، تنشي  
 لِلخُضُورِ لذةٌ أو لِلغِيَابِ  
 كَانَ لِلأنفاسِ خِيْطٌ فَانقَطَعَ  
 حَيْثُما تَمَضِي تُشاهِدُ قائلًا  
 عَلِّمُوا الأنجَمَ طُورًا سَيْرَها  
 هذِهِ الشَّمْسُ أَقامتْ خِيمةً  
 أوَّلُ الإصباحِ فِي الأفقِ انبَثَقَ  
 كَانَ لِلإنسانِ أرضٌ قاحِلَةٌ  
 الجِبَالُ لَيْسَ فِيها مِنْ نَهْزِ  
 ما شَدَّتْ فِي العُضُنِ طَيْرٌ بِالغِناءِ  
 التَّجَلِّيِ غابَ عَنِ بحرٍ وَبَرٍ  
 فِي ربيعٍ ما بَدَتْ مِنْ خُضْرَةٍ  
 لَمْ تَلِكِ الأَرْضَ مَزْرُقُ الفَلَكِ  
 وَفضائي لَيْسَ فِيهِ مِنْ ضَرِيرِ  
 قَدْ يَطوُلُ التُّرْبُ طوداً فِي السَما  
 فَلتَعيشِي مِثْلَما عاشَ الجَميلُ  
 فاعترِي الأَرْضَ مِنَ اللُّومِ الحَجَلُ

وبها قَدْ خُلِقَ الكونُ العُجابِ  
 بَنَتِ الحيرةُ صرْحاً ما انصَدَعُ<sup>(١)</sup>  
 بَعْدَ شوقٍ : لَسْتُ مِثْلِي يا فُلا<sup>(٢)</sup>  
 مَنحُوها فِي السَّما نُورَها<sup>(٣)</sup>  
 زانَها التُّبُرُ رَسوماً جَمَّةً  
 ورأى الكونَ ولبداً فاغتنقُ  
 لا تَمُرُّ فِي ثراها قافلَةٌ  
 والفيافي تَحْتَ غيمٍ ما انهمَزُ  
 لا ولا فِي المَرجِ سِرْبٌ مِنْ ظِباءِ  
 ولها الثوبُ دِخانٌ وانثَرُ  
 وانطَوَّتْ تحتَ الثرى فِي غِبرَةٍ  
 « ما رَأَتْ عَيْنٌ كَهذا هَيْتَ لَكَ ! »<sup>(٤)</sup>  
 لَكَ نُورٌ مِنْ سِراجِي أَيُّ نُورِ  
 لا يِضاهايِ فَلَكَأُ أو أنجُما<sup>(٥)</sup>  
 أو فموتي مِنْ سَنارٍ لِلذَّليلِ<sup>(٦)</sup>  
 بَعْدَ حَزَنِ وَضِياحٍ لِالأَمَلِ

(١) الصرح : كلُّ بناءٍ عالٍ .

(٢) يا فلا : ترخيمٌ يا فلان .

(٣) طُورًا : جميعاً .

(٤) هيت لك : هَلُمَّ وتعال .

(٥) التراب : التراب . والطَّودُ : الجبل .

(٦) السَّنارُ : العيبُ والعار .

ونداءٌ جاء من فوقِ القَمَمِ<sup>(١)</sup>  
 أيّ بأسٍ؟ ذاتك امنتخها النّظر  
 ليس من نورِ أتانا من فلّك<sup>(٢)</sup>  
 من صُروفِ الدّهرِ أنوارٌ لروح  
 يسبقُ الشّمسَ شعاعاً والقَمَر  
 وهي تبدي من ثراكِ ذا السّنا!<sup>(٣)</sup>  
 ولهذا العشقِ غزوّ اللّامكان  
 عينه يقظى وفاقتِ جبرئيلِ!  
 وله يبدو رباطاً ذا الفلّك<sup>(٤)</sup>  
 إبرةٌ قد خرقتِ ثوبَ الحرير  
 فضّلهُ في عينها نورُ البصر<sup>(٥)</sup>  
 وهو كالمهمازِ في جنبِ القضاء<sup>(٦)</sup>  
 لتري الذّاتَ تجلّت في الصّفات  
 سيداً أضحى لِكُلِّ الكائنات<sup>(٧)</sup>

ومن الظّلمةِ أضواها الألم  
 يا أميناً لستَ تدري ما الخبر  
 النّهارُ نورُه من مُعترك  
 نورُ هذا الصّبحِ من شمسِ جريح  
 نورُ تلكَ الرّوحِ ماضٍ في سَفَر  
 من كتابِ الرّوحِ أسقطتَ «المنى»  
 يملكُ العقْلُ من الدّنيا العنان  
 يهتدي الفِكرُ ومن غيرِ الدّلّيل  
 يالهُ ترباً يطيرُ كالمَلِك  
 يخزُ الزّرقاءَ جسمٌ في المسير  
 ثوبُ دُنيانا محاعنه الوضّر  
 ورقيقُ الدّينِ سقّاك الدّماء  
 تستنيرُ عينُه بالكائنات  
 من تلظّي عشقه من حُسنِ ذات

\*\*\*

- 
- (١) أضواها : أضعفها .  
 (٢) المعترك : موضع العراك والقتال . والمراد به معترك الحياة .  
 (٣) السنا : النور .  
 (٤) الرباط : مبنى لتزول المسافرين كما أنه لإقامة المتعبدين .  
 (٥) الوضّر : الوسخ .  
 (٦) رقيق الدين : الملهد .  
 (٧) تلظت النار : تلهبت .

## أغنية الملائكة (١)

ويوماً تبهر الصلصال نورياً بأنوار  
ويوماً تُضبحُ الأرضُ سما من نجمِ أقدار  
خيالُ المرءِ ظمآنٌ ، سيولُ الدهرِ ترويه  
ويوماً خارجَ الأفلاكِ في أمنٍ ستلقيه  
وفي معنىٍ لإنسانٍ تأمل أنت ثمَّ اسأل  
ويوماً بَعْدَ تطويعِ سِنْمسي ذلك الأكمل  
ويعلو منه شأنٌ لم يكن في أمسه شيئاً  
ويوماً أنت لا تلقاهُ عندَ الله مَرْضِيّاً

\*\*\*

## تمهيدٌ أرضيٌّ

تلوحُ روحُ جلالِ الدِّينِ الرومي ، وتتناولُ بالشَّرحِ سرَّ المعراج  
شُعلةٌ لِلعشقِ شَبَّتْ في المدينة ضجةٌ لِلقَوْمِ تَطْوِيها دَفِينة  
تَنشُدُ الخلوَةَ في طَوْدِ أشم أو على السَّاحِلِ مِنْ بحرِ خِصَم (٢)  
ما وَجَدْتُ لي حَميماً مرَّةً فَقَصَدْتُ البَحْرَ أَلقي نظرةً  
ورأيتُ البَحْرَ في وقتِ الغروب زرقَةً فيها يواقيتُ تَذُوب  
للضَّريرِ واهبُ نورِ البَصْرِ للمساءِ مكسبٌ لَوْنِ السَّحر  
ثم ناجيتُ طويلاً مُهَجَّتِي وطلبتُ في خيالي مُنيتي (٣)

(١) هذه المنظومة من بحر الهزج ، وهو في العربية سداسيُّ أصلاً ، ولا يستعملُ إلا رباعياً ،

غيرَ أنَّ الفرسِ يستعملونه ثمانياً . وقد أوردناه ثمانياً كما ورد في هذا الشعر الفارسي .

(٢) الطودُ الأشم : الجبلُ المرتفع . البحرُ الخِصَمُ : العظيمُ الواسع .

(٣) المُهَجَّةُ : دَمُ القلبِ . والمرادُ به هنا القلبِ .



إِنِّي الفاني ومالي من خلود      وأنا حيٌّ ومثلي في اللُّحود  
ظامىءٌ والنَّبَعُ عن ثغري بعيد      فإذا بي منشدٌ هذا الشَّيد

\*\*\*

## غزل

أفتح الثَّغْرَ لذة الشَّهْدِ أَطْلُبُ      أظهر الخدَّ روضةً الوَزْدِ أَطْلُبُ  
هذه الكأسُ في يدي وبأخرى      شعْرُه ، إنَّ رقصَةَ الوَجْدِ أَطْلُبُ<sup>(١)</sup>  
في دلالٍ تقولُ قُمْ أَنْتَ عَنَّا      قل وكرِّزْ ، فقولة القَنْدِ أَطْلُبُ<sup>(٢)</sup>  
أنتَ يا عقلُ فانصِرِفْ عن هُذَاءِ      أنتَ يا عِشْقُ صحوة الجَدِّ أَطْلُبُ<sup>(٣)</sup>  
إنَّ تلكَ الحياةَ كالسَّيْلِ تمضي      وأنا الحوتُ لُجَّةَ المدِّ أَطْلُبُ<sup>(٤)</sup>  
ذاك فرعونُ أزمضَ النَّفْسَ جَوْرًا      نورَ موسى بليلة البَزْدِ أَطْلُبُ<sup>(٥)</sup>  
طافَ في الليلِ شيوخنا بسراج      قالَ إِنِّي مؤجَّلَ العَوْدِ أَطْلُبُ<sup>(٦)</sup>  
ورفاقٍ كَرِهْتُ مِنْهُمْ خِصَالًا      رُستماً لي وسيدَ الأَسَدِ أَطْلُبُ<sup>(٧)</sup>

(١) يريد برقصه الوجد رقص المولوية ، وهم أتباع جلال الدين الرومي المعروف بمولوي ، وكانوا يرقصون ، على أنَّ الرِّقْصَ والسمع مما يثير في القلوب لوعة العِشْقِ الإلهي . وسنصفُ رقصهم تفصيلاً في الصفحات الأخيرة من الكتاب .

(٢) القَنْدُ : السكر .

(٣) الهذاء : الاسم من هذي بمعنى تكلم بغير المعقول لمرض أو غيره .

(٤) اللجة : معظم الماء . والمدُّ : ارتفاع ماء البحر .

(٥) ذكرنا ليلة البرد هنا لأنَّ موسى عليه السلام كان يرعى غنمه ومعه امرأته في ليلة باردة وأراد أن يقدح بزئده فما أخرج الزئد ناراً غير أنَّه شاهد ناراً من بعيد ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُوثُوا إِنِّي أَنَسْتُ نَارَ الْعَالِيَةِ أَيَكْرِمُهَا يَقِينٍ أَوْ أَحَدٌ عَلَى النَّارِ هُدَى ﴾ [ طه : ١٠ ] .

(٦) العود : العودة وجعلناها مؤجلة للمبالغة .

(٧) رستم : بطل الأساطير الفارسية المشتهر بشجاعته وشهامته في الملاحم ، وأردنا بسيد الأسد أسد الله وهو عليٌّ كرم الله وجهه .

كم بحثنا ، وأي شيء وجدنا  
قلت إنني برغم ذا الفقد أطلبُ

فوق ماء أغبر الموجُ نام  
إنَّ منها اللَّيْلُ شيئاً قد سَرَقَ  
روحُ « رومي » مرَّقت كلَّ الشُّتور  
إنَّه شَمْسُ الضُّحَى في طَلَعَتِه  
وبنورِ سمرمديّ قذ أضواء  
شفتاه فيهما سرُّ الوجود  
إنَّ هذا القَوْلَ مرآةٌ تدلَّت  
غَيْرُ موجودٍ وموجودٌ؟ أجنبي  
قال لي الموجودُ ما يبغي الظهور  
للوجودِ زينةً تُدعى « أنا »  
ألقوا يومَ « ألسنتُ » مجمعا  
إن تكن حياً أو الميتَ الدفين  
شاهداً فلتتخذهُ من شعور

غابتِ الشَّمْسُ وفي الأفقِ الظُّلام  
يَشْهَدُ الكوكبُ بالثُّور ائتلق  
ولها من خَلْفِ أطوادِ ظُهور<sup>(١)</sup>  
وشبابُ شيبه ، في مِيعَتِه<sup>(٢)</sup>  
من حُبُورِ الخُلْدِ غَطَّاه الرِّداء<sup>(٣)</sup>  
فكَّ عنه القَوْلَ فكَّاً للقيود  
وهو عَلِمَ فيه نازٌ قد تجلَّت  
غيرُ محمودٍ ومحمودٌ؟ أجنبي  
فالوجودُ يقتضي هذا الظُّهور  
رغبةً في الذاتِ برهاناً لنا<sup>(٤)</sup>  
« أينَ مَنْ يَشْهَدُ؟ » قالوها معا<sup>(٥)</sup>  
أو تَجُدُ بالروحِ سلٌّ عن ذا الأمين<sup>(٦)</sup>  
أو عيونٍ مالها إلَّا ك نور

(١) روميّ : هو جلال الدين الرومي . والأطواد : الجبال .

(٢) مِيعَةُ الشباب : أوَّلُه .

(٣) السَّرمديّ : الخالد . والحُبُورُ : الشُّرور .

(٤) أنا هنا بمعنى الذاتِ أو الفرد . وفي رأي إقبال أنَّ حياة الإنسان لن تكون إلا فردية ، ولا وجود لحياة كَلِّية في واقع الأمر ، وتجلِّي الحياة في الفرد ليس إلَّا . فالأنا أو الإنسان يسمو ويخلد بالعمل ، وإلى تلك الحقيقة كانت إشارة الإسلام .

(٥) يُكثِرُ شعراءُ التصوُّف من الفرس ذكرَ يومِ « ألسنتُ » مشيرين بذلك إلى قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ﴾ [ الأعراف : ١٧٢ ] .

(٦) المراد بهذا الأمين : الشَّاهد .

واجعل الثاني شعور الآخرين  
ولتكن ذاتُ الإله خيرَ شاهد  
أنتَ إنْ واجهتَ ذِيكَ الضَّيَاءِ  
الحياةُ هي للذَّاتِ الوصول  
لم ثلاثم مؤمناً قطُّ الصِّفَاتِ  
ما هو المعراجُ؟ مرجأةٌ لشاهد  
شاهدٌ عدلٌ وممَّا قاله  
ما للإنسانِ ثباتٌ في الحضور  
ذرةٌ لا تلق من هذا اللهبِ  
أنْ تزيدَ التُّورَ فيكَ ذاكَ أخلقُ  
جسمَكَ الباليَ جدُّ بالصِّقالِ

شاهد الذَّاتِ بعينِ الآخرين  
ولها نورٌ به ذاتاً فشاهد  
نلتَ طولاً سرمدياً للبقاء  
وهي ذاتٌ ليس يُخفيها سُدول<sup>(١)</sup>  
ما اختيارُ المصطفى إلا لِذاتِ  
واختبارٌ ، وتراه عينُ شاهد  
عشنا البستانُ أزهارٌ له  
أو هو الكاملُ لا يشكو القُصور<sup>(٢)</sup>  
ثم صنهُ مثلَ تذكاري الحبيب  
أن تظاهيه بشمسِ ذاكَ أليقُ  
واختبر ذاتك عيش فالعمرُ طال

ليس بالمحمودِ إلا ذو الوجود

عشنا لولاهُ ما يعلو الوقود<sup>(٣)</sup>

قلت كيفَ نحنُ نمضي قصدنا الحقُّ  
وبعيدٌ أمرٌ عن أمرنا  
قلت والسُّلطانِ إمَّا كانَ لك  
انتظر يوماً تعرّى الكائناتِ

لجبالٍ ومياهٍ كيفَ ذا الشقُّ<sup>(٤)</sup>  
والرِّمانُ شصُّه في حلقنا<sup>(٥)</sup>  
لاستطعتَ اليومَ تحطيمَ الفلكِ<sup>(٦)</sup>  
والغبارُ طالَ من ذيلِ الجهاتِ

(١) السُّدول : جمع سدل ، وهو الستر . واللام في للذات بمعنى إلى .

(٢) الحضور عند المتصوفة هو حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبيُّ عنده كالحكم العيني . ونقيضه الغيبة ، وهي غيبة القلب من دون الله حتى يغيب عن نفسه ، ويستطيع مشاهدتها .

(٣) الوقود : النار وأثقادها . والدُّخان هو المراد بما يعلوها ، وهو متفرِّقٌ متبدد .

(٤) الحق : هو الله جل وعلا .

(٥) الشص : حديدة عقفاء يصاد بها السمك .

(٦) إمَّا : مركبة من إن الشرطية وما الزائدة .

أنت منه وهو منك ما ترى  
 أو فمّت في الوخل والذرّ المبعثر<sup>(١)</sup>  
 كنت في دنيا الجهات الأربع<sup>(٢)</sup>  
 وتفكّ عنك هاتيك القيودا  
 ما دراهُ قسطُ إلا ذو فؤاد  
 ظاهرٌ هذا وذا خلفَ السّتار  
 باحثٌ هذا وللثاني المرام  
 ذاك قَطُّ لا يسيرُ في الجهات  
 ما هما إلا لذاك دأبته  
 للرجال المولد الدنيا فطر  
 ذاك بالروح وهذا باللسان<sup>(٣)</sup>

الأقلّ لا ترى والأكثر  
 قوله ﴿إلا بسلطان﴾ تذكّر  
 بولادٍ أي هذا الألمي  
 بولادٍ أنت قد تمضي بعيدا  
 ليس من ماء وطين ذالولاد  
 ذاك من جبرٍ وذا بالاختيار  
 بالبكا ذاك وذا بالابتسام  
 ذا سكونٌ ، سيره في الكائنات  
 ذا لليل ولصبح حاجته  
 مولدٌ للطفل بطناً قد فطر  
 ودليل العالمين في الأذان

مولدٌ للروح حلّت جسمنا

زلزل الدنيا فماجّت حولنا

قال شأن من شؤون الحياة  
 ثابتٌ هذا وللثاني المُرور  
 وتراها جمعت في خلوة  
 لكن الخلوة من نور لذات  
 عشقها الماضي بها للخلوة  
 كي يحلّ اللغز من طين وماء

قلت لمولد معنى لا أراه  
 إنّما دنياك غيبٌ أو حضور  
 ولذات ذوبها في جلوة  
 جلوة للذات في نور الصفات  
 عقلها الدافع نحو الجلوة  
 وإلى العالم هذا العقل جاء

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ يَمْشُرُ الْجِبْنَ وَالْإِنْسَانَ إِذَا أُفْجِرَهُمْ أَنْ يَتَّقُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَتَذُورًا لَا يَتَذُورُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ [الرحمن : ٣٣] والشاعر يصف قدرة الإنسان بطاعة الرحمن . والذر : صغار النمل .

(٢) الولاد : الولادة . والألمي : الذكي الحصيف .

(٣) جرت العادة بالأذان في أذن الوليد .

ثم أمسى البرق والغيم الخطيبا  
لا كعربيدٍ جريءٍ في الغرر<sup>(١)</sup>!  
نملةً أنتَ تراه إذ يسير  
أمّ من يهوى وثيدَ الخُطوة<sup>(٢)</sup>  
فمتى أمرٌ له يوماً يتم  
لا ولا حتّى قريباً من شطون<sup>(٣)</sup>  
أو حوالبه يطوفُ في مهل  
وقلوبٌ كالشموكِ إذ تُعوم<sup>(٤)</sup>  
والمماتُ دونَ قبرٍ للعِيان<sup>(٥)</sup>  
لا ولا من قُوّةٍ للأقوياء<sup>(٦)</sup>  
شقّ ذلكَ البدرَ المنير  
جيشَ فرعونَ بلا حربٍ هزم<sup>(٧)</sup>  
كامنٌ فيها وها منها انتشر  
يفضلُ الدّينَ ومن علمٍ أهم  
وله قد عَفَّرَ الكونُ الجيين  
مادنا أو شطاً وهو اللامكان  
وله الكونُ جوادٌ يُزكّبُ

كلُّ جلمودٍ له أضحى أديبا  
عنه تَأَلَّفَ ذوقاً للنظر  
يَزْهَبُ السَّيْرَ فيمضي كالضريبر  
حيثُ كانَ العقلُ فوقَ القُوّةِ  
أمرُه شيئاً فشيئاً ينتظم  
ما درى العشقُ شهوراً من سنين  
وَيَشُقُّ العقلُ شقّاً في الجبل  
وَمِنَ العشقِ جبالٌ كالهشيم  
إنّما العشقُ يَبَاتُ اللّامكان  
ليس يقوى العشقُ من ربحٍ وماء  
خيبراً نال بخبزي من شعير  
رأسَ نمرودٍ بلا ضربٍ حَطَمَ  
إنّه في الرُّوحِ ، في العَيْنِ البصر  
والرّمادُ العشقُ والعشقُ الضّرْمُ  
وهو سلطانٌ وبرهانٌ مبين  
أمسنا والغدُ وهو اللّأزمان  
من إليه الكونُ ذاتاً يطلب

(١) العربيد : من يؤذي نديمه في سكره ، والمراد به هنا الصُّوفي . والغرر : التعرُّض للهلاك .

(٢) أمّ : قصد . والوثيد : البطيء .

(٣) الشُّتون : البعيد .

(٤) الشموك : الأسماك .

(٥) البيات : الهجوم ليلاً . والعيان : المعاينة والمشاهدة .

(٦) الريح والماء والتراب والنار هي العناصر الأربعة .

(٧) حطم بمعنى حطم .

يبطلُ الفتنَةَ في دنيا الحطامِ  
 باذلينَ العقلَ قرباناً لهم  
 وعلى ذاتِكَ موتاً فلتَحَرِّمِ<sup>(١)</sup>  
 القيامُ ممكنٌ مِنْ غيرِ صورِ<sup>(٢)</sup>  
 فإلامَ منك صوتُ الضَّفدَعِ  
 ذلكَ الرُّنَّارَ عنكَ اطْرَحَنَّ<sup>(٣)</sup>  
 ما تراهُ عَنْهُ فاسألَ عَفْلَكَ  
 فَمِنَ الدَّهْرِ وَعَمَى للدَّهْرِ سَرّاً<sup>(٤)</sup>  
 في عيونِ ما لها ذُلُّ الأسيرِ

منه يبدو ما لقلبٍ من مَقامِ  
 يَهْبُ العَشَّاقُ رَبِّاً نَفْسَهُم  
 عاشقٌ أنتَ ؟ على اللاصُوبِ أقدمِ  
 أنتَ يا مَنْ أنتَ ميتٌ في الحفيرِ  
 لكَ لحنٌ مُطربٌ في المَسْمَعِ  
 المكانَ والزَّمانَ ازكَّبَنَّ  
 اشحذِ الأذنَ واشحذِ عينَكَ  
 « مَنْ بسمعِ منهُ صوتُ النملِ مرّاً  
 تَحْرِقُ النَّظْرَةَ لي كلَّ السُّتورِ

إنَّما الإنسانُ هذاكَ النَّظيرِ

فبِهِ مَنْ كانَ يَهوى قَدْ غَمِرِ

كلُّ هذا الجسمِ فاضهَرُ في النَّظيرِ

فعلَيْكَ وَعَلَيْكَ بِالنَّظيرِ<sup>(٥)</sup>

وُسْعَةُ الدُّنيا تخافُ ! لا تَخَفِ<sup>(٦)</sup>  
 فيهما حالاً لروحِ أنتَ واجِدُ  
 فاختلافُ الغَدِ والأَمسِ انبثقُ  
 لا ترى عُلوَ الفِضاءِ الأعظمِ  
 قد تمُدُّ في السَّماءِ غصنَها

مِنْ سَمواتِ تَخافُ ! لا تَخَفِ  
 الزمانُ والمكانُ فلتشاهِذُ  
 نظراً من جلوةِ إمَّا سبقُ  
 حبةٌ في جوفِ طينِ مظلمِ  
 وهي لا تدري قريباً أنَّها

(١) الصُّوب : الجهة .

(٢) الحفير : القبر .

(٣) الزنار : حزام يتمنطق به أهل الذمة .

(٤) هذا البيتُ للشاعر الفارسي جلال الدِّين الرُّومي .

(٥) هذان البيتان من شعره كذلك .

(٦) الوسعة : الاتساع .

ولها الجوهرُ نغرقُ للنماء  
ومقامٌ ، وهما أيضاً سواء<sup>(١)</sup>

قلتَ إنَّ الجسمَ للأرواحِ مَحْمِلٌ      أبصرِ الرُّوحَ وعن جسمِ فَمِل<sup>(٢)</sup>  
إنَّما الجسمُ تعلقُ الرُّوحِ حال      قولُك المحمِلُ زوراً ومحال  
ما هي الرُّوحُ ؟ احتراقٌ بالوجب      وهي ذوقُ الغزو للأفقِ الرَّحيب<sup>(٣)</sup>  
واعتيادُ اللونِ والريحِ والجسد      والمَقَامُ في الجهاتِ بالعدد<sup>(٤)</sup>  
القريبُ والبعيدُ في الضمير      إنما المعراجُ تغييرُ الشُّعور  
في الشُّعورِ ذاك من جذبٍ وشوق      خلَّصنَّ الذَّات من تحتِ وفوق

ليسَ هذا الجسمُ للرُّوحِ النُّظيرِ  
والترابُ مانعاً من أنْ نظيراً<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

## « زروان » وهو روحُ الزَّمانِ والمكان

يمضي بالمسافر في سفرته إلى العالم العلوي<sup>(٦)</sup>

دبَّ في روعي فتورٌ من كلامه      زئبقُ ذرَّاتِ جسمي من أمامه<sup>(٧)</sup>

- (١) النماء : النمو ، يقول : إنَّ الحبة هي جوهرها .
- (٢) المحمِل : شقَّان على البعير يُحمَل فيهما العدلان .
- (٣) الوجيب : خفقان القلب .
- (٤) المقصود بتلك الجهات الأربع أو الاتجاهات الأربعة .
- (٥) التراب هنا هو مادة جسم الإنسان .
- (٦) زروان في المجوسية أو الزرادشتية هو الزمان المطلق . وعند بعض المجوس : الذين يقولون بوجود إلهين أهورامزدا إله الخير وأهريمن إله الشر ، وأنَّ هذين الإلهين ظهرا من زروان ، ويُعرفون بالزروانيَّة ، كما يذهبون إلى التوحيد ، ويرفضون الثنوية .
- (٧) يعني بقوله : إنَّ ذرات جسمه كالزئبق : أن جسمه يرتعد . ومن : بمعنى في .

بَغْتَةً شَاهَدْتُ بَيْنَ الْخَافِقِينَ  
 مَلَكٌ يَهْبِطُ مِنْ هَذَا الْغَمَامِ  
 هَذِهِ كَاللَّيْلِ وَالْآخِرَى مُنِيرُهُ  
 فِي الْجَنَاحِ حَمْرَةٌ أَوْ صَفْرَةٌ  
 فِي طَبَاعٍ مِنْهُ سَرَبٌ لِلْخِيَالِ  
 فَتَرَاهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي سَمَاءِ  
 قَالَ زُرَّوَانُ أَنَا الدُّنْيَا فَهَزْتُ  
 كُلَّ تَسْدِيرٍ بِتَقْدِيرِ رَأْيَتِهِ  
 إِنَّ بِي لِلزَّهْرِ فِي الْعُصْنِ النَّمَاءِ  
 تُصْبِحُ الْحَبَّةُ إِنْ طَرَتْ الْعُصُونَا  
 وَأَنَا مِنْ لِي الْعِتَابُ وَالْخِطَابُ  
 الْحَيَاةُ وَالْمَمَاتُ وَالنُّشُورُ  
 فِي يَدِي الْإِنْسَانُ بَلْ كُلُّ الْمَلَائِكِ  
 مَا قَطَفْتُ مِنْ وَرُودٍ فَهُوَ لِي  
 إِنَّمَا الدُّنْيَا أَسِيرٌ فِي طَلْسَمِي  
 « لِي مَعَ اللَّهِ » حَدِيثٌ مِنْ وَعَاةِ  
 إِنْ أَرَدْتَ لِي رَحِيلاً مِنْ هِنَالِكَ

السَّمَاءِ فِي غَمَامٍ كَاللُّجَيْنِ<sup>(١)</sup>  
 طَلَعْتَاهُ فِي الْبِيَاضِ وَالْقَتَامِ<sup>(٢)</sup>  
 هَاهُمَا يَقْضِي وَوَسْنِي كَالضَّرِيرِهِ<sup>(٣)</sup>  
 وَلُجَيْنٌ أَزْهَرْتُهُ خُضْرَةٌ<sup>(٤)</sup>  
 بَيْنَ أَرْضٍ وَنَجُومٍ فِي انْتِقَالِ<sup>(٥)</sup>  
 لِحَنَاحِيهِ جَدِيدٌ مِنْ فِضَاءِ  
 وَأَنَا مِنْ قَدْ ظَهَرْتُ وَاخْتَفَيْتِ  
 كُلَّ حَيٍّ فِي شِبَاكِي قَدْ حَمَلْتِهِ  
 وَلِتِلْكَ الطَّيْرِ فِي الْوَكْرِ الْغَنَاءِ  
 وَبِفِيضِي الْوَضْلُ نَالَ الْعَاشِقُونَا  
 أَظْمَى الطَّامِي وَآتَى بِالشَّرَابِ  
 وَأَنَا النَّارُ وَجَنَاتٌ وَحُورُ  
 وَبَنِي عَالَمٍ مِنْ فِيهِ هَالِكٌ<sup>(٦)</sup>  
 أَمْ مَا لِنَاطِرِيكَ يَنْجَلِي  
 وَتَشِيخُ فِي زَفِيرٍ مِنْ فَمِي  
 سَرَى الْمَغْمُورُ فِي لُبْسٍ وَعَاةِ<sup>(٧)</sup>  
 « لِي مَعَ اللَّهِ » اذْكَرَنَّ فِي فُؤَادِكَ

(١) الخافقان : المشرق والمغرب . اللجين : الفضة .

(٢) يقول : إن له طلعتين أو وجهين ، أحدهما : أبيض ، والثاني : أسود . والقتام : السواد ، والظلام .

(٣) وسنى : نائمة .

(٤) أزهر المصباح : أضواءه .

(٥) سرب سرباً : مضى في الأرض على وجهه .

(٦) الملائك : الملائكة .

(٧) يشير إلى قوله ﷺ : « ولي مع الله وقت » .



أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لِي مِنْ رُؤْيَتِهِ  
عَالِماً آخَرَ أَبَدِي يَأْتِرِي  
بَيْنَ الْوَانِ وَرِيحٍ قَدْ قَضَيْتُ  
وَأَنَا عَنْ عَالِمِي هَذَا انْقَطَعْتُ  
لِضِيَاعِ عَالِمِي إِنِّي حَزِنْتُ  
خَفًّا جَسْمِي ، ذَاكَ رُوحِي مَا اسْتَقَرَّ  
وَالْخَفَايَا مَا عَلَيْهَا مِنْ حِجَابِ  
قَدْ نَسِيتُ عَالِمِي مِنْ قُدْرَتِهِ  
أَوْ كَأَنَّ عَالِمِي قَدْ غَيَّرَا!  
وَإِلَى دُنْيَا الْكُونِ قَدْ مَضَيْتُ<sup>(١)</sup>  
عَالِماً آخَرَ إِنِّي قَدْ مَلَكَتُ  
مِنْ تُرَابِي غَيْرِهِ هَا قَدْ وَجَدْتُ  
وَبِقَلْبِي زَادَ نُورٌ لِلْبَصْرِ  
وَالنُّجُومُ لِحْنُهَا لِحْنُ عُجَابِ

\*\*\*

### زَمَزَمَةٌ<sup>(٢)</sup> النُّجُوم

عَقْلُكَ الْحَاصِلَ كَانَ لِلْحَيَاةِ  
فَتَعَالَ ، أَنْتِ يَا هَذَا التُّرَابِ  
وَعَلَيْكَ الْمَشْتَرِي وَالزُّهْرَةُ الْحَسِ  
رَغْبَةٌ فِي نَظْرَةٍ مِنْكَ أُنَارَتْ  
وَطَرِيقٌ لِلْحَبِيبِ ، كَمْ جَدِيدِ  
إِنَّمَا هَذَا الْحَنِينُ لِلْوَحِيدِ  
الْحَيَاةُ إِنَّهَا هَذَا الصَّفَاءِ  
لَكَ عَشَقٌ هُوَ سِرُّ الْكَائِنَاتِ  
مَرْحَباً وَلْتَمَضِ فِي دُنْيَا الْجِهَاتِ  
نَاءٌ كَانَا فِي شَدِيدِ مَنْ نِزَاعِ  
مَا أَثَارَتْ مِنْ تَجَلِّيِ الْمَعْجَزَاتِ<sup>(٣)</sup>  
وَجَدِيدِ فِيهِ يَبْدُو لِلتَّجَلِّيِ  
فِي قُلُوبِ الْعَاشِقِينَ الشَّقِيَّاتِ<sup>(٤)</sup>  
الْحَيَاةُ إِنَّهَا هَذَا النَّمَاءِ

(١) الريح : الرائحة . وقضى : مات .

(٢) الزمزمة : الترتيم ، أو التكلّم بصوتٍ خفي . وقد آثرنا أن نترجم هذه المنظومة على نسقها في أصلها .

(٣) الزهرة : كوكبٌ معروفٌ وقد سكنت الهاء فيها لضرورة الشعر . يقول الشاعر : إن رغبة المشتري والزهرة في نظرة منك إليهما وهما المتناسان عليك ، مما أثار هذا التجلي .

(٤) الشيق : المشتاق .

الحياءُ مُلكِ ربي ، باعدِ الـ  
 غزلُ إن شاقَ منك النفسِ يو  
 شحنةُ السلطانِ يبدو ثمَّ خـ  
 في العراقِ والشَّامِ بلْ وهذ  
 هؤلاءِ يطلبونَ الحُلُودَ دُو  
 كي يمورَ البحرِ بالأمواجِ مؤ  
 متعةٌ للسَّيْلِ يجري بالهـديـ  
 الفقيرُ كانَ ناراً كلُّ مُد  
 الملوكِ حَسْبُهُمْ في بطشهم  
 إنَّ للصُّوفيِّ عزّاً ياله  
 إنَّ للصُّوفيِّ جذباً من كليـ  
 يُقتلُ الصُّوفيُّ بالعينين لـ  
 ذاكِ يبغِي السَّلمَ والصُّلحَ وهم  
 ذا وذاكِ يالعمري يفتحـا  
 ولهذا كانَ قولُ لِيْن

خطو سريعاً وتَسِرُ حتَّى الفناء<sup>(١)</sup>  
 ما فله رَجَعَ الصَّيَاحُ ، اَمْتَحَنُ  
 حَميراً بحانٍ ، جِرَّةَ الرِّاحِ اَمْتَحَنُ<sup>(٢)</sup>  
 مد ثم فرس ، يَألفون الطَّعمَ حلوا  
 ما ، طعم هذا العِشْقِ مرّاً ، اَمْتَحَنُ  
 رآ وهو طامٍ في عُرَامٍ واحتدام<sup>(٣)</sup>  
 ر من حُدُورِ السَّهْلِ نَهراً ، اَمْتَحَنُ<sup>(٤)</sup>  
 لك ليس إلا من عُثاء ، فاعلَمُنْ  
 من مُعَدَمِ رَفَعِ النَّداءِ ، فاعلَمُنْ<sup>(٥)</sup>  
 عزّاً ، وهذا المُلكُ للإسكندرِ  
 م الله ، لكنَّ ذاكِ سِخْرُ السَّامري  
 كَنَّ الملوكِ بالجيوشِ قَتَلُهُمْ  
 ييغون بالهيجاءِ حُكْمَ الجائرِ<sup>(٦)</sup>  
 ن عالَمَيْنِ ، والدُّوامِ بُغِيَّةُ  
 لكنْ لَذاكَ كانَ عَنفُ القاهرِ<sup>(٧)</sup>

- (١) النماء : التَّموُّ . ولتسر حتى الفناء : أي إلى الأبد .  
 (٢) الشَّحنة : من يقوم للسلطان بضبط اليد . والخمير : من يُدمن شرب الخمر . والرَّاح :  
 الخمر .  
 (٣) يمور : يضطرب . الطامي : الممتلىء الجائش . العارم : العنف والشدَّة . والاحتدام  
 بهذا المعنى .  
 (٤) الهدير : صوت أمواج البحر . والحُدُور : المكان ينحدر منه .  
 (٥) العثاء : ما يحمله السيل من القش واليابس من أوراق الشجر . يقول : إنَّ للفقير ناراً  
 تحرق الملك قشاً وصوت الفقراء إذا ارتفع بالشكوى قَوْضُ ملك الملوك .  
 (٦) الهيجاء : الحرب .  
 (٧) أي أنَّ الصوفي والملك كل منهما له عالم يفتحه ، وإن اختلف هذان العالمان ، وكيفية =

فتعالَ وتقدّم ، قبضة الصُّوفي قدّم ، سدّ ذي القرنين حطّم  
أحي ما كان لموسى من رسو م ، ليس هذا السُّحرُ غيرَ المين ، حطّم<sup>(١)</sup>

\*\*\*

---

= فتحهما ، كما تختلف رغبة الصوفي عن رغبة الملك في الدوام .  
(١) المين : الكذب . والكلام في الشطر الأول من هذا البيت منصرف إلى ذي القرنين  
الذي قيل عنه إنه الإسكندر الذي ملك الدنيا ، كما قيل : إنّه كان نبياً . وسمي ذا  
القرنين لأنه طاف قرني الدنيا ، يعني شرقها وغربها . وقيل كان له قرنان أي صغيرتان ،  
أو انقرض في وقته قرنان من الناس ، كما ذهب بعضهم إلى أنه سمّي ذا القرنين لقرنين  
على تاجه ، وهو من الروم ، وإقبال يلمح إلى ما جاء في القرآن عنه ، وهو قوله عز من  
قائل : ﴿ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ مِمَّا فِي آيَاتِنَا وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْحَانِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ عِندَنَا قَالِينَ ﴾  
سَدًّا ﴿ [ الكهف : ٩٤ ] .

القسم الأول

فَلَا تُقَمِّر



## فلک القمر

إِنَّمَا الْأَرْضُ لِرَبِّي وَالسَّمَاءُ  
 كَلٌّ مَا لِلنَّاطِرِينَ قَدْ بَدَا  
 لَا تَسِرْ مِثْلَ الْغَرِيبِ فِي دِيَارِكَ  
 إِنَّ مِنْكَ الْقَوْلَ كَلٌّ يَمْتَثِلُ  
 عَالِمٌ لِلْعَيْنِ وَالْأَذِنِ الصَّنَمِ  
 أَشْبِهَ الْمَجْنُونَ فِي وَادِي الطَّلَبِ  
 إِنَّ طَوَيْتَ الْأَرْضَ طَيًّا وَالسَّمَاءَ  
 غَيْرَهَا سَبْعًا مِنْ اللَّهِ أَطْلُبَنَّ  
 خَارِجَ الذَّاتِ بِشَطِّ الْكُوْثَرِ  
 لَوْ بَكَفُ الذَّاتِ عَنْ بَحْثِ أَمَانِ  
 الثَّرِيًّا مَا وَرَثْنَا وَالضَّيَاءَ  
 بَعِيونَ لَصَفِيٍّ فَاقْصِدَا  
 لَا تَخَفْ مِنْ غُرْبَةٍ مَرَّتْ بِبَالِكَ  
 وَبِأَمْرِ أَوْ بِنَهْيٍ قَدْ عَمِلَ  
 وَالرَّدى مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا اخْتَرَمَ<sup>(١)</sup>  
 كُنْ كإِبْرَاهِيمَ فِي قَوْمِ وَكَبْ<sup>(٢)</sup>  
 عَالِمِكَ اطْوِ عَلَى حَدِّ سَوَاءِ  
 كَمْ زَمَانٍ وَمَكَانٍ تَسْأَلَنَّ<sup>(٣)</sup>  
 لَا تَرَى خَيْرًا وَشَرًّا يَنْبَرِي<sup>(٤)</sup>  
 كَانَ هَذَا الْقَبْرُ خَيْرًا مِنْ جِنَانِ  
 وَتَمَوْتُ الرُّوحُ مِنْ طُولِ الْمَقَامِ  
 أَيُّهَا الرَّاحِلُ ، فَاْمُضِ لِلْأَمَامِ  
 وَمَعَ النَّجْمِ تَطْيِبُ سَفَرْتِكَ  
 حِينَ كَانَتْ فِي الْفَضَاءِ وَطَاتِي  
 حَبَّذَا مِنْ غَيْرِ وَقِفْ رِحْلَتِكَ  
 مَا عَلَا أَلْقَيْتُ تَحْتَ نَظْرَتِي

(١) اخترمه الموت : أخذه .

(٢) المجنون هنا هو قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى . وقد وله العشق حتى اختلط عقله ، وهام على وجهه في القفار . وشعراء التصوف يرمزون به إلى العاشق الإلهي . ووكب بمعنى قام . والإشارة إلى إبراهيم عليه السلام الذي قام في قومه وحطّم أصنامهم .

(٣) يريد سبع سموات يطلبها وما لا يحصى كثرة من الأزمنة والأمكنة .

(٤) انبرى : تعرض .

هذه الغبراء قنديل الليلي  
واقتربت في صعودي واقتربت  
قولة « الرومي » : بدذ كل شك  
ينعد البذر ولكن تألفه  
وعلى رأسي ظلّي قد بدالي  
وعلى البذر جبّالاً قد رأيت  
وترسّم ما تراه للفلك<sup>(١)</sup>  
منزلاً في نهجنا ذا نعرفه<sup>(٢)</sup>

ليله والضبخ فيه ما يرى  
فيه غيران لإعجاب الوري<sup>(٣)</sup>

يا لصمتٍ ولرعبٍ في الجبل  
فتأمل « خافطين » و« يلدرم »  
ما زكا عشبٌ يتلك الأرضِ قط  
الجهام ، والرياح العاصفات  
عالمٌ ما فيه من لوين وصوت  
ليس في بطنٍ له أصلُ الحياة  
وسليلٌ لذكاءِ ذا الوجود  
قولة : « الرومي » : تابعِ خطوتك  
ما اختفى يفضّل فيه ما ظهر  
يا ذكيّ اللبِّ كلُّ ما حصل  
تظهر الدنيا لعينٍ باصرة  
ظهره الأخدودُ والجوفُ اشتعل  
والدخان فوق نارٍ تضطرم<sup>(٤)</sup>  
لا ولا طيرٌ جناحاً قد بسط  
ناشبت حرباً لها تلك الموات<sup>(٥)</sup>  
لا حياة فيه أو آثار موات  
لا ولا في الصلب سائر الحادثات  
لانقلابٍ قطُّ ما كان الولود<sup>(٦)</sup>  
وعلى ما نلت شدّد قبضتك  
ولدينا فيه كان المستقر  
فسمعيك احتجنه والمقل<sup>(٧)</sup>  
إنها الميزانُ وهي الناظرة

(١) الرومي : جلال الدين الرومي . وترسّم الدار : نظر إلى آثارها وتأملها .

(٢) المنزل : مكان النزول . والنهج : الطريق .

(٣) الغيران : جمع غار وهو الكهف . والوري : الناس .

(٤) خافطين ويلدرم : اسم جبلين يتخيلهما الشاعر في القمر .

(٥) الجهام : السحاب لا مطر فيه . والموات : الأرض الخربة .

(٦) ذكاء : الشمس . والسليل : الابن . والولود : الوالدة .

(٧) اللب : العقل . السمع : الأذن . احتجن الشيء : جذبته إليه .

أينما يَحْمَلُكَ مولانا انْطَلِقْ لا تفكّر في سواه واصْطَفِقْ<sup>(١)</sup> ،  
ثم شُدَّ الكَفَّ مني في مَهْلٍ  
والى غارٍ حثيثاً قد وَصَلَ

\*\*\*

## الحكيم الهنديّ الذي آثر الخلوة في غارٍ من غيرانِ القمر

ويسميه أهل الهند « صديق الناس كافة »

كضربِ قاذبي هذا الرّفيق	ودخلتُ ذلك الكهفَ العميق
من ظلام فيه ذا بدرٍ ملول	تحملُ المصباحَ شمسٌ للدُّخول !
وعذابي طال في وهمي وظنّي	وكانَ العقْلُ منّي ماتَ عنّي
ومضيتُ واللُّصوصُ في الكمين	ما بقلبي الصّدقُ أو بزُدُ اليقين
جلوةٌ لاحت لعيني في جلاء	ظَهَرَ الصُّبْحُ ولم تَبْرُغْ ذُكَاء <sup>(٢)</sup>
هذه الأحجارُ عبَادَ الصنم	أرضُ جنّ نخلها مثلُ الأكم <sup>(٣)</sup>
كانَ من ماءٍ وطينٍ ذا المَقام	أو خيالي يتهادى في المنام <sup>(٤)</sup>
النَّسيمُ مثلُ خميرٍ تُسكِرُ	والظلالُ ومضَ نورٌ تُظهِرُ
ما رأيتُ قُبَّةً من لا زَوَدِ	لا ولا في الأفقِ من ألوانٍ وردٍ <sup>(٥)</sup>
ما أقامَ النور في أسرِ الظلام	وامحى صُبْحٌ وليلٌ من قَتام <sup>(٦)</sup>

(١) مولانا هو جلال الدين الرومي . اصطفق : تحرك ، واضطرب .

(٢) بزغت الشمس : أشرقت . وذُكَاء : الشمس .

(٣) الأكم : جمع أكمة : وهي الهضبة .

(٤) يتهادى : يتمايل في مشيته .

(٥) اللأزود : حجر تشبه زرقته زرقه السماء .

(٦) القَتام : السواد والظلام .



وحكيمُ الهِنْدِ في ظلِّ جلس  
جِسْمَهُ الوهْنانَ عَرَى كَلِّه  
وعلى الإنسانِ من طينٍ مفضَّل  
لا يَعُدُّ الوَقْتَ أيا ماً تمرُّ  
قال للروميِّ من هذا الرَّفيقِ ؟  
عينُه في الكُحْلِ نورٌ لِلْغَلَسِ (١)  
حيَةً بيضاءُ تسعى حَوْلَهُ  
صورةٌ تلك الدُّنْيَى ممَّا تَخَيَّلُ (٢)  
والزَّمانُ لا يفيِدُ أو يَضُرُّ  
مِنَةُ الدُّنْيَا بعينيه البَريقُ !

\*\*\*

### الرُّومِيُّ (٣)

إنَّه الجَوَّالُ في وادي الطَّلَبِ  
غِرَّةٌ منها له رأيٌ سديد  
كأسُه قد أصبحت قوسَ السَّماءِ  
كالعقابِ صَيْدُهُ لِلنِّيَّرِ نِ  
كَلَّمَ الأَرْضَ كَمَنْ نَشَى بَدَنَ  
لدخانٍ مِنْهُ نارٌ في صعود  
ناحَ كالنَّايِ لِقَرُطِ الاشتياقِ  
لست أدري السَّرَّ في صَلْصالِهِ  
والمَقَامَ ، والذي في منزله  
يُشْبِهُ السَّيَّارَ في السَّيْرِ اضطرب  
وعلى عيبٍ له إنِّي شهيد (٤)  
فِكْرُهُ يبغي إلى الوحي انتماء  
في السَّماءِ طوفه بالخافقين (٥)  
والجنانُ عِنْدَهُ بيثُ الوثنِ (٦)  
ورأيتُ الكبرياءَ في سجدود  
وقتيلٌ في الوِصَالِ والفِراقِ

\*\*\*

(١) الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٢) الدُّنْيَى : جمع دنيا .

(٣) هو جلال الدين الرومي أكبر وأشهر شعراء التصوف عند الفرس . وقد سبقت ترجمته في الديوان الثاني ( القسم الأول ) .

(٤) الغِرَّةُ : الغفلة وعدم التجربة .

(٥) النِّيَّرانُ : الشمسُ ، والقمر . والخافقان : المشرق والمغرب .

(٦) نَشَى : سكر . والدَّنُ : جرَّة الخمر . والفرس يشبهون الحسناء بالوثن أي الصنم في الحسن .

## جهان دوست

ما لِرَبِّ الكونِ لونٌ ، وهوَ لون  
أيُّ ربِّ أيُّ إنسانٍ وكونٌ ؟

### الروميُّ

إنَّما الإنسانُ سَيْفٌ لِإِلهِ      ذلكَ الكونُ مسنٌّ قد تراه  
شاهدَ الشَّرْقِ الإِلهِ وَخَدَهُ      وأشاحَ الغَرْبُ عَنْهُ خَدَهُ<sup>(١)</sup>  
أن تَرى اللهَ بعينيك التُّقاة      أن تَرى الذَّاتَ ولا سِتَرَ الحِياة<sup>(٢)</sup>  
وإن العبدُ من الدُّنيا انتعق      رحمةَ الرَّحمنِ بالعبدِ اسْتَحَقَّ  
إن غَفَلتَ ذاتَ يومٍ عن قَدَر      فارق الصَّلْصَالَ رُوحٌ ذو شَرَر

## جهان دوست

في طَلَسِمِ اللُّجُودِ والعَدَمِ      ذلكَ الشَّرْقُ بسرٍّ ما أَلَم  
ما لنا أهلَ السَّمَا إلا النُّظُر      في غدٍ للشَّرْقِ تحقِيقُ الوَطَر  
شاهدتُ عيني على رأسِ الجبلِ      مَلَكاً من قُبَّةِ الزَّرْقَا نَزَل  
كانَ من عينيهِ ذوقٌ للنُّظُر      وهوَ بالعينينِ دنيانا عَمَر  
قلتُ سرّاً عن صفِي لا تكن      أرضنا كيف تراها اذْكَرَن  
حُسنُ نجمٍ لاحَ في أفقِ عَشِقتنا      في قَليبِ السَّحَرِ قلباً قَدْ رَميتنا<sup>(٣)</sup>

(١) أشاح عنه وجهه : أعرض متكرهاً .

(٢) التقاة : التقوى .

(٣) القليب : البئر . والإشارة إلى البئر التي نكس فيها هاروت وماروت . وهما شيطانان

كانا يُعلِّمان الناس السحر في بابل . ويقال : إنَّهما ملكان عشقا النساء وعلقا منكسين

في بئر . كما قيل : إنَّهما مثالٌ لرجلٍ اتقى ربَّه ، واقترب منه ، ثم أضلَّهُ الشيطان .

قال يَبْدُو الآنَ هذا المَشْرِقُ      شَمْسُهُ الأخرى عليه تُشْرِقُ  
يَظْهَرُ الياقوتُ من صَخِرِ الطَّرِيقِ      يوسفُ يخرُجُ من جُبِّ عميقٍ<sup>(١)</sup>  
ويولِّي عن ديارٍ من كَفَزٍ      ليرى عن ذلك الكُفْرِ المَفَزِ<sup>(٢)</sup>  
حَبَّذا شَعْبٌ بِروحٍ قد خَفَقَ      ذأته من طينه هذا خُلِقَ  
حاملُ العَرَشِ بأعيادٍ فَرِخِ<sup>(٣)</sup>

إن رأى للشَّعْبِ عينا تَنْفَتَحُ

غاصَ شيخُ الهندِ في صمتٍ قليلاً      فرآني تَهْتُ في فهمي مَلولاً  
قال : موتُ العقلِ ؟ قلتُ : تركُ فِكْرِ      قال : موت القلب ؟ قلتُ : تركُ ذِكْرِ  
قال : جسم ؟ قلتُ : تُزبُّ قد تراه      قال : روح ؟ قلتُ : رمزٌ لَلإله  
قال : والإنسانُ ؟ أبدي سِرّه      قلتُ : كونٌ ؟ قال : وَجَّةٌ شَطْرَه<sup>(٤)</sup>  
قال : علم ؟ قلتُ : قشْرٌ لا يَطيب      والدَّليلُ ؟ قلتُ : وجهٌ للحبيب  
قال : ما دينُ العوامِ ؟ : ما سمعنا      قال : دينُ العارفينِ ؟ : ما رأينا

طابَ نفساً قرَّ عيناً من مقالي

صفوةٌ من حكمةِ ألقى بيالي<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

(١) الجبُّ : البئر العميقة . والإشارة إلى قصة يوسف عليه السلام مع إخوته الذين غاظهم أن يؤثره أبوه عليهم ، فذهبوا به وجعلوه في الجب ، ثم تركوه وجاؤوا أباهم ليكون مدّعين أنّ الذئب أكله . وجاءت قافلةٌ ، فلما أدلوا الدلو في الجبّ تعلّق بها يوسف ، وأنجاه الله من الهلكة .

(٢) في الأصل إشارة إلى إبراهيم عليه السلام وما جاء عنه في سورة الأنعام وهو ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ إِذْ رَأَى أَنَّهُ أَخَذَ أُصْنَامًا مِمَّا لِلَّهِ إِنَّكَ وَوَالِدُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [ الأنعام : ٧٤ ] .

(٣) حامل العرش : أحد الملائكة الذين يحملون العرش .

(٤) الشطر : الجهة والناحية . وشطره منصوب على الظرفية .

(٥) صفوة الشيء : خلاصته وخياره . والبال : القلب .

## تسعُ كلماتٍ للعارفِ الهنديِّ

ليس يُخْفِي عالمٌ ذاتَ الإله  
غائصاً ما رَدَّ رَسْمٌ فِي المِياه

\*\*\*

أنتَ إنْ فِي غيرِ ذِي الدُّنيا وُلِدْتُ  
بشبابٍ غيرِ هَذَا قد نَعِمْتُ

\*\*\*

بعد موت ربِّنا ، وهو الحياة  
لا يُحسُّ العَبْدُ شيئاً بالوفاء  
نحنُ طيْرٌ بجناحٍ لا تَطِيرُ  
علمُنا بالموتِ مقطوعُ النَّظيرِ

\*\*\*

إنَّما الوقتُ سَمَامٌ فِي الشَّهادِ<sup>(١)</sup>  
رحمةٌ فِي قَهْرٍ قَهَّارِ العِبادِ  
ويلوِّحُ قَهْرُهُ فِي كلِّ صوبِ  
رحمةٌ فِيهِ مَضَّتْ مِنْ غيرِ أوبِ

\*\*\*

إنَّما الموتُ كفوْرٌ يا حَكِيمِ

---

(١) السَّمَامُ والشَّهادُ : جمعُ سَمٍّ وشَهْدٍ .

أَنْتَ إِنْ جَاهَدْتَ أَمْوَاتاً مُلِيمًا (١)  
وَمَعَ النَّفْسِ التَّقَى فِي قِتَالِ  
يَا لَهُ اللَّيْثُ الْهَضُورُ وَالْغَزَالُ (٢)

\*\*\*

كَافِرٌ صَاحِي الْفَوَادِ ذُو صَنَمٍ  
يَفْضُلُ الْمُؤْمِنَ نَامًا فِي الْحَرَمِ

\*\*\*

عَمِيَتْ عَيْنٌ رَأَتْ غَيْرَ السَّادِ  
لَا تَرَى الشَّمْسَ اللَّيَالِي فِي سَوَادِ  
صَحْبَةً لِلْحَبِّ وَالطَّيْنِ النَّمَاءِ  
صَحْبَةً الْإِنْسَانَ وَالطَّيْنِ الشَّقَاءِ  
يَرْضَى الْحَبُّ مِنَ الطَّيْنِ الْعَذَابِ  
لِيَرَى الثُّورَ كَتَبِرٍ فِي أَنْسَابِ  
قَدْ سَأَلْتُ الْوَرْدَ ذَا الصَّدْرِ الْجَرِيحِ  
أَيُّ حَسَنِ لَكَ مِنْ طِينٍ وَرِيحٍ؟  
فَأَجَابَ : يَا حَكِيمًا مَا شَعَزَ  
بُخْمُودِ الْبَزْقِ هَلْ يَأْتِي الْخَبَزُ !  
رُوحْنَا فِي الْجِسْمِ جَذْبٌ وَأَنْجَذَابِ  
مَنْكَ مَا يَخْفَى لَدَيْنَا كَالسَّرَابِ (٣)

(١) جاهد العدو : قاتله . والمليم : المعلوم .

(٢) الهصور : الذي يهصر فريسته .

(٣) يقول : إنَّ الروح في جسمنا مما يقع بين الروح والجسم من تجاذب . وجذبك خفي  
أما جذبنا فظاهر .

## تَجَلِّي سُروش (١)

أوصد العارفُ باباً للكلام  
 إنَّه بالشَّوقِ والدَّوقِ انجذب  
 بالحضورِ مِنْهُ ذراتٌ كطور  
 في أساطير الليالي غائبة  
 شعرها المِغَطَّارُ حتَّى خَضِرَها  
 وهي في سُكْرِ التَّجَلِّي أغرقت  
 ولديها دارُ مصباحِ الخيال  
 فيه تبدو كلُّ ألوانِ الشُّكُول  
 قلتُ للزُّومِيِّ بالسِّرِّ العليم  
 قال : « ذا الجسمُ لُجَيْنٌ يَلْمَعُ  
 ثُمَّ حَنَّ الشَّوقُ فِيهِ لِلظُّهورِ  
 ومن الغُربةِ كان ذا نَصِيبِ

أُنكِرْتَه الذَّاتُ لا تِلْكَ المُدام  
 في وجودٍ من شهودٍ قد وَقَبٌ (٢)  
 أو فلا نورٍ ولا حتَّى ظُهُور (٣)  
 كوكبٌ مِنْهُ الظَّلَامُ حَالِيَةٌ (٤)  
 والشُّهوبُ نورُها مِنْ نُورِها (٥)  
 وتَغَنَّتْ ما بكأسِ أُنكِرْتِ  
 فلِكا كَمْ دَارَ في الدَّهرِ الطُّوال (٦)  
 نَمِرٌ يَفْرِسُ أو صقْرٌ يَجُول (٧)  
 اكشفِ الأسرارِ ، لي فهمٌ سقيم  
 وهو في فكرِ الإلهِ يَنْبُعُ «  
 فأتى الدُّنيا خَلَّتْ مِنْ كلِّ نُورِ  
 كلُّنا يا صاحِ في الدُّنيا غَرِيبٌ (٨)

(١) سروش : اسمُ ملك في الديانة الزرادشتية ، واسمه مشتق من : سراوشا ، بمعنى

السماع في الفارسية القديمة ، وهو رمزٌ للطاعة ، ومرشدُ الأرواح في الآخرة .

(٢) وقب : دخل .

(٣) الطور : الجبل .

(٤) الغائبة : المرأة التي يغنيها حسنُها عن أن تتحلَّى . والحالية : هي التي تلبس الحلِّي .

(٥) المعطار : من تعود أن يتعهَّد نفسه بالعطر . والشُّهوب : جمع سَهْب ، وهو السَّهْلُ المنبسط .

(٦) مصباح الخيال : مصباحٌ ما يعرف بخيال الظلِّ ، وهو مصباح يُدار حوله ستار فيه نقوشٌ وصور . والطوال : الطويل .

(٧) الشُّكُول : جمع شكل . وفرس النمر : افترس .

(٨) يا صاحِ : بمعنى يا صاحبي .

عرفوه بِسُروش ، كالملائك      أبعَدَ الحسَنَ وقد أدنى كذلك  
 فتحَ البُرْعومِ منَّا بالنَّدى      وبأنفاسِ رماداً أوقداً<sup>(١)</sup>  
 منه ألحانٌ لأوتارِ القريض      وشقوقُ الشُّرْبِ بالبيتِ الأريض<sup>(٢)</sup>  
 ثمَّ غَنَّى فَشَهِدْتُ عالِماً  
 اسْمَعُ الألحانَ جمرأَ مُضْرَماً

\*\*\*

### لحنُ سُروش

أخشى عليك ركوبَ بحرٍ من سَرابٍ  
 وكما وُلِدَتِ العُمرَ تطوي في الحجاب<sup>(٣)</sup>  
 لِلْفَخْرِ كحلٌّ عن جفوني أغسلُه  
 فأرى مصيرَ الشَّعبِ في هذا الكتاب<sup>(٤)</sup>  
 في كلِّ صَوْبٍ انطواءً لآخِ لي  
 لِلْبُرْقِ كَانَ الموتُ في جوفِ السَّحابِ  
 في الغَرْبِ كُنْتُ وَقَلَّمَا عيني رأيتُ  
 من كَانَ ذا لحنٍ تجافى عن جِسَابِ  
 دُنْيَاكَ فامِلِكْ إن أَرَدتَ القُرْبَ لك  
 الروضَ خُذْ يا عطره في الماءِ ذاب<sup>(٥)</sup>

(١) البرعوم : الزهرة قبل أن تتفتح .

(٢) الستر هنا كسوة الكعبة . والأريض : المعجب للعين .

(٣) يريد ذلك الغشاء الذي يكون على الوليد حين يولد ويعدهء بجاباً كذلك الحجاب الذي يحجب المعرفة .

(٤) الفخر هو الرازي صاحب تفسير القرآن .

(٥) في هذا تلميح إلى شطر من بيت من مآثورات الصوفية وترجمته ( إنه في وأنا فيه كالعطر =

مَا أَنْتَ إِلَّا لِلْفَنَاءِ يَا زَاهِداً  
 أَنْسَيْتَ طُوفَاناً تَوَارَى فِي الْحَبَابِ<sup>(١)</sup>  
 اللَّحْنَ تَسْمَعُ مَا تَرَى مِنْ مُطْرِبِ  
 حُورِيَّةٍ قَدْ غُرِبَتْ تُبْكِي الرَّبَابَ

\*\*\*

## الرحيل إلى وادي يرغميد المسمّى عند الملائكة وادي الطواسين<sup>(٢)</sup>

قَوْلُهُ لِلطَّامِثِينَ السَّلْسِيلِ قَوْلُ « اللَّهُ هُوَ » حَبَاهَا حَرًّا جَمْرًا <sup>(٣)</sup> كَانَ لِأَفْلَاكِ مِنْهَا نَفْضَةٌ وَبِهَا الْمُلْكُ الْفَقِيرُ وَاجِدٌ ثُمَّ يَصْحُو الْقَلْبُ كَالرُّوحِ الْأَمِينِ <sup>(٤)</sup> سَارِقُ الْقَلْبِ وَإِبْلِيسَ النَّظَرِ رُوحُهُ مِنْ سِخْرِ قَوْلِ جَرَّدهِ وَضُرُوبَ الْكُفْرِ حَتَّى الْأَتْقِيَاءِ <sup>(٥)</sup>	إِنَّمَا الرُّومِيُّ لِلْعِشْقِ الدَّلِيلِ قَالَ : « إِنَّ النَّارَ إِنْ كَانَتْ بِشَعْرِ نَعْمَةٍ مِنْهَا الْهَشِيمُ رَوْضَةٌ وَعَلَى الْحَقِّ الْعَلِيِّ شَاهِدٌ وَبِهَا دَفَقُ الدِّمَاءِ فِي الْوَتِينِ نَازِمُ الْأَشْعَارِ بِالسَّخْرِ اشْتَهَزَ شَاعِرُ الْهِنْدِ الْإِلَهَ أَيْدَهُ عَلَّمُوا الشُّغْرَ أَفَانِينَ الْغِنَاءِ
--	--

= في ماء الورد .

(١) الحَبَابُ : الفقايع التي تعلق الماء والشراب .

(٢) الطواسين : جمع ط . س ، وهما حرفان في أوائل سورِ قرآنية ، وهي : النمل ،  
 والشعراء ، والقصاص . وللحلاج كتاب الطواسين . وقد جعل إقبال هذا الاسم اسماً  
 للمكان الذي تتجلّى فيه صفات الأنبياء .

(٣) حباه : حبا فلاناً كذا وبكذا : أعطاه .

(٤) الوتين : عرق في القلب . والروح الأمين : جبريل .

(٥) الأفانين : الأساليب والأجناس . والضروب : الأنواع والأشكال .



لفظهم ما فيه شيء من ألم إن خيراً من لحون أفسدت  
يبحث الشاعر طوعاً بالسليقة ليس إلا القلب في صدر الشعوب  
نقش السكر وناز عالما ما تراهم في حياة بل عدم  
قولة كانت برؤيا أضغثت<sup>(١)</sup> يجعل الآمال في النفس الحقيقه  
إنها لولاه كالوادي الحطيب<sup>(٢)</sup> بهما لم يك شغراً ماتما !

في الأنام يُخَلَقُ الرُّوحُ السَّوِيًّا

ورث الشاعر من ثمَّ النَّبِيَّا «

قلت : هاتِ القولَ في تلكِ النَّبُوَّةِ قلنا لا تطو عن مثلي بقوَّة  
والعصورُ كلُّها ميزاتها أصلنا في العنقِ منَّا طهَّرت  
كُنَّا في حقلنا زرعٌ لها أصلنا في العنقِ منَّا طهَّرت  
بجناحِ الرُّوحِ فكراً علقت<sup>(٣)</sup> إنها صوتٌ دويٌّ في الكائنات  
تقرأ النُّورَ وتتلو النَّازعات<sup>(٤)</sup> ما لشمسٍ أطلعتها من زوال  
منكروها قد تجافوا عن كمال<sup>(٥)</sup> رحمة الله نراها قولاً  
غضبُ الله نراها صولة إنَّ عقلَ الكلِّ حتَّى إنَّ ملكُته  
فبها شيئاً رأيتُ ما رأيتُه يرغميدُ امضٍ وأسرعُ في السرى  
لترى ما ليسَ بدُّ أن ترى

في جدارٍ من صخورٍ بالقمر

للطَّواسينِ أطلَّ منك النَّظرُ «

يعرفُ الشُّوقُ الطَّريقَ لا الدَّلِيلَ وَيَطِينُ بِجَنَاحِ جِبْرِيلَ

(١) أضغث الرؤيا : أتى بها ملتبسة .

(٢) الحطيب : الكثير الحطب .

(٣) الرُّوحُ : جبريل .

(٤) في الأصل : أن سورة النَّجم ، والنُّور ، والنَّازعات من شفة النبوة .

(٥) تجافى عن الشيء : مال عنه .

(٦) يرغميد : اسم جبل في القمر .

البعيدُ عندهُ كالخطوتين      في المقامِ يشتكي من فزطِ أين<sup>(١)</sup>  
 مثلُ نشوانٍ قصَدْتُ ذا الجبل      ورأيتُ ما رأيتُ من قُلل<sup>(٢)</sup>  
 أيُّ قولٍ لي؟ وما وُضفي له؟      هذه الأنجمُ طافت حوله  
 عندَ أهلِ الفرشِ ضاءً في الضمير      عند أهل العرشِ في الجفنِ البصير  
 عيننا والقلبُ ربُّ قذحِنا      لاكتِنَاهِ السَّرِّ في الدُّنيا هَدَانَا  
 سرَّ ديانا سَأبدي مَن سُدل<sup>(٣)</sup>  
 وحديثي عن طواسينِ الرُّسُلِ

\*\*\*

## طاسين جوتاما بودا<sup>(٤)</sup> توبةُ الراقصةِ اللَّعوبِ

### جوتاما

الشَّمُولُ والحبيبُ ، ليس شيئاً<sup>(٥)</sup>  
 بل وحووِّ في الجنانِ ، ليس شيئاً  
 كلُّ ما أنت تراه سوفَ يَفْنَى

(١) فرط الأين : شدة التعب .

(٢) القلل : جمع قلة ، وهي القمة .

(٣) السُّدُلُ : السُّرُ .

(٤) التزمنا في هذه المنظومة ما يعرف في الشعر الفارسي بالرديف ، وهو كلمة أو عبارة ترد في نهاية كل البيت على أن تسبقها قافية موحدة ، وجعلنا القافية في الترجمة نفس القافية في الأصل ( المترجم ) .

(٥) الشَّمُول : الخمر .

الفلا والشاطِئانِ ، ليس شيئاً<sup>(١)</sup>  
 علّمَ غربٌ حكمةً للمشرقِ  
 مَعْبُدٌ والطائفانِ ، ليس شيئاً<sup>(٢)</sup>  
 ذاتَكَ اذْكُرْ وامضِ واغْبُرْ  
 أنتَ هذا ، العالمانِ ، ليس شيئاً  
 هُذِبَ عيني لي طريقاً شَقَّها  
 كلُّ ما فيها عراني ، ليس شيئاً  
 دَعَاكَ مَنْ غيِبَ فما وهمٌ بشيءٍ  
 لا تكونُ أو تكونُ ، ذاكَ شيءٌ<sup>(٣)</sup>  
 لا تكونُ جنَّةً كالجنَّةِ  
 لوى أهلِ الجنانِ ، ذاكَ شيءٌ<sup>(٤)</sup>  
 راحةَ الرُّوحِ طلبتَ ، ما تساوي !  
 في حبيبِ دمعتانِ ، ذاكَ شيءٍ  
 نظرةٌ والعيْنُ سَكْرَى والتَّغْنِي  
 يا لهذا من حُسانِ ، منه شيءٌ<sup>(٥)</sup>  
 كان خيراً في المعاني ، ذاكَ شيءٍ

\*\*\*

- 
- (١) الفلا : جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة .  
 (٢) ذكرنا الطائف بالمعبد في المثنى مع إرادة الجمع ( المترجم ) .  
 (٣) كان هنا تامة .  
 (٤) يريد الشاعر ليقول : إِنَّ الجنة لا تكون إلا ماوى للمتقين جزاء لهم على عمل الصالحات .  
 (٥) الحُسان : الحسن .

## الرَّاقِصَة

لا تَزِدْ أَحْزَانَ قَلْبِي مَا لِقَلْبِي مِنْ قَرَارٍ  
زِدْ جَمَالَ الشُّعْرِ ثَنِيًّا ، يَا لَهُ لَيْلُ السَّرَارِ (١)  
فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ مِنِّي ، مِنْكَ أَنْوَارُ التَّجَلِّي  
فَأَذَقْتَ الشَّمْسَ وَالْبَدْرَ مَرِيرَ الْإِنْتِظَارِ  
إِنَّ ذَوَاقَ الْحُضُورِ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ عِشْقًا  
يَخْدَعُ الْعِشْقُ فَوَادًا مِنْ مَنَاهُ فِي الْحُمَارِ (٢)  
فِي صَفَاءٍ إِنْ تَرْتَمْتُ بِلَحْنِ لِي جَدِيدِ  
عَادَ طَيْرٌ لِلرِّيَاضِ عَوْدَ مَشْتَاقِ الدِّيَارِ  
طَبِيعِي السَّامِي وَهَبْتَ حُلَّ عَنْ سَاقِي قِيُودِي  
خِرْقَةً هَبْنِي لِتَحْظِي بِقَشِيْبٍ مِنْ إِزَارِ (٣)  
أَيُّ مَعْنَى لِلْكَلامِ ؟ وَالصُّخُورُ تَحْتَ فَاسٍ  
يَحْمَلُ الْعِشْقُ الْجِبَالَ ثُمَّ يَمْضِي فِي انْحِدَارِ (٤)

\*\*\*

طاسين زرادشت (٥)

أهرمن يخبتر زرادشت

ما خلقتُ منك ناياتِ البُكاءِ وربيعي مثلُ شَهْرِ فِي الشِّتَاءِ (٦)

(١) الثني : كلُّ شيءٍ بعضه على بعض . وليلةُ السَّرَارِ : آخر ليلة في الشهر .

(٢) الخمار : الصُّدَاعُ مِنْ شِدَّةِ الشُّكْرِ .

(٣) الخرقه : ثوب الزاهد . والقشيبُ : الجديد . والإزارُ : الملحفة وكل ما يستر .

(٤) يمضي في انحدار : أن يمضي في سرعةٍ وخفّةٍ .

(٥) زرادشت : هو نبيُّ الفرس القديم الذي اعتقد وجود إله للخير هو أهورا مزدا وآخر للشر

يسمى أهرمن . وجاء قومه بكتابٍ يسمى : الأبتاق .

(٦) النايات : جمع ناي .

أنا في الدنيا أعاني صَوْلَتِكَ بدمائي قد رَسَمْتَ صُورَتَكَ  
إِنَّ مِنْ سِينَاكَ لِلْحَقِّ الْحَيَاةَ

واليدُ البيضاء لي منها الممات<sup>(١)</sup>

أَخَذْتُ بِالْعَهْدِ مِنْ رَبِّ خَيْلٍ ضَلَّ مِنْ وَفَقَ هَوَى نَفْسِ عَمَلٍ<sup>(٢)</sup>  
وَمِزَاجُ الرِّيحِ فِي الكَاسَاتِ سَمٌّ وَلَهُ المِنْشَاؤُ وَالذُّودُ النُّعَمُ<sup>(٣)</sup>  
إِنَّ نوحاً لم يجذُ غَيْرَ الدُّعَاءِ وَالدُّعَاءُ كَانَ خِلاواً مِنْ غِنَاءِ<sup>(٤)</sup>  
اعتزل في الغارِ وازحلَّ عن ديارِ نحو أهلِ الثُّورِ عَنْ مَخْضِ اختِيارِ  
وبعِينِ اجْعَلِ التُّرْبَ الذَّهَبَ وَبِئْجَوَاكِ السَّمَاءِ مِنْ لَهَبٍ<sup>(٥)</sup>  
كالكَلِيمِ فِي الجِبَالِ كُنْ شَرِيداً وَاخْتَرِقْ مِمَّا رَأَتْ عَيْنٌ بَعِيداً<sup>(٦)</sup>  
وتناسَ شِيمَةً لِلأنبياءِ دَعَاكَ مِنْ فَرْطِ الذِّكَاةِ وَالدَّهَاءِ  
بين من هانوا تهُونُ الفِطْرَةَ وَالرَّمَادِ فِي الرِّيحِ الجِمْرَةَ  
الوَلِيِّ إِنْ شَأَى يَوْماً نَبِيّاً لِلهَوَى كَانَ النَّبِيُّ دَاءً عَصِيّاً<sup>(٧)</sup>

قُمْ وَفِي عُشِّ انْفِرَادِ عُزْلَتِكَ  
وَلْتَدَعِ هَذَا التَّجَلِّيَ خَلْوَتِكَ

\*\*\*

(١) يلمحُ إلى طور سيناء ، وإلى قوله تعالى في سورة طه : ﴿ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ فَخَرَّجَ بَيْضَاءَ يَدَيْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ [ طه : ٢٢ ] .

(٢) الخيل : المخبول الذي اختلط عقله .

(٣) الإشارة إلى تعذيب زكريا بالمنشار ، وأيوب بالدود .

(٤) الغناء : الكفاية .

(٥) التُّرب : التراب ، والنَّجوى : المساءة .

(٦) يريد قوله تعالى في سورة طه : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٠١﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدَلٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [ طه : ٩ و ١٠ ] .

(٧) شأى : سبق وكان أفضل . والدَّاء العصي : هو الذي لا شفاء له .

## زرادشت

الضِّيَاءُ الْبَحْرُ وَالشَّطُّ الْظُّلْمُ      مَا حَوَتْ سَيْلًا كَمَثَلِي وَازْتَطَمُ<sup>(١)</sup>  
 فِي فَوَادِي الْمَوْجِ دُفَاعٌ يَمُورُ      إِنَّمَا السَّيْلُ عَلَى شَطِّ يَغْيِرُ<sup>(٢)</sup>  
 صُورَةٌ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ طِلَاءٍ      وَإِلَهُ الشَّرِّ رَسَامُ الدِّمَاءِ<sup>(٣)</sup>

أظهرِ الذَّاتَ ، فهاتيكِ الحياه

واختبارُ المرءِ ما أدَّت يدها

يُنْضِجُ الذَّاتَ التَّرْدِيَّ فِي الْبَلَاءِ      عَنْ قِضَاءِ اللَّهِ قَدْ تَمَحَوَ الْحَفَاءُ  
 رَجُلٌ اللَّهُ رَأَى بِاللَّهِ ذَاتَهُ      فِي دِمَائِهِ خَرَّ كَيْ يُنْهِيَ حَيَاتَهُ  
 بِالْذِّمَاءِ الْعِشْقُ يَسْمُو وَيَسُودُ      وَلَهُ الْعِيدَانُ مَنْشَارٌ وَعُودُ<sup>(٤)</sup>

فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا يَجْرِي يَطِيبُ

مَرْحَبًا بِالصَّدِّ إِنْ صَدَّ الْحَيْبُ

لَا تَرَى عَيْنِي التَّجَلِّيَّ وَخَدَهَا      تَرْمُقُ الْحُسْنَ عَيُونََ حَوْلَهَا<sup>(٥)</sup>  
 خَلْوَةُ الْإِنْسَانِ ؟ وَجَدُّ سَعْرَا      إِنَّهَا الْبَحْثُ ، وَجَمْعٌ قَدْ يُرَى  
 خَلْوَةٌ فِي الْعِشْقِ مِنْ شَأْنِ الْكَلِيمِ      إِنْ تَجَلَّى كَانَ كَالْمَلِكِ الْعَظِيمِ<sup>(٦)</sup>  
 خَلْوَةٌ أَوْ جَلْوَةٌ فِي الْقَلْبِ وَقَدْ      وَمَقَامٌ أَوْ هَمَا حَالٌ وَوَجْدُ<sup>(٧)</sup>  
 وَيَلْسُوحُ فِيهِمَا الرَّحْمَنُ آيَةً      بَدَأَ الْأُولَى وَذِي الْآخِرَى نَهَايَةً

(١) ارتطم : ازدحم ، وتراكم .

(٢) الدُّفَاعُ : معظم السيل والموج . ويمور : يضطرب .

(٣) يقول : إنَّ « أهرمن » إله الشر رسمها بالدماء .

(٤) يقصد تعذيب المسيح عليه السلام بصلبه ، كما يعتقد المسيحيون ، وتعذيب زكريا عليه السلام بالمنشار .

(٥) لا يريد أن يرى الحسن وحده ، بل في جماعة .

(٦) الكليم : موسى عليه السلام .

(٧) الوَقْدُ : النار .

النُّبُوتُ ، كما قُلْتِ ، المِلَلُ يخلق الإنسانَ عِشْقُ إن كَمُل  
 حَبَّذَا رَكُوبٌ ولله المِيسِرُ<sup>(١)</sup>  
 وبدنيانا كأرواحٍ نَطِيرُ

\*\*\*

## طاسين المسيح

( رؤيا تولستوي الحكيم )

شامخٌ قد ضمَّ أنواعَ المَمَاتِ	فيه وإد ما به رفَّ النَّبات <sup>(٢)</sup>
فيه نورُ البَدْرِ قارٌّ من عُبار	بسماه الشَّمْسُ ظمأى فوقَ نار
والغدِيرُ زَبِقٌ قد فَارَ فورَه	وهو يجري دافقاً مثل المجرَّة <sup>(٣)</sup>
لا ارتفاع لا انخفاضَ في الطريق	زاحرٌ طامٍ وذو موجٍ حَنِيق <sup>(٤)</sup>
صاحٌ شابٌّ قد حواه الزُّبِقُ	جازِعاً وهو يكادُ يَفِرُّ
منهُ ذاك الغيمُ ما إن يقرب	ظامياً ، من زَبِقٍ هل يَشْرِبُ ا
وعلى الشَّطِّ رأيتُ غانِيَه	لحظها ياسِرُ ألفَ ساريَه <sup>(٥)</sup>
عَلِمْتُ من سِخْرِها العبَادُ كُفرا	شرُّها الخيرُ وكانَ الخيرُ شراً
يا ترى من أنتِ قُلْتُ فلتجيبني	ما بكاكِ بل وموصولُ النَّحِبِ
« إنَّ في عينيَّ سِخْرُ السَّامري	واسمي افرنكين واسمُ السَّاحر <sup>(٦)</sup>

(١) الرِّكَب : ركبان الخيل ، أو الإبل .

(٢) الشامخ : المراد به الجبل . ورفَّ النبات : اهتزَّ نضارةً .

(٣) الغدير : النهر . والمجرَّة : مجموعة من النجوم تشبه النَّهْر .

(٤) الظَّامِي : الممتلىء . والحنيق : الشَّدِيد الغضب .

(٥) الغانية : الحسناء . والسَّارية : الجماعة .

(٦) افرنكين : من فرنكي في الفارسية بمعنى الإفرنجي في العربية . وإقبال يجسَّد التفرنج

على أنه أفسد المسيحية الأولى . أما الإنسان المغمور في ماء النهر فهو رمزٌ إلى الخائن =

الجليدُ فجأةَ كانَ الغدير  
 رَدَدَ الشُّكُوِي وَمِنْ قَلْبٍ وَجِعٍ  
 قالت افرنكين « فكَزْ فِكْرَةً  
 إِنَّمَا عَيْسَى سِرَاجُ الْكَائِنَاتِ  
 اذْكَرَنَّ بِيْلَاطُوسَ الْمَمْتَقِعَ  
 لَذَّةَ الْإِيْمَانِ فِي رُوحِ حُرْمَتِ  
 مَا عَرَفْتَ الْوَحْيِ وَالْجِسْمَ اشْتَرَيْتِ  
 وَلِذَا فَالْرُوحُ أَمْوَالٌ فَقَدْتِ »

وَمِنْ الْحَسَنَاءِ تَجْرِيحُ الْمَلَامِ  
 قَالَ : « مَنْ خَدَعَكَ ، فَالزُّورُ الْجَلِي  
 ذُلُّ عَقْلِ ذُلُّ دَيْنٍ مِنْ فُسُوقِكَ  
 الْوُدَادُ مِنْكَ ضُرٌّ خَفِيَّةٌ  
 أَنْتَ بِالْمَاءِ وَبِالطَّيْنِ عَقَدْتِ  
 حِكْمَةُ الْإِنْسَانِ حَلَّتْ مَشْكَلاتِ  
 مَا لَدَى الْمُنْصِفِ قَطُّ أَيُّ رَيْبِ  
 الْمَسِيحُ أَسْكَنَ الرُّوحَ الْبَدَنَ

كَانَ فِي قَلْبِ الْفَتَى حَزُّ الْحُسَامِ  
 بَاعَ شَيْخٌ أُمَّةً أَوْ بَزْهَمِي  
 هَانَ حَتَّى الْعَشْقُ مِنْ سَوْمِ بَسُوقِكَ (٦)  
 مِنْكَ هَذَا الْحِقْدُ مَوْتُ بَغْتَةِ  
 صَلَاةٍ ، وَالْعَبْدُ مِنْ رَبِّ سَلَبَتْ  
 وَبِهَا چَنْگِيزُ صِرَتْ فِي غَزَاةٍ  
 فِي ذُنُوبٍ لَكَ فَاقَتْ كُلَّ ذَنْبِ  
 أَنْتَ مِنْ أَدْرَجَتْ مَيْتاً فِي الْكَفْنِ (٧)

= الذي خان المسيح عليه السلام .

(١) الكَسِيرُ : المحطَّم .

(٢) وجع : بمعنى تألم ، ومَرِيض .

(٣) اللَّمَّاحُ : المتلألئ . يقول : إِنَّ نوره يغمُرُ العالمين .

(٤) بِيْلَاطُوسُ : هو من يعتقد المسيحيون أنه القائل إني بريء من دم المسيح .

(٥) اللجين : الفضة .

(٦) الفسوق : ترك أمر الله وعصيانه . السَّوْمُ : من سام السلعة ، أي : عرضها وذكر

ثمنها ، فكان المنافقين يتخذون الدين سلعةً لتجارتهن .

(٧) يريد ليقول : إِنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْيَا الْمَوْتَى .



ما صنعنا كان من ناسوتِهِ    كان ما للقوم من لاهوتِهِ  
بمّماتٍ لك نحيًا قاطبةً  
لا تموتي ، لتري ما العاقبةُ»<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## طاسن محمّد ( ﷺ ) ( نياحةُ أبي جهل في حرم الكعبة )

زارثُ روحُ عمرو بن هشام - زعيمُ الجاهلية والنخوة العربية - مكّة ، وقد أصبحت بلدُ الإسلام والتّوحيد ، وطُهرَ بيتُ الله للطائفين والقائمين والركع السجود ، وحُرِّمت عبادة الأصنام والأوثان الجاهلية ، فلا اللات ، ولا مناة ، ولا هبل ، ولا العزى ، ولا أساف ، ولا نائلة<sup>(٢)</sup> ، وقام المؤذن على شرفات الحرم ينادي بأعلى صوته خمسَ مرات : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » .

وذهبت نخوةُ الجاهلية ، وتعظّمها بالآباء ، وأصبحَ الناس يعتقدون أنّهم من آدم ، وآدمُ من تراب ، فلا فضلٌ لعربيٍّ على عجميٍّ ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ إلا بالتقوى ، وسمعَ الناسَ يتلون : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وأصغى إلى الناس في غدوّهم ورواحهم ، فلم يسمعهم يفتخرون ببلدٍ أو نسب ، ووطنٍ أو شعبٍ ، وطاف في الناس ، فلم ير أحداً يعيّر أحداً بأتمّه ، أو سواده ، أو حرفته ، أو حبشيته ، أو عجميته ، ويتناول بعربيته ، أو قرشيته ،

(١) قاطبةً : جميعاً .

(٢) كان أكثرها أصنام قريش ، والتي كانت لغيرها كانت قريش تعظمها ، راجع ابن هشام وابن الكلبي .

وغشي مجالس الناس ، فلم يسمع مفاضلةً بين عدنان وقحطان ، وبين ربيعة ومضر ، وبين بني عبد مناف وبين عبد الدار ، وبين بني هاشم وبني عبد شمس ، ولا مساجلةً في مآثر الجاهلية ، وأيام العرب ، ورأى الناس بالعكس يرجعون إلى عبد أسود ، قد فاق الناس في علمه وفقهه ، ويلتقون حوله ، ويصدرون عن رأيه .

ودقق في حديث الناس ، وآدابهم ، وعاداتهم ، وأخلاقهم ، وسلوكهم ، وعقيدتهم ، فلم ير عرفاً جاهلياً ، أو نزعةً عربيةً ، أو نكرةً قوميةً ، يتعلّق بها سيد بني مخزوم ، ويقرُّ عيناً ، ورأى أنّ الحياة القديمة قد نسخت وأبطلت ، وولد مجتمع جديدٌ قام على أساس من العقيدة ، والخلق ، والفضيلة ، والتقوى ، وتغيّرت الموازين والقيم ، وتغيّرت عقولُ الناس ونفوسُهم ، وسُمع يُنشدُ في حزينٍ واستعجاب :

فما النَّاسُ بالنَّاسِ الذي عهدتْهم ولا الدَّارُ بالدَّارِ التي كُنْتُ أعْرِفُ  
لقد أشكلت الأمورُ على سيد بني مخزوم ، وأبهمت مكة عليه ، وهو ابنُ البلد ، وسيّدٌ من ساداتها ، فلولا البيت ، ولولا الحطيم ، ولولا الحجر ، ولولا زمزم ، ولولا المكان ، الذي كان يجلس فيه مع سادة قريش ، ويمتحنُ فيه ضعفاء المسلمين : لأنكر مكّة ، وأنكر الوادي ، ورأى أنّه قد ضلَّ الطريق .

لقد كان يرى في الدّين « الجديد » الذي جاء به محمد ﷺ الخطرَ والمُضرَّ على الدين الذي قام على تقديس القومية الضيقة ، والعصبية القرشية ، والنظام الجاهليّ الذي يقوم على النسب والوطن ، وتفضيل الدّم والعرق ، ويرى العالمَ كلّهُ في حدود « المملكة القرشية » التي قامت في مكّة ، ولا يُعنى بخارج هذه الحدود .

ويرى الفضل كلّهُ في العرب ، فغيّرهم عجمٌ وعلوج ، لا يستحقّون مدحاً ،

ولا يستحقون رحمة ، ولا يستحقون عدلاً ، لقد كان يرى كل ذلك ويتوقعه ، وكان من أشد الناس حماسةً في الدفاع عن الجاهلية ، وأصدق الناس فِراسةً في معرفة غايات الإسلام ، ولكنه على بعد نظره وذكائه ، لم يكن يعرف أن الأمر يبلغُ بالناس هذا المبلغ ، وأن الإسلام يؤثر في الناس هذا التأثير ، وأن الجاهلية تُطرد من عاصمتها ومهداها هذا الطرد الشنيع .

هاجتِ النَّخوةُ الجاهلية في أبي جهل ، وثارَت رَوْحُه ، ورثي متعلقاً بأستار الكعبة ، يستغيث على محمد ﷺ وينوحُ ، ويقول : « إن قلوبنا - معشر الجاهليين - قروحٌ وجروح ، تسيل دماً مما صنع محمد ، فقد أطفأ نورَ الكعبة ، وحطَّ من مكانتها وقدرها ، لقد نعى قيصرَ وكسرى ، وتبأ بزوال الملوك والسلاطين ، ونادى بأعلى صوته : ﴿ إِنَّ الْحَكْمَ لِلَّهِ ﴾ [ يوسف : ٤٠ ] و ﴿ إِنَّكَ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ ﴾ [ الأعراف : ١٢٨ ] واغتصب شبابنا ، فثاروا علينا ، وفُتِنوا به وبدينه الجديد ، ساحرٌ يسحر بكلامه قلوبَ الناس وعقولهم ، وهل كفر أعظم من قوله : « لا إله إلا الله » ، وإنكارُ جميع الآلهة التي آمن بها الناس ، وعبودها في جميع الأعصار والأمصار ، إنه طوى بساط دين الآباء ، وفعل بآلهتها الأفاعيل ، لقد جعل اللَّات ، ومناة جذاذاً بضرباته الموجعة ، فليت العالم ينتقم منه ، ويأخذ ثأر الآلهة ، يا عجبا ! لقد جرَّد القلوب عن معبود مشهور يُرى ويُلمس ، وربطها بمعبود غير مشهود لا يُرى ولا يُلمس ، حتى كان هذا الإيمان بالغيب أقوى وأعمق من الإيمان بالمشهود الموجود ، هل لهذا الإيمان أساس ؟ وهل لما لا يُرى وجود ؟

أليس من الجهل والضلالة ، والعمى والبلاهة سجودٌ لغائب ؟ هل يجدُ الإنسان لذَّةً وحلاوةً في ركوعٍ وسجودٍ أمام غائب ؟!

إنَّ دينه حتفٌ للوطنية والقومية ، إنه من قريش ، ولكنه لا يفضل حراً على عبد ، وغنياً على فقير ، وعربياً على عجمي ، يجلس مع مولاه على مائدةٍ واحدةٍ ، ويأكل معه ، أسفاً إنَّه لم يعرف قدر العرب الأحرار ، وأكرم العلوج

والعبيد السود ، لقد اختلط الأحرار البيض بالعبيد السود ، واختلط الكريم بالثميم ، والجميل بالذميم ، وذلك العرب ، وذلك بنو قصي .

إننا لا نشك في أنّ هذه المؤاخاة ، التي يحثُّ عليها محمد كثيراً ، مبدأ عجمي ، وقد تحقّق لدينا أنّ سلمان مزدكيّ ، وأنّ ابن عبد الله خُدع به ، وجرّ البلاء والشقاء على الأمة العربية ، لقد جهل هذا الفتى الهاشمي قيمته وشرفه ، لقد أعمته هذه الصلاة التي يصلّيها ، هل لعجمي أصلٌ عدناني ، وهل لأعجمي نطقٌ عربيّ ولهجةٌ مضرية ؟ عجباً لعقلاء العرب ! هبوا من نومكم ، اغلبوا هذا الكلام الذي يسمّيه محمدٌ وحيّاً ، بكلامكم البليغ السّاحر .

ولماذا لا تنطق أيها الحجر الأسود ! ولا تشهد بصدق ما نقول ! ولماذا لا تقوم يا هبل ! يا إلهنا الأكبر ! ولا تنتزع بينك من هؤلاء الصُّبابة ، أغز عليهم ، وعكّر عليهم الحياة ، أرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية ، تجعلهم أعجازاً نخلي خاوية ، يا مناة ! ويا أيها اللات ! فبالله ! لا ترحلا من ديارنا ، وإن رأيتما الرحيل فبالله ! لا ترحلا من قلوبنا ، وإن كان لا بدّ من الرحيل ، فلا تعجّلا ، وأمهلانا أياماً نتمتع بكما <sup>(١)</sup> .

وإليك هذه الأبيات المترجمة بالعربية شعراً ، يقول فيها إقبال :

صدرنا ناراً تَلَطَّتْ مِنْ مُحَمَّد	فسراج الكعبة الوضاء أحمَد
وَيَهْلِكِ الرُّومُ أَوْ كَسْرَى تَغْنَى	سَلَبَ الْفَتِيانَ طُرّاً مِنْ يَدَيْنَا
ساحرٌ والقولُ منه ساحرٌ	وبقولٍ « لا إله » كافرٌ !
وبساطُ دينِ آباءِ طَوَى	وأذاقَ ما عبدناه التَّوى <sup>(٢)</sup>
حَطَمَ اللَّاتَ فَكَانَتْ كَالْفُتَاتِ	مِنْهُ فَلتَقْتَصِرُ كُلُّ الْكائِنَاتِ <sup>(٣)</sup>

(١) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن عليّ الندوي ، صفحة ١٦٩ - ١٧٤ .

(٢) التَّوى : الهلاك .

(٣) الفتات : كسارة الشيء بعد أن يتفتت .

ناطاً مِنْهُ القلبُ بِالغَيْبِ الكَنِينِ      ومحا الحاضرَ بِالسُّخْرِ المُبِينِ<sup>(١)</sup>  
ويعيبُ المرءُ لِلغَيْبِ النَّظَرِ      أينَ شيءٌ ليس يبدو لِلبَصَرِ<sup>(٢)</sup>  
الضَّرِيرُ مَنْ لَغَيْبٍ يَسْجُدُ      يا لهذا الدِّينِ أعمى يُتَّعَدُ  
ما السُّجُودُ ولربُّ لا يُحَدُ  
الصَّلَاةُ ما ارتضاها قَطُّ عَبْدُ!

في قريشٍ بَتَّ أصلاً لِلنَّسَبِ      يا لالدينِ منكرٌ فَضَلَ العَرَبِ<sup>(٣)</sup>  
الوَضِيعُ كالرَّفِيعِ عِنْدَهُ      لِلخِوانِ فَهَوَ يَدْعُو عَبْدَهُ<sup>(٤)</sup>  
ما درى فَضلاً لأحرارِ العَرَبِ      وِدَّ أحباشٍ غَلاظٍ قَدْ حَطَبُ<sup>(٥)</sup>  
ولحمرِ القَوْمِ بِالسُّودِ اجْتِماعِ      يا لعمري عَرُونا هذا مُضَاغِ  
المساواةُ أراها أعجميَّه      دانَ سلمانُ بدينِ المزدكيَّه<sup>(٦)</sup>  
ابنُ عبدِ اللهِ مَخْدُوعٌ به      فأذاقَ العُرْبَ مِنْ تخريبه  
وبني هاشِمٍ جافى قومُهُم      بِالصَّلَاةِ في ظلامِ عَيْنُهُم!  
أينَ مِنْ عدنانَ أصلُ الأعجمي      أينَ مِنْ سَخْبَانَ صَمْتُ الأَبْكَمِ<sup>(٧)</sup>  
لخواصِّ العُربِ عَيْنٌ لا تُرى      قَمَ زهيرٌ شَقَّ مَرَكُومَ الثَّرَى<sup>(٨)</sup>

(١) الكنين : المستور .

(٢) يقول : إن الشيء الكائن وحده هو الذي يشاهد .

(٣) بت : قطع .

(٤) الخِوان : ما يوضع عليه الطعام .

(٥) خطب الودَّ : طلبه .

(٦) لم يكن الصَّحابِيُّ الجليل سلمان الفارسي على الدِّيانة المزدكية قبل إسلامه بل على الزرادشتية . والمزدكية تدعو إلى المشاع في الأموال والنساء . ولكن الشاعر هنا يبالغ في التهكم بأبي جهل وجهالته ، فيقول إنَّه توهم أنَّ النبي ﷺ عرف المساواة عن سلمان ، وهو يُجري على لسان أبي جهل من الكلام ما يؤيد أنَّ أبا جهل من الكافرين .

(٧) سحبان مضرب المثل في الفصاحة عن العرب .

(٨) هو الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى من أصحاب المعلقات ، وجاء في سيرته أنه رأى قبل موته بعام كأنه رفع إلى السماء ثم انقطعت به الحبال . وفسر رؤياه لنيه =

أنت في صحرائنا خيرُ الدليل

قُمْ و حطّم سِخْرَ لَحْنِ جِبْرِئِيلِ

قُلْ وَحَدَّثْنَا طَوِيلًا يَا حَجْرُ ! ما رأينا منه ؟ واصلدُقنا الخَبْرُ

قَابِلَ الْأَعْدَارِ أَنْتَ يَا هَبْلَ عَنكَ ذُو مَنْ دِينَنَا مَا إِنْ عَقَلُ

رَأْسُهُمْ أَلْقِ لَذَائِبِ أَوْ هَصُورِ وَلِيَكُنْ فِي نَخْلِهِمْ مُرُّ التُّمُورِ<sup>(١)</sup>

صَرَصَرًا وَاجْعَلْ هَوَاءَ الْبَادِيَةِ إِنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلِ خَاوِيَةِ

لَا تُدُومِي ، لَا تَرِيْمِي يَا مَنَاةُ أَنْتَمَا فِينَا قُلُوبٌ خَافِقَاتُ<sup>(٢)</sup>

تَسْكُنَانِ بَيْنَ جَفْنَيْنَا الْجِدَاقَا

مَهْلَةٌ إِنْ كُنْتَ أَرْمَعْتَ الْفِرَاقَا<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

= بقوله : سيكون بعدي أمرٌ يعلو من اتبعه فخذوا بحظكم منه . وما حال الحول حتى

يُبعثَ النبي ﷺ . والمركوم : الذي بعضه فوق بعض .

(١) الهصور : الأسد . والتُّمُور : جمع تمر .

(٢) اللآت ومناة : من الأصنام التي كانت العرب تعبدها في جاهليتها . لا يريم : لا يفارق مكانه .

(٣) الجِدَاق : جمع حِدَاقَة ، وهي معظم سواد العين . والشُّطْر الثاني من البيت مما اقتبسه

إقبال عن شاعرٍ عربي .



القسم الثاني

هُنَاكَ عُمَلَارِد





## ساعة مع السيّد جمال الدين الأفغاني<sup>(١)</sup>

خرج الدكتور محمد إقبال مع شيخه ومرّيّه الروحي والفكري - الشيخ جلال الدين الرومي - في سياحة روحية فكرية ، ومرّ في جولته - الخيالية - بمنازل كثيرة ، التقى فيها بشخصيات ماضية ، من أصحاب الديانات والفلسفات ، وقادة الفكر والرّجالات ، وتحدّث معهم في مسائل كثيرة .

ومرّ في رحلته بمنزل بكر ، لم يطأه آدميّ بقدمه ، وظهرت فيه الطبيعة بجمالها ، وتمثلت فيه الدّنيا بسهولة ، وجبالها ، وميادينها ، وأزهارها ، وعاش منذ آلاف السنين في عزلة من المدنية والصناعة الإنسانيّة ، وأعجّب الشاعر جمال الطبيعة ، ورقة الهواء ، وخريز الماء في هدوء الصّحراء .

وأقبل إلى شيخه الرّوميّ ، فقال وقد قرّع أذنه صوت عذب رقيق : مالي أسمع الأذان ، ولا أرى أثر إنسان ؟ فهل أنا واهمّ ، أم حالم ؟

قال الرّوميّ : إنه منزل الصّلحاء والأولياء ، وبيننا وبينه نسب قريب ، فقد قضى فيه أبونا آدم يوماً أو يومين ، لمّا هبط من الجنة ، قد شهّد هذا المكان زفراته وأناته في السّحر ، وبلّث دموعه التراب ، يزوره أصحاب المقامات الرفيعة ، كفضيل ، وأبي سعيد ، والعارفون الكبار ، كجنيد ، وأبي يزيد ،

---

(١) هو جمال الدين الأفغانيّ ، ذلك المصلح الدّينيّ ، والسياسيّ ، والاجتماعيّ ، ورجل الفكر الحرّ والأدب العالي ، ومن له الرّيادة في دعوته إلى الحقّ ومكافحته للباطل . وكان الدّاعي إلى التجديد في الإسلام ، راغباً في إصلاح العالم الإسلاميّ بالرجوع إلى القرآن . بعد أن فترت عنه همم المسلمين ولم يأخذوا بتعاليمه الدّاعية إلى شحذ الهمم وتحرير العقول ، كان الأفغانيّ عظيم الأثر ، واسع النفوذ ، دائب العمل في مصر على الخصوص ، توفي عام ١٨٩٨ م .

فلنقم ولنشرع لندرك الصلوة في هذه البقعة المباركة ، وننال لذة الروح ، ونعمة الخشوع التي حُرمتها في العالم المادي .

ونهضا من مكانهما مسرعين فوجدا رجلين يُصليان ، أحدهما أفغانِيٌّ ، والآخر من الأتراك ، ونظر فيهما ، فإذا إمام الصلاة جمال الدين الأفغانِيٌّ ، يصلي خلفه الأمير سعيد حليم باشا ، فقال الروميُّ : إنَّ الشرق لم ينجب في العصر الأخير أفضلَ منهما ، وقد حلَّ كثيراً من عقدي والغازي ، أما الإمام السيد جمال الدين ؛ فقد نفخ في الشرق الناعسِ روحَ النشاط ، ودبَّت بدعوته الثائرة الحياةُ في الأموات والجمادات ، وأما الرَّعيم سعيد حليم فقد جمع بين القلب الجريح الدَّامي ، والفكر المحلَّق السَّامي ، والرُّوح القلقة ، والعقل الكبير المستنير ، إنَّ ركعتين مع مثل هذين الرجلين من أفضلِ العباداتِ ، وأعظم القربات .

وقرأ السيد جمال الدين سورة « والنجم » فأنشأ هدوء المكان والزَّمان ، وشخصية الإمام ، وجمال القرآن جواً خاشعاً رهيباً ، رقَّ فيه القلب ، وفاضت فيه العين ، وكانت قراءةً لو سمعها إبراهيم الخليل لأعجَبَ بها ، ولو سمعها جبرئيل لأثنى عليها ، وكانت قراءةً تقلق النفوسَ ، وتذيب القلوبَ ، وتعلو بها صيحةُ التكبير ، والتهليل في القبور ، وكانت قراءةً ترفع الحجاب ، وتُتضح بها معاني أم الكتاب .

وندعُ محمد إقبال يحكي قصَّته ، قال : « قمتُ بعد الصلاة ، وقبَلْتُ يده في أدبٍ ومحبةٍ وقد قدمني أستاذنا الروميُّ إلى السيد ، وقال : إنَّه جوالٌّ جوابٌ في الآفاق ، لا يستقرُّ في مكان ، ويخمل في قلبه عالماً من الآمال والآلام ، لم يعرف غير نفسه ، ولم يخضع لأحدٍ ، فيعيش حرّاً طليقاً » .

وأقبل عليَّ السيد جمال الدين ، فقال : حدِّثني يا عزيزي ! عن العالم الذي عشت فيه زمناً ، وعن المسلمين الذين أصلهم تراب ، وينظرون بنورِ الله .

قلتُ : يا سيدي ! لقد رأيتُ في ضمير الأمة التي خلقت لتسخير العالم

معركة حامية ، وصراعاً دامياً بين الدّين والوطن ، لقد ضعُف الإيمانُ في قلب هذه الأمة ، ففقدت روحها ، وقطعت الأمل من سيطرة الدّين وسيادته ، فلجأت إلى الوطنية والقومية ، أصبح الأتراك والإيرانيون سُكارى بصهباء أوربة ونشوتها ، وأصبحوا فريسةً كيدها ودهانها ، أصبح الشّرقُ خراباً بحكم الغرب وسيادته ، وذهبت الشّيوعيّةُ بيهجة الدّين وبهاء الملة .

سمعَ الأفغانيُّ كل ذلك في صبرٍ وأناة ، وفي تألّمٍ وحزن ، ثم انفجر قائلاً : إنّ الباقعة الأوربيّ هو الذي علّم أهلَ الدين الوطنية والقومية ، أما هو فلا يزالُ يبحثُ عن مركزٍ لجميع الشعوب والأوطان ، ولكنّه بذر في الشرق بذورَ الخلاف والانشقاق ، وشغل شعوبه بمصرَ والشامَ والعراقِ ، فتحرّزَ أيُّها المسلمُ الشرقيُّ ! من قيود الوطنية والقومية ، وكنْ « عالمياً آفاقياً » يعتبرُ كلَّ بلدٍ وطنه ، وكلَّ أرضٍ أرضه ، إنّ كنتَ تميز بين « الجميل » و« القبيح » فلا تربطَ نفسك وقلبك بالتراب والحجارة والقرميد ، إنّ الدين هو أن ينهض الإنسانُ من الحضيض ، ويعرفَ قيمةَ نفسه ، إنّ الذي عرف « الله » وآمن به ، لم يسهه هذا العالم ، ولم ينحصر في الجهات ، إنّ الحشيش ينبثُ على التراب ، ويفنى في التراب ، ولكنّ النفس الإنسانية أسمى من أن يكون مصيرها هذا التراب ، إنّ آدم لو خلق من ماء وطين ، فقد يأبى أن يدور حول هذا الماء والطين . إنّ جسمه يميل به إلى الأرض ، وروحه تطير به في الأجواء الفسيحة ، إنّ الروح لا تنحصر في الجهات ، وإنّ « الحرّ » لا يعرف القيود والحدود ، فإذا حُبس في « التراب »<sup>(١)</sup> اضطرب وثار ، لأنّ الصقور لا تستريحُ ولا تهدأ في الأوكار .

إنّ هذه الحفنة من التراب ، التي نسمّيها « الوطن » ونطلقُ عليها أسماء « مصر » و« إيران » و« اليمن » ، بينها وبين أهلها نسبٌ ؛ لأنّ هذه الشعوب قد نهضت من أرضها ، ولمعت من أفقها ، ولكن لا ينبغي أن تنطوي على نفسها ،

(١) يعني به « الوطن » .

وتنحصرُ في حدود أرضها ، أما ترى إلى الشمس تطلع بسناتها ونورها من الشرق ، ولكنها لا تلبث أن تتحرَّر من حدود الشرق والغرب ، وتسيطر على العالم وتحتضنه . إنّ فطرتها بريئة من الشرق والغرب ، وإن كان مولدها وظهورها في الشرق .

أما الشيوعية يا عزيزي ! فإنَّ مصدرها ذلك الإسرائيليُّ ، الذي خلط الحقَّ بالباطل ، وآمن قلبه وكفر عقله ، إنّ الغربيين فقدوا القيم الرُّوحية ، والحقائق الغيبيَّة ، وذهبوا يبحثون عن الرُّوح في « المعدة » إنّ الروح ليست قوتها وحياتها من الجسم ، ولكنَّ الشيوعية لا شأن لها إلا « بالمعدة والبطن » ، وديانة « ماركس » مؤسسة على مساواة البطون . إنّ الأخوة الإنسانية لا تقوم على وُحدة الأجسام والبطون ، إنّما يقوم على محبة القلوب ، وألفة النفوس .

إنَّ الملوكيَّة سمنٌ يطرأ على الجسم ، صدرها مظلمٌ خاوٍ ، ليس فيها قلبٌ خفّاق ، إنّها كالنحلة تجلس على كلِّ زهرة ، وتشرَّب منها الرُّضاب ، وتغادرها إلى زهرةٍ أخرى ، وتبقى هذه الزَّهرات بلونها وشكلها ورائحتها ، ولكنها أوراقٌ بالية ، وحشائش ذاوية ، كذلك الملوكية تستحوذُ على الشعوب والأفراد ، وتمتصُّ منها دماءها ، وتركُّها أجساداً هامدة .

إنَّ « الملوكيَّة » و « الشيوعية » تلتقيان على الشره والنَّهامة ، والقلق والسَّامة ، والجهل بالله ، والخداع للإنسانية ، الحياة عند الشيوعية « خروج »<sup>(١)</sup> ، وعند الملوكية « خراج » ، والإنسانُ البائسُ بين هذين الحجرين قارورة الرُّجاج ، إنّ الشيوعية تقضي على العلم ، والدين ، والفنِّ ، والملوكية تنزع الروحَ من أجسام الأحياء ، وتسلبُ القوتَ من أيدي العاملين والفقراء ، لقد رأيت كلتيهما غارقتين في المادَّة ، وجسمُهما قويٌّ ناضر ، وقلبيُّهما مظلمٌ فاجر .

(١) يعني : تجرُّد من العقائد ، والعواطف ، والآداب ، والحضارات .

ألا ! من يبلغُ « روسيا » أنَّ القرآن وتعاليمه في وادٍ والمسلمين في وادٍ ، لقد انطفأت شرارة الحياة في صدور المسلمين ، وانقطعت صلَّتْهم عن النَّبِيِّ ﷺ إِنَّ المسلم اليوم لا يؤسِّسُ حياته ، ولا ينظِّمُ مجتمعه على مبادئ القرآن ، وقد أفلس لذلك في الدِّين والدنيا ، لقد نُلَّ عَرْشُ قيصر وكسرى ، ونعى على ملوكيتهم ، ونصب لنفسه عرشاً ملوكياً ، وتربَّع عليه ، واقتبس من العجم الملوكية وأساليها ، وبذلك تغيَّر نظره إلى الحياة ، وتغيَّر منهج تفكيره .

لقد حطَّمت « القيصرية والكسروية » مُثَلَ المسلمين في العصر القديم ، فاعتبري أيتها الأمة الروسية ! من تاريخنا ، عليك بالثبات والاستقامة في معركة الحياة ، فإذا كنت قد كسرت هذه الأصنام « الملوكية والوطنية » فلا تعودِي إليها ، ولا تطوفي حولها مرَّةً ثانية . إِنَّ العالم اليوم يطلب أمةً تجمع بين التبشير والإنذار ، وبين الرَّحمة والشِّدَّة ، فاقبسي من الشرق ديانته وروحانيته ، لقد أصبحت دياناتُ الإفرنج وديانتُهم عتيقةً باليةً ، فلا تعودِي إليها مرَّةً ثانيةً ، لقد أحسنت إذ ألغيت الآلهة القديمة ، وقطعت مرحلة النفي « لا إله » فعليك أن تبدئي مرحلة الإثبات « إلا الله » ، وهكذا تكملين مهمَّتَكَ ، وتُتمين رحلتك العظيمة ، إِنَّكَ تبحثين عن نظامٍ للعالم ، فعليك أن تبחי له عن أساسٍ مُحكِّمٍ ، وليس هو إلا الدينُ والعقيدةُ .

لقد محوت يا روسيا ! أساطيرَ الأولين أسطورةً أسطورةً ، فعليك أن تدرسي الآن القرآن سورةً سورةً ، وما أدراك ما القرآن ؟ إِنَّه نعيٌّ للملوكية والشُّخرة ، وحتفٌ للاكتناز والأثرة ، وحياةٌ للصعلوك ، وبشرى للملوك ، إِنَّه يذمُّ الذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله ، ويحثُّ على إنفاق كلِّ ما فضل عن حاجة الإنسان ، ويقول في صراحة : ﴿ لَنْ نَسْأَلَ الْبِرْحَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢] إنه يحرمُّ الربا ، ويحلُّ البيع ، ويحثُّ على القرض الحسن ، وهل يتولَّد من الربا إلا الشرورُ والفتن ، والقساوةُ والضَّراوةُ ؟ إِنَّ اكتساب الرزق من الأرض جائز ، فكلُّ ما في الدنيا ملكٌ لله تعالى ، ومتاعٌ

للعبد ، والإنسانُ أمينٌ في مال الله ، ووصيٌّ على أرضه ، وخلقهُ ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد : ٧] ، قد انتكست رايةُ الحقِّ بطغيان الملوك ، وخربت القرى والمدنُ بظلمهم ، وعيبتهم . إنَّ المبدأ الذي يقرُّه القرآن : أنَّ قوت بني آدم من مائدةٍ واحدة ، وأنَّ الأسرةَ الإنسانيةَ كلُّها كنفسٍ واحدة<sup>(١)</sup> .

إنَّه لما قامت دولةُ القرآن ، اختفى الرُّهبان والكهَّان ، أقول لك ما أوْمَنُ به وأدين : إنه ليس بكتابٍ فحسب ، إنَّه أكثر من ذلك ، إذا دخل في القلب تغيَّر الإنسان ، وإذا تغيَّر الإنسان تغيَّر العالم . إنَّه ظاهرٌ ومستترٌ ، كتابٌ حيٌّ خالدٌ ناطقٌ ، إنَّه يحتوي على جدود الشعوب والأمم ، ومصير الإنسانية .

لقد ابتكرتِ تشريعاً جديداً ودستوراً جديداً ، فجديرٌ بك أن تنظري إلى العالم بنور القرآن نظراً جديداً<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

والآن إليك هذه الأبيات المترجمة بالعربية شعراً :

يقول إقبال :

الترابُ كلُّ مخلوقٍ شأى	وتجليُّه جلياً قذ رأى <sup>(٣)</sup>
أبكانَ أم يكونُ سقطتي	والوجودُ قنصتُ أحبولتي <sup>(٤)</sup>
أنا في الزرقاء لي شقاً شققْتُ	إنني منها وإياها ملكتُ <sup>(٥)</sup>
أفؤادي في حنوِّ عانقت	أم أراها منه في الصِّدرِ ارتمت

(١) قال الله تعالى : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْصِمُكُمْ إِلَّا كَفِّينَ وَحِدَةً ﴾ [لقمان : ٢٨] .

(٢) مأخوذ عن « روائع إقبال » لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني التُّدري ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٣) شأى : تفوَّق على غيره .

(٤) السَّقطة : المرَّة من الوقوع والتردِّي . وقنص : اصطاد . والأحبولة : المصيدة .

(٥) الزرقاء : السماء .

لست أدري كنه ما تحت البصر  
 فرأيت عالماً ما إن رأيت  
 من ثرانا إنّه خيرٌ وأقدم<sup>(١)</sup>  
 ليس للإنسان فيه من أثر<sup>(٢)</sup>  
 ليس للفطرة من نقد حديد<sup>(٣)</sup>  
 في الجبال جبذا هذر العباب<sup>(٤)</sup>  
 والأذان فاض منه سمعنا!<sup>(٥)</sup>  
 أرضنا والأرض في فيء الإخاء<sup>(٦)</sup>  
 ذلك العالم يوماً فيه حل  
 ويفجر وهو يشكو ، رنة<sup>(٧)</sup>  
 كلهم في قوميه هذا العلي  
 بايزيد والجنيذ عندهم<sup>(٨)</sup>

ما الذي يخفى وما شيءٌ ظهّر  
 في سماء غيرها طيراً خفقت  
 عالمٌ بالبرّ والدّماء مُفعم  
 عالمٌ من بغضِ أرماءٍ ظهّر  
 ما عليهِ صورةٌ لوح الوجود  
 قلتُ للرُّوميّ يا حسنَ اليباب  
 أينَ آثارُ الحياة هاهنا ؟  
 قال لي « هذا مقامُ الأولياء  
 آدمٌ عن خُلده حينَ ارتحل  
 ورأى هذا الفضاءَ زفرتة  
 زائروه من خواصِّ الكمّل  
 بوسعيدٍ والفضيلُ بينهم

(١) الدّماء : البحر .

(٢) الأرماء : جمع رمي ، هو السّحابة الصّغيرة .

(٣) النقد الحديد : النقد الشديد الحاد .

(٤) اليباب : الخراب . والعباب : الموج .

(٥) يعجب الشاعر لوجوده في أرض خراب ، ومع ذلك يسمع صوت المؤذن .

(٦) الفيء : الظلّ .

(٧) الرنة : الصّوت ، أو صوتُ القوس .

(٨) أبو سعيد بن أبي الخير من مشاهير المتصوفة في أوائل القرن الخامس الهجري . وممن

أذاعوا بين الناس في خراسان نظرية وحدة الوجود . وله رباعيّات يعبر فيها عن مذهبه الصّوفي وهو رقيق المعاني أصيل الشاعرية . والفضيل شيخ الحرم المكي كان في الحديث ثقة ، أخذ عنه خلق كثير منهم الشافعي . وهو في عداد زهاد المسلمين كانت وفاته عام ١٨٧هـ وبابيزيد أو أبو يزيد البسطامي أوّل صوفي نسبت إليه الشطحات ، وأراد ابن تيمية أن يدفع عنه غلوه في شطحاته ، وتوفي عام ٢٦١هـ . أما الجنيذ فصوفيّ بغداديّ مرموق المنزلة من أهل الصّحو لا أهل الشكر ، أي أنّه لم يكن من غلاة =



قُمْ مَعِيَ كَيْمَا نَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ  
وَنَذَابُ بَرَهَةَ أَوْ بَرَهَتَيْنِ «

إِنَّمَا الرُّومِيُّ دُومًا فِي الْحَضُورِ      مَشْرِقُ الطَّلَعَةِ ذُوقًا فِي الشَّرُورِ  
قَالَ : « إِنَّ الشَّرْقَ قَطُّ مَا وَلَدُ      مِثْلَ هَذَيْنِ فَقَدْ حَلًّا الْعُقْدُ  
سَيِّدُ السَّادَاتِ مَوْلَانَا جَمَالِ      مِنْهُ يَحْيَى الطَّيْنِ وَالصَّخْرُ الْمَقَالِ  
وَرِئِيسُ التُّرْكِ مَنْ يُدْعَى حَلِيمَا      كَانَ فِي فِكْرٍ وَفِي جَاهٍ عَظِيمَا  
مَعَ هَذَيْنِ الصَّلَاةُ طَاعَةٌ      وَجَزَاءُ مَنْ يُصَلِّي جَنَّةٌ

سُورَةُ النَّجْمِ تَلَاهَا شَيْخُنَا      غَمَرَ الصَّحْرَاءُ صَمْتٌ هَاهُنَا  
وَيَثِيرُ اللَّحْنُ وَجَدًا فِي الْخَلِيلِ      وَكَذَا فِي عَمَقِ رُوحِ جِبْرِئِيلِ  
وَيَذُودُ الصَّبْرُ عَنْ قَلْبِ صَبُورِ      يَرْفَعُ « إِلَّا اللَّهُ » مِنْ كُلِّ الْقُبُورِ  
يَهَبُ النَّارِ دَخَانَ الرَّفْرِةِ      وَلِدَاوُدَ ضِرَامُ السَّكْرَةِ  
وَبِذَا اللَّحْنِ الظُّهُورُ لِلْغِيَابِ      وَارْتِفَاعُ الشُّرِّ عَنْ أُمَّ الْكِتَابِ  
وَالصَّلَاةُ بَعْدَ أَنْ تَمَّتْ نَهَضْتُ      وَيَدَيْهِ فِي خَشُوعٍ قَدْ لَثَمْتُ  
قَالَ « هَذِي ذَرَّةٌ تَطْوِي الْفَلَكَ      عَالِمٌ مِنْ حُرْقَةٍ فِيهَا اعْتَرَكُ <sup>(١)</sup>  
ذَاتُهَا مِنْهَا تَلَقَّتْ نَظْرَةً      لَمْ تَهَبْ قَلْبًا وَكَانَتْ حُرَّةً  
وَحَيْثُ فِي الْوُجُودِ سَيْرُهَا      زَنْدُهُ رُودٌ إِنَّنِي سَمَّيْتُهَا <sup>(٢)</sup>

\*\*\*

= المتصوِّفة ، ويعبُدُ أوَّلَ المتكلمين في التوحيد ببغداد ، وكانت وفاته عام ٢٩٧هـ .

(١) اعترك : اختلج واضطرب .

(٢) زنده رود في الفارسية بمعنى النَّهْرِ الحَيِّ ، وهو اسمُ نهرٍ عظيمٍ يجري بمدينة أصفهان في إيران . ولكن الشاعر أخذ عن الشاعر الألماني كوته في منظومة له بعنوان « نشيد محمد » وقد عرفها إقبال وترجمها ، وفيه يشبه الشاعر الألماني روح النبوة بالنَّهْرِ المتدفق المزبد ، كما قال المستشرق الإيطالي باوزاني .

## الأفغانيُّ

زنده رود ، تِلْكَ دَنِيَانَا تَكَلَّمْ      أَرْضَنَا صِيفٌ أَوْ سَمَانَا أَنْتَ أَغْلَمْ  
يَا تُرَابِيَّأ سَمَاوِيَّ الْبَصْر      أُمَّةُ الْإِسْلَامِ عَنْهَا مَا الْخَبِرْ؟

### زنده رود

أُمَّةٌ قَدْ دَوَّخَتْ كُلَّ الْأُمَمِ      فِيهَا فِكْرُ الدِّينِ وَالْأُوطَانِ عَمِ  
وَتَمُوتُ الرُّوحُ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ      بِأَسْهَاهَا مِنْ قُوَّةِ الدِّينِ الْمَبِينِ  
الْفِرَنْجُ الْمُسْلِمِينَ أَسْكَرُوا      وَبَشَّرَ فِي الْخُلُوقِ جَرَّوَا<sup>(١)</sup>  
مَنْ نُفُوذِ الْغَزْبِ فِي الشَّرْقِ الْخَرَابِ      وَالشُّيُوعُ لَانْحَطَاطِ الدِّينِ بَابِ

\*\*\*

## الأفغانيُّ

### الدِّينِ وَالْوَطَنِ

مَكْرٌ لَوْرِدِ الْغَزْبِ كَمْ أَعْيَا الْفَطْنَ      فَطَنَ الْقَوْمَ بِمَعْنَى لِلْوَطَنِ<sup>(٢)</sup>  
مَرْكَزاً بِيغِي وَأَنْتَ فِي النَّفَاقِ      اِنْسَ حَتَّى الشَّامِ ، دَغَ أَمْرَ الْعِرَاقِ  
أَنْتَ إِنْ أَدْرَكْتَ مَا خَيْرٌ وَشَرٌ      فَلْتَفُكْ عَنْكَ قِيداً مِنْ حَجَرِ<sup>(٣)</sup>  
مَا هُوَ الدِّينُ ؟ الْقِيَامُ مِنْ ثَرَى      ذَاتَهُ الْقَلْبُ الطُّهُورُ كِي يَرَى  
« اللهُ هُوَ » مِنْ قَالِهَا قَوْلَا يَجُود      لَمْ تَعُدْ تَحْوِيهِ هَاتِيكَ الْحُدُودُ<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) الشصن: حديدة معقوفة يُصَادُ بِهَا السَّمَكُ حِينَ يَتَعَلَّقُ مِنْ فَمِهِ . يَقُولُ إِقْبَالُ : إِنَّ الْأُورِيَيْنِ خَدَعُوا الْعَرَبَ ، وَالْفَرَسَ ، وَالتَّرِكَ ، وَجَذَبُوهُمْ إِلَيْهِمْ كَمَا يَجْذِبُ الصَّيَّادُ السَّمَكَ .  
(٢) فطن : فهم .  
(٣) يريد بالحجر المنازل التي تتألف منها المدن .  
(٤) يجود : يحسن .

قَشَّةٌ فِي الْأَرْضِ قَامَتْ مِنْ تُرَابٍ      وَيَلُ رُوحٌ فِي التُّرَابِ مِنْ تَبَابٍ<sup>(١)</sup>  
يُخْلِقُ الْإِنْسَانَ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ      لَوْنُهُ كَالْوَزْدِ مِنْ مَاءٍ مَعِينٍ<sup>(٢)</sup>  
بَشَرَ لِلْإِنْسَانِ فِي الطِّينِ الدَّوَامِ      إِنَّ بِهِ لِمَ يَعْلُ ذِيكَ الْمَقَامِ  
يَا حَكِيمُ ، الرُّوحُ تَسْمُو عَنْ جِهَاتٍ      ضَاقَ حَرٌّ بِقِيودِ مُثَقَلَاتِ  
مِنْ ظِلَامِ الْأَرْضِ حَرٌّ قَدْ يَتَوَزُّ  
مَا كَفَارٍ فَعَلْتَ تِلْكَ الصُّقُوزِ !

قَبِضَةُ الطِّينِ تَسْمِيهَا الْوَطْنِ      دَعَكَ مِنْ مِضَرَ وَفُزْسٍ وَالْيَمَنِ<sup>(٣)</sup>  
بَيْنَ أَوْطَانٍ وَقَوْمٍ نَسَبَةٌ      إِنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْهَا نَبْتَةٌ  
أَنْتَ إِنْ أَمَعَنْتَ فِي هَذَا النَّظَرِ      دَقَّةً أذْرَكْتَ دَقَّتْ كَالشَّعْرِ  
فَمَنْ الشَّرْقِ ذُكَاءٌ تَطْلُعُ      بِاجْتِرَاءٍ وَتَجَلُّ تَسْطَعُ<sup>(٤)</sup>  
فِي عَذَابٍ وَاصِبٍ مِنْ نَارِ قَلْبِ      عِنْدَ فَكِّ الْقَيْدِ مِنْ شَرْقٍ وَغَرْبِ<sup>(٥)</sup>  
بِالتَّجَلِّيِ أَشْكِرَتْ فِي شَرْقِهَا      أَفْقاً مَا أَفَلَتَتْ مِنْ غَرْوِهَا  
مِنْهُمَا قَدْ قَطَعْتَ أَصْلَ السَّبَبِ  
إِنَّهَا لِلشَّرْقِ لَكُنْ فِي النَّسَبِ<sup>(٦)</sup> !

\*\*\*

## الشُّبُوعِيَّةُ وَالرُّأْسَمَالِيَّةُ

صَاحِبُ « الْمَالِ » سَلِيلٌ لِلْحَلِيلِ      وَبَلَا جِبْرِيلَ أَضْحَى كَالرَّسُولِ<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) التباب : الهلاك والخراب .
  - (٢) المعين : الجاري .
  - (٣) الفرس هنا بمعنى بلاد الفرس .
  - (٤) ذُكَاءٌ : الشمس .
  - (٥) الواصبُ : الدائم .
  - (٦) يقول : إنَّ الشمسَ قطعت كلَّ صلوةٍ بينها وبين المشرق والمغرب .
  - (٧) يريد كارل ماركس صاحب كتاب رأس المال .

مبطلٌ ، في الرِّينِ حَقّاً يُضْمَرُ      مؤمنُ القَلْبِ بعقلِ كافرٍ  
 إنَّ أهلَ الغربِ أفلاكاً أضاعوا      طلبوا الرُّوحَ بيطنٍ حينَ جاعوا!  
 ما استمدَّ الرُّوحُ حسناً من جَسَدُ      وعلى الجِسمِ الشُّيعيِّ اعتمَدُ  
 قولُه في كُفْرِهِ هذا المُبين      ليس إلا في مساواةِ البُتونِ

في صميمِ القَلْبِ ذِيكَ الإخاءِ

ما احتوى أصلاً له طينٌ وماءٌ<sup>(١)</sup>

الجسومُ بالثَّراءِ سُمِّنَتْ      والضُّدورُ مِنْ قلوبِ جُرَدَتْ<sup>(٢)</sup>  
 يالَهُ الرُّبُورُ يرعى وردَهُ      ثم يمضي ، نالَ مِنْهُ شَهْدَهُ  
 إنَّ عُضْنَ الوَزْدِ هذا حُسْنُهُ      وله البلبُلُ هذا لَخْنُهُ<sup>(٣)</sup>  
 عَن جَمالِ راقٍ فَلَطَّوِ النَّظْرُ      أقصِدِ المعنى وَدَعْ عَنكَ الصُّورُ

أن تَرى لِلقَلْبِ موتاً يَضْعُبُ

أن تَسْمِي الطَّينِ وَزْدًا يَكْرُبُ<sup>(٤)</sup>

يَمْلِكَانِ الرُّوحَ نَدَّ صَبْرُهَا      تَخْدَعُ النَّاسَ وَيَبْدُو كُفْرُهَا<sup>(٥)</sup>  
 لهما العيشُ الخَروجُ والخَراجُ      حَجْرانِ ، والورىِ هذا الرُّجَاجُ<sup>(٦)</sup>  
 هذه ديناً وعلماً حَطَمَتْ      تِلْكَ روحاً ورغيفاً حَرَمَتْ  
 لهما في الماءِ والطَّينِ الغَرَقُ      أَظْلَمَ القَلْبُ وذو الجِسمِ اثْتَلَقُ

والحياءُ الاحتِراقُ والعَمَلُ

(١) يقول : إنَّ الإخاءِ في الروح لا في الجسد .

(٢) يراد بالثراء الرأسمالية .

(٣) درج شعراء الفرس على قولهم : إنَّ البلبِلَ يَعْشُقُ الوردة ، ويغني لها ، وهم يشبهون بالبلبل عاشق الذات الإلهية .

(٤) كل في الفارسية بفتح الأول بمعنى الوردة وبكسره بمعنى الطين ، ولبلاء الفرس ولوع بذكر هذين الاسمين على أنهما رمز للنقيضين . ويكرب : يشير الحزن .

(٥) يتحدث الشاعر عن الشُّيعية والرأسمالية . ونَدَّ : بعد .

(٦) يريد بالخروج والخراج : الإنتاج ودفع الضريبة .

وَالشُّوَيْدَاءُ لِتَلْقَى فِي الْوَحْلِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## سعيد حليم باشا<sup>(٢)</sup> الشرق والغرب

إِنَّ فِي الْغَرْبِ الذُّكَا أَوَّلُ الْحَيَاةِ  
وَبِعَشْقِي يَغْرِفُ اللَّهُ الذُّكَا  
وَإِذَا الْعِشْقُ الذُّكَا صَادِقًا  
أَنْهَضَنَّ الْعَالَمَ الثَّانِي اضْنَعَنَّ  
لِلْفِرْنَجِ شَعْلَةً قَدْ بُلِّغَتْ  
جُرْحُوا لَكِنْ بَحْدٌ سَيَفْهَمُ  
نَشْوَةٌ مِنْ كَرْمِهِمْ لَا تَطْلُبُنَّ  
لِلْحَيَاةِ النَّارُ فَلتُشْعَلَنَّ بِنَارِكَ

اضْنَعِ الْعَالَمَ وَازْفَعِ مِنْ مَنَارِكَ  
و « كَمَالٌ » حِينَ نَادَى بِالْجَدِيدِ  
لَيْسَ لِلْكَعْبَةِ تَجْدِيدُ الْحَيَاةِ  
مَا تَعَنَّى التُّرْكُ مَا قَالُوا نَشِيدًا  
قَالَ : إِنَّ الْمَخَوَ لِلْعَهْدِ الْعَهِيدِ<sup>(٥)</sup>  
إِنْ أَتَى الْكَعْبَةَ غَرْبِيَّ بِلَاثِ !  
بَلْ قَدِيمُ الْغَرْبِ سَمَوُهُ الْجَدِيدَا

(١) الشُّوَيْدَاءُ : حَبَّةُ الْقَلْبِ .

(٢) هُوَ سَعِيدُ حَلِيمٍ بَاشَا الصَّدْرِ الْأَعْظَمِ الَّذِي قَتَلَ عَامَ ١٩٢١ فِي رُومَا . وَلَقَدْ فَرَّضَ إِجْلَالَهُ حَتَّى عَلَى خُصُومِهِ لِإِسْدَادِ رَأْيِهِ ، وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ . وَالْجَامِعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَفْغَانِيِّ أَنَّ كِلَيْهِمَا صَاحِبُ نَزْعَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ إِصْلَاحِيَّةٍ .

(٣) الصَّيْدُ : مَا يَصَادُ .

(٤) الْكُرْمُ : شَجَرُ الْعَنْبِ .

(٥) كَمَالٌ هُوَ مُصْطَفَى كَمَالٍ أَوْ كَمَالٌ أَتَاتُورِكُ رَائِدُ تَرْكِيَّةِ الْحَدِيثَةِ . وَالْعَهِيدُ : الْقَدِيمُ .

نَفْسٌ آخَرُ فِيهِمْ مَا خَفَقَ  
 وافقوا العالمَ هذا لا جَرَمَ  
 فِي الصَّمِيمِ طُرْفَةٌ لِلكائِناتِ  
 إِنَّ حَيَّ القَلْبِ خَلَّاقَ الدُّهُورِ  
 مسلماً إِنَّ كُنْتَ ذا عَقْلِ مِنيرِ  
 كَمِ دُنَى تَظْهَرُ فِيهِ مِنْ سُتُورِ  
 إِنَّ دُنْيَا مِنْهُ تَكْفِي عَضْرَبَا  
 يَؤْمِنُ الإِنسانُ مِنْ آياتِ رَبِّهِ  
 وَإِذا دُنْيَاهُ رُئِيَ ثوبُها  
 عالَمٌ فِي القَلْبِ مِنْهُمَ ما انبَثَقَ  
 فِيهِ ذابوا شِمعَةً تَحْتَ الصَّرَمِ<sup>(١)</sup>  
 لَمْ تَكُنْ تَقْييدَ تَقْوِيمِ الحِياةِ<sup>(٢)</sup>  
 وَمَنْ التَّقْلِيدَ كانَ ذا التُّفُوزِ  
 فِي الكِتابِ انظُرْ وَفي هَذا الضَّميرِ<sup>(٣)</sup>  
 وَالعُصُورُ مَرَّها تَلِوُ العُصُورِ  
 إِنَّ عَقَلْتَ أَنْتَ فَاجعِلْها لِنَا  
 كَلُّ دُنْيَا يَزْتَدِيها مِثْلُ ثوبِها  
 قَدَّمَ القُرْآنُ دُنْيَا غَيرَها<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

## زنده رود

زورقُ نَحْنُ بلا هِدي جَرى  
 عالَمُ القُرْآنِ أَيَنْ؟ مَنْ دَرى

## الأفغانيُّ

عالَمٌ فِي صَدْرنا هَذا اخْتَفى  
 لَيْسَ فِيهِ أَيُّ لَوْنٍ أَوْ دِمَاءِ  
 فِي انْتِظارِ « قُمْ » لِإِنسانِ غِفا  
 ما لَغربِ ما لَدَيْهِ مِنْ بَهاءِ

(١) الصَّرَمُ : الحطب المشتعل والمراد به هنا النار .

(٢) الطُّرْفَةُ : الشيء العجيبُ النادر .

(٣) الكِتابُ : القُرْآنُ .

(٤) رَتَّ الرَجُلُ ثوبَهُ : جعله رثاً أي غير صالح .

ليس فيه من ملوك أو عبيد      مثل قلب في خلوة من حدود<sup>(١)</sup>  
عالم الحُسن ، ومن فيض النظر      بذره ألقى بقلب من عمز<sup>(٢)</sup>  
سرمدي في أحداث تدوم      محكمات فيه تهدي من يروم<sup>(٣)</sup>  
لا يهاب باطن فيه التعيز      وله الظاهر دوماً في التطوؤز  
بين جنبيك ، عليك بالنظر  
محكمات ، ألق سمعاً للخبر<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

## مُحْكَمَاتُ الْعَالَمِ الْقُرْآنِيِّ خِلاَفَةُ الْإِنْسَانِ

أثرُ العِشْقِ بدا في العالمين      ويرى في المرء مناً رأي عَيْن  
ليس سُرُّ العِشْقِ من دنيا الرَّحِم      ما إلى سام وحام يَحْتَكِم<sup>(٥)</sup>  
كوكبٌ ، ما من شروقٍ أو غروب      لا ولا يَذْري شمالاً من جنوب  
قول ﴿إني جاعل ﴿ تقديره      يَبْنِ أرضٍ وسما تفسيره<sup>(٦)</sup>

- (١) يشبه هذا العالم بقلب المؤمن الذي يخلو من الحدود .  
(٢) يذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أسلم بعد أن ألقى نظرة على آية قرآنية ، وهو بهم بقتل أخته التي كانت قد أسلمت سراً .  
(٣) السرمدي : الدائم الخالد . والمحكمات : الآيات التي أحكمت فلا تمس حاجة سامعها إلى تأويلها لبيانها كقصص الأنبياء . ويقابلها المتشابهات .  
(٤) أي أن هذا العالم في داخلك وبين جنبيك . فانظر في نفسك واستمع إلى الآيات المحكمات .  
(٥) الرَّحِم : القرابة . وسام أحد أبناء نوح ؛ وينسب إليه الجنس السامي ، وكذلك حام وهو أبو الشودان .  
(٦) قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا

نور دُنْيَانَا وناراً أَوْجَدَا  
والمِدَادُ وَالكِتَابُ وَالْقَلَمُ  
مُلْكُهُ مَا فِيهِ حَدٌّ أَوْ نُعُوزُ  
واعْتِدَالٌ فِيهِ قَاسَ الْمُمَكِّنَاتِ  
قَلْبُهُ قَدْ أَغْرَقَتْ فِيهِ الدُّهُورُ  
هَذِهِ الدُّنْيَا لَهُ لَمْ تَتَّسِعْ  
وَاخْتَلَى يَوْمًا فَجَبْرَائِيلُ نَائِي<sup>(١)</sup>

وَعَنِ الْأَفْلَاقِ أَعْلَى قَدْرَهُ

وَالْحَمِيدُ مَنْ تَغْنَى شُكْرَهُ

أَنْ تُرَى اثْنَيْنِ ، وَفَرَّدَ مِنْ عَشِيقَتَنَا  
يَزُومَانِ شَوْقَ تِلْكَ الْكَائِنَاتِ<sup>(٢)</sup>  
طَبَعُهَا لَوْحٌ لِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ<sup>(٣)</sup>  
جَوْهَرٌ فِيهَا أُنْمٌ خَلَقْنَا  
وَبَثَّ الْعَيْشِ فِي وَهْجِ الشُّعُورِ<sup>(٤)</sup>  
لَمْ يُلَخَّ جِسْمٌ وَرُوحٌ لِلنَّظَرِ  
رَسَمْتَنَا وَأَجَادَتْ رَسْمَنَا

إِنْ حَبَاكَ اللَّهُ عَقْلًا لِلتَّفَكُّرِ

طَهَّرَ النَّفْسَ بِتَقْدِيرِ لَهَا أَنْظُرْ

يَكْشِفُ السِّرَّ الْخَفِيِّ قَوْلَنَا

الْحَيَاةُ مِنْهُ كَانَتْ وَالرُّدَى  
الإِمَامُ وَالصَّلَاةُ وَالْحَرَمُ  
غَيْبُهُ يُمَسِّي رُؤَيْدًا ذَا الْحَضُورِ  
مِنْهُ كَانَ اغْتِبَارُ الْكَائِنَاتِ  
يَالَهُ بَحْرًا بِلَا شَطْطٍ يَفُورُ  
إِنَّمَا الْإِنْسَانُ دُنْيَا قَدْ وَسِيعُ  
وَتَجَلَّى فَلِذَا نَوْرُ السَّمَاءِ

مَا الْحَيَاةُ يَا بَصِيرٌ هَلْ فَهِمْنَا  
يَزْبِطُ الْجَنْسَيْنِ مَوْصُولُ الصَّلَاتِ  
تُشْعَلُ الْمَرْأَةُ نِيرَانَ الْحَيَاةِ  
أَضْرَمَتْ فِي الرُّوحِ مِنْهَا نَارَنَا  
مَمَكِنَاتُ الْعَيْشِ مِنْهَا فِي الضَّمِيرِ  
إِنْ يَغِيبُ عَنْ هَذِهِ النَّارِ الشَّرَرُ  
مَا لَنَا مِنْ قِيَمَةٍ ، مِنْهَا لَنَا

أَفْسَدَ الْإِيمَانَ فِيكَ عَضْرْنَا

= قَلَمُونَ ﴿ [ البقرة : ٣٠ ] ومعنى استخلاف الله آدم في الأرض أنه سيكون له سلطانٌ عليها ، وسيصرف في موادها ليجعلها ملائمةً لحاجاته .

(١) يقول : إن جبريل لم يقتحم عليه عزله .

(٢) الجنسان : المراد بهما الرجل والمرأة .

(٣) اللوح : ما يكتب فيه .

(٤) الوهج : اشتعال النار .



في الجسوم الخلقُ نارٌ تَتَّقِدُ  
 من يَنَلُ من هذه النَّارِ النَّصِيبَا  
 إِنَّه ذو الرأيِ فيما قَدْ عَمِلُ  
 مُدَّةً في الغارِ ظلَّ المصطفى  
 رَسَمْنَا قَدْ أَعْرَقُوا في مُهَجَّتِه  
 وعلى إنكار ربِّ إن قَدْزْنَا  
 لو أنارت فيك روح كالكلِيم

فالخيالُ فيك تحيي عزلةً

ثم تأتي بعد بحثٍ ضالَّةٌ<sup>(٢)</sup>

من مقاماتِ لنا علمٌ وشوق  
 بهجةٌ للعِلمِ تحقيقٌ دقيق  
 صاحبُ التَّحقيقِ رامَ المُنجلي  
 عينُ موسى رؤيةَ الدُّنيا أرادت  
 ﴿لن تراني﴾ إنّها المعنى الدَّقِيق  
 إن تُلخ للعِينِ آثارُ الحياة  
 هذه الآفاقُ بالعينِ ازْمُقِنُ

لهما فيما جرى لِلقُومِ حَقُّ  
 متعةٌ لِلعُشوقِ خَلقٌ قَدْ يَلِيقُ  
 صاحبُ الخَلقِ بذاتٍ يَخْتَلِي  
 وإليها رغبةَ التَّحقيقِ سَاقَتْ  
 وَلتَضِعْ فِيهِ فذا البَحْرُ العَمِيقُ<sup>(٣)</sup>  
 تستمدُّ النبعَ جوفَ الكائنات  
 وتجلِّي رُبَّها لا تَطْلُبُنُ

(١) اغْتَمَلَ : عَمِلَ عملاً يتعلّق به دون سواه . والمبتكر : المجدّد لا يقلّد غيره .

(٢) الضَّالَّةُ : الناقصة الضائعة التي لا يعرف لها صاحب . والمراد هنا ما يراد معرفته .

(٣) الشاعر يريد قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ نُنظِرُكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا سَجَدَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَمْعًا دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَوْعًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ الأعراف : ١٤٣ ] وقد تضاربت أقوال المفسرين في معنى تلك الآية

الكريمة . وفي شعرٍ لجلال الدين الرُّومي : أن الله خالقُ الوجود من العدم ، والرؤية لا تكون إلا لما ظهر وخلق .

خلوة تحفظ كل من صنع  
جوهرأ في خاتم كانت لمع<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## الحكمُ الإلهيُّ

إنَّ عبدَ الله لا يبغى المقاما  
إنَّه حرٌّ وذو نفسٍ زكَّية  
دينه والعُزفُ من ربِّ كريم  
جازَ عقلٌ في الغرورِ حدَّه  
خيرٌ كلُّ النَّاسِ يبغى وحيَ ربِّي  
ويكونُ السُّلْمُ أو حتَّى المَصافِ  
وإذا الإنسانُ أضحى أمرا  
وإذا الإنسانُ أضحى أمرا  
ماله عبدٌ ولا كانَ الغلاما  
مُلْكُه هذا من المولى عَظيمة<sup>(٢)</sup>  
خلوةُ والمُرُّ من ربِّ عظيم  
وله النَّفْعُ تمنى وَخَدَه<sup>(٣)</sup>  
ويرى الخَيْرَ نداءً كي يلبِّي  
لا يراعي منصفٌ بل لا يخاف<sup>(٤)</sup>  
كانَ لِلْمسكينِ حتماً قاهرا  
وَمِنَ القَهْرِ صُدُورُ أيِّ أمر  
ولغير الله أمرٌ مخضٌ كُفِر  
من قواين بنى حصناً له  
صعوةٌ في أمره قد يَسْتَشِيرُ<sup>(٥)</sup>  
يضعُ الإثمَدَ في العينِ الصَّريرة<sup>(٦)</sup>  
قهره القانون ، مفقودُ البصيرة

(١) يقول : إنَّ الخلوة تحمي كلَّ من أوجد شيئاً ، وهي فصٌّ من الجوهر لخاتمه .

(٢) الزكية : الطاهرة .

(٣) جاز : تجاوز .

(٤) المصاف : الموقف في القتال .

(٥) الذُّرى : جمع ذروة وهي أعلى الشيء . والصَّعوة : أنثى الصَّع وهو عصفور صغير .

(٦) الإثمَد : الكحل .

صاحبُ الأرضِ البدين ، كان شِرْعه  
والتَّحِيلُ زارعٌ ما اقتاتَ زَرَعَه<sup>(١)</sup>

بشَسَ ما في الغربِ حقاً حُكْمُهُمْ  
يسحرونَ ، خَدَعُ دَهْرٍ خَدَعُهُمْ  
يَسْرِقُونَ ، ذا ثريُّ ذاكَ كَادِحِ  
يَكشِفُ السرَّ جليّاً قولنا  
جَفَنُهُمْ في المالِ حُبّاً قد جَمَدَ  
ويلهم ! خوفاً على حُلُوِ الثَّمَرِ  
ولكَيْلا يبعثُ العودُ الرِّينَا  
عِنْدَهُمْ من كلِّ فنٍّ كَثْرَةٌ  
ويزيدُ الميتَ موتاً صُوْرُهُمْ<sup>(٢)</sup>  
من شعوبِ الأرضِ كان نَزْدُهُمْ<sup>(٣)</sup>  
بالعداءِ بعضُهُم للبعضِ كاشِحِ<sup>(٤)</sup>  
سلعةٌ نحنُ وهُمْ تُجَارُنَا  
كلُّ أمٍّ آدها ثِقْلُ الوَلَدِ<sup>(٥)</sup>  
يُخْرِجُونَ الماءَ من جِدْعِ الشَّجَرِ !  
في البطونِ قَتَلُوا حتَّى الجنيْنَا  
كلُّ ما حصَلتَ منهم عِبْرَةٌ

يا أسيراً كانَ مِن تَقْلِيدِهِمْ  
الكتابَ اقْرَأ ، وَعُدْ من أسْرِهِمْ<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

## الأرضُ ملكُ اللهِ

إنَّما الإنسانُ في شرقٍ وِغَرْبِ  
كعروسٍ ولها كُنَّا الرُّجَالا  
لامتلاكِ الأرضِ في حربٍ وِضَرْبِ  
سَحَرْتُنَا ، قَطُّ ما نلنا الوِصَالا

(١) البدين : السَّمين . والشَّرْعَةُ : الشريعة . واقتات الشيء : اتخذه قوتاً .

(٢) الصُّور : ما ينفخ فيه إسرافيل يوم القيامة ليعث من في القبور .

(٣) النرد : شيءٌ معروفٌ يلعب به مع تحريك قطعٍ من العاج على لوحٍ من الخشب .

(٤) كشح له بالعداوة : أضمرها له .

(٥) جمدت العين : قل دمعها ، أو انقطع . وآده الحمل : أنقله .

(٦) الكتاب : القرآن الكريم .

ضَمَّنَتْ كُلَّ خَدَاعٍ دَلَّهَا  
 أَيُّ شَيْءٍ رُفَّتَ مِنْ ذَلِكَ الْحَجَرِ  
 وَعَنِ الْيَقْطَانِ مَنْ نَامَ افْتَرَقَ  
 هَذِهِ الْأَرْضُ مَنْحَاهَا مَتَاعًا  
 مَالِكَ الْأَرْضِ إِلَيْكَ الْقَوْلُ عَنْهَا  
 وَالْإِمَامَ لَيْتَ شِعْرِي تَبْقِيَانِ  
 طُفَّ بِأَفْلَاكِ السَّمَاءِ كَالْعُقَابِ  
 فِي هَوَاهَا إِنَّنَا لَسْنَا لَهَا<sup>(١)</sup>  
 إِنَّهُ الْبَاقِي وَأَنْتَ فِي سَفَرٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَمَعَ السَّيَّارِ ضِدًّا مَا اتَّفَقَ<sup>(٣)</sup>  
 مِنْ شَرَاهَا مَنْحَةً يَوْمًا وَبَاعًا<sup>(٤)</sup>  
 اتَّخَذَ رِزْقًا وَقَبْرًا ثُمَّ دَعَاهَا<sup>(٥)</sup>  
 قَدْ تَظَلُّ وَتَعْيِبُ عَنْ عِيَانِ<sup>(٦)</sup>  
 كُنْ طَهْرًا وَاجْتَنِبْ رِجْسَ التُّرَابِ<sup>(٧)</sup>

إِنَّمَا الْأَرْضُ لِرَبِّي ، ذَاكَ ظَاهِر  
 كُلُّ مَنْ أَنْكَرَ هَذَا فَهَوَ كَافِر

لَمْ أَقْلُ دَعُ عَنْكَ هَاتِيكَ الدِّيَارَا  
 أَرَفَعَنْ عَنْ جَوْهَرِ الْأَرْضِ التُّرَابَا  
 فِي الْجِبَالِ اضْرِبْ بِفَأْسِ صَخْرَهَا  
 وَطَرِيْقُ آزَرَ فَلْتَجْتَنِبْهَا  
 بِالْجَمَالِ لَا تَصِلْ قَلْبًا سَقِيمَا  
 عَالِمًا تَمْلِكُ مِنْ حَسَنِ أَنْارَا  
 التَّقْطُ حَبَّ النُّجُومِ طِرْ عُقَابَا  
 وَبِنُورِ مِنْكَ أَوْقِدْ نَارَهَا  
 وَكَمَا تَهْوَى لِكَ الدُّنْيَا أَقْمَهَا<sup>(٨)</sup>  
 أَعْطِهَا قَلْبًا لَهَا كَانَ الْحَرِيمَا<sup>(٩)</sup>

(١) الدَّل : الدلال . ويقول : إنها لا تقبل عشاقها .

(٢) الحجر هنا رمز إلى الدار والوطن . والإنسان سوف يرحل عن دنياه وما البقاء إلا لوطنه وداره من بعده .

(٣) السَّيَّار هو الكوكب السيار ، وضدّه الكوكب الثابت .

(٤) شَرَى الشَّيْء : اشتراه . والمنحة لا تباع ولا تشتري .

(٥) يقول : حسبك أن تجني من الأرض رزقك ، وتحفر فيها قبرك .

(٦) ليت شعري : ليتني أشعر أي ليتني أعلم .

(٧) العقاب : من جوارح الطير . والرَّجْس : القذر .

(٨) آزر : هو أبو إبراهيم عليه السلام . وجاء في سورة الأنعام قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [ الأنعام : ٧٤ ] .

(٩) الحریم : كل موضع تلزم حمايته . يقول : إنَّ القلب يحيطُ بتلك الأرض وتلزمُ حمايتها وحمايته .

أَمْوَتْ؟ مَا لَنَا مَالٌ وَقَبْرُ أَنْضِيعُ؟ وَلَنَا أَهْلٌ وَوَفْرٌ<sup>(١)</sup>  
« لا إله » وَلَهَا الْقَلْبُ اتَّسَعُ عَالِمًا فِي الذَّاتِ إِنْسَانٌ جَمَعُ  
كَيْفَ فَقْرُ الْجُوعِ أَوْ فَقْرُ الْعُرَاةِ  
حُكْمُ سُلْطَانٍ ، فَدَعَّ ذِكْرَ الْعُفَاةِ<sup>(٢)</sup> !

\*\*\*

- 
- (١) الوفير : الكثير من المال .  
(٢) يقول : إِنَّ الْفَقْرَ هُوَ حَكْمُ الْحَاكِمِ . وَالْعُفَاةُ : السَّائِلُونَ وَالْفُقَرَاءُ . وَالْمُرَادُ بِهِمْ هُنَا الرُّهَادُ .

القسم الثالث

فَأَنكَرُكُ زُحَل



## الحكمةُ خيرٌ كثير

قال ربِّي إنَّها الخَيْرُ الكَثِيرُ  
ولحرفٍ وَهَبَ العِلْمُ الجناحا  
والى الأفلاكِ عِلْمٌ قَدْ طَلَعُ  
لِلوُجُودِ ، ما يرى تَفْسِيرَهُ  
لِلصَّحارى قال جودي بِالْحَبَابِ  
عِنه دوماً على ما قَدْ جَرَى  
كَنَبِي ، رَبِّه إِمَّا ذَكَرَ  
وَيَغَيِّرِ القَلْبِ عِلْمٌ كانَ شَرًّا  
مِنَ دُخانِ عالِمٍ أَضحى كَفِيفاً  
الفيافي والرِّياضُ النَّاضِرَاتِ  
صَدْرُ أهْلِ الغَرَبِ يُضَيِّنُهُ اللِّهَابِ  
نَكَّسُوا الأَوْضاعَ في أَيامِنَا

إِنْ تَجِدُهُ فاغْتَنِمَهُ يا بَصِيرُ<sup>(١)</sup>  
لِلخَسِيسِ رونقَ الغالي أتاحا<sup>(٢)</sup>  
نظرةً من مُقَلَّةِ الشَّمْسِ اقتَلَعُ  
والمَصِيرُ لِلوَرَى تَقْدِيرُهُ<sup>(٣)</sup>  
لِلبحارِ قال مُوجي بالسَّرابِ<sup>(٤)</sup>  
أصلَ تِلْكَ الكائِناتِ كي يَرى  
وبقطعِ الفِكرِ عن رُبِّ كَفَرُ<sup>(٥)</sup>  
نورُهُ الظُّلْماءِ بحرٌ ضَلَّ بَرًّا  
والرَّبِيعُ فيه قَدْ أَمسى الخَرِيفا<sup>(٦)</sup>  
والجبالِ هَدَمَتْها الطَّائِراتِ  
لذَّةً لِلسَّطَوِ والغَزْوِ اسْتَطابُوا<sup>(٧)</sup>  
نَهَبُوا الأموالَ مِنْ أقوامِنَا

(١) قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ [ البقرة : ٢٦٩ ] .

(٢) أتاح : هَيَأَ .

(٣) أي أَنَّ ما يراه العلم ، ويحكم به ، هو وحده ما يفسَّر الوجود .

(٤) الحَبَابُ : النفاخات على سطح الماء . والسَّرابُ : ما يشاهد نصف النهار كأنه ماء .

(٥) إِمَّا : تتألف من إن الشرطية وما الزائدة .

(٦) الكفيف : الأعمى . أي أَنَّ المتصاعد من الدخان والغاز يعمي العيون .

(٧) اللهب : مصدر من لهبت النار أي اشتعلت .



واستمذوا بَطْشَ إبليسَ الرَّجِيمِ      تَضِيحُ الْأَنْوَارُ نَاراً بِالْجَحِيمِ<sup>(١)</sup>  
قَتْلُهُ مَا زَالَ كَالْأَمْرِ الصَّعُوبِ      إِنَّهُ قَدْ ضَاعَ فِي عُمُقِ الْقُلُوبِ<sup>(٢)</sup>  
كَانَ أَوْلَى مُؤْمِناً أَنْ تَجْعَلَهُ      وَبَسِيفٍ لِلْكِتَابِ تَقْتُلُهُ<sup>(٣)</sup>  
مَا جَلالٌ لَيْسَ فِيهِ مِنْ جَمالٍ !      أَيُّ هَجْرٍ ذاكَ يَخْلُو مِنْ وَصالٍ !  
عَلِمْنَا بِالْعِشْقِ عِلْمُ الْمُؤْمِنِنا      وَبِغَيْرِ الْعِشْقِ عِلْمُ الْكافِرِنا  
جِئْتُ عِلْمٌ لَنَا ما لَمْ نُحِبْ      وَلِنا الْعَقْلُ كَسَهُمْ لَمْ يُصِبْ  
هَبْ عِيُونَ الْعُمِّي نوراً تَشْهَدُهُ  
واهدِ لِلإيمانِ مَنْ تَبَّتْ يَدُهُ<sup>(٤)</sup>

### زندہ رود

محكماتٌ لي أُنبتَ في الكتابِ      عالمٌ ما زالَ يطوي في الحِجابِ<sup>(٥)</sup>  
النَّقابُ عن جبينِ ما رَفَع      ولماذا مِنْ فُؤادٍ ما طَلَع  
وَلَدَيْنَا عَالِمٌ فِيهِ الدَّيْبُ      لِلبلى ، والنَّومِ فِيهِ لِلشُّعوبِ  
في التَّارِ خَمَدَتْ نارُ الغِلابِ      أَلِمَنْ أَسْلَمَ موْتُ وَالكِتابِ<sup>(٦)</sup>

### سعيد حلیم باشا

إِنَّ دِينَ الْحَقِّ كَالْكَفْرِ الضَّرْحِ      إِنَّ تَرْدَى الشَّيْخُ فِي الْكُفْرِ الْمَباحِ!!<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) يقول إنهم عززوا قوتهم بقوة إبليس . ومعاشرة أهل الجحيم تجعل النور ناراً .  
(٢) الصَّعُوب : الصَّعْب . ويصعب قتل إبليس لأنه اختفى في القلب .  
(٣) الكتاب : القرآن .  
(٤) يقول : هب عيون العميان بصرأ لرؤية الله بقلوبهم : ومن تبَّت يده هو أبو لهب . قال تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [ المسد : ١ ] .  
(٥) الكتاب : القرآن .  
(٦) غالبه غلاباً بمعنى قاهره .  
(٧) الضَّرْح : الخالص . وتردَّى في الشيء : سقط .

طَلْنَا يَبْدُو كَبَحْرٍ عِنْدَنَا      وَيُرَى فِي الْبَحْرِ هَذَا طَلْنَا! (١)  
 مِنْ أَعَاجِبٍ لِمَنْ بَاعَ الْكِتَابَا      كَمْ تَعَالَى صَوْتُ جَبْرَيْلَ انْتِحَابَا  
 فِي السَّمَاءِ لَمْ تَشْفُهُ جَوْلَةً      عِنْدَهُ أُمَّ الْكِتَابِ قَوْلُهُ (٢)  
 مَا نَصِيحاً نَالَ مِنْ دِينِ النَّبِيِّ      فِي ظِلَامٍ لِضِيَاعِ الْكَوْكَبِ  
 وَضَرِيرُ الْقَلْبِ يَهْدِي فِي النَّفَاقِ      تَعْمُهُ الْأُمَّةُ مِنْهُ فِي الشَّقَاقِ (٣)  
 مَكْتَبٌ ، شَيْخٌ ، وَأَسْرَارُ الْكِتَابِ      أَكْمَهُ وَالشَّمْسُ كُمْهَا لَا تَحَابِي (٤)

دِينٌ مَنْ يَكْفُرُ تَدِيرَ الْجِهَادِ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَيْخٌ فِي الْفَسَادِ

« رَجُلٌ اللَّهُ لِدُنْيَا الرُّوحِ كَانَا »      قُلْ لِمَنْ فِي عِزَّةِ الرُّكْنِ اسْتِكَانَا!  
 أَنْتَ يَا مَنْ لِلْحَيَاةِ الْفِكْرُ مِنْكَ      وَثَبَاتُ الشَّعْبِ قَوْلٌ قِيلَ عَنْكَ  
 حَفِظْتُ قَوْلِ اللَّهِ كَانِ دَيْدُنُكَ      نَشْرُهُ فِي النَّاسِ كَانِ مَذْهَبُكَ  
 ازْفَعِ الرَّأْسَ تَكَلَّمْ يَا كَلِيمِ      مَنْ يَدَيْكَ يَضْدُرُّ الْأَمْرُ الْعَظِيمِ  
 عَنِ بِيَاضِ الشَّعْبِ حَدَّثْنَا طَوِيلَا      وَتَذَكَّرْ بِالْفَلَا ظِيماً جَمِيلَا (٥)

أَنْتَ حَقًّا مَسْتَنِيرٌ مِنْ مُحَمَّدٍ

وَضَعْنَا الْحَالِي فَصْفَهُ ، أَيْنَ نُوْجِدُ!

مَا اسْتَمَدَّ رَجُلُ اللَّهِ الْبَشَرَ      وَاسْتَمَدَّ مِنْ إِلِهِ قَدْ غَفَرَ

- (١) الطَّلُّ : النَّدى .  
 (٢) أم الكتاب : اللوح المحفوظ . وكلُّ العلوم منسوبة إليه ومتولدة منه . يقول : إن هذا الشيخ لا يبحث فيما وراء الطبيعة ، ولا يعرف القرآن حقَّ المعرفة .  
 (٣) يهذي : يتكلم بغير معقول . ويعمه : يتردد في الضلال ، ويتحير في طريقه ، وكلامُ هذا الشيخ يوقع الناس في الحيرة والخلاف .  
 (٤) الكمه : جمع أكمه وهو من ولد أعمى .  
 (٥) قال تعالى في سورة طه : ﴿ وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ [ طه : ٢٢ ]  
 وبيضاء ؛ أي : مشعة . ومن غير سوء : من غير عاهة . والفلا : جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة .

كَلَّ يَوْمَ سَعِدَتْ رُوحُ بِقَرْبِهِ      كَلَّ يَوْمَ كَانَ فِي شَأْنِ كَرْبِهِ  
 مُؤْمِناً أَوْقَفَ عَلَى السَّرِّ الْخَفِيِّ      « كَلَّ يَوْمٍ » مُدًّا بِالشَّرْحِ الْجَلِيِّ<sup>(١)</sup>  
 مَا لِرَكْبٍ نَزَلَ إِلَّا الْحَرَمَ      فِي قُلُوبٍ مِنْهُمْ اللهُ الْحَكَمَ  
 وَطَرِيقاً آخِراً مَا إِنْ ذَكَرْتَ  
 نَظْرَةً أُخْرَى لَهُمْ مَا إِنْ عَرَفْتَ

\*\*\*

## الأفغانيُّ

مَنْ حَدِيثِ الْمُصْطَفَى نِلْتَ النِّصِيَا؟      كَانِ دِينُ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا غَرِيباً<sup>(٢)</sup>  
 إِنَّهُ قَوْلٌ مِنَ الْأَقْوَالِ بِكَزْ      مَا عَنِى بِالْفَقْرِ قَطُّ أَهْلُ ذِكْرِ  
 عَنْهُ مَشْغُولٌ بِبَحْثِ حُقْبَةٍ      نَدْرَةُ الْآيَاتِ كَانَتْ غُرْبَةً<sup>(٣)</sup>  
 إِنَّهَا فِي كُلِّ عَضْرِ تَخْتَلِفُ      أَفْهَمَنَّ مَا أَقُولُ يَا ثَقِفُ<sup>(٤)</sup>  
 أَمْنَحِ الْقُرْآنَ مَنْ فَكَّرِ مَزِيدَا      وَكَمَا شِئْتَ افْتَتِحْ عَصراً جَدِيدَا  
 عَنْ كِتَابِ اللهِ مَنْ زَاخَ السُّتَارَا      فِيهِ أَهْلُ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ الْحَيَارَى<sup>(٥)</sup>  
 هَوْلَاءِ الرُّوسِ شَيْئاً أَبْدَعُوا      أَوْجَدُوا الْخُبْرَ وَدِينَا ضِيَعُوا

(١) جاء في سورة الرحمن : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ قُلْ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ بمعنى يفنقر إليه كل من فيهن ويطلب منه الرزق والعون . وهو يغفر ذنباً ويشفي سقيماً ويسقم سليماً ويغفر غنياً ويغني فقيراً ويرفع قوماً ويضع آخرين .

(٢) التلميح إلى قوله ﷺ : ( بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ) أي : أن المؤمنين المُتَمَسِّكِينَ بإيمانهم سوف يجدون أنفسهم في مقبل الأيام بين قوم غرباء ، كما كان شأنهم في أول أمرهم . وهذا يذكرنا بحديث آخر ، وهو : ( يأتي زمانٌ يكون فيه القابضُ على دينه كالقابضِ على الجمر ) .

(٣) الحُقْبَةُ : المدة من الدهر ، لا وقت لها .

(٤) الثَّقِفُ : الحاذق الفطن .

(٥) زاح : أزاح .

بِاللِّسَانِ الْحَقِّ قُلٌّ وَانظُرْ بِعَيْنٍ  
أَبْلَغَنَّ الْقَوْمَ مِنِّْي لَفْظَتَيْنِ

\*\*\*

## رسالة الأفغاني إلى شعب روسيا

إِنَّ لِلْقُرْآنِ قَضَدًا آخِرًا      وَيَرَى فِي الشَّرْعِ هَذَا مِنْ يَرَى  
قَلْبُهُ مَا فِيهِ نَارٌ تَسْتَعِزُ      صَدْرُهُ فِيهِ النَّبِيُّ لَمْ يَسْتَقِرْ  
ثَمَرَ الْقُرْآنِ عَبْدٌ مَا أَكَلُ      فِي يَدِ كَأْسٍ دِهَاقًا مَا حَمَلُ<sup>(١)</sup>  
قِيصراً أَفْنَى وَكِسْرَى حَطْمًا      وَاعْتَلَى عَرْشاً لَهُ كِي يَحْكُمَا  
دَوْحَةُ السُّلْطَانِ طَالَتْ وَاسْتَوَتْ      صُورَةٌ لِلْمَلِكِ فِي الدِّينِ انْطَوَتْ

وَمَنْ الْمَلِكِ اخْتِلَافُ النَّظَرَةِ

وَاخْتِلَافُ الْعُرْفِ بِلِ وَالْفِكْرَةِ

أَنْتَ أَرْسَيْتَ الْأَسَاسَ الْمُخْتَلِفُ      وَمَنْ الْمَاضِي قَلُوباً تَقْتَطِفُ  
نَحْنُ فِي الْمَاضِي هَدَمْنَا الْكِسْرَوِيَّةَ      أَنْتَ قَوَّضْتَ بِنَاءَ الْقِيَصَرِيَّةِ  
كِي تُنِيرَ الْيَوْمَ مِصْبَاحَ الضَّمِيرِ      عِبْرَةً مَنَا اتَّخَذَ عَبْرَ الْعُصُورِ  
وَلْتُنَبِّتْ قَدَمَيْكَ فِي الْمَصَافِ      حَوْلَ أَصْنَامِ حِذَارٍ مِنْ طَوَافِ<sup>(٢)</sup>  
هَذِهِ الدُّنْيَا الْعَجُوزُ قَدْ أَرَادَتْ      شَعْبَهَا شَيْخاً وَمِنْ شَيْخِ أَفَادَتْ<sup>(٣)</sup>  
ثُمَّ وَلَّ الْوَجْهَ نَحْوَ الْمَشْرِقِ      كَيْفَ تَنْسَى يَوْمَ مَاضٍ مُعْرِقِ<sup>(٤)</sup>  
شَعْلَةً أُخْرَى بِرُوحٍ تُوقَدُ      وَلَكَ الْعَصْرَ الْجَدِيدَ تُوجَدُ

(١) الدِّهَاقُ : الممثلة .

(٢) المِصْبَاحُ : موقف القتال .

(٣) أَفَادَ : استفاد . وكأنها تستفيد من شيخ يعظها وينصحها .

(٤) وَلَّ : وجه . المُعْرِقُ : العريق في الكرم . يريد ليقول : إنَّ بين الرُّوسِ والشرقِ

صِلاتٌ تاريخيةٌ مجيدةٌ .

إِنَّ دِينَ الْغَرْبِ قَدْ أَمْسَى رَمِيمًا      لَا تَشَاهِدُ ذَلِكَ الدَّيْرَ الْقَدِيمًا<sup>(١)</sup>  
 وَتَلَلْتُ الْحَاكِمِينَ الْيَوْمَ تَلًّا      أَتْرُكُنَّ « لَا » وَلْتَيِّمَنَّ نَحْوَ « إِلَّا »<sup>(٢)</sup>  
 إِنَّ « لَا » ضَمِنَ كَلَامَ كَانَ نَفِيًّا      أَنْتَ بِالْإِثْبَاتِ خُذْ دَوْمًا لَتْحِيًّا<sup>(٣)</sup>

وَإِذَا شِئْتِ نِظَامَ الْعَالَمِ

فَلِيَكُنْ فَوْقَ الْأَسَاسِ الْمُخْتَمِ

وَمَنْ التَّارِيخِ تَمَحُّو كُلَّ بَابٍ      فَاقْبِسِ الْأَنْوَارَ مِنْ أُمَّ الْكِتَابِ  
 مَنْ يَقُولُ مَاتَ كِسْرَى مَاتَ قَيْصَرٌ؟      بَيْنَ سَوْدٍ بِالْيَدِ الْبَيْضَاءِ بَشْرٌ؟<sup>(٤)</sup>  
 دَعَاكَ مَنْ هَذَا التَّجَلِّي لِلشَّيَاتِ      أَتْرُكُ الْغَرْبِ وَأَذْرِكُ كُنْهَ ذَاتِ<sup>(٥)</sup>  
 وَبِمَكْرِ الْغَرْبِ إِنْ كُنْتَ الْخَيْرَا      لَا تُقَلِّدْ ثَعْلَبًا بَلْ كُنْ هَضُورًا<sup>(٦)</sup>  
 أَمَلُ الثَّغْلَبِ فِي الدُّنْيَا طَعَامٌ      قَوْلُ أُسْدِ اللَّهِ « حُرٌّ أَوْ حِمَامٌ »<sup>(٧)</sup>  
 يُضْبِحُ الثَّعْلَبُ ذِيكَ الْأَسَدِ      دُونَ قُرْآنٍ ، وَمُلْكٍ مَا اسْتَنْدُ  
 فَفَرُّهُ مُلْكٌ وَذِكْرُهُ نَمٌّ فِكْرٌ      وَاهِبِ الْفِكْرِ الْكَمَالَ كَانَ ذِكْرٌ  
 كَانَ تَهْذِيبًا لِأَشْوَاقٍ وَذَوْقٌ      إِنَّهُ فِي الرُّوحِ ، لَمْ يُوجَدِ بِحَلْقٍ  
 فِي الضُّدُورِ مِنْهُ نَارٌ تَلْتَهَبُ      وَأَجِيجُ النَّارِ لَمَّا تَسْتَطِبُ<sup>(٨)</sup>

يَا شَهِيداً فِي هَوَى الْفِكْرِ الْجَمِيلِ

ذَا تَجَلَّى الْفِكْرِ فِي قَوْلٍ طَوِيلِ

(١) الرميم : العظم البالي .

(٢) تل : صرع . ويمم : وجه . والإشارة في « لا » و « إلا » إلى « لا إله إلا الله » .

(٣) دوماً : دائماً .

(٤) السود : العرب .

(٥) الشيات : الألوان .

(٦) الهصور : الأسد .

(٧) الحمام : الموت . والمعنى نعيش أحراراً أو نموت .

(٨) أجيح النار : تلهبها . لما تستطب : لم تستحسن إلى الآن .

ما هو القرآن؟ هللك الظالمينا  
 أهل جزص أي خير حققوا  
 ليس من هذا الربا إلا الفتن  
 يجعل الإنسان صخري الفؤاد  
 عن منال رزق أرض ما امتناع!  
 الأمين العبد والرحمن مالك  
 الملوكة نكسوا الله رايه  
 والخلاص كان للمستعبدينا<sup>(١)</sup>  
 ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا﴾<sup>(٢)</sup>  
 من درى ما لذة القرض الحسن؟  
 أو كليث أذرد وسط المصاد<sup>(٣)</sup>  
 ملك رب وهي للعبد المتاع  
 كل شيء غير وجهه الله هالك<sup>(٤)</sup>  
 والقرى من ظلمهم في الذل غايه<sup>(٥)</sup>

خبزنا والماء تحوي مائده

إنما الناس كنفس واحده<sup>(٦)</sup>

صورة القرآن لما أظهرت  
 وأقول ما بقلبي يضمرو  
 مشبه الرحمن يخفي وهو ظاهر  
 ولغزب فيه أقدار وشرق  
 قال جُذ بالروح جُذ للمسلم  
 أنت يا من ذلك الشرع اتخذت  
 صوراً أخرى سواها أبطلت  
 أكتاب ذاك؟ شيء آخر؟  
 دائم حي ومنطبق يجاهرو<sup>(٧)</sup>  
 كُن سريع الفهم أسرع مثل برق  
 فوق ما تحتاج طوعاً قدام  
 في كتاب الله نوراً لورائنا

(١) الهلك : الهلاك .

(٢) قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا يُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّكَ اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [ آل عمران : ٩٢ ] .

(٣) الأرد : من ذهب أسنانه . والمصاد : مكان الصيد .

(٤) يذكر بقوله تعالى في سورة القصص : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [ القصص : ٨٨ ] .

(٥) الإيماء إلى قوله تعالى في سورة النمل : ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾ [ النمل : ٣٤ ] .

(٦) قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [ الأنعام : ٩٨ ] .

(٧) المنطبق : البليغ . ويجاهر : يرفع الصوت .

لَعَرَفْتَ مَا تَعَالَى وَانْحَدَزَ

فِي الْحَيَاةِ وَفَهِمْتَ مَا الْقَدَزَ

مَا مَعَ السَّاقِي حَوَانَا الْمَخْفَلُ      مِعْزَفُ الْقِرَانِ دوماً يَهْدَلُ<sup>(١)</sup>  
لَوْ خَلَا عِزْفٌ لَدَيْنَا مِنْ أَثَرِ      فِي السَّمَاءِ لاسْتَمَعْنَا لِلْوَتْرِ  
ذَكَرُ رَبِّي عَنْ شُعوبٍ فِي غِنَى      لِمَ زَمَانٍ وَمَكَانٍ مَا انْثَى<sup>(٢)</sup>  
أَيَنْ مِنْ ذِكْرِ لِرَبِّي مِنْ ذَكَرِ      مَا لِرُومٍ مَا لِشَامٍ مِنْ خَبَرِ<sup>(٣)</sup>  
لَوْ أَرَادَ اللَّهُ عَنَّا حَمَلَهُ      لاسْتَطَاعَ لِسَوَانَا نَقْلَهُ<sup>(٤)</sup>  
ذَلِكَ التَّقْلِيدُ فِينَا قَدْ رَأَيْتُ      رِغْدَةً لِلرُّوحِ فِي جِسْمِي وَجَدْتُ<sup>(٥)</sup>  
فِي غِدِّ قَدْ يُخْرَمُونَ ذِكْرَهُ  
وَيَقْلِبُ الْغَيْرِ يَلْقَى نَارَهُ

\*\*\*

## جلال الدين الرومي

يرغب إلى زنده رود أن يقول شعراً

إِنَّمَا الرَّؤْمِيُّ فِي جَذْبٍ تَفَجَّرَ      وَعَرَفْتُ الْقَوْلَ فِيهِ كَيْفَ أَثَرُ  
صَعَّدَ الرَّزْفَرَةَ نَاراً لِلْكَبُودِ      سَكَبَ الدَّمْعَ دِمَاءً لِلشَّهِيدِ<sup>(٦)</sup>  
بِالسَّهَامِ رَاشِقٌ قَلْبَ الرَّجَالِ      سَيِّدُ الْأَفْغَانِ خُصَّ بِالْمَقَالِ<sup>(٧)</sup>

(١) المِعْزَفُ : آلة الطرب . وَهَدَلُ الْحَمَامُ : صَوَّت .

(٢) يقول : إِنَّ ذَكَرَ اللَّهُ لَيْسَ خَاصاً بِشَعْبٍ خَاصٍّ ، وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَى زَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ .

(٣) يريد ليقول : إن ذكر الله منفصلٌ عن ذاكِره ، ولا صلة له بالمكانية .

(٤) غرضُ الشاعِر أنَّ الله لا يَخْصُّ بِذِكْرِهِ قوماً بَعِينَهُمْ .

(٥) يعيب التقليد عند المسلمين .

(٦) الكبود : جمع كبد .

(٧) المراد بسيد الأفغان السيد جمال الدين الأفغاني .

« حمرة للأفق ضغها في الوتين  
 بالمُنَى الأرواح سَيْلٌ ذُو زَبْدٍ  
 وأشار ثم قال « زنده رود  
 ناقةٌ من أينها ضاقت خُطاها  
 امتحانُ الطَّاهِرِينَ بالبلاء  
 وَعَنِ النَّيْلِ ابْتِعِذْ مِثْلَ الْكَلِيمِ  
 وسموطَ الحقِّ أمْسِكْ بِالْيَمِينِ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّمَا الْيَأْسُ لَهَا مَوْتُ الْأَبْدِ  
 فَلْيَكُنْ بِالشَّعْرِ نَاراً ذَا الْوُجُودِ  
 آدَهَا الْجِئِلُ وَأَنَّ مِنْ حَدَاها<sup>(٢)</sup>  
 فَلَنْزِدْ فِي طَوْلِ جُهْدِ اللَّظْمَاءِ<sup>(٣)</sup>  
 كالخَلِيلِ فَلْتَسْزِ نَحْوَ الضَّرِيمِ<sup>(٤)</sup>

من حبيبِ نعمةٍ ماجتْ بِطِيبِ  
 أُمَّةٌ تَسْكُنُ دَاراً لِلْحَيْبِ

\*\*\*

## غَزَلُ زَنْدِه رُودِ

لَيْسَ زَهْرٌ فِي الرِّيَاضِ بِالْمَقِيمِ أَبْدَا  
 أَيْنَ مَعْنَى مَا وَجَدْنَا بَعْدَ بَحْثٍ يَا تُرَى  
 وَمِنَ الذَّاتِ تَعَلَّمْ أَنْتَ حَرْفاً وَاحْتَرِقْ  
 إِنَّهُ يَمْضِي كَأَمْوَاجِ التَّسِيمِ أَبْدَا  
 مَكْتَبٌ يَبْقَى وَحَانٌ كَالْعَقِيمِ أَبْدَا  
 تَعْدَمُ الْخَانِقَاهُ نَاراً لِلْكَلِيمِ أَبْدَا<sup>(٥)</sup>

(١) حمرة الأفق هي الشفق . والوتين : عرق في القلب . والسموط : حبال تتدلى من السرج .

(٢) الأين : التعب . آده الحمل : أثقله . وحدا الإبل : ساقها ، وغنى لها . يقول : إنَّ غناء من يسوق الناقة يبغى أن يصبح أئناً بعد تعب ناقته .

(٣) الظماء : جمع ظامء . وهذا البيت يتصل بما قبله وما بعده في وجوب الشعور بالجهد والعذاب لامتحان النفس .

(٤) الضريم : الحريق وهو هنا نازر إبراهيم عليه السلام . والشاعرُ يذكر بما وقع لكليم الله موسى ، فقد أوحى الله إلى أمه أن تقذفه في النيل ليلقيه بالساحل .

(٥) الخانقاه : مبنًى يقيمُ فيه المتصوِّفة . والكليم : موسى عليه السلام . والشاعر يلمح إلى تلك النار التي آنسها موسى ، وهي عند الصوفية رمزاً للمعرفة .



لا تحدّث عن صفاء من بخانقاه سَكَنُ  
كَمْ بيوتٍ شَيّدوها وَسَطَ بيتٍ واحدٍ  
لَيْسَ خَطْباً أَنْ يَضَيِّقَ بالنَّدَامَى مجلسي  
وَسِخَ الشَّعْرِ تراه والأديمِ أبداً<sup>(١)</sup>  
لا يثِيرُ القَلْبُ ريباً للمُقيمِ أبداً<sup>(٢)</sup>  
إنَّه ألا ترى كأسَ النَّدِيمِ أبداً !

\*\*\*

---

(١) الأديم : الجلد المدبوغ ، ووجه الأرض ، وقد ترجمنا به كلمة سجادة في الأصل رغبةً منا في الاحتفاظ بنفس القافية والوزن في الترجمة العربية . أما الرديف وهو الكلمة التي تكرر بعد كل بيت فهي في الأصل ( كل ) وترجمناها بـ ( أبداً ) وهي ظرف زمان للتأكيد في المستقبل .

(٢) يريد الشاعر بالبيوت بيوت العبادة . ويقول : إنَّ الموحّدين لهم جميعاً فكرةً واحدةً لا ريب فيها ، وهو يَعْجُبُ لانقسام القَوْمِ فرقاً وطوائف .

## فلكُ الزُّهْرَة

يَخْجُبُ النُّورَ بَدَا بَيْنَ السَّحَابِ  
 واجْهُونَا بِالسُّتُورِ عُلِّقَتْ  
 كي تَزِيدَ النَّارُ فِي الْقَلْبِ اشْتَعَلَا  
 وبوقْدِ مِنْهُ فِي وَرِدِ دِمَاءِ  
 هَكَذَا مِنْ تَزْيِهَا الْأَرْوَاحُ قَامَتْ  
 وَالطَّرِيقُ يَحْتَوِي مَوْتاً وَحَشْرَا  
 فِي الْفَضَاءِ دَارَ مُزْرَقِ الْفَلَكِ  
 وَهِيَ إِبْرَاهِيمُ أَوْ ذَاكَ الْحَرِيمِ  
 السَّمَوَاتُ وَهَذِي خَيْبَرُ

من فضاء الصَّفِينِقُ مِنْ حِجَابِ<sup>(١)</sup>  
 لِلتَّجَلِّي كُلِّ نَارٍ أَخْمَدَتْ  
 وترى غُضْناً وبالأثْمَارِ طَالَا  
 زُبْقاً بِالرَّقْصِ مِنْهُ كَانَ مَاءِ  
 وبما لَا تَشْهَدُ الْعَيْنَانُ لِأَذَتْ<sup>(٢)</sup>  
 فِيهِ لَكِنْ زَوَّدُوا بِالنَّارِ سَفْرَا<sup>(٣)</sup>  
 هَابِطٌ يعلو وما يعلو انْسَبَكَ<sup>(٤)</sup>  
 كالذَّبِيحِ ، فِي الْفِدَاءِ لَا يَلُومُ!<sup>(٥)</sup>  
 لَا يُجِنِدُ الطَّعْنَ إِلَّا حَيْدَرُ<sup>(٦)</sup>

(١) الصفيق : ضدّ الرقيق .

(٢) التُّزْبُ : التراب .

(٣) السَّفْرُ : المسافرون . يقول : إِنَّ النَّارَ كَانَتْ زَادَ أَلْهَمِ .

(٤) انسبك الذَّهَبُ : ذُوْبَ وَأَفْرَغَ فِي قَالِبِ . وبذلك يشبه انخفاض واستواء ما ارتفع .

(٥) الذبيح : هو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام الذي أطاع واستسلم .

(٦) حيدر هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وفي غزوة خيبر أرسل النبي ﷺ إلى علي

لفتح أحد الحصون وكان عليّ أرمداً . فقال : ما أبصرُ سهلاً ولا جبلاً . فذهب إليه

وقال : افتح عينيك ففتحهما فما رمد بعدها ، ثم دفع إليه اللواء ، ودعا بالنصر له ومن

معه . وشدّ عليّ على الأعداء فانكشف المسلمون وثبت هو وقتل من بارزه . وانهمز

اليهود إلى حصنهم وبارزه يهوديّ آخر وضربه ضربة شديدة حطمتُ رُؤْسَهُ . فتناول كرم

الله وجهه باباً عند الحصن لِيُتْرَسَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ . ولم يزل معه حتى فتح الحصن . قيل

وكان هذا الباب ثقيلاً فلم يحمله أربعون رجلاً .

طَهَّرَ الرُّوحَ الصَّارِعَ الْمُسْتَمِرَّ      إِنَّهَا تَجْرِي بِهِ أَوْ تَسْتَقِرُّ  
وهي في نورٍ على نورٍ تَطِيرُ      وَلَدَيْهَا الصَّيْدُ جَبْرِيلُ وَحُوزٌ<sup>(١)</sup>  
ثمَّ ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ يَضْحَى النَّصِيْبَا

لمقام « عبده » تَمْسِي الرَّقِيْبَا<sup>(٢)</sup>

فِي مَقَامِي لَسْتُ أَدْرِي أَيْنَ كُنْتُ      إِنِّي عَنْ كُلِّ خُلَّانِي نَأَيْتُ  
تَعَدَّمُ الْحَرْبُ بِصَدْرِي عَسْكَرَا      مِنْ لَهُ عَيْنٌ كَعَيْنِي قَدْ يَرَى  
مَنْ دَرَى مَا الْحَرْبُ فِي كَفْرِ وَدِينِ      وَخَدَّهَا نَفْسِي كَزَيْنِ الْعَابِدِينَ<sup>(٣)</sup>  
أَيُّ مَعْنَى لِلطَّرِيقِ وَالْمَقَامِ ؟      إِنَّ شَكْوَايَ السَّرَاجُ فِي الظَّلَامِ<sup>(٤)</sup>  
أَهْلَكَ الْيَمُّ الشُّيُوخَ وَالشُّبَابَا      هَاكَ شَيْخًا وَاحِدًا جَاَزَ الْعُبَابَا<sup>(٥)</sup>  
قَدْ رَفَعْتُ السَّتْرَ وَالسَّتْرُ انطَوَى      أَرْهَبُ الْوَصْلَ وَتَبْكِينِي النَّوَى<sup>(٦)</sup>  
الْوَصَالُ آخِرُ الشُّوقِ ! الْحَذْرُ !      مَا لَشَكْوَى وَزَفِيرٍ مِنْ أَثْرَا  
سَالِكٌ مَا إِنْ رَأَى مَثَنَ الطَّرِيقِ      مِنْ فِرَاقٍ إِنْ يَكُنْ غَيْرَ الْمُفْتِقِ<sup>(٧)</sup>

(١) الصيد : ما يصاد .

(٢) يريد الشاعر قوله تعالى في سورة النجم : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [ النجم : ١٧ ] . أي ما مال بصر النبي ﷺ عما رآه وما تجاوزه بل أثبتته أو ما عدا عن رؤية ما أمر برؤيته من العجائب . وقد رأى من آيات الله الكبرى ليلة المعراج .  
أما قوله ( عبده ) فالمقصود به قوله تعالى في السورة نفسها ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [ النجم : ١٠ ] ؛ أي أوحى إلى عبده جبريل ما أوحى جبريل إلى النبي ولم يذكر الموحى تفخيماً لشأنه .

(٣) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بزَيْنِ الْعَابِدِينَ رضي الله عنه ، رابعُ الأئمة الاثني عشر عند الإمامية . وقد عرف بصدقة السرِّ ، والحلم ، والورع . وهو الوحيد الذي نجا من موقعة كربلاء . وكانت وفاته عام ٩٤ هـ .

(٤) السَّرَاجُ : المصباح .

(٥) الْيَمُّ : البحر . وَالْعُبَابُ : الموج .

(٦) النَّوَى : البعاد .

(٧) الْفِرَاقُ هُنَا هُوَ : سكون النفس .

إِنَّ لِي قَلْبًا وَمِنْ ذَوْقِ النَّظَرِ      عَالِمًا يَشْتَاقُ ، بِالشُّوقِ اسْتَعَزَّ (١)  
 إِنَّمَا الرُّومِي بِرُوحِي تَلِكْ أُغْلَمُ      قَالَ يَا مَنْ عَالِمًا تَبْغِي تَسَلَّمُ  
 فِي يَمِينِ الْعِشْقِ نَخْنُ وَهُوَ يَلْعَبُ      فَتَأَمَّلْ ، يَحْتَوِينَا أَيُّ كَوْكَبِ (٢)  
 عَالِمٌ وَالْأَسُّ مِنْ طِينٍ وَمَاءِ      مِنْ سَوَادِ الْمِسْكِ يَبْدُو فِي كِسَاءِ (٣)  
 وَبِعَيْنٍ مَرَّقَتْ كُلَّ الْحُجُبِ      انظُرْنَ وَاخْتَرِقِ كُلَّ السُّحُبِ  
 سَتَرِي الْأَرْبَابَ حَتْمًا كُلَّهَا      وَأَنَا أُغْلَمُ حَقًّا حَالَهَا  
 (بَعْلُ وَمَرْدُوخُ وَيَعُوقُ وَنَسْرُ وَفَسْرُ      رَمِ خَنْ وَلَاثُ وَمَنَاةُ وَعَسْرُ وَعَسْرُ)  
 إِنَّهَا لِلْبَعْثِ تَأْتِي بِالذَّلِيلِ  
 فَالزَّمَانُ لَيْسَ فِيهِ مِنْ خَلِيلِ (٤)

\*\*\*

## عودة الجاهلية

مرَّ شاعرُ الإسلام - في بعض زيارته الروحية وسياحاته الفكرية - بوادٍ ،  
 اجتمعت فيه الآلهة القديمة التي عبدتها أمم الجاهلية ، ونحتت أصنامها  
 وتمائيلها ، وبنّت عليها هياكل ومعابد ، وعكف عليها السدنة والكهّان ، وتغنّى  
 بها الشعراء والأدباء ، وكان مَجْمَعُ الآلهة القديمة من شعوب مختلفة ، وبلادٍ  
 مختلفة ، وعصورٍ مختلفة ، فهذا إله المصريين القدماء ، وهذا ربُّ التبابعة ،  
 والأدواء من اليمن ، وهؤلاء آلهة عرب الجاهلية ، وأولئك آلهة وادي الفرات ،

(١) استعرت النار : اشتعلت .

(٢) هذا الكوكب هو كوكب الزهرة .

(٣) الأس : الأساس . وهو يشبه هذا العالم بالكعبة وعليها الكسوة السوداء .

(٤) يقول إن هذه الآلهة تقدّم الدليل على بعثها . فما في زماننا إبراهيم الخليل عليه السلام  
 محطّم الأصنام . وقد أوردنا أسماءها كما وردت في الأصل الفارسي ، فلتنطق كلُّ وادٍ  
 ضمّةً ليستقيم الوزن كما هو الشأن في الفارسية .

وهذا إله الوضل ، وذلك ربُّ الفراق ، هذا من سلالة الشمس ، وذلك ختنُ القمر ، وهذا زوجُ المشتري .

ثم إنَّهم أشكالكُ وألوان ، فهذا قد سلَّ السيف بيده ، وهذا تقلدُ حيَّةٍ ولوaha حول عنقه ، وكلُّهم وجلون مشفقون من الوحي المحمديّ ، الذي أحدث الثورة الكبرى عليهم ، وأفسدَ عليهم العيشَ ، وولد العالم الجديد القائم على نبذ الأصنام ، والمؤسس على عقيدة التوحيد ، وكلُّهم ساخطون حانقون على ضربية إبراهيم .

لقد كانت هذه زيارةً مفاجئةً سرَّ بها الآلهة ، وتفاءلوا بها ، وكان « مردوخ » أول من انتبه لهذه الزيارة ، ورحبَ بالإنسان القادم ، وأخبر زملاءه به : أبشروا يا إختوتي ! فإنَّ إنساناً فرَّ من الله ، وثار على الأديان السماوية ومراكزها ، وأقبل إلى العهد الماضي ، ليتوسَّع في العلم والنظر ، وجاءَ يتمتَّع بالآثار العتيقة ، ويتحدَّث عن مجدنا ، إنَّها بارقةٌ أملٍ لآحت بعد مدَّة ، ونفحةٌ هبَّت من أرضٍ حكمتها طويلاً ، ونعمنا فيها كثيراً .

وكان بعلٌ - إله الفينيقيين والكنعانيين القديم - أول من اهتزَّ لهذه الزيارة ، فأنشأ يغني في طربٍ ومرحٍ ، ويقول : « إن الإنسان اخترق السموات العلى ، يبحث عن الله ، فلم يجده ، فليست هذه العقائد التي يدين بها الإنسان إلا خواطر تسنحُ له ثم تغيب ، كالأمواج ترتفع ثم تتوارى ، إنَّه لا يرتاح إلا إلى المحسوس المشهود .

حيًا الله الإفرنج الذين عرفوا طبيعة الشرقين ، الذين أعادوا إلينا الحياة ، وبعثونا من مراقدنا ، فانتهزوا يا زملائي الكرام ! هذه الفرصة الذهبية ؛ التي أتاحتها لنا الدهاء الغربيون ، ألا ترون كيف نسي آل إبراهيم عقيدة التوحيد ، ونسوا العهد والميثاق الذي أخذ عليهم ، ونسوا لذته .

إنهم صحبوا الغربيين مدَّة من الزمان ، وعاشوا معهم ، ففقدوا ثروتهم ،

وضيَّعوا ذلك الدِّينَ الذي نزل به الروح الأمين ، والذي بَعَثَ فيهم الإيمانَ واليقين .

إنَّ الرجلَ المؤمنَ الحرَّ الذي لم يكن يعرف الحدودَ والجهات ، ولا يعبدُ غيرَ الإله الواحد الذي خلق السمواتِ والأرضَ أصبحَ يؤمنُ بالوطن ، ويقدِّسه ، ويعبده ، ويقاتلُ في سبيله ، ويكفرُ بالله ، ويهجُرُه ويتناساه .

لقد خَضَعَ المسلمون لنفوذ الغربيين ومجدهم ، وأصبحَ شيوخُهم الكبار وعلماءُهم العظام يتقلَّدون شعارَهم ، ويقتفون آثارَهم ، فلنستبشِرْ ولننتهزْ هذه الفرصة .

لقد عاد إلينا الشبابُ ، وحُقَّ لنا أن نَطْرَبَ ، فقد انهزم الدِّينُ ، وانتصرت الوطنيةُ والجنسيةُ . إنَّ المصباحَ الذي أناره محمَّد ، تألَّبَ عليه مئةُ « أبي لهب » يطفئونه ، إننا لا نزال نسمع صوت لا إله إلا الله ، ولكنَّه صوت يصدرُ عن الشفتين ، ولا يصدر عن القلب ، وكل ما غابَ عن القلب سيغيب عن الفم .

لقد أعاد سحرُ الغرب دولةَ إله الشرِّ والظلمة ، وشبابه ، وأصبحَ الدِّينُ الإلهي مهَّدداً ، فطوبى لنا وإخوتنا الذين قطعوا الرجاء من الحياة ، واعتكفوا في الخلواتِ والمغاراتِ .

لقد كان عبادنا أحراراً ، لهم التصرُّفُ المُطلَقُ ، والحريةُ الكاملةُ في حياتهم ، لم نثقلهم بعبادةٍ وطاعةٍ ، وإنما طلبنا منهم ركعةً لا سجود فيها ، وقد أثرنا فيهم العاطفةَ الدِّينيةَ بالأناشيد والأغاني ، فلم تكن صلاتُهم إلا مكاءً ، وتصديّةً ، ونغمَةً ، وأغنيةً ، وأيُّ لذةٍ في صلاةٍ لا غناء فيها ، ولا موسيقا؟!

إنَّ الناسَ لا بدَّ يفضِّلون عبادةَ طاغوتٍ مشهودٍ على عبادةِ إلهٍ غائبٍ ، وربَّ لا يُرى بالأبصار «<sup>(١)</sup>» .

(١) من «روائع إقبال» للعلامة أبي الحسن علي الندوي . صفحة ١٧٥ - ١٧٨ .

وإليك هذه الأبيات المترجمة للعربية شعراً ، يقول فيها إقبال :

أظلمَ العَيْمُ وَلِلرَّيْحِ الخُفُوقُ  
الرياحُ البحرُ فيها قد تَعَلَّقُ  
لا يرى شَطْطٌ وموجٌ يَهْدُرُ  
ومَعَ الرُّومِيِّ في بحرِ السَّوَادِ  
إنَّه المِسْفَاؤُ لَكِنْ لَمْ أَسَافِرْ  
عاجزاً قُلْتُ كلاماً كُوراً  
وإذا للعينِ أطوادُ تلخوخ  
وإذا في النَّجْدِ والسَّهْلِ الرَّيِّعِ  
ولنا الطَّيْرُ تَغَنَّتْ بالجَوَى  
ذاك قَبِضٌ مِنْهُ للجِسمِ البَقَاءِ  
وَمِنْ الطَّوْدِ نَظَرْتُ نَظْرَةً  
واستوى الوادي ومدَّ جانبيه

في الظَّلامِ تَفَقَّدُ النُّورَ البُرُوقُ! (١)  
شَقَّتِ الثُّوبَ بَدْرٌ كَمْ تَأَلَّقُ  
ما على صَنِعِ الرِّيحِ يَفْقِدُ (٢)  
حُلماً كُنَّا بسوداءِ الفُؤادِ (٣)  
وعلى هذا رأيتُ عَيْرُ صَائِرِ (٤)  
« عالمًا آخرَ عيني لا تَرى »  
وغديرٌ في مروجٍ وهي قَيْح (٥)  
والنَّسِيمُ يالهُ مِسْكَاً يَضُوع (٦)  
والينابيعُ وعُشْبٌ ما استوى (٧)  
وَلَعَيْنِ الرُّوحِ في الجِسمِ الجِلاءِ  
لأرى الدُّنيا ترفُ نُضْرَةً (٨)  
إنَّ ماءَ الخضرِ مشتاقٌ إليه! (٩)

(١) الخفوق : الخفق والخفقان .

(٢) هدَرَ البحرُ : ارتفع خريره .

(٣) الروميُّ : هو جلالُ الدِّينِ الروميُّ ، وسوداءِ القلبِ وسويداؤه : حبه .

(٤) المِسْفَاؤُ : الكثيرُ الأسفار .

(٥) الأطواد : الجبال . والغدير : النَّهر . والقيح : الواسعة .

(٦) النَّجد : ما ارتفع من الأرض . وضاعَ المسك : انتشرت رائحته .

(٧) الجوى : الحزن . ما استوى : ما ارتفعت سوقه .

(٨) رَفَّ النباتُ : تلالاً نُضْرَةً .

(٩) استوى : أصبح مستوياً ، جاء في الروايات الفارسية أن الإسكندر رغب إلى الخضر

عليه السلام أن يكون دليله في رحلة طويلةٍ تكتنفها المصاعب والمعاطب إلى ماء الحياة

وهو ينبوعٌ في أرضٍ بعيدةٍ تسمى دار الظلمات . ومن نَهَلَ نَهْلَةً منه ضَمِنَ أن يكون من

الخالدين . ومضى الخضر مع الإسكندر ، وشاهد الخضر هذا الماء كأنه خيطٌ من =

كُلُّ رَبِّ فِيهِ مِنْ ذَاكَ الزَّمَنُ      رَبُّ مِضْرَا ذَا وَذَا رَبُّ الْيَمَنِ  
 ذَاكَ مِنْ أَرْبَابِ عُزْبٍ أَوْ عِرَاقٍ      ذَاكَ رَبُّ الْوَضَلِ ذَا رَبُّ الْفِرَاقِ  
 وَسَلِيلُ الشَّمْسِ صِهْرٌ لِلْقَمَرِ      مِنْ بَزْوَجِ الْمُشْتَرِي خَصَّ النَّظْرُ  
 وَاحِدٌ يَخْتَالُ بِالسَّيْفِ الْحُسَامِ      آخِرُ فِي لَيْتِهِ أَفْعَى السَّمَامِ<sup>(١)</sup>  
 كُلَّهُمْ يَرْتَاغُ مِنْ ذِكْرِ الْجَمِيلِ      وَيَخَافُ كُلَّهُمْ بَطْشَ الْخَلِيلِ<sup>(٢)</sup>  
 « إِنَّمَا الْمَرْءُ مِنَ الْمَوْلَى هَرَبٌ      وَالْمِصْلَى » ، قَالَ مَرْدُخُ ، وَانْتَحَبَ<sup>(٣)</sup>  
 « وَكَأَنَّ الْعَقْلَ مِنْهُ أَوْمِضَا      وَهُوَ لَا يَنْسَى زَمَانًا قَدْ مَضَى<sup>(٤)</sup>  
 ظَلٌّ يَسْتَحْسِنُ مَا كَانَ الْقَدِيمَا      فِي تَجَلُّبِنَا يَرَى شَيْئًا عَظِيمَا  
 وَيَجِدُّ الْوَهْمُ فِي هَذَا الزَّمَانِ      وَتَهَبُّ الرِّيحُ رِيحًا لِلْأَمَانِي<sup>(٥)</sup>  
 ثُمَّ غَنَى بَعْلٌ مِنْ فَرْطِ الطَّرَبِ      سَرْنَا أَفْشَاهُ عِنْدَ كُلِّ رَبِّ<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

## أغنية بعل

مَرَّقُ الْمَرْءِ السَّتَارَ الْأَزْرَقَا      مَا اسْتَطَاعَ رُبُّهُ أَنْ يَزْمُقَا<sup>(٧)</sup>

= فضة . فشرب منه ، وتلفت حوله ، فما وجد الماء ولا الإسكندر . ولما الحياة هذا  
 ذكر متردداً في الشعر الفارسي الصوفي على أنه رمز للحقيقة .

(١) السيف الحسام : القاطع . والليت بكسر اللام : صفحة العنق . والسمام : السموم .

(٢) الجميل : هو الله تعالى . والخليل : إبراهيم عليه السلام .

(٣) المولى : الله جل وعلا . المصلى : مكان الصلاة والمراد به المعابد بجميع أنواعها .

ومردوخ : أكبر آلهة البابليين .

(٤) أومض البرق : ومض ولمع .

(٥) يجد : يصبح جديداً .

(٦) بعل : اسم إله عند الساميين .

(٧) رمقه : نظر إليه طويلاً . وهذه المنظومة مما يعرف عند الفرس : ترجيع بند . =



مَوْجَةٌ لِلْفِكْرِ تَغْشَى قَلْبَهُ      مَوْجَةٌ أُخْرَى لَهَا أَنْ تَفْرَقَا<sup>(١)</sup>  
 رَوْحُهُ بِالْحَسَنِ أَمْسَتْ فِي قَرَارِ      مَنِيَّةَ الْمَاضِي عَسَى أَنْ تَصْدَقَا<sup>(٢)</sup>  
 نَحْنُ حَابُونَ بِعِلْمٍ فَلْيَعِشْ      عَالِمٌ أَحْيَا بِعِلْمٍ مَشْرِقَا<sup>(٣)</sup>  
 أَيُّهَا الْأَرْيَابُ قَدْ آنَ الْأَوَانُ

قِفْ تَأَمَّلْ وَخُدَّةً قَدْ شَتَّتْ      وَ ﴿ أَلَسْتَ ﴾ عِنْدَ قَوْمٍ أُبْطَلَتْ<sup>(٤)</sup>  
 حُطِّمَتْ كَأْسٌ بِأَيْدِي ثُلَّةٍ      خَمْرٌ جِبْرَائِيلَ مِنْهَا أُسْكِرَتْ<sup>(٥)</sup>  
 كُلُّ حَرٍّ فِي قِيودٍ مِنْ حُدُودِ      وَضَلَّةً بِاللَّهِ مِنْهُ صُدَّعَتْ  
 سَوْدُدُ الْأَسْلَافِ بَرْدٌ فِي دِمَاءِ      وَزَنَانِيرُ الشُّيُوخِ سُوهَدَتْ<sup>(٦)</sup>  
 أَيُّهَا الْأَرْيَابُ قَدْ آنَ الْأَوَانُ

بَعْدَ دَهْرٍ عَادَ يَوْمٌ لِلطَّرَبِ      أَصْبَحَ الدِّينَ صَرِيحاً لِلنَّسَبِ<sup>(٧)</sup>

= والترجيع : بند يحوي عدة أبيات تكون كل مجموعة منها قسماً ، وتلك الأبيات متفقة في الرّوي ، ويتلو كل قسم بيتاً مستقلاً يُكْرَرُ . وقد التزمنا في الترجمة روي هذه الأبيات في الأصل .

(١) غشيه : غطاه . ويفرقُ : يخاف .

(٢) المنية : الأمل .

(٣) الحابي : واجد الحياة . وكأنّ هذا الإله يدعو بطول البقاء لذلك العالم المستشرق الذي أحيا الشرق بعلمه .

(٤) قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عِلَانَ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ [ الأعراف : ١٧٢ ] وهذا من باب التمثيل ؛ أي أنه أقام الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت عقولهم بها ، فكانه أشهدهم على أنفسهم ، وكأنهم قالوا : بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا ، وأقرنا بوحدانيتك .

(٥) الثلّة : الجماعة من الناس .

(٦) الزّنانير : جمع زُنَّار . وهو ما يشدُّ به النصراني وسطه .

(٧) يقول : إنّ العنصرية طغت على الدّين .

لا تفكر في سراج المصطفى  
« لا إله » في لسان ناطق  
إن سحر الغرب أحيأ أهرمن<sup>(٢)</sup>  
أيهما الأريابُ قذ آن الأوان

دينك القيد تحرز من قيود  
وعليه كي نشق في صلاة  
إنما النعمة تُعلي جذبة  
إن خيراً من إله قد توارى

أيهما الأريابُ قذ آن الأوان

\*\*\*

## الغوص في بحر الزهرة ومشاهدة روح كتشنر وفرعون

مَيَّزَ الرُّومِيَّ ذَكَرٌ لِلْجَمِيلِ  
غَزَلًا قَالَ وَبِالسُّكْرِ اتَّقَدُ

ضربُه يُشبهُ ضَرْباً لِلْخَلِيلِ  
كل رب في خشوع قذ سجد

### غزل

« حص ما يمضي ويأتي بالنظر، ذاك أولى  
ناقة الأيام أوساقاً لغسق حُمَّلَتِ »

انهَضَنَّ خذ بأفكارٍ أخز ، ذاك أولى  
ازحَلَنَّ في المساء والسَّحَرُ، ذاك أولى<sup>(٣)</sup>

(١) السراج : المصباح . ويولهب في الفارسية هو أبو لهب في العربية .

(٢) أهرمن : هو إله الشر أو الشيطان في دين المجوس .

(٣) الغزل نوع من المنظومات الفارسية ، وتلك المنظومة ذات روي واحد ولا تقلُّ أبياتها عن سبعة عشر . وفي هذا الغزل ما يعرف بالرديف ، وهو كلمة أو كلامٌ يكرَّر بعد كلِّ =

ينبغي عمًا بها قطع النَّظَرِ ، ذاك أولى  
 قلُّ وجودي ليس عِنْدِي ذا خَطَرَ ذاك أولى<sup>(١)</sup>  
 قال في المعبد حطْمَ ذا الحَجَرِ ، ذاك أولى  
 بني تَمَسَّكَ لا تَدْعُنِي يا بُنَيَّا  
 بالتَّلُوجِ مِنْ لُجَيْنِ أَضْبَحَتْ<sup>(٢)</sup>  
 وانجلى بِالْجَوْفِ لا بِالْمَظْهَرِ  
 قَرَّ عَيْنًا بِسُكُونِ سَرْمَدِي<sup>(٣)</sup>  
 ووجودُ كُلِّ ما قَدْ غَابَ أَنْكَرُ  
 مَعَ أَهْلِ الْحَقِّ فِي حَرْبٍ وَضَرْبِ<sup>(٤)</sup>  
 وَالرَّفِيقِ مَدِيَّةِ الدَّزْوِيشِ غَالَتْ<sup>(٥)</sup>  
 ظامئان يَبِينُ أَمْواجِ تُثَوِّرُ  
 مَوْتُ جِبارِ كَأَيَاتِ بَدَأِ<sup>(٦)</sup>  
 هَاكَ كَفِّي فَمَا قَلْبٌ وَجَفُ<sup>(٧)</sup>  
 فِيهِ يَخْوِيكَ فَوَاذُ خَافِقُ  
 أَهْوَاءُ كان يَبْدُو مِثْلَ ماءِ  
 إِنَّهُ وادي الظلامِ فِي الفِلا

قالَ شَيْخٌ ما لِدُنْيانا أَساسٌ مُحْكَمٌ  
 أَنْتَ بِالْتَّرْكِ أَتَساهَا وَلَوْ حَوالَتَهُ  
 قَلْتُ فِي قَلْبِي مَناةٌ وَكَثِيرٌ غَيرُها  
 قالَ « فانهض مُسْرِعاً وَاقْدِمِ إِلَيَّا  
 الجِبالُ وَهِيَ مِنْ مُوسَى خَلَّتْ  
 خَلْفَها قَدْ لَاحَ بِحَرِّ الجَواهِرِ  
 أَيُّ باسٍ مِنْ عُبَابٍ أَوْ أَتِي  
 إِنَّ فِي هَذا مَقامٌ مِنْ تَجَبَّرُ  
 ذاكَ شَرِيفِي وَذا مِنْ أَهْلِ غَرْبِ  
 وَعِصا مُوسَى عَلى هَذا تَهَاوَتْ  
 مِثْلُ فِرْعَونَ الصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ  
 يَعرِفانِ الطَّغَمَ مَرًّا لِلرَّدى  
 سِرِّ وَرائِي يا بُنَيَّ لا تَخَفْ  
 وَكمُوسَى البَحرُ إِنَّي فَالِقُ  
 شِقِّ مِنْهُ البَحرُ صَدراً كَالضُّيَاءِ  
 قاعُهُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ قَدْ خَلا

- = بيت تُلْتَزَمُ قبله قافية موحدة . وقد احتفظنا في الترجمة بقافية الأصل . والأوساق :
- جمع وَسَق ، وهو حَمْلُ البَعير .  
 (١) الخَطَرُ : الأهمية وارتفاع القدر .  
 (٢) اللجَيْنِ : الفضة .  
 (٣) الأَتِي : السَّيْلُ . والسَّرْمَدِي : الدائم .  
 (٤) الحَقُّ هَنا هو اللهُ .  
 (٥) المَدِيَّةُ : السكين . وغالَهُ : أهلكه .  
 (٦) يقولُ : إِنَّ هَلاكَ الجِبارِ مِنْ آياتِ اللهُ .  
 (٧) وجف القلبُ : اضطرب .

ومَنْ الْقُرَّانِ طَهَ الشَّيْخُ يَتْلُو      وَإِذَا الْقَمْرَاءُ جَوْفَ الْبَحْرِ يَجْلُو<sup>(١)</sup>  
وَنَضَّتْ عَنْهَا الْجِبَالُ ثُوبَهَا      رَجُلَانِ حَائِرَانِ بَيْنَهَا  
لَمْ تَشَاهِدْ وَجَهَ شَيْخِي مَرَّةً      بَعْضُهَا أَلْقَى لِبَعْضٍ نَظْرَةً  
قَالَ فَرَعُونَ أُجْرِي الْبَحْرَ نُورًا !      أَصْبَاحٌ مِثْلَ عَيْنِي أَمْ طُهُورًا !

## الروميُّ

الخفي منه وَصَّاحُ الْجَلَاءِ      وَالْيَدُ الْبِيضَاءُ أَضْلُّ لِلضِّيَاءِ<sup>(٢)</sup>

## فرعون

أَهْ عَقْلِي آهْ دِينِي قَدْ فَقَدْتِ      وَنَظَرْتُ وَالضِّيَاءَ مَا عَرَفْتِ  
أَمْنَحُونِي نَظْرَةً يَا مَنْ مَلَكَتُمْ      وَهَبُونِي لَفْتَةً يَا مَنْ ظَلَمْتُمْ<sup>(٣)</sup>  
يَسَّرَ مِنْ حَرَصِي لَهُمْ أَعْمَى الْبَصَائِرِ      يُخْرِجُونَ التَّبْرَ مِنْ جَوْفِ الْمَقَابِرِ<sup>(٤)</sup>  
ذَلِكَ التَّمْثَالُ فِي دَارِ الْعَجَائِبِ      صَمْتُهُ يَرَوِي لَنَا كُلَّ الْغَرَائِبِ  
جَاءَنَا عَنْ غَاصِبِينَ بِالْحَبَزِ      عَيْنَ عَمِيَانِ أَنْارَ بِالْبَصَرِ  
مَا يَرِيدُونَ لَنَا غَيْرَ الشُّقَاقِ      وَالْأَسَاسُ أَحْكَمُوهُ بِالْتَّفَاقِ  
ولهذا دَبَّ فِي الْحَكْمِ الْخَوَزُ      وَالْفَسَادُ ، وَتَفَشَّى كُلُّ شَرِّ<sup>(٥)</sup>

لو بدا موسى كليمُ الله لي

لا لتمسَّتْ منه قَلْبَ الْعَاقِلِ

(١) القمراء : نور القمر . ويجلو هنا بمعنى يخرج ، فكان جوف البحر يُظهرُ نور القمر .  
(٢) يلمح إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَضْمَمْتُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ آيَةَ الْفُرْقَى ﴾ [ طه : ٢٢ ] .

(٣) يوجه الخطاب إلى المستعمرين من أهل الغرب .

(٤) التبر : الذهب . وإقبال يتحدث عن علماء الغرب المنقبين عن آثار الفراعنة .

(٥) الخور : الضعف . وتفشى : انتشر .

## الرُّؤْمِيُّ

إِنَّ نُورَ الرُّوحِ لِلْحُكْمِ الْفَلَاحِ      وَالْيَدُ الْبِيضَا بِهَا الْمُلْكُ الْمُبَاحِ  
 حَاكِمٌ يَقْوَى بِضَعْفٍ مِنْ حُكْمِ      وَبِحَرْمَانٍ لِكُلِّ مَنْ حُرِّمِ  
 يَلْبَسُ التَّاجَ بِجَمْعِ لِلْخِرَاجِ      وَرِجَالِ الصَّخْرِ كَانُوا مِنْ زُجَاجِ  
 الْمَغِيرُ مَنْ لَهُ جَيْشٌ وَقَيْدُ      حَاكِمٌ عَنْ مِثْلِ هَذَا مَنْ يَصُدُّ

### اللورد كتشنر (١)

إِنَّ لِلْغَرْبِيِّ قَصْداً قَدْ ظَهَرَ      وَأَجَلَ التَّبْرِ كَمْ قَبْرِ حَفَرَ  
 إِنَّ تَارِيخاً لِمَضَرَ وَالْكَلِيمِ      مَا نَرَاهُ الْيَوْمَ فِي سَفْرِ قَدِيمِ (٢)  
 إِنَّمَا بِالْعِلْمِ لِلسَّرِّ الظُّهُورِ      حِكْمَةٌ وَالبَحْثُ ، أَوْ شَيْءٌ حَقِيرِ (٣)

## فِرْعَوْن

بِالْعُلُومِ كَشَفُوا عَنَّا الْحَجَرَ  
 كَانَ لِلْمَهْدِيِّ قَبْرٌ ، مَا الْخَبْرُ ؟

(١) قائد بريطاني حارب أتباع المهدي في السودان ، وغلب على مدينة أم درمان عام ١٨٩٨ . وعرف بتناهيه في الضراوة والفظاظة حين عقد العزم الأكيد على استئصال شأفتهم وإذهاب ريحهم . ولما حَقَّقَ من ذلك بغيته ، أمعن في التشفي منهم ، وضرب الذلة عليهم ليدرك بثأر القائد غوردون الذي انكسرت جيوشه قبله ، وقتل شر قتله . وقد أمر كتشنر بنيش قبر المهدي ، وإلقاء عظامه في النيل ، وإرسال جمجمته إلى متحف في لندن . وشاء الله له أن يدوق كأساً كان يسقي بها . فقد مات غريقاً عام ١٩١٦م بعد أن هَوَتْ به السفينةُ إلى قاعِ اليمِّ .

(٢) السفر : الكتاب .

(٣) يقول : إِنَّ الْحِكْمَةَ بِلَا بَحْثٍ تُعَدُّ شَيْئاً حَقِيراً .

## ظهورُ دَرُوشِ السُّودانِ

هو ذا في الماءِ برقٌ يأتلقُ  
وَمِنَ الفِرْدَوْسِ ضاعَ نَفْحُ عِطْرِ  
إِنَّ مِنْهَا الدُّرُّ فِي القِيعِ اسْتَقَزْ  
قالَ « كَشَنرُ أَنْظَرَنَ يا فِهم  
ما جِباكُ اللهُ من قَبْرِ يَضُمُّكَ  
ثُمَّ ضاعَ في اللِّسانِ المَنْطِقُ  
قالَ « هَبِّي أَنْتِ يا رُوحَ العَرَبِ  
يا فُؤادُ! ابْنَ السُّعودِ ، فيصِلُ  
أوقِدُوا في الصِّدْرِ ناراً أُخْمِدَتْ  
واديَ البطحاءِ أنجبَ خالدا  
أمةَ الإيمانِ ، يا سِودَ الجلودِ  
فإلامَ تَجْهَلُونَ سَينِرْكُمْ  
ثُمَّ يعلو المِوجُ حَتَّى يَنْدَفِقُ  
لاخَ بِالرُّوحِ لَنا دَرويشُ مِضرٍ<sup>(١)</sup>  
« كَشَنرُ » في صَدْرِهِ ذابَ الحَجَزُ<sup>(٢)</sup>  
إنما هذا تِرابي يَنْتَقِمُ<sup>(٣)</sup>  
بل رُويتَ بَينَ أمِواجِ تَطْمُكُ<sup>(٤)</sup>  
والرِّفِيرُ من حِشاهِ يَحْرِقُ  
قلدي الأَسلافَ في ماضِي الحَقَبِ<sup>(٥)</sup>  
كلكم مِثْلَ الدُّخانِ يَرْفُلُ<sup>(٦)</sup>  
أزجِعُوا أَيامَ دُنيا ضَيَّعتْ  
نِشْتهي التَّوْحِيدِ فيكَ عَرِّدا  
مَنكمُ اسْتافَ عِطِراً لِلخُلُودِ<sup>(٧)</sup>  
وتولُّونَ سِواكُمُ أمْرَكمُ  
ليت شعري هَلْ تَخافونَ البِلاءَ

(١) ضاع العطر : انتشرت رائحته . نفع : فاح .

(٢) كشنر هو اللورد كشنر . وهكذا أورد الشاعر اسمه مراعاة لوزن الشعر . واستعر : التهب .

(٣) الفهم : السريع الفهم .

(٤) طم الماء : غمر .

(٥) الحقب : جمع حقبه : وهي السنة والمدة من الزمان لا وقت لها .

(٦) فؤاد الأول المتوفى عام ١٩٣٦ كان ملكاً لمصر . وابن السعود المتوفى عام ١٩٥٣ كان ملكاً للمملكة العربية السعودية : وكان فيصل ملكاً للعراق وتوفي عام ١٩٣٣ .

(٧) السُّود : هم العرب . واستاف : شم .

## البلاءُ كانَ لِلْمَرْءِ الصَّفَاءِ<sup>(١)</sup>

قد سَكَنَّا يثرباً والحِجْبُ نَجْدًا      أينَ يا حادي حُدَاةَ هَزَّ وَجَدًا<sup>(٢)</sup>  
 ديمَةً تهمي وأرضٌ خُضِرَتْ      فكأنَّ الحَطَّواتِ أُثْقَلَتْ<sup>(٣)</sup>  
 الفراقُ وهو يُضْنِينِي طَوِيلُ      امضِ في أرضٍ بها عُشْبٌ قليلُ  
 نشوةُ النَّاقَةِ عُشْبٌ ، لي حبيب      لك حبلٌ ، وَلَمَنْ أَهْوَى قُلُوبُ<sup>(٤)</sup>  
 جعلوا للماءِ في الصَّحْرا سبيلا      في الجبالِ بَلَّلَ الماءُ النَّخِلا  
 وتالتُ في التُّلالِ ظبيتان      فتأملُ ، كيفَ مِنْها تَهَيَّطان  
 ترشفتان مِنْ مِياهِ النبعِ قَطَرا      ترمُقانِ مَنْ بَتَلَكَ الأَرْضُ مُرًّا  
 وَمِنْ الماءِ الرَّمالُ كالحرير      هانَ فيها كُلُّ سِيرٍ لِلْبَعِيرِ<sup>(٥)</sup>  
 مثلُ ريشاتِ السَّمانَةِ الغمام      أهربُ الغيثُ فَقَدْ شَطَّ المَقامُ<sup>(٦)</sup>

قد سَكَنَّا يثرباً والحِجْبُ نَجْدًا  
 أينَ يا حادي حُدَاةَ هَزَّ وَجَدًا «

\*\*\*

- (١) يذكر الشاعر بحديثٍ للنبيِّ قال فيه : ( أشدُّ الناسِ بلاءَ الأنبياءِ ثم الأمتلُ فالأمتلُ إلى أن قال : فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة ) .
- (٢) يثرب : المدينة المنورة . والحِجْبُ : الحبيب . والحادي : مَنْ يسوق الإبل . ويغني لها .
- (٣) الديمة : المطر يدوم في سكون . ويهمي : ينهمر . وخضَّرَ الشيء : جعله أخضر اللون . يقول : إِنَّ المطرَ يُنْبِتُ العشبَ في الأرض ، فيصبحُ سيرُ الإبلِ في الأرض المعشبة صعباً .
- (٤) يوجه الكلام إلى الحادي قائلاً : إِنَّ الناقه تجد في العشب لذتها ونشوتها . أما هو فنشوته بالحبيب . الحادي يملك الحبل الذي يعقل به ناقته ، أما الحبيب فيملك قلب من يهواه .
- (٥) هان : سهل .
- (٦) السماناة : مفرد السَّماني ، وهو نوعٌ معروفٌ من الطيور . وشَطَّ : بَعَدَ .

القسم الرابع

فَلَكُ الْمَرِيخِ





## أهل المَرِيخ

تَحْتَ هَذَا الْمَاءِ عَيْنِي أُطِيقَتْ  
 نَحْوَ دُنْيَا طَابَ لِي أَنْ أَرْحَلَا  
 شَمْسُنَا فِي الْأَفْقِ مِنْهَا أَشْرَقَتْ  
 فَإِذَا بِالْجِسْمِ رَوْحاً يَجْهَلُ  
 رَوْحُنَا كُلَّ لَهَيْبٍ تُخْمِدُ  
 لَمْ تَشِخْ ، وَالْيَوْمُ مَرٌّ كَالطَّيُورِ  
 ثُمَّ عَنِّي الذَّاتُ مِنِّي أُبْعِدَتْ  
 وَالرَّزْمَانُ وَالْمَكَانُ بُدِّلَا  
 وَلَهَا لَيْلًا وَصَبْحًا أُزْجِدَتْ  
 عَنِ زَمَانٍ وَمَكَانٍ يُفْضَلُ  
 إِنَّهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ تُسْعِدُ  
 إِنَّ لِسَالِيَامٍ مِنْهَا أَلْفَ نُورٍ<sup>(١)</sup>

هذه الأيام منها كم توالث

الدُّنْيَى مِنْهَا وَلَوْلَاهَا لَزَالَتْ<sup>(٢)</sup>

ذَلِكَ الْمَرْصَدُ فِي مَرَجٍ سَمَقُ  
 الْقِبَابُ الْخَضِرُ لَأَحْتُ أَشْهَدُ  
 لَا تَسَاعُ مَا أَرَى حِدَاً طَلَبْتِ  
 قَالَ شَيْخُ الرُّومِ وَهُوَ مَرشِدِي  
 مِثْلُ دِيَانَا لَهُ لَوْنٌ وَرِيحُ  
 وَكَأَهْلِ الْغَرْبِ فِيهِ مَنْ سَكَنُ  
 الثُّرَيَّا قَدْ يَصْنِدُ بِالْوَهْقِ<sup>(٣)</sup>  
 عَالِمٌ هَذَا لَدَيْنَا أَسْوَدُ  
 فِي فِضَاءٍ لِلسَّمَاءِ كَمْ نَظَرْتِ  
 « أَنْتِ فِي الْمَرِيخِ فَاسْمَعِي وَأَشْهَدِي  
 فِيهِ بِلْدَانٌ وَبُنْيَانٌ وَسُوحٌ<sup>(٤)</sup>  
 سَبَقُونَا كَلْنَا فِي كُلِّ فَنٍ

(١) شاخ : صارَ شيخاً .

(٢) الدُّنْيَى : جمع دنيا .

(٣) سَمَقٌ : ارتفع . الْوَهْقُ : حبلٌ في طرفه أنشوطه يطرح في عنقِ الدَّابَّةِ حتى تؤخذ .

والشاعر يشبه المنظار الطويل الذي تشاهد به النجوم في المرصد بالوَهْقِ .

(٤) السُّوحُ : جمع ساحة . وَالرِّيْحُ : الرائحة .

قَهَرُوا حَتَّى الزَّمَانَ وَالْمَكَانَا  
 إِنَّ وَعِرَاءَ فِي الْعَقُولِ مَهَّدُوا  
 قَلْبُ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالطَّيْنِ الْمُقَيَّدُ  
 كَانَ بِالطَّيْنِ لِقَلْبٍ مَنزِلُ  
 تَهَبُّ الرُّوحُ الْخُمَارَ وَالسُّرُورَا  
 الوجودُ عِنْدَنَا فِي مَظْهَرَيْنِ  
 جِسْمَنَا وَالرُّوحُ طَيْرٌ فِي قَفَصِ  
 وَإِذَا مَا جَاءَ يَوْمٌ لِلْفِرَاقِ  
 بِالْمَنُونِ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ يُخْبِرُ  
 رُوحَهُم بِالْجِسْمِ مَا إِنَّ رَبَّيَوهُ  
 اندماج الجسم في النَّفْسِ الْفَنَاءِ  
 وَكَأَنِّي قُلْتُ مَا لَا يُفْهَمُ  
 فِي عُلُومِ لِلْفَضَا كُلِّ شَأْنَا<sup>(١)</sup>  
 الخفايا في الفَضَاءِ شَاهَدُوا  
 وَهَنَّاكَ الْجِسْمُ بِالْقَلْبِ الْمُصَفَّدُ<sup>(٢)</sup>  
 كُلُّ مَا شَاءَ بَيْنَ يَفْعَلُ  
 تَمْنَحُ الْغَيْبَ لَجِسْمٍ وَالْحُضُورَا<sup>(٣)</sup>  
 جِسْمَنَا وَالرُّوحُ مَا لَاحَتْ لِعَيْنِ  
 سَاكِنُ الْمَرِيخِ عَنِ فِكْرِي نَكْصَ<sup>(٤)</sup>  
 أَصْبَحَ الْإِنْسَانُ حَيًّا بِاخْتِرَاقِ  
 وَيَقَالُ بَعْدَ يَوْمٍ سَوْفَ تُقْبِزُ<sup>(٥)</sup>  
 وَلِهَذَا جِسْمُهُمْ لَمْ يَأْلُفُوهُ<sup>(٦)</sup>  
 وَمِنَ الدُّنْيَا فِرَازٌ وَانطِوَاءُ<sup>(٧)</sup>  
 لَكَ رُوحٌ وَبِجِسْمٍ تُحْكَمُ !

بِرَهَةٍ لَا غَيْرَ تَبْقَى هَاهُنَا

لَمْ يُشَاهِدْ مِثْلَ هَذَا غَيْرُنَا

\*\*\*

(١) شأئى : سبق .

(٢) صفد : قيد .

(٣) الخمار : صداع السكر والمراد هنا السكر .

(٤) الفكرى : إعمال الخاطر في الشيء .

(٥) المنون : الموت .

(٦) ربه : رباه .

(٧) يقول : إن الفرار من الدنيا ، والانطواء على النفس موتٌ كإدماج الجسم في النفس .

## ظهور فلك المريخ من المرصد

ممسياً كان بعلمٍ مصباحاً <sup>(١)</sup>	ذاك شيخُ العلمِ بالثلجِ التحي
كنصارى الغربِ في لبسِ المُسوخِ <sup>(٢)</sup>	كشيوخِ العزبِ في الفكرِ السَّبُوحِ
مشرقُ الوجهِ كأتراكِ يَمرو <sup>(٣)</sup>	وهو همُّ بقوامٍ مثلَ سرو
لَمَعَتْ عيناهُ بالفكرِ العميقِ	وعلى علمٍ بمعنى للطريقِ
قال كالخيَّامِ والطوسي كلاماً <sup>(٤)</sup>	وكورِدِ كان قد ألقى الكَمَامَا
وهو في « تحت » و « فوق » لم يُقَم	« قلبُ الطينِ أسيرُ الكيفِ والكم
جوهَرَ السَّيارِ أعطى ما تَبَّتْ <sup>(٥)</sup>	وأطارَ التُّربَ ، ريشُ ما تَبَّتْ
منهما شاهدتُ عَرَضَ المُستَحِيزِ <sup>(٦)</sup>	عَقْلُهُ والقول كالماءِ التَّمِيزِ
ساكنُ المريخِ هذا قال شِعْراً	كانَ حلماً ما أرى أم كان سِخْراً
بيننا من كانَ مِنْ أَهْلِ الصِّفَا	قال « في عهدِ النَّبِيِّ المصطفى

(١) أمسى وأصبح : دخل في المساء والصبح .

(٢) الفرس السَّبُوح : السريع . والمسوخ : جمع مسح بالكسر وهو الكساء من شِعْرِ ، كثوب الرُّهبان .

(٣) الهِمُّ : الشيخ الفاني . ومرو : عاصمة خراسان بإيران . والأتراك مضرِب المثل في الحسن عند شعراء الفرس .

(٤) الخيَّام : هو العالم الفلكي المفكِّر عمر الخيام صاحب الرُّبَاعِيَّات المشهورة من أهل القرن السادس الهجري . والطوسي هو نصيرُ الدين الطوسي من أهل هذا القرن . وله المؤلفات في المنطق والحكمة ، والأخلاق ، والعقائد . وله شهرةٌ مستفيضةٌ بحذقه في علم الفلك . وقد ارتقى هذا العلم بفضلٍ منه ، وأسس هولاءُ مرصداً في مدينة مراغة كان نصير الدين يرأس العمل فيه .

(٥) التُّرب : التراب . يقول : إنه أطار الترابَ وما للتراب ريش ولا جناح ليطير ، ثم أشار إلى الكواكب السيارة والثابتة .

(٦) الماء النَمِير : الماء الكثير . والمستحيز : الطريق المعترض لا يدرى أين منغذه . واعتراضه يثير الحيرة .

هذه الدُّنيا بعقلٍ أبصرا      ورأى الإنسانُ ماذا دبَّرا  
الجنّاحَ في سمواتِ بسَطَ      في الحجازِ وسَطَ بيدااءِ هَبَطَ<sup>(١)</sup>  
ما رأى في الخافقينِ قَدْ رُقِمَ      في كتابٍ كان أبهى مِنْ إِرَمَ<sup>(٢)</sup>  
فارساً شاهدتها والغَرْبُ رُزَّتْ      أرضَ مِصرَ جَبَّتْها في الهندِ كُنْتُ<sup>(٣)</sup>  
وعن الأرضِ تَيَقَّنْتُ الخَبْرَ      وَيَخْرِ وَيَبْرُ لي سَفَرُ<sup>(٤)</sup>  
وعراكُ المرءِ في الدُّنيا رَعِينَا  
وهو حقّاً لَيْسَ يدرِي مالدينا<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

## الرُّوميُّ

من سماءٍ كنتُ من أرضِ ريفي      ثملُ ما ذقتُ طعاماً للرَّحِيقِ<sup>(٦)</sup>  
رجلٌ نَجْدٌ يُسَمَّى زنده رودا      خَرَّ سكرًا إذ رأى هذا الوُجودا<sup>(٧)</sup>  
أرضكم هذي إليها قد وصلنا      نحنُ في الدُّنيا وَلَكِنَّا خرجنا  
التَّجَلِّي نَحْنُ عنه الباحثونا      والدَّلِيلُ أنتَ نرضى أن تُكونا

\*\*\*

- 
- (١) البيداء : الصحراء .  
(٢) الخافقان : المشرق والمغرب . ورقم : كتب . وإرم : تلميح من المؤلف إلى قوله تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ آلَمَمَادِ ﴾ [ الفجر : ٧ ] وقال بعض المفسرين : إنّ إرم ذات العماد مدينة عظيمةٌ قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الياقوت والزُّبرجد .  
(٣) جاب البلاد : قطعها .  
(٤) تيقن الأمر : علمه وتحققه .  
(٥) رعى : راقب .  
(٦) الرَّحِيق : الخمر . يقول : إنه سكران ولم يذق خمراً .  
(٧) النَجْدُ : الشُّجاع . خَرَّ : سقط .

## حكيمُ المِريخِ

مرغدين تلك أرضُ برخيا  
فرز مرزَ بالشُرورِ الأمرُ  
قال : « أنت هانيءٌ كالعادة  
عالمٌ ، ما أنت فيه يَفْضُلُ  
وعلا حتّى على تِلْكَ الجِنانِ  
أيراه الله ؟ إنني ما دَرَيْتُ !  
قَدْ خَلَا حتّى من الرَبِّ الدَّخيلِ  
لَيْسَ فيه من طوافٍ أو سُجودِ  
قالَ فانهضْ دبرنًّ خدعتك  
ما بهذا السُّخْرِ أغوي جَدُّنا

برخيا جدُّ لأجدادِ ليا<sup>(١)</sup>  
ولديه في الجنانِ الحاضرُ<sup>(٢)</sup>  
طالما ألزمتَ سيرَ الجادَّةِ<sup>(٣)</sup>  
يجعلُ الجنَّةَ زهراً يَذُبُّلُ<sup>(٤)</sup>  
إنَّه فَوْقَ الزَّمانِ والمَكَانِ  
مثلُهُ حرّاً وحَقِّي ما رأيتُ !<sup>(٥)</sup>  
لَيْسَ فيه من كتابٍ أو رَسولِ !  
لا ولا فيه الدُّعاءِ لِلْحَميدِ  
اذهبنَّ فيه أفرغِ صَوْرَتَكَ<sup>(٦)</sup>  
فالإلهُ عالماً أعطى لنا

إنَّه من فَضْلِ رَبِّ العالمينا  
امضِ فيه وتأمَّلْ مَزْغَدينا

\*\*\*

- (١) برخيا : اسم الجدِّ الذي يتخيله إقبال لسكان المريخ . ولم يُلقَ سمعاً إلى وسوسة الشيطان .
- (٢) فرز مرز : اسم يتخيَّله الشاعر كمرغدين .
- (٣) الجادة : وسط الطريق : وألزمه السير في الجادة كناية عن إلزامه عدم الانحراف إلى الشر .
- (٤) يحدثه عن عالم آخر أحسن مما هو فيه ، وحسنه ربيعٌ دائم ، وكأنَّ الجنَّةَ قياساً عليه ربيع لا يدوم ، أو زهرة سرعاناً ما تذبل .
- (٥) يبالغ الشاعر في وصف هذه الشخصية الخيالية بالكفر . والمبالغة من مقومات الشعر وسماته .
- (٦) هذا كلام برخيا .

## التَّجْوَالُ فِي مَدِينَةِ مَرْغَدِينَ

البناء في السَّمَاءِ كَانَ طَوَلَا  
 سَاكِنُوهَا قَوْلُهُمْ مِثْلُ الشَّهَادِ  
 مَا بِيْتَحْصِيلِ وَكَدًّا فِكْرُهُمْ  
 مِنْ أَرَادَ الْمِلْحَ فِي نَوْرِ وَجَدَ  
 الْعِلْمُ وَالْفَنُونُ تَخْدُمُ  
 إِنَّمَا الدِّينَارُ كَانَ كَالصَّنَمِ  
 آلَةُ الشَّيْطَانِ لَمْ تَقْهَرِ طَبِيعَهُ  
 إِنَّ لِلْفَلَاحِ مِصْبَاحاً أَنَارَا  
 آمناً يَرُوي نَبَاتاً يَمْلِكُكُنَا  
 هَاهُنَا مَا لَاحَ جَنْدِيٌّ لِرَائِي  
 مَرْغَدِينَ لَيْسَ فِيهَا مِنْ قَلَمٍ  
 لَيْسَ فِي الشُّوقِ نِدَاءٌ مِنْ تَبَطَّلُ

فِي السُّمُوِّ مَا عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَا  
 زَانَهُمْ حُسْنٌ وَطِيبٌ فِي الْفَوَاذِ<sup>(١)</sup>  
 سِرُّ تِلْكَ الشَّمْسِ أَفْشَى عِلْمُهُمْ  
 مِثْلُ مِلْحٍ مِنْ بَحَارٍ يُسْتَمَدُّ  
 وَازِنُوهَا بِالنُّضَارِ مِنْ هُمْ؟<sup>(٢)</sup>  
 أَبْعَدُوا الْأَصْنَامَ عَنْ هَذَا الْحَرَمِ  
 مَا الدِّخَانُ فِي السَّمَوَاتِ الْوَسِيعَةِ<sup>(٣)</sup>  
 مَا لَكَ لَمْ يَخْشَ حَتَّى إِنْ أَغَارَا  
 مَا لَهُ فِي مَلِكِهِ مِنْ يُشْرِكُنَا  
 لَا وَلَا مِنْ عَاشٍ مِنْ مِصْرَ الدَّمَاءِ  
 فِرْيَةٌ لِلخَادِعِينَ قَدْ رَقَمَ<sup>(٤)</sup>  
 لَا وَلَا فِي الْأُذُنِ نَوْحٌ مِنْ تَسْوَلُ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

## حَكِيمُ الْمَرِيخِ

لَا مَكَانَ هَاهُنَا لِلسَّائِلِينَ  
 وَالْعَيْيُدُ لَا تُرَى وَالْمَالِكِينَ

(١) الشَّهَادِ : جَمْعُ شَهْدٍ .

(٢) النُّضَارُ : الذَّهَبُ .

(٣) يَقُولُ : إِنْ الْأَلَةَ شَيْطَانٍ لَا تَقْهَرُ الطَّبِيعَةَ ، وَدِخَانُهَا لَا يَعْكَرُ صِفُو السَّمَاءِ الْوَاسِعَةِ .

(٤) الْفِرْيَةُ : الْكُذْبُ وَاجْتِلَافُهُ . وَرَقَمَ : كَتَبَ .

(٥) تَبَطَّلُ : تَعَطَّلَ ، وَلَمْ يَعْغَلْ .

## زنده رود

بقضاء الله هذا من حُرِّمٍ      وبأمرِ الله ذاك من حُكِّمٍ  
إنما التقديرُ لله المقلِّدُ      لیسَ من تَدِينِ إنسانٍ مُدَبِّرُ

\*\*\*

## حکیمُ المریخ

القضاءُ إن عَدِمْتَ خَيْرَهُ      مِنْ إلهِ الكَوْنِ فاطلبْ غَيْرَهُ<sup>(١)</sup>  
سُؤالِ اللهِ كُنْ أنتَ الجديرا      يملكُ اللهُ الكَثيرَ والكثيرا<sup>(٢)</sup>  
كُلُّ مالِ الذَّاتِ في قَوْمِ هَدَرَ      إِنَّهُمْ لَمْ يُذِرْكَوا معنَى القَدْرِ<sup>(٣)</sup>  
رمزُه حرفانِ ، هَلْ أذَرَكْتَهُ      « إن تَغَيَّرَتْ فَقَدْ غَيَّرْتَهُ »  
كُنْ تراباً لِتَطِيرَ في الهواءِ      حجراً كُنْ بِكَ تحطيمُ الإناءِ !  
أنتَ طَلٌّ ؟ فالسقوطُ فَوْقَ زَهْرٍ      أنتَ بحرٌ ؟ فالخُلُودُ كُلُّ دَهْرٍ<sup>(٤)</sup>  
قد صَنَعْتَ لَكَ دوماً أنتَ لاتا      ما ثَبَّتْ ، فَلتَعَلَّمَكِ الثَّبَاتا  
أنتَ ما لم تَرَفُضِ الإيمانَ نَفْسُكَ      عالمَ الأفكارِ فيه كانَ حَبْسُكَ  
قد ينالُ المالَ مَنْ يَلْقَى التَّعَبَ      وعديمُ الأيْنِ مَوْفُورُ النَّسَبِ<sup>(٥)</sup>  
كانَ هذا أصلَ دينٍ يا غريرِ !؟      فليزدِ في فَقْرِهِ هذا الفَقِيرِ<sup>(٦)</sup>

(١) القضاء : ما يقدره الله للإنسان .

(٢) يريد الشاعر ليقول : إن الإنسان يستطيع أن يسأل الله قدراً آخر ، وكأنه بذلك يستطيع اختيار قدرٍ يوافقُه .

(٣) هدر الدم : ذهب باطلاً ليس فيه قَوْدٌ . واستعير ذلك للمال إذا ضاع في غيرِ نفعٍ .

(٤) الطل : الندى أو أضعف المطر . وإقبال يلمح إلى قدر الضعيف وقدر القوي .

(٥) الأين : التعب . والنَّسَبُ : المال .

(٦) الغرير : من لا تجربة له . وإقبال ينزه الدين عن الدعوة إلى الكسل ، لأنَّ الغنى والفقير ما قدر الله للمرء بقطع النظر عن كسله أو توفره على عمله .



أَيُّ دِينٍ ! وَالِى نَوْمِ دَعَاكَ      فَأَطَلْتَ النَّوْمَ لَا تَبْدِي حَرَكَاتِكَ  
 أَفَسِحْرٌ ذَاكَ أَمْ دِينٌ لَكَ  
 نَشْوَةُ الْأَفْيُونِ تَمْحُو وَعْيَكَ ؟

أَعْلِمْتَ أَنْتَ مِنْ أَيْنَ التُّهَى      هَذِهِ الْحَوْرَاءُ أَيْنَ طِينُهَا  
 قُوَّةٌ فِي الْفِكْرِ كَانَتْ لِلْحَكِيمِ      طَاقَةٌ بِالذِّكْرِ كَانَتْ لِلْكَالِمِ  
 ذَلِكَ الْقَلْبُ عَلَيْهِ مَا خَطَرَ      وَجَمِيعُ الْمُعْجِزَاتِ مِنْ فَطَرِ (١)  
 أَفَصِيحٌ أَنْتَ ؟ مَا هَذَا بِقَوْلِكَ      تُنْجِزُ الْأَعْمَالَ ؟ لَكِنْ مَا بِحَوْلِكَ (٢)  
 كُلُّ هَذَا كَانَ فَيْضاً لِلرَّبِيعِ      أَوْ رِبِيعِ فَطَرَهُ اللهُ الْبَدِيعِ  
 مَا الْحَيَاةُ ؟ مَعْدَنٌ لِلجَوْهَرِ      الْأَمِينُ أَنْتَ ، مُلْكُ الْآخِرِ (٣)  
 يَشْرَفُ الْإِنْسَانُ بِالطَّبْعِ الْجَوَادِ      خِدْمَةُ الْخَلْقِ لَهُ كُلُّ الْمُرَادِ  
 تِلْكَ كَانَتْ شِمَّةً لِلْأَنْبِيَاءِ  
 تَاجِرٌ مِنْ نَالَ رِبْحاً كَالْجِزَاءِ (٤) !

هَكَذَا تِلْكَ الرِّيَاحُ وَالْمَطَرُ      وَالبَسَاتِينُ وَكُلُّ ذِي نَمَرٍ  
 أَتَقُولُ مَا لَدِينَا مُلْكُنَا ؟ !      يَمْلِكُ الْمَلِكُ جَمِيعاً رُبَّنَا  
 كُلُّ أَرْضٍ أَرْضُ رَبِّي فَاشْهَدُوا      فِي الْكِتَابِ قَوْلُهُ ﴿ لَا تَفْسُدُوا ﴾ (٥)  
 سَلَّمَ الْمَرَّةَ لِإِبْلِيسَ الْقِيَادَا      إِنَّمَا إِبْلِيسُ مَنْ يَسْعَى فَسَادَا

(١) فطر : أوجد .

(٢) الحول : القدرة . يقول : إِنَّ الفصاحة ليست للفصيح ولكنها هبة من الله . وكذلك الشأن في القدرة على إنجاز العمل .

(٣) المعدن : المنجم . يقول : إن الإنسان أمين على هذا المنجم والله صاحبه .

(٤) لا ينبغي لمن يخدم الناس أن يتوقع منهم جزاء على خدمتهم ، وإلا كان كالتاجر الذي لا يتوقع إلا الربح .

(٥) يشير إقبال إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] ، أي : لا تفسدوا فيها بالمعصية بعد الطاعة ، أو بالشرك بعد التوحيد ، أو بالظلم بعد العدل .

مَنْ أَمِينٌ مُنْجِزٌ أَعْمَالَهُ ؟  
 قَدْ أَخَذْتَ أَنْتَ شَيْئاً غَيْرَ مِلْكِكَ  
 اْمَلِكَنَّ الشَّيْءَ فِيهِ رَاغِبَا  
 إِنَّ مُلْكَ اللَّهِ هَذَا فَلَترَدَّهُ  
 ولماذا اليوم نشكو فقرنا ؟  
 كُلُّ مَنْ طِيناً وَمَاءً لَازِمَا  
 منزلٌ ذا أم طريق ؟ ما عَرَفْنَا  
 جوهرٌ هذا لَكِنْ إِنْ مَلَكْتَهُ  
 لَيْتَهُ اللَّهُ رَدَّ مَالَهُ  
 يا لعمرى ليس هذا شأنُ مِثْلِكَ !  
 أو فحاطبٌ مِنْكَ نَفْساً عَاتِبَا<sup>(١)</sup>  
 كي تَحُلَّ أَنْتَ فِي الأَعْمَالِ عُقَدَهُ  
 مالربُّ الكونِ قُلْتُمْ : ذَا لَنَا !  
 كَأْسُهُ بِالصَّخْرِ طَوْعاً حَطَّمَا  
 كلُّ شيءٍ كان يَبْدُو لو نَظَرْنَا  
 والحصى إن لم يَكُنْ فِي الكَفِّ دُشْتَهُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## قِصَّةُ فِتَاةِ المَرِيخِ التي ادَّعَتِ النُّبُوَّةَ

بِقُصُورٍ وَيَسُوحٍ قَد مَرَرْنَا  
 مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ فِيهِ حَشْدُ  
 وَأَنَارَ وَجْهَهَا مِنْ غَيْرِ رُوحِ  
 لَفْظُهَا صُلْدٌ وَعَيْنُ مَا جَرَتْ  
 الشَّبَابَ قَلْبُهَا مَا إِنْ سَعَزَ  
 وَعَنِ العِشْقِ أَتَدْرِي مَا الخَبَرُ !؟  
 هَكَذَا قَالَ الحَكِيمُ شَيْخُنَا  
 جَانِبَ الأَسْوَارِ مَيِّدَانَا رَأِينَا  
 وَفِتَاةٌ ، وَلِهَا كَالْبَانِ قَدُ  
 وَالكَلَامُ لَيْسَ فِيهِ مِنْ وُضُوحِ  
 بِهَجَّةِ الأَمَالِ قَطُّ مَا دَرَّتْ  
 وَلِهَا المَرَاةُ لَا تُبْدِي الصُّورَ<sup>(٣)</sup>  
 صَغُورَةً وَالعِشْقُ شَاهِينٌ كَسَرَ<sup>(٤)</sup>  
 « هَذِهِ الحَسَنَاءُ لَيْسَتْ مِنْ هُنَا »

- (١) يقول : إذا لم تكن مالكا لشيء من حقك أن تملكه ؛ فعاتب نفسك على ذلك .  
 (٢) يقول : إذا ملكت الجوهر فأنت تنعم به ، وعليه فقد حققت متعتك بامتلاكه . أما إذا ملكه سواك فأبي متعة وفائدة لك منه ، وكأنه لا يكون الجوهر حقاً إلا إذا كان لك .  
 (٣) سَعَرَ النَّارَ : أوقدها .  
 (٤) الصَّعُورَةُ : أنثى الصَّعُو ، وهو عصفورٌ صغير . والشَّاهِينُ : طائر من جنس الصقر . وَكَسَرَ : ضمَّ جناحيه لينقضَّ على فريسته .

فَزُرْمَرُزُ فِي حَدِيثٍ قَدْ صَدَقَ « مِنْ بِلَادِ الْغَرْبِ إِيَّاهَا سَرَقَ  
لَقَّنَ الْحَسَنَاءَ أَسْرَارَ التُّبُوَّةِ تُمَّ فِي الْعَالَمِ الْقَاهَا بِقُوَّةِ !  
مِنْ سَمَائِي قَدْ هَبَطْتُ الْيَوْمَ قَالَتْ دَعَوْتِي فِي آخِرِ الْأَيَّامِ كَانَتْ  
عَنْ نِسَاءٍ وَرَجَالٍ مَا تَقُولُ وَصَرِيحُ الْقَوْلِ مَا عَافَ الْخُجُولُ !  
سَأَقُولُ مَا الْمَصِيزُ مَا الْقَدْرُ ،  
بِلِسَانِ تَفَهُمُونَ يَا بَشَشْزُ »

\*\*\*

## رسالة نبيّة المريخ

يا نساء ، أنتِ يا أمي الجلييلة  
عيشُها ما كان إلا ظلمُها  
إننا بالمشط نُزخِي شَعْرَنَا  
الرِّجَالُ صَائِدُونَ ، حِذْرُكُنْ !  
وإذا أبْدَوْا هياماً ماكرونا  
كافرون ، ويُقيمون الحَرَمَ  
وعلى العيشِ إذا تمَّ اتِّفَاقُ  
الأفاعي ؟ مَنْ تُطِيقُ لَدَغَهُمْ  
قُلْنَ لي حَتَّامَ عَيْشِي كَالْحَلِيلَةِ (١)  
إنما الحِرْمَانُ فِي الدُّنْيَا لَهَا  
فِي الرِّجَالِ قَدْ وَجَدْنَا صَيْدَنَا  
وَلَأَجْلِ الصَّيْدِ دَارُوا حَوْلَكُنْ (٢)  
وَبِشَوْقٍ وَشُجُونٍ خَادَعُونَا  
وَلَكِنْ فِيهِ أَلْوَانُ الْأَلَمِ (٣)  
فَالْوَصَالُ السُّمُّ وَالشَّهْدُ الْفِرَاقُ (٤)  
لَا تُرِقْنَ فِي الدِّمَاءِ سُمَّهُمْ (٥)

- (١) الحلييلة : الزوجة . والشاعر يجري الكلام على لسان فتاة المريخ موجهاً إلى النساء ، وإنما أراد بكلامها التلميح إلى تبرُّج فتاة الغرب وصراحة تعبيرها عن مبادئ المرأة المنحرفة التي تفضل الخليل على الخليل .
- (٢) حذركن : احذرن .
- (٣) الحَرَمَ هنا : بيت الزوجية .
- (٤) الاتِّفَاقُ على العيش : الاتفاق على الحياة الزوجية .
- (٥) يشبهه الرجال في نظر هذه المرأة بالأفاعي .

كَلُّ أُمَّ سَوْفَ تَضَوِّي فِي ذُبُولِ  
طَابَ عَيْشٌ لَيْسَ فِيهِ مِنْ حَلِيلٍ<sup>(١)</sup>

إِنَّ هَذَا الْوَحْيَ يَأْتِينِي تَبَاعًا  
عَصْرُنَا أَبَدِي لَنَا إِعْجَازَ فَنُ  
فَلَدَيْكَ أَنْتَ مِنْ حَقْلِ الْحَيَاةِ  
إِنْ وَجَدْتَ غَيْرَ مَرْغُوبٍ لَدَيْكَ  
إِنَّ هَذَا الْعَصْرَ تَتْلُوهُ الْعُصُورُ  
فَالْجِنِينَ هَذِهِ الدُّنْيَا قَدِيمٍ  
فَلَيْمَتْ ! يَبْدُو كَشَيْطَانٍ مَرِيدٍ  
لِلْوُرُودِ الْحُمْرِ مِنْ أَرْضِ طُلُوعِ  
وَخُدِّهِ سَرُّ الْحَيَاةِ قَدْ ظَهَرَ  
دَعَاكَ مِنْ غَيْثِ الرَّبِيعِ يَا مَحَازَ  
غَالِبِي مَا النَّاسُ قَدْ سَمَوْهُ فِطْرَةَ

طَابَ لِي الْإِيمَانُ عُمَقًا وَاتِّسَاعًا  
الْجِنِينَ قَدْ نَرَى فِي طَيِّ بَطْنِ  
مَا أَرَدْتَ مِنْ بَنِينَ أَوْ بَنَاتٍ  
كَأَنَّ دِينًا قَتَلَهُ مِنْ غَيْرِ شَكِّ  
وَلَأَسْرَارٍ وَأَسْرَارٍ ظُهُورِ  
مَا رَأَى قَطُّ ظِلَامًا فِي الرَّحْمِ  
حَيَوَانًا كَانَ فِي الْعَهْدِ الْعَهِيدِ<sup>(٢)</sup>  
لِلنَّدَى مَا هَمَّهَا قَطُّ الْوُقُوعُ !  
مَا لَدَيْهِ مِضْرِبٌ هَذَا الْوَتْرِ<sup>(٣)</sup>  
وَلَتَمَّتْ ظَمَانٌ تَطْوِيكَ الْبِحَازِ<sup>(٤)</sup>  
وَالْفَتَاةُ فَلَتَكُنْ مِنْ بَعْدِ حُرِّهِ

بِافْتِرَاقِ الْجَسَدَيْنِ وَحُدِّي

كِي تُصَانِي ، عَنْ رِجَالٍ فَابْعُدِي<sup>(٥)</sup>

- (١) ضوي : ضَعْفَ وَنَحَلَ . يقول : إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا وَلَدَتْ اعْتَرَاهَا الضَّعْفُ وَالذُّبُولُ .  
والحليل : الزوج .
- (٢) المرید : الخبيث . وهذه المرأة تريد للرجال أن يموتوا ويصبحوا حيواناتٍ منقرضةً .  
والعهيد : القديم .
- (٣) المضرب : ما يضرب به العود وغيره . وكأنَّ سرَّ الحياة وترُّ يرسل الأنعام من غير  
عازفٍ .
- (٤) المحار : صَدَفُ اللؤلؤ . وفي عقيدة القدماء أَنَّ مَطَرَ الرَّبِيعِ إِذَا سَقَطَ فِي الْمَحَارَةِ تَكُونُ  
اللؤلؤ بها .
- (٥) يبالغ الشاعرُ في التهكم فيقول : إِنَّ افتراق المرأة عن الرجل في الحياة الزوجية دينٌ  
التوحيد عندها ! لأنَّ تلازمَ الجسدَيْنِ أو الشخصَيْنِ في الزواج يعدُّ ثنويةً لا توحيداً !! .

## الرُّومِيُّ

مَذْهَبُ الْعَصْرِ الْجَدِيدِ ! قِفْ لِتَنْظُرَ      يَا لِعَمْرِي كُلُّهُمْ بِاللَّهِ يَكْفُرُ  
إِنَّ هَذَا الْعِشْقَ شَرَعَ لِلْحَيَاةِ      فِي الْحَيَاةِ مَا لَنَا دِينَ سِوَاهُ<sup>(١)</sup>  
وَهِيَ فِي الظَّاهِرِ نَارٌ تَحْرُقُ      وَبِنُورِ اللَّهِ قَاعٌ يُشْرِقُ  
نَارُهُ قَدْ أُوْجِدَتْ كُلَّ الْفُنُونِ      كُلُّ فَنٍّ كَانَ مِنْ فَرْطِ الْجُنُونِ !  
إِنَّ عِشْقًا بَوًّا الْعِلْيَاءِ دِينَا  
ذَلِكَ الدِّينُ فَخُذْ عَنْ عَاشِقِينَا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) المرادُ بهذا العشق عشقُ الصُّوفيةِ للذَّاتِ الإلهيةِ .  
(٢) العلياء : المكانُ العالِيُّ وكلُّ ما علا من شيءٍ . والمعنى : أَنَّ العِشْقَ الإلهيَّ يسمو  
بالذِّينِ . والعاشقون : عاشقو الذَّاتِ الإلهيةِ .

القسم الخامس

فَتَاوَى الْمُشْتَرِي



## أرواحُ الحلاج<sup>(١)</sup> وغالب<sup>(٢)</sup> وقرّة العينِ الطاهرة<sup>(٣)</sup>

لم تجذ لها مستقراً في الجنة  
فَجَعَلَتْ تطوف على الدوام وإلى الأبد

قلبي المجنون إنّي قد فدّيتَ      كلّ يومٍ منه صحراءَ وجذت<sup>(٤)</sup>  
إن بلغتُ منزلاً لي قال قُمْ      القويُّ بحرّه كوبٌ يضمُّ<sup>(٥)</sup>  
ما لاياتِ لربِّ الكونِ آخِرُ      ما انتهى هذا الطريقُ يا مسافر؟  
الحكيمُ من يرى شيئاً ويخُبو      والعليمُ ما يراه سوف يزبو<sup>(٦)</sup>

(١) الحلاج هو الحسين بن منصور ، ذلك الصوفي المعروف بشدّة الغلو والتطرّف في نزعاته الصوفية التي كان حريصاً على نشرها في الناس . فما ركن إلى الكتمان ، ولا كان منظوياً على نفسه . بل كان يصيحُ في الأسواق ، وهو في حالةٍ من الجذبة والطرب . وقال بالاتحاد مع بقاء كلّ عنصرٍ من عنصريه على ما هو عليه ، وأنهم بالحلول والكفر لقوله : ( أنا الحق ) فضلبَ عام ٣٠٩ هـ .

(٢) غالبٌ : هو من أعظم شعراء القارة الهندية ، نظم بالفارسية والأوردية ، ويثسّم شعره بيبعد الخيال ، ودقة التصوير ، وهو مفكّر عميق التفكير في تحليل النفوس ووصف الطباع . كانت وفاته عام ١٨٦٩ م .

(٣) الطاهرة : شاعرة إيرانية تُعرّف كذلك بقرة العين . وقد شايحت من يسمّى « الباب » في حركةٍ دينيةٍ تُعدُّ في الإسلام بدعةً مذهبيةً ، فصدر الحكم بقتلها في إيران عام ١٨٥٢ م . وشهرتها بشدّة الجراءة في التعبير عن الرأي ، كما كان من دعوتها إلى الشفور .

(٤) المجنون هنا هو العاشق المشبّه بمجنون ليلي ؛ الذي دلّه الحبُّ ، فهم على وجهه في القفار .

(٥) المتزلُّ هنا : مكانٌ نزول المسافر .

(٦) الحكيم هنا هو العالم . والعليم هو الصوفي . وتخبو النار : تخمد وتنطفئ . ويربو :

يزيد .



الحَكِيمُ طَبِيقٌ فَنُ مَا اخْتَبَزَ لِلْعَلِيمِ كَانَ مِيزَانَ النَّظْرِ<sup>(١)</sup>  
 الحَكِيمُ الطَّيْنُ بِالكَفَّيْنِ جَسًا وَالْعَلِيمُ مَسَّ تِلْكَ الرُّوحَ مَسًّا  
 التَّجَلِّي كَانَ هَذَا مِنْ رَأَاهُ  
 غَيْرَ أَنَّ ذَاكَ فِي ذَاتِ طَوَاهُ

عن جديدٍ مِنْ تَجَلٍّ قَدْ بَحَثَتْ  
 كُلُّ هَذَا كَانَ فِضًّا مِنْ طُهُورِ  
 وَصَلًا مِنْ بَعْدِ أَنْ طَالَ الرَّحِيلُ  
 ذَلِكَ الْعَالَمُ لِلتُّرْبِ الْمَقْرُ  
 كَرْمِهِ مَا فِيهِ مِنْ كَاسٍ لَنَا  
 كَانَ جَوْفُ اللَّيْلِ بِالْقَمَرَاءِ ظَهْرًا  
 فِي السَّمَاءِ تِلْكَ عَيْنِي تَنْسَرِبُ  
 دَخَلْتَنِي هَيْئَةً مِمَّا أَرَى  
 هَذِهِ أَرْوَاحُ طُهُورٍ تَظْهَرُ  
 تَرْتَدِي ثَوْبًا جَمِيلًا أَحْمَرًا  
 مِنْ ﴿ أَلَسْتُ ﴾ هَزَّهَا فَرَطُ اضْطِرَابِ  
 « الزَّمِ الذَّاتِ » بِهَا الرُّومِي حَبَانِي  
 مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا الشُّوقِ فَاَنْظُرْ

- (١) المراد بالفن أصول العلم .  
 (٢) الطهور : الطاهر . والشاعر يشير إلى رجل طاهر النفس . والسعير : النار .  
 (٣) يريد بمن وصلًا : العالم والصوفي .  
 (٤) التُّرْبُ : التراب . ومن أسماء الدنيا في الفارسية ( خاكدان ) بمعنى مجمع التراب .  
 (٥) القمراء : نور القمر .

(٦) قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَىٰ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾  
 [ الأعراف : ١٧٢ ] .

قَرَّةُ الْعَيْنِ وَمَنْصُورٌ وَغَالِبٌ حَرَمُ الْأَرْوَاحِ مِنْهُمْ شِبْهُ جَالِبٍ<sup>(١)</sup>  
لَحْنُهُمْ رَوْحاً يَمُدُّ بِالثَّبَاتِ  
نَاظِهِمْ مِنْ جَوْفِ تِلْكَ الْكَائِنَاتِ

\*\*\*

## لحنُ الحلاج

مِنْ تَرَابِي لِي لَهَيْبٍ مَا رَأَيْتُهُ      مِثْلُ هَذَاكَ التَّجَلِّي مَا طَلَبْتُهُ  
نَظَرْتِي أَمَعَنْتَ فِي ذَاتِي طَوِيلاً      فِتْنِ الدُّنْيَا حَبِيبِي مَا شَهِدْتُهُ !  
ذَاكَ شِعْرٌ أَيْنَ مِنْهُ مَلِكٌ جَمٌّ      غَيْرُ مَقْتُولٍ بِعَشْقٍ مَا نَسَبْتُهُ<sup>(٢)</sup>  
عَقَلْنَا إِنْ كَانَ يَغْزُو أَيُّ بَأْسٍ ؟      عَشَقْنَا هَذَا وَحِيداً مَا عَرَفْتُهُ  
الطَّرِيقَ وَالْمَقَامَ لَسْتُ تَدْرِي      أَي لَحْنٍ لِسُلَيْمَى مَا سَمِعْتُهُ

(١) قَرَّةُ الْعَيْنِ وَمَنْصُورٌ اسمان للطاهرة والحلاج . وجلب : لفظ وصاح وضع .

والجالب : اسم الفاعل من جلب ولكن المراد هو ضجيج الأرواح لا ضجة الحرَم .

(٢) جَمٌّ أَوْ جَمَشِيدٌ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَسِ فِي الْعَهْدِ الْأَسْطُورِيِّ ، وَكَانَ مَشْهُوراً بِعَظَمَتِهِ ، وَاتِّسَاعِ

مَلِكِهِ . وَيُرِيدُ الشَّعْرَ بِالشَّطْرِ الثَّانِي مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ وَهُوَ لِشَاعِرٍ يُسَمَّى نَظِيرِي عَاشٍ فِي

الهند ، وَأَصْلُهُ مِنْ إِيْرَانِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ عَامَ ١٦١٢ م .

وهذا الشاعر يقول : مَنْ لَمْ يَمُتْ عَشَقاً لَيْسَ مَتاً . وهو يذكرنا بترديد شعراء الصوفية

لهذا المعنى ، ومنهم الشاعر العربيُّ عمرُ بنُ الفارضِ القائل :

هُوَ الْحُبُّ فَاسْلَمْ بِالْحَشَا مَا الْهَوَى سَهْلٌ      فَمَا اخْتَارَةَ مُضْنَى بِهِ وَلَهُ عَقْلٌ

وَعِشْ خَالِياً فَالْحُبُّ رَاحَتُهُ عَنَّا      وَأَوَّلُهُ سُقْمٌ وَأَخْرَهُ قَتْلٌ

وقيل في شرح هذا : إِنَّ الْمَوْتَ فِي الْحُبِّ عِنْدَهُ حَيَاةٌ تَفْضَلُ الْحَبِيبَ بِهَا عَلَى الْعَاشِقِ .

والوفاء للحبيب بالوفاء . والموت فيه حياة . والميت خارج عن دعوى قدرته ، وهذا

ما يظهر أَنَّ الْقُدْرَةَ لِلَّهِ . وبذلك يكون قد مات الموت الاختياري قبل الموت

الاضطراري . وعليه فموته حياة لانكشاف الحياة الحقيقية الأزلية ، وفي هذا يقول

شاعر آخر :

وَلَكِنْ لَدَيْ الْمَوْتِ فِيهِ صَبَابَةٌ      حَيَاةٌ لِمَنْ أَهْوَى عَلَيَّ بِهَا فَضْلٌ

صَفْ لَنَا التُّونَ وَبَيِّنْ كَيْفَ صَيَّدَهُ      لَا تَقُلْ لِي زورقٌ مَا إِنَّ رَكِيبَتَهُ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّ شَيْخِي قَالَ لِي : لَوْلَا صِيعَابٌ      صادفتني في طريقي مَا سَلَكَتُهُ !  
 أَرشَفُ الصَّهْبَاءَ فِي حَشْدِ التَّدَامِي  
 قُلْ لَنَا شَيْخَ النُّضَالِ مَا اجْتَنَبْتَهُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## لحن غالب

السَّمَاءُ مِثْلَمَا شِئْنَا نُدِيرُ      والقضاء الكأسَ أزوئنا نُدِيرُ<sup>(٣)</sup>  
 شِخْنَةُ السُّلْطَانِ نَحْنُ مَا رَهْبْنَا      للنوال كَفْنَا مِنَّا نُدِيرُ<sup>(٤)</sup>  
 الْكَلِيمُ لَمْ يَنْلِ جَوَاباً      لِلخَلِيلِ وَجَهْنَا كُنَّا نُدِيرُ<sup>(٥)</sup>  
 سَارِقَ البُستَانِ مَاذَا أَنْتَ تَبْغِي      سَلَّةٌ قَدْ أَفْرَعَتْ إِنَّا نُدِيرُ<sup>(٦)</sup>  
 نَحْنُ فِي رِفْقِ طَيورِ الرِّوْضِ صَبْحاً      نَحْوَ أعشاشِ لها كُنَّا نُدِيرُ<sup>(٧)</sup>

- (١) التُّونَ : الحوت .  
 (٢) الحشد : الجماعة من الناس . والشاعر يطرق المعاني الصُّوفِيَّةَ دون سواها . وقد ترجمنا هذه المنظومة ملتزمين أسلوب إقبال في الأصل الفارسي .  
 (٣) أدار الكأس : قَدَّمَهَا بالتناوب إلى جماعة الشاربيين . وكلمة ندير هي الرديف في الأصل الذي التزمنا تكراره مع القافية الموحدة التي تسبقه .  
 (٤) الشُّخْنَةُ : مَنْ يَضْبِطُ البلدَ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ . والنَّوَالُ : العطاء . وإدارة الكفِّ للنوال كناية عن رفضه .  
 (٥) الكليم : موسى ، والخليل : إبراهيم عليهما السلام . والشاعر يجنح إلى مبالغة الصُّوفِيَّةِ فِي معانيهم الرَّمْزِيَّةِ . فهو يقول : إِنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَى موسى إِذَا كَلَّمَهُ ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ إبراهيمَ ضَيْفَاً .  
 (٦) يقول : إِنَّ السَّارِقَ إِذَا أَفْعَمَ سَلَّتَهُ بِشَمَارِ سَرْقِهَا مِنَ البُستَانِ أَفْرَعْنَا تِلْكَ السَّلَّةَ مِمَّا فِيهَا ، فعاد بها فارغةً .  
 (٧) المعنى في هذا البيت متعلق بالمعنى في البيت الأول ؛ لأنَّه يقول : إِنَّهُ عَنِيفٌ مَعَ الرقيق ، رقيقٌ مَعَ الرقيق .

حَيْدَرَ جَدِّ لَنَا ، لَا تَعْجَبُوا نَحْوَ غَزْبٍ شَمْسَنَا إِنَّا نُدِيرُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## لَحْنُ الطَّاهِرَةِ

« آهٍ لَوْ كَانَ اللَّقَاءُ بِالْعُيُونِ

لَكَشَفْتُ لَكَ مَكْنُونَ الشُّجُونِ<sup>(٢)</sup>»

كَيْ أَرَاكَ مِثْلَ أَنْسَامِ الصَّبَا

بِالذِّبَارِ طُفَّتْ تَوَاقِ الْحَيْنِ<sup>(٣)</sup>»

مِنْ نَوَاكٍ فِي عَيْونِي ذَابَ قَلْبِي

مَنْ رَأَى بَحْرًا جَرَى بَيْنَ الْجُفُونِ<sup>(٤)</sup>»

إِنَّ لِلرُّوحِ شُفُوفًا خَاطَهَا

بِهَوَاكٍ مِخِيطُ الْقَلْبِ الْحَزِينِ<sup>(٥)</sup>»

طُفَّتْ بِالْقَلْبِ طَوِيلًا لَمْ أَجِدْ

غَيْرَ مِنْ أَهْوَى ، وَيَخْفَى بِالْكُمُونِ<sup>(٦)</sup>»

وَجَدْتُ مَنْ يَغْتَشِقُ بِالْقَلْبِ الصَّدِيعِ تِلْكَ رُوحِي مِنْهُ فِي الْحُزْنِ الْوَجِيعِ<sup>(٧)</sup>

مَشْكَلاتٌ لِي تَوَارَتْ قَدْ بَدَتْ كُلَّ فِكْرِي كُلَّ ظَنِّي أَطْبَقْتُ<sup>(٨)</sup>

(١) حيدر هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) الشُّجُونُ : الأحزان .

(٣) الأنسام : جمع نَسَم ، وهو نَفْسُ الرِّيحِ إذا كان ضعيفاً . والتواق : المشتاق .

(٤) النَّوَى : البعاد .

(٥) الشُّفُوفُ : جمع شِف ، وهو الثُّوبُ الرَّقيق الذي يُسْتَشَفُّ ما تحته . والمِخِيطُ :

الإبرة .

(٦) كَمَنْ كُمُونًا : توارى .

(٧) الصَّدِيعُ : المضدوع ؛ أي المشقوق . الْوَجِيعُ : المؤلم .

(٨) أطبق الشيء : غطاه .

بَحْرُ فِكْرِي فِيهِ مَوْجٌ مُضْطَرِبٌ شَطْهُ مِنْ عَضْفِ هَوْجَاءِ خَرِبٍ<sup>(١)</sup>  
 لَا تَضْيَعُ مِنْ زَمَانٍ مُدَّةً إِنَّ أَرْدْتَ أَنْ تَحُلَّ عُقْدَةٌ<sup>(٢)</sup>  
 وَإِلَامَ أَنْتَ لِلْفِكْرِ الْأَسِيرِ  
 وَمِنَ الْبَلْبَالِ فَلْيَخُلِ الضَّمِيرُ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

## زنده رود يعرضُ مشكلاته على الأرواح

عَنْ مَقَامِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ بَعُدْنَا؟  
 مِنْ جَنَّاتِ الْخُلْدِ هَلْ طَوَّعَا خَرَجْنَا؟

### الحلّاج

مَنْ رَأَى خَيْرًا وَشَرًّا بِالْجَنَانِ مَا اسْتَقَرَّتْ مِنْهُ رُوحٌ بِالْجِنَانِ<sup>(٤)</sup>  
 جَنَّةُ الزَّاهِدِ حُورٌ أَوْ غَلَامٌ جَنَّةُ الْأَحْرَارِ فِي سَيْرِ دَوَامٍ<sup>(٥)</sup>

- (١) الهوجاء : الريح التي تطلع البيوت .
- (٢) هذا البيت هو قول جلال الرومي للشاعر .
- (٣) إلامَ : أي وقت . والبلبال : الهمُّ وَوَسْوَاسُ الصُّدْرِ .
- (٤) الجنان بالفتح : القلب وبالكسر : الجنّات .
- (٥) يجري إقبال على مألوف شعراء الصوفية من الفرس الذين يتحكمون بالزاهد في شعرهم الرّمزي الذي يحتمل معنيين أحدهما قريبٌ غيرٌ مقصودٍ والآخر بعيد هو المقصود . وإنما أرادوا بذلك أن يقولوا : إنّ العاشق الإلهي ، أو الصوفي يتلقى الحقيقة إلهاماً من ربه ، ونوراً يشرق به قلبه ، ولا حاجة به إلى ترديد النظر في العلم ؛ لأنّ القلب عنده مصدرُ المعرفة . أما الزاهد أو غير الصوفي الذي يأخذ بظاهر النصّ ولا يتجاوزُ القشور إلى اللباب فهو يعتمد على العقل وحده مصدرًا للمعرفة . ومن ثمّ كان الخلاف بين الصُوفية وغيرهم . وهم يبالغون في التحسين والتقييح محاولين البلاغة ، وكلامهم غير محمولٍ على ظاهره . ويدعون إلى التحرُّر من قيود من يعجز في نظرهم عن إدراك =

جَنَّةُ الزَّاهِدِ نَوْمٌ فِي التَّبَطُّلِ      جَنَّةُ الْعَاشِقِ فِي الْكَوْنِ التَّائُلِ (١)  
حَشْرٌ مِنْ يَزْهَدُ شَقٌّ لِلْقَبُورِ      إِنَّ هَذَا الْعِشْقَ صُبْحٌ لِلشُّشُورِ (٢)  
وَأَسَاسُ الْعِلْمِ خَوْفٌ أَوْ رَجَاءٌ      مَا لِعُشَّاقٍ عَلَى هَذَا اتِّكَاءٌ (٣)  
يُرْهَبُ الْعِلْمَ مِنَ الْكَوْنِ الْجَلَالِ      يُغْرِقُ الْعِشْقَ الرُّوَاءُ وَالْجَمَالَ  
مَا مَضَى لِلْعِلْمِ أَوْ مَا قَدْ حَضَرَ      وَإِلَى الْآتِي مِنَ الْعِشْقِ النَّظَرَ  
مَذْهَبٌ لِلْعِلْمِ كَانَ وَهُوَ جَبْرٌ      مَا لَدَيْهِ كُلُّهُ جَبْرٌ وَصَبْرٌ  
يَا لِهَذَا الْعِشْقِ مِنْ حُرٍّ غَيُورٍ      وَيَرَى الْكَوْنَ بَعَيْنٍ لِلْجَسُورِ  
عِشْقُنَا مَعْنَى الشُّكَاةِ مَا دَرَى      دَمْعُهُ فِي نَشْوَةِ لَمَّا جَرَى  
كَانَ مَجْبُوراً وَحُرّاً قَلْبُنَا      لَيْسَ مِنْ أَجْفَانِ حُورٍ سَهْمُنَا (٤)  
الْفِرَاقُ كَانَ نَاراً فِي الْفُؤَادِ      رَوْحُنَا يَحُلُّو لَهَا مَرُّ الْبُعَادِ  
وَبِلَا وَخْزٍ وَحَرْزٍ كَيْفَ تَحْيَا      قَفَّ عَلَى نَارٍ كَوَتْ سَاقِيكَ كَيْئَا !  
الْحَيَاةُ هَكَذَا ، تَقْدِيرُ ذَاتِكَ      وَهُوَ تَعْمِيرٌ لَهَا ، سِزْ فِي حَيَاتِكَ  
ذِرَّةٌ لِلشُّوقِ شَمْسٌ حَاسِدَةٌ      صَدْرُهَا فِيهِ السَّمَاءُ رَاقِدَةٌ  
إِنْ يَكُنْ لِلشُّوقِ فِي الدُّنْيَا الْهُجُومُ  
يَمْنَحُ الْخُلْدَ لِفَانٍ لَا يَدُومُ

- = الحقيقة ، ولا يُذركها إلا القلب العامر بعشق الذاتِ الإلهية .
- (١) التبتل : التعطل عن العمل ، والشاعر يرمز إلى ضرورة التائُل في الكون لأنه مظهرٌ لِلْقُدْرَةِ الإلهية . وشعرٌ الصوفية من الفرس خصوصاً زاخرٌ بمثل تلك الرموز التي تجد مبالغاتها مساعفاً في ذوقهم .
- (٢) نشر الله الموتى نشرأ ونشوراً : أحياهم .
- (٣) يشير إقبال إلى من يعبد الله رغبةً في ثوابه ورهبةً من عقابه ، ويقول إِنَّ الصُّوفِيَّ يَعْبُدُ اللَّهَ وَيُحِبُّهُ لِمَجْرَدِ الْعِبَادَةِ وَالْمَحَبَّةِ .
- (٤) يقول : إِنَّ قَلْبُنَا كَانَ حُرّاً مَعَ خُضُوعِهِ لِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ ، وَلَا يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ الْقَضَاءُ سَهْمًا ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عَيُونِ الْحُورِ الْعَيْنِ .

## زندہ رود

بالرَدَى والعيشِ تقديرٌ جرى  
ذلكَ التَّقْدِيرُ مِنَّا مَنْ دَرَى<sup>(١)</sup>

## الحلاج

مَنْ لَهُ التَّقْدِيرُ سَهْمٌ سُودَا      يَفْرَعُ الشَّيْطَانُ مِنْهُ وَالرَّدَى<sup>(٢)</sup>  
كَانَ جَبْرًا دِينَ أَصْحَابِ الْهَمَمِ      وَالْقَوَى عِنْدَ رِجَالِ فِي الْقِمَمِ<sup>(٣)</sup>  
الْحَصِيفُ زَادَ فِي عَقْلِ بَجْبَرِ      وَالغَرِيرُ مِنْهُ فِي أَعْمَاقِ قَبْرِ<sup>(٤)</sup>  
خَالِدٌ بِالْجَبْرِ هَدَّ عَالِمَا      أَسْنَا جَبْرٌ لَنَا قَدْ هَدَّمَا<sup>(٥)</sup>  
الرُّضَا مِنْ شَأْنِ ذِيكَ الْبَطْلِ      وَهُوَ ثَوْبٌ فِيهِ فَسَلٌ مَا رَفَلَ<sup>(٦)</sup>

ولمولانا عَرَفْتَ مَا الْمَقَامُ  
فَلْيَشْنُفْ أذُنَيْكَ ذَا الْكَلَامِ

المجوسى زمان بايزيد      مهتدي قال له جدد سعيد  
يا أخى كُنْ كَمَثَلِي مُؤْمِنَا      لِتَكُونَ لِلنَّجَاةِ ضَامِنَا  
إِنَّمَا الْإِيمَانُ هَذَا يَا مُرِيدَ      وَهُوَ إِيْمَانٌ يَرَاهُ بَايَزِيدُ  
فَأَنَا عَنْ حَمَلِ ذَاكَ أضعُفُ  
وبروحى وهى تُعْبِي يَغْنُفُ

(١) التقدير : قضاء الله .

(٢) يريد بالسهم السلاح الذي يتسلح به ، وهو القدد الذي يفرع الشيطان والموت .

(٣) المراد برجال في القمم رجال في أوج العظمة وعلو القدر .

(٤) الحصيف : العاقل . والغريز : من لا تجربة له .

(٥) الأس : الأساس .

(٦) الفسل : الضعيف الذي لا مروءة له . ورفل : جز ذيله وتبختر .

غَيْرُ خَوْفٍ وَرَجَاءٍ مَا لَدِينَا      وَجَمِيعاً سَلَّمُوا ؟ لَا مَا رَأَيْنَا  
 أَنْتَ قُلْتَ : كُلُّ شَيْءٍ بِالْقَدَرِ      وَهُوَ قَيَّدٌ ، يَا تُرَى أَيْنَ الْمَفْرِ  
 قَدَاسَاتِ الْفَهْمِ يَا هَذَا كَثِيرَا      مَا رَأَيْتَ الذَّاتَ وَاللَّهَ الْقَدِيرَا<sup>(١)</sup>  
 بِالذُّعَاءِ الْمَرْءُ كَانَ مُؤْمِنَا      « لَكَ نَحْنُ يَا إِلَهِي كُنْ لَنَا »  
 وَقَضَاءُ اللَّهِ كَانَ عَزْمَهُ  
 سَهْمُهُ فِي الْحَرْبِ كَانَ سَهْمَهُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

### زندہ رود

فِتْنَةٌ هَا قَدْ أَثَارَ الْغَافِلُونَ      هُوَ ذَا الْمَصْلُوبُ يَبْدُو لِلْعُيُونِ<sup>(٣)</sup>  
 الْوَجُودُ وَهُوَ سَرٌّ قَدْ عَرَفْنَا      أَيُّ ذَنْبٍ قُلْنَا كُنْتَ اجْتَرَحْتَ<sup>(٤)</sup>

### الحلاج

إِنَّ فِي صَدْرِي لَصُوراً لِلنُّشُورِ      هُوَذَا شَعْبٌ مَضَى نَحْوَ الْقُبُورِ<sup>(٥)</sup>  
 مُؤْمِنُونَ يُشْبَهُونَ الْكَافِرِينَ      مُسْلِمُونَ وَلِذَاتِ مُنْكَرُونَا  
 قَوْلُهُمْ : الرُّوحُ شَيْءٌ بَاطِلٌ      قِيَدَتْ بِالطَّيْنِ وَهُوَ زَائِلٌ

- 
- (١) رأيت هنا بمعنى رأيت بالقلب لا بالعين .  
 (٢) أي أنّ عزمه كان قدراً ، وسهمه سهم الله .  
 (٣) يشير إقبال من طرف خفي إلى صلب الحلاج .  
 (٤) اجترح الذنب : ارتكبه .  
 (٥) الصور : القرون ينفخ فيه يوم القيامة فيجعل الله ذلك سبباً لعود الصور والأرواح إلى أجسامها .



الحِياةُ أَشْعَلَتْ مِنْ نارِ ذاتي  
 عالَمٌ مِنْ ذاتِهِمْ ما يصنعونا  
 أينَ تبدو الذَّاتُ أو أينَ اخْتَفَتْ  
 يَسْتُرُ النِّيرانَ سِتراً نورُها  
 قَلْبُنا بِالذَّاتِ كَمَ كانَ الحَفِيّا  
 مِنْ لَظَها كُلُّ مَعْدومِ النَّصيبِ  
 نارُ فُزَسِ نارُ هِنْدِ هلْ عَرفَنا  
 نارُها والنُّورِ إِنِّي قَدِ وَصَفْتُ  
 ما فَعَلْتُ قَدِ فَعَلْتُ فَاخَذِرِ  
 ودَعَوْتُ مِيتاً لِلْمَحْشَرِ

\*\*\*

## الطَّاهِرَةُ

مِنْ دُنُوبٍ وخطايا لِلْعِلاةِ  
 إِنَّ فَرِطَ الشُّوقِ سِتراً مَرَقَنا  
 نالَ مِنْ عُوْدٍ وَمِنْ حَبْلِ نَصيبِهِ  
 بِالتَّجَلِّي بَيْنَها قَدِ ظَهَرَ  
 قَدِ بَدَا ما لِمَ يَكُنْ ، مِنْ كائِناثِ  
 وَعَنِ العَيْنِ القَدِيمِ فَرَقَنا  
 لِمَ يَعدُ حَيًّا وَقَدِ وافى حَبيبِهِ<sup>(٤)</sup>  
 لا تَظُنَّ أَنَّهُ الدُّنيا هَجَرَ  
 عَضْرُهُ كانَ ضَميراً وَهُوَ فِيهِ  
 عَزَلَةٌ مَهَمًا تَكُنْ لا تَخْتَوِيهِ

(١) بَصَّرَهُ الأَمْرَ : عَرَفَهُ إِياه .

(٢) الحَفِيّ : البَرُّ اللطيف .

(٣) اللظى : النار ، أو لَهَبُها .

(٤) وافى : أتى .

## زنده رود

أَنْتَ يَا مَنْ جَهَدَ بَحْثِ قَدِ الْفِتْنَةِ اشْرَحَنَّ لِي بَيْتاً أَنْتَ قُلْتَهُ  
« مِنْ رَمَادِ قَبْضَةٍ قُمْرِيَّةٌ ، قَفَصُ اللَّوْنِ الْهَزَائِرُ  
يَا شَكَاةَ فَلَتَجِييِي : أَيِّنَ رَمَزٌ لِفَوَادٍ فِيهِ نَارٌ »<sup>(١)</sup>

## غالب

يشتكي النيران في القلب الذئيف      وشكاة عن شكاة تختلف<sup>(٢)</sup>  
أحرق القمري منها في اللهب      وبدا البلبل في الثوب القشيب<sup>(٣)</sup>  
وتضم الموت في حزن الحياة      فحياة ، أو لها شأن الممات<sup>(٤)</sup>  
يا للون كان منه سفراً ماني      أو زوال اللون مسلوب المعاني<sup>(٥)</sup>  
أفتدري ما للون من مقام ؟      ونصيب القلب مقدار الهيام<sup>(٦)</sup>  
أنت باللون تعال ، أو فيسر<sup>(٧)</sup>  
كي ترى آثار قلب يستعير

(١) يقول المستشرق الإيطالي باوزاني : إنَّ هذا البيت ترجمة لإقبال عن بيت بالأوردية لغالب يكتنف الغموض معناه ، وهو « إذا كانت مظاهر الطبيعة كلها غير جديرة بأن تكون رمزاً للقلب العاشق ، فأى شيء يمكن أن يعد له رمزاً حقيقياً » وفي رواية أخرى لهذا البيت : « قفص الصدا » في موضع « قفص للألوان » .

(٢) الذئيف : من لازمه المرض .

(٣) القشيب : الجديد .

(٤) أي أنَّ الشكاة إمَّا حياة أو موت .

(٥) السُّفْرُ : الكتاب . وماني من أنبياء الفرس قبل الإسلام ، وكان عظيم المهارة في الرَّسْم . وارثرنك عنوان كتاب يحوي تصاويره التي خدع بها أتباعه ويعدها من معجزاته .

(٦) يقول : على قدر ما يجذب القلب من لوعة الأسى والهيام يكون ما قدر الله له .

(٧) أي أقدم باللون أو امض بدونه .

## زنده رود

ألفُ دنيَا في الفِضَاءِ الأَزْرَقِ  
وبهآ كلُّ نبِيٍّ مَّتَّقِي

## غالب

أَنْظَرَنَّ فِي الوجودِ والعَدَمِ كَمْ دُنَى تَأْتِي لَنَا مُنْذُ القِدَمِ<sup>(١)</sup>  
نَحْنُ دنيَا فِي الوجودِ إِنْ رَأِينَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ قَدْ رَأِينَا

## زنده رود

وَضَحَّ القَوْلَ فإِنِّي مَا فَهَمْتُ

## غالب

أَنَا إِنْ زِدْتُكَ تَوْضِيحاً غَلِطْتُ

## زنده رود

لَا يَفِيدُ قَوْلُ أَصْحَابِ الجَنَانِ<sup>(٢)</sup>

## غالب

مَشْكَلُ قَوْلٍ دَقِيقٌ فِي اللِّسَانِ<sup>(٣)</sup>

---

(١) الدُّنَى : جمع دُنْيَا .

(٢) الجَنَان : القلب .

(٣) أَي : يصعب على الإنسان أن يعبر عن قول دقيق عميق .

## زنده رود

اشْتَعَلَّتْ أَنْتَ مِنْ نَارِ الطَّلَبِ  
لَفْظَةً مَا قُلْتُهَا يَا لِلْعَجَبِ

## غالب

إِنْ خَلَقْنَا وَقَضَاءَ ابْتِدَاءِ<sup>(١)</sup>  
رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ أَنْتَهَاءَ

## زنده رود

المعاني عاجزٌ عَنْ فَهْمِهَا  
لَكَ نَارٌ؟ قُمْ وَأَخْرِقْنَا بِهَا

## غالب

أَنْتَ يَا مَنْ تُبْصِرُ الْأَشْعَارَ مِثْلِي وَعَلَيْهَا لِلْكَلامِ أَيُّ فَضْلٍ  
أَمْرَاءُ الشُّعْرِ زَانُوا جَمْعَهُمْ وَالْيَدُ الْبَيْضَاءُ لَيْسَتْ عِنْدَهُمْ  
لَيْسَ مَا تَبْغِيهِ مِنِّي غَيْرَ كُفْرٍ إِنَّهُ كُفْرٌ وَرَاءَ كُلِّ شِغْرِ

## الحلاج

وَإِذَا أَبْصَرْتَ دُنْيَا لِلشَّيَاتِ فَاَلْمُنَى فِي أَرْضِهَا مِثْلُ النَّبَاتِ<sup>(٢)</sup>

(١) يلمح الشاعر إلى قوله تعالى في سورة الأعلى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ ﴾

[ الأعلى : ٢-٣ ] .

(٢) الشَّيَاتِ : الألوان .

إِنَّ نُورَ الْمُضْطَفَى فِيهِ الْبَهَاءُ      أَوْ رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا مَا تَشَاءُ

## زندہ رود

النَّبِيُّ الْمُضْطَفَى مَا أَمْرُهُ      جَوْهَرٌ ، أَفْصَحَ أَجِبَ مَا سِرُّهُ  
فِي الْوُجُودِ آدَمِي أَوْ جَوْهَرٌ ؟      تَارَةً يَخْفَى وَأُخْرَى يَظْهَرُ

## الحلاج

عَفَرَ الْعَالَمُ خَدًا عِنْدَهُ      نَفْسَهُ سَمَى النَّبِيَّ «عَبْدَهُ»  
«عبدہ» فَمَا لَدَيْكَ تَبَهَّرُ      إِنَّهُ الْإِنْسَانُ وَهُوَ الْجَوْهَرُ<sup>(۱)</sup>  
لَيْسَ مِنْ عُرْبٍ وَلَيْسَ الْأَعْجَمَا      آدَمٌ بَلْ كَانَ مِنْهُ الْأَقْدَمَا<sup>(۲)</sup>  
«عبدہ» قَدْ شَكَّلَتْ هَذَا الْقَدْرَ      بِالْفَيَافِي الْخَضْبُ مِنْهَا قَدْ ظَهَرَ<sup>(۳)</sup>  
أَخِيَّتِ الْأَرْوَاحِ وَهِيَ تَقْتُلُ      وَالرُّجَاجُ ، وَهِيَ صَخْرٌ يَثْقُلُ  
غَيْرُ «عَبْدٍ» «عَبْدُهُ» فَلْتَعْتَبِرْ      وَلَهَا طَالَ انْتِظَارُ الْمُتَنْظِرِ<sup>(۴)</sup>  
عَبْدُهُ الدَّهْرَ وَكَانَ الدَّهْرُ مِنْهَا      كُنَّا لَوْنٌ وَيُنَائِي اللَّوْنُ عَنْهَا  
وَلَهَا الْبَدْءُ وَمَنْ غَيْرِ انْتِهَاءِ      مَا لَدَيْهَا مِثْلُ صُبْحٍ أَوْ مَسَاءِ  
مَا دَرَى الْإِنْسَانُ قَطُّ سَرَّهَا      سِرُّ «إِلَّا اللَّهُ» كَانَ ذِكْرُهَا  
لَا إِلَهَ السَّيْفُ وَهِيَ حِدُّهُ      وَلْتَصْرِّخْ وَلْتَقُلْ «هُوَ عَبْدُهُ»  
«عَبْدُهُ» كُنْهُ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ      «عَبْدُهُ» فِيهَا مَعَانٍ مَغْلَقَاتِ

(۱) بهر : غلب .

(۲) فِي الْأَصْلِ الْأَعْجَمُ وَهُوَ الَّذِي فِي لِسَانِهِ لُكْنَةٌ وَعَدَمٌ فَصَاحِي . وَالْمُرَادُ الْأَعْجَمِي أَي غَيْرِ

العربي .

(۳) الفيافي : جمع فيفاء ، وهي الأرض لا ماء فيها .

(۴) اعتبر : نظر في الشيء واختبره .

ولهذا الشُّعْرِ معنَى مَا فَهَمْتَ      قَبْلَ فَهَمِّ قَوْلِ رَبِّي ﴿ مَا رَمَيْتَ ﴾<sup>(١)</sup>  
 دَعَاكَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ زِنْدَهُ رُود  
 امضِ وَلْيُغْرِقْكَ ذِيَاكَ الْوُجُود

### زنده رود

إِنَّ هَذَا الْعِشْقَ شَيْءٌ مَا عَرَفْتَهُ  
 أَهْوَى لِلرُّؤْيَةِ ذَوْقٌ مَا عَهَدْتَهُ ؟

### الحلّاج

هَذِهِ الرُّؤْيَةُ مَعْنَاهَا النَّبِيُّ      يَخْكُمُ النَّفْسَ ، بِذَا وَهُوَ الرَّضِي  
 أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ عِشٌّ مِثْلَ الرَّسُولِ      وَمَنْ الْخَلْقِ سَتَحْظِي بِالْقَبُولِ  
 ذَاتَكَ أَنْظُرْ إِنَّ هَذَا رُؤْيَتَهُ      سَرُّهُ السَّرُّ الْعَظِيمُ سَتَتَهُ

### زنده رود

رُؤْيَةُ اللَّهِ أَفْلَاكًا نَثْرًا ؟  
 وَأَدَارَ الشَّمْسِ فِيهَا وَالْقَمَرِ<sup>(٢)</sup>

(١) يريد قوله تعالى في سورة الأنفال : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [ الأنفال : ١٧ ] ؛ أي لم تقتلوهم بيدد بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصره إياكم . . . وما رميت يا محمد عين القوم إذ رميت بالحصا ، فإن كفاً من الحصا لا يمكن أن تملأ عيون الجيش العظيم إن كان الرّامي من البشر ، ولكن الله رمى ، ليقهر الكافرين .

(٢) أي الله الذي نثر الأفلاك في السماء .

## الحلاج

صورة الحق بروح اطرَحَن  
 وإذا كانت بروح صُوْرَتْه  
 إن جَرَتْ « هو » يا حَظِيظُ مِنْ لِسَانِكَ  
 ويلُ درويشٍ بفيه قد جَرَتْ  
 إنَّه لم يُجِرِ حُكْمَ رَبِّه  
 طلبُ الرُّهدِ تحاشى خييرا  
 صورةُ الحقِّ ، هي الدُّنيا لديكا  
 ثمَّ في الدُّنيا إليه انظُرَنَّ (١)  
 فلكلِّ العالَمِينَ رؤيته  
 طافَتِ الأفلاكِ طوفاً حولَ دَارِكَ (٢)  
 ثمَّ ضمَّ شفَّتيه أو صَمَّتْ  
 ما الشعيرُ؟ حَيْدَرُ في حَزْبِهِ؟ (٣)  
 راهباً أضحى ، مليكٌ يا ترى؟ (٤)  
 والقضاءُ كالزَّمامِ في يديكا

القتالُ بُغْيَةُ العَصْرِ المَرِيدِ  
 ألْقها في لَوْحِ كَفَّارِ عَنِيذِ

## زندة رود

كان في الدُّنيا لَدَيْنَا رَمْيُهَا  
 لستُ أدري كيف كان رَمْيُهَا !

- 
- (١) الحق : هو الله تعالى .  
 (٢) الحظيظ : السعيد الحظ .  
 (٣) أكلُ خبز الشعير رمزٌ إلى شدة التقشف والقناعة من الدُّنيا بأقلِّ قليلها . وحيدر هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه المشتهر بالنجدة وشدة البأس في القتال . والشاعر يتهمك بالمسرف في الزهد ، ويفضل عليه المحارب المناضل .  
 (٤) يشير إلى ما يروى من عجائب الأخبار عن قوة عليٍّ وشجاعته في غزوة خيبر ، وقد أسلفنا الإشارة إلى ذلك . ويتهمك ثانيةً بالزاهد الذي يتوهم نفسه بالزهد أعظم من ملوك الأرض .

## الحلاج

يُحْنِنُ كَانَ لِلْوَجْدِ الرَّهِيْفِ      أَمْ بَقْسِرِ كَانَ لِلْقَهْرِ الْعَنِيفِ<sup>(١)</sup>  
إِنَّ فِي الرَّقَّةِ رَبِي أَظْهَرُ      هِيَ مِنْ عُنْفٍ شَدِيدٍ أَجْدَرُ

### زندہ رود

أَنْتَ يَا مَنْ تَعْرِفُ الْأَسْرَارَ شَرْقَا  
بَيْنَ زُهْدٍ هَلْ تَرَى وَالْعِشْقَ فَرْقَا؟

## الحلاج

إِنَّمَا الرَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا الْغَرِيبُ  
ذَلِكَ الْعَاشِقُ فِي الْعُقْبَى الْغَرِيبُ

### زندہ رود

إِنْ عَرَفْتَ فَاَنْتِهَاءَ بِالْفَنَاءِ      مِنْ سَعِيدٍ فِي الْفَنَاءِ بِالْبَقَاءِ؟

## الحلاج

تُسَكِّرُ الْكَاسُ خَلَّتْ بَعْدَ امْتِلَاءِ      وَعَنِ الْعِلْمِ اغْتَرَابُ كَالْفَنَاءِ  
فِي الْفَنَاءِ لَكَ شَوْقٌ وَاحْتَدَمَ      ذَلِكَ الْمَوْجُودَ لَا يَلْقَى الْعَدَمَ<sup>(٢)</sup>

### زندہ رود

مَنْ عَلَى آدَمِ أَغْلَى قَدْرَهُ      لَمْ يَجِدْ فِي قَاعِ دُنِّ خَمْرِهِ<sup>(٣)</sup>

(١) الرَّهِيْفُ : الرَّقِيْقُ .

(٢) احْتَدَمَ : اشْتَدَّ . يَقُولُ : أَنْتَ فِي الْفَنَاءِ تَطْلُبُ شَيْئًا . وَالْعَدَمُ لَا يَصَادَفُ الشَّيْءَ الْمَوْجُودَ .

(٣) الدُّنُّ : جِرَّةُ الْخَمْرِ . وَيَعْلَى قَدْرَهُ عَلَى قَدْرِ آدَمَ : يَدَّعَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ آدَمَ ، وَهَذَا مَا ادَّعَاهُ =



يعرفُ الأفلاكَ حقّاً طينُنا      أينَ نازُّ للمريدِ هاهنا<sup>(١)</sup>

## الحلاج

أوجزِ الأقوالَ عَن شَيْخِ الْفِرَاقِ      ذِي الْهَيْامِ وَالنَّجِيعِ فِي الدَّهَاقِ<sup>(٢)</sup>  
وجهلُنَا ، كُلَّ شَيْءٍ قَدْ دَرَى      وَيَكْفُرِ كُلَّ سِرٍّ أَظْهَرَ  
السُّقُوطُ بَعْدَهُ طَابَ الصُّعُودُ      بَعْدَ نَقْصِ قَرِّ عَيْنَا مِنْ يَزِيدَ  
إِنْ عَشِقْتَ فِي لَهَيْبٍ فَاخْتَرِقْ      كَانَ مِنْهُ ، أَوْ فَلَسْتَ الْمُخْتَرِقُ !  
إِنَّهُ فِي الْعِشْقِ مَنَّا أَقْدَمُ      سِرُّهُ مَا لَيْسَ يَدْرِي آدَمُ  
إِنَّ لِلتَّقْلِيدِ ثَوْباً ، مَرْقَقَةً  
وَأُخِذَ التَّوْحِيدَ عَنْهُ وَأَفْهَمْتَهُ

## الحلاج

المَقَامُ لَيْسَ فِي طَوْقٍ لَنَا      وَنَطِيرُ ، كَانَ ذَا ذَوْقاً لَنَا<sup>(٣)</sup>  
نَحْنُ دَوْمًا مِنْ رَأَيْنَا أَوْ خَفَقْنَا      مَا لَدَيْنَا مِنْ جَنَاحٍ ، حَسْبُنَا<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

## ظهورُ رأسِ أهلِ الفِراقِ إبليسَ

وَحَدِيثُ الْحَمَاءِ بُرْهَتَانِ      الْوَجُودَ وَالْفَنَاءَ تَصْنَعَانِ

= إبليس أو الشيطان .

(١) المراد بالطين هنا هو الإنسان . والمريد : الخبيث .

(٢) الهيام : الظمأ . والنجيع : الدم . والدهاق من الكؤوس : الممثلة .

(٣) الطوق : الطاقة والقدرة .

(٤) دوماً : دائماً . وحسبنا : كافينا .

أَضْرَمَ العِشْقَ عَلَيْنَا وَأَنْصَرَفَ  
 أَعْمَضِ العَيْنِينَ حَتَّى أَمْلَكَهُ  
 وظلام كُفِّ مِنْهُ النَّاطِرَانِ  
 شَعْلَةٌ لَاحَتْ بَلِيلٍ قَدْ وَقَبَ  
 وهو شيخ يرتدي سودَ الثياب  
 وَهَبَ الرُّوْيَةَ عَقْلًا ، مَا وَقَفَ  
 فِي فَوَادِي طَابَ لِي أَنْ أَسْلُكَهُ  
 فِي المَكَانِ وَإِلَى غَيْرِ المَكَانِ<sup>(١)</sup>  
 وَإِذَا مِنْ جَوْفِهَا شَيْخٌ وَثَبَ<sup>(٢)</sup>  
 وَالدُّخَانُ لَفَّهُ مِثْلَ السَّحَابِ

قال مولانا أرى شيخَ الفِراقِ

يَتَلَطَّى وَالتَّجِيعُ فِي الدَّهَاقِ<sup>(٣)</sup>

طَالَ مِنْهُ الصَّمْتُ فِي طَوْلِ الوُجُومِ  
 مَا جَنَّ شَيْخٌ حَكِيمٌ زَاهِدٌ  
 مَا دَرَى طَبْعٌ لَهُ ذَوْقُ الوِصَالِ  
 وَهُوَ عَنْ هَذَا الجَمَالِ مَا انْقَطَعَ  
 قَفٌ تَأْمَلُ بُزْهَةً مَا قَدْ عَرَاهُ  
 وَيَرَى الأرواحَ وَهِيَ فِي الجُسُومِ<sup>(٤)</sup>  
 يُشْبِهُ الرُّهَادَ وَهُوَ الجَاهِدُ<sup>(٥)</sup>  
 زُهْدُهُ تَرَكُ الخُلُودِ فِي الجَمَالِ<sup>(٦)</sup>  
 وَامْتِنَاعٍ عَنْ سَجُودِ مَا صَنَعَ  
 ثَابِتاً فِي المُشْكَلاتِ كِي تَرَاهُ<sup>(٧)</sup>

وبه الهيجاء ما زالت تَدُوزُ

كَم نَبِيٍّ قَدْ رَأَى وَهُوَ الكَفُوزُ

مِنْ لَظَاهِ الرُّوحِ فِي جَسْمِي ازْتَعَدُ  
 فَتَحَ العَيْنَ وَقَالَ وَاعْتَدَلُ  
 وَزَفِيرُ الحُزْنِ مِنْ فِيهِ اصَّعَدُ<sup>(٨)</sup>  
 مِثْلُنَا مِنْ كَانَ مِيْمُونَ العَمَلُ

(١) كُفِّ بَصْرُهُ : ذَهَبَ . النَّاطِرَانِ : العَيْنَانِ .

(٢) وَقَبَ الظَّلامِ : دَخَلَ عَلَى النَّاسِ .

(٣) يَتَلَطَّى : يَتَلَهَّبُ . التَّجِيعُ : الدَّمُ . وَالدَّهَاقُ مِنَ الكَوُوسِ : المَمْتَلِئَةُ .

(٤) الوُجُومِ : الحُزْنُ مَعَ الصَّمْتِ .

(٥) المَاجِنُ : الَّذِي لَا يَبَالِي مَا صَنَعَ . وَالجَاهِدُ : المَجْدُ .

(٦) الذَّوْقُ : الإِدْرَاكُ . وَفِي الأَصْلِ أَنَّ زُهْدَهُ قَطَعَ النَّظَرَ عَنِ الجَمَالِ الخَالِدِ .

(٧) عَرَاهُ : اعْتَرَاهُ ، وَغَشِيَهُ .

(٨) اللَّطْيُ : النَّارُ . اصَّعَدَ : صَعِدَ .

لِلصَّلَاةِ قَلَمًا وَقَتًا وَجَدْتُ (١)  
 إِنَّ وَحْيِي لَا يَمُنُّ بِالنُّبُوَّةِ (٢)  
 وَالْفَقِيهِ مِنْ دَحْرُتٍ فِي الْغِلَابِ (٣)  
 جَعَلَ الْكَعْبَةَ آثَارَ الطَّلَلِ (٤)  
 مَا لِإِبْلِيسَ انشِقَاقَ الْمَذْهَبِ  
 أُرْغُنِي هَذَا عَلَيْهِ قَدْ عَزَفْتُ (٥)  
 أَبْصِرِ الْبَاطِنَ وَاتْرِكْ ظَاهِرًا  
 كَيْفَ هَذَا ، إِنَّ رَبِّي قَدْ شُهِدَ (٦)  
 مَا سَكْتُ ، فَأَنَا خَيْرًا صَنَعْتُ  
 وَلِذَاكَ عَنْهُ هَدَاةُ الْحَبِيبِ (٧)  
 بَعْدَ جَبْرِ قَدْ هَدَاهُ الْاِخْتِيَازَ  
 ثُمَّ قُلْتُ : أَنْتَ فَلْتَحْتَرِ لِنَفْسِكَ  
 عُقْدَتِي حُلًّا وَدَبَّرْ أَمْرَهَا  
 أَنْتَ عَصِيانًا لِشَيْطَانٍ أَبْخَتَ  
 وَلْتَعِشْ يَا مُسْعِدِي عَنِّي غَرِيبًا (٨)  
 لَا تَزِدْنِي مِنْ سِوَادِي فِي كِتَابِي

انْهَمَكْتُ فِي سُؤْنِي وَاجْتَهَدْتُ  
 مَا لَدَيَّ مِنْ مَدَدْتُ مِنْهُ قُوَّةُ  
 لَيْسَ عِنْدِي مِنْ حَدِيثٍ أَوْ كِتَابٍ  
 كَالْفَقِيهِ غَزَلَ دِينَ مِنْ غَزَلِ  
 مَا عَرَفْنَا مِثْلَ هَذَا الْمَطْلَبِ  
 يَا جَهَوْلُ ، إِنَّنِي مَا إِنْ سَجَدْتُ  
 لَوْجُودِ اللَّهِ لَسْتُ مُنْكَرًا  
 أَجْهَلْتُ كَيْ أَقُولَ مَا أُوجَدُ  
 وَ« نَعَمْ » فِي سِتْرِ « لَا » مَا قَدْ نَطَقْتُ  
 آدَمُ مِنْ هَمِّهِ نِلْتُ النَّصِيبَا  
 مِنْ مَرُوجِي تَبَّتْ نَارٌ وَنَارُ  
 إِنَّنِي أَظْهَرْتُ قُبْحِي ، قُمْ بِشَانِكَ  
 تِلْكَ نَارِي صَدَّ عَنِّي حَرُّهَا  
 أَنْتَ يَا إِنْسَانُ فِي أَسْرِي وَقَعْتُ  
 وَهَمَامًا كُنْ وَلَا تَخْشَ الْخُطُوبَا  
 دَعَاكَ مِنْ حُلُوي وَمُرِّي وَأَنْسَ مَا بِي

- (١) فِي الْأَصْلِ أَنَّهُ مَا وَجَدَ وَقَتًا لِلصَّلَاةِ الْجُمُعَةِ .
- (٢) مَدَدْتُ مِنْهُ قُوَّةُ : أَخَذْتُهَا مِنْهُ . وَالْمَنْ : التَّعْبِيرُ بِالصَّنِيعَةِ .
- (٣) دَحْرَ : طَرَدَ ، وَهَزَمَ . الْغِلَابُ : مَنْ غَالِبٌ .
- (٤) يَجْرِي إِقْبَالُ عَلَى مَأْلُوفِ الصُّوفِيَّةِ فِي تَهْكِيمِهِمُ الرَّمْزِي بِالزَّهَادِ وَالْفُقَهَاءِ .
- (٥) الْأَرْعَنُ : آلَةٌ يَعْرِفُ عَلَيْهَا .
- (٦) شَهِدَ : رُئِيَ .
- (٧) الْحَبِيبُ : هُوَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا .
- (٨) الْهَمَامُ : الْعَظِيمُ الْهَمَّةُ . الْمُسْعِدُ : الْمَوَاسِي وَالْمَعِينُ .

يَرُضُّدُ الصَّيَّادُ مَا يَزِمِيهِ حَتْمًا      إِنَّ بَدَوْتَ فِي مَصَادِي نِلْتَ سَهْمًا<sup>(١)</sup> !

ما هوى من طارَ في أوج السماء

يَغْلِبُ الصَّيَّادَ صَيْدٌ بِالذِّكَاءِ<sup>(٢)</sup> !

قَلْتُ : « فَاطْرَحِ لِلْفِرَاقِ مَذْهَبًا      فِي الطَّلَاقِ لَيْسَ لِي أَنْ أَرْغَبَا<sup>(٣)</sup> »

« الْفِرَاقُ لِلْحَيَاةِ مِثْلَ شَطْرِ      نَشْوَةٍ فِي يَوْمِهِ لَيْسَتْ لِخَمْرِ

الْوَصَالِ بِلِسَانِي مَا ذَكَرْتَ      فَهُوَ فِي الْوَضْلِ امْحَى بِي وَاَمَحَيْتَ<sup>(٤)</sup> !

لَفْظُهُ عَنِ نَفْسِهِ كَانَ الْغَرِيبَا      ثُمَّ زَادَ الْقَلْبُ بِالْحُزْنِ اللَّهْيَا

وَتَلَوَّى فِي الدُّخَانِ وَاخْتَلَجَ      ثُمَّ ضَلَّ وَهُوَ مِنْهُ فِي الْحَرَجِ<sup>(٥)</sup>

الشَّكَاةُ لِلدُّخَانِ فِي انْسِكَابِ

تَسْعُدُ الرُّوحُ بِآلَامِ الْعَذَابِ

\*\*\*

## شكوى إبليس

رَبِّ مَنْ أَخْطَا وَرَبِّ مَنْ أَصَابَا      صَحْبَةُ الْإِنْسَانِ لِي كَانَتْ مُصَابَا<sup>(٦)</sup>

ذَلِكَ الْإِنْسَانُ حَكْمِي لَمْ يُخَالِفْ      أَغْمَضَ الْعَيْنَ وَذَاتَا لَمْ يُصَادِفْ

طِينُهُ لَمْ يَذِرْ ذَوْقًا لِلْإِبَاءِ      لَا وَلَا مَعْنَى لِنَارِ الْكِبْرِيَاءِ

(١) المصَاد : موضع الصيد .

(٢) الصَّيْدُ : ما يصاد .

(٣) التلميح هنا بحديث للنبي ﷺ ، وهو قوله : « أبغض الحلال عند الله الطلاق » . وأورد الشاعر هذا الحديث بتمامه في الشطر الثاني من البيت .

(٤) يريد فناء الصوفي في الذات الإلهية .

(٥) الحرج : مكان ضيق كثير الشجر .

(٦) المصَاب : النازلة الشديدة .

وخضوعُ العَبْدِ أمرٌ لم يَرُقْنِي (١)  
 بخضوعي لك بالأمسِ اذْكَرْتَنِي  
 ويحَ نفسي واشقائي وابلائي !  
 وَيَخِرُّ إِنْ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي (٢)  
 مَنْ يُجِيلُ الرَّأْيَ فِي كُلِّ الْفِكْرِ (٣)  
 لَيْسَ كالأَطْفَالِ مَنْ يَعْتَوِ عَيْنِيَا (٤)  
 حَسْبُهُ مَنِّي الشَّرَارُ لِلْفَنَاءِ (٥)  
 كُلُّ تِلْكَ النَّارِ عِنْدِي هَلْ تُفِيدُ ؟  
 أعْظَمُ الأَعْمَالِ حَقًّا صَهْرُ صَخْرٍ  
 وإِلَيْكَ لِتَجَازِينِي قَدِمْتُ  
 رَجُلُ اللهِ الطَّرِيقَ نَحْوَهُ افْتَحْ  
 وارتِيعَايَ مِنْهُ حِينَ يَنْظُرُ (٦)  
 لا أسَاوِي عِنْدَهُ حَبَّ الشَّعِيرِ

ويقولُ الصَّيْدُ لِلصَّيَادِ خُذْنِي  
 وَمِنَ الصَّيْدِ ، إلهي ، خَلِّصْنِي  
 مِنْهُ ذُلِّي ورماني من علائي  
 وَضَعِيفُ العَزْمِ فَحَجُّ الفِطْرَةِ  
 وجديرٌ بي حصيفٌ ذو نَظَرٍ  
 دُمِيَّةَ الطَّيْنِ اسْتَرَدَّ مِنْ يَدَيَا  
 ما هو الإنسانُ ؟ ضِغْثٌ من عُثَاءٍ  
 لِلعُثَاءِ وَخَدُهُ كَانَ الوُجُودُ  
 أَيُّ شَيْءٍ لِلرُّجَاجِ كَانَ صَهْرٍ  
 مِنْ فتوحي ها أنا ذا قَدْ سَمِئْتُ  
 مُنْكَرَ الذَّاتِ أريدُ مِنْكَ فامْنَحْ  
 وأريدُ طَلِيتِي مِنْ يَغْصِرُ  
 من يقول : « أَخْرَجَنَّ مِنْ حُضُورِي »

يا إلهي فلتَهَبْ حُرًّا أَيَّامَا  
 في انهزامي متعةً كانتَ لَدَيَا

\*\*\*

- 
- (١) لم يرقني : لم يعجبني .  
 (٢) الفج : ما لم ينضح من الثمار . وخر : سقط .  
 (٣) الحصيف : العاقل الحكيم .  
 (٤) عتا الشيخ : طعن في السن .  
 (٥) الضغث : قبضة حشيش مختلطة اليابس بالرطب .  
 (٦) الطلية : العتق .

القسم السادس

فَمَّا كُنْتُمْ زُجَّجًا



## الأرواحُ الخبيثةُ التي غَدَرَتْ بِالوَطَنِ ولم تقبلها جهنَّم

كَانَ لِلأحرارِ مولانا الإماما  
 السماءَ قالَ يا مَنْ قَدْ طَوَيْتَ  
 وكما شاهَدْتَه أَنْتَ انْتَطَقُ  
 وبطيءٍ كالشُّكُونِ عِنْدَ سِيرِ  
 جَسَمِهِ ماءً وَطِيناً شَكَّلا  
 تَضَعُ النُّارَ بايِدِ اللَّمَلانِكِ  
 دِرَّةٌ قَدْ أَوْجَعَتْ تِلْكَ النُّجومِ  
 عالِمٌ مِنْهُ التُّفُورُ لِلْفَلَكِ  
 ما لأرواحٍ بِهِ يَوْمَ النُّشُورِ  
 إِنَّ شَيْطانَيْنِ فِيهِ يَسْكُنانِ  
 ذاكَ فِي البَنْغالِ هذا فِي الدَّكَّنِ

كَلَّ حُرّاً بوأَ الشَّيخَ المَقامِ<sup>(١)</sup>  
 أعلى العالِمِ زُناراً رأيتُ؟<sup>(٢)</sup>  
 بذبولٍ لنجومٍ قَدْ سَرَقَ!<sup>(٣)</sup>  
 خَيْرُهُ ما كانَ إِلا كَلَّ شَرِ  
 خَطوُهُ فِي الأَرْضِ صَغْبٌ أَشْكِلا<sup>(٤)</sup>  
 فَسَمَتِ سُخْطاً لربِّي مِنْ هُنالِكَ<sup>(٥)</sup>  
 مَنَعَتْها فِي المَدارِ أَنْ تُحوما<sup>(٦)</sup>  
 وَهُوَ مِنْ بُخْلِ الشُّمُوسِ فِي الحَلَكِ<sup>(٧)</sup>  
 لَمْ تُعَذِّبْها الجَحيمُ بالسَّعيرِ<sup>(٨)</sup>  
 أَزْهَقَ الرُّوحَ لِقومٍ قاتِلانِ  
 وهما لِلدَّيْنِ عازٌّ وَالوَطَنِ<sup>(٩)</sup>

- (١) مولانا هو الصوفي الفارسي جلال الدين الرُّومي .
- (٢) الزُّنار : ما يشدُّ به النصارى وسطهم والإيماء إلى زحل .
- (٣) انتطق : شدَّ وسطه بالمنطقة .
- (٤) أشكل الأمر : التبس .
- (٥) الملائك : الملائكة ، والنَّار هنا : الصاعقة .
- (٦) الدَّرَّة : السوط .
- (٧) الحلك : الظلام .
- (٨) يوم النشور يوم القيامة الذي تعود فيه الحياة إلى الموتى . والسَّعير : النار .
- (٩) مير جعفر : هندي قبل أن يكون حاكماً للبنغال تحت نفوذ الإنجليز ؛ الذين توطدت =



أَبْغَضًا فِي الْيَأْسِ مِنْ نَيْلِ الْمُرَادِ  
 أُمَّةٌ كُلُّ الصَّلَاتِ قَطَعَتْ  
 وَبِلَادُ الْهِنْدِ هَلْ أَنْسَيْتَهَا؟  
 فَتَجَلَّيْهَا أَنْارَ الْعَالَمَا  
 فِي ثَرَاهَا مَنْ رَمَى بِذَرِّ الْعَبِيدِ؟  
 ذَلِكَ فِعْلٌ كَانَ مِنْ رُوحٍ مَرِيدِ

برهةً قِفْ أَنْتَ فِي هَذَا الْفَضَاءِ

مَا يَنَالُ الْمَرْءُ شَاهِدًا مِنْ جِزَاءِ

\*\*\*

### بَحْرُ الدَّمَاءِ

مَا رَأَيْتُ ، وَضْفُهُ يُغْيِي اللِّسْنَ  
 إِنَّهُ بَحْرُ الدَّمَاءِ قَدْ جَرَى  
 يُشْبَهُ الْحَيْتَانَ تَيِّبًا يَطْبِيزُ  
 بِجَنَاحِي زُبُقٍ وَالْكَفُّ قَيْرُ (٤)  
 مَاتَ رُغْبًا مِنْهُ تَمْسَاحٌ بِسَاحِلِ (٥)

= أقدمائهم ، واستقامت أمورهم ، وسيطروا على الهند بعد أن هزموا سراج الدولة حاكم البنغال عام ١٧٥٧ . وصادق الدكني خائن خان السلطان تيبو الحاكم المسلم لميسور المتوفى عام ١٧٩٩ .

(١) يريد قطع الصلوات بينها وبين غيرها من الأمم .

(٢) أي لها في كل قلب ما لها من علو المنزلة .

(٣) اللسن : الفصاحة .

(٤) التنين : العظيم من الحيات . يقول إن التنانين في الجو كالحيتان في البحر وجناحاها في لون الزئبق ومخالباها سود في لون الليل . والقير : القار ، وهو مادة سوداء تُطلى بها السفن .

(٥) الهصور : المفترس . والمناصل : جمع منصل وهو السيف . وكان أنياب الأسد سيوف .

لَمْ يَنْلُ مِنْهُ الْأَمَانَ الشَّطُّ قَطُ      فِي الدِّمَاءِ تِلْكَ أَعْلَامُ تَغَطُّ<sup>(١)</sup>  
هذه الأمواجُ دوماً في نِزَاغٍ      تُهْبِطُ الرُّوزِقُ مِنْ بَعْدِ ارْتِفَاعِ  
فِيهِ يَبْدُو رَجُلَانِ شَاحِبَانِ  
أَشْعَثَانِ مِنْ ثِيَابِ عَارِيَانِ

\*\*\*

### رُوحُ الْهِنْدِ تَظْهَرُ

تِلْكَ بِنْتُ الْحَوْرِ فِي شَقِّ السَّمَاءِ      تَرْفَعُ الْبُرُوقَ عَنِ وَجْهِ الضِّيَاءِ  
ولها نازٌ ونورٌ في الجيِّينِ      وسرورٌ أبديٌّ في العيونِ  
ترتدي ثوباً أرقاً من غَمَامٍ      نَسَجَتْهُ مِنْ وُرُودٍ فِي الْكِمَامِ<sup>(٢)</sup>  
مَعَ هَذَا الْحُسْنِ نَاءَتْ بِالْقِيُودِ      تَصْدَعُ الشُّكُوبِ لَهَا قَلْبُ الْحَدِيدِ<sup>(٣)</sup>

قال : رُوحُ الْهِنْدِ مَوْلَانَا اشْهَدَا  
نُوحَهَا فِي الْقَلْبِ نَاراً أَوْقَدَا

\*\*\*

### رُوحُ الْهِنْدِ تَنْوُحُ وَتَنْتَحِبُ

أَيْنَ نَوْرُ الرُّوْحِ فِي مِصْبَاحِهَا      مِنْ وَعَى مَجْدِهَا مِنْ أَهْلِهَا  
مَنْ عَلَى سِرِّهَا لَمْ يَطَّلِعْ      أَلِالْحَنِ مِنْهُ مُشَجِّ نَسْتِمِعْ  
وَيَرَى الْمَاضِي بَعِينِ جَامِدَةٍ      يَخْرِقُ الْقَلْبَ بِنَارِ حَامِدَةٍ  
وَقِيُودِي مِنْهُ يُعْيِي ثِقْلُهَا      وَشِكَايِي لَيْسَ يُجْدِي قَوْلُهَا

- (١) الأعلام : جمع علم وهو الجبل العالي . وتغط : تغطس في الماء .  
(٢) الكِمَامُ : جمع كِمٍّ ، وهو غلافُ البرعم .  
(٣) ناء بالمحمل : نهَضَ به مُثْقَلًا .

ومضى شوطاً بعيداً عن « أنا » من تقاليد له سِجْناً بَنَى  
عَيْشُهُ أَلَمَ حَتَّى قَوْمَنَا  
طَهَّرَهُ بِالْحُزْنِ أَضْنَى عَضْرَنَا<sup>(١)</sup>

دَعَكَ مِنْ فَقْرٍ بِهِ عُرِّيَّ وَجِبَ حَبْذَا الْفَقْرُ إِذَا مُلْكَا وَهَبَ<sup>(٢)</sup>  
دَعَكَ مِنْ جَبْرٍ وَصَبْرٍ ، الْحَذْرُ فَلأهل الجَبْرِ سُمْ قَدْ بَدَزَ<sup>(٣)</sup>  
إِنَّ هَذَا مِنْ يُدِيمُ صَبْرَهُ ذَاكَ مَنْ يَرْضَى وَيَهْوَى جَبْرَهُ  
يَالْفَانِ الظُّلْمَ مُرّاً فِي التَّحْسِي  
لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ، وَيَحَ نَفْسِي

أَلَيْلِ الْهِنْدِ صَبْحٌ قَدْ يَلُوحُ جَعْفَرُ أودى وَتَحِيّاً مِنْهُ رُوحُ<sup>(٤)</sup>  
إِنَّ قَيْدَ الْجِسْمِ عَنْهُ قَدْ خَلَعُ وَبِجِسْمِ آخِرِ عَشَاءٍ وَضَعُ  
تَارَةً كَانَ أَلُوفاً لِلْكُنَائِسِ وَهُوَ مِنْ فِي الدَّيْرِ أحياناً يُجَانِسُ<sup>(٥)</sup>  
دِينُهُ مَا كَانَ غَيْرَ الْمُتَجَرِّ عَتَرٌ يَبْدُو كَمِثْلِ حَيْدَرٍ<sup>(٦)</sup>  
إِنَّهُ عَنْ كُلِّ هَذَا لَا يَحِيدُ طَالَمَا كَانَ لِذُنْيَانَا وَجُودُ<sup>(٧)</sup>  
وَقَدِيماً لِسَوَى هَذَا سَجَدُ وَطناً فِي عَضْرِنَا مَا قَدْ عَبَدُ  
وَعَلَى الدَّيْنِ لَنَا يَبْدُو حَزِينَا وَهُوَ فِي الْبَاطِنِ مِثْلُ الْمُلْحِدِينَا  
جَعْفَرُ الأُمَّةِ هَذَا مَنْ قَتَلَ مُسْلِماً وَالْقَتْلُ كَانَ مَا فَعَلَ

(١) يقول : إن وجوده كان ألماً للبشرية كلها . ومما أحزن العصر الحديث أن يحار فيما  
طَهَّرَ وَمَا لَمْ يَطَهَّرْ .

(٢) يقول الصوفية ( الفقر فخري ) والفقر عندهم خيرٌ من مُلْكِ الملوك .

(٣) الْجَبْرُ وَالصَّبْرُ هُنَا هُمَا الْقَدْرُ وَالِاسْتِسْلَامُ لَهُ .

(٤) أودى : هلك .

(٥) الألوف : الكثير الألفة . ويشير إلى ولائه للإنجليز . وجانسه : كان من جنسه .

(٦) المتجر : الأتجار .

(٧) يحيد : يعدل وينحرف .

باسمٌ ، ما شاق يوماً خَلَّهُ      يسمُ الثُّعبانُ لَكِنْ ما لَهُ؟<sup>(١)</sup>  
 الشُّقاقُ بَثُّهُ في قَوْمِهِ      واللثيمُ شَغْبُهُ من لُؤْمِهِ  
 الفسادُ في بلادٍ حينَ يَظْهَرُ      صادقٌ أضلُّ له أو كانَ جَعْفَرُ  
 جعفرٌ من رُوحِهِ رَبِّي أَغْنانا  
 من مَثيلِ جعفرِ رَبِّي أَجْرنا

\*\*\*

### صِيحَةُ رَاكِبٍ فِي زورِقِ بَحْرِ الدِّماءِ

حائِرٌ بَيْنَ الوُجودِ والعَدَمِ      وَيَحِ نفسِي من وُجودِ كَمْ ظَلَمَ  
 نَحْنُ من شَرِقِ إلى غَرِبِ عَبْرنا      وإلى بابِ الجَحيمِ قَدْ وَصَلنا<sup>(٢)</sup>  
 ما رَمَتْ هَلْذِينَ حَتَّى بالشَّرَرِ      ما لنا كَفُّ رَمادٍ في الشَّعْرِ<sup>(٣)</sup>  
 ثُمَّ قالَتْ إِنَّ ضِغْثاً أَفْضَلُ  
 فهو أنقى ، فيه نارِي تَشْعَلُ  
 في السَّمواتِ مضيئاً مُضْعِدِينا      ورأينا بَغْتَةً تَلِكِ المَنُونِ<sup>(٤)</sup>  
 قالَتْ الأَزْواحُ : أسرارٌ لَدَيّا      حَفِظْ رُوحَ هَذا جِسمِ في يَدَيّا  
 إِنَّ رُوحَ الشَّرِّ شيءٌ يُخْفَرُ      امضِ عَنّي! ما بموتٍ تَظْفَرُ<sup>(٥)</sup>

- (١) شاقٌ : هيج الشوق . أي : أنه كان باسم الوجه إلا أنه لم يعجب خليلاً يصادقه وقد يسم الثعبان ولكن عن نابين يمججان السم .  
 (٢) يقول : إنهم لكثرة ما كابدوا من المشقة في سفرتهم وشدة ما لقوا من تعب كأنهم في نهاية المطاف وقفوا بباب جهنم .  
 (٣) أي لم تنثر حفنة من الرماد على رؤوسهم .  
 (٤) أصعد : مضى في أرض أعلى من الأخرى . والمنون : الموت .  
 (٥) يقول : إن قبض الروح أمر يسير وروح الشر شيء حقير ، ومع ذلك لا يريد قبض روحه .

راحة الأرواح لَيْسَتْ فِي الْجِمامِ  
لا يُرِيحُ الموتُ روحاً لِلثَّمامِ

يا رِيحاً ، يا محيطاً لِلدِّماءِ أنتِ يا غَبْرَاءُ ، يا لَوْنَ السَّماءِ<sup>(١)</sup>  
يا ذُكَّاءً ثُمَّ يا بَدْرُ الظَّلَمِ والكتابُ وَمَعَ اللُّوحِ القَلَمِ  
يا إلهاً أبيضاً يا لَوَزِدِ غَزْبِ تَمْلُكانِ عالِماً مِنْ غَيْرِ حَزْبِ!<sup>(٢)</sup>  
ما لِدُنْيانا ابتداءً وانتهاءً

العَبْدِ حانَ بِالمولى لِقاءً<sup>(٣)</sup>

ثُمَّ دَوَى بَغْتَةً صَوْتُ رَهيبِ شَقَّتِ الصِّدْرَ البَحارُ والشُّهوبِ<sup>(٤)</sup>  
تِلْكَ أوصالُ الجِسامِ فَكَّكَتِ والصُّخُورُ وهي تَهوي فُتَّتَتْ  
والجبالُ كالسَّحابِ في المَرورِ هذه الدُّنيا انْتَهَتْ مِنْ غَيْرِ صُورِ  
والبروقُ أضلُّها نازُ الحَفاءِ عَشَّها تَطْلُبُ في بحِرِ الدِّماءِ  
جاشَتْ الأمواجُ وهي تَسْتَبِقُ في الدِّماءِ الطُّورُ كالسَّهْلِ الغَرِقِ<sup>(٥)</sup>  
لِلنُّجومِ ما بَدَا أو غابَ عَنها  
لَمْ يُثِرْ أدنى اِهتمامِ كانَ مِنْها

\*\*\*

- 
- (١) الغبراء : الأرض . يا لون السماء : أي : أيتها السماء الزرقاء .  
(٢) في الأصل أيتها الأصنام البيض والوردات الغرب . فذكرنا المفرد مع إرادة الجمع .  
ويقول : إنَّ هؤلاء يريدون أن يملكوا العالم بكلِّ يسرٍ وهينة .  
(٣) المولى : السَّيِّد .  
(٤) الشُّهوب : السهول .  
(٥) جاشت : ارتفعت ، واضطربت . تستبق : تتسابق .

القسم السابع

مَا وَرَاءَ الْأَفْلَاقِ



## منزلة الفيلسوف الألماني نيتشه (١)

للفناء والبقاء مُعْتَرِكٌ      لَيْسَ يَدْرِي الْمَرْءُ سِرًّا لِلْفَلَكِ (٢)  
 للحياة يَحْمَلُ الْمَوْتُ الرِّسَالَةَ      وَالسَّعِيدُ مِنْ وَعَى لِلْمَوْتِ حَالَةٌ!  
 الريحَ أَشْبَهَتْ هَذَا الْحَيَاةَ      مَا اسْتَقَرَّتْ ، كُلُّ مَا تَبْغِي الثَّبَاتُ!  
 كم دُنَى لي نَاطِرَانِ شَاهِدَا      ثُمَّ حُدُّ الْكَائِنَاتِ لِي بَدَا  
 كُلُّ دُنْيَا كَانَ فِيهَا نَوْرُهَا      قَطُّ مَا إِنْ أَشْبَهْتَهَا غَيْرُهَا (٣)  
 إِنَّ فِيهَا الْوَقْتَ يَجْرِي كَالْبِحَاذِ      فَهِيَ تَجْرِي أَوْ لَهَا بَعْضُ الْقَرَاذِ  
 عَامُهَا شَهْرٌ وَحَتَّى بُزْهَةٌ      قَلَّةٌ طَوْرًا وَطَوْرًا كَثْرَةٌ (٤)

عَقَلْنَا فِي عَالَمٍ كَانَ الذِّكْيَا

فِي سِوَاهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْغِيَا

تَغْرُهُ الْقَاصِي بِهِ مَنْ قَدْ ظَهَرَ      صَوْتُهُ الْمَحْزُونُ بِالْحَزَنِ انْفَطَرَ  
 وَلَهُ الْعَيْنُ كَعَيْسِنٍ لِلْعُقَابِ      كَاسَفَ الْوَجْهِ لِأَهْوَالِ الْمُصَابِ (٥)  
 وَالتَّبَارِيحُ تَزِيدُ فِي الْجَنَانِ      بَيْتُ شِعْرِ مَا طَوَاهُ عَنِ لِسَانِ (٦)

(١) نيتشه : فيلسوف ألماني مستفيض الشهرة ، يُعدُّ بحقٍّ من أهمِّ قادة الفكر الذين كان لتفكيرهم أثرٌ في العصر الحديث . وأكثر كتبه سيرورة كتاب بعنوان : « هكذا قال زرادشت » وإن كان أشدَّ ما كتب غموضاً . وقد تناول المسيحية بالنقد ، واختلط عقله قبل وفاته عام ١٩٠٠ م .

(٢) المعترك : موضع العراك والقتال . والمراد أنَّ الفناء والبقاء في حربٍ إلى الأبد .

(٣) في الأصل أنَّ كلَّ عالمٍ له قَمَرُهُ وَثَرِيَّاهُ ، وهو مختلفٌ عن غيره .

(٤) أي أنَّ القلة في عالمٍ كثيرةٌ في غيره . وهذا مطرَّدٌ في كلِّ تلك العوالم .

(٥) كاسَفَ الْوَجْهِ : عابِسٌ مِنْ هَوْلِ الشَّدَائِدِ .

(٦) تباريح الشوق : توهجه . والجنان : القلب . ولم يطو بيت شعر عن لسانه : لا يكف =



« أجبريلُ أم الله وحوزُ الخُلدِ ؟ تَنساقُ !

تراب أنت في نارٍ لروحٍ وهي تَشْتاقُ »<sup>(١)</sup>

قلتُ للروميِّ ذا المجنونُ مَنْ ؟ قال : في الألمانِ مشهورُ الرِّكنُ<sup>(٢)</sup>  
كانَ بينَ العالمينَ موضِعُهُ وقديمُ اللَّحنِ منه نَسَمَعُهُ  
إنَّهُ الحلاجُ لكنَّ أينَ عُوذُهُ ؟ قال قولاً وسواهُ لا يُعيدُهُ<sup>(٣)</sup>  
وجريءُ القولِ برِّاقُ الفِكَزِ قوله السيفُ الفِرْنَجِ قَدْ شَطَرُ  
الجليسُ لَيْسَ يَذري جَذْبَتَهُ تَخسِبُ المجدوبَ جُنَّ نَظَرَتَهُ  
من خُمَارِ العِشْقِ معدومو النَّصيبِ نبضه قَدْ أودعوا كَفَّ الطَّيِّبِ<sup>(٤)</sup>  
عِنْدَ أَهلِ الطَّبِّ خَتَلٌ ما وُجدَ ويلُ مجدوبٍ لإفْرَنْجِ وُلْدِ<sup>(٥)</sup>  
ابنُ سينا في كلامٍ قالَ أَفْصِدُ أو بِحَبِّ مَنْ شَكَ الأوجاعَ أُرْقِدُ

كانَ حلاجاً بأرضِ كالغريبِ

فرَّ مِنْ قَتْلِ الفقيهِ لا الطَّيِّبِ !

الطَّرِيقُ في الفِرْنَجِ مَنْ عَرَفَ ؟ فَعَلَى قِيشارةِ دوماً عَرَفَ<sup>(٦)</sup>  
الطَّرِيقُ لَيْسَ فيه من دَلِيلِ ضلَّ في سِيرِ وفي سِيرِ وَبَيْلِ<sup>(٧)</sup>  
كانَ مالاً لَمْ يَجِدْ من عَدَّهُ يُنَجِّزُ الأعمالَ لِكِنْ وَخَدَّهُ  
عاشقٌ لِكِنْ طَوْنُهُ زَفَرَتُهُ سَالِكٌ قَدْ تَيْهَتُهُ خُطْوَتُهُ<sup>(٨)</sup>

= عن ذكره وترديده .

(١) ترجمنا هذا البيت ببحره في الأصل ، وهو الهزج الذي يستخدمه الفرس ثمانياً .

(٢) الرِّكنُ : الفطنةُ والذكاء .

(٣) العود هو الذي صلب عليه الحلاج . وقال قولاً لا يعيده سواه : أي لا يشبهه فيه .

(٤) الخمار : الصُّداعُ من شِدَّةِ الشُّكْرِ .

(٥) الختل : الخداع . وما وجد : بمعنى الذي وجد .

(٦) دوماً : دائماً .

(٧) السَّيرُ الوبيل هنا هو السير الذي تخشى عاقبته .

(٨) تَيْهَةٌ : أضلُّه ، وضيَّعه .

وَعَنِ اللَّهِ وَذَاتِ مُنْصَلِّ  
 الرَّيْقِ فِي الْعَنِيفِ الْقَاهِرِ  
 وَخُرُوجِ الْحَبِّ فِي قَلْبِ قَطْنِ  
 وَعَنِ الْعَقْلِ الْبَعِيدِ وَالْبَعِيدِ !  
 « لا » و « إِلا » مِنْ مَقَامَاتِ لِذَاتِ  
 عَنْ مَقَامِ « عبده » وَهُوَ الْغَرِيبِ  
 كَثْمَارِ أَبْعَدُوهَا عَنْ شَجَزِ !  
 ثُمَّ صَاحَ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ أَيْنَا  
 وَكَمْوَسَى لِلْقَاءِ طَالِبَا  
 لِيَعِيشَ فِي الْجُبُورِ وَهُوَ سَرْمَدٌ<sup>(١)</sup>  
 أَنْتَ فِي خَيْرِ طَرِيقِي ، فَلْتَسِرْ  
 وَتَقَدِّمَ قَدْ دَنَا هَذَا الْمَقَامِ  
 طَالَ فِيهِ ، وَبِلا حَرْفٍ ، كَلَامِ

\*\*\*

## الرَّحِيلُ إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ

انْطَلَقْتُ مِنْ حُدُودِ الْكَائِنَاتِ  
 لَيْسَ فِيهِ مِنْ يَمِينِ أَوْ يَسَارِ  
 عِنْدَهُ قِنْدِيلٌ إِذْرَاكِي حَمْدُ  
 هَيْبَةً مِنْهُ كَلَامِي قَدْ جَمَدُ  
 بِلِسَانِ الطَّيْنِ لِلرُّوحِ الْمَقَالِ ؟!

(١) أحمد : هو الشيخ أحمد السرهندي المتوفى عام ١٥٦٤م ، ذلك الصوفي الهندي الذي  
 عاصر أكبر ، وجهانكير من أباطرة المغول في الهند . وقد عرف بمجتهد الألف  
 الثاني ، وكان ضد غلاة المتصوفة .  
 والحبور : السرور . والسرمد : الدائم .

طيران الطير في السجن المحال<sup>(١)</sup>

عالمًا للروح حصن بالنظر ما الفؤاد؟ عالم لا لون له ساكن والسير منه في ازدياد حاز هذا العقل في تلك الحقيقه والخيال غيره عنه اختلف من يقول إن هذا في السما أسرور من رأى يوماً حبيباً أيقظ العينين أو أخذ بالكري

فنبور الذات نور لبصر ليس فيه الحد فانظر كله كل حال كل فكر في الفؤاد سار وهو لا يرى حتى طريقه ذاك في الجوزا وهذا قد أسف<sup>(٢)</sup> بجوار من على الأرض ازمى من سرور ناشق كان القربيا<sup>(٣)</sup> فيدون الشمس قلب قد يرى

فضل الدنيا على دنيا الفؤاد

بالقياس جزئ في شرح المراد

«كن فكان» غير تلك نجرها<sup>(٤)</sup> لا يراها الوهم، إن العين تنظر كل يوم كان لون من جمال<sup>(٥)</sup> تسعة الأفلاك فيها ما يدور قبل أن يخفق قلب بالشعور يالها نور الحياة يالها!<sup>(٦)</sup> في الرياض النهار يجري بالخريز

هذه دنياك فيها غيرها وتدوم، وبها دام التعيز ولها دوماً جديداً من كمال لا ترى فيها الشمس والبدر كل ما في الغيب يبدو في سفور بلساني هل أصيب وضحها الجبال أنبتت حمر الزهور

(١) المقال : القول . والمراد بالسجن هنا : قفس الطير .

(٢) الجوزاء : برج في السماء . وأسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه .

(٣) نشق ريحاً طيبة : شمها . والمعنى أن سرور من يشاهد الحبيب ليس كسرور من يشم الريح التي تأتي من محلته .

(٤) النجر : الأصل .

(٥) لون : نوع . وكان هنا تامة .

(٦) في الأصل : إن هذه الدنيا هي النور والحضور والحياة .

الْبِرَاعِيمُ زَهَتْ أَلْوَانُهَا      نَفْحَةُ الْأَبْرَارِ مِنْهَا كَوْنُهَا<sup>(١)</sup>  
 اللَّجِينُ الْمَاءُ وَالْأَنْسَامُ عَنَبْرُ      وَالْقَبَابُ لِلْقُصُورِ ، تِلْكَ جَوْهَرُ<sup>(٢)</sup>  
 الْخِيَامِ مِنْ يَوَاقِيْتِ وَتَبْرِ      وَجِبِينُ الْغَيْدِ بِالْمِرَاةِ يُزْرِي  
 قَالَ لِي « الرُّومِي » أَسِيرٌ لِلْقِيَاسِ ؟      عَنْكَ دَعُ كَلٌّ اعْتِبَارٍ لِلْحَوَاسِ  
 بِالتَّجَلِّيِ الْخَيْرُ كَانَ وَالشُّرُورُ      جَنَّةٌ كَانَتْ كَمَا كَانَ السَّعِيرُ  
 الْقُصُورُ كَالرَّبِيعِ فِي النَّظْرِ      أَصْلُهَا الْأَعْمَالُ لَا ذَاكَ الْحَجَرُ !  
 مَا تُسْمِيهِ بِحُورٍ أَوْ بِكَوْثَرٍ      لِسُرُورٍ وَلِجَذْبٍ كَانَ مَطْهَرُ  
 الْحَيَاةُ ، هَاهُنَا هَذَا النَّظْرُ  
 وَسِوَاهُ وَسِوَى قَوْلٍ فَلْذُرْ

\*\*\*

### قَصْرُ شَرَفِ النِّسَاءِ (٣)

عُشٌّ يَاقُوتٍ أَرَاهُ فِي عُلاهِ      وَمِنْ الشَّمْسِ الْخِرَاجُ قَدْ جَبَاهُ  
 ذَاكَ قَصْرٌ ذُو قِيَابٍ عَالِيَاثَ      ضَمٌّ حُوراً فِي ثِيَابِ الْمُخْرِمَاتِ  
 رَغْبَةُ الْعِلْمِ وَهَبْتَ سَالِكَا      مِنْ لِهَذَا الْقَصْرِ كَانَ مَالِكَا<sup>(٤)</sup>

(١) البراعيم : جمع برعوم : وهو الزهرة قبل تفتحها . يقول : إِنَّ الْأَبْرَارِ نَفَحُوا نَفْحَةَ أَوْجَدْتَهَا .

(٢) اللجين : الفضة . والأنسام جمع النسم ، وهي الريح اللينة .

(٣) شرفُ النساء : حفيذةُ أحدِ حكامِ البنجابِ على عهدِ الإمبراطورِ المغوليِ بهادرخان . ويقال : إِنَّهَا أَقَامَتْ فِي قَصْرِهَا مَنْصَةً لِتَتْلُو الْقُرْآنَ عَلَيْهَا كُلَّ صَبَاحٍ وَإِلَى جَانِبِهَا سَيْفٌ . وَكَانَ الْمَصْحَفُ وَالسَيْفُ عَلَى تِلْكَ الْمَنْصَةِ دَائِمًا . وَأَوْصَتْ بِدَفْنِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا مَعَ السَّيْفِ وَالْمَصْحَفِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ .

(٤) السَّالِكُ : الْمُرِيدُ فِي أَوَّلِ عَهْدِهِ بِالتَّصَوُّفِ .

وتغنى طيره بين الملائك<sup>(١)</sup>  
وفتاة لم تلدها أئنا  
سرّها يخفى على الدنيا خفاء  
ولعين حاكم البنجاب نوز  
فقرّها ذكرى ستبقى للأبد  
برهة في تزكيه ما فكرت  
إنّها السكرى وما ذقت مدا<sup>(٢)</sup>  
حبذا عمر تقضى في التقاة<sup>(٣)</sup>  
أمها خصت بملتاع النظر  
شاهدي ما في يدي أو ما بخصري<sup>(٤)</sup>  
مخوراً كانا لدوم الكائنات<sup>(٥)</sup>  
ليس لي يا أم شيء آخر  
مصحفي والسيف مني قرّبي  
لا تزيني في الثراب مضجعي<sup>(٦)</sup>

قال « هذي ، عشها البادي هنالك  
جوهراً ، ما إن حواه بحرنا  
أرض لاهور بها أضحت سماء  
ولما بالذوق والشوق الشعور  
وهي نور الأهل في عبد الصمد  
تقرأ القرآن ، نفساً طهرت  
تحمل المصحف والسيف الحسام  
خلوة سيف وقرآن الصلاة  
آخر الأنفاس وهي تختصر  
ثم قالت إن عرفت الآن سري  
قوتان بهما أيد الثبات  
في حياتي ، وجميعاً نُقبر  
قبل موتي ذاك منك مطلبتي  
كل هذا من كلامي فلتعي

الكتاب والحسام حسبنا

بهما يزدان حقاً قبرنا

وقروناً تخت تبر للقباب قد تحلى بالحسام والكتاب<sup>(٧)</sup>

(١) أي تغنى الطير الذي حط على سطح هذا القصر مع الملائكة .

(٢) السيف الحسام : القاطع .

(٣) التقاة : التقوى .

(٤) المصحف في يدها ، والسيف معلق بخصرها .

(٥) الأيد : القوة .

(٦) وعى الكلام : حفظه وتدبره . وهي ترغب إلى أمها ألا تقيم لها قبراً يزدان بالقباب

والقناديل .

(٧) التبر : الذهب .

ولنا المَرْقَدُ في دُنْيَا الشَّتَاتِ      عَلَّمَ الْمُؤْمِنَ مَعْنَى لِلْحَيَاةِ<sup>(١)</sup>  
نَفْسَهُ الْمُسْلِمُ حَقًّا قَدْ ظَلَمَ      فَالْبَسَاطُ مَا طَوَى دَهْرٌ وَضَمَّ  
وهو في غيرِ الإلهِ فَكَّرَا      أَضْبَحَ الثَّغْلَبُ ، كَانَ الْقَسُورَا<sup>(٢)</sup>  
ولهيبُ القلبِ فيه ما اندلَع      أَنْتَ في البنجابِ تدري ما وَقَعَ ؟  
مِنْهُ سَيْفٌ وَكِتَابٌ مَا حُمِلَ  
ولذا الإسلامُ فيه قَدْ قُتِلَ<sup>(٣)</sup>»

\*\*\*

## زيارةُ الأميرِ الكبيرِ سيِّدِ عليِ همداني ومُلاً طاهرِ غنيِ كشميري<sup>(٤)</sup>

حَرَّقَ الأضلاعَ لِلرُّومِيِّ قَوْلُ      آه يَا بِنِجَابُ ! يَا أَرْضاً تُجَلُّ  
مِثْلَ خِلَانِي اضطربتُ في الجنانِ      وَمِنَ الهَمِّ ذَكَرْتُ مَا عَرَانِي<sup>(٥)</sup>  
وَإِذَا صَوْتُ لآلامٍ وَحُزْنٍ      مِنْ ضِفافِ الكَوْتَرِ الصَّافِي بِأَذْنِي  
« وَأَرَدْتُ حَزَقَ نَفْسِي وَلِذَا جَمَعْتُ قَشًّا

(١) الشَّتَات : التفرق .

(٢) الْقَسُورُ : الأسد .

(٣) يقول : إِنَّ طائفةَ السَّيْخِ هي التي أبعدت القرآن والسيف عن البنجاب . وفي عقيدة السَّيْخِ : أَنَّ كلَّ إنسانٍ جديرٌ بالإجلال والتقدير بقطع النظر عن دينه ومذهبه ، ومَرَّتِ الأيَّامُ وحاربَ السَّيْخُ المسلمين .

(٤) الأمير سيد علي همداني صوفيٌّ مرموقٌ المنزلة عالي القدر . كان صاحب مشورة أمير كشمير ، ولد في همدان ، وعاش طويلاً ، وأفاد الناس بعلمه في كشمير ، وتوفي عام ١٣٨٥ م . ومُلاً طاهر غني كشميري ، شاعرٌ من أهل كشمير ، كانت وفاته عام ١٦٦٩ م . كان واسع الخيال ميالاً في شعره إلى التمثيل والتخييل ، وعلى فقره ورقة حاله عُرِفَ بغنى النفس ، فكان اسماً على مسمى .

(٥) عراه : أصابه .

ويظنُّ الوردُ أنني في الرياض رُمْتُ عُنَا ! (١)

قال لي الرومي « ما يأتي انظرته  
هو ذا « طاهر غني » أو خير شاعر  
إنه النشوان غنى في دوام  
سيد السادات من ساد العجم  
الغزالي دزسه لما تلقى  
في بلاد وهي للخلد النظير  
في البلاد ذلك البحر المعين  
إنه من شاد إيران الصغيرة

يا بُنيَّ ما مَضَى لا تذكُرته  
الفقيرُ ، وغناه منه ظاهِر  
عند هذا السيدِ العالِي المَقامِ  
كفه مغمارُ تقديرِ العجم (٢)  
استمدَّ آله فِكراً وحقاً  
مرشداً لكلِّ بل نغم المشير  
فضله علمٌ وتهذيبٌ ودين (٣)  
بصفاتِ الخيرِ والحسنِ الكثيره

عقدةً بالعين حلَّ كالحكيم  
فم تلقَّ ما لديه في الصميم (٤)

\*\*\*

## في حضرة أمير همدان

زندة رود

أفهمني سرَّ ربِّي ، أنت تصدق  
كلُّ شرِّ في الوجود زينته  
ذلك سخر منه لي شكُّ يخامر  
ما ابتهاجي صاحبي بنس المقامير

يطلبُ الطاعةَ والشيطانَ يخلقُ !  
وابتغي ممَّا عملت أحسنه ! (٥)  
ما ابتهاجي صاحبي بنس المقامير

- (١) هذا البيت لطاهر غني كشميري . وقد ترجمناه طبق وزنه في الأصل .  
(٢) كان طاهر غني ينظم بالفارسية ، ويقول : إقبال عنه : إنه قرَّر مصير الفرس .  
(٣) معن الماء فهو معين : أي جرى .  
(٤) ما لديه : أي ما لديه من فضل وصفات حميدة .  
(٥) أي : أراد مني ألا أعمل إلا خيراً .

مِنْ تَرَابِ حُفْنَةٍ ، وَهُوَ الْفَلَكُ  
 مَا عَمِلْنَا ، مَا ذَكَّرْنَا ، وَالْأَلَمُ  
 كُلُّ مَنْ يَدْرِي عَنِ الذَّاتِ الْخَبْرُ  
 حُبُّ إِنْسَانٍ لِشَيْطَانٍ وَبَالُ  
 وَعَلَى الشَّيْطَانِ أَنْتَ فَاخْمِلْنِي  
 فَلْتَجَاهِزْ وَلْتَجَالِدْ ، كُنْ وَحِيًّا  
 أَطْرِيقُ لَيْتَ شِعْرِي مَا سَلَكُ !  
 كَانَ عَضًّا لِلْبَنَانِ مِنْ نَدَمٍ  
 يَخْلُقُ النَّفْعَ لَدَيْهِ مِنْ ضَرَرٍ  
 هَزَمَهُ الشَّيْطَانُ فِي حَرْبِ جَمَالٍ  
 كُنْ حُسَامًا وَلْيَكُنْ نِعَمَ الْمَسْنُ  
 لَا تَكُنْ فِي الْعَالَمِينَ ذَا الشَّقِيَّا

### زنده رود

كُلُّ إِنْسَانٍ أَخَاهُ يَأْكُلُ  
 تَتَلَطَّى الرُّوحُ مِنْ هَذَا الْبَلَدِ  
 شَعْبُهُ بِالْعَقْلِ وَالْحُسْنِ اشْتَهَرَ  
 دُخِرَتْ كَأْسٌ وَلَكِنْ فِي دِمَاةِ  
 مُنْذُ أَنْ ضَيَّعَ مِنْ ذَاتِ نَصِيبَا  
 ظِلٌّ فِي أَيَدِي سِوَاهُ أَجْرُهُ  
 وَمَضَتْ فِي سَيْرِهَا كُلُّ الْقَوَافِلِ  
 مَاتَتْ الْجَذْبَةُ فِيهِ وَهُوَ عَبْدٌ  
 لَا تَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ الْمَهِينَا  
 لِيَعِيشَ الشَّعْبُ شَعْبًا يَفْتُلُ<sup>(١)</sup>  
 وَيَسُّ الْقَلْبُ أَضْنَاهُ الْكَمْدُ<sup>(٢)</sup>  
 وَهُوَ فِي الْآفَاقِ مَعْرُوفُ الْخَبْرِ  
 نَاحَ نَابِي لِأَلِيمٍ مِنْ أَسَاهِ  
 كَانَ فِي أَوْطَانِهِ هَذَا الْغَرِيبَا  
 وَشِبَاكَ الْغَيْرِ أَرْضِي نَهْرُهُ  
 أَفْسَدَ الْأَعْمَالَ شَأْنُ كُلِّ غَافِلِ  
 وَلِنَارٍ فِي الْعُرُوقِ كَانَ خَمْدُ<sup>(٣)</sup>  
 فِي الثَّرَابِ دَائِمًا أَدْلَى الْجَبِينَا<sup>(٤)</sup>

إِنَّهُ فِيمَا مَضَى خَاضَ الْحُرُوبَا

وَتَحَدَّى وَهُوَ ذُو الْبَأْسِ الْخُطُوبَا

قَمَةً لِلنَّلْجِ فَاغْمُزْ بِالنَّظْرِ وَكُفُوفُ النَّارِ تَبْدُو فِي الشَّجَرِ

- (١) فِي الْأَصْلِ أَنَّ الشَّعْبَ يَرَعَى شَعْبًا غَيْرَهُ كَمَا تَرَعَى الْمَاشِيَةَ الْعُشْبَ فِي الْمَرَعَى لِتَعِيشَ .  
 (٢) يَتَلَطَّى : يَشْتَعَلُ . الْكَمْدُ : أَشَدُّ الْحَزَنِ .  
 (٣) الْخَمْدُ : الْخَمُودُ .  
 (٤) الْمَهِينُ : الْحَقِيرُ .



اليواقيتُ حصاهُ في الربيع  
والسحابُ حولِ أجدالِ يَدُوزِ  
ذاكِ قرصُ الشَّمسِ في بحرِ عَرَبِ  
في « نشاطِ » سِزْتُ في ركبِ النَّسيمِ  
قالَ طيرٌ كانَ في أعلى الغصونِ  
نَزجسُ يَزكُو وزَهْرُ أحمَرُ  
من قديمِ في الجبالِ قَدْ ظَهَرَ  
كم رأينا من ورودِ أينعتِ  
كشبابِ أرضنا ما أبتتت<sup>(٥)</sup>

بالشكَاةِ نَاحِ غَرِيدُ السَّحَرِ  
وأرأث عَيْنايَ مجنونَ الطَّرَبِ  
فأوارِ الوجودِ في رُوحِي استعزِ  
كلَّ ما جمعتُ من صبري سَلَبِ

\*\*\*

امضِ عَنَّا ، دَعَكَ من نوحِ ثَمَلِ  
عن طِلْسَمِ اللَّوْنِ في الأزهارِ مِلِ  
قلت إنَّ الطَّلَّ في أوراقِ وَرْدِ  
من بَكى في الشَّطِّ غِرُّ أو خَبَلِ<sup>(٦)</sup>

- (١) الأجدال : الجبال . والنَّداف : ضارب القطن بالمندف ليرق .  
(٢) يقول : إنه شاهد قدرة الله في روعة الطبيعة .  
(٣) نشاط : اسم حديقة في كشمير . ونشاط في الفارسية بمعنى سرور . يقول : إنه أشد شعراً مشهوراً لمولانا جلال الدين الرومي نظمه على لسان الناي ومنه بيت يقول فيه إنَّ ما يتردد في الناي ليس هواء بل نازُ العشقِ الإلهي .  
(٤) زكا الزهر : نما . ويريد بذلك الثوب الأخضر الذي يشقه النسيم أكامم الزهر .  
(٥) أينعت الثمرة : بلغت نضجها . وقد استعير ذلك للزهرة ، وشهاب الدين المتوفى عام ١٣٧٤هـ من سلاطين كشمير ، وقد بلغت بلاده في عصره ذروة التقدُّم في تاريخها .  
(٦) الغر : من لا تجربة له . والخبل : المجنون .

أَيْنَ ضِعْفُ الرَّيْشِ مِنْ تِلْكَ الْأَغَانِي  
 عَيْنَ رُوحٍ لَغْنِيٍّ تَنْهَمِلُ<sup>(١)</sup>  
 إِنْ مَرَرْتَ بِجَنيفٍ يَا صَبَا  
 بَلِغِي الْعُضْبَةَ عَنِّي مَا نُقِلُ<sup>(٢)</sup>  
 يَبِيعُ فَلَاحٌ وَتِلْكَ الْأَرْضُ بِيَعْتُ  
 وَأَنَاسٌ ، وَلَهُمْ سَعْرٌ مُذِلُّ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

### أمير همدان

اسْمَعَنَّ الْقَوْلَ لَا يُنْسَى وَيُذَكَّرُ  
 وَأَجَلِ الرُّوحِ جِسْمٌ يُضْهَرُ  
 يَا بَنِي ، مِنْهُ إِنْ جِزَاءً قَطَعْنَا  
 إِنْ بَدَلْتَ الرُّوحَ لَكِنْ وَهِيَ سَكْرَى  
 قُلْ أَجْنَبِي أَيْنَ لِلرُّوحِ النَّظِيرُ  
 إِنْ حَفِظْتَ الرُّوحَ مَيْتاً أَصْبَحَتْ  
 مَا هِيَ الرُّوحُ وَفِي سُكْرِ التَّجَلِّي  
 وَلِرَبِّي قُلْ أَجْنَبِي كَيْفَ تُنْشَرُ  
 بِتَجَلِّي السُّكْرِ أَنْتَ الذَّاتُ تَطْلُبُ  
 إِنْ فَقَدْتَ الذَّاتَ حَقَّقْتَ الْفَنَاءَ  
 مَنْ رَأَى الذَّاتَ ، وَشَيْئاً مَا رَأَاهُ

الثَّرَابُ جِسْمُنَا وَالرُّوحُ جَوْهَرُ  
 مِنْ تَرَابٍ إِنَّهُ لَا شَكَّ أَطْهَرُ  
 ذَلِكَ الْجِزَاءُ بِلَا رَيْبٍ أَضَعْنَا  
 عَادَتِ الرُّوحُ إِلَيْكَ وَهِيَ حَيْرَى  
 فَهِيَ فِي قَيْدٍ وَمِنْ قَيْدٍ تَطِيرُ !  
 إِنْ بَدَلْتَ الرُّوحَ نَوْرًا أَشْرَقَتْ  
 مَا هِيَ الرُّوحُ وَمَا عَنْهَا التَّحَلِّي  
 وَبِهَا الطُّورُ الْعَظِيمُ كَيْفَ يُضْهَرُ  
 فِي اللَّيَالِي السُّودِ لَاحَتْ مِثْلَ كَوْكَبِ  
 وَالْوُجُودُ ، كَانَ لِلذَّاتِ الْعَطَاءُ<sup>(٤)</sup>  
 سَجْنَهُ أَخْلَاهُ مِمَّا قَدْ حَوَاهُ

- (١) انهملت العين : سال دمعها . وفي الأصل أن روح غني في حداد على أملها .  
 (٢) العصبية : هي عصبية الأمم وكان مقرها مدينة جنيف بسويسرا .  
 (٣) أردنا بالسعر المذل : السعر الرخيص للغاية .  
 (٤) الوجود هنا هو وجود الذات .

ذَاكَ نَشْوَانُ التَّجَلِّي ، وهي مَطْلَبٌ      لِسَعَةً مِنْ شَهْدِهِ أَخْلَى وَأَطْيَبُ !  
وترى الرُّوحَ رِيحاً نَظَرْتُهُ      سِجْنُهُ سِجْنٌ تَهْوُلُ رَجْفَتُهُ (١)  
يرفعُ الفَاسَ لِتَحْطِيطِ الصَّفَاةِ      لِنَصِيبِ قَدْ يِنَالُ مِنْ حَيَاةِ (٢)  
تَرَكَ الرُّوحَ لِتَغْدُو خَلْفَهُ  
وَيَغْيِرُ التَّرْكَ كَانَتْ ضَيْفَهُ

\*\*\*

### زندہ رود

أَنْتَ خَيْرًا نَمَّ لِي شَرًّا شَرَحْنَا      يَا حَكِيمُ غَيْرَ هَذَا لَوْ ذَكَرْنَا (٣)  
وإلى لُبِّ المعاني قَدْ هَدَيْتَ      كَلَّ أَسْرَارِ المُلُوكِ كَمْ وَعَيْتَ  
فقراءٌ ، حَاكِمٌ يَبْغِي الخَرَاجَا      قُلْ لِمَاذَا مَجَّدُوا عَرْشًا وَتَاجَا (٤)

### أمير همدان

أضلُّ هذا المُلْكِ فِي شَرْقٍ وَعَرْبٍ ؟      كَانَ إِزْضَاءً لِشَغْبِ أَوْ لِحَزْبِ  
وأقولُ لَكَ يَا عَالِي المَقَامِ      لسوى اثْنَيْنِ الخَرَاجُ كَالْحَرَامِ (٥)  
لأولي الأمرِ و« منكم » شَأْنُهُمْ      فِي الكِتَابِ قَوْلُهُ بَرَهَانُهُمْ (٦)

(١) يشبه الروح بالريح على أن الريح لا تمن لها .

(٢) الصفاة : الحجر الضخم الصلد .

(٣) لو هنا للتمني .

(٤) أي : نحن فقراء .

(٥) أي : أن أداء الخراج حرامٌ إلا إلى اثنين .

(٦) قال تعالى في سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾

[ النساء : ٥٩ ] ، فالأمر بطاعة أولي الأمر إذا أمروا بطاعة الله ورسوله .

أَوْ نَجِيدٍ مِثْلَ رِيحِ عَاتِيَةٍ  
بِالْقِتَالِ يَفْتَحُ الْبُلْدَانَ فَتَحًا  
فَارِسٌ وَالْهِنْدُ مِمَّا يُشْتَرَى  
جَامُ جَمَشِيدِ الْعَجِيبِ وَالنَّفِيسِ  
الرُّجَاجُ لَكَ مَالٌ إِنْ شَرَيْتَهُ  
جَادَ فِي الْحَرْبِ بِنَفْسٍ غَالِيَةٍ<sup>(١)</sup>  
وَهِيَ تَمَسُّ مُلْكَهُ إِنْ شَاءَ صُلْحًا  
لَا يُنَالُ الْمُلْكَ مِنْ هَذَا الْوَرَى<sup>(٢)</sup>  
أَيَّاعٌ مِثْلَمَا بَاعَتْ كَوْوسُ<sup>(٣)</sup>  
أَيُّ نَفْعٍ لِلرُّجَاجِ إِنْ كَسَرْتَهُ

\*\*\*

### غني

مَنْ أَفَادَ الْهِنْدَ تَخْطِيمَ الْقِيُودِ  
عَقْلَاءُ يُنْسُبُونَ لِلْبَرَاهِمِ  
مَنْ أَوْلَى الْعِرْفَانِ أَصْحَابُ النَّظَرِ  
أَرْضُنَا كِشْمِيرٌ مِنْهَا أَضْلُهُمْ  
إِنْ حَسِبْتَ الْأَرْضَ تَخْلُو مِنْ شَرِّ  
أَصْلُ تِلْكَ النَّارِ أَيْنَ؟ لَيْتَ شِعْرِي  
أَيْكُونُ الصَّيْدُ يَوْمًا كَالصَّيُودِ<sup>(٤)</sup>  
عِنْدَهُمْ قَدْ أَحْجَلَتْ حُمْرُ الْبَرَاغِمِ<sup>(٥)</sup>  
أَيُّ غَرِيبِي رَأَاهُمْ لَمْ يَحْزَ  
وَبِهَذَا لَا يَسْوَاهَا نَجْمُهُمْ  
قَلْبِكَ افْتَحْ وَأَطْلُ فِيهِ النَّظَرَ<sup>(٦)</sup>  
وَنَسِيمٌ لِلرَّبْرِيعِ وَهُوَ يَسْرِي<sup>(٧)</sup>  
فِي الْجِبَالِ عِنْدَنَا خَفَقَ لَرِيحِ

- (١) النجيد : الشجاع .
- (٢) الورى : الناس .
- (٣) يقال : إن ملك الفرس الأسطوري جمشيد كانت له كأس رسمت في قاعها الأقاليم السبعة . وهذه الكأس في شعر الفرس الصوفي رمز لقلب المتصوف .
- (٤) الصيْدُ : الفريسة التي تصاد . والصيود : الكثير الصيد .
- (٥) البراهم : البراهمة .
- (٦) الشرر : ما يتطاير من النار .
- (٧) سرى : سار عامة الليل .

وبها تختالُ في لونٍ وريح<sup>(١)</sup>

هل عَلِمْتَ أَنَّ يَوْمًا فِي وُلُرٍ  
طَالَ فِي الْبَحْرِ بِنَا عُنْفُ الصُّرَاعِ  
وَابْنِنَا أَي ذَلِكِ النَّهْرُ الْقَدِيمِ  
يَضْرِبُ الْأُحْجَارَ فِي عَرْضِ الطَّرِيقِ  
مَنْ فَتَى فِي كُلِّ أَرْضٍ قَدْ غَلَبَ  
إِنَّهُ بِالْعُنْفِ أَبَدَى الْمَخْشَرَا  
مَا الصَّوَابُ عَيْشُنَا فِي حَدِّ سَاحِلِ  
إِنَّ إِلْفَ الشُّطِّ مَوْتُ لِلْأَبَدِ  
مَوْجَةٌ قَالَتْ لِمَوْجَاتِ أُخْرُ<sup>(٢)</sup>  
لَوْ حَوَانَا الْبُرِّ يَوْمًا فِي اجْتِمَاعِ<sup>(٣)</sup> !  
مَنْ فِي الْوَادِي وَفِي السَّفْحِ الْهَزِيمِ<sup>(٤)</sup>  
كَيْ يُزِيلَ شَافَةَ الطُّودِ الْعَتِيقِ<sup>(٥)</sup>  
أَرْضَعْتَهُ أَلْفَ أُمَّ ثُمَّ شَبَّ  
لَمْ يَجِدْ عِنْدَ سَوَانَا الْمَصْدَرَا  
فِي الطَّرِيقِ حَطًّا مَا صَخْرًا يُمَائِلُ<sup>(٦)</sup>  
يَا مُدِيمِ السَّبْحِ فِي لُجِّ الرَّبْدِ<sup>(٧)</sup>

الحياة السيرُ في غورٍ وَتَجِدِ

يُسْعِدُ الْمَوْجَةَ جَزْرًا بَعْدَ مَدِّ

أَنْتَ فِي وَجْهِ الْحَيَاةِ مَنْ قَرَأْتَ  
الرِّفِيرَ لَكَ هَذَا الْقَلْبُ أُحْرِقَ  
النُّوَاخُ لِلطُّيُورِ مِنْ رَجِيْعِكَ  
وَفَتَحْتَ الرَّهْرَ مِنْ طَبْعِ هُنَاكَ  
إِنَّ مِنْكَ الصَّوْتُ أَجْرَاسُ الْقَوَائِلِ  
ذَلِكَ الشَّرْقَ الْحَيَاةِ مَنْ وَهَبْتَ  
ضَقَّتْ صَدْرًا وَلَدَيْنَا الصَّدْرُ أَضْيَقُ  
وَالْوَضُوءُ لِلنَّبَاتِ مِنْ دُمُوعِكَ<sup>(٨)</sup>  
وَالْمَنَى فِي الرُّوحِ كَانَتْ مِنْ مُنَاكَ  
وَلِكَشْمِيرِ أَرَاكَ غَيْرَ أَمِلِ

(١) الريح : الرائحة .

(٢) ولر : اسم بحيرة في كشمير .

(٣) لو هنا للتمني .

(٤) الهزيم : صوت الرعد .

(٥) شافة الطود : أصل الجبل .

(٦) أي : أن عيشنا على الساحل ليس صواباً لأنَّ صخر الساحل عقبةٌ في طريقنا . ويمائل : يشبه .

(٧) اللج : معظم الماء .

(٨) الرَّجِيْعُ : كلُّ متردِّدٍ . والمرادُ هنا الكلام والشعر . الوضوء : ماء الوضوء .

فِي الصُّدُورِ لَمْ يُمِثْ يَأْسٌ فُؤَادَا      تَحْتَ ثَلَجٍ لَمْ يَصِرْ جَمْرٌ رَمَادَا  
 كَيْفَ تَمَهَّلَ لِتَرَى مِنْ غَيْرِ صُورِ      كَيْفَ قَامَ الشَّعْبُ مِنْ جَوْفِ القُبُورِ  
 وَتَأْوَةٌ يَا فَتَى لَا تَبْتَيْسَنَّ      أَحْضِرَا أَحْرِقْ وَأَحْرِقْ مَا يَيْسُنُ<sup>(١)</sup>  
 كَمْ بِلَادٍ تَحْتَ أَفْلَاكِ السَّمَاءِ      أَحْرِقْتَهَا نَارُ قَلْبِ الْأَشْقِيَاءِ<sup>(٢)</sup>  
 إِنَّ هَذَا الْمُلْكَ أَوْهَى مِنْ حَبَابِ      وَهُوَ بِالْأَنْفَاسِ مَحْتَوْمُ الْخَرَابِ<sup>(٣)</sup>  
 إِنَّمَا الشُّعْرُ الْمَصِيرُ قَدْرًا      وَالشُّعُوبَ قَدْ بَنَى أَوْ دَمْرًا  
 أَنْتَ إِنْ جَرَّخْتَ هَاتِيكَ الْقُلُوبَا      لَمْ تَجِدْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ضَرْبًا<sup>(٤)</sup>  
 الْغِنَاءُ لَكَ مِنْ شِعْرِ تَلَوْتَهُ      مَا وَرَاءَ الشُّعْرِ شِعْرٌ أَنْتَ قُلْتَهُ  
 جَدِّدِ التَّخْرِيكَ وَالتَّأْيِيرَ جَدِّدْ  
 رَدِّدِ الْأَلْحَانَ فِي الْجَنَّاتِ رَدِّدْ

\*\*\*

## زنده رود

اغْرِزَنَّ ، نَشْوَةَ الدَّرْوِيشِ هَذِي فَاثْلَفَنَّ  
 إِنْ نَضَجْتَ مَلِكَ جَمَشِيدِ الْعَرِيضِ فَاثْلُكَنَّ<sup>(٥)</sup>  
 ثُمَّ قَالُوا هَذِهِ الدُّنْيَا لَنَا هَلْ تَرْضِيهَا؟  
 قُلْتُ لَا ، لَا أَرْضِيهَا ، قِيلَ هَيَّا هَدِّمَنَّ  
 لَيْسَ فِي الْحَانَاتِ كَفَاءٌ بِالرِّضَا مِنَّا جَدِيدُ

(١) ابتأس : حزن .

(٢) الأشقياء : ضد السعداء .

(٣) الحباب : النفاخات التي تعلق الماء والشراب ، وهو يزول حتماً إذا نفخ فيه .

(٤) الضريب : النظير .

(٥) جمشيد : ملك من ملوك الفرس الأقدمين .

رُسْتُمْ الأبطالِ حارب ، ومع الساقى امزحَن<sup>(١)</sup>  
أنتَ يا زَهْرُ الصَّحارى ، قُلْ أَحَقَّقْتَ احتراقاً<sup>(٢)</sup>  
فى قلوبِ للأناسى ، هذه النَّارُ اضْرِمَنَّ  
كنتَ فى قلبِ لهيباً ، ولهيباً فى دِمَاءِ  
وَإِذَا لم تَقْتَنِغْ بالقولِ ذا الكونِ اشْطُرَنَّ  
ألكَ العَقْلُ سِرَاجٌ ؟ فى الطريقِ سِرَّ تَقَدَّمْ  
وَلَكَ العِشْقُ مُدَامٌ ، فمع الحَبِّ اشْرَبَنَّ<sup>(٣)</sup>  
فَلذَّةُ القَلْبِ بدمعِ مِنْ عيونى فى انسكاب  
مِنْ يواقيتِ بَدْخْشانِ الفُصُوصِ فاضنَعَنَّ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

### حديثٌ مع الشَّاعرِ الهنديِّ بَرْتَرى هرى<sup>(٥)</sup>

تَسْكُنُ الحورُ القصورَ والخياما      بشكاتى يُضْبِحُ القَلْبُ الضَّراماً<sup>(٦)</sup>  
هذه مِنْ خيمةِ أبَدَتْ جِيننا      أختها مِنْ غرْفَةِ أذَلَّتْ عُيوناً<sup>(٧)</sup>  
كلُّ قلبِ فى الجِنانِ قَدْ وَجَدْتُهُ      بالأسى مِنْ هَذِهِ الدُّنيا غَمَزْتُهُ

(١) رستم : بطل من أبطال إيران فى عصر الأساطير .

(٢) يريد الزهر الأحمر الذى يشبه النار .

(٣) الحب : الحبيب .

(٤) بَدْخْشان : مدينة تشتهر بالياقوت .

(٥) برترى هرى : شاعر هندي عاش فى منتصف القرن السابع الميلادى . وله أشعار باللغة

السنسكريتية فى الحبِّ والخلق القويم والزهد .

(٦) الضرام : النار .

(٧) أدلت عيوناً : نظرت .

قَالَ لِي الشَّيْخُ وَبِسْمَاءٍ قَدْ حَجَبَتْ  
 شَاعِرُ الْهِنْدِ ! وَهَذِي جِرْفَتُهُ  
 (بَزْتَرِي) يَزْدَانُ بِالْعِلْمِ الْعُجَابِ  
 بُزْعُومٌ بَيْنَ يَدَيْهِ مَا رَأَيْنَا  
 إِنَّهُ مَلِكٌ عَظِيمٌ بِالْغِنَاءِ  
 يَرْسُمُ الشَّكْلَ الْبَدِيعَ بِالذِّكَا  
 أَمَرَ هَذَا الْعَيْشِ يَدْرِي كُلَّهُ  
 « أَنْتَ سَحَاوٌ » وَهِنْدِي النَّسَبُ (١)  
 تَجْعَلُ الطَّلَّ اللَّالِي نَظْرَتُهُ (٢)  
 فَطَرَةٌ كَانَتْ لَهُ مِثْلَ السَّحَابِ  
 دَفَعَتْهُ مِنْكَ أَنْغَامٌ إِلَيْنَا  
 وَهُوَ بِالْفَقْرِ الْعَظِيمِ ذُو الْعَلَاءِ  
 يُظْهِرُ الدُّنْيَا بِحَرْفٍ مِنْ خَفَاءِ  
 وَهُوَ جَمٌّ شِعْرُهُ جَامٌّ لَهُ (٣)  
 قَدْ عَرَفْنَا فَتَنَهُ فَنَاءً عَلَيْنَا  
 وَأَدْرَنَا بَيْنَنَا قَوْلًا طَلِيًّا

\*\*\*

### زنده رود

أَنْتَ يَا مَنْ قُلْتَ قَوْلًا عَبَقْرِيًّا  
 قَلْ ، لِهَذَا الشَّعْرِ مِنْ أَيْنَ اللَّهَبُ  
 يَغْلَمُ الشَّرْقُ بِهِ سِرًّا خَفِيًّا  
 أَضْرَمْتَهُ الذَّاتُ أَوْ رَبٌّ وَهَبُ ؟

\*\*\*

### برتري هري

شَاعِرٌ أَيْنَ يُقِيمُ ، مَنْ عَزَفَ ؟  
 وَلَهُ بَمٍّ وَزَيْرٌ إِنْ عَرَفَ (٤)

(١) السَّحَاوُ : الكثير السحر .

(٢) الطَّلُّ : الندى .

(٣) جم : هو جمشيد من ملوك الفرس الأقدمين . قيل إنه كان يملك كاساً رسمت في قاعها الأقاليم السبعة .

(٤) اليم : أغلظ أوتار العود . والزيرُ : أدقُّها .



قلْبُهُ فِي الصَّدْرِ وَهَاجُ الْأَوَارِ      وَأَمَامَ اللَّهِ مَعْدُومُ الْقَسْرَارِ<sup>(١)</sup>  
 وَيَبْحَثُ رَوْحُنَا كَأَنَّكَ تَطْيِيبُ      وَطَلَبْنَا ، فَلِذَا الشُّعْرُ اللَّهِيْبُ  
 مِنْ كَرُومِ الْقَوْلِ يَا مَنْ قَدْ ثِمَلْنَا      مِثْلَ ذِيكَ الْمَقَامِ لَوْ بَلَّغْنَا!<sup>(٢)</sup>  
 وَبَيْتٍ قِيلَ فِي دُنْيَا الْحَجَزِ      فِي الْجِنَانِ تُسْتَبَى ذَاتُ الْحَوَزِ<sup>(٣)</sup>

## زندہ رود

إِنَّ أَهْلَ الْهِنْدِ كَانُوا فِي الْعَذَابِ  
 أَظْهَرَ السَّرِّ مَنْ خَلْفَ الْحِجَابِ

## برترى هري

هذه الأربابُ شَحَّتْ وَهِيَ مِنْ طِينٍ وَصَخْرٍ  
 « برترى » كان بعيداً عَنْ كَنِيسِ بَلِّ وَدَيْرِ  
 سَجْدَةً مِنْ ذَوْقِ أَعْمَالٍ خَلَّتْ لَا خَيْرَ فِيهَا  
 عَمَلٌ تِلْكَ الْحَيَاةُ ، وَهَوَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرِّ  
 عَالِمٍ أَنْتَ تَرَاهُ لَيْسَ مِنْ آثَارِ رَبِّ  
 مِغْزَلٍ بِالْخَيْطِ دَوَّزَتْ وَلَكِنْ لَسْتَ تَذْرِي  
 أَسْجُدَنَّ عِنْدَمَا لِلْعَامِلِينَ مِنْ جَزَاءِ  
 مَا لَهُمْ هَذَا النَّعِيمُ وَالْجَحِيمُ غَيْرَ أَجْرٍ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) وهاج الأوار : متأجج النار .  
 (٢) لو هنا للتمني .  
 (٣) استباه : سباه في الحرب .  
 (٤) المراد بالأجر هنا : الجزاء سواءً أكان على الخير أم على الشر .

## السَّفَرُ إِلَى قَصْرِ سُلَاطِينِ الْمَشْرِقِ

نادر وأبدالي والسُّلطان الشهيد<sup>(١)</sup>

«بِزْتَرِي» قَدْ هَزَّ رُوحِي بِالنِّدَاءِ  
 قَالَ لِي الرَّومِيُّ «عَيْنُ الْقَلْبِ أَفْضَلُ  
 بِمَقَرِّ لِلدَّرَاوِيشِ اعْبُرَنَّ  
 وَمَلُوكُ الشَّرْقِ فِي حَفْلِ كَعَقْدِ  
 «نَادِرُ» النَّحْرِيزُ رَمَزُ الْإِتِّحَادِ  
 ثُمَّ «أَبْدَالِي» وَقَدْ كَانَ الْبَطْلُ  
 وَإِمَامُ شُهَدَاءِ الْعَاشِقِينَا  
 أَسْكَرْتَنِي مِنْهُ صَهْبَاءُ الْغِنَاءِ  
 وَالخُرُوجُ عَنْ إِطَارِ الْفِكْرِ أَمْثَلُ<sup>(٢)</sup>  
 وَقَصُوراً لِلسُّلَاطِينِ انْظُرَنَّ  
 عِزَّةُ الْأَفْغَانِ أَوْ فَرَسِ وَهِنْدِ<sup>(٣)</sup>  
 كَانَ لِلْإِسْلَامِ بُشْرَى بِالْوِدَادِ<sup>(٤)</sup>  
 مَنَحَ الْأَفْغَانِ أَسْأً لِلْعَمَلِ<sup>(٥)</sup>  
 شَرَفَ الْأَقْوَامِ كَانَ أَجْمَعِينَا<sup>(٦)</sup>

(١) نادر : هو شاه أفشار الذي كان قائداً في جيش الشاه طهماسب الثاني آخر ملوك الصفويين ، وقد تآتى له أن يدفع غارة الأفغان على إيران ، فترجَّع على عرشها عام ١٧٣٦م كان سُنِّيًّا ، وبذل وَسْعَه في التقريب والتوفيق بين المذهب السني والمذهب الشيعي الذي كان المذهب الرَّسْمِي للدولة الإيرانية في عهد الصفويين .  
 وأبدالي هو أحمد شاه دراني المتوفى عام ١٧٧٣م كان من قادة جيش نادر كما حكم من قبله إقليم مازندران . وبعد مقتل نادر مضى إلى أفغانستان حيث أصبح ملكاً ، واتخذ من مدينة قندهار عاصمةً له . ويعدُّ مؤسساً للدولة الأفغان .  
 أما السلطان الشهيد فهو تيبو سلطان الذي كان له المُلك في الدِّكْن . وقد حارب الإنجليز الذين غلبوا على عاصمته ، ثم قتل في حومة القتال عام ١٧٩٩م .

(٢) الأمثل : الأفضل والأدنى للخير .

(٣) يشبه هؤلاء الملوك في مجلسهم بحبات العِقْد ، ويقول : إِنَّ عِزَّةَ الْأَفْغَانِ وَالْفَرَسِ وَالْهِنْدِ بِهِمْ . وَأَوْ هُنَا لِلْجَمْعِ .

(٤) النحرير : العاقل الحاذق .

(٥) الأس : الأساس . وفي الأصل : أنه منح الأساس للشعب .

(٦) العاشقون هنا عاشقوا الذات الإلهية من الصُّوفِيَّةِ .

أَيْنَ مِنْ نُورِ اسْمِهِ نُورُ الْكَوَاكِبِ      وتراه عَيْشَنَا هَذَا يُوَاكِبُ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّهُ كَشَّفَ سِرَّ الْعَاشِقِ      جَادَ بِالرُّوحِ بِشَوْقٍ دَافِقِ<sup>(٢)</sup>  
 وَبِفَضْلِ مَنْ يَبْدِرُ أَوْ حُنَيْنِ      قَدْ حَبَاهُ فَقْرُهُ جَذَبَ الْحُسَيْنِ<sup>(٣)</sup>

زايِلَ السُّلْطَانُ قَصْرًا زَائِلًا  
 مُلْكُهُ فِي الْهِنْدِ ظَلَّ مَائِلًا<sup>(٤)</sup>

ناقصَ العقلِ ، عجزتَ عن كلامي      لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ وَصَفِي لِلْمَقَامِ  
 بِتَجَلِّيهِ رَأَى أَهْلَ السَّمَاءِ      مَا زَهُمَ لَكِنَّ عَجِيبٌ مِنْ ذُكَاةِ  
 ذَاكَ قَصْرٌ وَمَنْ الْفَيْرُوزِ بَابِهِ      السَّمَاءِ كُلُّهَا تَحْوِي رَحَابَهُ  
 فِي السُّمُوقِ مَا لَهُ كَيْفٌ وَكَمْ      يَجْعَلُ التَّفْكِيرَ ذَا عَجْزٍ يُذَمُّ  
 هَذِهِ الْأَزْهَارُ فِي الْحَسَنِ الْبَدِيعِ      صُورَةٌ كَانَتْ تَجَلَّتْ لِلرَّبِّيعِ  
 وَالنَّبَاتُ وَهُوَ فَيَاضُ الْبَهَاءِ      غَيَّرَ الْأَلْوَانَ مِنْ ذَوْقِ النَّمَاءِ  
 وَالصَّبَا دَابُّ لَهَا أَنْ تَسْحَرَا      تَجْعَلُ الْأَضْفَرَ تَوًّا أَحْمَرَ<sup>(٥)</sup>  
 دَفَقَ الْمَاءُ وَكَالِدُرٌّ انْتَشَرَا      طَائِرُ الْفِرْدَوْسِ غَنَى فِي الشَّجَرِ  
 يَا لِقَصْرِ فِيهِ بَهْوٌ قَدْ سَمَقَ      ذَرَّةٌ مِنْهُ ذُكَاةٌ فِي الْوَهَقِ!<sup>(٦)</sup>  
 سَقْفُهُ كَانَ عَقِيقَةً نُضْدَا      أَرْضُهُ يَشْمُ ثَمِينٌ مُهْدَا<sup>(٧)</sup>  
 وَصَفُوفٌ فِيهِ مِنْ قَامَاتِ حُورِ      وَلِهِنَّ التَّبَرُّ حَلِيٌّ فِي الْخُصُورِ

(١) واكب الركب : سايرهم ، أوركب معهم .

(٢) كَشَّفَ : بمعنى كشف .

(٣) فِي الْأَصْلِ بِنظَرَةٍ مِنْ سَيِّدِ بَدْرٍ وَحُنَيْنِ .

(٤) الْمُرَادُ بِالْقَصْرِ الزَّائِلِ هَذَا الْعَالَمِ .

(٥) الدَّابُّ : الْعَادَةُ . يَقُولُ : إِنَّ مِنْ عَادَتِهَا أَنْ تَغَيِّرَ الْأَشْيَاءَ بِالسَّحْرِ .

(٦) سَمَقَ : عَلَا . وَذُكَاةٌ : الشَّمْسُ . الْوَهَقُ : حَبْلٌ فِي طَرَفِيهِ أَنْشُوطَةٌ يَطْرَحُ فِي عُنُقِ الدَّابَّةِ

لِتُؤَخَذَ بِهِ . يَقُولُ : كَأَنَّمَا كُلُّ ذَرَّةٍ فِي هَذَا الْقَصْرِ صَادَتِ الشَّمْسُ بِهَذَا الْحَبْلِ .

(٧) نُضْدُهُ : وَضَعُ بَعْضُهُ عَلَى الْبَعْضِ . وَالْيَشْمُ وَالْيَشْبُ : حَجَرٌ يَشْبُهُ الزَّبْرَجِدَ .

وعلى العرشِ ملوكٌ يَجْلِسُونَا      وملكوكِ الفُرسِ كانوا يُشْبهُونَا<sup>(١)</sup>  
 ذلكَ الرُّوميُّ مرآةَ الأدبِ      فرَجَ الغمِّ بما زادَ الطَّرَبَ<sup>(٢)</sup>  
 « وَمِنَ المَشْرِقِ هَذَا شَاعِرٌ      لستُ أدري ، شاعرٌ أم سَاحِرٌ  
 فِكْرُهُ دَقٌّ وفي الرُّوحِ الألمِ  
 شِعْرُهُ في الشَّرْقِ قد أذكى الضَّرْمَ »<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

### نادر

مرحباً يا شاعرَ الشَّرْقِ العَظِيمَا      مِنْ كَلامِ الفُرسِ أنشَدتِ القَويَمَا  
 نَحْنُ أَهْلُ السَّرِّ قَلْ سَرّاً لَنَا      ثَمَّ عَن إِيرانَ حَدَّثَ أنبِئنا<sup>(٤)</sup>

### زندة رود

نَظَرَتِ إِيرانُ في ذاتِ مَلِيّا      وَهَوَتْ في قاعِ أَشراكِ هُويّا<sup>(٥)</sup>  
 وَقَتِيلُ دَلِّ أَصنامِ الجَمالِ      تُشْبهُ الإفرنجِ في خَلقِ الكَمالِ !  
 فِكرُها في مُلكِها أو في النَسبِ      مَدْحُ سابورِ وَذَمُّ لِلعَربِ<sup>(٦)</sup>

(١) ذكر من هؤلاء الملوك جمشيد وبهرام وهما مشهوران بعزة الجانب .

(٢) فرج : فتح . والطرب : خفة تعتري الإنسان من فرح أو حزن .

(٣) أذكى : أوقد . والضرم : الحطب يطرح في النار .

(٤) أنبنا : أنبئنا .

(٥) هوى هويّاً : سقط . والشراك : جمع : شرك ، وهو الحباله .

(٦) سابور : ملك من ملوك الفرس . وهو سابور الثاني المعروف بذي الأكتاف ؛ لأنه في

حربه مع قبائل العرب خلع أكتافهم ، أو ثقب ألواحها وجعل فيها حبلاً إمعاناً في

التشفي منهم .

يَوْمُهَا خَالٍ ، وَمَنْ كُلُّ الْمَهَامِ      الْحَيَاةُ طَلَبَتْهَا فِي الرَّجَامِ<sup>(١)</sup>  
 وَطَنًا رَامَتْ وَذَاتًا لَا تَرَى      وَتَنَاسَتْ رُسْتُمًا بَلْ حَيْدَرًا<sup>(٢)</sup>  
 باطلَ الإفرنج ما قَدْ حَصَلَتْ  
 ولها التاريخُ مِنْهُمْ شَكَّلَتْ

كَانَتْ الشَّيْخُ ، وَفِي عَهْدٍ بَعِيدٍ      شَا حَبَّ الْوَجْهِ دِمَاهُ مِنْ جَلِيدٍ  
 عُرْفُهَا بِالِ لَهَا دِينَ قَدِيمٍ      وَكَذَلِكَ الصُّبْحُ وَاللَّيْلُ الْبَهِيمِ!<sup>(٣)</sup>  
 كَرُمُهَا مَا فِيهِ أَمْوَاجٌ لَخْمِرٍ      تُزْبِهَا مَا فِيهِ مِنْ وَهْجٍ لَجْمِرٍ<sup>(٤)</sup>  
 وَمِنْ الصَّحْرَاءِ كَانَ الْمَخْشَرُ      فَلَدَيْهَا مِنْهُ عُمْرٌ آخَرُ<sup>(٥)</sup>  
 رَحْمَةُ اللَّهِ وَمَنْ تَخْنَزِهِ      فَارِسٌ ظَلَّتْ وَرُومًا أَيْنَ هِيَ!<sup>(٦)</sup>  
 مَا مَضَى عَنْ جِسْمِهَا رُوحٌ رُؤُومٍ      أَبْغِيرِ الْحَشْرَ مِنْ تُزْبٍ تَقُومُ<sup>(٧)</sup>  
 رَجُلُ الصَّحْرَاءِ رُوحًا قَدْ مَنَخَ      وَإِلَى صَحْرَائِهِ عَنْهَا نَزْحُ<sup>(٨)</sup>  
 وَمَحَا مِنْ لَوْحِنَا كُلِّ الْقَدِيمِ      جَدَّدَ الْعَضْرَ ، وَلَيْسَ بِالْمَقِيمِ

إِنَّهُمْ لَمْ يَذْكُرُوا فَضَّلَ الْعَرَبَ  
 وَمَنْ الإفرنجِ ذَابُوا فِي اللَّهَبِ !

\*\*\*

- 
- (١) الرجام : جمع رجم ، وهو القبر .  
 (٢) رستم : أعظم أبطال الأساطير عند الفرس . وحيدر : علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .  
 (٣) البهيم : الذي لا ضوء فيه إلى الصباح . يقول : إنَّ كل شيء فيها كان قديماً بالياً حتى ليلها ونهارها .  
 (٤) التراب : التراب . والوهج : اتقاد النار .  
 (٥) يشير إلى فتح العرب لفارس ، ويشبهه بالبعث والحياة الأخرى .  
 (٦) التحنان : الرَّحْمَةُ .  
 (٧) الرؤوم : الرحيمة . وفي الأصل الطاهرة .  
 (٨) نزح : بعد ورحل .

## ظهور روح ناصر خسرو العلوي واختفاؤها

### وإنشاد غزل رقيق<sup>(١)</sup>

لِلْحُسَامِ وَالْيِرَاعِ تَجْعَلُ الْكِفَّ الْمَدَارَا  
مِنْ جَوَادِ الْجِسْمِ بَعْدُ ، أَنْتَ لَا تَخْشَى الْعِثَارَا<sup>(٢)</sup>  
الْحُسَامُ وَالْيِرَاعُ مِنْهُمَا فَضْلٌ عَمِيمٌ  
يَا أَخِيَّ مَضِدُّرُ الثُّورِ لَدِينَا كَانَ نَارَا<sup>(٣)</sup>  
عِنْدَ كِفَارِ أَجْنَبِيٍّ أَيُّ خَيْرٍ فِيهِمَا  
لَهُمَا بِالذِّينِ سِعْرٌ يَشْتَرِي حَتَّى النَّضَارَا<sup>(٤)</sup>  
عِزَّةُ الذِّينِ بَعْلَمٌ وَبِجَهْلٍ ذَلَّةٌ  
دِينُ جُهَّالٍ كَزَهْرِ الثُّورِ قَدْ جَابَ الْقِفَارَا<sup>(٥)</sup>  
مِثْلُ كَرْبَاسٍ وَإِيَّاسٍ يَخِيْطُ نِصْفَهُ

(١) ناصر خسرو : من شعراء إيران في القرن الخامس الهجري ، وكان من دعاة المذهب الإسماعيلي ، وجمهرة أشعاره في المسائل المذهبية والفلسفية . ولما قدم مصر ، وكل إليه الخليفة الفاطمي نشر المذهب الإسماعيلي في خراسان ، وجعله رأس الباطنية في تلك الجهات .

(٢) الحسام : السيف . واليراع : القلم . وهذا الشعر نوني القافية في الأصل . ويقول الشاعر : إنك إذا جعلت من كفك ميداناً يجول فيه القلم والسيف ، فإن جواد جسمك لا يكبو من بعد .

(٣) أخى : تصغير أخ . وهو يقول : إنَّ الحسام واليراع مصدر الخير ، كما أن النار مصدر النور .

(٤) النَّضَار : الذهب . وإذا اقترن القلم والسيف بالذِّينِ غلا ثمنهما ، وعظمت قيمتهما .

(٥) يقول : إنَّ الدين يعرُّ بالعلم . والدين عند الجاهل كالزُّهرة عند الثور الذي يتجول في الصحارى .

ويهوديٌّ لكُفْنٍ نِضْفِهِ الثَّانِي استعاراً<sup>(١)</sup>

## أبدالي

وفتَى مُلْكَاً عَظِيماً قَدْ أَقَامَا      لِلجِبَالِ عَادَ وَاخْتَارَ المَقَامَا  
أضْرَمَ النيرانَ فِي تِلْكَ الجِبَالِ      أَخْرَقْتَهُ ؟ أَمْ شَجَاعٌ لَا يِيَالِي

\*\*\*

## زنده رود

الشعوبُ بينها صَفْوُ الإخاء      إخوةٌ ، فِي حَرْبِهَا أَوْ فِي المِرَاءِ<sup>(٢)</sup>  
وحياءُ الشُّرْقِ كَانَتْ مِنْ حَيَاتِهِ      ابْنُهُ الجَنْدِيُّ أَمْسَى مِنْ حُمَاتِهِ !  
ذاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ جَهلاً سَلَبَ      مَالَهُ مِنْ مَمَكِنَاتِ مَا حَسَبَ<sup>(٣)</sup>  
ولهُ قَلْبٌ وَعِنْدَهُ غَافِلٌ      للجِسْمِ والقُلُوبِ مِنْ فِراقِ فَاصِلٍ<sup>(٤)</sup>  
إنَّما الجِوَالُ ضَلَّ كُلَّ غَايِهِ      رُوحُهُ ما إِنْ دَرَّتْ مَعْنَى النِّهائِيهِ

(١) الكرباس : ثوب من القطن الأبيض ورقيل هو الثوب الخشن . والكفن : تكفين الميت .

وإقبال يومئذ إلى حقيقة تاريخية هي ظهور النبي إلياس في اليهود بعد انقسام مملكتهم قسمين شمالي وجنوبي . وقد أراد أن يهدي اليهود إلى دين قويم أساسه توراة موسى ، وكان يلبس قباءً أبيض . وما زال اليهود إلى اليوم يصلون بقباء أبيض لا يجيزون الصلاة إلا به .

وقد تلقينا هذه المعلومات عن الأستاذة منى ناظم المعيدة بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب من جامعة عين شمس ، فلها الفضل وإليها الشكر .

(٢) المراء : الجدال . يقول : إنَّ الشعوب إخوة إلا أنَّها على الدوام تتحارب وتتجادل .

(٣) حسب الشيء : عدّه وأحصاه .

(٤) يقول : إن الفراق حدٌّ يفصل بين الأجسام والقلوب .

يعرف الأفغان حقاً شاعراً      قال ما قد قال وهو الساذج<sup>(١)</sup>  
إنه كان حكيماً شغيباً      بذل الوسع يقضد طبهم<sup>(٢)</sup>  
سز قوم قد دراه ثم قالوا      ما رآه الحق لم يخش الوبالا<sup>(٣)</sup>  
فتى الأفغان لو يلقي البعيرا  
يحمل الجوهراً والذر الوفيرا  
ما تملأ ذلك الوسق الكبير<sup>(٤)</sup>  
وأراد جمل الهادي الصغير<sup>(٥)</sup>

## أبدالي

إن من قلب لنا الطبع اتقد      وصحا منه التراب أو رقد  
ويموت القلب جنم غيرا      ودماً أمسى النضيج أحمر<sup>(٦)</sup>  
بفساد القلب ما هذا الجسد؟      وخده كمن على القلب اعتمد  
آسيا جسم ومن ماء وطين      قلبها الأفغان خفاق الوتين<sup>(٧)</sup>  
ولها منه الفساد إن فسد      وانطلاق منه يا نعم المدد<sup>(٨)</sup>  
بانطلاق القلب فالجسم الطليق      أو لريح كان بالقش الخفوق<sup>(٩)</sup>

(١) الساذج : الذي لا يبالي .

(٢) طبهم : علاجهم من المرض .

(٣) الوبال : سوء العاقبة .

(٤) تملأ الشيء : تمتع برؤيته . الوسق : الجمل .

(٥) الجمل : الجرس الصغير . والهادي : العنق .

(٦) النضيج : العرق .

(٧) الوتين : عرق في القلب .

(٨) المدد : العون .

(٩) يقول : إن الجسم إذا لم يتطلق بانطلاق القلب ، كان شبيهاً بالقشة إذا اشتدت بها الريح

في يوم عاصف .



وله كالجسم بالعرف القيود دينه أحياء والموت الحُود<sup>(١)</sup>

بمقام وَخُدَّةٍ قَد عَزَّ دِينُ

ذَلِكَ الشَّعْبُ بِهَا شَعْبٌ يَكُونُ

ذَاتَهُ يَفْقَدُ ذَا الشَّرْقِ الْمُقَلَّدُ لَيْتَهُ النَّقَادُ لِلْغَرْبِ الْمُفَنَّدُ<sup>(٢)</sup>

عَزُّ هَذَا الْغَرْبِ لَا بِالْمَطْرِبَاتِ لَا وَلَا رَقْصِ الْغَوَانِي الْعَارِيَاتِ

لَمْ يَهْبَهُ قَوَّةٌ وَزُدَ الْخُدُودِ وَقَصِيرُ الشَّعْرِ أَوْ مَيْسُ الْقُدُودِ<sup>(٣)</sup>

مَجْدُهُ مَا كَانَ مِنْ تَرْكٍ لِذَيْنِ لَيْسَ مِنْ خَطِّ لَدَيْهِ بِالْمَكِينِ<sup>(٤)</sup>

الْعِلْمُ وَالْفَنُونُ سَوْرَةٌ وَمَصْبَاحٌ لَدَيْهِ نَوْرَةٌ

لَسْتَ بِالثَّوْبِ حَكِيمًا كَالْأَعَاظِمِ أَيْضًا الْعِلْمُ مِنْ لُبْسِ الْعِمَائِمِ<sup>(٥)</sup>

تُذْرِكُ الْعِلْمَ بِعَقْلِ أَنْتَ مَالِكٌ لَا بِثَوْبٍ تَسْتَعِيرُ مِنْ هُنَالِكَ<sup>(٦)</sup>

لَيْسَ فِي هَذَا السَّبِيلِ غَيْرُ عِلْمٍ مَا عَلَى رَأْسِكَ مِنْ غَيْرِ الْمُهِمِّ

إِنْ مَلَكَتِ الْفِكْرَ هَذَا الْفِكْرُ حَسْبُكَ

كُلُّ شَيْءٍ عَنْهُ مَا يُغْنِيكَ ، طَبْعُكَ

السَّنَاجَ فِي اللَّيَالِي إِنْ أَكَلْتَهُ فَإِلَى الْعِلْمِ السَّبِيلُ قَدْ وَجَدْتَهُ<sup>(٧)</sup>

مَنْ رَأَى يَوْمًا حُدُودَ مُلْكٍ مُعْتَى؟ يَطْلُبُ الْمَطْلُوبَ مَجْهُودًا وَأَيْنَا<sup>(٨)</sup>

(١) الحقود : الأحقاد .

(٢) فَنَّدَهُ : كَذَّبَهُ وَخَطَّأَ رَأْيَهُ .

(٣) الميس : التبخر .

(٤) هذا الخط في الأصل هو الخط اللاتيني . والمكين : صاحب الحظوة .

(٥) ضاره : ضره .

(٦) يريد بهذا الثوب زي أهل الغرب .

(٧) السناج : أثر دخان المصباح . وأكل سناج المصباح في الفارسية كناية عن سهر الليالي

في طلب العلم .

(٨) الأين : التعب .

فَقَدَ الْأَتْرَاكَ ذَاتَا بِالْمُدَامِ      فَالْفَرَنْجُ أُسْكِرُوهُمْ بِالسُّمَامِ<sup>(١)</sup>  
 إِنَّ تَرْيَاقَ الْعِرَاقِ مَا لَدَيْهِمْ      رَحْمَةً يَا رَبِّ فَاَنْسُطْهَا عَلَيْهِمْ<sup>(٢)</sup>  
 وَعَيْبِدُ الْعَرَبِ يَبْغُونَ الظُّهُورَا      إِنَّهُمْ يُرْضُونَ بِالرَّقْصِ الْغُرُورَا!  
 رُوْحَهُمْ فِي اللّٰهُوَ كَانُوا يَفْقِدُونَا      يَضْعُبُ الْعِلْمُ ، بِلَهُو لَنْ يَكُونَا  
 يَطْلُبُونَ السَّهْلَ لَكِنْ مِنْ كَسَلٍ      طَبْعُهُمْ مَا يَبْتَغِي سَهْلَ الْعَمَلِ  
 الْيَسِيرُ السَّهْلُ لَكِنْ إِنْ طَلَبْنَا       
 أَنْتَ رُوْحًا لَكَ مِنْ جِسْمٍ فَقَدْنَا

\*\*\*

### زندہ رود

الْفِرَنْجُ بِالرَّقِيِّ مَا أَرَادُوا؟      أَلَفَ فَرْدُوسٍ مِنَ الْأَلْوَانِ شَادُوا<sup>(٣)</sup>  
 ظَاهِرٌ مِنْهُمْ دِيَارًا حَرَقَا      وَالْغُصُونُ بِالْعِشَاشِ مَرَقَا<sup>(٤)</sup>  
 ظَاهِرٌ يَبْدُو لِعَيْنِ لَامِعَا      وَهَنَّ الْقَلْبُ لِعَيْنِ خَانِعَا<sup>(٥)</sup>  
 يَزَلِقُ الْقَلْبُ وَلِلْعَيْنِ النَّظْرُ      وَأَمَامَ الْمَعْبَدِ الْخَفَّاقُ خَر<sup>(٦)</sup>  
 وَمَصِيرَ الشَّرْقِ هَذَا مَنْ دَرَى؟      أَيُّ تَسْدِيرٍ وَتَبْغِي مَطْهَرَا

(١) يقول : إن الأتراك سكروا بخمرة الغرب ، وهي كناية عن افتتانهم به . والسُّمَامُ : جمع سم .

(٢) الترياق : دواء السُّموم . وفي أشهر كتاب من كتب الأدب الفارسي ، وهو كتاب كلستان لسعدي الشيرازي عبارة مشهورة مأثورة ، وهي : ( يُسْلِمُ الْمَلْدُوعُ الرُّوحَ قَبْلَ أَنْ يُحْضِرُوا لَهُ التَّرْيَاقَ مِنَ الْعِرَاقِ ) .

(٣) شاد البناء : رفعه .

(٤) العشاش : جمع عش .

(٥) الخانع : الخاضع في ذل .

(٦) الخفّاق : القلب .

## أبدالي

وعلى تغييرِ ذاك القادرِ  
بهلوي ملكُ قُباذِ ناله  
ومن الدّرّانيين كانَ نادرُ  
إنه للدينِ يَأْسَى والوطنِ  
بطلُ الهيجاءِ حقّاً والأميزُ  
من رأى ذاتاً له إنسي فدَيْتُهُ  
بهلوي إيران قُلْ أو نادرِ  
كلُّ معقودٍ لديه حَلَّه<sup>(١)</sup>  
وهو للأفغانِ ذخرٌ مَنْ يُكابِرُ؟  
قَادَ جيشاً في جبالِ قَدْ كَمَنْ<sup>(٢)</sup>  
والحديدُ عند قومِ والحريزِ<sup>(٣)</sup>  
وازنَ العَصَرَ بحذقٍ مَنْ هَوَيْتُهُ  
كم لأهل الغربِ مَنْ فَنٌ سَحَرَ  
إن نَسِيتَ الذَّاتَ كُنْتَ مَنْ كَفَرَ!

\*\*\*

## السُّلْطَانُ الشَّهِيدُ

عَنْ بلادِ الهِنْدِ حَدَّثَنِي طويلاً  
مسجداً فيها خلا مِنْ صوتِ حَشْدٍ  
قلبنا حزناً على الهِنْدِ انْفَطَرَ  
قَشُّها يَفْضُلُ بستاناً جميلاً<sup>(٤)</sup>  
ديرُها ما فيه نارٌ بَعْدُ خَمْدُ  
روحنا شيئاً سِوَاها ما اذْكَرُ<sup>(٥)</sup>

(١) بهلوي : هو رضا شاه بهلوي المتوفى عام ١٩٤٤م الذي أسس الأسرة المالكة في إيران بعد أن أسقط الأسرة القاجارية عام ١٩٢١م ورضا شاه مؤسس إيران الحديثة وعلمٌ عظيمٌ من أعلام تاريخها . وقباز هو كيقباز أول ملوك الأسرة الكيانية في إيران ، وفي عهده هزم البطل رستم التورانيين أي الأتراك هزيمة ماحقة .

(٢) يَأْسَى : يَخْزُنُ .

(٣) الهيجاءُ : الحَزْبُ .

(٤) فضله : كان أفضل منه .

(٥) اذْكَرُ : ذَكَرُ .

حزنها قسه بأحزان لنا ليس يدري من نحب حائلنا

### زنده رود

الهنود أنكروا قانون غزب كل سحر رفضوه كل خلب<sup>(١)</sup>  
إن غزف الغير روحاً يُثقل من سماء إنه لا ينزل!

\*\*\*

### السُّلْطَانُ الشَّهِيدُ

وإذا الإنسان من طين خرج قلبه من رغبة فيه اختلج  
لذة العصيان كانت مُتَعْتَهُ رؤية الذات رآها بهجتته  
هذه الذات بعصيان تُنال وانعدام الذات معناه الوبال<sup>(٢)</sup>  
أنت في أرضي وفي داري حللتا وبعين قبري البالي مسختا  
وعرفت حد كل الكائنات في الجنوب أين آتار الحياة<sup>(٣)</sup>

### زنده رود

في الجنوب قد نثرت الدَّمْعَ حَبًا فاكست أرض به وزداً وأباً<sup>(٤)</sup>  
نهر «كاويري» يسير في جموحة ورأيت وقدة أخرى بروحة<sup>(٥)</sup>

(١) الخلب : الخداع .

(٢) الوبال : سوء العاقبة .

(٣) اخترنا هنا كلمة جنوب عوضاً من « دكن » وهو اسم إقليم في جنوب الهند . وكلمة دكن في الأوردية بمعنى جنوب .

(٤) الأب : المرعى .

(٥) اسم النهر الذي تقع عليه مدينة سرنجاباتم .

## السُّلْطَانُ الشَّهِيدُ

قَوْلِكَ التُّورُ بِهِ ضَاءتْ قُلُوبُ  
عَالِمِ الْأَسْرَارِ دَوْماً مِنْ ظَفَرِ  
وَنَشِيدِ الرُّوحِ إِنْ أَنْشَدْتَهُ  
عِنْدَ مَوْلَى الْكُلِّ كُنْتَ حَاضِراً  
وَعَلَى الْقَوْلِ هُنَاكَ مَا شَجَعْتَ  
وَأَنَا مِنْ أَحْرَقْتَنِي نَارُ شِعْرِكَ  
قَالَ « بَيْتٌ قَلْتَهُ مَنْ قَالَه ؟  
بَيَانٍ لَكَ فِي الرُّوحِ اسْتَعَزَّ  
لَكَ دَمْعُ نَارِهِ مِنْهَا أَذُوبٌ <sup>(١)</sup>  
مِنْ عُرُوقِ الْعُودِ أَنْهَاراً حَفَزٌ <sup>(٢)</sup>  
اللَّهِيبُ فِي الْحِشَا أَوْقَدْتَهُ  
مَنْ سِوَاهُ كَانَ يَهْدِي سَائِراً  
رُؤْيَةً بِالرُّوحِ كُلُّ مَا اسْتَطَعْتَ  
وَلِسَانِي لَا يَنِي عَنْ ذِكْرِ فِكْرِكَ <sup>(٣)</sup>  
ضَجَّةُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَهُ  
نَهْرَ كَاوِيرِي فَصَفَّ وَازِرِ الْحَبْرِ

زندہ رود آنست وهو زندہ رود

إِنَّ لِحْنًا مَعَ لَحْنٍ مَا يَجُودُ <sup>(٤)</sup>

## رسالة السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ إِلَى نَهْرِ كَاوِيرِي

### حَقِيقَةُ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَالْإِسْتِشْهَادِ

إِنَّ هَذَا النَّهْرَ قَدْ سَارَ الْهُوَيْنِي  
نَائِحاً بَيْنَ الْجِبَالِ ، كُنْتَ تَغْبِرُ  
أَنْتَ مِنْ جِيحُونَ خَيْرٌ وَالْفِرَاتِ  
يَا لِأَرْضِي أَنْتَ قَدْ عَانَقْتَهَا  
وَدَوَامُ السَّيْرِ مَا أَضْنَاهُ أَيْنَا <sup>(٥)</sup>  
وَطَرِيقاً لَكَ بِالْأَهْدَابِ تَخْفُزُ !  
لِلْجَنُوبِ كُنْتَ وَهَّابَ الْحَيَاةِ  
بِرَوَاءِ كَانَ فِيكَ زَيْتَهَا

(١) ضاء : أثار وأشرق .

(٢) عروق العود هنا هي أوتاره . وفي الأصل من دماء تلك العروق .

(٣) يني : يفترو ويضعف .

(٤) وجود : يحسن .

(٥) الأين : التعب .

شِخَتْ لَكِنْ أَنْتَ فَيَاضُ الشَّبَابِ      والبهاءُ لك كالسحرِ العُجابِ  
 بِنْتُ مَوْجَاتٍ لَدَيْكَ دُرَّةٌ      فلتُشرِ موجاً عليك طُورَةٌ<sup>(١)</sup>  
 حُرْقَةُ العَيْشِ تَغْنِيهَا نَشِيدَا      أَعْلِمْتَ مِنْ لِيذَا كَانَ البَرِيدَا<sup>(٢)</sup>  
 إِنَّهُ مِنْ طُفَّتِ حَوْلَ سَطْوَتِهِ      لَكَ مَرَاةٌ لِوَجْهِ قُوَّتِهِ<sup>(٣)</sup>  
 الصَّحَارَى جَنَّةٌ مِنْ قُدْرَتِهِ      بَدْمَاهُ كَانَ رَسْمُ صُورَتِهِ  
 الأمانِي مِنْ ثَرَاهُ تَقْتَرِبُ      مِنْ دِمَاهِ فَيْنِكَ مَوْجٌ يَضْطَرِبُ

كَانَ فَعَلًا كُلُّ قَوْلٍ قَالَهُ

لَمْ يَنْسَمْ ، وَالشَّقْزُ نَامَ لَيْلَهُ

إِنَّا الأَمْوَاجُ فِي نَهْرِ الحَيَاةِ      إِنَّمَا التَّبْدِيلُ شَأْنُ الكَائِنَاتِ  
 مَا الحَيَاةُ غَيْرَ تَجْدِيدٍ تَجَدَّدُ      عَالِمًا تَطْلُبُ فِي شَوْقٍ تَمَهَّدُ  
 الذَّهَابُ وَالمَجِيءُ مَا هُمَا      الكَيَانُ لِلوُجُودِ مِنْهُمَا  
 الطَّرِيقُ رَاحِلُونَ فِي سَفَرِ      سَفَرٍ يَخْفَى لَكِي يَبْدُو الحَضَرُ  
 النِّيَاقُ وَالصَّحَارَى وَالنَّخِيلُ      تِلْكَ أَشْجَاهَا وَأَبْكَاهَا الرَّحِيلُ  
 بَرَهَةٌ حَلَّتْ وَرُودُ الرِّوَضِ ضَيْفَا      لِاخْتِبَارِ عُرْضَتِ حَسَنًا وَعَزْفَا<sup>(٤)</sup>  
 مَا تَمَّ فِي الرِّوَضِ أَمْ أَفْرَاحُ سُوْرٍ؟      بَرَعَمٌ فِي الحِضْنِ ، نَعَشٌ لِلرُّهُوزِ<sup>(٥)</sup>  
 أَحْمَرُ الوَزْدِ لَهُ قُلْتُ اخْتَرِقُ      قَالِ سَرِّي مَا عَرَفْتَ يَا لَيْتُ!

مِنْ هَشِيمٍ لِلوُجُودِ ذَا البِنَاءِ

لِلظُّهُورِ حَسْرَةٌ كَانِ الجَزَاءِ

مَا مَضَى أَوْ مَا يَكُونُ ، إِمْضٍ عَنْهُ      المَجِيءُ لِلوُجُودِ ، دَعَاكَ مِنْهُ

(١) الطرة : شعر مقدم الرأس . يشبه الأمواج بالشعر النائر .

(٢) البريد : الرسول .

(٣) في الأصل : أنت حامل المرأة لوجه سطوته .

(٤) العرف : الرائحة الذكية .

(٥) السور : كلمة فارسية تستخدم في العربية ، وهي بمعنى الوليمة والضيافة .

لا تَضِغْ مِثْلَ الشَّرَارِ إِنْ قَدِمْتَ  
وإذا أَشْبَهْتَ شَمْساً فِي الصُّفَاتِ  
الرِّيَاضِ أَخْرَقْ وَأَكَامَ الصَّحَارَى  
وإذا عَوَّدْتَ جُزْحَ السَّهْمِ صَدْرَا  
السُّكُونُ فِي الْحَيَاةِ لِلثَّبَاتِ

دِينُنَا وَالْعُرْفُ فِي تِلْكَ الْحَيَاةِ

بِرَهْمَةٍ كَاللَّيْثِ لَا عَاماً كَشَاةٍ (٣) !

الْحَيَاةُ بِرِضَاكَ أَحْكَمَتْ  
الرَّوْدَى طَبِيٍّ وَهَذَا الْمَرْءُ ضَيْغَمٌ  
إِنَّمَا الْكَامِلُ يَحْتَاجُ الْحِمَامَا  
وَيَمُوتُ الْعَبْدُ خَوْفاً مِنْ حِمَامٍ  
لَكِنِ الْحَرَّ هَذَا شَأْنُهُ ؟  
لَيْسَ يُجْرِي ذِكْرُ مَوْتٍ بِنَّةٍ  
دَعَكَ مِنْ مَوْتِ الْقُبُورِ وَالثَّرَابِ  
مَا يُرْجِي مُؤْمِنٌ مِنْ رَبِّهِ  
لَطَرِيقِ الشُّوقِ هَذَا الْمَوْتُ غَايَهُ

اَطْلُبْنَ بَيْدراً إِمَاماً مَضِيَّتاً (١)  
فَارْتَفِعْ بَيْنَ الشَّمُوسِ الْمَشْرِقَاتِ  
وَالسَّمَاءِ أَضْلَى بَقَاعِ الْيَمِّ نَاراً (٢)  
فَلتَعِشْ صَقِراً وَكُنْ فِي الْمَوْتِ صَقِراً  
مَا سَأَلْتُ اللَّهَ طَوَلاً فِي حَيَاتِي !

قَتَلْتِكَ أَخْذَةً قَدْ دُبِّرَتْ (٤)  
مِنْ مَقَامَاتِ حِمَامِ الْمَرْءِ فَاعْلَمْ (٥)  
كَالشَّوَاهِينِ إِذَا صَادَتْ حِمَاماً (٦)  
لَمْ يَكُنْ عَيْشٌ لَهُ غَيْرَ الْحَرَامِ !  
رُوحُهُ الْأَخْرَى لَدَيْهِ حَيْنُهُ (٧)  
وَيَمُوتُ الْحُرُّ لَكِنِ بَغْتَةً (٨)  
إِنَّهُ الْمَوْتُ وَلَكِنْ فِي الثَّرَابِ  
مَوْتُ إِطْلَاقٍ لَهُ مِنْ تُرْبِهِ  
وَهُوَ لِلتَّكْبِيرِ فِي حَرْبِ نَهَائِهِ

(١) البيدر : الموضع الذي يدرس فيه القمح .

(٢) السماءك : جمع سمك .

(٣) أي عش برهمة كالأسد ولا تعيش عاماً كالشاة .

(٤) الأخذة : الرقية تأخذ العين كالسحر .

(٥) الضيغم : الأسد .

(٦) الكامل : الرجل الكامل . يجتاح : يقهر . الحمام : الموت . الشواهين : جمع

شاهين ، وهو طائر كالصقر .

(٧) الحين : الهلاك ، والمراد هنا الموت .

(٨) بنة والبنة : بمعنى لا رجعة فيه .

ليس للمؤمن غَيْرُ الأَطيِّبِ      أَيُّ مَوْتٍ مِثْلُ مَوْتِ ابْنِ النَّبِيِّ <sup>(١)</sup>  
 الملوِكُ حاربوا من أَجْلِ سَلْبِ      كالنَّبِيِّ مؤمنٌ في حَوْضِ حَرْبٍ <sup>(٢)</sup>  
 وبها يمضي إلى دارِ الحبيب      يَهْجُرُ الدُّنْيَا لِوَضَلِّ من قَرِيبِ  
 قالَ للقومِ النبيُّ ذو المحامد      راهبُ الإسلامِ من كان المجاهد <sup>(٣)</sup>  
 الشَّهِيدُ وَخُدَّهُ هَذَا دَرَاهِ  
 بدمِ أَجْرَاهُ في الحربِ اشْتَرَاهِ

\*\*\*

## زندہ رود یغادرُ الجَنَّةَ العالیة وطلبَ حورِ الجِنانِ

كأسُ صبري أَضْبَحَتْ بعضَ الفُتاتِ      قال لي الروميُّ قُمْ قَبْلَ الفَوَاتِ <sup>(٤)</sup>  
 يا حديثَ الشُّوقِ يا جَذَبَ اليقينِ !      يا لإيوانِ على الأَسِّ المتينِ <sup>(٥)</sup>  
 دامي القَلْبِ إليه قَدْ وَصَلْتِ      وعلى أعتابِه حُوراً رَأَيْتِ  
 قالتِ الحورُ تَعَالَ زِنْدَهُ رُودِ      لك عَذْبُ اللَّحْنِ يشجي ، والوُقودِ <sup>(٦)</sup>  
 خفقاتُ من ضَجِيجِ حَوْلِنَا      زنده رود اجلسُ قليلاً بيننا

\*\*\*

- 
- (١) ابن النبي هنا هو الإمام الحسين رضي الله عنه سيد الشهداء .
  - (٢) أي أن المؤمن يشبه النبي ﷺ ، ويقتدي به في الجهاد .
  - (٣) الإشارة إلى قوله ﷺ : « الجهاد رهبانية الإسلام » .
  - (٤) الفتات : ما تفتت من الشيء وكسارته . والفوات : فوات الأوان .
  - (٥) يا هنا للتعجب . والأَسُّ : الأساس .
  - (٦) الوقود : النار .



## زنده رود

كُلُّ مَنْ يَغْرِفُ سِرًّا لِلسَّفَرِ      يَزْهَبُ الْمَنْزِلَ لِالِصِّ الْمَمْرُ<sup>(١)</sup>  
 الْوِصَالُ مَا أَرَاخَ قَطُّ عَشَقَا      بَلْ أَرَاخَ سَرْمَدِي الْحُسْنِ حَقًّا  
 وَابْتِدَاءً عِنْدَ حَسْنَاءِ سُجُود      بَانَتْهَا حُطَّمَتْ تِلْكَ الْقِيُودُ  
 سَادِرٌ مَا كَفَّ يَوْمًا عَنْ رَجِيلٍ      وَهُوَ فِي غَيْرِ الْمَكَانِ ابْنُ السَّبِيلِ<sup>(٢)</sup>  
 دِينُنَا يُشْبِهُ مَوْجًا أَسْرَعَا  
 مَا أَقَامَ بَلْ أَرَادَ الْمَهْيَعَا<sup>(٣)</sup>

## حُورُ الْجَنَّةِ

لَكَ دَلٌّ مِثْلَ دَلِّ لِلزَّمَانِ  
 فَعَلِينَا لَا تَقْضِنَ بِالْأَغَانِي

## غزل زنده رود

أَلِي الْمَرْءِ وَصَلَتْ ؟ لَكَ رَبًّا كَيْفَ تَطْلُبُ      وَمِنَ الذَّاتِ فَوَزَتْ أَنْتَ صَخْبًا كَيْفَ تَطْلُبُ  
 شَاخِبَ الْوَجْهَ تَعَلَّقَ بِالْعُصُونِ الطَّلَّ وَازْشُفَّ      لَكَ شَيْئًا مِنْ نَسِيمِ هَبِّ هَبًّا كَيْفَ تَطْلُبُ  
 قَطْرَتَانِ مِنْ دَمَاءِ ذَاكَ مَا سَمَّوْهُ مِسْكَأ      يَا غَزَالَ الْمِسْكَ مِسْكَأ مِنْكَ عُجْبًا كَيْفَ تَطْلُبُ<sup>(٤)</sup>  
 إِنَّ عَزَّ الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ مِعْيَارًا لِفَقْرِ      الْحَطَامَ مَا طَلَبْتَ الْمُلْكَ وَهَبًّا كَيْفَ تَطْلُبُ

(١) في الأصل : أن رهبة من المنزل أشد من رهبة من قاطع الطريق .

(٢) السَّادِرُ : الذي لا يبالي بما صنع ، والمراد به : العشق .

(٣) المهيع : الطريق الواسع .

(٤) يعتقد القدماء أن المسك من دم الغزلان ، وفي ذلك يقول المتنبي :

وإن تَفَقَّ الأنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ      فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

والعجب : التيه والخيلاء . وفي الأصل يا غزال الحرم في الخطا ماذا تطلب .

والخطا : اسم لشمال الصين ، وهذا الإقليم يشتهر بغزلان المسك .

عَرَفُوهُ فِي الْوُرُودِ الْحُمْرِ بِالْبِسْتَانِ يَتَدَوُّ      لِحُنَّا الدَّامِي الْحَزِينُ قَدْ قَلْبًا كَيْفَ تَطْلُبُ  
 مِنْ لَهُ قَلْبٌ مُنِيرٌ زَادَ نُورًا كُلَّ عَيْنٍ      لَيْتَ شِعْرِي لِعَيْسَى الْعَيْنَيْنِ طَبًّا كَيْفَ تَطْلُبُ  
 زَاهِدُونَ ، رُؤْيَا الدُّنْيَا كِرَامَاتٌ لَنَا  
 نَظْرَةً مِنَّا ، وَمَا يَغْوِيكَ خَلْبًا كَيْفَ تَطْلُبُ

## فِي الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ

مِنْ تَجَلَّى اللهُ كَانَتْ جَنَّتُهُ      لَا يَرِيحُ الرُّوْحَ إِلَّا رُؤْيَتُهُ  
 نَحْنُ قَوْمٌ قَدْ جَهَلْنَا أَصْلَنَا      نَحْنُ طَيْرٌ وَأَضَعْنَا عُشَّنَا<sup>(١)</sup>  
 عَلَّمْنَا إِنْ كَانَ سَاءَ جَوْهَرًا      كَانَ لِلْعَيْنِ الْحِجَابَ الْأَكْبَرَا  
 وَإِذَا بِالْعِلْمِ حَقَّقْنَا النَّظْرُ      فَالسَّبِيلُ وَالذَّلِيلُ يُعْتَبَرُ  
 وَيُرِيكَ لِلْوَجُودِ قِشْرَهُ      وَيَقُولُ سَأَلَ تَبَيَّنَ سِرَّهُ  
 رَامَ تَمْهِيدَ الطَّرِيقِ دَائِمًا      أَيْقَظَ الشُّوقَ وَكَانَ نَائِمًا  
 وَهَبَ النَّارَ لِقَلْبٍ وَالْوَجِيبَا      وَبِجَوْفِ اللَّيْلِ قَدْ أَهْدَى النَّحِييَا<sup>(٢)</sup>  
 إِنَّهُ مَا فَسَّرَ الدُّنْيَا لَنَا      عَيْنَنَا رَبِّي وَرَبِّي قَلْبَنَا  
 وَإِلَى جَذْبٍ وَشَوْقٍ يَزْفَعُكَ      مِثْلَ جَبْرِيلَ أَرَاهُ يُبْدِعُكَ<sup>(٣)</sup> !  
 هَلْ يُتِيحُ الْعِشْقُ يَوْمًا عَزْلَةً      إِنَّهُ يَخْشَدُ مِنْهُ مُقْلَةً<sup>(٤)</sup> !

كَانَ فِي الْبَدْءِ الرَّفِيقَ وَالطَّرِيقَا

ثُمَّ يَمْضِي بَعْدَ أَنْ يَنْسَى الرَّفِيقَا

عَنْ قَصُورٍ سِزْتُ عَنْ حُورٍ بَعُدْتُ      زُورَقِي رُوحِي وَفِي نُورٍ فَقَدْتُ

(١) الطير : الطيور .

(٢) الوجيب : خفقات القلب . والنحيب : رفع الصوت بالبكاء .

(٣) يبدع : يخلق .

(٤) أي إن العشق لا يتيح للعاشق خلوة مع الحبيب .

والغريقَ كُنْتُ فِي هَذَا الْجَمَالِ  
وَفَقَدْتُ فِي ضَمِيرِ الْكَائِنَاتِ  
إِنَّمَا أوتَاها كَانَتْ رَبابا  
أَسْرَةٌ نَحْنُ بِهَا نَارٌ وَنُورٌ  
وَأَمَامَ الرُّوحِ مِرَاةٌ أُقِيمَتْ  
وَصَبَاحُ الْيَوْمِ مَلَأَ الْعَيْنِ نُورٌ  
وَبِأَسْرَارٍ لَهُ رَبِّي بَدَأَ  
وَأَزْدِيادٌ لَا يَحُورُ أَنْ يُرَى  
رَدَدَ الْعَبْدُ وَمَوْلَاهُ النَّظْرُ

طَلَبْتُ تِلْكَ الْحَيَاةَ حَيْثُ كَانَتْ

أَيْنَا الصَّيْدُ؟ رَمَوْزٌ مَا اسْتَبَانَتْ

لَذَةُ الرُّوْيَةِ كَانَتْ فِي جَنَانِي  
« أَنْتَ نَوْرَ الْعَالَمِينَ قَدْ وَهَبْنَا  
مَا رَأَى الْإِنصَافَ مِنْهَا الْحُرُّ مَرَّةً  
غَالِبٌ فِي الْعَيْشِ مَسْرُورٌ طَرِبُ  
إِنَّ الْاسْتِعْمَارَ مِنْهُ كُلُّ نَكْسٍ  
وَعِلْمُ الْغَرَبِ نَهْبٌ يُذَكَّرُ

وَمِنَ الْعِشْقِ جَرُوتٌ فِي لِسَانِي<sup>(٥)</sup>  
فإلى دُنْيَا الثَّرَى هَلَّا نَظَرْتَا  
غَيْرَ شوكٍ لَمْ يَجِدْ فِي كُلِّ زَهْرَةٍ  
وَاللَّيَالِي عَدَّهَا مَنْ قَدْ غَلِبَ!  
يَا لَه لَيْلًا يُرِيدُ حَجَبَ شَمْسٍ  
وَبِلا حَيْدَرَ دَيْرٍ خَيْرٍ<sup>(٦)</sup>

(١) الرباب : من آلات الطرب .

(٢) شابه : مزجه .

(٣) يحور : ينقص .

(٤) الحسر : التعب .

(٥) الجنان : القلب .

(٦) المراد ببيذكر أَنَّ هَذَا النَّهْبَ مَعْرُوفٌ لِلنَّاسِ يَذْكُرُونَهُ جَمِيعاً . وإقبال يشير إلى ما كان مِنْ

أمر عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ ذَلِكَ .

إِنَّمَا الْمَسْكِينُ قَالَ : لَا إِلَهَا فِكْرُهُ نَدَّ وَمِنْهُ الْعَقْلُ تَاهَا<sup>(١)</sup>  
 نَحْنُ فِي الدُّنْيَا نَمُوتُ أَرْبَعًا اذْكُرْنَا مِنْهَا الْمُرَابِي الْأَجْشَعَا<sup>(٢)</sup>  
 أَيْلِيْتُ بِكَ هَذَا الْعَالَمُ  
 مِنْهُ فِي ذَنْبِكَ طِينٌ أَقْتَمُ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

## نداء الجمالِ الأبدِي

مِنْ جَمِيلٍ وَقَبِيحٍ رَيْنَا مَا الْوَجُودُ هَلْ عَرَفْتَ يَا نَجِيبُ ؟  
 كَانَ هَذَا الْخَلْقُ نَشْدَانًا لِعِشْقٍ وَضَجِيحٌ مَا يَكُونُ أَوْ غَبْرُ الْفَنَاءِ لِلْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ  
 أَنْتَ حَيٌّ ؟ حَنَّ شَوْقًا وَاخْلُقِ مَا تَرَاهُ لَا يَوَاتِي فَلْتُحَطِّمْ كَلُّ حُرٍّ كَانَ مَكْرُوبًا حَزِينًا  
 أَعْلَى الْإِبْدَاعِ أَنْتَ غَيْرُ قَادِرٍ ؟  
 خَطَّ نَقْشًا ، إِنَّ هَذَا نَقْشُنَا مِنْ جَمَالِ اللَّهِ أَنْ يُلْفَى النَّصِيبُ<sup>(٤)</sup>  
 وَالظُّهُورُ بِالْجَمَالِ عِنْدَ خَلْقِ<sup>(٥)</sup> بِجَمَالِ عِنْدَنَا يَبْدِي الْأَثَرُ<sup>(٦)</sup>  
 إِنَّهَا خَلَقَتْ وَشَوْقٌ لِلْقَاءِ كَلَّ أَفْقٍ مِثْلَنَا فَلْتَطْرُقِ عَالَمًا مِنْكَ إِلَيْكَ فَلْتَقْدَمُ<sup>(٧)</sup>  
 أَنْ حَوَاهُ عَالَمٌ لِأَخْرِينَا لَسْتُ فِي رَأْيٍ لَدِينَا غَيْرَ كَافِرٍ

(١) نَدَّ : نَفَّرَ وَشَرَّدَ .

(٢) أَي نَمُوتُ أَرْبَعَ مَرَاتٍ . وَفِي الْأَصْلِ أَنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ أَرْبَعَةٌ وَهِيَ الْمُرَابِي ، وَالْوَالِي ، وَشَيْخُ الطَّرِيقَةِ ، وَالشَّيْخُ .

(٣) الْأَقْتَمُ : الَّذِي يَعْלוهُ اللَّوْنُ الْقَاتِمُ .

(٤) يُلْفَى : يَوْجَدُ .

(٥) النَّشْدَانُ : الْطَلْبُ . وَالْخَلْقُ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي بِمَعْنَى النَّاسِ .

(٦) غَبْرٌ : مَضَى .

(٧) يَوَاتِي : يُوَافِقُ .

وعدمت حسنا حتى الأثر من نخيل العيش ما ذقت الثمر  
 من رجال الله؟ كن سيفاً حساماً  
 عالم التقدير فاخلق، والمراماً<sup>(١)</sup>»

\*\*\*

## زنده رود

عالم الألوان عنه ما الخبر هل يعود الماء يجري في النهز؟  
 سرُّ تكرارِ عَنِ الدُّنْيَا غَرِيبٌ وهو في طبع لها أمرٌ عجيبٌ  
 لا تجوز رَجْعَةً تحت السماء لم يَقم قومٌ تلاشوا في الفناء  
 لا يَقومُ الشَّعْبُ مِنْ أعماقِ قَبْرِ ما لَهُ مِنْ بَعْدِ قَبْرِ غَيْرِ صَبْرٍ

## نداء الجمال الأبدى

الحياةُ أهي تَكَرُّارُ النَّفْسِ ؟ أصلها مِنْ قولِ « يا حيُّ » انبجس<sup>(٢)</sup>  
 إِنَّ قُزْبَ الرُّوحِ مِنْ ﴿ إِنِّي قَرِيبٌ ﴾ مِنْ حياةِ الحُلْدِ للمرءِ النَّصِيبِ<sup>(٣)</sup>  
 يرفعُ التَّوْحِيدُ فرداً بالتَّقاةِ يَجْعَلُ الشَّعْبَ أحاديثَ الرُّوَاةِ<sup>(٤)</sup>

(١) السيف الحسام : القاطع .

(٢) انبجس الماء : تفجر .

(٣) قال جل وعلا في سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [ البقرة : ١٨٦ ] والله قريب  
 علماً وإجابةً لتعالیه عن القرب مكاناً . قيل : إن أعرابياً سأله ﷺ : أقرب ربنا فتناجيه  
 أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية . والإيمان والعمل الصالح شرط في قبول الدعاء .

(٤) التقاة : التقوى . وأردنا بجعل الشعب أحاديث الرواة أن هذا الشعب مشهورٌ عند الناس  
 رفيع القدر .

وَعَنِ الشُّبْلِيِّ سَمِعْتُ أَوْ أَبِي ذَرٍّ      طغرلٌ كَانَ لِشُعْبٍ ثُمَّ سُنَجَرٌ<sup>(١)</sup>  
 بِالتَّجْلِيِّ كَانَ لِلْمَرْءِ الثُّبَاتِ      إِنَّهُ لِلْفَزْدِ وَالشُّعْبِ الْحَيَاةُ  
 وَلَقَدْ نَالَا بِتَوْحِيدِ كَمَالَا      حَقَّقَا هَذَا جَلَالًا ذَا جَمَالَا  
 وَهَمَا سَلْمَانُ فِي الْفَقْرِ التَّقِيَّ      وَسَلِيمَانُ لَهُ الْمُلْكُ الْعَلِيِّ<sup>(٢)</sup>

ويرى الواحد هذا ، ذاك واحد

جالسُن هذا وذاك فلتعاضد

= ويتقسم التوحيد أقساماً عدة : أولها التوحيد الإيماني الذي يمكن أن يسمى التوحيد الامتثالي والتقليدي والتعبدي ، وهو توحيد العوام والمقلدين ، والثاني التوحيد الاستدلالي والعقلي ، وهو توحيدٌ علميٌ تحقيقيٌ . وهذا توحيد علماء الكلام والحكمة الإلهية . وثالثها توحيدُ الواصلين من الصُوفية ، وهو توحيدٌ حاليٌّ وكشفيٌّ . وعندهم أنَّ حال التوحيد وصفٌ لازم لذات الموحِّد ، وللتوحيد نورٌ يكشف الظلمة عن الصُوفي ، وبذلك يشاهد الجمال الإلهي ، ويفضي به الأمر إلى أن يعدَّ التوحيد صفةً له ، ويصبح أشبه شيءٍ بالقطرة التي تسقط من ذلك التوحيد في بحر .

(١) في الأصل بايزيد والشبلي وأبو ذر . وبايزيد هو بايزيد البسطامي من أهل القرن الثالث الهجري ، من كبار الصوفية ، وأول من نسبت إليه الشطحات . والشبلي صوفي بغدادي ، يقال : إنه أول من صعد المنبر لينشر في الناس مبادئ التصوف ، وكان يعظم الشرع ، ومات عام ٣٣٤هـ . وأبو ذر صحابيٌّ جليلٌ مشهور بالزهد والورع ، وأحد الأركان الأربعة عند الشيعة . طغرل بك : أول سلاطين السلاجقة ، وقد اتسع في الفتوح ، واستولى على بغداد ، وذكر اسمه في الخطبة ، وتزوج ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وكانت وفاته عام ٤٥٥هـ . وسنجر : آخر عظيم من سلاطين السلاجقة ، وفي عهده أغار الأتراك على مملكته ووقع مع زوجه في أسرهم وتوفي عام ٥٥٢هـ .

(٢) سلمان الفارسي أعلى صحابة الرسول ﷺ قدراً ، وله شهرةٌ مستفيضة بالعلم ، والزهد ، والورع ، وهو مذكورٌ في الشعر الفارسي خصوصاً على أنه المثل الأعلى للمسلم التقى الذي رفعته تقواه إلى منزلةٍ ما بعدها من منزلة . أما سليمان فهو سليمان بن داود عليه السلام ، وكان عظيم الحكمة ، وسخر الله الرياح له يصرفها بأمره ، وله بساطُ الريح يطير به ، كما كان له من الجنِّ جنودٌ وملكٌ عظيم .

انت يا مَنْ « لا إله » قُلْتَ مَرَّةً      أَيُّ شَيْءٍ أَلْفُ عَيْنٍ خَلْفَ نَظْرَةٍ ؟  
 ولأهلِ الحقِّ دَعْوَى وَحَدَّثَتْ      وَلَهُمْ قَلْبٌ وَدَوْرٌ أَبَعَدَتْ  
 تُضْبِحُ الذَّرَّةُ شَمْساً بِالنَّظَرِ      نَظْرَةٌ كُنْ ، وَالإِلَهُ مَا اسْتَتَرَ !  
 نَظْرَةٌ بِاللَّهِ كَيْفَ تَزْدَرِيهَا      وَالتَّجَلَّى كَانَ لِلتَّوْحِيدِ فِيهَا

وَإِذَا التَّوْحِيدُ شَعْباً أَسْكُرَا

فَمَكَانُ الشَّعْبِ فِي أَعْلَى الذَّرَى (١)

إِنَّ رُوحَ الشَّعْبِ بَيْنَ النَّاسِ كَانَتْ      لِللُّحُلُولِ قَطُّ جَسَماً مَا أَرَادَتْ  
 بِاجْتِمَاعِ الْقَوْمِ لِلرُّوحِ الْبَقَاءِ      وَالشَّتَاتُ فِيهِ لِلرُّوحِ الْفَنَاءُ (٢)  
 نَظْرَةٌ شَرَّدَ بِهَا نَوْمَ اللَّحُودِ      عِشْ طَوِيلاً دَعَاكَ مِنْ هَذَا الشُّرُودِ (٣)  
 وَخِدَّةُ الْأَفْكَارِ وَالْأَعْمَالِ حَقَّقْ  
 خَاتَمَ الْمُلْكِ إِلَيْهِ الْيَوْمَ فَاسْبِقْ

### زندہ رود

مَنْ أَنَا مَنْ أَنْتَ أَيْنَ الْعَالَمُ      طَالَ بُعْدُ بَيْنِنَا ! لَا أَعْلَمُ  
 قُلْ لِمَاذَا كُنْتَ فِي أَسْرِ الْقَدَرِ      لَا تَمُوتُ وَأَمُوتُ مَا الْخَبْرُ ؟

### نداء الجمالِ الأبدِي

أَنْتَ فِي دُنْيَا الْحُدُودِ الْأَرْبَعِ      كُلُّ مَنْ فِيهَا يَلَاقِي مَضْرَعَةَ  
 إِنْ تَرِدْ عَيْشاً فَتِلْكَ الذَّاتُ أَسْبَقُ      بَعْضُهَا فِي بَعْضِهَا الدُّنْيَا لِتَغْرُقَ (٤)  
 مَنْ أَنَا مِنْ بَعْدُ تَدْرِي بَلْ وَأَنْتَا      كَيْفَ فِي دُنْيَاكَ عِشْتَ ثُمَّ مَتَّأ

(١) الذرى : جمع ذروة ، وهي أعلى الشيء .

(٢) الشتات : التفريق .

(٣) أردنا بالشُرود هنا ما أراد إقبال بعدم المركزية ، أي : الخروج على الجماعة .

(٤) أسبق هنا بمعنى أفضل ، وقبل كل شيء .

## زندہ رود

أَعْذِرِ الْجَاهِلَ بِالْجَهْلِ اغْتَدَزَ      وَالنُّقَابَ اذْفَعُهُ عَن وَجْهِ الْقَدَزِ  
ثَوْرَةٌ لِلرُّوسِ وَالْأَلْمَانِ كَانَتْ      خَفَقَةُ الْأَرْوَاحِ فِي الْإِسْلَامِ بَانَتْ  
دَبَّرَ الشَّرْقُ وَهَذَا الْعَرْبُ دَبَّرَ      قُلْ أَجْنَبِي مَا الَّذِي كَانَ الْمُقَدَّرُ

## ظهور تجلی الجلال

بَعْتَةٌ دُنْيَا لِدَاتِي مَا رَأَيْتَ      إِنَّ أَرْضِي وَسَمَايِي قَدْ شَهِدَتْ  
غَرِقَتْ دُنْيَايَ فِي نَوْرِ الشَّفَقِ      وَعَلَيْهَا الْأَخْمَرُ الْقَانِي أَنْطَبَقَ  
بِالتَّجَلِّي مَا جَ عُنُقُ مُهْجَتِي      كَالْكَلِيمِ بِالتَّجَلِّي نَشُوتِي (١)  
نُورُهُ أَبَدِي الْخَفِيِّ لِلْعِيَانِ      مِنْهُ قَدْ أَضْبَحْتُ مَسْلُوبَ اللِّسَانِ

مِنْ ضَمِيرِ عَالَمٍ لِلْكَيْفِ وَالْكَمِ  
أَطْرَبَ السَّمْعَ مَشْبُوبُ النَّعْمِ  
« إِنْسَ شَرْقًا لَا تَكُنْ مِنْ سِخْرِ غَرْبِ كَالْأَسِيرِ  
فَالْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ مَا هُمَا غَيْرَ النَّقِيرِ (٢)  
عِنْدَ شَيْطَانٍ قُمرتَ وَفَقَدْتَ خَاتَمًا (٣)  
وَلدى جَبْرِيلَ رَهْنٌ أَعَسَرَ الْأَمْرَ الْعَسِيرُ !  
الْحَيَاةُ زَانَتِ الْجَمْعَ وَصَانَتْ ذَاتَهَا  
أَنْتَ فِي الرِّكْبِ وَحِيدًا كُنْ وَوَاكَبْ فِي الْمَسِيرِ (٤)

- (١) الكليم : موسى عليه السلام .  
(٢) النقير : النكتة في ظهر النواة ، وهي مضرب المثل في الحقارة . يقال لا يملك شروى نقير ، أي : مثل نقير ، بمعنى : لا يملك شيئاً .  
(٣) قَمَرَ : غلبَ في القَمَارِ .  
(٤) الرِّكْبُ : أصحاب الإبل في السفر ، والمراد هنا : القافلة . وواكب : سائر ، وركب =



فُقَّتْ شَمْساً فِي ضِيَاءِ تَغْمُرُ الْآفَاقَ نُوراً  
 عِشْ وَكُلَّ ذَرَّةٍ فِي الْكُونِ فَاغْمِزْهَا بِنُورِ  
 كَهَشِيمِ حَمَلْتَهُ بِالْجَنَاحَيْنِ الصَّبَا  
 انْقَضَتْ أَيَّامُ خُسْرُو ، دَالَ عَصْرٌ لِلْجَهِيرِ<sup>(١)</sup>  
 ضَيْقُ كَاسٍ فِي يَدَيْكَ كَانَ لِلْحَانَاتِ عَاراً  
 ازْتَشَفَ كَاسَ الْحُمِيَا وَلِتُكُنْ ذَاتَ الْخَرِيرِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

= مع الراكبين .

(١) خسرو : هو خسرو برويز الذي أوفد النبي ﷺ إليه رسولاً في العام السادس للهجرة يحمل كتاباً فيه الدعوة إلى الإسلام . ولكن خسرو غضب ، ومزق الكتاب ، فمزق الله ملكه ، وسلط عليه ولده شيرويه الذي قتله . وقد تطاولت الحروب بينه وبين الروم ، ويعدُّ آخر عظيم من ملوك الساسانيين .

ودال الزمان : انقلب من حالٍ إلى حال . والجهير : الخليق بالخير والمعروف . وقد أردنا به الملك دارا ، وذلك لأنه حين قدم إلى مصر عام ٥١٧ قبل الميلاد ؛ أظهر لرجال الدين من المصريين كلَّ آيات التسامح والتبجيل ، وأمر بترميم المعابد ، وعرف كيف يجذب قلوب المصريين إليه حتى عدوه من فراعينهم . وقد أصلح نظم الري . وجلب الكتب من إيران لتزويد المكتبات في مصر بها ، وبسط رعايته على العلوم ، وعلم الطب خاصة .

(٢) الحميا : الخمر . وإقبال في هذا من كلامه نزعاً صوفيةً جليةً ؛ لأن الخمر في شعر الصوفية رمزٌ إلى نشوة العشق الإلهي .

القسم الثامن

كلمة

إلى الجيل الجديد



وفي الأخير أن الدكتور محمد إقبال يتمنى للإسلام جيلاً جديداً ، شبابه طاهر نقي ، وضربه موجع قوي ، إذا كانت الحرب فهو في صولته كأسد الشرى ، وإن كان الصلح فهو في وداعته كغزال الحمى ، يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل ، هذا مع الأعداء وذلك مع الأولياء ، إذا تكلم كان رقيقاً رقيقاً ، وإذا جد في الطلب كان شديداً حفيماً ، وكان في حالتي الحرب والصلح عفيفاً نزيهاً ، أماله قليلة ، ومقاصده جليلة ، غني القلب في الفقر ، فقير الجسم والبيت في الغنى ، غيور في العسر ، رؤوف كريم عند اليسر ، يظماً إن أبدى له الماء منة ، ويموت جوعاً إن رأى في الرزق ذلة ، إذا كان بين الأصدقاء كان حريراً في النعومة ، وإن كان بين الأعداء كان حديداً في الصلابة ، كان طلاً وندى ، تتفتح به الأزهار وترف به الأشجار ، وكان طوفاناً تصطرع به الأمواج وترتعد له البحار ، إذا عارض في سيره صخوراً وجبالاً كان شلالاً ، وإن مر في طريقه بحدائق كان ماء سلسالاً ، يجمع بين جلال إيمان الصديق ، وقوة علي ، وفقر أبي ذر ، وصدق سلمان ، يقينه بين أوهام العصر كمصباح الراهب في ظلمات الصحراء ، يعرف في محيطه بحكمته وفراسته ، وبأذان السحر ، الشهادة في سبيل الله أحب إليه من الحكومات والغنائم ، يقتنص النجوم ، ويصطاد الأسود ، ويباري الملائكة ، ويتحدى الكفر والباطل أينما كان ، يرفع قيمته ويزيد في سعره ، حتى لا يستطيع أن يشتريه غير ربه ، شغلته مآربه الجليلة ، وحياة الجد والجهاد عن زينة الجسم والتأنق في اللباس ، شعر بإنسانيته ، فترفع عن تقليد الطاووس في لونه ، والعنديل في حسن صوته<sup>(١)</sup> .

إِنَّ تَمَيُّقَ الْكَلَامِ غَيْرُ مُجْدٍ فَالْفَوْادُ مَا احتَوَاهُ لَيْسَ يُبْدِي

(١) مقتبس من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، ص ٧٣ - ٧٤ .  
 طبع دار ابن كثير بدمشق .

قلتُ قولاً ما عليه من حجاب ما تبقي منه يُنبؤ عن كتاب !  
 بالكلام كل معنى لي تعقد ويزيد اللبس من صوت تردّد  
 نظرتي منها افهمن ما استعز<sup>(١)</sup>

أو أنيني وصداه في السحر

دزسك الأول أم لقتت ونسيم الأم هذا عطرك  
 ونسيم بُرُعماً قد فتحت دولة للخلد منها نلتها  
 فعززت ، وبحسن صورك يا بُني أنت خذ عني النظر  
 علمتك « لا إله » قلتها واحترق من « لا إله » في الشرز  
 ليكون الجسم كالمسك الفتيق<sup>(٢)</sup> « لا إله » قل ومن روح عميق  
 شعله في القش والأطواد صارت<sup>(٣)</sup> إنها شمساً وبدراً قد أدارت  
 بل هما في كف مضراب حسام<sup>(٤)</sup> يالها حرفين ليسا في الكلام

ناؤها نضراً ميين عش بها

إنها ضرب أفذ من ضربها

مؤمن داب له عقد الطاق مؤمن داب له عقد الطاق  
 ويفلس شعبه والدين باعا ويفلس شعبه والدين باعا  
 في صلاة البقاء والفناء في صلاة البقاء والفناء  
 إن نورا ما تبقي في صلاته إن نورا ما تبقي في صلاته  
 كل من يعبد في الدنيا الحطاما كل من يعبد في الدنيا الحطاما

(١) استعر : اشتعل .

(٢) المسك الفتيق : المخلوط بشيء أدخل عليه ؛ لتسطع رائحته .

(٣) كاه في الفارسية بمعنى قش ، وكوه بمعنى جبل . وقد أراد الشاعر أن يتلاعب بهذين اللفظين .

(٤) المضراب : الكثير الضرب . والحسام : السيف .

(٥) يقول : إن لا إله هي البقاء والفناء في صلاته ، كما أنها دلالة في دعائه .

ما انتشى ما ذاق شيئاً من حُبوز      وكتابُ الدينِ في جَوْفِ القُبُوزِ<sup>(١)</sup>  
 ويقولُ ما يظنُّ اليَوْمَ حقا      عن نَبِيِّن تَلَقَّى ما تَلَقَّى  
 من بلادِ الفُرسِ هذا ، ذاكَ هِندي      « حَكْمُ حَجِّ وَجِهَادِ لَيْسَ عِنْدِي »<sup>(٢)</sup>  
 إِنَّ حَجَّاً وَجِهَاداً وَاجِبَانِ      لصلَاةٍ أَوْ لَصَوْمٍ كَالجَنَانِ<sup>(٣)</sup>  
 إِنَّ رَوْحاً فِي الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ      إِنْ نَأَتْ فَالشَّعْبُ مَخْتَلُ النُّظَامِ  
 لَيْسَ لِلقُرْآنِ فِي القَلْبِ الأَثَرِ      فِيهِمَا الأَمَالُ خَابَتْ لِلنَّبَشْرِ<sup>(٤)</sup> !

مسلّمٌ عن ذاتِهِ تلكَ انْفَرَدُ

قد طغى الماءُ فيا خضرُ المَدَدِ<sup>(٥)</sup> !

سَجْدَةٌ ، والأَرْضُ مِنْهَا زُلْزَلَتْ      وأرادتْ ، فالشُّمُوسُ أُجْرِيَتْ  
 والصُّخُورُ إِنْ دَرَّتْ عَنْهَا الحَبْرُ      فهي في الجَوِّ دُخَانٌ وانْتَشَرُ<sup>(٦)</sup>  
 ذاكَ عَضْرٌ كان فيه خفضُ هام      دَبَّ ضَعْفُ الشَّيْخِ مِنْهُ فِي الحُطَامِ<sup>(٧)</sup>  
 « ربي الأعلى » أَكَانَتْ عِنْدَنَا !      ذَنْبُهُ هَذَاكَ أَوْ ذَنْبُ لَنَا ؟  
 في سبيلِ كُنَّا قد أسرعَا      له النَّاقَةُ جَافَتْ مَهْيَعَا<sup>(٨)</sup>

صاحبُ القرآنِ ما ذاقَ الطَّلَبُ !

العَجَبُ ثُمَّ العَجَبُ ثُمَّ العَجَبُ

إِنْ بِفَضْلِ اللهِ فَاضَرَ عِلْمُكَ      فسيأتي للزَّمانِ عَيْرُكَ

(١) الحبور : البهجة .

(٢) ما بين قوسين كلام هذين الرجلين .

(٣) الجنان : القلب ، وفي الأصل : الروح .

(٤) أي أن أمثال هذين الرجلين الذين لم يذكر إقبال اسماً لهما .

(٥) انفراد : تنحى ، واعتزل . وهو يستنجد الخضر بعد أن طغى الماء وخيف الغرق .

والخضر هو الذي دل الإسكندر على ماء الحياة وقد أسلفنا الإشارة إلى خبره .

(٦) أي إن عرفت الصخور خبر تلك السجدة .

(٧) الهام : جمع هامة وهي الرأس .

(٨) جافت : أبعدت . والمهيح : الطريق الواسع .

لم يَخَفْ عقلٌ وَقَلْبٌ لَمْ يَذُبْ  
 كُلُّ عِلْمٍ كُلُّ فَنٍّ كُلُّ دِينٍ  
 آسِيَا أَرْضُ الشُّمُوسِ الْمُشْرِقَاتِ  
 لَا جَدِيدَ جَدًّا لِلْقَلْبِ الْغَرِيرِ  
 وَحَوَاهَا ذَلِكَ الدَّيْرُ الْقَدِيمِ  
 صَيِّدُ شَيْخٍ أَوْ لِسُلْطَانٍ مَلِكٍ  
 عَقْلُهَا وَالِدَيْنُ بَلْ حَتَّى الشَّرَفِ  
 فَعَلَى أَفْكَارِهَا كُنْتُ الْمَغْيِرَا

فَاضَ قَلْبِي بِالِدِّمَا مِنْ فَرْطِ جَهْدِي  
 ثُمَّ دُنِيَاهَا أَنَا غَيَّرْتُ وَخُدِي

وَيَطْبَعُ الْعَضْرُ قُلْتُ لَفْظَتَيْنِ  
 لَفْظَةٌ تَلْتَفُّ أُخْرَى تَلْسَعُ  
 لَفْظَةٌ كَانَتْ بِمِقْيَاسِ الْفِرْنَجِ  
 أَصْلُ هَذِي الذِّكْرُ تِلْكَ بِنْتُ فِكْرٍ  
 إِنِّي نَهَرٌ وَمِنْ تَبَعٍ لِأَصْلِي  
 طَبَعُ عَصْرِي ذَاكَ لَمَّا أَنْ تَغْيِرُ

- (١) الغرير : من لا تجربة له . والشعير مضرب المثل في رخص القيمة . يقول : إنه لا يظفر منها إلا بالريح والشعير ، فكأنه لم يظفر منها بشيء .
- (٢) رام : فارق المكان .
- (٣) يشبه إحدى هاتين اللفظتين بالأفعى التي تلتف ، والأخرى بعقربٍ تلسع ، وهو يشير بذلك من طرفٍ خفي إلى كتابٍ له بالإنجليزية بعنوان «إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام» كما يريد بجمع العقول والقلوب في شراكه : إقناعها ، وجذبها .
- (٤) الصنج : معزف ذو أوتار .
- (٥) أي : لتكن وارثاً للذكر والفكر .
- (٦) يريد بهذا المنيع هذين البحرين اللذين أسلف الإشارة إليهما .

غَيَّرَ الْأَصْدَاءَ صَوْتٌ لِي تَحَرَّزَ

ظَمِيءَ الْفَتْيَانُ مَا فِي الْكُوبِ قَطْرَةٌ  
عَقَلُهُمْ نَوْزٌ ، بِرُوحِ لَيْلِ حَسْرَةٍ  
شَكُّهُمْ يَرْزُبُو وَيَجْتَاحُ الْيَقِينَا  
مَا رَأَوْا شَيْئاً ، وَكَانُوا الْبَائِسِينَا  
يُنْكِرُونَ الذَّاتَ ! إِيْمَانٌ بِيغْيِرُ !  
رَفَعُوا مِنْ تُزْبِهِمْ بُنْيَانَ دَيْرٍ <sup>(١)</sup>  
لَيْسَ يَدْرِي الْقَضَدَ مِنْهُ الْمَكْتَبُ  
أَنْ تَنَاسَى مَا بِقَلْبٍ يُجْذِبُ  
وَمِنْ الْأَرْوَاحِ يَمْحُو نُوْزَ فَطْرِهِ  
عُضْنُهُ مَا كَانَ فِيهِ قَطُّ زَهْرَةٍ  
وَطَبَاعَ الْبَطِّ يَهْدِي لِابْنِ صَفْرِ  
وَعَلَى وَقْدٍ إِذَا لَمْ يَعْتَمِدْ  
بِهِ شَرْحُ الْمَقَامِ كَانَ غَايَةً  
وَبِنَارِ الْحَسَنِ طَوْعاً فَاخْتَرَقَ  
عَنْ لَجِينِ لَكَ صُفْرٌ يَنْفَرِقُ <sup>(٢)</sup>  
بَادِيءَ بِالْحَسَنِ يُنْهَى بِالْحَضْرُورِ

آخِرُ الْعِلْمِ أَيْقَى فِي الشُّعُورِ !

كَمْ كِتَابٍ فِيهِ أَعْشَيْتُ الْبَصَرَ  
خَيْرُ عِلْمٍ مَا عَرَفْتُ بِالنَّظَرِ <sup>(٤)</sup>  
إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ صَبُّ خَمْرَةٍ  
يَا لَهَا مِنْ بَعْدِ رَشْفِ سَكْرَةٍ !  
تُطْفِئُ الْمَصْبَاحَ أَنْفَاسٌ لِفَجْرِ  
وَرْدَةُ الْبِسْتَانِ مِنْهَا كَأْسُ خَمْرِ <sup>(٥)</sup>  
لَا تُطِلُّ فِي الْقَوْلِ وَاقْنَعُ بِالْغِرَازِ  
حَوْلَ ذَاتِي كُنْ كَفْرِ جَارٍ مَدَازٍ <sup>(٦)</sup>  
مَنْكُرُ اللَّهِ لَدَى شَيْخٍ كَفَرَ  
مَنْكُرُ الذَّاتِ لَدَيَّ مِنْهُ شَرٌّ <sup>(٧)</sup>

(١) التراب : التراب . والبنيان : الجدار .

(٢) الوقد : النار . والواردات : ما يرد على القلب من خواطر .

(٣) اللجين : الفضة . والصفير : النحاس الأصفر . انفرق عنه : انفصل .

(٤) أعشاه : جعله أعشى ، أي لا يرى ليلاً .

(٥) يقول : إن نسيم الفجر يطفئ نور المصباح ، كما يفتح البرعم ، فيصبح زهرة ينسكب فيها الندى ، فكانها كأس خمر .

(٦) الغرار : القليل من النوم . والفرجار : آلة ذات ساقين ترسم الدوائر .

(٧) أي : أن منكر الذات أشد كفراً ، وأكثر شرّاً من منكر الله .



منكرُ الله بإنكارِ عَجُولٍ      وعلى الإخلاصِ شَدَّدَ قَبْضَتَكَ  
 وعلَى الإخلاصِ شَدَّدَ قَبْضَتَكَ      ارضَ عَن عَذْلِ القوي لا تَبْتَعُدْ  
 ارضَ عَن عَذْلِ القوي لا تَبْتَعُدْ      يَضْعُبُ الحُكْمُ؟ حذارِ لا تَوَوَّلْ  
 يَضْعُبُ الحُكْمُ؟ حذارِ لا تَوَوَّلْ      يحفظُ الأرواحِ ذِكْرُ نُفْسٍ فِكْرُ  
 يحفظُ الأرواحِ ذِكْرُ نُفْسٍ فِكْرُ      كُلُّ حِكْمٍ في انخفاضِ وارتفاعِ  
 كُلُّ حِكْمٍ في انخفاضِ وارتفاعِ      لَذَّةٌ لِلسَّيْرِ غاياتُ السَّفَرِ  
 لَذَّةٌ لِلسَّيْرِ غاياتُ السَّفَرِ      ويدورُ البَذْرُ يحظى بالمَقامِ  
 ويدورُ البَذْرُ يحظى بالمَقامِ      أن تَطِيرَ ، للحياةِ متعةً  
 أن تَطِيرَ ، للحياةِ متعةً

الغُرَابُ رزقُه في جَوْفِ قَبْرِ

عِنْدَ شَمْسِ رزقُ شاهين ، وَبَدْرِ

إِنَّ سِرَّ الدِّينِ أَكْلٌ لِلحَلالِ      وهو صِدْقٌ وَالتَّمَلُّي لِلجمالِ (٥)  
 كُنْ قوياً وابغِ بالدِّينِ اليقينا      واربطِ القَلْبَ بِرَبِّ العالَمينا (٦)  
 بعض سر الدين مما ليس يظهر      يابنيَّ اسمعِ حَدِيثِي عَن مُظَفَّرِ (٧)

(١) جنب شميته رهبة السلطان : أي أبعد طبعه عن الخوف من السلطان .

(٢) عول عليه : اعتمد عليه .

(٣) يقال في الفارسية : خاط عينه بكذا : أي حدَّق فيه ، ولم يبعد عنه نظره . وفي الأصل : إن كانت لك نظرة على العش .

(٤) المقام : هو المرحلة في الطريق الذي يسلكه الصُّوفي . وينبغي أن يمر بسبعة مقامات هي : التوبة ، والورع ، والزهد ، والفقر ، والصبر ، والتوكل ، والرضا . ويريد إقبال بالمقام هنا مطلق المنزلة العالية . أما المقام بضم الميم فبمعنى الإقامة .

(٥) التملُّي : التمتع .

(٦) في الأصل : كُنْ صلباً كالماس وأبعِدْ عن نفسك الوسواس .

(٧) مُظَفَّرٌ : من سلاطين كجرات ، وهو ابن السلطان محمود الذي يسميه مسلمو الهند : بيكره .

وهو في أعماله فزُد فريد  
فرساً كان يُعزُّ كالولَد  
أذهمُّ من خيرِ أفراسِ العَرَب  
ولدى المؤمنِ عزٌّ أو نفْس  
أيُّ وصفٍ؟ إنَّه خَيْرُ الجياد  
في الحُرُوبِ مُشْبِهٌ لَمَحِ البَصَرِ  
عَدُوُّهُ مَوْزٌ وفَوْزٌ يَوْمَ حَشَرِ  
أشبهَ الإنسانَ فاعتلَّ الجَواد  
أحضَرَ البيطارُ دَنًّا من شراب  
غَضِبَ العاهلُ قالَ لا أريد

في عُلُوِّ لِلْمَقَامِ بايزيد  
من حروبٍ خاضَ أَمسى في كَبَدٍ<sup>(١)</sup>  
ونجيبٌ وكريمٌ في النَّسبِ<sup>(٢)</sup>  
الكتابُ والحُسامُ والفَرَسِ<sup>(٣)</sup>  
مرَّ ريحاً بالغديرِ والنَّجادِ!<sup>(٤)</sup>  
أو كريحٍ زَلْزَلَتْ طَوْدَ الحَجَزِ  
يَسْحَقُ الحافرُ مِنْهُ كُلَّ صَخْرِ  
ذاتِ يومٍ ، قيلَ أضناه الكُبادِ<sup>(٥)</sup>  
وسقاه فانثى داءُ العَذابِ<sup>(٦)</sup>  
ذا الجوادِ ، فالتقى مِنِّي بعيد

نِلْتَ مِنْ رَبِّكَ قَلْباً مُنِخْتَهُ

مَسْلَمٌ هَذَا تَأْمَلُ طَاعَتَهُ

إنما الدِّينُ احتراقٌ في الطَّلَبِ  
وبلسونِ عزٍّ ووزدٍ أو يعطُر  
إن رأيتَ الشَّابَّ هذا قَدْ فَقَدَ  
وتزيدُ حُرْقَةً كانتِ بِصَدْرِي  
وأَتوبُ مِنْ زَمَانِي الحاضِرِ

وهو عَشِقٌ نُمَّ يتلوهُ الأدبُ  
أدبٌ إن غابَ كانَ شرًّا إضِرَّ<sup>(٧)</sup>  
فنهاري ضاعَ في لَيْلِ الأَبَدِ  
فَلأَيامِ النَّبِيِّ كانَ ذُكْرِي  
لأغيبَ في الزَّمانِ الغابِرِ

(١) في كبد : في تعب .

(٢) الأدهم : الأسود . وقد يكون هذا السواد شديداً أو هيناً .

(٣) عز : صار عزيزاً ، ونفس : صار نفيساً . والمراد بالكتاب : القرآن الكريم .

(٤) الغدير : النهر . والنجاد : جمع نجد ، هو ما ارتفع من الأرض .

(٥) اعتلَّ : مرض . والكباد : داء الكبد .

(٦) البيطار : طبيب الخيل . دَنُّ الشراب : جَرَّةُ الخمر . انتفى : طرد .

(٧) الإصر : الذنب .

يَسْتُرُ الْمَرْأَةَ زَوْجٌ أَوْ تُرَابٌ      وَالرِّجَالُ حِذْرَهُمْ كَانَ الصَّحَابُ<sup>(١)</sup>  
تَنْطِقُ الْعَوْرَاءُ؟ ذَا كُلِّ الْخَطَا      كَافِرٌ أَوْ مُؤْمِنٌ رَبِّي بَرَأ<sup>(٢)</sup>  
أَنْتَ إِنْسَانٌ؟ أَحَاكَ فَاخْتَرِمُ      لَيْسَ مِنَّا غَيْرَ هَذَا مَنْ عَلِمَ<sup>(٣)</sup>  
تَرْبِطُ النَّاسَ جَمِيعاً عُزُوةٌ      مِنْكَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ خُطُوةٌ؟  
وَلِعَبْدِ الْعِشْقِ مِنْ رَبِّ طَرِيقٌ      وَعَلَى الْكَافِرِ وَالْبَرِّ الشَّفِيقِ<sup>(٤)</sup>  
ضَمَّنَ الدِّينَ وَكَفَرَا قَلْبَكَ      وَإِذَا مَا الدِّينُ فَرَّ وَيَلْكَ!

لَيْسَ شَذَا الْقَلْبُ إِلَّا سَجْنُ طِينِ

إِنَّ فِيهِ كُلَّ أَفْتٍ كَالْوَضِيِّنَ<sup>(٥)</sup>

إِنْ رَأَسْتَ الْقَوْمَ أَوْ صِرْتَ الْغَنِيًّا      فَعَلَى الْفَقْرِ اخْرِصَنَّ يَا بُنَيَّا<sup>(٦)</sup>  
إِنَّهُ فِي الرُّوحِ مِنْكَ يَتَّقِدُ      عَنْ أَبِي خَمْرًا وَرِثْتَ بَلْ وَجَدَ<sup>(٧)</sup>  
لَا تَوْمَلْ غَيْرَ قَلْبِ ذِي أَلَمٍ      ادْعُ رَبًّا وَأَنْسَ كُلَّ مَنْ حَكَمَ

(١) يقول : إنَّ المرأة يسترها أن تتزوج أو تموت . كما يستر الرجل أن يأخذ حذره من أصدقاء السوء .

(٢) العوراء : الكلمة القبيحة . وبرأ : خلق .

(٣) أي لا يعد إنساناً منّا من تناسى وجوب احترام أخيه في الإنسانية .

(٤) البرُّ : من يطيع الله .

(٥) الوضيين : ما انطوى وانثنى .

(٦) الفقر من مقامات الصّوفية . وهو ليس فقدان الغنى ليس إلا ، بل فقدان الميل إليه والرغبة فيه ، فينبغي للصّوفي أن يكون خالي اليد والقلب جميعاً ، وعلى هذا المعنى لا يتعارض الفقر مع جاه بعض الصّوفية ، ورفعة قدرهم ، وقد يكون لهم قدرٌ من المال ، ولكن الله يخفي حقيقتهم عن أهل الظاهر . قيل : إنَّ الفقير هو الذي لا يملك ولا يملك ، والذي استصفى نفسه في فقره تقريباً . كما قالوا : إن الفقر لباس المرسلين ، وزينة الصالحين ، وتاج المتقين ، وغنيمة العارفين ، ورغبة المريرين ، ويؤثر عن الصوفية قولهم « الفقر فخري » .

(٧) يشبه الفقر بالخمرة المعتقدة . والخمر في مصطلح الصّوفية نشوة العشق الإلهي .

كَمْ حَصِيفٍ وَهُوَ بِالْحَقِّ الْبَصِيرِ      غَمْرَتُهُ نِعْمَةٌ فَهُوَ الضَّرِيرُ (١)  
 فِيهَا تَلُكُ الْقُلُوبُ أَضْلَدَتْ      ودعاء العبدِ عنها أبعَدَتْ (٢)  
 فِي الْبِلَادِ جُلْتُ أَعْوَاماً طَوَالاً      لَغْنِي مَا رَأَيْتُ الدَّمَاعَ سَالاً (٣)

أَهْلَ فَقْرٍ مِنْ فَدَيْتُ ، طَبْتُ نَفْسَا  
 وَيَلُ مَنْ بِالنُّعْمَةِ الرَّحْمَنَ يَنْسَى

أَتَرَوْمُ الذُّوقَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ      وَتُرِيدُ الشُّوقَ فِيهِمْ وَالْيَقِينَ  
 إِنَّ لِلْقُرْآنِ عِلْمًا لَيْسَ يُغْرَفُ      وَالذَّنَابُ إِنَّهُمْ أَهْلُ التَّصَوُّفِ !  
 الصَّيَاحُ وَالْعَجِيجُ فِي الْخَوَانِقِ      أَيَنْ حَمِيرٌ لِحُسْنِ اللَّهِ عَاشِقُ (٤)  
 قَلَدَ الْإِفْرَنْجَ مَنَا الْمَسْلَمُونَ      مِنْ سَرَابٍ كَوَثْرٌ مَا يَطْلُبُونَ  
 وَيَسِرُّ دِينَنَا مَا عِلْمُهُمْ ؟      أَهْلُ حِقْدٍ وَعِدَاءٍ كُلُّهُمْ  
 كُلُّ خَيْرٍ لِلْخَوَاصِّ كَالْحَرَامِ      مَا رَأَيْتُ الصَّدَقَ إِلَّا فِي الْعَوَامِ  
 التَّقِيَّ مِنْ غَوِيٍّ مِيَّزَنُ      مَعَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْفَضْلِ اجْلِسُنُ

إِنَّمَا الشُّرُّ تَقَالِيداً أَلْفُ

سَطْوَةُ الشَّاهِينِ طَارَ ، تَخْتَلَفُ

رَجُلُ اللَّهِ يَلُوحُ مِثْلَ بَرْقِ      حَطْباً يَجْعَلُ مِنْ غَرْبٍ وَشَرْقِ  
 نَحْنُ كُنَّا فِي ظِلَامِ الْكَائِنَاتِ      وَهُوَ ذُو حِذْقٍ يَحُلُّ الْمُغْضَلَاتِ  
 وَالْكَلِيمُ وَالْمَسِيحُ وَالْخَلِيلُ      وَالنَّبِيُّ وَالْكِتَابُ ، جَبْرَيْلُ (٥)  
 إِنَّ أَهْلَ الْقَلْبِ شَمْسُ الْكَائِنَاتِ      نَوْرُهَا وَهَبُ هَاتِيكَ الْحَيَاةِ

(١) الحصيف : العاقل .

(٢) أصلدت الأرض : صلبت .

(٣) يريد ليقول : إنه لم يصادف غنياً رقيق القلب يحزن لمصاب غيره .

(٤) الخوانق : جمع خانقاه ، وهو المبنى الذي يقيم فيه الصوفية معتزلين متعبدين .  
 والخميرُ : مدمن الخمر . والمراد به الصوفي .

(٥) الكليم : موسى ، والخليل : إبراهيم عليهما السلام . والكتاب هنا : هو القرآن الكريم .

وهي في نورٍ لها قَدْ أَحْرَقَتْكَا  
نَحْنُ بِالنَّارِ لَهَا أَصْحَابُ قَلْبِ  
أَنْتَ فِي عَضْرِ وَلَكِنْ أَيُّ عَضْرِ  
قَطُّ رُوحِ سِعْرِ جِسْمِ أَنْقَصَا  
إِنَّ هَذَا مَا دَرَى مَعْنَى الطَّلَبِ  
ذَوْقُ ذَاكَ الْبَحْثِ لَا تَتْرُكُهُ مَدَّةُ  
صُخْبَةِ النَّذْبِ اللَّيْبِ إِنْ عَدَمْتَا  
اجْعَلِ الرُّومِيَّ رَفِيقاً فِي الطَّرِيقِ  
يَعْرِفُ الرُّومِيَّ لُبَاباً مِنْ قُشُورِ  
فَسَّرُوهُ مَا دَرَى الْمَعْنَى أَحَدُ  
رَقِصَ جِسْمٍ مِنْهُ كَانُوا يَفْهَمُونَا  
رَقِصَةُ الْجِسْمِ تَدُورُ بِالتُّرَابِ  
رَقِصَةُ الْأَرْوَاحِ عِلْمٌ وَهِيَ حُكْمٌ

ذَلِكَ السُّلْطَانَ بَعْدُ عَلِمْتَكَا  
أَوْ فَمَا مَاءٌ وَطِينٌ مِثْلَ شَوْبِ! (١)  
غَارِقٌ فِي الْجِسْمِ ، رَوْحاً لَيْسَ يَدْرِي  
رَجُلٌ لِلَّهِ لَذَاتٍ نَكَّصَا (٢)  
وَهُوَ بِالْعَيْنِ يَرَى يَا لِلْعَجَبِ  
وَلْتَوَاجِهْ فِي الْحَيَاةِ أَلْفَ عُقْدَةٍ  
مَا لَدَيَّْ عَنْ أَبِي هَلَّا أَخَذْنَا  
يُنْعِمُ اللَّهُ بِمَشْبُوبِ الْخُفُوقِ (٣)  
فِي الطَّرِيقِ كَانَ مَوْضُوعَ الْمَسِيرِ  
إِنَّ مَعْنَاهُ غَزَالٌ قَدْ شَرِذُ  
رَقِصَةَ الرُّوحِ تَنَاسَى الْغَافِلُونَا  
رَقِصَةُ الرُّوحِ لَهَا نَجْمُ السَّحَابِ  
وَالْيَنَا الْأَرْضُ وَالْخَضْرَا تَضَمُّ (٤)

(١) الشوب : القطعة من العجين . والمراد بها جسم الإنسان .

(٢) نكص : رجع . وفي الأصل : أنه اختفى في ذاته .

(٣) المشبوب : المشتعل .

(٤) الحكم : الحكمة . والخضراء : السماء . وإقبال هنا يحدثنا عن رقص الدراويش

المولوية أتباع جلال الدين الرومي المعروف بمولوي المتوفى بقونية في الأناضول عام ٦٨٣ هـ . فقد كان مريدو جلال الدين الرومي يستعينون بالرقص والموسيقا على تحريك نشوة التصوف في قلوبهم . وجزت عادتهم بالاجتماع فيما يعرف بسماع خانه أي بيت السماع ، وهو بهو متراحب الأرجاء في صدره مجلس للعازفين . ويدخل الدراويش بالطويل من قلائسهم والضيق من سراويلهم . وبعد التسليم على شيخهم تبدأ رقصتهم ، فيرفعون أذرعهم ، وقد اتجهت راحة يدهم اليمنى إلى أعلى وراحة اليسرى إلى أسفل . ويدورون بعض أطراف أصابعهم دوران الرحي حول قطبها بينما ينفخ في الناي وتقرع الطبول ثم يصلون على النبي ﷺ واضعين أيديهم على صدورهم ، ويحنون قامتهم ، وبذلك تنتهي رقصتهم .

جذبةٌ لِلْفَرْدِ مِنْهَا كَالْكَلِيمِ      كُلُّ شَعْبٍ كَانَ ذَا الْمَلِكِ الْعَظِيمِ <sup>(١)</sup>  
 إِنَّ هَذَا لَيْسَ سَهْلًا فِي التَّعَلُّمِ      وَلِغَيْرِ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ التَّضَرُّمُ <sup>(٢)</sup>  
 وَنَارِ الْحَرَصِ إِنْ قَلْبًا حَرَقْنَا      فَبُرُوحٍ مِنْكَ قَطُّ مَا رَقَصْنَا <sup>(٣)</sup>  
 يُضْعِفُ الْإِيمَانَ فِي الْإِنْسَانِ هَمٌّ      يَا بَنِيَّ إِنَّهُ نِصْفُ الْهَرَمِ <sup>(٤)</sup>  
 هَلْ عَلِمْتَ ؟ الْحَرَصُ فَقَرُّ حَاضِرٌ      إِنَّ مَوْلَايَ لَذَاتِ قَاهِرٍ <sup>(٥)</sup>  
 بِكَ يَا « جَاوِيدُ » لِي رُوحٌ تَطِيبُ      آه لَوْ وَافَاكَ مِنْ هَذَا نَصِيبٌ <sup>(٦)</sup>

لَشَرَحْتُ دِينَ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ  
 وَأَطَلْتُ لَكَ فِي قَبْرِي دَعَائِي

\*\*\*

= وفي رأي الصوفية أنَّ السماع وما يفضي إليه من رقص يرقق القلوب وينتزعهم من عالم  
 الثرى ليسمو بها إلى العالم العلوي ، كما يشير الطرب في النفوس والخوف عند  
 التائبين ، ويضرم نار المشتاقين . وفي الرقص يقول جلال الدين الرومي ( إذا ما ذكرت  
 البحر وأمواجه ، فما ذكرت شيئين متباينين ، لأن أمواج البحر هي البحر نفسه ، ولكن  
 في ارتفاع وانخفاض . والموجُ بعد هبوطه إلى البحر يعود . وما مثل البحر إلا مثل بني  
 الإنسان ، لأنهم أمواج الله . وإلى الله مرجعهم بعد موتهم ) .  
 ومن مستطرف ما يروى عن السلطان سليم العثماني ، أنه مرَّ بإقليم قونية وعاصمته  
 قونية ، فتعجب من كثرة الأعاصير ، وقال له أحد رجاله متبسّطاً : إنَّ ما في تلك  
 الأرض من تلال وأحجار وغبار يرقص رقصة المولوية .

- (١) الكليم : هو موسى عليه السلام .
- (٢) التضرمُ : اشتعال النار .
- (٣) حرق : بمعنى أحرق .
- (٤) قال النبي ﷺ : « الهمُّ نصف الهمم » .
- (٥) يشير إقبال إلى قوله ﷺ : « إياكم والطمع فإنه الفقر الحاضر » وفي الأصل : إني عبدٌ  
 لمن قهر ذاته .
- (٦) جاويد : اسم ابن إقبال الذي أهدى إليه المنظومة ، والمراد بهذا في قوله هو رقص  
 الروح . ووافاك : بمعنى أذاك .



الدِّيَّوَانُ الثَّامِنُ

وَالآنَ... مَاذَا نَصْنَعُ؟  
يَا أُمَّ الشَّرْقِ ..

بس چه باید کرد ای اقوام مشرق

نقله إلى العربية  
الأستاذ أحمد الغازي

صاغه بالعربية شعراً  
الشيخ صاوي سلمان المصري





أصدر محمد إقبال هذا الديوان في آخر حياته باللغة الفارسيّة ، صاغه على وزنٍ مثنويٍّ مولانا جلال الدّين الرّومي من بحر الرّمْل المسدس ، وهذا مجموعة قيمة جميلة من شعره ، نشرها في سنة ١٩٣٦ م ، بعد أن استولت إيطاليا على الحبشة ، مع أن مثنويات هذا الكتاب موجزة تحتوي على صحائف محدودة ، ولكنها مليئة بأموّاج فكره العالي ، تتلاطم فيها بحار فلسفته البديعة التي اقتبسها من الكتاب والسنة وآثار العلماء .

وإذا أمعنا النظر في هذا الديوان تبين لنا أنّ مزاياه تفوق جميع دواوينه الأخرى لما يحويه من حالة ممتازة من النشاط والجذب والإخلاص والعشق ، تقطر من كلّ بيتٍ فيه قطراتُ الشّوق والحبِّ والاضطراب الرّوحي ، كما نلاحظ ذلك في مثنوي مولانا جلال الدّين الرّومي .

قد تناول محمد إقبال في هذا الديوان بعض الموضوعات الهامّة ، نشير إليها باختصار :

الموضوع الأول من هذه الموضوعات الهامّة التي عني بها شاعرنا العظيم في دواوينه بعامة وفي هذا الديوان بخاصّة ، موضوع نهضة الشّرق ، يقول : إنّ الشّرق هو الذي هدى الغرب إلى التّقدم والرّقيّ العالي ، وإلّا فلقد كان أهل الغرب متخلّفين عنّا في كلّ ناحية من نواحي المدينة والحضارة ، وحين كانت أوربة غارقة في لَجّةٍ من التعصّب ، والجهل ، والحروب الدّاخلية الدّائمة : كنا - أهل الشّرق - في أرقى منزلةٍ من منازل العلم ، والفنّ ، والمدنيّة ، والحضارة . وهذا هو الشّرق الذي هدّب الأمم الغربيّة بمختلف الفنون ، والعلوم ، والكيمياء ، والطبِّ وغيرها .

والموضوع الثّاني في هذا الديوان هو تطهير الفكر وتجديده ، يقول : « إذا أمكن تطهير الفكر في أمتٍ استطاعت أن تنهض ، وتخطو إلى المجد قدماً ، ولو

أمعناً النظر في سيرة الرسول ﷺ العطرة علمنا أنه بدأ تربية الأمة بتطهير الفكر ، ثم استطاع بعد ذلك أن يقيم بناء التعمير .

فيريد شاعرنا العظيم أن نركز أولاً على إصلاح الفكر ، فبإصلاحه يصلح الإحساس ، وتستقيم العواطف .

وبعد ذلك أجلُّ ما عني به محمد إقبال في هذا الديوان هو موضوع فقر المؤمن ، ويتبادر إلينا في المعنى اللغوي أنه يعني فراغ اليد من الأموال ، ولكن صوت الحقيقة يدوي في كيان الحقيقة كلها ، بأن كل موجود فقير إلى الله ، فقير إلى إدراك ما لا يعرفه ومعرفة ما لا يعلمه ، فقير إلى محبة الأصدقاء ومعاونة العشراء .

وقد اصطلحت الصُّوفية على أن الفقر يعني : إخلاص العمل لله ، وتخصيص الاحتياج إلى الله وحده ، والاستغناء به عمّا سواه ، وقد التبس الأمر على بعض الناس لما بين هذه الصورة من التشابه ، وظنَّ البعض أن فقر الصُّوفية هو بعينه الفقر اللغوي .

ويقول محمد إقبال : إنَّ الفقر قد يعني ترك الدُّنيا ، ولكن ذلك لا يعني الإهمال ، والعزوف ، والرُّهد الغالي ، وإنما يعني تسخير الدنيا أولاً ، ثم العزّة ، والعقّة ، والاستغناء ، كما سخَّرها أجدادنا ، واستفادوا من نعمها ، لكنَّهم لم ينغمسوا في قعرها انغماس الماديين وأهل الهوى .

وليس من شأن المسلم أن تستعبده مادّة الحياة الدنيا وحطامها ؛ لأنه أرفعُ قدرًا ، وأعزُّ مكانًا ، وأنبُلُ هدفًا لأنَّه له خلافةُ الأرض ، فالمؤمنُ الفقير - المؤمن الكامل - هو الذي يُزلزلُ بعزيمته هذه الكرة المسكونة بيَّرها وبحرها ، والفقير التَّيْبِلُ العفيفُ هو احتقار زهو الدُّنيا ، ودواعي الغرور فيها ، وإلى ذلك يُشير محمد إقبال في موضوع فقر المؤمن في هذا الديوان .

وقد كتب محمد إقبال هذا الديوان باللُّغة الفارسيَّة ، فنقله منها الأستاذ  
أحمد غازي إلى العربيَّة نثراً ، فصاغه الشاعر الإسلاميُّ المعروف الشيخ صاوي  
شعلان المصري شعراً بالعربيَّة ، وهو الآن بين أيديكم .

\*\*\*

## التمهيد

ذكر الشاعر في هذه الأبيات حبه لمرشده الرُّوحِي مولانا جلال الدين الرُّومِي ، مجدّد التصوُّف وإمام الرُّوحانية في عصره ، ثمَّ يُلقِي الضوء على المكانة العالية التي يحتلُّها الرُّومِي في نظر الشاعر .

ويركِّزُ في الأبيات الأخيرة على أهمية الصراع بين الحق والباطل ، وكلُّ ذلك على لسان مرشده وأستاذه الرُّومِي ، يقول :

كن مثل إبراهيم في الإيمان  
الشَّعبُ بيني عزّه بكفاحه  
ولقد يُظنُّ به الجنون إذا بدا  
ما فوق أرضِ الله شعبٌ ظافرٌ  
إلّا إذا عقل الجنون وإنَّما  
المؤمنُ المقدامُ يمضي قاهراً  
وإذا ارتضى للذلِّ أمسى كافراً  
من كان يدري فزق ما ينتابه  
وبأنَّ الاستعمارَ أسرعُ بالردى  
وبأنَّ للأحرارِ بعد فنائهم  
وهناك يَرْفَعُ سهمه نحو العلا  
شُمُّ الجبالِ تذوب في خطواتها  
كم ثورةٍ للمجدِّ طيُّ ثيابه  
لا يتركُ الدُّنيا تعيشُ وشعبه  
العِطرُ مستترٌ ويسري ظاهراً  
لا تخدعَنَّك في الرُّبى ألوانها

حتى تزيلَ معابدَ الأوثان  
ليشيد مجدداً ثابتَ الأركان  
يوماً تمردهُ على الطغيان  
يبلوغِ آمالٍ ونيلِ أمانِي  
يحلُّو جنونَ الحبِّ للأوطان  
بالعزِّ والإقدامِ دونِ توانِي  
باللهِ أو بكرامةِ الأوطان  
في دهرِه من عزّةٍ وهوان  
للناسِ في الدُّنيا من الحدّثان  
عمرأً على الأيامِ ليس بفانِي  
ويقيمُ رايته على كيوان  
حتى تفوقَ الماءَ في الجريان  
كالتَّارِ تَقْذِفُ ثورةَ البركان  
فيها قتيلاً الذلِّ والجُزْمان  
كن أنتِ مثلَ العِطرِ في البُستان  
كن خالياً فيها من الألوانِ

قد ضلَّ أهلُ القصرِ عن أرواحهم  
 فالدينَ إرضاءَ الدَّخيلِ وليس  
 فقلوبهم وجيوبهم وعقولهم  
 لا تصحبن في شربِ كاساتِ المنى  
 لا ترجُ في نُدْماءِ غديرِ نشوةٍ  
 لا تُفشِ للأنعامِ أسرارَ الأسو  
 مَنْ شابَ في نسجِ الحَصِيرِ فما له  
 والدُّبُّ يأكلُ يوسفاً خيرٌ له  
 مرشدُ الأرواحِ مولانا جلال<sup>(١)</sup>  
 مشرقُ الإيمانِ قدسيُّ الضَّميرِ  
 قد علا منزلةَ الشمسِ مقاماً  
 قلبه في مُحْكَمِ الذِّكْرِ صفا  
 لو رأى مرآته بين الملا  
 رأيه المرسلُ بالعِشْقِ نَدَاهُ  
 قالَ شيئاً سَمِعْتَهُ فطرتي  
 أممُ الدُّنيا صَحَّتْ بعد سبات  
 وأفاقِ الشَّرْقِ من نومِ طويل  
 جَذْبَةٌ وافته مِنْ دَفْعِ القَدْرِ  
 أممُ الغربِ تبينتَ مداها  
 كُنْ كإبراهيمَ سُكْرًا وهَيَامَا  
 اجْعَلِ الأصنامَ في الأرضِ هَشِيمَا  
 مِنْ ضميرِ الشَّعبِ من إيمانه  
 هي نورٌ يجتليه المُضْلِحونَا

لم يهتدوا إلا إلى الأبدان  
 مرضاةَ الإلهِ الواحدِ الدَّيَّانِ  
 للأجنبيِّ تقزُّبٌ وتفانٍ  
 إلا وفيأ صادقِ السَّوْجَدَانِ  
 ولو أن فيهم قيصَرَ الرُّومانِ  
 دِ ولا حديثَ الصَّفْرِ للغُزبانِ  
 يوماً إلى نسجِ الحريرِ يَدَانِ  
 من أن يُباعَ لتاجرِ العُبدانِ  
 شيخنا الروميُّ علويُّ المِشالِ  
 وهو في قافلةِ العِشْقِ أميرِ  
 ضارباً في مسبحِ النُّجْمِ خِيَامَا  
 بهدئِ القرآنِ أضْحَى مُضْحِفا  
 جام (جمشيد) تواری خَجَلَا  
 أشعلَ الثورةَ في قلبي صداه  
 وَتَجَلَّى نغماً في فكرتي  
 واستبانَت كُنْهَ أسرارِ الحياةِ  
 يكسرُ الأغلالَ والقَيْدَ الثقيلِ  
 فأزاحَ العِيبَ عنه وانتصر  
 ما اكتوى مثلكَ حيٌّ بلظاها  
 لتصيرَ النَّارُ برداً وسلاما  
 لا تغادرُ هيكلاً منها قديما  
 تنبتُ الثورةَ في وجدانه  
 قاصرُ العَقْلِ يسميها جنونا

(١) قد سبقت ترجمته .

لَمْ يَقُمْ فِيهِمْ جُنُونٌ ذُو فَنُونٍ  
 مَا لَهُمْ فِي سَاحَةِ الْمَجْدِ مَكَانٌ  
 لَمْ يُجَاهِذْ فَكَأَنَّ لَمْ يُخْلَقِ  
 فَتَوَكَّلْ وَاعْتَزِمِ نَحْوَ الْمُرَادِ  
 حَيْثَمَا هُمْ بِأَمْرٍ حَقَّقَهُ  
 لَا أَرَى الْيَائِسِينَ إِلَّا كَافِرًا  
 فَهُوَ بِالْخَيْرِ وَبِالشَّرِّ بَصِيرٌ  
 تَارِكًا مَا عَمَّرَ الظُّلْمُ خَرَابًا  
 وَالْجِبَالَ الشُّمَّ قَاعًا صَفْصَفًا  
 وَهُوَ لِلْأَجْيَالِ بَعَثٌ وَنُشُورٌ  
 يُرْسَلُ الْإِلَهَامُ وَالْقَوْلَ الرَّصِينِ  
 ثَمَلًا مِنْ خَمْرِهَا فِي حَانَتِي  
 لَمْ تَعُدْ تَحْفَلُ بِالْوَهْمِ الْقَدِيمِ  
 كَالشُّذَا يَسْرِي خَفِيًّا بِأَدْيَا  
 وَمِنَ الْأَلْوَانِ <sup>(١)</sup> طَرًّا خَالِيَا  
 وَبِدُونِ الْكَلِّ لَا تَرْجُو سِوَاهُ  
 أَهْلُ هَذَا الْعَصْرِ عَنْهَا فِي احْتِجَابِ  
 وَلِغَيْرِ اللَّهِ ذَلُّوا صَاغِرِينَ  
 فِيهِمَا حَيْرَةٌ أَهْلِ الْفَلَسَفَةِ  
 لَمْ يَجَاوِزْ فِكْرُهُمْ مَاءَ وَطِينَا  
 وَمَعِينُ الْعِشْقِ مِنْهُمْ فِي نُضُوبِ  
 أَزْرَقًا أَوْ أَحْمَرًا أَوْ أَصْفَرًا  
 مِنْ سَرَاجِ الْقَلْبِ ضَلَّتْ فِي ضَحَاها

إِنَّ قَوْمًا لِلْهُوَى يَسْتَسْلِمُونَ  
 لَنْ يَقِيمُوا نَهْضَةً تَمْحُو الْهُوَانَ  
 كُلُّ مَنْ تَحْتَ الْفَضَاءِ الْأَزْرَقِ  
 ثِقَةُ الْمُؤْمِنِ بِاللَّهِ عَتَادُ  
 شِيمَةُ الْمُؤْمِنِ عِزْمٌ وَثِقَةُ  
 بِهِمَا يَسْتُمُو وَيَمْضِي قَاهِرًا  
 نَظْرَةُ الْمُؤْمِنِ مِصْبَاحٌ مَنِيرٌ  
 عِزْمُهُ الْوَثَابُ لَا يَخْشَى الصَّعَابَا  
 حَوْلَتْ ضَرْبُهُ صُمَّ الصَّفَا  
 يَدْرِكُ الْأَمَالَ بِالْفَقْرِ الْغَيُورِ  
 وَمَضَى عَازِفٌ نَائِي الْعَاشِقِينَ  
 حِينَ أَذْرَكَتَ الْمُنَى فِي صَحْبَتِي  
 حَالٍ فِي نَشُوتِكَ الْعِزْمُ الصَّمِيمِ  
 كُنْ مِنْ الرَّوْضِ قَرِيبًا نَائِيَا  
 بَيْنَ أَلْوَانِ الرَّوَابِي وَاعْيَا  
 كُنْ مَعَ الْكَلِّ عَلَى هَذِي الْإِلَهِ  
 قُوَّةُ الرُّوحِ هِيَ السَّحْرُ الْعُجَابِ  
 فَلَدِيهِمْ حُبٌّ غَيْرِ اللَّهِ دِينِ  
 ذَلِكَ السَّرُّ وَهَذِي الْمَعْرِفَةُ  
 مُنْذُ بَدَأَ الْخَلْقِ فِي مَاضِي السَّنِينَا  
 حُرِمَتْ أَعْيُنُهُمْ نَوْرَ الْقَلُوبِ  
 لَمْ يَرَوْا فِي الْكُونَ إِلَّا مَنْظَرَا  
 وَإِذَا الْأَبْصَارُ لَمْ تُدْرِكْ هُدَاهَا

(١) المذهب .

فَاذْ حَرُّ جَعَلَ الْحَقَّ مُصِيرَهُ  
 مَنْ وَفَى لِه رُوحاً وَدَمًا  
 إِنَّ سِرَّ الْأَسَدِ فِي حِضْنِ الْأَجْمِ  
 لَيْسَ كُلُّ الْخَلْقِ أَهْلًا لِلْعَهْدِ  
 إِنَّ تَعَاطَيْتَ مَعَ الصَّخْبِ الْمُدَامَا  
 هَبْهُ كَسْرَى هَبْهُ أَيْضًا قَيْصِرَا  
 لَوْ غَدَا يَوْسُفْنَا يَوْمًا طَعَامَا  
 فَهُوَ خَيْرٌ مِنْ خَسِيسٍ يَحْتَوِيهِ  
 أَهْلُ دَنِيَانَا تَمَادُوا فِي غُرُورِ  
 بَهْرَتْنِي نَكْتَةً مِنْ شَاعِرِ  
 ذَاتُ مَعْنَى نَوْرُهُ مُؤْتَلِقُ  
 إِنَّهُ الْعَاشِقُ فِي أَهْلِ الْجُحُودِ  
 فَهُوَ يَخْكِ مَسْلَمًا بَاتَ يُعَانِي  
 قُلْ لِأَهْلِ الْحَقِّ مَا يَشْفِي الْقُلُوبِ  
 اقْبَلِ الْهَمَّ وَلَا تَأْكُلْ طَعَامَا  
 إِنْ يَكُنْ عَيْشُكَ مِنْ طَوْلِ الْكَدْزِ  
 الدَّوَاءُ الْمُرُّ لِلْعَقْلِ الْكَبِيرِ  
 خِرْقَةُ الرَّاهِدِ عَبءٌ لِلْفَقِيرِ  
 وَاسْأَلِ الْأَنْسَامَ فِي الرَّوْضِ النَّضِيرِ  
 إِنْ تَكُنْ بَحْرًا قَوِيًّا غَامِرَا  
 أَوْ تَكُنْ طَالًا فَعِشْرَ بَيْنَ الْوَرُودِ  
 أَنْتَ فِي الْحَرْبِ نَشِيدٌ مِنْ دِمَاءِ  
 إِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ أَرْبَابُ الْوَفَاءِ  
 نَذَرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي كُلِّ حِينِ  
 وَتَأْمَلُ قَطْرَةَ الطَّلِّ النَّدِي

لَمْ يَبِغْ يَوْمًا لِمَخْلُوقٍ ضَمِيرَهُ  
 صَانَ عَنْ قَيْدِ سِوَاهِ الْقَدَمَا  
 لَا تَعِيهِ فِي مِرَاعِيهَا النَّعَمُ  
 لَا تَبْخُحُ بِالسَّرِّ إِلَّا لِلْأَسْوَدِ  
 أَبْعِدِ السَّفْلَةَ عَنْ حَقْلِ النَّدَامِي  
 لَنْ تَرَى فِيهِ النَّدِيمَ الْخَيْرَا  
 فِي فَمِ الذُّئْبِ وَأَفْئَاهِ التَّهَامَا  
 وَيَبْخُسُ الْمَالِ يَوْمًا يَشْتَرِيهِ  
 لَمْ يَبَالُوا بِمَقَايِيسِ الْأُمُورِ  
 بَارِعِ الْفِكْرِ نَقِيَّ الْخَاطِرِ  
 كَادَتْ الرُّوحُ بِهِ تَحْتَرِقُ  
 لَمْ تَزِدْ أَسْمَاعَهُمْ غَيْرَ الْجُمُودِ  
 فِي قَرَى الْإِفْرَنْجِ تَرْدِيدَ الْأَذَانِ  
 قُلْ عَنِ الدِّينِ وَأَنْبَاءِ الشُّعُوبِ  
 مَنْ يَدٍ تُطْعِمُكَ الْهَمَّ دَوَامَا  
 فِيهِ مَرُّ الْجُوعِ فَالذُّلُّ أَمْرُ  
 فَاتْرِكِ الْحَلْوَاءَ لِلطِّفْلِ الْغَرِيرِ  
 كُنْ عَفِيفَ الْقَلْبِ وَأَنْعَمَ بِالْيَسِيرِ  
 مَا الَّذِي تَحْمِلُهُ غَيْرَ الْعَبِيرِ  
 فَاجْعَلِ الصَّحْرَاءَ سَيْلًا هَادِرَا  
 وَابْعَثِ الْعِطْرَ سَلَامًا فِي الْوُجُودِ  
 أَنْتَ فِي السَّلْمِ رَسُولٌ لِلْإِحْيَاءِ  
 لَيْسَ سِرُّ الْحَقِّ عَنْهُمْ فِي خَفَاءِ  
 لِيَعْمَ الْخَيْرُ كُلَّ الْعَالَمِينَ  
 مِنْ دَجَى اللَّيْلِ إِلَى فَجْرِ الْعَدِ



حَفِظْتُ فِي الْكُونِ ذَاتَيْتَهَا  
 وَبَنَى عُنُصْرَهَا شَوْقُ الْحَيَاةِ  
 وَمَضَتْ تَجْتَازُ فِي صَنْتِ الْفُضَاءِ  
 جَانِبْتُ أَنْ تَجْعَلَ الْبَحْرَ الْهَدَفَ  
 بَلْ أَقَامْتُ بَيْنَ أَحْضَانِ السَّحْرِ  
 فَتَحَ الْوَرْدُ بِهَا أَجْفَانَهُ  
 هَكَذَا الْمُؤْمِنُ رَمَزُ التَّضْحِيحَاتِ  
 ثُمَّ حَلَّتْ فِي الدُّجَى عُقْدَتَهَا  
 وَاسْتَقَرَّتْ حَيْثُ أَحْيَاهَا الْإِلَهِ  
 خَلْوَةُ الْأَفْلَاكِ فِي جَوْ السَّمَاءِ  
 لَمْ تُرِدْ أَنْ تَتَوَارَى فِي الصَّدَفِ  
 لَمَحَةٌ كَانَتْ حَيَاةً لِلزَّهْرِ  
 وَسَقَى مِنْ عَطْرِهِ أَغْصَانَهُ  
 يَتَفَانَى فِي اقْتِنَاءِ الْبَاقِيَاتِ

\*\*\*

## مَنَاجَاةُ الشَّمْسِ

جَرَتْ فِي حَيَاةِ الشُّعْرَاءِ سَنَةٌ أَدْبِيَّةٌ سَلَكَهَا الْكَثِيرُونَ مِنْهُمْ فِي مَخَاطَبَةِ  
 الشَّمْسِ ، وَلَعَلَّ أَقْرَبَ مِثَالٍ إِلَيْنَا فِي الْجَدِيدِ قَصِيدَةُ أَحْمَدَ شَوْقِي ( قَفِي يَا أُخْتِ  
 يَوْشَعِ خَبْرِينَا ) فَالشُّعْرَاءُ خَاطَبُوا الشَّمْسَ ، وَتَحَدَّثُوا عَنْهَا ، وَتَفَنَّنُوا فِي ذَلِكَ ،  
 وَابْتَدَعُوا ، وَهَذَا نَحْنُ نَرَى إِقْبَالَ يُخَاطَبُهَا قَائِلًا :

يَا مَبْعَثَ الْإِشْرَاقِ وَالثُّورِ الَّذِي  
 فِي كُلِّ مَوْجُودٍ ضَمِيرٌ مُشْرِقٌ  
 مِنْكَ الْحَرَارَةُ لِلْحَيَاةِ وَبِعْثُهَا  
 أَوْدَعْتَ كُلَّ مُحَجَّبٍ شَوْقَ الظُّهُورِ  
 كَيْدِ الْكَلِيمِ أَرَى جَلَالِكَ سَابِحًا  
 يَطْوِي الْمَسِيرَ عَلَى جَدَاوِلِ فِضَّةٍ  
 أَرْسَلْتَ بَدْرَ التَّمِّ بَعْدَكَ فِي الدُّجَى (١)  
 أَهْدَيْتَ لِلْيَاقُوتِ وَمَضَّ بِرَيْقِهِ  
 عَمَّ الْبَرِّيَّةَ مِنْ ضِيَاءِ الْبَارِي  
 مِنْ ضَوْئِكَ الْفِيَاضُ كُلُّ نَهَارٍ  
 وَنَضَالُهَا فِي مَوْجِهَا الْمَوَارِ  
 رَ عَلَى هَدْيٍ مِنْ حِكْمَةِ الْأَقْدَارِ  
 فِي مَوْكِبٍ مُتَجَدِّدِ الْأَسْفَارِ  
 فِي زُورِقٍ مِنْ عَسْجِدٍ وَنُضَارِ  
 يَجْلُو مُحَاسِنَهُ عَلَى الْأَنْظَارِ  
 وَلَعَلَّ بَيْنَ بَوَاطِنِ الْأَحْجَارِ

(١) الدُّجَى : سَوَادُ اللَّيْلِ وَظَلْمَتُهُ .

وسكبت في قلب الشقيق حرارة  
 بعروقه تجري الدماء وقد غدا  
 والنزجس<sup>(١)</sup> الغض استفاق من الكرى  
 لinal من هذا الشعاع نصيبه  
 مزحى لقد وافى قدومك بالسنا  
 حتى تجلى نخل سينا مائلاً  
 أنت الصباح المرتجى لكتني  
 فهبي لوجداني سراجاً مشرقاً  
 وليس ضوءك في ترابي شعلة  
 وصلي حياتي واجعلي هذا السنأ  
 لأنيل فكر الشرق أوضاح الهدى  
 وأثير ناراً في الصدور جديدة  
 إنني سأسمعهم نشيد المجد من  
 وأحيل خام الطبع وعباً صارخاً  
 وأصوغ للآيام دوراً مقبلاً  
 ليحرروا الأرواح والأفهام من  
 لا يستقي نبض الحياة حرارة  
 ومجال تحرير النفوس أمانة  
 والشعب حين يضل في آماله  
 وتحول فضته النقية بهرجاً  
 ويموت داخل صدره القلب السليم

صَبَغَتْ مَلَاسَهُ بِلَوْنِ النَّارِ  
 يَخْتَالُ بَيْنَ عَرَائِسِ التُّوَارِ  
 وَأَزَاحَ عَنِ جَفْنَيْهِ أَلْفَ سِتَارِ  
 بَيْنَ الْغُصُونِ الْخُضِرِ وَالْأَشْجَارِ  
 وَسَمَا بَطْلَعَةَ وَجْهِكَ اسْتَبْصَارِي  
 فِي كُلِّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَشْجَارِ  
 ظَلُّ الْمَسَاءِ الْغَارِبِ الْمُتَوَارِي  
 يَهْدِي خُطَايَ إِلَى عِلَا وَفَخَارِ  
 تَصْفُو بِهَا نَفْسِي مِنَ الْأَكْدَارِ  
 مِنْ حَوْلِهَا سِتْرًا مِنَ الْأَنْوَارِ  
 كَيْمَا يُبَدِّلَ لَيْلَهُ بِنَهَارِ  
 مَشْبُوبَةً بِعِزَائِمِ الْأَخْرَارِ  
 قَيْثَارَةً أَوْتَارُهَا أَشْعَارِي  
 مَتَحَفُّزًا لِلسَّبْقِ فِي الْمِضْمَارِ  
 غَيْرَ الَّذِي شَهِدَتْ مِنَ الْأَدْوَارِ  
 لَغْوِ الْفِرْنَجِ وَزَيْفِ الْاسْتِعْمَارِ  
 إِلَّا بِذِكْرِ مُقَدَّرِ الْأَقْدَارِ  
 مَوْصُولَةٌ بِنِزَاهَةِ الْأَفْكَارِ  
 عَنْ قَضِيهِ لَمْ يَلْقَ غَيْرَ بَوَارِ<sup>(٢)</sup>  
 مَنْ ذَا يَسْوِي بِهَرْجًا بِنُضَارِ  
 وَيَنْطَوِي فِي ذَلَّةٍ وَصَغَارِ

(١) النرجس : نبت من الرياحين ، وهو من الفصيلة النرجسية ، ومنه أنواع تزرع لجمال زهرها ، وطيب رائحته ، وزهرته تشبه بها العين .

(٢) بوار ، أي : هلاك .

حَتَّى تَرَى الْمُعْوجَّ فِي نَظْرَاتِهِ  
وإذا رأى في الكائنات صرَاعها  
فإذا الحياة هي السَّلامَةُ والسُّكُورُ  
في بَخْرِهِ مَوْجُ الأمانِي راسِبُ  
الخطوة الأولى لِنَهْضَةِ أُمَّةٍ  
لو أمكن التَّطْهيرُ أمكنَ بَعْدَهُ  
يبدو سليماً عالي المقدر  
طَلَبَ الشَّوْطِيَّ حَشِيَّةَ الإِصْصارِ  
نُ وفوزه مِن حَرْبِها بِفِرارِ  
ما فِيهِ مِن لُجٍّ ولا تِيَّارِ  
تَحْرِيرُها بِالْعَزْمِ والإِضْرارِ  
أَنْ يَسْهُلَ التَّعْمِيرُ لالأفكارِ

\*\*\*

## حكمة الكليم - سياسة الأنبياء

استخدم إقبال كثيراً من مصطلحاته الخاصّة ، فوجّه منها سهاماً نافذةً إلى صدر الاستعمار ، وهو هنا في هذه الأبيات يرقى على معراج الفكر إلى تفهّم جلال النبوّة ، ثم يعرض صفات المؤمن الصادق ليشحذ من عزمته وينفخ فيه روح التحرُّر ، ويوقظ في فطرته معاني القوّة ، فما كان يستسلم لطغيان طاغية ، وجبروت جبار ، وإنما تكون خشيته من الله وحده والتجاؤه إليه دون سواه ، فنراه يتخذ من صفات النبيّ أسلحةً للأمم العزلاء لتناضل بها ، وتدوّد عن حياضها ، وتدفع العدوّ عن حماها :

عندما يَضدُعُ النبيُّ بأمرِ الله جَهراً في مَسْمَعِ الأكوانِ  
يتحدّى بوحيه كلَّ حُكْمٍ لأميرٍ في الأرض أو سُلطانِ  
لا يرى قَضْرَهُ سِوَى رَسْمِ دِيرٍ مِن بقايا هياكلِ الأوثانِ  
لا يَسِيغُ المَقامِ في مَوطِنِ السَّدْلِ ولا يَزْتَضِي بِعَيْشِ الهَوانِ  
تَتَدَكَّى بنورِ صحبته النَّفْسُ ويهدي الرَّشادَ للحيرانِ  
يُخْذِثُ الصَّبْجَةَ الرَّهِيبةَ في الأيامِ حتّى تَسِيرَ طَوْعَ الأمانِي  
مُغْلَناً في الوجودِ لا رَبَّ غَيْرَ الله يُخْشِي وَيُزْتَجى كُلُّ آنِ  
كَيْفَ يَرْضَى إِذْلالَ عَبْدٍ لِعَبْدٍ وامتهانَ الإنسانِ للإنسانِ

قطرةً من نَدَاهُ تُشْعِلُ ناراً في عروقِ الكُرومِ والأغصَانِ  
ويُجَلِّي في قبضةٍ من تراتٍ بَغَثَ روحِ اليقينِ والإيمانِ  
حارسُ الفطرةِ التي فَطَرَ اللهُ عليها الأرواحَ في الأبدانِ  
لا يسامي جلالُ حكمته العقلَ ولا عبقريةُ الفَنانِ  
حكمةً في غنى عن الحَشْدِ والجَمْعِ وزهورِ العُروشِ والتَّيجانِ  
مِن جُمُودِ الشِّتَاءِ يحيي ربيعاً باسمِ الرِّوَضِ ناصِرِ الأفنانِ  
وئسألُ الرِّيحَ المُعْتَقِ أشهى من رَحيقِ مُصَنَّفَتِي في الدُّنَانِ<sup>(١)</sup>  
ابتهالاتُ صُبْحِهِ توقظُ الكونَ فيصحو من ليله الوَسنانِ<sup>(٢)</sup>  
وله نظرةٌ من الحقِّ فيها نبأٌ يُغلنُ انقلابَ الزَّمانِ  
ولديه وثيقةُ الأمانِ ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ في مُحكَمِ القرآنِ  
وَخِيهِ يَغْمُرُ الصُّدُورَ الخوالي بقلوبِ جديدةِ الإيمانِ  
دَرسُهُ العِزْمُ والرِّضا المحضُ والتَّسليمُ منه في السَّرِّ والإعلانِ  
كسراجِ يشقُّ قلبَ الدِّياجيرِ<sup>(٣)</sup> باهرَ الضُّوءِ ساطعَ البُرْهَانِ  
قدرةً حارتِ النَّواظِرُ فيها أيُّ سرِّ بها خفي المعاني  
يَضْبَعُ الرُّوحَ في الجُسومِ بلونِ غَيْرِ كَلِّ الرُّسومِ والألوانِ  
حَوَلَتْ كيميأوه الصَّدَفَ البالي عِقْداً من الدَّراري الحِسانِ  
يتولَّى ملءَ الفراغِ بحزمِ يَفْهَرُ المستحيلَ بالإمكانِ  
وينادي العَبْدَ المُصَفَّدَ<sup>(٤)</sup> هَيَّا لا تحاكُ القيودُ للإنسانِ  
فالِى المَخوِ والبلى كُلُّ معبودٍ قديمٍ مَعَ الحُطامِ الفاني  
مَنْ يُحاربُ وسيُفهِه رَبِّي الأعلى يُدمِّرُ قواعِدَ الأوثانِ

- 
- (١) الدُّنَانُ : وهي جِرَارِ الخمرِ .  
(٢) الوَسنانُ : النائم الذي ليس بمستغرق في نومه .  
(٣) الدِّياجيرِ : واحدها الدَّيجور، وهو الظلمة، وصفوا به فقالوا: ليل ديجور، وليلة ديجور .  
(٤) المصَفَّدُ ، أي : المشدود .

إِنَّ أَرَدْتَ الْفَقْرَ الْغَيُورَ فَلَا تَفْقِدْ مَعَ الْعُدْمِ ثَزْوَةَ الْإِيمَانِ  
 فَمِنْ الْحَالِ لَا مِنْ الْجَاهِ وَالْمَالِ دَوَامُ الرِّضَا وَالْأَطْمِئْنَانِ  
 رَأْسُ مَالِ الْأَخْرَارِ صِدْقٌ وَإِخْلَاصٌ وَوَجْدٌ وَحُزْقَةٌ وَتَفَانٍ  
 لَيْسَ فِي الْحَلِيِّ وَالْمَظَاهِرِ وَالثُّؤْبِ الْمَوْشَى وَالْأَصْفَرِ الرَّئِيَانِ  
 لَا تَحَاوُلْ دَرَكَ الْمَعَالِي بِكَأَوْوَسٍ وَخَسِرُوا فِي غَابِرِ الْأَزْمَانِ  
 طُفٌ إِذَا شَتَّتَ حَوْلَ ذَاتِ : حَزْأً لَا تَطُفُ بِالسَّرِيرِ وَالْإِيْوَانِ  
 قَدْ تَبَاعَدَتْ عَنِ مَقَامِكَ حَتَّى صِرْتَ فِي ذِلَّةِ الْأَسِيرِ الْعَانِي  
 لَا تَسِرْ وَاهِنَ الْخُطَى كِبَغَاثِ الطَّيْرِ بَيْنَ الطَّلُولِ وَالْجُذْرَانِ  
 كُنْ نَظِيرَ الشَّاهِيْنَ فِي الْقِمَمِ الشَّمَاءِ لَا فِي مَسَارِبِ الْوُذْيَانِ  
 تَتَحَرَّى الطَّيُورُ عِنْدَ بِنَاءِ الْعُشِّ أَعْلَى الْفُرُوعِ فِي الْبُسْتَانِ  
 لَسْتَ دُونَ الثُّسُورِ بِأَسَأَ فَحَاوُلْ دَارَةَ النَّجْمِ أَوْ ذُرَى كِيْوَانِ  
 مِنْ مِهَادِ الثَّرَى إِلَى التَّشْعَةِ الْأَفْلَاكِ فَوْقَ الزَّمَانِ فَوْقَ الْمَكَانِ  
 غَيْرِ الْعَالَمِ الْقَدِيمِ وَعَمَّرْ فِيهِ دُنْيَا جَدِيدَةَ الْبُنْيَانِ  
 وَالَّذِي يَنْشُدُ الْجِهَادَ فَنَاءً فِي رِضَا الْحَقِّ وَهُوَ مَاضِي الْجِنَانِ  
 هُوَ سِرُّ الْأَقْدَارِ وَهُوَ قَضَاءُ الْحَقِّ فِي الْمُمْكِنَاتِ وَالْإِمْكَانِ  
 فَتَمَثَّلْ نِضَالَ أَسْلَافِكَ الْأَمْجَادِ نَحْوَ الْعُلَى بِغَيْرِ تَوَانِي  
 وَتَدَبَّرْ كَيْفَ اسْتَهَانُوا بِبَذْلِ الرُّوحِ وَالْمَالِ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ  
 أَظْهَرَ الْجَوْهَرَ الْكَرِيمَ مِنَ الْأَصْدَافِ وَاجْعَلْهُ بَادِيًا لِلْعِيَانِ  
 وَتَحَرَّرْ مِنْ هَيْكَلِ الْمَاءِ وَالطِّينِ وَمِنْ ظُلْمَةِ الْهَوَى وَالْهَوَانِ  
 وَاجْعَلِ الْفَطْرَةَ النَّقِيَّةَ نِبْرَاسًا لِعَيْنِكَ بَيْنَ قَاصِي وَدَانِ  
 كُلُّ مَنْ ضَاعَ حَظُّهُ مِنْ جَلَالِ الْحَقِّ بَيْنَ الْجُحُودِ وَالنَّسِيَانِ  
 لَمْ يَنْلُ طَوْلَ عُمْرِهِ مِنْ جَمَالِ الْحَقِّ غَيْرَ الْإِبْعَادِ وَالْحِزْمَانِ  
 مَبْدَأُ الْعِشْقِ وَالصَّبَابَةِ قَهْرٌ وَخُطُوبٌ مُوَصُولَةٌ الْأَشْجَانِ<sup>(١)</sup>

(١) الأشجان : الهموم والأحزان .

وهو من بعدها دلالٌ وتيةٌ بين طيبِ المُنَى وَصَفْوِ الأمانِي  
 ويعودُ المحبُّ بالقُربِ محبوباً وَيَتَسَّى لواعجِ الهِجرانِ<sup>(١)</sup>  
 الوجودُ الأسمى هو المؤمنُ الحرُّ الأبِي الوفيُّ في كلِّ آنٍ  
 وبقايا الوجودِ فيما سِوَاهُ مَظْهَرٌ حائلٌ وظلٌّ فانٍ  
 حينَ يَدْعُو أن لا إلهَ سِوَى الله القديرِ المهيمِ الدِّيَّانِ<sup>(٢)</sup>  
 يُذعنُ الكونُ والمكانُ ولا يُشْرِقُ إلا بفوزِهِ القَمَرانِ

\*\*\*

## حكمة فرعون أو سياسة الطغاة

إنَّ إقبالاً قال في هذه الأبيات والتي قبلها ما يكون في حياة الناس من إقامة العدل بينهم أو من الجور عليهم في الحكم ، وقد استخدم كلمة ( الحكمة ) لهذا العنوان ، ( حكمة الكليم ) ثمَّ ( حكمة فرعون ) ، وهو إنما يُريد بياناً لسياسة الحكم في إطارٍ من مصطلحاته الخاصة قصداً إلى بيان دسائس الاستعمار وتدميره لحياة الإنسان والقضاء على حرّيته ، وهو في هذه الأبيات يقول :

قدمتُ حكمةَ النَّبِيِّ لِلْعِيَانِ      والمكرُ والخداعُ حِكْمَةُ الطُّغَاةِ  
 تبقى على الإنسان جِسْمَ الحيوانِ      وَتَسْلُبُ الروحَ كرامةَ الحياةِ

\*\*\*

حِكْمَتُهَا حَرِيَّةٌ مَارِقَةٌ<sup>(٣)</sup>      تَعِيشُ فِي الدُّنْيَا بِهَا مِنْ غَيْرِ دِينِ  
 وَالتَّفْسُ فِي أوهامها شاردةٌ      لَمْ تَعْرِفِ الشُّوقَ إِلَى عَيْنِ اليقينِ

\*\*\*

- 
- (١) الهِجرانُ : هو الترك أو الإعراض عن شيء .  
 (٢) الدِّيَّانُ : هو اسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ .  
 (٣) مارقة : خارجة عن دينها .

وسائل التهذيب من هذا النظام  
كما يرى السيّد ينفادُ الغلام  
سلاسلُ الأسرى وأغلالُ العبيد  
فلا يرى ولا يعي ولا يُريد

\*\*\*

وذلك البارغ في مهنته  
قد شطرَ الوحدَةَ في أمّته  
يَضْطَنِعُ التَّجْدِيدَ فِي الدِّينِ الْقَوِيمِ  
فماله ندّ سوى عصا الكليم

\*\*\*

متى يفيقُ القومُ من وهنتهم  
قد هدموا بناءً ذاتيتهم  
وَهُمْ لِحُكْمِ الْغَيْرِ زَرْعٌ وَحَصَادٌ  
وغيرهم في أرضهم سادّ وشاد

\*\*\*

كَمْ مِنْ غَرِيرٍ اسْتَطَالَ وَادَّعَى  
قَدْ خَبَرَ الْوُجُودَ وَالدُّنْيَا مَعَا  
حَصَافَةَ الْفِكْرِ وَدِقَّةَ النَّظْرِ  
وما لديه عن وجوده خبر

\*\*\*

أزالَ نَقْشَ الْحَقِّ مِنْ خَاتَمِهِ  
قَدْ وُلِدَ الرَّجَاءُ فِي عَالَمِهِ  
وَكُلُّ خَيْرٍ عَنْ ضَمِيرِهِ اسْتَسْرَ  
لكنه في المهدي ولّى وانْدَثَرَ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

مَا تَصْنَعُ الْأَيَّامُ بِالْقَوْمِ الْأَلَى  
قَدْ أَضْبَحَتْ أرواحهم رهنَ البلى<sup>(٢)</sup>  
لَمْ يُرْزَقُوا حِطًّا مِنَ الْعَزْمِ الْغَيُورِ  
وما سوى أجسامهم لها قبور

\*\*\*

ومزقَ الكبارُ أَسْتَارَ الْحَيَاءِ  
وقلّدَ الشَّبَابُ صُنْعَ الْغَانِيَاتِ<sup>(٣)</sup>

(١) انْدَثَرَ : دثر واطحى وفنى .

(٢) البلى : الفناء ، ومنه بلي الميت أفنته الأرض .

(٣) الغانياتُ : النساء الغنيات بحسنهنّ وجمالهنّ عن الزينة .

كَأَنَّهُمْ بَيْنَ عَوَامِلِ الْفَنَاءِ      يَأْتُونَ مَوْتِي مِنْ بَطُونِ الْأَمَّهَاتِ

\*\*\*

وهذه الحسناءُ تَقْضِي يَوْمَهَا      فِي مَنْظَرٍ عَارٍ وَصَبْغٍ مُسْتَعَارٍ  
سَاعِدُهَا الْفِضْيُ يُبْدِي جِسْمَهَا      بِمَنْظَرِ الْأَسْمَاكِ فِي لُجِّ الْبِحَارِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

جمودُ هذا الشَّعْبِ عَنْ كِفَاحِهِ      يَحْكِي رِمَاداً لَيْسَ تَحْتَهُ شَرَّرَ  
مَسَاؤُهُ رَانَ عَلَى صَبَاحِهِ      بِظَلْمَةٍ فِي لَيْلِهَا زَاغَ الْبَصَرُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

كُلٌّ يَعْيشُ فِي إِطَارِ نَفْسِهِ      وَالْعَيْشُ وَالْمُتَعَّةُ فِي الدُّنْيَا مَنَاهُ  
يَخْشَى الْبَلَى قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِهِ<sup>(٣)</sup>      فَاعْجَبْ لِمَيِّتٍ لَمْ يَزَلْ قَيْدَ الْحَيَاةِ

\*\*\*

وذو الْغِنَى فِي الشَّحِّ يَحْكِي جَلْمَدَا      وَمَالُهُ فِي اللَّهْوِ يُغْرِقُ السَّحَابَ  
حَيَاتُهُ ضَاعَتْ عَلَى الْغِيِّ سُدَى      تَشْغَلُهُ قَشُورُهَا عَنِ الْبُتَابِ

\*\*\*

يَبِينُ دَيْنَهُ لِدُنْيَا غَيْرِهِ      وَفِي رِضَا غَاصِبِهِ يَسْتَشْهَدُ  
وَيَوْمُهُ الْحَاضِرُ كُلُّ عُمْرِهِ      فَلَيْسَ فِي تَارِيخِ دُنْيَاهُ عَدُّ

\*\*\*

وَكَمْ تَرَى فِي الْقَوْمِ حَمَالَ كُتُبٍ      ثَقِيلَةٍ يَعِيَا بِحَمْلِهَا جَمَلُ

(١) لُجُّ الْبِحَارِ ، أَي : عَرْضُهَا .

(٢) زَاغَ الْبَصَرُ ، أَي : مَالَ عَنْ مَسْتَوَى النَّظَرِ حَيْرَةً وَشُخُوصاً ، وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ .

(٣) الرَّمْسُ : هُوَ التُّرَابُ الَّذِي يُحْتَمَى عَلَى الْقَبْرِ .



يدورُ في النَّاسِ كحَمَّالِ الحَطَبِ وَيُزْسَلُ الأَقْوَالِ مِنْ غَيْرِ عَمَلِ

\*\*\*

ولاؤهُ لِلغَيْرِ كُلِّ هَمِّهِ حَتَّى بَنَى الدَّيْرَ بِأحجارِ الحَرَمِ  
ماتَ ولكنَّ ما دَرَى بِمَوْتِهِ قَدْ عاشَ وَهَمًا ثُمَّ وِاراهُ العَدَمِ

\*\*\*

## كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ

( رباعيات )

إنَّ لهذه الكلمة تأثيرها البالغ في حياة الأمم ، فإنَّها للفرد والمجتمع عقيدة  
القوَّة ، وركيز التقدُّم والانطلاق ، وإفراد العبودية للخالق ، ورفضُ كلِّ عبودية  
لما سواه ، فالمؤمن لا يخضع الجبين إلا لله الذي يقول له : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ  
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [ الفاتحة : ٥ ] .

تلك هي كلمة التوحيد التي تُجدِّد الصُّورة الإنسانية في القلب الترابي هيكلًا  
من النور ، تحمل كلمة التوحيد أهوال يوم النُّشور ، يقول محمد إقبال :

في مقام التوحيد يَشْدُو خيالي بصدى الحقِّ مِنْ رِجالِ الحَالِ  
إنَّما تُذركُ القلوبُ هداها بِصَفاءِ الأحوالِ لا الأَقْوَالِ

\*\*\*

حرف ( لا ) مُظهِرٌ لِسِرِّ الجلال وهو لِلجَوْرِ منذرٌ بِالزَّوَالِ  
بَعْدَ نَفْيِ الظُّلامِ وَالظُّلمِ يَبْدُو عِنْدَ ( إِلاَّ ) إِشراقُ صُبْحِ الجَمالِ

\*\*\*

لا وَإِلاَّ فَتَحْ لِبابِ الحَيَاةِ واحْتسابُ الوُجودِ والكائِناتِ

بِهِمَا تَقَهَّرُ الْمَهَانَةَ وَالضَّيْمَ وَتَمْضِي الْأُمُورَ فِي الْحَادِثَاتِ

\*\*\*

حِينَ يَتَقَوَّى مَعَ الرَّجَاءِ الْيَقِينُ فَجَوَابُ الْأَقْدَارِ كُنْ فَيَكُونُ  
يَذْفَعُ النَّفْيَ لِلتَّحَرُّكِ وَالْجِدَّ وَعِنْدَ الْإِبْتَاتِ يَأْتِي السُّكُونُ

\*\*\*

كُلُّ شَعْبٍ يَرْوُمُ عِرَّ حَمَاهُ فَبِنُورِ التَّوْحِيدِ لَا بِسِوَاهِ  
لَيْسَ يَحْمِي بِلَادَهُ غَيْرُ حَرِّ سَيْفِهِ ( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ )

\*\*\*

حَرْفٌ ( لَا ) آيَةٌ لِبَدْءِ الْمَسِيرِ فِي طَرِيقِ الْجِهَادِ نَحْوَ الْمَصِيرِ  
إِنَّهَا أَوْلُ الْمَنَازِلِ طَرًّا لِرِجَالِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ

\*\*\*

كُلُّ شَعْبٍ يَمْضِي بِخَطْوِ سَدِيدٍ لِلْعُلَى فِي حَرَارَةِ التَّوْحِيدِ  
يَبْتَنِي مِنْ تُرَابِهِ صَرَخَ دُنْيَاهُ وَيَحْيَا فِيهَا بِخَلْقِ جَدِيدِ

\*\*\*

قَوْلُ ( لَا ) ثَوْرَةٌ أَمَامَ الطُّغَاةِ هُوَ عِنْدَ الْأَحْرَارِ مَعْنَى الْحَيَاةِ  
ثَوْرَةٌ مَنْ نَضَّالَهَا يُضْنَعُ الْمَجْدُ وَيَبْدُو تَجَدُّدُ الْكَائِنَاتِ

\*\*\*

لَيْسَ فِي ذَلِكَ الْجَنُونَِ الْعَرِيقِ كَلُّ ثَوْبٍ يَفُوزُ بِالتَّمْزِيقِ  
لَا أَرَى فِي الْغُثَاءِ <sup>(١)</sup> وَالْقَشِّ <sup>(٢)</sup> يَوْمًا حَطْبًا صَالِحًا لِهَذَا الْحَرِيقِ

\*\*\*

(١) الْغُثَاءُ : هُوَ مَا يَحْمِلُ السَّبِيلَ مِنْ رَغْوَةٍ وَمِنْ فُتَاتِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

(٢) الْقَشُّ : هُوَ مَا يَتَخَلَّفُ مِنَ الْقَمَحِ وَالرِّزِّ وَنَحْوِهِمَا بَعْدَ اسْتِخْرَاجِ حَبِّهِ .

لو يَمَسُّ التَّوْحِيدُ فِكْرًا نَقِيًّا      وضميراً حَيًّا وَقَلْبًا أَيْبَا  
لأَحَالِ الخُمُولِ وَالضَّغْفَ إِيْمَانًا      وعزماً يَغْزُو نُجُومَ الثُّرَيَّا (١)

\*\*\*

حرف ( لا ) صَيْحَةً تَشِيرُ العَيْدَ      ليزولوا مَا لَمْ يُزِيلُوا القِيُودَا  
ويقيموا فِي الدَّهْرِ عَصْرًا مَجِيدَا      لَا تَرَى فِيهِ سَيِّدًا وَمَسُودَا

\*\*\*

لو سَرَتْ شَعْلَةُ الهَدَى فِي الصُّدُورِ      وتمشَّى وميضُهَا فِي الضَّمِيرِ  
لأَقَامَ الأَحْرَارُ لِلهَؤُولِ يَوْمًا      يتحدَّى أهْوَالِ يَوْمِ النُّشُورِ

\*\*\*

صوتٌ ( لَا ) مِنْ دَوِيِّ صوتِ الرُّعُودِ      ليس شَكْوَى نَائٍ وَلَا لِحْنَ عُوْدٍ  
لَوْ يَضِيقُ الفِضَاءُ يَوْمًا عَلَى الحَرِّ      تَخْطَى بِهِ نِطَاقَ الوُجُودِ

\*\*\*

يا لها مِنْ ذِكْرِي لِأَمْجَادِ العَرَبِ      آيَةٌ كُبْرَى وَتَارِيخٌ عَجَبٌ  
حَرَّرُوا أَقْدَارَهُمْ بِالْعَزَمَاتِ      فِي جَمِيعِ الكَوْنِ مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ  
فازدَهَى مِنْ نورِهِمْ كُلُّ مَكَانٍ      وَتَغْنَى بِاسْمِهِمْ كُلُّ زَمَانٍ  
لَمْ تَدُمْ عُرَى (٢) وَلَمْ تَبْقَ مَنَاةُ (٣)      هَوَاتِ الأَصْنَامِ تَحْتَ الضَّرْبَاتِ  
حِينَ نَادَى المُؤْمِنُونَ ( اللهُ أَكْبَرُ )      زَالَ كِسْرِي وَأَنْطَوَتْ أَعْلَامُ قَيْصَرَ  
أَيُّ سَيْلٍ هَادِرٍ عَمَّ الصَّحَارَى      أَيُّ طُوفَانٍ جَرَى يَغْزُو البَحَارَ

(١) الثُّرَيَّا : مجموعة من النجوم .

(٢) عُرَى : صنم كان لبني كنانة وقريش ، أو شجرة من السَّمُرِ كانت لغطفان بنوا عليها بيتاً

وجعلوا يعبدونها ، فبعث إليها رسولُ الله ﷺ خالد بن الوليد فهدم البيتَ وأحرق السَّمْرَةَ .

(٣) أحد أصنام العرب في الجاهلية .

وَحَدُوا الْخَلْقَ بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ  
 مِنْ تَحْدَى نَارِهَا أَضْحَى هَبَاءً  
 وَأَزَالُوا كُلَّ جِبَارٍ عِنْدَ  
 كُلِّ هَذَا كَانَ مِنْ أَنْوَارِ ( لا )  
 فِي سَهَابِ الْأَرْضِ أَوْ دَيْرٍ قَدِيمٍ  
 وَأَقَامُوهَا عَلَى النَّهْجِ الرَّشِيدِ  
 فَجَرَى الْحَقُّ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ  
 كُلُّ نَوْرِ يُجْتَلَى مِنْ شَمْسِهِمْ  
 فَهُوَ مِنْ شَاطِئِ نَهْرِ الْعَرَبِ  
 نَقَشَ غَيْرَ ( اللهُ ) ، عَلَامِ الْغُيُوبِ  
 ثَوْرَةَ الْإِيمَانِ فِي كُلِّ الشُّعُوبِ  
 حَطَّمُوا الْقَيْدَ بَعِزْمٍ مِنْ حَدِيدٍ  
 وَاسْتَرَدُّوا أَمْنَ حَرِّيَّاتِهِمْ

هؤلاء العرب الصيّد الأباه  
 شعلة من نورها الحق أضاء  
 قد أبادوا كل شيطان مريد  
 وسَمَوْا فوق الدّراري منزلا  
 بينما العالم كالعظم الرّميم  
 أنشؤوا دنياه في خلق جديد  
 أيقظوا الدنيا بتكبير الأذان  
 كل خير يرتجى من غرسهم  
 كل روض بالمعالي مخصب  
 قد أزال العزب من لوح القلوب  
 فأقاموا في شمال وجنوب  
 فترى في أمم الغزب العبيد  
 أعلنوا الحرب على ساداتهم

\*\*\*

باسم ( لا ) حتى أثاروا الأمما  
 وأطاحوا بمعايير السنن  
 لم يروموا نحو ( إلا ) منزلا  
 بعد حين يفهرون العاصفه  
 نحو ( إلا ) يذفعون الموكبا  
 كل نفي دون إثبات عدم  
 هاتفاً يدعوا لتوحيد القدير  
 دون ( إلا ) فهي للصدق دليل  
 يخشداً الألفاظ حشد المكتبات  
 أسمع النمروذ توحيد الجليل

صار شعب الرّوس ناراً ودما  
 فاستهانوا بتقاليد الرّمن  
 وقف الرّكب بهم في باب ( لا )  
 ستراهم كجيش زاحفه  
 وترى للقوم أمراً عجبا  
 لا و ( إلا ) بهما العدل انتظم  
 إن للفطرة في كل ضمير  
 لم بين في حرف ( لا ) صدق الخليل  
 يا مقيماً في زوايا الحجرات  
 إن تكن في مثل نيران الخليل

لا يساوي قَدْرُهُ وَزْنَ الْهَبَاءِ (١)  
 ثُمَّ لَا يَقْبَلُ عَنْهُ حَوْلًا  
 أَمْرُهُ النَّافِذُ فِي كُلِّ الْوُجُودِ  
 وَهُوَ فِي عَزَلَتِهِ نَاءٌ مُقِيمٌ  
 قُمْ وَأَبْلُغْهُ الْبَرَايَا أَجْمَعِينَ

والذي تبصره حول الفضاء  
 كلُّ حرٍّ في يديه سيفٌ ( لا )  
 فهو للعلياء دوماً في صُعود  
 أيها الشادي بقرآن كريم  
 قم وأسمِغه لكلِّ العالمين

\*\*\*

## فَقْرُ الصَّالِحِينَ

خصراً إقبال موضوع فقر الصالحين بهذه الأبيات على أسلوب خاص من  
 التعبير تعريفاً بقيمة الفقر ومراميه ، يقول :

مَا هُوَ الْفَقْرُ الْغَنِيُّ الْأَزْفَعُ  
 وَارْتَوَاءُ الْقَلْبِ مِنْ عَيْنِ الْيَقِينِ  
 هَامَةٌ الْجَوَازِءِ مِنْ أَدْنَى خُطَاهِ  
 وَيَرَى التَّوْحِيدَ نَبْرَاسَ هُدَاهِ  
 لَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ فِي الْكَوْنِ إِلَهَ  
 لَمْ يَكُنْ ثُمَّ سِوَى حُبْزِ الشَّعِيرِ  
 وَإِلَيْهِ خَاشِعاً يَسْعَى الْأَمِيرُ  
 ثُمَّ تَسْلِيمٌ لِمَا اللَّهُ قَضَى  
 فَهُوَ مِيرَاثُ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى  
 يَضْنَعُ الْجَوْهَرَ مِنْ أَدْنَى زُجَاجِ  
 فَهُوَ إِنْسَانٌ وَفِي النُّورِ مَلَكٌ

يَا عَيْدَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ اسْمَعُوا  
 هُوَ عِرْفَانُ طَرِيقِ الْعَارِفِينَ  
 ذَلِكَ الْفَقْرُ عَزِيزٌ فِي غِنَاهِ  
 يُخَكِّمُ الْإِبْدَاعَ فِي صِنْعِ الْحَيَاةِ  
 يَزْعَشُ الْكَوْنَ إِذَا دَوَّى صَدَاهِ  
 خَيْرٌ حَرَّرَهَا ذَاكَ الْفَقِيرُ  
 خَاشِعٌ لِلَّهِ ذِيكَ الْقَدِيرُ  
 حَالُهُ ذَوْقٌ وَشَوْقٌ وَرِضَا  
 يَا لَهُ كَنْزاً بِهِ الْعَيْشُ صَفَا  
 لَيْلِهِ الْمُظْلِمُ لِلْمَجْدِ سِرَاجِ  
 يَفْهَرُ الْمُؤْمِنُ نَامُوسَ (٢) الْفَلَكَ

(١) الْهَبَاءُ : التُّرَابُ الَّذِي تُطِيرُهُ الرِّيحُ وَيَلِزِقُ بِالْأَشْيَاءِ .

(٢) نَامُوسُ : الْقَانُونُ أَوْ الشَّرِيعَةُ .

فَلَقَدْ تَنقَّلُ دُنْيَاكَ إِلَى  
 فِي هُدَى الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ  
 ذَلِكَ الْمَسْكِينُ فِي رُفَعَتِهِ  
 صَامِتٌ لَيْسَ يُطِيلُ الْكَلِمَا  
 وَلَهُ مِنْ طَاقَةِ الرُّوحِ جَنَانٌ  
 حَوْلَ الْعَصْفُورِ نَسْرًا فِي الْفِضَاءِ  
 بِنَسَاءِ الْحَقِّ يُحْيِي مُدْنَا  
 مُسَلِّمٌ دَوْلَتُهُ فَوْقَ الْحَصِيرِ  
 لَيْسَ يَرْضَى الْعَيْشَ إِلَّا فِي مَقَامٍ  
 لَا يِبَالِي مِنْ لَهُ هَذَا السُّلُوكِ  
 يَتَلَاشَى الْجَمْرُ فِي نِيرَانِهِ  
 صَوْتُهُ فِي الشَّعْبِ يَذْكَي لَهَا  
 لَا تَرَى الْأُمَّةَ تَخْشَى مِنْ مُغْيِرٍ  
 نَحْنُ بِاسْتِغْنَائِهِ نَلْقَى الْغِنَى  
 فَاْمْتَحَنُ وَجْهَكَ فِي مِرَاتِهِ  
 تَكْتَسِبُ مِنْهُ مَزَايَا الصَّادِقِينَ  
 تَتَجَلَّى حِكْمَةُ الدِّينِ جَمَالًا  
 قُوَّةُ الدِّينِ وَتَشْيِيدُ عُلَاهِ  
 كُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ الْأَحَدِ  
 إِنْ يَكُنْ فِي صُورَةِ النَّمْلِ خَفَاءِ  
 قَالَ خَيْرُ الْخَلْقِ تَاجُ الْمُرْسَلِينَ  
 كَيْفَ يَعْلَمُونَ مِنْبَرًا لِلْمُسْلِمِينَ  
 يَا لَهَا كَارِثَةٌ فِي الْعَالَمِينَ

حَالَةَ أَسْمَى وَشَانَ أَفْضَلَا  
 دَائِمَ الْإِسْعَادِ مَوْضُوعَ النَّعِيمِ  
 يَسْعُ الْعَالَمَ فِي مُهْجَتِهِ (١)  
 وَهُوَ بِالصَّنْمِ يَرْبِّي أُمَّمَا  
 يَمْنَحُ الْحَامِلَ ذَوْقَ الطَّيْرَانِ  
 فَبَدَا لِلْأَرْضِ تَفْسِيرُ السَّمَاءِ  
 وَبِصِدْقِ الْعَزْمِ يَنْبِي وَطْنَا  
 كَانَ يَخْشَى بِأَسَهُ أَلْفُ سَرِيرِ  
 يَسْتَوِي الشَّاهِينَ فِيهِ وَالْحَمَامِ  
 أَنْ يَقُولَ الْحَقُّ فِي وَجْهِ الْمُلُوكِ  
 وَيَخَافُ الْبَحْرُ مِنْ طُوفَانِهِ  
 وَتَخَافُ النَّارُ مِنْهُ الْحَطْبَا  
 وَلَدَيْهَا مِثْلُ ذِيَاكَ الْفَقِيرِ  
 وَعَلَى أَشْوَاقِهِ نَزَجُوا الْمُئِنَى  
 وَأَنْشُدِ الْحِكْمَةَ مِنْ آيَاتِهِ  
 وَتَقُزْ مِنْهُ بِسُلْطَانٍ مُبِينِ  
 حِينَ يُبْدِي الْفَقْرُ عِزًّا وَدَلَالَا  
 فِي تَسَامِي الْفَقْرِ عَنْ ذُلِّ الْحَيَاةِ  
 لَا يُذِلُّ النَّفْسَ يَوْمًا لِأَحَدِ  
 لَيْسَ يَزْجُو مِنْ سُلَيْمَانَ عَطَاءِ  
 كُلُّ أَرْضٍ مَسْجِدٌ لِلْمُؤْمِنِينَ  
 فَوْقَ أَرْضٍ فِي يَدِ الْمُسْتَعْمِرِينَ  
 مَسْجِدُ الْهَادِي بِأَيْدِي الْغَاصِبِينَ

(١) الْمُهْجَةُ : الرُّوحُ .

حَرَّرَ الْأَرْضِ مَعاً وَالْمَسْجِدَا  
أَيُّهَا النَّاصِحُ لَيْلاً وَنَهَارَا  
إِنَّ مَعْنَى تَرْكِهَا تَسْخِيرُهَا  
وَالَّذِي يَغْلُو عَلَى صَهْوَتِهَا  
فَاتَّخِذْهَا مِنْ مَطَايَا الْأَخْرَةِ  
هِيَ صَيْنِدُ الْمُؤْمِنِ الْحَرِّ الْجَسُورِ  
كُلُّ زُهْدٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَاجِدٍ  
أَنَا مِنْ مُشْكَلَتِي طَالَ اِكْتِسَابِي  
أَيُّهَا الشَّاهِنُ<sup>(١)</sup> مَا هَذَا الْجُمُودِ  
يَائِسٌ أَمْ أَنْتَ مَقْضُوصُ الْجَنَاحِ<sup>(٢)</sup>  
مَا شَكَا مِخْلَبِكَ النَّسْرُ وَلَا  
الْجِبَالُ الشُّمُّ وَالْآفَاقُ لَكَ  
طَرُ إِلَى النَّجْمِ وَحَلَّقَ مِنْ جَدِيدٍ  
فَقَرْنَا تُمْلِيهِ آيَاتُ الْكِتَابِ  
فَقَرْنَا مَعْنَاهُ تَسْخِيرُ الْجِهَاتِ  
يَرْفَعُ الْمُؤْمِنَ فَوْقَ الشُّبُهَاتِ  
فَقَرُّ أَهْلِ الْكُفْرِ هَذَا لِلْفَطْرِ  
عَيْشُهُ بَيْنَ الْمِرَامِي وَالْكَهُوفِ  
لَمْ يَكُنْ فِي الدَّهْرِ مِنْذُ الْمَوْلِدِ  
لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ بِالْفَقْرِ اعْتِزَالُ  
بَيْنَمَا الْأَوَّلُ فِي صَمْتِ الْجُمُودِ  
ذَاكَ يَطْوِي الْعُمُرَ فِي تَرْكِ الْبَدَنِ

لَا يَكُنْ غَيْرُكَ فِيهَا سَيِّدَا  
دَاعِيَا أَنْ تَتْرَكَ الدُّنْيَا احْتِقَارَا  
فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ لَا تَذْمِيرُهَا  
يَأْمَنُ الْمِخْنَةَ مِنْ عَثْرَتِهَا  
تَنْجُ مِنْ تِلْكَ الْعَجُوزِ السَّاجِرَةِ  
قَبْلَ أَنْ يَصْطَادَهُ فِيهَا الْعُرُورُ  
فَهُوَ سَلَوِي لِعَدِيمِ فَاوِدِ  
حَلُّهَا أَعْيَا عَلَى الْجُهْدِ صَوَابِي  
أَيْنَ مِنْكَ الْبَاسُ أَوْ أَيْنَ الصُّعُودِ  
أَمْ خَشِيتَ الْوَتْبَ فِي هَوَاجِ الرِّيَاحِ  
فَرَّ مِنْ عَزْمِكَ طَيْرٌ فِي الْفَلَاحِ  
أَيُّهَا الْهَارِبُ مِنْ أَوْجِ الْفَلَكِ  
فِي الْفَضَاءِ اللَّازُورِدِيِّ الْبَعِيدِ  
لَيْسَ فِي رَقْصِ وَسُكْرِ وَرَبَابِ  
وَاحْتِسَابِ لِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ  
مَظْهَرًا أَعْلَى لِقُدْسِي الصِّفَاتِ  
وَمَجَافَاةً لِعُمُرَانِ الْبَشَرِ  
لَا تَرَى مَوْضِعَهُ بَيْنَ الصُّفُوفِ  
غَيْرَ صِفْرِ فِي يَسَارِ الْعَدَدِ  
هُوَ فِي الْبَرِّ وَفِي الْبَحْرِ نِضَالُ  
سَارَ هَذَا نَحْوَ تَعْمِيرِ الْوُجُودِ  
طَالِبًا لِلرُّشْدِ أَوْ تَرْكِ الْوَطَنِ

(١) الشَّاهِنُ : طائر من جوارح الطَّيْرِ وسباعها ، من جنس الصقر .

(٢) مقصوص الجناح : مقطوع الجناح .

يُنْشُدُ الْحَقُّ بِذَاتِيَّتِهِ  
وسراجاً في الليالي هادياً  
يُزْهَبُ الشَّمْسَ وَيَخْتَلُّ الْقَمَرَ  
قد نأى المُسْلِمُ عن هذا الجلال  
إنَّه زلزالُ تكبيرِ الحُسَيْنِ  
وأرى غَمْدَكَ منه قَدْ خلا  
زَلَزَلْتُ إيمانه فيها المِخَنُ  
حَرَّرُوا مِمَّا سِوَى اللَّهِ الْقُلُوبُ  
فاخْلُقُوا دُنْيَا سِوَاهَا فِي الْأُمَمِ  
غَيْرَةُ الْأَحْرَارِ لِلدِّينِ الْقَوِيمِ  
ما أرى المَوْتَ سِوَى هذِي الْحَيَاةِ  
ثُمَّ يَبْنِي ذَاتَهُ صَرْحاً عَلَيَّا  
وسجايَا المُصْطَفَى مِيزَانَهُ  
فمَتَى يُوَلِّدُ فِي الْقَوْمِ قَفِيرَ  
أَسْكَتَ الدَّمْعُ عَنِ الوَصْفِ اللِّسَانَ  
هُوَ فِي قَلْبِي كَأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ  
فليَقْدَمْ فِي الصِّدْرِ مَطْوِيّاً دَفِينَا  
فكَأَنَّ الْقَوْمَ فِي شَكِّ مُرِيبِ  
قَطَعُوا عَمْداً طَرِيقَ الْقَافِلَةِ  
لا وَلا لِلصَّصِ مَنَّا مَطْلَبُ  
وتراثُ المَالِ قَدْ وَلَّى ضِياعاً  
ذو رِيَاءٍ هُوَ لِلوَرْدِ مُرِيدِ  
وَكأَنَّ الدُّلَّ فِي دُنْيَاهِ نِعْمَةٌ

وترى المُؤْمِنَ فِي أُمَّتِهِ  
نحو إدراك المعالي ساعياً  
فقرُّنا الحرُّ إذا ناجى القَدْرَ  
فقرُّنا العاري تولاه الزَّوالُ  
إنَّه إيمانُ بَدْرِ وَحُتَيْنِ  
أَسْفَأَ لَمْ يَبْقَ عِنْدِي سَيْفُ ( لا )  
أَسْفَأَ ، إِنِّي أرى دُنْيَا الْفِتَنِ  
يا شَبَابَ الْحَقِّ ، يا دُخْرَ الشُّعُوبِ  
إنَّ دُنْيَا الْيَوْمِ أَبْلَاهَا الْقِدَمُ  
أَيْنَ مِنْكُمْ يا ذَوِي المَاضِي الكَرِيمِ  
طالَ هَذَا التَّوْمُ عَنِ صَوْنِ حَمَاهِ  
يَسْدَأُ الْحَرُّ غُدُوّاً وَعَشِيّاً  
وَجِهَادُ المُصْطَفَى بَرهَانَهُ  
يا لِقَوْمِ ، أَنْجِبُوا كَلَّ أَمِيرِ  
لا تَسَلْ عَنِ قِصَّةِ الْقَوْمِ بِيانَا  
أَلَمْ أَغْمَدَ فِي صَدْرِي سِهَامَهُ  
هُوَلُ هَذَا الْحَشْرِ أَعْيَا الوَاصِفِينَا  
قُوَّةُ الدِّينِ فِي النَّصْرِ الْقَرِيبِ  
أَيْنَ مَسْعَاهُمْ وَهُمْ فِي العَاجِلَةِ  
ليسَ لِلشَّيْطَانِ فِينَا مَأْرَبُ  
فتراتُ الدِّينِ قَدْ طَارَ شُعَاعَا  
كَمْ تَغْنَى بِمَزَايَا بَايَزِيدِ<sup>(١)</sup>  
فيري في دولة الأغيارِ رَحْمَهُ

(١) لا أدري من يرئد الشاعرُ به .



وينادي أَنَّ حُكْمَ الدُّخْلَاءِ  
أَيْهَا المَحْرُومُ مِنْ وِجْدَانِهِ  
أَوْ تَذْرِي أَنَّنَا مِنْ عَضْرِنَا  
كُلُّ حَيٍّ مَعْرُضٌ عَن ذَاتِهِ  
عِشٌّ وَلَوْ يَوْمًا عَزِيزَ المَطْلَبِ  
مَنْزِلُ الشَّاهِينِ فِي أَوْجِ السَّحَابِ  
لَمْ يَزَلْ فِي الرِّوَضِ ظِلًّا وَتَمَرٌ  
كُنْ كَحَدِّ السَّيْفِ فِي صِدْقِ المَضَاءِ  
إِنَّ فِي رُوحِكَ سَيْلًا كالعُجَابِ  
انْدِفَاعُ السَّيْلِ إثْبَاتُ البَقَاءِ  
أَنَا لَمْ أَسْلُكْ إِلَى الفِئَةِ سَبِيلًا  
لَمْ أَكُنْ فِي الفَقْرِ ذَا فَهْمٍ دَقِيقِ  
فِكْرَةٌ جَاشَ بِهَا القَلْبُ اضْطْرَابًا  
كُنْتُ فِي الدِّينِ حَدِيدَ البَصْرِ  
وَانجَلَّتْ وَاحِدَةٌ بَيْنَ مَنَاتِ  
فَاعْتَنَمَ مِنْ فَاقَتِي حَظًّا يَسِيرًا  
أَيْهَا الشَّادِي بِقِرَانِ كَرِيمِ  
قُمْ وَأَبْلِغْ نَوْرَهُ للعَالَمِينَ  
إِنَّ نَكُنْ فِي مِثْلِ نِيرَانِ الخَلِيلِ  
مَنْ لَهُ مِنْ ثَرْوَةِ الهَادِي نَصِيبِ  
يَا غَرِيبًا عَن مَقَامِ المُصْطَفَى

فِيهِ لِلدِّينِ ازْدِهَارٌ وَازْتِقَاءُ  
وَمِنَ الشُّوقِ وَمِنَ أَشْجَانِهِ  
غَرِبَاءُ فِيهِ عَن أَنفُسِنَا  
فَقَدَّ الجَوْهَرَ مِنْ مِرَاتِهِ  
أَجْنِيبًا عَن طَرِيقِ الأَجْنَبِيِّ  
مَالُهُ يَسْكُنُ فِي وَكْرِ العُرَابِ  
فَالْتَمَسَ عَشْكَ فِي أَعْلَى الشَّجَرِ  
وَاحْتَسَبَ نَفْسَكَ فِي كَفِّ القَضَاءِ  
يَنْسِفُ الشَّمَّ وَيَهْوِي بِالعِهْصَابِ<sup>(١)</sup>  
وَسَكُونُ اللَّيْلِ مَعْنَاهُ الفَنَاءُ  
أَتَحَرَّى الحُكْمَ فِيهِ وَالدَّلِيلَا  
فِي سَلُوكِهِ بَيْنَ رُؤَادِ الطَّرِيقِ  
ثُمَّ لَمْ أَمْلِكْ عَنِ القَوْلِ اخْتِجَابًا  
رَغَمَ مَا بِي مِنْ قَصُورِ النَّظَرِ  
بَعْدَ لَأَيِّ مِنَ الوَفِّ المُشْكِلَاتِ  
فَعَسَى أَلَا تَرَى مِثْلِي فَقِيرًا  
وَهُوَ فِي رَكْنِ مِنَ البَيْتِ مُقِيمِ  
قُمْ وَأَسْمِعْهُ البَّرَايَا أَجْمَعِينَ  
أَسْمَعَ النَّمْرُودَ تَوْجِيدَ الجَلِيلِ  
فَهُوَ مِنْ جَبْرِيلَ فِي الدُّنْيَا قَرِيبِ  
عُدْ إِلَى الحَقِّ تَجِدُ نُورَ الصَّفَا

\*\*\*

(١) الهَضَابُ ، جمع هَضْبَة : جبل منبسط ممتد على وجه الأرض .

## الرجلُ الحرُّ

قدّم إقبالُ في أبياته السَّابقة صفات الفقير المؤمن بالله ، إلاَّ أنَّه شاء أن يخصَّ المسلمَ الحرَّ بهذه الأبيات نظراً لما للحرية من مكانة ، وما للرجل الحرِّ من مقام ، ولذا نجد إقبالاً يكرِّر في هذه الأبيات بعضَ المعاني كصاحبِ رسالةٍ نظراً إلى ذلك الارتباط الوثيق بين حرِّية الفقير وفقر المؤمن ، يقول :

فَوْقَ مَسْرِى النَّجْمِ لِلْحَرِّ هَدَفَ	وَزَدَهُ فِي كُلِّ حِينٍ لَا تَخْفَ
أَمِنٌ فِي سِلْمِهِ فِي حَزْبِهِ	رَأْسُهُ فِي الْكَفِّ لَا فِي جَيْبِهِ
عَرَفَ اللَّهُ فَلَمْ يَزْهَبْ سِوَاهُ	كَيْفَ يَخْشَى الْخَلْقَ مِنْ خَافِ الْإِلَهِ
لَا يَرَى قَطُّ مَعَ الْبُؤْسِ الْمَرِيرِ	عَبْدَ سُلْطَانٍ وَلَا ظِلَّ أَمِيرِ
جَمَلٌ فِي الْبَيْدِ مَوْصُولِ الصِّيَامِ	يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ وَالشُّوكَ طَعَامِ
هُوَ تَبَضُّ فِي عُروِقِ الْأَمَلِ	وَهُوَ سَعْيٌ فِي طَرِيقِ الْعَمَلِ
مِنْ عِلَا تَكْبِيرِهِ مِنْ غَيْرِ تَاجِ	يُلْزَمُ التَّيْجَانَ تَقْدِيمَ الْخَرَجِ
قَدْ ذَكَتْ نِيرَانُنَا مِنْ جَمْرِهِ	وَجَرَتْ أَنْهَارُنَا مِنْ خَمْرِهِ
جِنَّةُ الْوَزْدِ شَذَا مِنْ سِخْرِهِ	شَعْلَةُ الْمَجْدِ سَنَا مِنْ فِكْرِهِ
وَتَرَى فِي قَصْرِهِ رَبَّ السَّرِيرِ	رَاعِشاً مِنْ سَهْمِ عُزْيَانِ فَقِيرِ
شَأْنُنَا فِي الدِّينِ لَا يَعْدُو الْخَبْرِ	وَهُوَ فِي الدِّينِ شُهُودٌ وَنَظْرُ
نَحْنُ عِنْدَ الْبَابِ نَسْتَجِدِي الْأَمَانِي	وَهُوَ فِي الدَّارِ وَفِي طَيْبِ الْمَجَانِي
أُضْبِحَ الدَّيْرُ لَدِينَا مَقْصِداً	نَحْنُ لِلْغَيْرِ نَبِيْعُ الْمَسْجِدا
وَهُوَ يُسْقَى مِنْ يَمِينِ الْمُضْطَفَى	كَوْثِراً عَذْباً بِهِ الْوَرْدُ صَفَا
فِي ضَمِيرِ الْحَرِّ تَكْبِيرُ الْإِلَهِ	فِي جَيْبِ الْحَرِّ تَقْدِيرُ الْأُمَمِ
نَحْنُ لِلْإِفْرَنْجِ أَسْلَمْنَا الْقِيَادَا	وَاتَّخَذْنَاهُمْ لَدَى الْجُلَى عَتَادَا
وَابْتَغَيْنَا عِنْدَهُمْ عِزَّتَنَا	وَجَعَلْنَا وَدَّهْمَ قِبْلَتَنَا
وَشِعَارُ الْحَرِّ عِزْمٌ وَإِبَاءُ	رِزْقُهُ مِنْ يَدِ جَبَّارِ السَّمَاءِ
فَلْغَيْرِ اللَّهِ مَا مَدَّ الْيَمِينِ	لِغَيْرِ اللَّهِ لَمْ يَخُنِ الْجَبِينِ

ثُمَّ يَأْسُ نُؤْمَ قَبْرٌ وَظِلَامٌ  
 مَوْتُهُ إِحْدَى مَقَامَاتِ الْحَيَاةِ  
 وَنَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي حُكْمِ الْمُحَالِ  
 لَا يُضِيعُ الْعَمَرَ فِي زَيْفِ الْخَيَالِ  
 حَوْلَ الصَّخْرِ بِحَاراً جَارِيَهُ  
 إِنْ تُرِدْ خَيْراً فَكُنْ مِنْ صَاحِبِهِ  
 أَهْدَمِ الدَّارَ وَكُنْ صَاحِبَ دَارِ  
 هِيَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَلْفِ كِتَابٍ  
 وَلَقَدْ تَخَلَّقَ مِنْهُ آدَمُ  
 لَكَ فِي الْبَحْرِ غِنًى عَنِ جَدْوَلِ  
 آيَةُ التَّغْيِيرِ فِي عُمْرَانِهِ  
 مِثْلَمَا يَنْشُرُ رَوْضَ عِطْرِهِ  
 ثَوْرَةُ الْبُرْكَانِ فِي نِيرَانِهَا  
 أَوْ يَتِمُّ اللهُ فِيهَا نَصْرَهُ  
 هِيناً إِلَّا لِأَصْحَابِ الْيَقِينِ  
 فَالْتَزِمْ فِي الدَّهْرِ حُرّاً هَادِيَا

مَتَعَةُ الدُّنْيَا لَنَا كُلُّ الْمَرَامِ  
 هُوَ فِي الْحَقِّ جِهَادٌ وَثَبَاتٌ  
 إِنَّا نَبْنِي قَصوراً فِي الْخِيَالِ  
 وَهُوَ بِالْأَعْمَالِ فِي كُلِّ مَجَالِ  
 لَوْ رَمَى شُمَّ الْجِبَالِ الْعَاتِيَهُ  
 اجْتَنِبْ صُخْبَتَنَا وَاسْعُدْ بِهِ  
 الزَّمَّ الْحَرَّ وَدَعْ أَهْلَ الْبَوَارِ (١)  
 صَحْبَةُ الْحَرِّ إِلَى الْعَلِيَاءِ بَابِ  
 صَحْبَةُ الْحَرِّ تَنْبِيهُ الْعَالَمِ  
 قُرْبُهُ لِلْعَزِّ أَصْفَى مَنَهْلِ  
 هُوَ يَوْمَ السَّلْمِ فِي أَوْطَانِهِ  
 بِجَدِيدِ الْفِكْرِ يَحْيِي عَضْرَهُ  
 وَهُوَ يَوْمَ الْحَرْبِ فِي مَيْدَانِهَا  
 سَيْفُهُ يَحْفِرُ فِيهَا قَبْرَهُ  
 لَيْسَ زَرْعُ الْقَلْبِ فِي مَاءٍ وَطِينِ  
 إِنْ أَرَدْتَ الْعَيْشَ حُرّاً صَافِيَا

\*\*\*

## رُبَاعِيَّاتٌ (٢)

أَقْبَلَ الْحَرُّ عَلَى يَوْمِ الْفِدَاءِ      وَمَضَى يَرْمِي عَلَى النَّجْمِ الْهَدَفَ  
 وَكَأَنَّ السَّوْحِيَّ لَقَاءَ النَّدَاءِ      مِنْ سَمَاءِ اللَّهِ أَقْدِمَ لَا تَخَفْ

\*\*\*

(١) أهل البوار: أهل جهنم.

(٢) ولقد أعاد المترجم صياغة هذه المنظومة في رباعيات.

أَشْرَقَ التَّوْحِيدُ نَوْرًا فِي هِدَاةِ      وَسَرَى التَّحْرِيرُ مِنْهُ فِي الضَّمِيرِ  
أَثْرَى مَنْ لَمْ يَخَفْ غَيْرَ الْإِلَهِ      يَزْهَبُ السُّلْطَانُ أَوْ يَخْشَى الْأَمِيرِ

\*\*\*

رَوْحُهُ تَكْشِفُ أَسْرَارَ الْخُلُودِ      عَنِ حَيَاةِ مَا لَهَا فِي الدَّهْرِ مَوْتُ  
يُرْسِلُ التَّكْبِيرَ مِنْ قَلْبِ الْوُجُودِ      لُغَةً تُغْنِيهِ عَنِ حَزْفِ وَصَوْتِ

\*\*\*

سَلْ مَلُوكَ الْأَرْضِ عَنِ دُنْيَا الْغُرُورِ      فِي الْمَلَاهِي خَلْفَ أَسْتَارِ الْحَرِيرِ  
زَلْزَلْتَهُمْ بَيْنَ أَبْرَاجِ الْقُصُورِ      ضَرْبَةً مِنْ سَهْمِ عُرْيَانِ فَقِيرِ

\*\*\*

ضَرَبَ الْبَخْرَ كَمُوسَى بِعَصَاهِ      وَرَمَى الصَّخْرَ حُطَامًا مِنْ زَجَاجِ  
ذَلِكَ الْأَوَابُ فِي ثُوبِ تَقَاهِ      أَلْزَمَ التِّيْجَانَ تَقْدِيمَ الْخَرَاجِ

\*\*\*

قَدْ جَرَتْ أَنْهَارُنَا مِنْ بَخْرِهِ      وَأَضَاءَتْ نَارُنَا مِنْ خَمْرِهِ  
بِسْمَةِ الْوَزْدِ شَذَا مِنْ عَطْرِهِ      شَعْلَةُ الْمَجْدِ سَنَا مِنْ فِكْرِهِ

\*\*\*

شَأْنُنَا فِي الدِّينِ لَا يَعْدُو الْحَبْرُ      وَهُوَ فِي الدِّينِ شُهُودٌ وَنَظْرُ  
نَحْنُ عِنْدَ الْبَابِ فِي ظِلِّ الشَّجَرِ      وَهُوَ فِي الدَّارِ وَفِي مَجْنَى الثَّمَرِ

\*\*\*

لِبَنِي الْإِفْرَنْجِ فِي الدُّنْيَا عَيْنِدِ      فِي قِيُودِ مَنْ حَرِيرٍ أَوْ حَدِيدِ  
كَمْ تَغْنَى بِمَزَايَا بَايَزِيدِ      ذُو رِيَاءٍ وَهُوَ لِلْوَرْدِ مُرِيدِ

\*\*\*

فِي حَدِيثِ الْمُصْطَفَى شَمْسُ الْهُدَى      كُلُّ أَرْضٍ مَسْجِدٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

كَيْفَ تَبْنِي فَوْقَ أَرْضِ مَسْجِدَا      إِنَّ تَرَكْتَ الْأَرْضَ لِلْمُسْتَعْمَرِينَ

\*\*\*

لَيْسَ حَيًّا مَنْ يُرَى مُسْتَعْبَدَا      لِسَوَى مَنْ فِي يَدَيْهِ رِزْقُهُ  
سَيِّدَ مَنْ لَيْسَ يَرْضَى سَيِّدَا      مَا خَلَا رَبِّي فَكُلُّ عَبْدُهُ

\*\*\*

فِي ضَمِيرِ الْحَرْزِ تَكْبِيرُ الْإِلَهِ      فِي جَبِينِ الْحَرْزِ تَقْدِيرُ الْأُمَمِ  
مَوْتُهُ أَعْلَى مَقَامَاتِ الْحَيَاةِ      تَزْفَعُ الدُّنْيَا لِذِكْرِهِ الْعَلَمِ

\*\*\*

هُوَ يَوْمَ السَّلَامِ فِي نَهْضَتِهِ      يَبْدُ الْإِصْلَاحِ يَبْنِي عَضْرَهُ  
وَيَذِيغُ الْخَيْرَ فِي أُمَّتِهِ      مِثْلَمَا يَنْشُرُ رَوْضَ عِطْرَهُ

\*\*\*

وَهُوَ يَوْمَ الْحَرْبِ فِي سَاحَتِهِ      سَيْفُهُ يَخْفِرُ فِيهَا قَبْرَهُ  
يَتَحَدَّى الْمَوْتَ فِي وَثْبَتِهِ      أَوْ يُتَمُّ الْعَزْمُ فِيهَا نَصْرَهُ

\*\*\*

إِنَّ عَرْسَ الْحَقِّ فِي نَوْرِ الْقُلُوبِ      غَيْرُ شَأْنِ الزَّرْعِ فِي مَاءٍ وَطِينِ  
فَالْتَمَسْ لِلْمَجْدِ أَحْرَارَ الشُّعُوبِ      إِنَّهُمْ فِي الدَّهْرِ أَعْلَامُ الْيَقِينِ

\*\*\*

### فِي أَسْرَارِ الشَّرِيعَةِ

لم يتحدث إقبال فقط عن أسرار العبادات وحكمة الدِّين فيها ، ولكنه من جهة أخرى يحاول أن يكشف أسرار الحياة في المال ، وفي مجال التعامل به ، وما انتهجه المادِّيون من الأساليب في هذا السبيل ، فيقول للمؤمن : إنِّي وعيت

عن جلال الدين الرُّومي حكمة نبهني فيها إلى أمرٍ جَلَلٍ ، ما كِدْتُ أَنَاْمَلُهَا حتَّى  
أصابني المقيمُ المقعدُ من التفكير ، فيقول :

حِكْمَةٌ قد وعيتها عن جلال الدِّينِ فيها أدركتُ معنى الجَلالِ  
أَنَّ حِفْظَ الأموالِ مِنْ أَجْلِ حِفْظِ الدِّينِ زادٌ وعدَّةٌ للنُّضالِ  
قد أَبانَ الرُّسُولُ أَنَّ صلاحَ المالِ يزكو به<sup>(١)</sup> صلاحُ الرُّجالِ  
إِنْ يَكُنْ هُمْكَ الغِنَى لم تكن له عبداً بَلْ أنتَ عبدُ المالِ

\*\*\*

كَمْ شَهِدنا الإِصلاحَ من فارغي الأيدي وأهلِ الخِصاصةِ المُعَدِّمينِ  
كَمْ وَجَدنا الكِسادَ مِنْ خازِنِ المالِ وأهلِ الأهواءِ والمُتشرِّفينِ  
هُمُ يَضيقون بالعدالةِ في الأرضِ ليقضُوا حياتَهُم ناعمينِ  
لا يخافون في المَصيرِ حساباً بَلْ يخافون غُضَبَةَ الثَّائرينِ

\*\*\*

يأكلون التِراثَ جَمعاً وبُخْلا      تُمَّ هم يأكلون خُبْزَ الأجيرِ  
وتزيد المأساةَ رُغْباً وهولا      عندما يسْرِقون حقَّ الفقيرِ  
يقفُ العاملُ المُسِنَّ<sup>(٢)</sup> لديهم      خاشعَ الطَّرْفِ خافِضَ التَّعبيرِ  
يصلُ الليلُ بالنَّهارِ أنيناً      دُونَ جَدوى<sup>(٣)</sup> في بؤسِ عيشِ مريرِ

\*\*\*

ليس في بيته الرغيفُ ولا يشتُرُ مِنْ عُزِيهِ سوى الأسمالِ<sup>(٤)</sup>  
يبتنى القُضْرَ وهو يلتمِسُ الأكواخَ بين الرُّبوعِ والأطلالِ

(١) يَزْكُو به : يزيد به .

(٢) المُسِنَّ : كبير السن .

(٣) دُونَ جَدوى : دون فائدة .

(٤) الأسمال : الأثواب الخَلِقة البالية .

نال ربح الدَّارين من جَعَلَ المَالَ سبيلاً إلى كريمِ الفِعالِ  
هم حيارى لا يَنْظرون بنورِ الله بل يَنْظرون رأسَ المالِ

\*\*\*

يستوي الحلُّ والحرامُ لدى القَوْمِ وأين الدُّجى مِنَ الأنوارِ  
فأساليهُم مخادعة الخلق وتعميرهم خرابُ الدِّيَارِ  
دولةٌ تعتدي على دولةٍ ظلماً وقطرٍ يبغي على أقطارِ  
كادحٌ يزرعُ الحقولَ فيأتي غيرُهُ عاجلاً لجنِّي الثمارِ

\*\*\*

مِن صميمِ الحياة . من فطرةِ الله ، من القلبِ ، من لقاءِ الضميرِ  
يشرقُ الدِّينُ بالهداية والرُّشد كما يشرقُ الضُّحى بالنُّورِ  
فلو أن الحرامَ يبدو حرماً يَخْجُزُ النَّاسَ عنه وعيُ الضميرِ  
يصبح العدلُ شاملاً كلَّ أرضٍ في الحياة الدُّنيا ليومِ النُّشورِ

\*\*\*

حكمةُ الدِّينِ أن تُسَلِّمَ للشَّرعِ وترضى بكلِّ حكمٍ قَضَاهُ  
مِن ضميرِ الرِّسولِ أينع هذا الدِّينُ في غزيبه وطابَ جناهُ  
إنَّ هجرَ الحبيبِ يستلبُ اللبَّ ويُذكي في القلبِ نارَ جَواهٍ  
لو أزيلَ الحِجَابُ لم تبقَ حياً خلُّ أمرِ الوصالِ واطلبِ رِضاهُ

\*\*\*

عِشْ بأحكامه تَرِ العيشَ صفواً ورخاءاً أو نضرةً ونعيماً  
وأطع أمراً تُطغِكَ البرايا وترى الأمنَ حيثَ كُنْتَ مُقيماً  
قد حباك الإلهُ أحسنَ تقويمٍ لتحيا خلقاً سوياً كريماً  
إنَّ إزث<sup>(١)</sup> الخليلِ إيمانه الصادقُ فاحفظ ميراثَ إبراهيمِما

(١) إزث : الميراث أو الأمر القديم توارثه الآخرُ عن الأول ، كما جاء في الحديث : =

كُلُّ قَلْبٍ لَه مِنْ الْحَقِّ نَوْرٌ      وله من هدي النَّبِيِّ نَصِيبٌ  
 لَا يُشَابُّ الْيَقِينَ<sup>(١)</sup> مِنْهُ بَرِيبٌ      وهو من جبريلَ الْأَمِينِ قَرِيبٌ  
 يَا مَقِيمًا فِي حُجْرَةِ الدَّاءِ      ر يتلو وهو عَمَّا يتلوه نَاءِ  
 فَمُ وَأَنْذِرْ بِهِ الْخَلَائِقَ طَرًّا      تَجِدِ الْكُونَ كُلَّهُ يَسْتَجِيبُ

\*\*\*

وَتَقَبَّلْ أَوْامِرَ الدِّينِ بِالرَّغْبَةِ وَالشَّوْقِ وَالرِّضَا كُلَّ وَقْتٍ وَأَنْ  
 كَبَلُ فَرَضٍ تَقْضِيهِ جَبْرًا وَقَهْرًا      لَا تَرَى فِيهِ نَشْوَةَ الْإِيمَانِ  
 حِكْمَةُ الدِّينِ فِي الْعَدَالَةِ وَالْحَبِّ لَيْسَتْ فِي الْبُغْضِ وَالطُّغْيَانِ  
 وَبَأَنَّ لَا يَحْتَاجُ فِي الْأَرْضِ إِنْسَانٌ لِيَحْظَى بِالرِّزْقِ مِنْ إِنْسَانٍ

\*\*\*

قَدْ خَبَزَتْ الدُّعَاءَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَالْمُدَّعِينَ لِلْإِلَهَامِ  
 أَطْفَؤُوا جَذْوَةَ الْإِرَادَةِ فِي الشَّعْبِ وَزَادُوهُ حَيْرَةً فِي الظُّلَامِ  
 وَأَصَاغُوا التَّأْوِيلَ فِي كُلِّ نَصٍّ حِيلَةً لِلْغِنَى وَجَمَعَ الحُطَامِ  
 لَا أَرَى فِي مَنْابِرِ الْقَوْمِ إِلَّا سَلَّةَ الْكَعْكَ أَوْ خَوَانَ الطَّعَامِ

\*\*\*

كَمْ أَطَالُوا الْجِدَالَ فِي الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ وَأَفْنَوْا أَعْمَارَهُمْ فِي الْمِرَاءِ  
 أَيُّ بَابٍ مِنَ الْهَدَايَةِ يُرْجَى مِنْ كَلِيمٍ<sup>(٢)</sup> بَلَا يَدُ بِيضَاءِ  
 أَيُّ أَمْرٍ يَفِيدُهُ مِنْ كَلَامٍ فِي صَبَاحٍ مُرَدِّدٍ وَمَسَاءِ  
 صَاحِبِ الْحَقِّ أَنْتَ فَاطِلْبُهُ بِالسَّغْفِ وَلَا تَنْظُرْهُ بِالْإِعْطَاءِ

\*\*\*

= « إنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم » .

(١) لَا يُشَابُّ : لَا يَخْتَلِطُ .

(٢) كَلِيمٍ : يَرِيدُ بِهِ الشَّاعِرُ سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .



## دمعة على افتراق

### الشعب في شبه القارة

نظم إقبال هذا المثنوي في العهد الأخير من حياته سنة ١٩٣٦ ميلادية ، وكانت عوامل الفرقة قد بلغت حدّتها ، وضعف الأمل في جمع الصفوف بعد أن قامت وخذةً وقتية بين الهنادك والمسلمين تعمل على إبعاد المستعمر البريطاني الذي حلّ منذ سنين طويلة في شبه القارة ، وإجلائه عن البلاد ، إلا أنّ المستعمر لم يفقد أمله الدائب في بث عوامل الفرقة بينهم ، كما حدث منه أدوار متعددة من تاريخ كفاح البلاد من أجل الحرية .

كان المستعمرون الإنجليز يثيرون حرباً ضروساً بين طوائف الشعب باسم الدّين تارةً وباسم اللغة تارةً أخرى ، يحرضون فرقة مسلمة على أخرى ، وجماعة الشيخ على جماعة المسلمين ، ويطلقون في حربهم أيدي السّفاكين على الأبرياء الآمنين ، ويزجون بالمجاهدين في أعماق السجون والمعتقلات ، جرياً على معهود سياستهم ( فرق تسد ) .

وقد نظم إقبال هذه القصيدة من كتابه ( والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق ) في ظروف ما قبل التقسيم . ولكنّ المسلمين فيما بعد كانوا قد وصلوا إلى حالة وجدوا فيها أنفسهم مضطرين إلى توحيد جبهتهم للمطالبة بالتقسيم الذي انتهى إلى قيام باكستان دولة مستقلة على مسرح التاريخ حفاظاً على كيان المسلمين وحقوقهم المشروعة .

وتعد هذه القصيدة من أجمل القصائد في مثنوي إقبال ، رغم ما حوته من بعض المبالغات ، وفيها يحضُّ المسلمين على ثورة عارمة بأسلوب دينيٍّ مثير ، وأن تكون لهم القلوب الواعية ، والآمال النابضة بمعاني الحرية والانطلاق .

يوجه إقبال خطابه إلى جميع سكان شبه القارة الهندية قائلاً :

همالايَا ونهرَ الكنجِ إنِّي أرى صُورَ الحياةِ بِغَيْرِ معنى  
فلم أدركْ لها في الذوقِ رأياً ولم أعرفْ لها في الحسنِّ لونا

\*\*\*

شعوبُ الشَّرْقِ والغربِ استقلَّتْ وضاقَ بنا على الأرضِ الفضاءُ  
فلأغيارِ ثروتُنَا متاعٌ ومِن لِبَنَاتِنَا لهم البِنَاءُ

\*\*\*

وأيُن حياتُنَا والغَيْرُ فيها يَصُولُ كما يشاءُ ويستطيلُ  
وليس النَّوْمُ ما صِرْنَا إليه فذاك الموتُ لا النَّوْمُ الثَّقِيلُ

\*\*\*

وإنَّ بذورَ هذا الموتِ جاءتِ من الأعماقِ مُنْذُ الابتداءِ  
ومُنْذُ المهدِ كان القومُ صَزَعَى<sup>(١)</sup> وهذا الموتُ ليس من السَّماءِ

\*\*\*

وليس فقيدُ هذا الموتِ أهلاً لَغُسْلٍ أو لَقَبْرِ أو بُكَاءِ  
ولا شقُّ الثَّيابِ عليه حزنأً ولا سعيِ الوفودِ إلى عَزاءِ

\*\*\*

جهنَّمه سوى ما قد عرفنا فليسَ لها إلى الفَلَكِ انتسابُ  
ويومُ حسابِ كلِّ الخلقِ يأتي بلا عملٍ فليس له حِسَابُ

\*\*\*

حصادُ الزَّارعينِ غداً وهذا بلا زرعٍ فمن أين الحَصَادُ  
ومدَّةُ عمره في الدَّهرِ يومٌ وكلُّ حياتِه يومٌ مُعَادُ

\*\*\*

---

(١) صَزَعَى ، جمع الصَّرِيح : وهو المصروع . يقال : بات صريع الكأس - والمجون .

وأية أمة ترجو الأمانى      بلا جهدي وتمضي في ركود<sup>(١)</sup>  
يكون مصيرها عدماً ومحواً      وينسى نقشها سفر الوجود

\*\*\*

وكم فتني تمادي<sup>(٢)</sup> الغرب فيها      وأحكم حولها السخر المينا  
فما أبقى على الكفار كفراً      ولا أبقى لأهل الدين دينا

\*\*\*

وأغطش ليلها الداجي<sup>(٣)</sup> ظلاماً      فما تدري الشراب من السراب  
هي الغمرات ما منها نجاةً      ولا حلٌ بغير الانقلاب

\*\*\*

فيا من هام بالدنيا متاعاً      وأصبح همُّه شبعاً ورياً<sup>(٤)</sup>  
تطلبُ في حضور الحق قلباً      وفيأ صادق الإيمان حياً

\*\*\*

فهذا القلبُ للدنيا سراجٌ      له أممُ الخليفة في انتظار  
وهذا القلبُ معدنه ترابٌ      وجوهه فريدٌ في الدراري<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

يفوق السبعة الأفلاك قدراً      بهمته ولا يألورقياً

(١) الركود : الهدوء ، والسكون .

(٢) تمادي : ليج ودام عليه .

(٣) ليلها الداجي ، أي : حالك .

(٤) رياً : مصدر روي ، أي : شرب .

(٥) الدراري ، جمع الدرّي : نسبة إلى الدر في حسنه وبهانه .

يَقِيمُ عَلَى الثَّرَى وَلَهُ أَمَانٌ إِلَى الْعِلْيَاءِ أَدْنَاهَا الثَّرِيًّا<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وَفِي حَرْبِ ضَرُوسٍ<sup>(٢)</sup> كُلَّ حِينٍ مَعَ التَّارِيخِ مُتَّصِلِ النَّضَالِ  
بِضَرْبَتِهِ الْجِبَالُ تَصِيرُ عَنْهَا وَتُرْهَبُ الضَّرَاغِمُ فِي الْجِبَالِ

\*\*\*

تَرَى لِشَعُورِهِ الْمَشْبُوبِ نَارًا تُوقَدُ مِنْ حَرَارَتِهَا ذُكَاءً  
لَهُ مِمَّا سَوَى التَّنُورِ خَبْزٌ وَمِنْ غَيْرِ الطَّعَامِ لَهُ غِذَاءٌ

\*\*\*

حَضُورُ الْحَقِّ يَمْلُؤُهُ يَقِينًا فَمِنْهُ الْخَوْفُ مَخْضًا وَالرَّجَاءُ  
شُهُودُ الْحَقِّ إِنْ هُوَ غَابَ عَنْهُ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الدُّنْيَا بَقَاءُ

\*\*\*

طَيْفِ الْجَلُوتِ وَالخَلُوتِ طُرًّا يَضِيءُ الْكُونَ بِالرَّأْيِ الْمُنِيرِ  
وَمَالِ الْعِشْقِ فِي سُكْرِ وَصَحْوِ دَلِيلٌ غَيْرَ أَوَابٍ فَقَيْرِ

\*\*\*

فصاحب من له قلب عظيمٌ لعلك تدرك الأمر العظيم  
ولدت على مهاد الذلّ عبداً فجاهد ثم مت حراً كريماً

\*\*\*

---

(١) الثَّرِيًّا : مجموعة من النجوم .

(٢) حَرْبِ ضَرُوسٍ ، أي : شديدة مهلكة .

## السِّيَاسَةُ الْحَاضِرَةُ

إنَّ إقبالاً كشف الأقنعة المزيفة عن وَجْه السِّيَاسَةِ الْغَرِيبَةِ ، وَوَجَّه أُمَّم الشَّرْقِ إِلَى تَجَنُّبِ أَحْطَارِ دَوْلِ الْعَرَبِ وَسِيَاسَتِهَا ، وَقَدَّمَ حَقَائِقَ وَصُوراً عَنِ التَّدَهُّورِ الْخُلُقِيِّ فِي قَادَةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَوْجِهِينَ لَشُعُوبِهِمْ لِاسِيَّماً فِي شِبْهِ الْقَارَةِ الْهِنْدِيَّةِ الَّتِي كَتَبَ عَلَى أَرْضِهَا هَذِهِ الْمَنْظُومَةُ الْكَبِيرَى قَبْلَ الْإِسْتِقْلَالِ . وَمِنْ أَرْوَعِ مَا نَشْهَدُهُ مِنْ رَوَائِعِ هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ ذَلِكَ الْإِسْتِدْرَاكُ الْعَجِيبُ الَّذِي صَرَّحَ فِيهِ إِقْبَالٌ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُسْتَعْبَدَ الذَّلِيلَ يَكَادُ يَفْقَدُ حَقَّهُ فِي أَنْ يَذَكَرَ اسْمَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى لِسَانِهِ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَالْمَحْ إِلَى الْحَالَةِ الْمَوْسُفَةِ الَّتِي شَهِدَهَا فِي الْمَجْتَمَعِ ، وَلا سِيَّماً فِي شِبْهِ الْقَارَّةِ ، وَبَيَّنَّ بِجَلَاءٍ أَنَّ الْعِبُودِيَّةَ وَالذُّلَّةَ لَا تَلْتَقِيَانِ مَعَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ فِي قَلْبِ إِنْسَانٍ ، وَمِنْ ثَمَّ يَقُولُ إِقْبَالٌ :

صَوَّرَ الْغَاصِبُ عَدْلًا ظَلَمَهُ      مَا هُوَ التَّفْسِيرُ لِلْعَدْلِ الْجَدِيدِ  
زَادَ فِي التَّحْرِيرِ مَعْنَى أَنَّهُ      يُخَكِّمُ الْقَيْدَ لِتَحْرِيرِ الْعَبِيدِ

\*\*\*

قَالَ لِلطَّيْرِ إِذَا رُمْتَ الْأَمَانَ      فَاتَّخِذْ فِي مَنْزِلِ الصَّيَادِ وَكُرَا  
لَيْسَ فِي الْأَجْوَاءِ لِلطَّيْرِ مَكَانٌ      لَا وَلَا تَأْمَنُ فِي الصَّحْرَاءِ نَسْرَا

\*\*\*

حِينَ يَلْقَى الْحَبَّ فِي أَشْرَاكِهِ      يَسْقُطُ الطَّيْرُ وَيَهْوِي ثَمَلًا<sup>(١)</sup>  
وَيَغِيبُ الرُّشْدُ عَنِ إِذْرَاكِهِ      سَاعَةً يَفْقَدُ فِيهَا الْأَمَلَا

\*\*\*

سَدَّدِ الرَّأْيَ وَحَاذِرْ كَيْدَهُ      كُلُّ مَا يَأْتِي بِهِ زُورٌ وَمَيِّنُ<sup>(٢)</sup>

(١) الثمل : النشوان من السكر .

(٢) المئين : الكذب .

إِنْ سَقَاكَ الْمَاءَ فَاتْرُكْ وَزِدْهُ      وَتَمُتْ ظَمَانَ حُرّاً كَالْحُسَيْنِ

\*\*\*

لَا تُصَدِّقْ مِنْهُ مَا تَسْمَعُهُ      فَهُوَ تَخْدِيرٌ مَبِيدٌ لِلْبَشَرِ  
وَاحْذَرِ الْكُخْلَ الَّذِي يَصْنَعُهُ      إِنَّهُ الْكُخْلُ الَّذِي يُعْمِي الْبَصَرَ

\*\*\*

ضَاقَ صَدْرِي بِأَمِيرِ الْقَافِلَةِ      لَيْسَ فِيهِ وَمُضَّةٌ<sup>(١)</sup> مِنْ لَا إِلَهَ  
عَابِدُ الْمَالِ يَحِبُّ الْعَاجِلَةَ      عَبْدُ جَسْمٍ عَبْدُ نَفْسٍ عَبْدُ جَاهِ

\*\*\*

كَانَ بِالتَّوْحِيدِ مَرْفُوعَ الْعِلْمِ      يَنْشُدُ الْمَجْدَ طَرِيفاً وَتَلِيداً  
ذَلِكَ الْمَوْلُودُ فِي ظِلِّ الْحَرَمِ      مَا لَهُ أَضْبَحَ لِلْغَيْرِ مُرِيداً

\*\*\*

أَيُّنَ مَنْ كَانَ بِهِمْ يَسْتَرْشِدُ      كُلُّ مَرْتَابٍ فِيحْظَى بِالْيَقِينِ  
وَتَرَى الْأَرْضَ إِذَا مَا سَجَدُوا      رُزِلَتْ مِنْ جَبَّهَاتِ السَّاجِدِينَ

\*\*\*

فِي دَوِيِّ الْهَوْلِ كَانُوا يُعْلِنُونَ      تَحْتَ ظِلِّ السَّيْفِ تَوْجِيدُ الْإِلَهِ  
بِمِدَادِ مَنْ دُمَاءٌ يَكْتَبُونَ      رَبُّنَا اللَّهُ وَلَا نَخْشَى سِوَاهُ

\*\*\*

أَيُّنَ ذَاكَ الشَّوْقُ وَالْقَلْبُ الصَّبُورُ      وَمَرَايَا الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ  
قَدْ طَوَّنَهَا فِي تَوَالِيهَا الْعُصُورُ      وَتَوَارَتْ فِي اللَّيَالِي الْخَالِيَاتِ

\*\*\*

---

(١) وَمُضَّةٌ : لَمْعَةٌ خَفِيفَةٌ .

قَدْ بَلَّوْتُ الرِّقَّ<sup>(١)</sup> مُنْذُ الْإِبْتِدَاءِ      لَمْ يَكُنْ مَهْدِي فِي أَرْضِ الْحَرَمِ  
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ يَغْرُونِي الْحَيَاءُ<sup>(٢)</sup>      حِينَ يَدْعُو بِاسْمِهِ الْغَالِي فَمِي

\*\*\*

لَكَ قَلْبٌ وَمَعَ الْقَلْبِ ضَمِيرٌ      أَمْ غَدَا صَدْرُكَ لِلْأَصْنَامِ دَيْرًا<sup>(٣)</sup>  
أَنْتَ لِلْغَاصِبِ مُحْكُومٌ أَسِيرٌ      تَحْتَ حُكْمِ الْغَيْرِ لَنْ تَصْنَعَ خَيْرًا

\*\*\*

تَدَّعِي الْحُبَّ لِخَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ      أَكْذَبُ الْأَقْوَالِ مَا لَمْ يَبْدُ فِعْلًا  
وَإِذْ لَمْ يَتَّبِعِ الْقَوْلَ اقْتِدَاءً      لَمْ يَكُنْ لِلْحُبِّ أَوْ لِلْقُرْبِ أَهْلًا

\*\*\*

لَذَّةُ الْإِيمَانِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ      قَلَّ أَنْ يُذْرِكَهَا عَبْدٌ ذَلِيلٌ  
مُسْلِمٌ مُسْتَسْلِمٌ لِلطَّامِعِينَ      آزْرِي<sup>(٤)</sup> حَادَ عَنِ دِينِ الْخَلِيلِ

\*\*\*

صَلَوَاتُ الْحَرِّ بَعَثٌ لِلشُّعُورِ      فَهِيَ مِغْرَاجٌ إِلَى الْعَيْشِ الْكَرِيمِ  
وَصَلَاةُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ حُضُورِ      عَادَةٌ جَوْفَاءُ فِي رَسْمِ قَدِيمِ

\*\*\*

إِنَّ لِلْأَحْرَارِ فِي الْعِيدِ السَّعِيدِ      مَظْهَرُ الْعِزَّةِ فِي دُنْيَا وَدِينِ  
وَلَدَى الْأَسْرَى وَفِي عَيْشِ الْعَبِيدِ      يُضْبِحُ الْعِيدُ هَجْوَ الْمُؤْمِنِينَ

\*\*\*

(١) الرِّقُّ : العُبودِيَّةُ .

(٢) يعروني الحياءُ : يُصيبني الحياءُ .

(٣) دَيْرًا ، مصدر من دَارَ يَدُورُ ، أَي : طَافَ حَوْلَهُ .

(٤) آزْرِي : نسبة إلى آزر والد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

## إلى الأمة العربية

خَصَّصَ محمد إقبال قصيدةً من أبداع قصائده للحديث مع الأمة العربية ، ليسجل فيها فضلها وسبقها في حمل الرسالة الإسلامية ، والأخذ بيد الإنسانية ، وافتتاحها لتاريخ جديد وفجر سعيد ، وسرعان ما ينتقل إلى موضعه الحبيب الأثير ، فيذكر الشخصية الحبيبة التي كانت على يدها نهضة هذه الأمة وسعادتها ، بل نهضة الإنسانية وسعادتها ، فيرسلُ على عادته النفسَ على سجيته ، ويعطي القلب والعاطفة زمامه ، ويسترسلُ في الحديث ، فيقول :

« أيتها الأمة العربية ! التي كتب الله لباديتها وصحرائها الخلود ، مَنْ الذي سَمِعَ العالم منه نداء « لا قيصر ولا كسرى » لأول مرة في التاريخ<sup>(١)</sup> ، ومن الذي أكرمه الله بالسَّبْقِ إلى قراءة القرآن ؟ مَنْ الذي أطلعه على سرِّ التوحيد ، فنادى بأعلى صوته : « لا إله إلا الله » ، وما هي البقعة التي اشتعل فيها هذا السراج الذي أضاء به العالم ؟ هل العلم والحكمة إلا فئاتٌ مائدتكم ، وهل قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَتْمُ بَنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] إلا وصف حالكم ، إِنَّ نَفْسَ ذَلِكَ الأُمِّي أعاد على هذه الصحراء الخِصْبَ والنمو ، فأنبتت الأزهار والرياحين ، إِنَّ الحرية نشأت في أحضانه ، وَإِنَّ حاضِرَ الشعوب ليس إلا وليد أمسه ، إِنَّ الجسد البشري كان بلا قلبٍ وروح ، فأعطاه القلب والرُّوح ، وكشف اللثام عن جمال وجهه ، إِنَّهُ حَطَمَ كُلَّ صنمٍ قديم ، وأفاض الحياة على غصنٍ ذاوٍ من أغصان

(١) يشير إلى الحديث المشهور : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده » .



العلوم والمدنية ، وأنجب أبطالاً وقادةً مؤمنين ، أقاموا المعارك الفاصلة بين الحق والباطل ، فتارةً يدوي الأذان في ساحة الحرب ، وتارةً يتجلى الأذان بقراءة « الصافات »<sup>(١)</sup> بين صليل السيوفِ وصهيل الخيول ، إنَّ سيف البطل المغوار كصلاح الدين الأيوبي ، ونظرة الزاهد الأواب كأبي يزيد البسطامي مفتاحان لكنوز الدنيا والآخرة .

إنَّ العقل والقلب يجتمعان تحت لوائه ، وإنَّ ذكرَ جلال الدين الرومي ، وفكرَ فخر الدين الرازي يلتجئان تحت ردائه ، إنَّ العلم ، والحكمة ، والشرع ، والدين ، والملك والإدارة ، ولوعة القلوب مقتبسةً من نوره ، وليست « الحمراء » في غرناطة ، وقصر « التاج » في آكره<sup>(٢)</sup> ، اللذان خضع لجمالهما وجلالهما كبار الفنانين الناقدين ، وعظماء العباد الزاهدين ، ليس إلا صدقةً من صدقات بعثته ، ومظهرًا من مظاهر عبقرية أمته ، إنَّ بعض مظاهره تجلَّى في سموِّ ذوق أمته ، وسلامة تفكيرها ، وجمال فنها ، أما باطنه فقد تقاصر عن إدراكه كبار العارفين .

لقد كان الإنسان حفنةً من تراب ، وقبضةً من أشلاء وعظام ، لا يدري ما الكتاب ، ولا الإيمان ، فعرفه بالعلم والإيمان ، وأذاقه لذة العبادة والإحسان ، فجزاه الله عن الإنسانية أفضل الجزاء .

يذكر إقبال الأمة العربية عهدا قديما قبل البعثة حين كان نظام العرب فوضى ، يعيشون كالبهائم التي لا همَّ لها في الحياة إلا الأكل والشرب ، وكان مثلهم كمثل السيف المفلول يترأى للناظر لامعاً قاطعاً ، ولكن ليست له طَبَّة فهو لا يُنتفعُ به ، فيقول الشاعر :

(١) يشير إلى سورة الصافات .

(٢) يعني « التاج محل » الذي بناه الإمبراطور المغولي « شاه جهان » ، ويعتبر آية في الفن المعماري ، ويأتي إليه الجوالون والزائرون من أقاصي البلاد .

« أيها العرب قد منَّ الله عليكم ؛ إذ جعلكم مثل السيف البتار أو أحدَّ منه ، وكنتم فيما قبل ترعون الإبل في الصَّحراء ، تركبون عليها ، وتظعنون بها ، ثم انعكست الآية ، فسخر الله لكم المقادير ، فضلاً عن الإبل ، فأصبحتم من مالكي أعتَّها ، فلو أقسمتم على الله لأبرَّكم ، وهنالك دوت تكبيراتكم وصلواتكم ، وزمزت جلبة حروبكم ومغازيكم بين الخافقين ، فارتجَّ بها ما بين الشرق والغرب ، فما أحسن تلك المغامرات ، وما أجمل تلك الغزوات . »

وبعدما يمدحهم الشَّاعر ، ويذكرُ حماسَتهم الإسلامية ، وغضبَتهم المضرية في الله ورسوله ، ويبيدي فرحَه وسروره ، يقف برهة ، ويملكه الحزن والتألم بما يرى من خمود العرب بعد النشاط ، والإحجام بعد الإقدام ، والفُرقة بعد الوَحدة ، والعبودية بعد السيادة ، والاتباع بعد القيادة ، ويقبل إليهم مخاطباً معاتباً ، ويقول :

« أسفاً على هذا الخمود والجمود ، أيها العرب ! ألا ترون إلى الأمم الأخرى ، كيف تقدَّمت وسبقت ! أما أنتم فما قدَّرْتُم قدَّرَ هذه الصحراء التي نشأتم فيها ، وهذه الحرية التي ورثتموها ، كنتم أمةً واحدةً ، أمةً الإسلام ، فصرتم اليوم أمماً ، وكنتم حزباً واحداً ، حزب الله ، فأصبحتم أحزاباً ، لقد فرقتم جمعكم ، ومزقتم شملكم ، وانقسمتم على أنفسكم . »

اعلموا أيها السادة ! أنَّ منْ ثار على شخصيته وكرامته ، وفقد الثقة بنفسه مات ، ومُحي من الوجود ، ومن فرَّ من معسكره وانحاز إلى صفوف الأعداء ، وتطفَّل على مائدتهم ، عوقب بالهوان والشقاء ، والطَّرْد والجلاء ، ألا إنه لم يجنِ عدوُّ على عدوِّ مثل ما جنيتم أنتم على أنفسكم ، ولم يُسء أحدٌ إلى أحدٍ إساءتكم إلى أمتكم ، إنكم آذيتم روحَ رسول الله ﷺ بصنيعكم ، فهي متألِّمة متوجَّعة شاكِبةٌ مستغيثةٌ . »

الشاعر عارف بمكائد الإفرنج ، وما لديهم من سهام مسمومة ، وحبائل

منصوبة ، وهو شديد المعرفة بهم ، وقد عاش فيهم ، ودرّسهم وخبّرهم ، فهو يتألّم إذ يرى في الأمة العربية من يُحسنُ الظنَّ بهم ، ويعتمد عليهم في بناء صرح الحياة ، وفضّ المشكلات ، فيرسل صيحته ، وينذرهم من المصير المظلم المؤلم ، ويقول :

« مهلاً أيها الغافلون ! إياكم والركونَ إلى الإفرنج ، والاعتمادَ عليهم ، ارفعوا رؤوسكم ، وانظروا إلى الفتن الكامنة في مطاوي ثيابهم ، ألا إنه لا حيلةَ لكم ولا وزر إلا أن تطردوهم عن منهلكم ، وتذودوهم عن حوضكم ، إنَّ حكمةَ الغرب قد أسرت الأمم ، وتركتها سلبيةً حزينةً لا تملك شيئاً ، إنَّها مزقت وخذت العرب ، واقتسمت تراثهم ، إنَّ العرب لما وقعوا في حبالهم تنكّر لهم كلُّ شيء ، وقسا عليهم هذا الكون ، ولم يحدوا من يرثي لهم ، ويرفّق بهم ، وضاحت عليهم الأرض بما رَحَّبَتْ وضاحت عليهم أنفسهم » .

وبعدما يفيض الشاعر في بيان شرور الإفرنج ومكائدهم ، ويحذّر العرب من الانسياق إليهم والوقوع في شركهم يُقبل إلى تشجيع العرب والترفيه عنهم ، ويقول :

« إنَّ الله قد رزقكم البصيرة النافذة ، ولا تزالُ فيكم الشرارةُ كامنةً ، فقوموا أيها العرب ! وردّوا فيكم روحَ عمر بن الخطاب مرّةً أخرى ، إنَّ منبع القوة ومصدرها هو الدين ، منه يستمد المؤمن العزم واليقين ، وما دامت ضمائركم أمينةً للسرِّ الإلهي ، فيا عمارَ البادية ! أنتم الحراسُ للدين ، وأمناءُ الله في العالمين .

إنَّ غريزتكم العربية الإسلامية ميزانٌ للخير والشرِّ ، وأنتم ورثةُ الأرض ، إذا تألّق نجمكم في آفاق السماء أفلّت نجومُ الآخرين ، وطُويَ بساطهم ، لن تسعهم الصحراء والفيافي ، فاضربوا خيمتكم في وجودكم ، الذي يسع الآفاق ، كونوا أسرع من العاصفة ، وأقوى من السَّيل ، حتى تُسرِّعَ ركائبكم في مضمار الحياة ، وتسبقَ الريح .

ليت شعري ! مَنْ خَلَّفَكُمْ فِي الْحَيَاةِ ؟ إِنَّ الْعَصْرَ الْحَاضِرَ وَلِيدُ نَشَاطِكُمْ ،  
وكفاحكم ، وصنيعُ جهادِكُمْ ودعوتِكُمْ ، وما زلتم سادته ، وولاته حتى أَفَلَتَ  
زمامه منكم ، فتنبأه الغربُ وامتلكه ، ومن ذلك اليوم فَقَدَ هذا العصر وهذا  
المجتمعُ الإنسانيُّ شرفه وكرامته ، وأصبح تحت ولايته منافقاً خليعاً ، نائراً على  
الدين .

فيا رجلَ البادية ! ويا سيّدَ الصَّحراء ! عُدْ إِلَى قَوَّتِكَ وَعِزَّتِكَ ، وامتلك ناصية  
الأيام ، وخذ عنان التاريخ ، وخذ قافلة البشرية إلى الغاية المثلى .

وهنا نبذة أخرى من أبياته يشكو فيها إلى روح رسول الله ﷺ ضياع الأمة  
الإسلامية ، وانطفاء شعله الحياة والإيمان في نفوس العرب ، ويشكو وَخَدَّتُهُ  
وغربته في هذا المجتمع الإسلامي البارد الجامد ، ويناجيه مناجاةً من قام بين  
يديه ، وأذِنَ له في الكلام ، ويقول :

« لَقَدْ تَشَتَّتَ شَمْلُ أُمَّتِكَ يَا مُحَمَّد ! يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِلَى أَيْنَ يَلْجَأُ الْمُسْلِمُ  
الْحَزِينُ ، وَإِلَى مَنْ يَأْوِي ؟ لَقَدْ سَكَنَ بَحْرَ الْعَرَبِ الْمَضْطَرِبَ الْمَائِجَ ، وَفَقَدَتِ  
الْأُمَّةَ الْعَرَبِيَّةَ ذَلِكَ اللَّوْعَ ، وَذَلِكَ الْقَلْقَ ، الَّذِي عُرِفَتْ بِهِ ، فَإِلَى مَنْ أَشْكُو أَلْمِي ،  
وَأَيْنَ أَجِدُ مَنْ يَسَاعِدُنِي عَلَى آلامِي وَأَحْزَانِي ؟ وَمَاذَا يَفْعَلُ حَادِي أُمَّتِكَ ، وَكَيْفَ  
يَقْطَعُ الطَّرِيقَ الشَّاسِعَ ، وَيَطْوِي السَّفَرَ الْبَعِيدَ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ وَالْمَهَامِهِ ، وَقَدْ ضَلَّ  
سَبِيلَهُ ، وَفَقَدَ زَادَهُ ، وَانْقَطَعَ عَنِ الرِّكْبِ ، بِاللَّهِ ! قُلْ لِي مَاذَا يَصْنَعُ حَامِلُ  
دَعْوَتِكَ ، الْمُؤْمِنُ بِرِسَالَتِكَ ، وَأَيْنَ يَجِدُ زَمَلَاءَهُ وَرُفَقَتَهُ ؟ » .

ويؤلم الشاعر أن يرى العرب لا يزالون ينظرون إلى الأوربيين الإنجليز  
والأمريكيين كأصدقاء مخلصين ، وأعوان مُتَجِدِّين يَحْلُون لَهُمْ مُشْكَلَةً  
اللاجئين ، ويردُّون إليهم أرضَ فلسطين ، مع أنهم لا يزالون تحت سيطرة اليهود  
ونفوذهم السياسي والاقتصادي والصحافي ، يقول :

« أَنَا أَعْلَمُ جَيْدًا يَا إِخْوَتِي الْعَرَبُ ! أَنَّ النَّارَ الَّتِي شَعَلَتْ الزَّمَانَ ، وَبَهَرَتْ

التاريخ ، لم تزل ولا تزال تشتعلُ في وجودكم ، صدّقوا أيها السادة ! إنه لا دواء لكم في جنيف ، ولا في لندن ، لأنكم تعلمون أنّ اليهود لا يزالون يتحكّمون في سياسة أوربة ، ولا يزالون يملكون زمامها ، إنّ الأمم لا تذوقُ طعم الحرية والاستقلال حتى تربى فيها الشخصية والاعتداد بالنفس ، وتعرفُ لذة الظهور .

وأخيراً يقول كلمة صريحة مركزة بليغة مع تلطّفٍ واعتذارٍ :

« معذرةٌ يا عظماء العرب ! لقد أراد هذا الهندي<sup>(١)</sup> أن يخاطبكم ، ويقول لكم كلمة صريحةً ، فلا تقولوا أيها الكرام : هندي ، ونصيحةً للعرب ؟ إنكم كنتم يا معشر العرب ! أسبقُ الأمم إلى معرفة حقيقة هذا الدّين ، وإنه لا يتمُّ الاتصال بمحمد ﷺ إلا بانقطاع عن « أبي لهب » ، وإنه لا يصح الإيمان بالله إلا بالكفر بالطّاغوت ، كذلك لا تتمُّ الفِكرَةُ الإسلاميّة إلا بإنكار القوميات ، والوطنيات ، والفلسفات المادية ، إنّ العالم العربيّ أيها السادة ! لا يتكوّن ، ولا يظهر إلى الوجود بالشغور والحدود ، وإنما يقومُ على أساس هذا الدّين الإسلاميّ وعلى الصلة بمحمد ﷺ »<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

وإليك هذه القصيدة المُصاغة شعراً بالعربية ، يقول إقبال :

شعبَ العُروبةِ والمجدِ المؤنَّثِ<sup>(٣)</sup> في بدوٍ وفي حَضْرٍ حتّى ضُحى المحشرِ  
مَنْ الَّذِي حَرَّرَ الدُّنْيَا لخالقها وأسمَعَ الخلقَ لا كِسْرَى ولا قَيْصَرَ

\*\*\*

(١) لا يعزبن عن البال أن محمد إقبال توفي قبل ولادة باكستان بعشر سنوات ، وقبل أن تكون هناك جنسية باكستانية .

(٢) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي ص ١٢٤ - ١٣٥ .

(٣) المؤنَّثِ : المبني الأصيل .

من قبلكم أبلغ الآياتِ ناطقةً      بوحى من خلق الدنيا وسواها  
من غيركم رفع المِصباحِ مؤتلقاً      ووحد الخلقَ لما وحد الله

\*\*\*

لم يطعم الناسُ إلا في موائدكم      علماً شهياً وتهذيباً وعِزفانا  
في شأنكم أرسل الله الكتابَ فأصد      سبحتم بنعمته في الخيرِ إخوانا

\*\*\*

من حوّل البيدَ روضاً والحصى دُرراً      وأنبت الوردَ في الصحراءِ للعربِ  
أستغفرُ الله ما غيرُ النبيِّ بها      أغنت مكارمه فيها عن الشُّحْبِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

فكلُّ معبودٍ قديمٍ في الشعوبِ هوى      بعزمه ساجداً لله إكبارا  
وكلُّ غصنٍ هشيمٍ من نداه غدا      يُجددُ الحُسنَ أوراقاً ونوَّارا

\*\*\*

واهاً لها جذبات طالما حَفَزَتْ      منّا الخطأ وأثارت للعلا همما  
قد أبدلتنا الليالي من سعادتها      ياساً مريراً ومن أنوارها ظلماً

\*\*\*

كلُّ الشعوبِ أعدت من مواردها      حِصْنَ الرِّخاءِ وصارت للمنى قَدَما  
وملء صحرائكم لو تعلمون غنى      وثورةً وكنوزٌ تُغديقُ النِّعما

\*\*\*

كيف انقضى حفلكم وانفضَّ سامركم<sup>(٢)</sup> وكان بالأمسِ مثلَ العَقْدِ منتظما

(١) سُحْب ، جمع السحاب : هو الغيم سواء أكان فيه ماء أم لم يكن .

(٢) سَامِر : هو من يتحدث مع زميله في الليل .

تَوَحَّدَتْ مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ أُمَّتُكُمْ      مَا بِأَلْهَا انْقَسَمَتْ فِي أَرْضِكُمْ أُمَّمَا

\*\*\*

قَدْ خَادَعْتَكُمْ مِنَ الْمُسْتَعْمِرِينَ يَدٌ      سُمُّ الْعِقَارِبِ فِي أَكْمَامِهَا اسْتَتَرَا  
كَمْ أَهْدَرُوا مِنْ شُعُوبٍ آدَمِيَّتَهَا      كَمْ أَيْقَظُوا فِتْنًا ، كَمْ أَفْسَدُوا فِطْرَا

\*\*\*

تَوَارَتْ الْعَرَبُ الْأَحْرَارُ وَخَدَّتْهُمْ      مَدَى عَصُورٍ وَأَجْيَالٍ وَأَزْمَانِ  
حَتَّى إِذَا جَاءَ الْاسْتِعْمَارُ قَسَمَهَا      إِلَى شُعُوبٍ وَأَقْوَامٍ وَأَوْطَانِ

\*\*\*

اضْرِبْ خِيَامَكَ فِي دُنْيَا وَجُودِكَ لَا      تَقِفْ بِهَا عِنْدَ رَسْمِ الدَّارِ وَالِدَمَنِ (١)  
وَادْفَعْ بِنَاقَتِكَ الْمِيدَانَ أَسْبَقُ مِنْ      رِيحِ الصَّحَارَى وَأَنْفِذْ وَخْدَةَ الْوَطَنِ

\*\*\*

يَا أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ انظُرْ لِعَصْرِكَ فِي      دُنْيَا يَفُوزُ بِهَا مِنْ أَحْكَمِ النَّظَرَا  
بِالسَّلْمِ بِالْعَدْلِ تَبْنِي مَا تُؤَمِّلُهُ      إِنْ شِئْتَ لِلْأَرْضِ عُمرَانًا فَكُنْ عُمرَا

\*\*\*

تُعَادُ هُنَا نَفْسُ هَذِهِ الْمَنْظُومَةِ فِي صِيَاغَةٍ أُخْرَى ، يَقُولُ :

( ١ )

أُمَّةَ الصَّحْرَاءِ يَا شَغَبَ الْخُلُودِ      مَنْ سِوَاكُمْ حَلَّ أَغْلَالَ الْوَرَى  
أَيُّ دَاعٍ قَبْلَكُمْ فِي ذَا الْوُجُودِ      صَاحٍ لَا كَسْرَى هُنَا لَا قِصْرَا

\*\*\*

---

(١) الدَّمَنِ ، جمع الدَّمْنَةِ : وهي آثار الدَّارِ .

من سواكم في حديثٍ أو قديم  
هاتفاً في مسمعِ الكونِ العظيم  
أطلعَ القرآنَ صُبْحاً للرَّشادِ  
ليسَ غيرَ اللهِ ربّاً للعبادِ

\*\*\*

حدُّوني اليومَ عن أيِّ حيوانٍ  
يا مصابيحَ التَّأخِي<sup>(٢)</sup> والتَّفاني  
قدَّمَ الحِكْمَةَ قوتاً للْفِطْنِ<sup>(١)</sup>  
أنزَلَ اللهُ فأضْبَحْتُمْ لِمَنْ

\*\*\*

( ٢ )

وابلٌ من فيضِ أمِّي اللَّقْبِ  
أنبتَ الزَّهْرَ بِصَخْرَاءِ العَرَبِ  
الكريمُ الفَزْدُ في كُلِّ الكِرامِ  
بل سقى في القَفْرِ بُسْتَانَ الوِثَامِ

\*\*\*

يُهْدِي الحَرْيَّةَ العلياً أنار  
يومها الحاضرُ في كلِّ الدِّيَارِ  
فهي روضٌ مُونقٌ من غزِيسِه  
لَمْ يُنْزِ إِلا بِذِكرِ أمْسِه

\*\*\*

كلُّ صَدْرٍ من بقايا آدمَ  
منَحَ الإنسانَ مُلكَ العَالِمِ  
صاغَ فيه لِلْعُلا قلباً جديداً  
بَعْدَ ما عَلَّمَهُ النَّهْجَ الرَّشِيدَا

\*\*\*

كلُّ ربٍّ غيرَ خلاقِ النَّسَمِ  
كلُّ عُضْنٍ كانَ في يَبْسِ العَدَمِ  
صارَ من عَزَمَتِهِ تَحْتَ الثَّرَى<sup>(٣)</sup>  
بِنَدَاةِ اخْضَرٍّ حَتَّى أُنْمَرَا

(١) فِطْنٍ : الفهم الذكي .

(٢) التَّأخِي ، مصدر من تَأَخَى فلاناً : اتَّخَذَهُ أَخاً .

(٣) الثَّرَى : التُّراب التُّدِي .



( ٣ )

لا تسلني الآن عن ثورته      إنها ميدان بذرٍ وحنين  
في أبي بكرٍ وفي صاحبه      في عليٍّ ثمَّ في صبرِ الحسين

\*\*\*

سيفُ أيوبَ وتقوى بايزيد      فيهما مفتاحُ كنزِ العالمين  
أسكرَ الدنيا بجامٍ واحدٍ      فحوى الدنيا وضمَّ المشرقين

\*\*\*

ها هنا الحكمةُ والدين القويم      وهناك الحكمُ للدنيا يُقام  
كلُّ قلبٍ فيه للمجدِ الصميم      ثورةٌ تعلو به فوق المرام

\*\*\*

( ٤ )

لا تقلُ أين ابتكارُ المسلمين      وسلِ الحمراءِ واشهدُ حُسنَ تاج<sup>(١)</sup>  
دولةً صارَ ملوكُ العالمين      نحوها طوعاً يؤدُّون الخراج

\*\*\*

دولةٌ تقرأ في آياتها      مظهرَ العزةِ والمُلْكِ الحصين  
وكنوزُ الحقِّ في طياتها      دونها حارتُ قلوبِ العارفين

\*\*\*

---

(١) تاج : يُريد به الشاعر « تاج محل » الذي بناه جهانكير ، ويُعدُّ اليوم من العجائب السبعة في العالم .

( ٥ )

أرسل الشُّكْرَ إلى غير انتهاء      لِنَبِيِّ اللَّهِ قُدْسِيِّ الْجَنَابِ<sup>(١)</sup>  
أشعل الإيمان ناراً بالعراء      أوقد الثُّور بكفٍّ من تُراب

\*\*\*

وجباهُ الله مِنْ عَلَيَّائِهِ      عَزْمَةٌ فَلْ بِهَا سَيْفَ الْغَيْرِ  
راكبُ النَّاقَةِ فِي صَخْرَائِهِ      سَارَ فِيهَا رَاكِباً خَيْلَ الْقَدَرِ

\*\*\*

كَبَرُوا لِلَّهِ فِي ظِلِّ الْحُرُوبِ      وصفوفاً تَحْتَ ظِلِّ الْمَسْجِدِ  
ضَجَّةٌ دَانَتْ لَهُمْ فِيهَا الشُّعُوبُ      وارتَقَوْا فِيهَا مَكَانَ الْفَرْقَدِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

( ٦ )

ويُكَانَ لَمْ تُشْرِقُوا فِي الْكَائِنَاتِ      يَهْدِي الْإِيمَانَ وَالنَّهْجَ الرَّشِيدَ  
ونسيتُمْ فِي ظِلَامِ الْحَادِثَاتِ      قِيمَةَ الصَّحْرَاءِ فِي الْعَيْشِ الرَّغِيدِ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

كُلُّ شَعْبٍ قَامَ بَيْنِي نَهْضَةٌ      وَأَرَى بَيْنَانَكُمْ مُنْقَسِمًا  
فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ كُنْتُمْ أُمَّةً      لَهْفَ نَفْسِي كَيْفَ صِرْتُمْ أُمَّةً

\*\*\*

---

(١) الْجَنَابُ : النَّاحِيَةُ .

(٢) الْفَرْقَدُ : نَجْمٌ قَرِيبٌ مِنَ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ ثَابِتُ الْمَوْقِعِ تَقْرِيْبًا وَلِهَذَا يُهْتَدَى بِهِ . وَهُوَ الْمَسْمُومُ بِـ « النَّجْمِ الْقُطْبِيِّ » .

(٣) الرَّغِيدُ : الْعَيْشُ الطَّيِّبُ الْوَاسِعُ .

كُلُّ مَنْ أَهْمَلَ ذَاتَيْتَهُ      فهو أولى النَّاسِ طُرّاً بِالْعَنَاءِ  
لَنْ يَرَى فِي الدَّهْرِ قَوْمِيته      كَلُّ مَنْ قَلَّدَ عَيْشَ الْغُرَبَاءِ

\*\*\*

فَكَّرُوا فِي عَضْرِكُمْ وَاسْتَبَقُوا      طَالَمَا كُنْتُمْ جَمَالاً لِلْعَضْرِ  
وَامْلُؤُوا الصَّحْرَاءَ عِزْماً وَاخْلُقُوا      مِرَّةً أُخْرَى بِهَا رُوحَ عُمَرِ

\*\*\*

## والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق<sup>(١)</sup>

يندّد إقبال في هذه الأبيات بمغامرات الإفرنج ، ومؤامرات الغاصبين ،  
وسخريتهم بحقوق الشعوب ، وتمزيقهم للدُّول الصغيرة غنائم فيما بينهم ،  
ولكن التطوُّر السَّريع والثورات المتوالية في الشرق والغرب ، غيَّرت الكثير من  
الأوضاع التي يشكو منها إقبال ، يقول مخاطباً للأمة العربيَّة - بعد أن وجَّهَ إليها  
خطابه - :

تِيسُّ الخلائقُ في الأرض طُراً      وقد سامها الغزبُ عَسفاً وَجُوراً<sup>(٢)</sup>  
فيا أممَ الشَّرْقِ فيمَ التَّواني      لقد آن أن يُضْبِحَ الشَّرْقُ حُرّاً

\*\*\*

أكادُ أرى ثورةً في التُّفوس      تشدُّ الحياة إلى المجدِ جَراً  
مضى الليلُ وانجابَ عَهْدُ الظَّلامِ      وبَعْدَ الدُّجى يَعْقُبُ الليلَ فَجْراً

\*\*\*

وما بَرِحَ الغزبُ يَخْتالُ تِنها<sup>(٣)</sup>      وَيَخْتَرِفُ الكَيْدَ لِلعَالَمِينَ  
لينشَرَ في الكونِ إلْحادَهُ      وَيُنشِئُ دُنيا على غَيْرِ دِينِ

\*\*\*

وَيَسْتَبْطِنُ الدُّثْبُ في جِلْدِ شاةٍ      بأنيابِهِ العُضْلِ<sup>(٤)</sup> خَلْفَ الكَمِينِ

(١) بهذه الجملة وضع إقبال العنوان لهذا الكتاب .

(٢) جُوراً : ظلماً .

(٣) تِنها : ضللاً .

(٤) العُضْلِ : المعوجة .

أرى مشكلات بني آدم يزيدُ بهم شرُّها كلَّ حين

\*\*\*

فَمَا قَدْرُ إِنْسَانٍ هَذَا الْوُجُودِ      لَدَيْهِمْ سِوَى هَيْكَلٍ مِنْ تُرَابٍ  
تَشَكَّلَ فِي الْخَلْقِ مَاءٌ وَطِيناً      وَبِنَائِهِ صَائِرٌ لِلْخَرَابِ

\*\*\*

وَقَافِلَةُ الْكَوْنِ ضَلَّتْ خُطَاهَا      بِحِكْمَتِهِمْ عَنِ طَرِيقِ الصَّوَابِ  
لَأَطْمَاعِهِمْ كُلُّ شَرٍّ مُبَاحٍ      وَمَا لِلضَّمِيرِ عَلَيْهِمْ حِسَابِ

\*\*\*

وَلِلْحَقِّ فِي كُلِّ شَيْءٍ دَلِيلٌ      وَمِنْ نُورِهِ كُلُّ مَا تُبْصِرُونَ  
وَفِي كُلِّ مَعْنَى لَهُ حِكْمَةٌ      يَفُوزُ بِأَسْرَارِهَا الْعَارِفُونَ

\*\*\*

إِذَا شَهِدُوا آيَةَ اللَّهِ عَاشُوا      أَبَاةً عَلَى الضَّيْمِ<sup>(١)</sup> لَا يَزْهَبُونَ  
لَقَدْ نَظَرُوا فَاسْتَبَانُوا الْهُدَى      بِإِدْرَاكِهِمْ أَفْلا يَنْظُرُونَ

\*\*\*

وَلِلْمُؤْمِنِ الْحَرِّ مِنْ رَبِّهِ      هُدَى فِي الْحَيَاةِ وَنُورٌ مَبِينٌ  
وَفِي قَلْبِهِ لَوْعَةٌ<sup>(٢)</sup> وَاشْتِيَاقٌ      وَعَظْفٌ عَلَى مِخْنَةِ الْآخِرِينَ

\*\*\*

---

(١) الضَّيْمُ : الظلم أو الإذلال ونحوهما ، جمعه : ضَيُوم . قال المثقَّب العبدِي :  
ونحني على الثغر المخوفِ ونَتَقِي بغارتنا كيدَ العِدَا وضَيُومَهَا  
(٢) لَوْعَةٌ : حرقه في القلب وألم يجده الإنسان من حب أو هم أو حزن أو نحو ذلك .

إذا العِلْمُ حَلٌّ بِقَلْبِ الْفَتَى      أحلّ به خَشْيَةَ الْمُتَّقِينَ  
ويزدادُ خَوْفًا مِنْ اللَّهِ حَتَّى      يردُّ الأمانَ إلى الخائِفينَ

\*\*\*

هو العِلْمُ لنا فيه كيميَاءُ      إلى قدرةِ اللَّهِ يَهْدِي البَصَرَ  
فيا أسفا لَيْسَ لِلْغَرْبِ مِنْهُ      سوى حيرةٍ في دياجي الفِكْرِ

\*\*\*

فَلَمْ يُجِبْهُ العِلْمُ عَقْلاً سَوِيًّا      يُفَرِّقُ ما بَيْنَ خَيْرٍ وَشَرٍّ  
فلا يَنْبِعُ الطُّلُّ مِنْ جَفْنِهِ      وفي صَدْرِهِ قِطْعَةٌ مِنْ حَجَرٍ

\*\*\*

فبالعلمِ كانَ رقيُّ الحِياةِ      تضيءُ القرونُ به والعَصْرُ  
فَحَوَّلَهُ الْغَرْبُ سِيفًا رَهِيًّا      لِمَخْوِ البوادي وَقَتْلِ الحَضَرِ

\*\*\*

تصيرُ الملائكُ لو جَاوَزَتْهُمُ      معاولٌ<sup>(١)</sup> هَذْمٌ لِمَخْوِ البَشَرِ  
ولو كانتِ الأَرْضُ جَنَّةً عَدْنٍ      لِسُكَّانِهَا جَعَلَوْهَا سَقَرًا

\*\*\*

غدا مظهرُ العِلْمِ في عَضْرِهِمُ      بكلِّ الشُّعوبِ خِداعًا وَسِخْرًا  
معاذَ الحِقيقةِ ، ما ذاكِ سِخْرٌ      لقد بدَّلوا نعمةَ اللَّهِ كُفْرًا

\*\*\*

لَهُمْ فِتْنٌ تَجْعَلُ الوَرْدَ شوْكَاً      وتُوقِدُ في رَوْضَةِ الأمانِ جَمْرًا

(١) المَعاول جمع المِغُول : آلة من الحديد يُنقر بها الصخر ، ويُهدم بها البيوت .

خُذِ السَّيْفَ مِنْ عُصْبَةِ الْمُعْتَدِينَ إِذَا كُنْتَ تَتَشَدُّ لِلْحَقِّ نَصْرًا

\*\*\*

لَقَدْ آَنَّ لِلرُّوحِ أَنْ تَسْتَفِيقَ وَلِلشَّرْقِ أَنْ يَسْتَبِينَ الدَّلِيلَا  
لِيَجْعَلَ أَنْقَاشَ هَذَا الْبِنَاءِ عَلَى الظَّالِمِينَ كَثِيبًا مَهِيلَا

\*\*\*

إِذَا الْعَقْلُ أذْعَنَ لِلْقَلْبِ حَكْمًا وَإِنْ لَمْ يُجِبْ دَاعِيَ الْقَلْبِ أَضْحَى  
رَأَى طَاعَةَ اللَّهِ أَهْدَى سَبِيلَا كِبَابِلِسَ مَكْرًا وَشَرًّا وَيَبِيلَا<sup>(١)</sup>

\*\*\*

يَرَى الْعَرَبَ يَسْتَعْلُ الْبَرَايَا<sup>(٢)</sup> كَمَا يَشْتَهِي دُونَ قَيْلٍ وَقَالَ  
يَرَى الْآدَمِيَّ مِثْلَ الْقَطِيعِ فَهَمْ لَفَمِ الذَّنْبِ رِزْقٌ حَلَالٌ

\*\*\*

لَقَدْ حَانَ تَغْيِيرُ دُنْيَا بِهَا نَرَى الْعَدْلَ أَمْرًا بَعِيدَ الْمَنَالِ  
وَسُرَّاقِ أَكْفَانِ مَوْتَى الْقُبُورِ عَلَى يَدِهِمْ أَيُّ خَيْرٍ يُنَالِ

\*\*\*

صَوَارِي السَّبَاعِ التَّقَتْ فِي جَنيفِ<sup>(٣)</sup> لَطْمَسِ الْهُدَى وَالتَّهَامِ الْعِبَادِ  
قَدْ اقْتَسَمُوا كُرَّةَ الْأَرْضِ نَهْبًا<sup>(٤)</sup> وَهُمْ نَخْوَ تَقْسِيمِهَا فِي اتِّحَادِ

\*\*\*

(١) وبيلاً : شديداً .

(٢) بَرَايَا : جمع البرية ، وهي الأرض .

(٣) جنيف (Geneva) : مدينة في سويسرا .

(٤) نهباً : غصباً .

يقولون هذي بلادي لَكُمْ      ونحنُ لنا كلُّ تلك البلاد  
هنا ثورةٌ وهنا فتنةٌ      بهم نارُها أبدأ في ازدياد

\*\*\*

لكَ الأرضُ أم هذه أرضه      وأيُّكم في حِمَاهَا نزيل  
بنفسك كن واثقاً مؤمناً      وعِشْ كافرأ بالعدوِّ الدَّخِيل

\*\*\*

فَمِنْكَ إِلَيْكَ العُلا والهَوَان      وَمَجْدُكَ فِي الشَّرْقِ عَالٍ أَصِيل  
كرامةٌ أجياله في يديك      فأنتَ له أو عَلَيْهِ الدَّلِيل

\*\*\*

على قوة الحقِّ تحيا الشعوب      وتجتازُ في المَجْدِ حدَّ المَجَال  
فلا شعبَ يقوى بلا وَحدةٍ      تَضُمُّ الصُّفوفَ لِنيلِ المَعَالِي

\*\*\*

ومهما سَمَا الرَّأْيُ إن لم يَقُمْ      على قوةٍ فَهوَ زَيْفُ الحَيَالِ  
وفي قوةٍ دونَ رأْيٍ جُنُونٌ      وَجَهْلٌ وَطِيْشٌ وَعُقْبَى وَبَالٌ

\*\*\*

بنا لَيْسَ العِشْقُ ثوبَ الدَّلَالِ      وفاضَ على الكونِ طيباً وَحُسْنَا  
وفطرةُ آدمَ في كلِّ حيٍّ      رَوَتْهَا الخلائقُ في الدَّهْرِ عَنَّا

\*\*\*

تَعَلَّمَتِ الأُمَمُ النَّاهِضَاتُ مَنْ      الشَّرْقِ دِيناً وَعِلْماً وَفَنّاً  
رفعنا الحِجَابَ عَنِ الكائناتِ      فَنَحْنُ مِنَ الشَّمْسِ وَالشَّمْسُ مِنَّا

\*\*\*



إِذَا لَاحَ فِي صَدَفِ جَوْهَرٍ      فَذَلِكَ مِنْ قَطْرِ نَيْسَانَا  
وَإِنَّ هَذَرَ الْمَوْجِ فِي بَحْرِهِ      فَذَلِكَ مِنْ قَيْضِ طُوفَانِنَا

\*\*\*

حَرَارَةُ شَذُو الْهَزَارِ الطَّرُوبِ      عَلَى غُضْنِهِ بَعْضُ نَيْرَانِنَا  
سَقَيْنَا دَمَ آدَمَ قَلْبَ السُّورُودِ      فَأَهْدَى رَسُولَهُ إِيمَانِنَا

\*\*\*

فَتَى الشَّرْقِ أَنْتَ الْوَفِيُّ الْأَمِينُ      فَأُظْهِرُ يَدَ الْعَزْمِ لِلنَّاسِ جَهْرًا  
لِتَخْرُجَ بِيضَاءَ مَنْ غَيْرِ سَوْءٍ      وَتُبْطِلَ مَنْ فِتْنَةَ الْغَرْبِ سِحْرًا

\*\*\*

عَلَامَ اذْتَبَطْتَ بِرُزْنَارِهِ      وَكَيْفَ اسْتَطَعْتَ عَلَى الْقَيْدِ صَبْرًا  
فَوَحَّدَ بِلَادَكَ صَوْبَ الْعُلَا      بِإِيمَانِهَا تَلَقَّ عِزًّا وَنَضْرًا

\*\*\*

لَقَدْ نَشَرَ الْغَرْبُ أَسْوَاقَهُ      وَمَنْ حَوْلِهِ الْجُنْدُ أَقْوَى سِيَاغِ  
وَسِلَعْتُهُ شَرَكٌ لِلشُّرَاءِ      وَمَتَجَرُّهُ ظِلُّ عَرْشِ وَتَاجِ

\*\*\*

لَهُ فِي التِّجَارَةِ رِبْحٌ وَنَفْعٌ      وَبِالْحُكْمِ يَأْتِيهِ كَنْزُ الْخِرَاجِ  
وَيَلْقَاكَ بِالْكَلِمَاتِ الْعِذَابِ      وَفِي قَلْبِهِ الْحِفْدُ خَلْفَ الرِّتَاجِ

\*\*\*

فَكُنْ فِي مِتَاجِرِهِ زَاهِدًا      فَفِيهَا الْحَسَارَةُ وَالْمَغْرَمُ  
نَسِيحُ بِلَادِكَ أَقْوَى خِيوطًا      وَقَطْنُكَ مِنْ خَزِّهِ <sup>(١)</sup> أَنْعَمُ

(١) خَزٌّ : نوع من الثياب ينسج من صوف .

جهاز المنايا بدولابه      يدور وأنت به أعلم  
يميتك بالغش من غير حرب      وأنت له الربح والمغرم

\*\*\*

إذا جاء يغرّض نقش الساط      فدغه وعش راضياً بالحصير  
وإن وصلتك به رفعة      فلا تعطه بيدقاً<sup>(١)</sup> بالوزير

\*\*\*

جواهره بهرج<sup>(٢)</sup> زائف      لجمع النقود ويبيع الضمير  
ونافجة<sup>(٣)</sup> المسك في سوقه      من الكلب لا من غزال غريب

\*\*\*

تنبه لهذا الدخيل الذي      تفرّ الثعالب من مكبره  
ولا تتعمّم بمنسوجه      ولا تغمض العين عن غديره

\*\*\*

وإما مرزت على حانة      تعوذ برؤك من شره  
فمن ذاق خمرته لم يعد      إلى داره بل إلى قبره

\*\*\*

بأصباغه وبألوانه      تضل البصيرة قبل البصر  
يسلّغته قد غدونا سكارى      وصاحبها بالغنى قد سكر

\*\*\*

(١) البيدق : الدليل في السفر ، والجندي الراجل . ومنه : بيدق الشطرنج .

(٢) البهرج : الباطل .

(٣) النافجة : وعاء المسك في جسم الظبي .

فَمِنْ جَهْدِ كَسْبِكَ مَا يَجْتَنِيهِ  
وَمَا يَقْتَنِيهِ وَمَا يَدَّخِرُ  
وَمِنْكَ الْغِذَاءُ مَعَا وَالْكِسَاءُ  
لَهُ فِي نَعِيمٍ وَعَيْشٍ نَضِرُ

\*\*\*

وَأَنَّ ذَوِي الْفَضْلِ فِي كُلِّ شَعْبٍ  
فَهُمْ بِسِوَاعِهِمْ يَعْمَلُونَ  
عَلَى مَجْدِ أُمَّتِهِمْ سَاهِرُونَ  
وَهُمْ فِي مَوَاطِنِهِمْ يَزْرَعُونَ

\*\*\*

وَمَنْ أَرْضَهُمْ كُلُّ مَا يُتَّجُونَ  
فِيَا مَنْ غَدَا مُنْكَرًا ذَاتَهُ  
وَمَا يَأْكُلُونَ وَمَا يَلْبَسُونَ  
إِلَى أَيْنَ يَمْضِي بِكَ الْمَاكِرُونَ

\*\*\*

وَكَمْ يَغْتَمَخُصُولَ زَرْعٍ لَهُ  
يَعُودُ بِأَضْعَافٍ مَا نَلَّتَهُ  
رَخِيصًا وَأَنْتَ غَدَا مُشْتَرِيهِ  
بِرَبْحٍ سَخِيٍّ لِمُسْتَوْرِدِهِ

\*\*\*

كَأَنَّكَ لَمْ تَشَقَّ مِنْ أَجْلِهِ  
أَفِي الْبَحْرِ لَوْلَوْهُ  
وَلَا كُنْتَ فِي الْأَرْضِ مِنْ زَارِعِيهِ  
كَامِنٌ وَمَنْ يَدُ غَوَاصِهِ يَشْتَرِيهِ

\*\*\*

## شكوى ومُنَاجَاة

كان محمد إقبال كثير الاعتداد بالإيمان ، شديد الاعتماد عليه ، يعتقد أنه هو قوته وميزته ، وذخره وثروته ، وأنَّ أعظم مقدار من العلم والعقل ، وأكبر كمية من المعلومات والمحفوظات ، لا تساوي هذا الإيمان البسيط ، يقول في

بيت :

« إن الفقير المتمرد على المجتمع - يشير إلى نفسه - لا يملك إلا كلمتين صغيرتين ، قد تغفلتا في أحشائه ، وملكتا عليه فكره وعقيدته ، هما : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » ، وهنالك علماء وفقهاء ، الواحد منهم يملك ثروة ضخمةً من كلمات اللغة الحجازية ، ولكنه قارون لا ينتفع بكنوزه » .

وكان شديد الغيرة على اعتزائه إلى هذه الرسالة وإلى هذه الشخصية العظيمة ، فكان يأبى أن يتطفل على مائدة أجنبية ، أو أن يروي غُلته من معين غريبٍ يقول : « رفقا يا رسول الله بفقيرٍ غيورٍ أبيّ النفس ، رفض أن يملأ كوبه من نهر الأجنب » .

وجاشت نفسه الكبيرة الدافقة بالحنان والإيمان في الثالث من أبريل سنة ١٩٣٦م وهو عليل رهين الفراش في بهوبال<sup>(١)</sup> ( الهند ) ، وقد آلمه ما كان يراه من وضع العالم الإسلامي المخزي ، والفراغ الفكري والروحي الهائل الواقع فيه ، وضعف الشخصية الإسلامية الشائن ، واندفاع الجيل الجديد المتمهور إلى الفكرة الغربية ومثلها وقيَمها ، وتخليه عن رسالته ومركزه ، ففاضت قريحته بشعرٍ من أبلغ الشعر الوجداني ، تحدث فيه إلى النبي ﷺ ، وشكا إليه في عالم الخيال ضعف العالم الإسلامي وقره الروحي وانحرافه عن الجادة ، وما كان يجده في نفسه من فتورٍ بعد النشاط ، ومن ضعف في العلم ، يقول :

« أشكو إليك يا رسول الله ! هذه الأمة التي تسلط عليها خوفُ الموت ، إنك حطمت الأصنامَ القديمة كاللاتِ ومناة ، وجددت العالم القديم ، الذي سرى فيه الهرم ، ودبَّ فيه الموت ، فأصبح العالم يستقبل اليوم الجديد بالإيمان ، ودبَّ فيه الموت ، فأصبح العالم يستقبل اليوم الجديد بالإيمان ، والتسبيح والأذان ، ويستمدُّ من الشهادة التي لقتته إيَّاهَا الانتباه والحضور ، والنور والسرور .

(١) اسم مدينة تقع في ولاية « مدهيا برديش » وهي عاصمتها كذلك .

إننا - وإن ولدنا في بلادٍ عريقةٍ في الوثنية - رفضنا أن نعبد الثور والبقر ، وأبينا أن نطأ طيء رؤوسنا أمام الكهَّان والسَدنة ، فلم نخزَّ بين يدي الآلهة القديمة ، ولم نَطْفُ حول بلاط الملوك وقصور الأمراء . والفضل في كل ذلك يرجع إلى دينك الذي جئت به ، وإلى جهادك الذي قمت به ، فقد تربينا على الشُّفرة التي بسطتها للعالم ، وقد ظلَّ حديثُك مصدر الشوق والسرور للأمة طيلة هذه القرون ، وقد استطاعت بذلك أن تكون أبيَّةً في الفقر ، عفيفةً في الحاجة ، ولكنَّ العالم الإسلامي اليوم قد فقد الشيء الكثير من قوته وقيمه .

لقد تجولتُ في ربوع العالم الإسلامي ، وزرتُ بلاد العرب وديار العجم ، فرأيتُ من يقتدي بك ، ويجدد ذكراك مفقوداً لا يقع عليه العيان ، ورأيت من يمثل أبا لهب ويحكيه كثيراً يوجد في كل مكان . إنَّ الشباب الإسلاميَّ قد استنارت عقولهم ، وأظلمت قلوبهم وضماؤهم ، إنَّهم في شبابهم ناعمون رفاق كالحرير ، لا يحتملون الأمل الجديد ، والنظر البعيد ، إنهم نشؤوا على العبودية ، ودرج على ذلك جيلٌ بعد جيل ، حتى أصبحوا لا يحلمون بالحرية ولا يطبقونها .

إنَّ نظام التعليم الجديد ومؤسساته انتزعت منهم النَّزعة الدِّينية حتى أصبحوا خبير كان ، إنهم هاموا بالغرب ، وجهلوا قيمتهم ، يريدون أن يتصدق عليهم الغرب بكسرة خبز ، أو حفنة شعير ، إنهم باعوا نفوسهم الكريمة من أجل لقمةٍ حقيرة ، فأصبحت الضُّقور التي تحلق في السماء عصفائر صغيرة لا شأن لها بالأجواء الفسيحة والمرامي البعيدة .

إنَّ أساتذة هذا الجيل الذين بضاعتهم في العلم مُزجاةٌ لم يخبروه بمركزه ومنصبه ، إنَّ نار الغرب قد أذابت هذا الجيل كالشمعة ، وصاغته صوغاً جديداً ، فأصبح في هذا الجحيم ممسوخاً منكوساً ، وأصبح المسلم لا يعرف سرَّ الموت ولذته ، ولا يؤمن كما كان يؤمن في القديم بأنه « لا غالب إلا الله » ، لقد مات قلبه بين جوانحه ، فأصبح لا يفكر إلا في المنام والطعام ، إنه حكَّم الغرب في

نفسه ليتلقى منه رغيماً ، وقبل مئة مئة إنسانٍ من أجل بطنٍ واحد ، إنَّ محطّم الأصنام ، وسليل إبراهيم قد أصبح « آزر » ينحت الأصنام ، إنَّه يشتري من الإفرنج أصنامهم الجديدة .

إنَّ هذا الجيل قد أصبح في حاجةٍ إلى بعثٍ جديد ، وإلى أن نقولَ له مرّةً ثانية : قم بإذن الله ، لقد سحرتنا الحضارة الغربية ، وقد استطاع الغربيون أن يقتلونا من غير حرب وضرب ، لقد استطاعت أمتك وأصحابك ، أن يَكْتُلُوا عروش كسرى وقیصر ، والعالم ينتظر من جديدٍ نائراً جديداً ، يؤمن بالله ويكفر بغيره ، ويكسر طلاسّم هذه الحضارة ويبطل سحرها .

نفسی فداؤك أيها الفارس الكريم ! بالله اقبض العنان ، وقف بي لحظةً أبث إليك بالأشجان والأحزان ، قد تلجلج لساني وخانني البيان ، إنَّني في صراعٍ بين سلطان الشوق وسلطان الأدب ، إنَّ الشوق يقول لي : تَشَجَّعْ وتكلّم ، فأنت من الحبيب بقاب قوسين ، الأدب يقول : إِيَّاكَ والفضول ، فافتح العينين وأطبق الشفتين ، ولكنَّ الشوقَ عصيٌّ نائر ، لا يخضع للأدب ، إنني أطلب منك نظرة التفات ، فأنا ذلك الغزال التائه اللاغب الذي زهدَ فيه الطالبون ، وانصرف عنه الصيادون ، فلجأت إلى حرمك ، ولأمر ما تراميت في أحضانك ، إنَّ صوتي قد اختنق في حلقومي ، وإنَّ اللهب عاد لا يتجاوز صدري ، وإن أنفاسي قد تجرّدت من لوعة القلب ولهب الصدور ، وإنني فقدت اللذة التي كنت أجدها في قرآن الفجر .

إنَّ الزفير الذي لا يسعه الضمير كيف يستقر في الصدر كالعاني الأسير ؟ إنه يحتاج إلى أجواء لا نهاية لها ، وإلى سعة السموات التي لا حدود لها ، يا لها من عللٍ يعانيتها جسدي وروحي ، ولا دواء لها ، إلا أن تنظر إليّ من طرف خفي ، إن هذه الأدوية التي يصفها الأطباء لا تناسب روحي العليلة ، فإن شامتي اللطيفة لا تحتمل مرارتها ورائحتها ، فأنا مريض لا يرجع فيه إلى طبيب ، فأبكي بكاء الأطفال ، إذا جرعوا الدواء المر ، وأنا أخادع نفسي ، فأمزجه بالحلاوة حتى

تسهل إساعته ، إنني كالبوصيري أطلب الفتح والفرج ، وأن يعود إليّ ذلك اليوم الذي فقدته ، إنّ العصاة من أمتك أسعد بشفاعتك ، وأكثر حظاً من عطفك من غيرهم ، كالأمّ الحنون الرؤوم في عطفها وصفحها عن إساءة أبنائها .

إنني مع عباد الليل والظلام في صراعٍ شديد ، فمد سراجي بمدود من الزيت من جديد ، إنّ وجودك كان للعالم ربيعاً ، وللإنسانية خصباً وريعاً ، فلا تضنّ عليّ بشعاعٍ من أشعة شمسك المنيرة للعالم ، إنّ قيمة الجسم بالروح ، وإنّ قيمة الروح هو إشراقٌ من المحبوب ، إنني أريد أن ينقطع رجائي عن غير الله فاجعلني سيفاً ، أو اجعلني مفتاحاً .

لقد أسرع بي ذهني الوقاد في مجال الفقه وحكمة الدين ، ولكن أبطأ بي عملي في مجال الكفاح ، إنّ مهمتي أصعبُ وأدقُّ من مهمة « فرهاد » الذي كلف تفجير نهر من لبن من جبل صلد أصم ، فأنا في حاجة إلى آلات أحدّ ، وقوى أشدّ ، حتى أتم مهمّتي ، وأحقّق رغبتني ، إنني مؤمنٌ لا أكفر بشخصيتي ومواهي فضعتني على المسنّ ، فإنني حديدٌ من معدنٍ كريم .

إنني وإن كنت قد ضيّعتُ شبابي ، وأتلفتُ حياتي ، ولكن أملك شيئاً اسمه « القلب » ، إنني أغار عليه وأستره من العيون لأنه يحمل أثراً من حافر جوادك الأصيل ، إنّ العبد الذي قد زهد في زخارف الدنيا ، إنما يتسلّى برضا سيده وعطفه ، ويعتبر حياة الهجر والفراق موتاً .

يا من منح الكرديّ لوعة العرب ، اسمح للهنديّ أن يمثّل بين يديك ، ويتحدّث بأشواقه وأحزانه إليك ، إنه يحمل قلباً حزيناً ، وكبداً مقروحة ، لا يعلم أصدقاؤه وزملاءه ما يعانیه من حزنٍ وألم ، إنه لا تنقطع ألحانه المشجية ، كالعود الذي لا راحة له ولا انقطاع ، إنني كحطب في الصحراء مرّ به ركبٌ فأشعل فيه النار ، وأعجلَ الركبَ السّير ، فمضى وخلفه ، وبقي الحطب يشتعل ، وينتظر ركباً جديداً ليستهلكه ويأتي على بقيته ، فمتى يمرُّ به ركبٌ

جديد في هذه الصحراء الموحشة المظلمة<sup>(١)</sup> ؟ .

\*\*\*

وإليك هذه القصيدة المصاغة بالعربية شعراً يقول إقبال :

يا رأسَ مالِ البائسينَ ويا مَنْارَ انحاءَرينِ  
ادعُ الإلهَ يَهَبْ لأمَّتِكَ : الشَّجاعةَ واليقينِ

\*\*\*

ويعيذُهم من شرِّ خوفِ الموتِ من قَبْلِ المماتِ  
الخوفُ يفني اليائسينَ وهم على قيدِ الحياةِ

\*\*\*

يا من هَدَمَتِ اللَّاتَ والعُرَى وحرَّرتِ الحَرَمَ  
وبنيتَ أعلى أمةٍ تَهدي بِسيرَتِها الأُمَّمَ

\*\*\*

ذكرُ الإلهِ وَيَقْظَةُ الوجودانِ في إنسِ وجانِ  
من فيضِ وحيكِ يا صلاةَ الصُّبْحِ يا صوتَ الأذانِ

\*\*\*

فحرارةُ الإيمانِ في القلبِ المَشُوقِ إلى النُّضالِ  
وسراجُ ليلِ الفِكرِ ( لا معبودَ إلا ذو الجلالِ )

\*\*\*

لَمْ نَتَّخِذْ في الكونِ ربّاً من رُخامِ أو حَجَرِ

---

(١) من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، ص ٢٠١-٢٠٦ .



كلا ولم تَسْجُدْ لنجمٍ أو نباتٍ أو بقر

\*\*\*

لم نلقِ جبهتنا لدى الكُهَّانِ في ذُلِّ حقير  
لم نحنِ هامتنا لسلطانٍ قويٍّ أو أمير

\*\*\*

من فيضِ روحِكَ كلُّ هذا الفضلِ والعزِّ المكين  
وبناءِ صَرحِ المَجدِ في توحيدِ ربِّ العالمين

\*\*\*

ذكراركِ وردُّ سائغٍ يحلو به العيشُ المرير  
وبِغَيِّرةِ الإيمانِ صارَ الدِّينُ كنزاً للفقير

\*\*\*

يا منتهى كلِّ المنازلِ في طريقِ السَّالِكينِ  
يا مَنْ إلى أنوارِهِ تَهْفُو قلوبُ العاشقينِ

\*\*\*

قِيَّارَتِي<sup>(١)</sup> ثَقَلْتُ وَأَغْيَاها التَّجَاوُبُ والرَّزِينِ  
أوتارها لا تستجيبُ إذا عَزَفْتُ ولا تبين

\*\*\*

فإذا نصحتُ فإنَّني ناديتُ من لا يسمعون  
وإذا نهيتُ فإنَّما أسمعُ من لا يَنْتَهون

\*\*\*

---

(١) القِيَّارة : آلة طرب ذات أوتار .

طَوَّفْتُ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ ثُمَّ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ  
لَمْ أَلْقَ فِيهَا الْمَصْطَفَى وَلَكِنْ رَأَيْتُ أَبَا لَهَبٍ

\*\*\*

عَجِبِي لِهَذَا الْمُسْلِمِ الْمَزْهُوِّ بِالْعَصْرِ الْمَنِيرِ  
لَا هَمَّةٌ تَحْدُو خُطَاهُ وَلَا سِرَاجٌ فِي الضَّمِيرِ

\*\*\*

وَأَرَى شَبَاباً وَاهِنَ الْعِزْمَاتِ فِي لَيْنِ الْحَرِيرِ  
وُلِدَتْ أَمَانِيهِ فَكَانَ الْمَهْدُ مِصْرَعَهَا الْأَخِيرِ

\*\*\*

ذَاكَ الْغُلَامُ بِنُ الْعَلَامِ بِنِ الْعَلَامِ بِنِ الْعَلَامِ  
فِي شَرْعِهِ تَحْرِيرُ أُمَّتِهِ مُحَالٌّ أَوْ حَرَامٌ

\*\*\*

الِدَّيْنُ لَيْسَ لَهُ بِدُنْيَاهُ زَمَانٌ أَوْ مَكَانٌ  
كُلُّ الَّذِي أَذْرِيهِ عَنْهُ أَنَّهُ بِالْأَمْسِ كَانَ

\*\*\*

عَنْ ذَاتِهِ أَضْحَى غَرِيباً مُسْتَهَاماً بِالذَّخِيلِ  
بِذُلِّ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُ ثَمناً لِمَطْعَمِهِ الذَّلِيلِ

\*\*\*

كَالطَّيْرِ غَايَتُهُ التَّقَاطُ الْحَبِّ فِي ظِلِّ الْقُصُورِ  
هُوَ طَائِرٌ لَكِنَّهُ لَمْ يَذِرْ تَحْلِيْقَ الشُّسُورِ

\*\*\*

فَذَابَ فِي نَارِ الْفِرْنَجِ فَمَا لَهُ عَنْهَا مَحِيدٌ<sup>(١)</sup>  
وَأَتَتْهُ نَارُ جَهَنَّمَ لَكِنَ بِأَسْلُوبِ جَدِيدٍ

\*\*\*

هُوَ مُؤْمِنٌ لَكِنَّهُ مِنْ جَنَّةِ الشُّهَدَاءِ هَارِبٌ  
لِيَسْتَقَرَّ بِقَلْبِهِ أَنْ ( لَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ غَالِبٌ )

\*\*\*

ذَاكَ الَّذِي فَقَدَ الْيَقِينَ وَقَلْبُهُ فَقَدَ الْحَيَاةَ  
وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَمَنَامُهُ أَغْلَى مَنَاهِ

\*\*\*

وَتَرَاهُ بِالْمِنَنِ الثَّقَالِ مَقِيداً وَمُكَبِّلاً  
مَمَّنٌ يَقُولُ : ( نَعَمْ ) وَمَمَّنٌ لَا يُجِيبُ بغيرِ ( لَا )

\*\*\*

فَلْيُضْحُ مِنْ غَفَلَاتِهِ لِيَعُودَ حَيًّا قَلْبُهُ  
وَيَعِيشَ فِي أَوْجِ الْكِرَامَةِ هَاتِفاً ( اللَّهُ هُوَ )

\*\*\*

مَدِينَةُ الْإِفْرَنْجِ مَاضِيَةٌ بِنَا نَحْوِ الزَّوَالِ  
قَتَلْتُ مَوَاهِبَنَا بِلَا حَرْبٍ تَدَوُّرٌ وَلَا قِتَالِ

\*\*\*

فَاكْشِفْ لِقَوْمِكَ عَنْ كَرِيمِ النَّفْسِ مُتَّقَدَ الْحَيَاةِ  
ثَمَلٌ يَحِبُّ اللَّهَ لَا يَزُجُّو وَلَا يَخْشَى سِوَاهِ

---

(١) فَمَالَهُ عَنْهَا مَحِيدٌ ، أَي : مَالَهُ مِنْهَا مَفْرُ .

وَإِذَا تَبَيَّنَ مُسَلِّمٌ فِي ذَاتِهِ شَرَفَ الْمَكَانَةِ  
أَخْلِقُ بِهِ فِي الدَّهْرِ أَنْ يَخْتَارَ فِي الدُّنْيَا مَكَانَةَ

\*\*\*

أُيْهِدَا الْفَارِسُ الْمِغْوَارُ أَهْلُ فِي الْمَسِيرِ  
وَإِحْسَنُ عِنَانِكَ لِمِحَّةً تَسْتَقْبِلُ الْقَمَرَ الْمُنِيرِ

\*\*\*

أَمَلِي عَلَى شَفَتِي مُخْتَبِسٌ عَنِ النَّطْقِ اخْتَجَبَ  
وَالشُّوقُ يَقْتَحِمُ الْمَقَامَ فَلَيْسَ يَحْكُمُهُ الْأَدَبُ

\*\*\*

هَذَا يَقُولُ أَبْنُ عَنِ الشُّكْوَى وَلَا تَكْتُمُ أَسَاكَ  
وَيَقُولُ ذَاكَ انظُرْ وَلَا تَهْمَسُ بِحَرْفٍ عَنْ جَوَاكَ

\*\*\*

أَنْتَ الْهَدَايَةُ وَالذَّلِيلُ وَأَنْتَ عِزْفَانِي وَفِكْرِي  
وَسَفِينَتِي فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَطُوفَانِي وَبَحْرِي

\*\*\*

زَادَتْ بِي الْأَنْثَا وَالْعَبْرَاتُ حَتَّى عَيْلِ صَبْرِي  
فَالِي مَتَى هَذَا اللَّهَيْبُ يَظَلُّ مَطْوِيًّا بِصَدْرِي

\*\*\*

فَلَمْ يَبْقَ لِلْأَرْوَاحِ فِي شَوْقِ الْعِبَادَةِ مِنْ أَثَرٍ  
لَمْ يَبْقَ لَطْفُ تَلَاوَةِ الْقُرْآنِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ

\*\*\*

قَدْ كُنْتُ يَا شَمْسَ الْخَلِيقَةِ مَنْقُذًا فِي النَّائِبَاتِ

وأبرَّ بالعاصين رفقاً من قلوب الأمّهات

\*\*\*

في حَرْبِ عِبَادِ الظَّلَامِ أَصَارُغُ الدَّاءِ العَيَاءِ  
فامنخ سراجي منك زيتاً قبل ما يخبو الضيَاء

\*\*\*

كلُّ الخمائل<sup>(١)</sup> في رياض الكَوْنِ أنتَ ربُّعُها  
مِنكَ الفواضِلُ كُلُّها والمَكْرُماتُ جميعُها

\*\*\*

الجِسْمُ في بُنيانه بالرُّوحِ يكتسبُ الحَيَاةَ  
لكن حياةَ الرُّوحِ في قُرْبِ الحبيبِ وفي رِضاةِ

\*\*\*

انظُرْ إليَّ فانتَ بالجدوى وبالإحسانِ أوفى  
إن لم أكن بهُداك مِفْتاحاً ، أكن بحماك سيفاً

\*\*\*

لي محنةٌ من دُونِها قطعُ الصُّخُورِ مِنَ الجِبَالِ  
فاجعل لفاسي مِنكَ حدّاً ماضياً عِنْدَ النُّضالِ

\*\*\*

إن كانَ عُمري قد بدا خِلَواً مِنَ المَخْصُولِ جَدْباً  
ما زلتُ أملكُ مضغَةً<sup>(٢)</sup> يدعونها في الحُبِّ قلباً

---

(١) الخمائل ، جمع خَمَيْلة : كل موضع كثر فيه الشجر .

(٢) المَضْغَةَ : القطعة التي تمضغ من لحم وغيره ، لكن هنا يريد بها الشاعر « القلب » .

أخفيته لأكونَ فرداً في هوائِكَ وفي رِضاكَ  
وعليه خاتمُ حُبِّكَ الغالي فليسَ به سِواكَ

\*\*\*

إنَّ الذي لا يبتغي من هذه الدُّنيا متاعاً  
إن لم يَنَلْ قُربَ الحبيبِ تكونُ دُنياه ضياعاً

\*\*\*

كَمَ ذا يُعاني القلبُ من نارِ اللِّواعجِ والشُّجونِ<sup>(١)</sup>  
ويَتسَّنُّ مِثْلَ النَّايِ بالشُّكوى لِمَن لا يَعْلَمونَ

\*\*\*

قَدْ خَلَفْتُهُ على رُبى الصَّخراءِ قافلةُ الرِّفاقِ  
كَهَشِيمِ غُصْنٍ يَضطلي بالجمْرِ في نِصفِ اختِراقِ

\*\*\*

يَرزُونُ إلى البَيْداءِ والمُدنِ الرَّحيبةِ والفضاءِ  
فعمسى تمرُّ قوافلٌ أخرى تُعيدُ له الرِّجاءِ

\*\*\*

يا مَنْ خَلَعْتَ على صلاحِ الدِّينِ حُلَّةَ خالِدِ  
فمضى بِعِزِّ دائِمٍ يبقَى وَمَجْدِ خالِدِ

\*\*\*

---

(١) الشُّجون : الهموم والأحزان .



الدِّيَّانُ التَّاسِعُ

هَدِيَّةُ الْحِجَازِ  
أرمغان حجاز

نَقَلَهُ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ شِعْرًا  
الدكتور حسين مجيب المصري





نُشِرَ هذا الديوان بعد وفاة الشاعر ، وهو عبارة عن الشعر الفارسيّ والأردويّ معاً ، وهو يتألّف من قسمين ، أولهما يحتوي الرباعيات الفارسية التي ترجمها الدكتور حسين مجيب المصري ، والثاني يحتوي منظومات وقصائد قصيرة باللغة الأردوية ، الذي ترجمه نثراً الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم ، وفيه قصيدة بديعة عنوانها « برلمان إبليس » وصف فيها الشاعر وصوّر جلسة برلمانية ، حضرها وتناقش فيها شياطين العالم ، ووكلاء النظام الإيليسي ، واستعرضوا فيها الاتجاهات والحركات والمذاهب السياسيّة والعصرية التي تهدّد مهمتهم في العالم ، وتحبط مساعيهم أو تعرقل سيرهم ، وأبدوا فيها آراءهم ووجهات نظرهم ، وترأس هذه الجلسة وأشرف عليها « إبليس » فحكّم على هذه الآراء والدراسات ، وعارض أكثرها في ضوء تجاربه الواسعة ، وبُعِدَ نظره الذي لا يُشاركه فيه أحد من تلامذته ، وأدلى برأيه الحصيف المؤسّس على الدراسة الواسعة العميقة ، وهو يتلخّص في أن المسلم هو المنافس الوحيد والمصارع الكفء لنظامه ، وهو الشرارة التي تتحوّل ناراً بسرعة ، فالمصلحة والرأي أن يركّز « الزملاء » تفكيرهم على محاربة هذا العدو ، أو إلهائه ، وتنويمه ، وقد جاء في هذه القصيدة ( من القسم الثاني ) من الوصف الصادق الدقيق للمسلم ، ومن الملاحظات الصائبة الدقيقة عن كثير من المذاهب السياسيّة .

وأما القسم الأول المتعلق بالرباعيات الفارسية فهو يحتوي على ثلاثة أبواب ، ومنها الباب الأول يتعلق بالله عز وجل ، وفيه يستنهج سبيل المتصوفة في تضرّعهم إلى الله ومناجاتهم له والإبانة عما تموج به قلوبهم من عشق إلهي هو غاية الغايات في سمو الروحانية . بيد أنه يعارض المتصوفة في تهافتهم على توكلهم واستكانتهم وقطع الأسباب بينهم وبين دنياهم ، ويرى في هذا ما ينافر واقع الحياة ، ويحيد عن القصد ، ويتجافى عن الصواب ، ويصد عن فهم

صريح القرآن . فالمؤمن الموقن يعمل لدنياه كأنه سيعيش أبداً ، وينهض  
بالبشرية إلى ذروة المثالية ، ويوائم بين دنياه وآخرته .

وهو يحب الله بقلب صوفيٍّ واصل دلَّه الشوق والتوق ، فيقول معبراً عن  
وجدته وكمده :

هياجُ ماجٍ في ماءٍ وطينٍ      بلاءُ العشقِ من قلبِ حزينِ  
قَراري برهةً حقاً حرامٍ      فرفقاً ، شأن قلبي من شؤوني

كما يتشبه بهم بعض الشيء في انصرافهم تمام الانصراف إلى الاستغراق في  
عشقِ الذات الإلهية بقطع النظر عن كل ما عداها ، ولا غرو فهم القائلون إنهم  
يحبون الله ، ولكن لا رغبةً في الجنة ولا رهبةً من النار ، وهذا هو الحبُّ الحقُّ  
بالمعنى الأصحَّ الأدقُّ ، لأنه الروحانية في شفافيتها التي لا تعلق شائبة من  
المادية بصفتها :

لي الدارين إنِّي لا أريدُ      وحسبي فهم ما روحُ تنفيذِ  
فهني سجدتي فيها احتراقي      ومنها الكون في وجدٍ يميذ

غير أن إقبالاً حتى وهو في نشوته الروحية الغامرة يعبر عن عاطفته الدافقة  
لا ينسى القوم من حوله ، ولا يقتلع نفسه من الناس يموج بهم معترك الحياة ،  
فالغيرية مهيمنة عليه وإن استبدت الأنانية بسواه ، لأنه يتفجّع ويتوجّع للخلق وقد  
تردّوا في ضلالهم وتحيروا في طريقهم ، وعزَّ عليه ألا يذكرهم وهو في مناجاة  
ربه ، فجأر بشكواه من حالهم ، داعياً من طرفٍ خفيٍّ بالخير لهم ، بعد أن نصب  
نفسه داعية حقٌّ يبيّن لهم ليضع أمرهم في نصابه :

على قومٍ إلهي فلتعنّني      كراعِي الضانِ عالمهمُ بفنِّ  
رأت عيناي ما يقذي عيوناً      ألا يا ليت أُمي لم تليدني

وبعد أن تأذى بمناقص الناس ومعائبهم في رأيه ، كان على ذكر من  
الإنسانية ، ولم يفتَهُ أن يجري قولها على لسانه لأنه الجزء الذي لن يتجزأ منها ،

وتكشف عن شخصيته الإيجابية وعبقريته المتفتحة المنطلقة التي طوّعها لخدمتها ، فدعا ربه لها وأمله أن يستجاب ، وتضمن دعاؤه جوهر فكرته وأساس نزعته وملامح كيانه العقلي والروحي وهو يقول :

إلهي زُنْ لنا خيراً وشراً هب الدنيا نعيماً مستمرا  
وشاهدنا خلقنا من تراب لنجعل عالم الغبراء نظرا

أما في الباب الثاني من الكتاب فلا يوجه خطاباً ولا دعاءً إلى كائن من كان ، أو على التحديد لا يصرح واضح التصريح بمن يخاطبه كما كان شأنه في الباب الأول . وهو يجنح إلى رمزية حالمة يستشف منها أنه سعى إلى بيت الله حاجاً ، وأن فؤاده مشوق إلى أرض الرسول صلوات الله وسلامه عليه . وله ولع بوصف سفرته الطويلة ولعله يتأثر في ذلك بشعراء المتصوفة وهم يتمثلون التصوف طريقاً يشكو سالكها من طولها ووعورتها . غير أنه أرق منهم قلباً وأجمل وصفاً وأدق تصويراً في نحو قوله :

مساءً مثل صبحٍ قد تبسّم تمطى صبحها والليلُ أظلم  
تمهّل إن خطوت على رمالٍ كقلبي كلها قلبٌ تألم

ويفرغ من تصوير عاطفته ليولّي عقله شطر حال المسلمين ، فلا جرم لقد ذكره مهد الإسلام بها ، فتساءل عن عاقبة أمرهم ورفع كربهم ، وساءل أن يكون للمسلم قلبٌ أقرّ من حبيب ، وهو يلتمح بذلك إلى أنّ صلاح حال المسلمين لن يكون إلا بالوقوف عند حدود الدين ، ولزام أن يرقّ قلبهم للتقوى .

غير أنه لا يرتضي من علماء الإسلام إلا أن يمعنوا النظر في الدين ليفهموه حق الفهم ، ويكره منهم أن يغفل بعضهم عن دعوة الدين إلى الكفاح من أجل غدٍ أسعد ، والعمل لخير الناس كافة ، وطرح العداة والشحناء والعيش في ظل الإخاء والصفاء ، كما ربأ بهم أن يتوهموا الدين جموداً وخموداً ، فالدين قوام الحياة يصلحها في كلّ أمورها ، ويسمو بها في كل مناحيها . كما يكره للمؤمن الحق أن يكون متواكلاً منظوياً .

والباب الثالث خاص بالمجتمع أو الشعب ، وقد صدّره بقوله « صل قلبك بالله واسلك طريق المصطفى » وتدرج تحته عدة فصول وعناوين .

وهو في حديثه عن الجماعة يريد لبيصّها بمبادئه المثالية ونزعتة الإنسانية ، ويذلل النصح مهيباً بها ألا تتخلف عن ركب التقدمية ، وأول ما يحبه للشعب أن يتآخى أفراده ويعرف كل منهم قدر نفسه دون أن يتعدى على حق غيره ، وبشما الشعب يخضع فيه فرد ويذل لمن يطغى ، ويذل وينتزع الثمرة بغير حق من يد من لقي ما لقي من تعب في زرع شجرتها ، فهذا ما يغضب الله على الشعب كله وقد كبير مقتاً عنده تعالى :

ولاة الأمر من ربّي لشعبٍ      زماماً يملكون لكلّ أمرٍ  
ولكن لا يحب الله شعباً      به الفلاح يزرع كني يلبّي

ويخصّ الذاتية بالذكر لأنّه من يجلّ ذات الإنسان إلى أبعد مدى ، وهو بذلك مخالف للصوفية الذين أرادوا المحو التام لها والقضاء المبرم عليها إلى أن تنفي في الله ، كما أن بعض المدارس الفلسفية والدينية تحط من قيمتها وتنفي عنها كل قوة وقدرة . وها هو ذا يعلي من قدرها ويستعير من المجاز لوصف حقيقتها :

لذاتك لا إله فضم مرّه      لتُخرج من ترابٍ مات نظره  
ولا تقبض يمينك عن وجودٍ      له القمران في وهق يجزّه

ومن فصول هذا الباب فصل بعنوان « الصوفي والملا » ، بمعنى الصوفي والشيخ . وإقبال يرمز بهما إلى موقفين لبعض المسلمين لا يقعان في نفسه موقع الرضا ، وهما موقف السليبين الخاملين ، وموقف المتزمتين الجامدين . وهو من بعد يعرض الصوفي والشيخ في صورة المضحوك منه المسخور به ، مبالغة في توكيد الحقيقة التي يريد تناولها بالإيضاح . وما من ريب في أنه متأثر في هذا بمألوف شعراء التصوف في تهكمهم بالشيخ غير المتصوف ، غير أنه صاحب الرأي المخالف والمجدد غير المقلد حين يغلظ اللائمة على الصوفي والشيخ في

وقت معاً . فعنده أن الشيخ آخذ بالمظهر لا يتجاوزهُ إلى الجوهر ، أما الصوفيّ في عزله وسليبيته فيشاهد حرمة الإسلام تنتهك ولا يحرك لساناً ولا يداً . وإقبال يدعو إلى تدبُّر آيات الكتاب الكريم التي تهدي سبيل الرشاد وتقطع الشك باليقين وتصلح بها حال العالمين . أما الشرط الذي يفرضه ، فهو ضرورة فهمها على الحقيقة التي ليس فيها من مرأى :

لُمّاً أو لصوفيّ أسير ! وفي القرآن للعيش الكثير  
من الآيات ما أدركت شيئاً ومن ياسين بُغيتك الحفير !

وفي فصل عن الخلافة والملك ، يدلي الشاعر برأيه فيهما ويدعو إلى الأخذ بتعاليم الإسلام في الحكم وسياسة الملك . ثم أفضى به القول إلى ذكر الأتراك في نهضتهم الحديثة . غير أنه عاب عليهم أن يتهافتوا على تقليد الأوربيين ورأى ذلك زراية بهم وتجريحاً لعزة نفسهم ، لأنه الداعي على الدوام إلى احترام ذات الفرد والجماعة ، الموصى بالغوص على أعماقها للكشف عن قدراتها وملكاتهما وهباتها ، وهو لا يرتضي للتركي أن يظل من الفرنجة في قيود ويبقى أسيراً لسحر طلسمهم ، كما يحزنه أن يكون المسلم عن تراثه المجيد من الغافلين ، وأن يعصب عينه ليقوده الأجنبي إلى المصير . وبذلك يلتمس إقبال ما استطاع إليه سبيلاً من أمثلة لإشاعة رأيه وإذاعة مبدئه .

وتتجلّى دعوته إلى التأدّب بأداب الإسلام والأخذ بأوامره ونواهيهِ حين يوجه الخطاب إلى فتاة المجتمع ويزعها عن أن تتزين وتبرج ، كما يذكرها بعظم فضلها أما صالحة ، ويرغب إليها أن توصى بالنظر في القرآن ، ثم يبين لها كيف أن ذلك يمكنها من تسوية النفوس ، إلى أن يضرب لها المثل بما كان من أمر أخت عمر بن الخطاب حين شاهد القرآن بين يديها فدفعته إليه ليقرأ حتى رقى للإسلام قلبه .

وإقبال ساخطٌ على ما آلت إليه الأمور في العصر الحاضر ، فهو القائل فيه :

وعصرٌ منه للدين الشكاة وحرّياتِه وأدّ الطفّسة

كما أنه يقدر في شبابه لأنهم ليسوا على بينة من أمر دينهم ، ويغمز فيهم  
لأنهم يقلدون الفرنجة في رقصهم ، فمن أقبح العيب عنده أن يقلدوا ، وتلك منه  
دعوة ضمنية إلى شدة التمسك بالذاتية .

ويريد ليحرك مسلماً من ركوده وجموده فيذكره بالبرهمي الذي يضع ما يعبد  
من صنم تحت بصره تبركاً وتعظيماً وإعزازاً ، على حين خلا طاق بعض  
المسلمين من مصحف يزدان به ، كما يظهر الإعجاب ببرهمي لا يكل عن العمل  
الدائب ساعده القوي ، وينحت له به صنماً من الصخر الصلود . ثم يضرب أمثلة  
عدة وغايته من هذا كله أن يشحذ من همم المسلمين ليلتمسوا الوسائل إلى  
الغايات ويتفوا بالعمل وجوه النجح .

ويتصدى للتعليم ، وفي نظره أن العلم يرسو على أساس من الحس ، وهو  
يمد الإنسان بقوة تتع الدين ولا بد ، وإلا فلن تكون إلا قوة شيطانية . كما أن  
العلم مقطوع الصلة بالعشق ، ثائر متمرد كالشيطان . أما إذا زاوج العشق فهو  
إلهي الصفات . وبهذا العشق تكتسب الحياة مالها من معان ، ويصبح العلم  
بفضل منه نعمة للبشر .

القسم الأول

( بالفارسيّة )





أَلَا يَا حَبَّذَا تِلْكَ الطَّرِيقُ      تَطَوُّوْا وَلَا يُوَآنِسْهَا الرِّفِيقُ  
لَهَا الزَّفْرَاتُ، فَافْتَحْ مِنْكَ قَلْبًا      لَتَحْرِقَ فِيهِ حَزْنًا لَا تَطِيقُ



# القسم الأول<sup>(١)</sup>

( المترجم من الفارسية )

## مَنَابَاةٌ

---

(١) القسم الأول والثاني والثالث لهذا الديوان نقله من الفارسية إلى العربية  
شعراً الدكتور حسين مجيب المصري .



## في الحضرة الإلهية

لقد سلبوا لنا قلباً ومزوا      وكانوا شعلةً خمدت ومزوا  
عوام القوم عايشهم زويداً      فإن خواصهم ثملوا ومزوا

\*\*\*

أطالوا القول شكاً في وجودي      وقد أقصرت عن قولٍ سديد<sup>(١)</sup>  
لحي القلب هل تدري سجوداً      عليّ احكم بهذا من سجودي

\*\*\*

فؤادي كان قيد الكيف والكم      يرى لكن وراء البدر إن تم  
خلاء هبه حتى في سعيير      بخلوته كفوراً فهو يهتم  
هياج ماج في ماء وطين      بلاء العشق من قلب حزين  
قراري برهة حقاً حرام      فرفقاً ، شأن قلبي من شؤوني

\*\*\*

أجبنني من عن الدنيا تخلى      لها حسن ، لمن حُسن تجلّى<sup>(٢)</sup>  
تقول احذر من الشيطان لكن      أتعرف موجد الشيطان أم لا ؟

\*\*\*

ولي قلب طليق في عذاب      نصيبي من عتاب أو خطاب

(١) أقصر عن القول : سكت عنه .

(٢) تخلى عن الدنيا : زهد فيها وقطع ما بينه وبينها من أسباب .

لإبليسَ أنا ما سؤت قلباً      خطيئة كل حين من صواب  
صنبت الكأسَ عنا أم عمرو      وكان الكأسُ مجراها اليميناً<sup>(١)</sup>  
إذا ما كانَ هَذَا دَابَّ عشقِ      بكأسك فاضرب البيت المصوناً<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

أسيرُ هوى ، على النفس انطواءً      به ألمٌ وما يجدي دَوَاءُ  
عجيبٌ أن تُكَلِّفَنِي سُجُودًا      خراجُ الأرضِ والأرضُ الخلاءُ ؟!

\*\*\*

بلا أمدٍ تراخى بي طريق      نثرُ الحبِّ ، أين لي الوريق<sup>(٣)</sup>  
من الآلامِ لا أخشى ولكن      بهذا القلبِ هبْ ألماً يليق  
سريع السكر لا تُرشِفْ شرابي      وأبعد عن غريرٍ في ارتياب<sup>(٤)</sup>  
عن القصباءِ يحسن بُعد نارٍ      خواصَّ القومِ وخدمهم فحَابِ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

أنت لقيتَ في طلب لغوبا      وما أصليتُ في شوقٍ لهيباً<sup>(٦)</sup>

(١) هذا البيت من معلقة عمرو بن كلثوم ، وصنبت : بمعنى صددت وصرفت . ومن شعراء الفرس من ضمنوا شعرهم الفارسي أبياتاً عربية . وتعرف أشعارهم بالملمععات . وأصل التلميع أن يكون في جسم الفرس أجزاء من لون يخالف لون جسمه فسمي هذا الشعر ملمعاً على التشبيه .

(٢) الداب : الشأن والعادة وفي الأصل فاضرب بكأسك جدار الحرم . وحقيق بالذكر أن الخمر هنا هي خمر الصوفية التي يرمز بها إلى العشق الإلهي . ولعمري الفارض خمريّة مشهورة مطلعها :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة      سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

(٣) الأمد . الغاية . الوريق : الكثير الورق من الشجر .

(٤) الغرير : من لا تجربة له .

(٥) القصباء : منبت القصب . وهو كل نبات يكون ساقه أنابيب وكعوباً .

(٦) اللغوب : التعب .

وَأَنْتِي هَارِبٌ مِنْ لَامَكَانِي فَنَوْحُ الْوَهْنِ لَمْ يُشْجِ الْقُلُوبَا<sup>(١)</sup>

\*\*\*

أَثْرُ دُنْيَاكَ خَذَ مِنْي الْمَثِيرَا بِهَا التَّغْيِيرَ فَاجْعَلْهُ الْكَبِيرَا  
لَكَ الْإِنْسَانَ فَاخْلُقْ مِنْ ثَرَاهَا أَيْزٌ مِنْ كَانَ لِلْمَالِ الْأَسِيرَا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

بَنُورِ الشَّمْسِ دُنْيَانَا ظَلَامٌ وَلَيْسَ الْحَقُّ مَا أَدَى كَلَامٌ  
إِلَى كَمٍ ، إِنَّ دُنْيَانَا خَرَابٌ سَيَكْسُوهَا دِمَاءُهُمُ الْأَنَامُ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

(١) الوهن : منتصف الليل . ويتردد ذكر المكان واللامكان والجهات في شعر إقبال مما يعيننا على الإشارة إلى تلك المقولة عند الفلاسفة . فيرى أفلاطون أن المكان يستحيل عليه الفناء وإليه مأوى المخلوقات . ويقول أرسطو إن وجود المكان متعلق بوجود العالم المتناهي ، وقد تابعه على ذلك الفارابي وابن سينا من فلاسفة المسلمين . والمكان في نظر الرواقيين فراغ متوهم تشغله الأجسام ولا وجود له في ذاته فليس بحقيقة . وقد بين الأشعري إلى أي حد اختلفت الآراء في المكان فعند بعضهم أنه ما يقل الشيء ويكون الشيء منمكناً فيه . وقال غيرهم إنه ما يماس الشيء ، وإذا ما تماس الشيطان فكل منهما مكان بصاحبه . وعند غيرهم أنه ما يعتمد عليه الشيء أو لا يعتمد ويمتنع من السقوط . كما قيل إنه الجو وقيل هو ما يتناهى الشيء إليه . أما المتكلمون فيرون أنه الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ منه أبعاده . ويضيف أحد فلاسفة الإسلام إلى بعد الطول والعرض للمكان بعداً ثالثاً هو العمق . ويوضح ذلك بالإناء والدار ، فيقول إن الإناء قد يمتلىء بالشراب ويخلو منه ، كما تعمر الدار بساكنيها ويهجرها من فيها فليس ذلك الممتلىء الخالي هو السطح الباطن بل هو العمق بأسره .

ولقد دلتني الدكتورة سهير فضل الله مدرّسة الفلسفة الإسلامية بكلية البنات من جامعة عين شمس على بحث لها في هذا الموضوع ، فشكرها من أوجب الواجب [ الأستاذ

المترجم ] .

(٢) أبار : أهلك .

(٣) الأنام : الناس .



رضاك ، فإنني عبد ذليل  
إذا ما قلت سَمَّ العَيْر طرفاً  
بأمر منك يمضي بي السبيل  
فهذا القَوْل حقاً لا أقول<sup>(١)</sup>

\*\*\*

فؤادي ليس فيه من حُبُور  
صلاتي تلك خذ منها ثواباً  
ومن لهب خلا من تُربي ونور<sup>(٢)</sup>  
صلاتي ليس فيها من حضور!<sup>(٣)</sup>  
أعن دينٍ وعن وطنٍ كلامي  
فلا تغضب ، جَفَوْتُ وَمِنْ جَفَاءِ  
وهذا السرّ يُطوى بالتمام  
بيتَ الديرِ يبدو كالخطام<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

من الإفرنج إن ضاقت قيودُ  
على عتباتٍ غيرِ الله وجهُ  
فقلبك لا يحقُّ ما يريد  
تَعَفَّرَ لا يليق به السجود<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

لي الدارين إنني لا أريد  
فهبني سجدتي فيها احتراقي  
وحسبي فهم ما روحٌ تفيئذ  
ومنها الكون في وجدٍ يميز<sup>(٦)</sup>  
أنا المكسألُ ما تبغيه مني  
أهبتُ هبوةً لم تقتلِعني<sup>(٧)</sup>

(١) العير : الحمار . الطرف : الجواد الكريم .

(٢) الحبور : السرور . الترب : التراب .

(٣) الحضور : حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبي لديه كالحكم العيني .

(٤) يطلق الدير على الدنيا في الشعر الصوفي . يقول شاعر فارسي ما ترجمته ( كنت ملكاً ولي في الجنة العالية مستقر ، إلا أن آدم جاء بي إلى هذا الدير الخرب ) .

(٥) تعفر الوجه : تمرغ في التراب .

(٦) يميز : يتحرك ويضطرب .

(٧) الهبوة : الغبرة وهي الغبار . والمقصود هنا الريح التي تحمل الغبار وتثيره .

رَأَيْتَ ابْنَـي يَصَلِّي فِي صَبَاحٍ      مَسَائِي فَلْيَقْلُ بِالصَّبْحِ زَيْنِي<sup>(١)</sup>

\*\*\*

عَلَى قَوْمِ إِلَهِي فَلْتَعْنِي      كِرَاعِي الضَّانِ عَالْمُهُمْ بَفَنٍ<sup>(٢)</sup>  
رَأْتُ عَيْنَايَ مَا يَقْذِي عَيْونَا      أَلَا يَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

إِلَامَ بَعِينِ عَتْبِكَ أَنْتَ تَنْظُرُ      وَأَصْنَامٌ لَدَيْكَ إِلامَ تَحْضُرُ  
لِأَبْنَاءِ الْخَلِيلِ رَأَيْتَ دَارَا      وَنَمْرُودُ يَرُبُّهُمْ وَيَكْفُرُ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

أَيْرِجِعُ مِنْ نَعِيمِي مَا تَوَلَّى      وَمِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ الرِّيحُ ؟ كَلَّا  
وَهَذَا الْعَمْرُ يَا لَهْفِي تَقْضَى      فَهَلَّا عَادَ مِنْ أَحْبَبْتُ هَلَّا ؟

\*\*\*

إِذَا مَا جَاءَ مِنْ ذَا السَّرِّ يَعْرِفُ      بِلَحْنِ الْقَلْبِ أَسْمَاعاً فَشَنَّفُ<sup>(٥)</sup>  
وَرَوْحَ الْقَلْبِ مَنْ أَبْقَى وَنَقَى      كَلِيمٌ أَوْ حَكِيمٌ وَهُوَ يَعْرِزُ<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

---

(١) يشير إلى ابنه المسمى ( جاويد ) . وزني : من زان يزين .

(٢) راعي الضان مضرب المثل في الجهل .

(٣) أقدى العين : أوقع فيها القذى . وهو ما تتأذى به من غبار أو نحوه

(٤) الخليل : سيدنا إبراهيم عليه السلام . يرب : يربي .

(٥) شنف في الأصل بمعنى جعل له شنفاً أي قرطاً ، وشنف كلامه : زينته وحلاه وشفن السمع : زينته وأطربه .

(٦) يتردد في الشعر الصوفي ذكر العزف والغناء على أنهما رمز لنشوة العشق الإلهي .

ويمكن القول إن الحسناء والصهباء والغناء تؤلف وحدة قلما نجد انفصاماً بين مقوماتها الثلاثة .

أرجي لي فؤاداً قد توجع  
بزهري قانيء يزدان قبري  
شكوتُ فمن شكاتي سوف يسمع  
عديم النطق دامي اللحن موجع<sup>(١)</sup>

\*\*\*

أسيرُ القلبِ لا يفدي الأسيرا  
وينفخُ في الثرى الأنفاس دوماً  
وليس يزيدُ من ألمٍ كثيراً  
ورامَ الأكلِ أو سكنَ الحفيرا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

من الأضلاعِ لي قلبٌ يفزُّ  
طريدُ البابِ يفضلني كثيراً  
تبقى صورةٌ معناهُ سرّاً  
رأه اللهُ ، لي في السمعِ ذكراً

\*\*\*

نداءُ جبرئيل ليس يدري  
وهذا عبدك المسكينُ سلهُ  
ففي طلبِ مقامٍ طيِّ سِرّاً  
وجُد لي من سنائي بالمروم<sup>(٣)</sup>

(١) القانيء : الشديد الحمرة .

(٢) دوماً : دائماً . الحفيرا : القبر .

(٣) خسرو : هو أمير خسرو دهلوي المتوفى عام ٧٠٥ هجرية . شاعر عظيم من شعراء الفارسية في الهند . وله شعر صوفي يتميز بخصائص ليست لشعر غيره من شعراء الفارسية في تلك البلاد . وشعره كثير البديع . وقد نظر إليه الشعراء كمثال يحتذى ، كما أوجد أسلوباً عرف بالأسلوب الهندي .

والرومي هو جلال الدين الرومي أشهر وأكبر شعراء التصوف من الفرس ولد بمدينة بلخ عام ٦٠٤هـ لأب من خيرة العلماء والفضلاء ورحل به إلى الأناضول التي كانت تعرف آنذ ببلاد الروم ولذلك عرف بالرومي . وقد تصدر للوعظ والإرشاد وعقد الأسباب بينه وبين المتصوفة وأشهر مؤلفاته كتاب المشوي الذي استمد اسمه من نظمه على القافية المزدوجة . وهو يتضمن حكايات لها مغزى صوفي وآيات قرآنية وأحاديث نبوية فسرت وأولت ولكن لا على ظاهرها ولا يداني هذا الكتاب غيره من كتب التصوف . وجلال الدين صاحب طريقة صوفية أساسها وحدة الوجود وقد أشاعها بين الترك في =

ألفَتْ صفاتَ عبدٍ منذ دهرٍ      فليس لكل هذا من لزوم  
فقيراً عفاً عن لبسِ المرَقغ      لهذا منه جبريلٌ تَوَجَّغ  
لدينا أمةٌ أخرى لنخلِقُ      بها كلاً عن الدنيا لنرفَع

\*\*\*

وشعبٌ منه جهدٌ في التَّأني      ومن إبسرٍ ترآه الشهدُ يُجني  
وذاك بعالمٍ من ليسَ يزضى      فتحت العالمين الظَّهرُ يُخنى

\*\*\*

وقومٌ وخذوا عندَ ابتهالٍ      أناروا الفجرَ من جوفِ الليالي  
رأوا في الشمسِ صباحاً مستقراً      فأبدتْ نهجَ نجمٍ من رِمَالِ<sup>(١)</sup>  
لحفلٍ في الليالي كنتُ زينا      نقضتُ وكنتُ بدرأ ذاقَ أينَا<sup>(٢)</sup>  
وفي هذا التغافلِ كمَ أفاضوا      ولكنني تركتُ الجمعَ وهنَا<sup>(٣)</sup>

= الأناضول ، واضطره هذا إلى محاولة النظم بالتركية ليفهم عنه سواد الناس . فكان ذلك سبباً في نشأة الشعر التركي العثماني . وكانت وفاته عام ٦٧٢ هجرية .  
أما سنائي الغزنوي المتوفى عام ٥٤٥ هـ . ففي ديوانه تتردد الشكوى ممن يأخذون بالقشور دون اللباب ويتمسكون بالظاهر دون الباطن ، كما يصرح بما آلت إليه حال القوم لتناسيهم أوامر الدين ونواهيهِ ، ويثن تالماً من جفاء الخلان وصروف الزمان . غير أن شهرته بشعره الصوفي ، ويعد أول شاعر صوفي بحق في إيران وأول من ضمن شعره مصطلحات التصوف .

(١) النهج : الطريق . وفي الأصل أن الشمس تزيج الرمال عن طريق المجرة وهي نجوم تسمى الطريق اللبئية في الإنجليزية وحاملة التبن أو نائرتة في الفارسية ، وتسمى في الريف سكة التبانة لأنها تشبه طريقاً تناثر فيه التبن ، وانعكس عليه نور القمر بعد أن مر به التبان الذي يحمله .

(٢) الزين : الزينة . الأين : التعب يشبه نفسه بالقمر ، وكأنه ينقص من هزال يصيبه لطول سيره في السماء .

(٣) الوهن : نصف الليل .

كهذا العصرِ عصراً ما رأينا      حزينُ القلبِ جبريلُ علينا  
هُنا قَدْ شَيَّدوا ديراً عَجيباً      يزيدُ لمؤمنٍ كُفراً لدينا!

\*\*\*

أرى دنيَاكَ في أيدي اللثام      ولأحرارٍ في أسرٍ مُقام  
فَظيلٌ بَيْنَ مَنْ فَفَهُوا أموراً      يعيشُ كمثلِ نسرٍ لا الأنام<sup>(١)</sup>

\*\*\*

مريدٌ قال عندَ الشيخِ يوماً      إلهي لِمَ يحطُ بالناسِ علماً؟  
كَمِثلِ العرقِ في عنقِ قريبٍ      وليسَ كبطننا في القُربِ حتماً

\*\*\*

لأرضِ الهندِ حالٌ بَعْدَ حالٍ      وهذا الكونُ أمسى في اختلالٍ  
إِلينا كيفَ تطلبُ أن نصلي      برأسِ الجيشِ عبدٌ كالمحالِ  
ويُحكَمُ مسلمٌ فالنفسَ باعاً      وآذاناً وعيناً قَدْ أطاعاً  
وهتَ أجسادنا مِن إضِرِّ حُكْمِ      فآدِ الشرعِ متناً والذراعاً<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

إلهي زِنَ لَنَا خَيْراً وشِراً      هبِ الدنيا نعيماً مستمراً  
وشاهدنا خُلِقْنَا مِن ترابٍ      لنجعلَ عالمَ الغبراءِ نُضراً<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

خُلودُ المرءِ في الدنيا عَرِفْنَا      وعن مَوْتِ الفجاءةِ ما سمعنا  
ووقتكَ لِنُ تُعَرِّضَهُ لنقصِ      إن خلدتَ قالوا قد ضُررنا؟!

(١) الفضيل : ذو الفضل .

(٢) الإصر : الثقل . آد : أثقل . المتن : الظهر .

(٣) الغبراء : الأرض .

إن الدنيا دنت من منتهائها  
فلا تفضخ لدى الرحمن أمري  
أبان الدهر أسراراً طواها<sup>(١)</sup>  
حسابي صفحة ما إن رآها!

\*\*\*

بقيت هنا ولي روح تسيّر  
خواص القوم عايشهم ، تلبث  
إلى البطحاء أشواقى تطير<sup>(٢)</sup>  
بشوقي دار من أهوى أزور<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) أبان : أظهر .  
(٢) البطحاء : مكة المكرمة .  
(٣) عايشهم : عش معهم . تلبث : ابق .



القسم الثاني

الرَّسَالَة





تمهل لا تُقِمْ تلكَ الخياما      دليلُ الركبِ في البيداءِ هاماً<sup>(١)</sup>  
وهذا العقلُ نعدمه دليلاً      لذا أسلمتُ للقلبِ الزماما

\*\*\*

سويدائي بها أقيتُ نظره      بحضنِ القلبِ فاستروحتُ فتره<sup>(٢)</sup>  
بريحٍ للمدينةِ ضقتُ ذرعاً      لقلبي من نسيمِ اليدِ خطره

\*\*\*

ولي قلبٌ لمنْ كانَ الشهيداً      هو الخفاقُ يالفُ أنْ يميداً<sup>(٣)</sup>  
إلى الصحراءِ أحملهُ فيأسى      على شطِّ الغديرِ بكى وليداً<sup>(٤)</sup>  
ولا تسألُ عنِ الركبِ السُّكاري      فما يرضونُ تلكَ الدَّارِ داراً  
يهزُّ قلوبهمْ جرسٌ مدوٌّ      نسيماً في ذرى القصباءِ ثاراً<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

ليشربَ كانَ في كُبْرَى رَجِلي      وبني فَرَحُ اللقاءِ مَعَ الخليلِ  
كَأَنِّي الطيرَ قبلَ الليلِ يمضي      ويَبْغِي العِشَّ في الرِّوَضِ الجميلِ

\*\*\*

أَدَانُوا عاشقاً رَشَفَ المَدَامَا      وَكَمْ لِمَحْنَكِ عَابُوا الكَلَامَا

(١) الركب: راكبو الإبل، وفي الأصل القافلة. والبيداء: الصحراء. وهام: سار على غير هدى.

(٢) السويداء: حبة القلب. استروح: استراح.

(٣) يميد: يتحرك في اضطراب.

(٤) يأسى: يحزن. الغدير: النهر.

(٥) ذرى القصباء: أعالي القصب في منبته.

عَلَى نَعَمِ الْحِجَازِ شَرِبْتُ كَأْسِي      وَمَا إِنْ قَدَّمُوا مِنْ قَبْلُ جَامَا<sup>(١)</sup>  
 أَسْأَلُ عَنْ مَقَامَاتِ لِلْخَنِي      وَمَاذَا يَعْرِفُ النَّدْمَانُ عَنِّي<sup>(٢)</sup>  
 لَقَدْ أَلْقَيْتُ فِي الصَّخْرَاءِ رَحْلِي      وَفِيهَا أَخْتَلِي حَتَّى أُغْنِي<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

وَقُلْتُ لِنَاقَتِي بِالرَّفْقِ سِيرِي      بِشَيْخٍ فَازْفِقِي دَنِيفِ حَسِيرِ<sup>(٤)</sup>  
 وَسَارَتْ نَاقَتِي سَيْرًا عَنِيفًا      أَتَخْطُو فِي الرَّمَالِ أَمِ الْحَرِيرِ !

\*\*\*

وَيَا جَمَالَ عَنْهَا اطْرَحْ عَقَالًا      لِرُوحِي رُوحَهَا كَانَتْ مِثَالًا  
 تَهَادَتْ مَوْجَةً أَيْقَنْتُ مِنْهَا      بِأَنَّ عَلَى الْفَوَادِ الْأَسْرُ طَالًا  
 تَرَفَّرَقَ دَمْعُهَا سُودَ الْعَيُونِ      وَمِنْ زَفَرَاتِهَا كَانَتْ شُجُونِي  
 مُدَامَ أَضْرِمَتْ فِي الْقَلْبِ نَارًا      بِنَظَرَتِهَا كَمَوْجٍ يَخْتُونِي

\*\*\*

وَفِي الصَّخْرَاءِ قَافِلَةٌ تَكُونُ      وَفِي تَوْدِيْعِهَا حَقَّقْتُ لُحُونِ<sup>(٥)</sup>

(١) الجام : الكأس . ولأهل الحجاز منذ قديم شهرة بالميل إلى الغناء والمهارة فيه . وهذا يذكرنا بقول من قال :

رأيه في السماع رأي حجازي      وفي الشراب رأي أهل العراق  
 (٢) المقام : من مصطلحات الموسيقى . وللمقام معنى آخر عند الصوفية ، فهم يتمثلون التصوف طريقاً يسلكه الصوفي أو ( السالك ) وفي هذا الطريق مراحل ومنازل يسمونها المقامات ، وينبغي أن يمر بها حتى يصل إلى الحقيقة أي الفناء في الله ويجد البقاء في الله . والندمان : التنديم أو الندماء .

(٣) الرحل : ما تستصعبه من الأثاث .

(٤) الدنف : العليل . والحسير : المعيا والكليل .

(٥) كان هنا تامة . اللحون : الألحان .

أَلَا فَاسْجُدْ عَلَيَّ رَمَلٍ تَلْظَى عَلَيْهِ الْوَسْمُ يُخْتَرِقُ الْجِيْنَ (١)

\*\*\*

مَسَاءٌ مِثْلُ فَجْرِ قَدْ تَبَسَّمْ تَمَطَّى صُبْحُهَا وَاللَّيْلُ أَظْلَمَ (٢)  
تَمَهَّلْ إِنْ حَطَّوَتْ عَلَيَّ رِمَالِ كَقَلْبِي كُلُّهَا قَلْبٌ تَأَلَّمْ  
أَمِيرُ الرِّكْبِ مَنْ ذَا الْأَعْجَمِيِّ بغيرِ لِسَانِنَا لَحْنٌ شَجِي  
يُغْنِي وَالْغَنَاءُ لَهُ سَرَابٌ وفي الصَّحراءِ مِنْهُ القَلْبُ حَيَّ

\*\*\*

وَمِنْ عِشْقِي وَمِنْ سُكْرِ مُقَامِهِ وَفِي مَاءٍ وَفِي طِينِ ضِرَامِهِ (٣)  
لَهُ الْأَنْعَامُ تُطْرِبُ كُلَّ قَلْبٍ لَنَا قَلْبٌ يَفْلِذْتَهُ قِوَامِهِ (٤)

\*\*\*

خَفِيَ الحَزِينِ فِي صَمْتِ تَرَاهُ لِسَانُ المَرءِ فِي خُبْرٍ رَوَاهُ  
طَرِيقٌ وَغَرَّةٌ وَالنَّضْوُ فِيهَا بِلا نُورٍ لِمَصْبَاحِ هَدَاهُ (٥)  
رَبِيعُ المَرَجِ مُخَمَّرُ الزَّهْوِ أَقَامَ الصَّحْبُ فِي كَنْفِ السُّرُورِ  
أَتَوْقُ إِلى البَقَاءِ هُنَاكَ وَخُدِي وَفِي جَبَلٍ عَلَيَّ شَطَّ الغَدِيرِ (٦)

\*\*\*

(١) الوسْم : أثر الكي .

(٢) يريد صبح الصحراء وليلها .

(٣) العشق والسكر هنا بالمعنى الصوفي .

(٤) الفلذة : القطعة وقوام الشيء نظامه وعماده .

(٥) النضو : المهزول الضعيف .

(٦) أتوق : أشتاق .

وَأَقْرَأُ تَارَةً شِعْرَ الْعِرَاقِيِّ (١)  
وَأَخْيَاناً مِنَ الْجَامِي أَحْتِرَاقِي (٢)  
أَيِّنَ لِحُونِ أَعْرَابٍ وَلِحْنِ  
لِحَادِي نَاقَتِي بَعْضُ اتِّفَاقِ (٣)

\*\*\*

أَشْبُ فَرَحاً بِأَخْزَانِ الطَّرِيقِ  
طَرِيقاً طَالَ يَا حَادِي لِتَسْلُكِ  
وَكُنْ مَجْنُونَهُ غَيْرَ الْمَفِيقِ  
وَأَلَامَ الْمَفَارِقِ مِنْ حَرِيقِ (٤)  
وَقُلْ مِثْلِي «بِذِي حَسَنِ مَمَاتِي»  
«بِأَجْفَانِ رِقَاقِ دَامِعَاتِ»  
«لِنَمْسَخِ مَوْضِعِ الْقَدَمِينَ» فَاهِمِسْ

\*\*\*

لَقَدْ غَضُّوا وَغَضُّوا مِنْ حَكِيمِ  
وَنَخْنُ الْيَوْمَ فِي عَضْرِ سَعِيدِ  
جَهُولِ كَانَ ذَا الْفَضْلِ الْعَمِيمِ (٥)  
لَدَى السُّلْطَانِ دَرْوَيْشِ عَظِيمِ

\*\*\*

بِصَدْرِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَعَيْتِ  
وَلَمَّا جُرْتُ فِي الْعَلْيَاءِ سَقْفاً  
بِرَأْسِي «لَا مَكَاناً» قَدْ حَوَيْتِ  
جَنَاحِي كُلَّ فِي أَرْضِي هَوَيْتِ

(١) هو فخر الدين العراقي المتوفى عام ٦٨٨ هجرية من شعراء التصوف في إيران . وشعره رقيق أنيق يموج بالعشق الإلهي ، وقد رحل إلى الهند وأصبح من شيوخ الطريقة القلندرية التي تلزم أتباعها بالسياحة فساح في البلاد طويلاً وعرضاً . ولما زار مصر وجد السبيل إلى سلطانها الذي أكرمه حق إكرامه وأمر بتنصيبه شيخاً لشيوخ مصر .

(٢) جامي : هو الشاعر الفارسي عبد الرحمن الجامي المتوفى عام ٨٩٨ هجرية ويعد من أعظم شعراء الفرس وآخر فطاحلهم من القدماء . والنزعة الصوفية غالبية على شعره ، وقد نظم قصة ليلى والمجنون وطوعها لمعاني التصوف ورموزه ، كما أن له عدة منظومات قصصية ضمنها شروحات لأحكامه في رمزية وروحانية دقيقة .

(٣) الحادي : من يغني للإبل .

(٤) الحريق : النار . أشب : أمزج .

(٥) غضوا منه : حقروا من شأنه .

بِوَادِينَا خُلُودٌ لِلزَّمَانِ      بِإِلَّا صُورٍ نَمَتْ فِيهِ الْمَعَانِي  
حَكِيمٌ دَائِمًا أَخَى كَلِيمًا      لِسَانَ سَاكِتٍ عَنِ (لَنْ تَرَانِي) (١)

\*\*\*

وَيُنِيدِي الْمُسْلِمُ الْمَحْبُوبُ فَقَرَهُ      يُصَعَّدُ مِثْلَ حَرِّ النَّارِ زَفَرَهُ  
شَكَا مِنْهُ الْفُوَادُ وَلَيْسَ يَدْرِي      فَهَبْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَظْرَهُ

\*\*\*

عَذَابِكَ مِنْهُ كَمْ ذُقْتَ الْعَذَابَا      بِكَ الْأَلْحَانُ لِي كَانَتْ عَذَابَا  
حَزِينٌ ، مَا رَأَتْ عَيْنَايَ يَوْمًا      بِأَرْضِ الْهِنْدِ قَطُّ لَكَ الصَّحَابَا  
لِعَبْدِ الْهِنْدِ لَيْلٌ ضَاعَ فَجْرُهُ      وَأَيْنَ الشَّمْسِ بَلْ قُلْ أَيْنَ بَدْرُهُ  
أَنَا الْمِسْكِينُ فَلْتَرْفُقْ بِحَالِي      أَمِثْلِي مُسْلِمٌ قَدْ عِيلَ صَبْرُهُ (٢) ؟

\*\*\*

فَقِيرٌ ضَاقَ بِالْأَلَمِ الْمُقِيمِ      بَدِينِ الْحَقِّ ذُو الْأَصْلِ الْكَرِيمِ  
إِلَهِي كُنْ لِمَحْزُونٍ مُعِينًا      هُوَى مِنْ صَرْحِهِ الْعَالِي الْقَدِيمِ

\*\*\*

لِسَانِي كَيْفَ يَرُوي عَنْهُ شَيْئًا      وَتَعْلَمُ مَا بَدَأَ بِلِ وَالْخَفِيَا

(١) أراد إقبال قوله تعالى سورة الأعراف ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا سَجَدَ لِرَبِّهِ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَوْعًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

وقال جلال الدين الرومي في شعره : إن الله خالق الوجود من العدم والرؤية لا تكون إلا لما ظهر وخلق . وتباينت أقوال المفسرين في معنى تلك الآية الكريمة وفي كتاب (في السماء) يقول إقبال :

(لن تراني) إنها المعنى الدقيق      ولتضع فيه فذا البحر العميق

(٢) عيل صبره : نفذ .

وما قاساه في دهر طويل طوى قلبي على الآلام طيا  
جَرَى فلكٌ على غيرِ المَرَامِ شكاةَ الرِّكَبِ منْ بَعْدِ المَقَامِ  
أفِي هَذَا كَلَامٍ لَيْتَ شِعْرِي وَهَذَا الشَّعْبُ كَانَ بِلاَ إِمامِ

\*\*\*

دِماءٌ فِيهِ تَخْلُو مِن لَهَابِ وَمَا زَرَعَ الأَزَاهِرَ فِي الخرابِ!؟<sup>(١)</sup>  
خَلِي الغَمْدِ . ما فِي الكَفِّ مَالِ وَهَذَا الرِّفُّ يَهْوِي بِالكِتَابِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

بِظَاهِرِ ما يَرَاهُ القَلْبُ قَيْدِ فَمِنْ ذوقِ وَمِنْ شوقِ تَجَرَّدُ<sup>(٣)</sup>  
صَفِيرِ الصَّفْرِ حَتْمًا لَيْسَ يَذْرِي عَلَي طَنْ البَعوضَةِ مَنْ تَعَوَّذُ  
لَهُ بِالقَلْبِ باباً ما فَتَخْنَا وَذاتاً فِي ثِراهِ ما رَأَيْنَا  
وَلَا التَّكْيِيرِ دَوَى فِي ضَمِيرِ وَمِنهُ الذِّكْرَ قَطْ ما سَمِعْنَا

\*\*\*

يُقْدُ الجِيبَ مَقْطُوعِ الرِّجاءِ لِمَاذا قَدْ تَرَدَّى فِي البِلاءِ<sup>(٤)</sup>  
شِبْهَ المَوْتِ ما يَلْقَى نَصيباً إِذا ما كَفَّ عَبْدٌ عَن ثِناهِ

\*\*\*

أَنْلَهُ الحِوِّ ، مِسْكِينُ أُسِيرِ فَقِيرٌ وَهُوَ فِي قَلْقٍ يُشورِ  
وَهذِي حانَةٌ قَدْ أَوْصَدُوهَا لِيظْمًا وَالرَدَى كَأْسٌ تَدُورُ<sup>(٥)</sup>  
فَطَهَّرْ ماءَهُ وَالطِينِ طَهَّرْ بِدُنْيَا مِنْهُ هَذَا القَلْبَ عَمَّرْ

(١) اللهب : اشتعال النار

(٢) خلي الغمد : لا سيف في غمده .

(٣) الذوق في الاصطلاح : نور يلقيه الله في قلوب أوليائه يميزون به بين الحق والباطل .

(٤) يقْد : يشق . الجيب : فتحة الثوب حول العنق . وتردى : وقع .

(٥) الحانة هنا بمعناها عند الصوفية .

تَمَزَّقَ ذَيْلُهُ وَالرَّيْحُ تُسْفِي      فَفِي مِضْبَاحِهِ الْمَخْطُومِ فَكَّرُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

عَرُوسٌ هَذِهِ الدُّنْيَا لِغَيْرِهِ      مَقَامٌ لِلْفَنَاءِ نَهْجٌ لِسَيْرِهِ  
وَقَبَلَ الْمَوْتَ آدَتُهُ الْخَطَايَا      لَهُ الْمَلَكَانِ مِنْ دَبْرِ بَقْبِرِهِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

أَفِي عَيْنَيْهِ نُورٌ أَوْ سُورُورٌ      وَمَا فِي صَدْرِهِ قَلْبٌ صَبُورٌ  
لِهَذَا الشَّعْبِ كُنْ رَبِّي مُعِينًا      قَضَى ، فَالزُّورُ مَا فِيهَا حُضُورٌ<sup>(٣)</sup>  
حَنِيفٌ وَالرَّدَى مَا لَيْسَ يَأْلَفُ      أَيْخَلَعُ قَلْبَهُ رُغْبًا وَيَأْسَفُ<sup>(٤)</sup>  
وَيَبْنَ ضُلُوعِهِ مَا كَانَ قَلْبٌ      يَقْطَعُ زَقْرَةَ حَرَى وَيَأْسَفُ !

\*\*\*

وَحُكْمُ الْفَرْدِ شَرٌّ لِلْأَنَامِ      فَمَنْ مِنْ شَرِّهِ غَيْرِ الْمَضَامِ  
شَكَاةَ الْقَلْبِ لِلْخِلَافِ فَاسْمِعْ      إِذَا مَا شِئْتَ تَحْقِيقَ الْمَرَامِ

\*\*\*

رَكِينًا كَانَ جِسْمُ الْمُسْلِمِينَ      بِنَاءٍ ظَلَّ فِي آدِ مَتِينَا<sup>(٥)</sup>  
وَإِنْ نَظَرُوا فَقَدْ ظَهَرُوا بِذَاتِ      لَهُمْ فِي الْحَفَقِ أَشْبَهَتِ الْوَتِينَ<sup>(٦)</sup>

(١) تسفي : تحمل الغبار ، والمخطوم : المحطم .

(٢) آدته : أثقلته .

(٣) قضى : مات . والحضور : حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبي كالحكم العيني .

(٤) الحنيف : الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه .

(٥) الركين : القوي . الآد : القوة .

(٦) الوتين : عرق في القلب .



خَجُولٌ مُسْلِمٌ هَانَتْ شُؤُونُهُ      لَهُ الْخَانِقَاهُ فَقَرُّ ، مَاتَ دِينُهُ (١)  
بِدُنْيَانَا فَقُلْ مَاذَا وَرَثْنَا      كَلِيمٌ عَنِ مُلُوكٍ نَسْتَبِينُهُ (٢)

\*\*\*

وَعَنْ أَحْوَالِهِ لَا تَسْأَلْنِي      فَقَدْ سَاءَتْ وَفِيهَا حَارَ ظَنِّي  
وَهَذَا الطَّيْرُ بِالثَّمَرَاتِ يَغْذُو      لَهُ فِي الْبَيْدِ نَقْرٌ بِالتَّعْنِي (٣)

\*\*\*

لِعَيْنَيْهِ الْحَيَاةَ أَنَا فَتَخْتُ      وَمَا فِي الْأَمْسِ وَالْغَدِ كَمْ شَرَحْتُ  
كَشَفْتُ الرُّوحَ أَسْرَاراً فَهَلْأُ      بِلَاغَةَ يَغْرُبُ يَوْمًا مَنَحْتُ  
وَلَيْسَ لِمُسْلِمٍ جَيْشٌ عَرْمَرَمَ      بِذَاتِ مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ أَكْرَمَ (٤)  
فَلَوْ رَدُّوا إِلَيْهِ الْيَوْمَ حَقًّا      لَكَانَ جَلَالُهُ لَا رَيْبَ أَعْظَمَ

\*\*\*

أَسَاطِيرُ مَتَاعِ الشَّيْخِ حَقًّا      مِنْ الْأَوْهَامِ أَقْوَالًا تَلَقَّى  
لَهُ الْإِسْلَامُ بِالرُّتَارِ يَبْدُو      وَذَا حَرَمٍ وَمِنْ ذَيْرٍ تَبَقَّى

\*\*\*

وَعَالَمُنَا بِالْحَادِ تَغْيِيرُ      وَأَنَّ الرُّوحَ مِنْ جَسَدٍ تَقَرَّرُ

- 
- (١) خانقاه : كلمة فارسية الأصل بمعنى المبنى الذي يقيم فيه الصوفية . ويقال : إن الشاعر الفارسي أبا سعيد بن أبي الخير وهو من صوفية القرن الخامس الهجري هو مؤسس أول خانقاه في إيران . ومعلوم أن كل مدينة وكل ناحية في إيران كان بها خانقاه حين الغزو المغولي . وكانت كل خانقاه تابعة لشيخ أو لفرقة خاصة من فرق الصوفية . وقد تنافس المتنافسون من العظماء في بناء الخوانقاهات ووقف الأموال عليها .
- (٢) الكليم : البساط وتأتي كذلك بمعنى الثوب الخلق . نستبينه : نعرفه ونميزه .
- (٣) التعني : الشدة والصعوبة .
- (٤) الجيش العرمرم : الشديد .

بِفَقْرٍ كُنْتَ لِلصَّدِيقِ تُعْطِي  
لَنَا حَرَمٌ فَمَاذَا يَسْتَعِيرُ !  
وَأَظْلَمَ حَظُّنَا نَحْنُ الحَيَارَى  
أَنْزِ رَوْحاً تَسَامَى أَوْ تَطْوِزُ<sup>(١)</sup>  
بِهِ صَنَمٌ هُوَ الشَّيْخُ الكَبِيرُ  
وَمَا فِي القَلْبِ لِأَمَالِ نُورِ

\*\*\*

فَقِيرٌ رَكَعَةً لِهَلِّ صَلَاةِ  
وَتِلْكَ النَّارُ إِنْ خَمَدَتْ بِصَدْرِ  
طُعَاةٌ أَوْ بُغَاةٌ مَنَ أَدْلَا  
إِلَى عَتَبَاتٍ مَنَ ظَلَمُوا تَوَلَّى<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

(١) يضرب إقبال على قالب شعراء التصوف الذين ألفوا أن يتهكموا بالشيخ أو الزاهد .  
والشيخ عندهم رمز لغير المتصوف . وقد اتسعت شقة الخلاف بين المتصوفة  
والفقهاء ، ولا غرو فالتصوفة يجنحون إلى التأويل والتمثيل والتخييل ويصدون عن  
الظاهر للغوص في أعماق الباطن . أما الفقهاء فوقافون عند حرفية النصوص لا يمعنون  
في الاجتهاد بالرأي . ولا يكاد يخلو شعر صوفي من هذا التهكم التقليدي بالزهاد  
والشيوخ . مثال ذلك قول الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي ما ترجمته :  
( امض عنا أيها الزاهد وكف الملام عن شاربِي المدام ، فما منحونا سوى تلك التحفة  
يوم أَلَسْتَ ) والإشارة في يوم أَلَسْتَ إلى قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ  
مِنَ ابْنِ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ والشاعر يريد ليقول  
إن الصوفية أتشفقوا بعشق الذات الإلهية منذ أن عرفوا ربهم . الزنار : ما يشده النصراني  
على وسطه .

يريد الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان واسع الثراء غير أنه أنفق ماله على  
رسول الله ﷺ وفي سبيل الله . قالت عائشة رضي الله عنها : إن أبا بكر أنفق على النبي  
أربعين ألفاً . وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : لما خرج ﷺ وخرج معه أبو بكر احتمل  
ماله كله معه . وقال لها جدّها أبو قحافة وقد ذهب بصره : إن أباهما قد فجعهما بماله  
فردت عليه بقولها إنه ترك خيراً كثيراً وأخذت أحجاراً وضعتها في كوة البيت الذي كان  
أبوها يضع المال فيه ثم غطتها بثوب وقادت إليها جدّها الضرير ووضعت يده عليها  
فقال : إنه أحسن بترك هذا وفيه الكفاية . وقد أرادت أسماء أن تسكن جدّها وتوهمه بأن  
أباهما ترك شيئاً ، ولم يترك لعياله أي شيء .  
(٢) تولى : مضى وأدبر .

يَعَادِي الْمَسْلُومُونَ الْأَقْرَبِينََا      وَظَلُّوا فِي شِقَاقِ رَاغِبِينََا  
تَدَاعَى مَسْجِدٌ يَوْمًا لِيَأْسُوا      وَكَانُوا مِنْهُ دَوْمًا هَارِبِينََا (١)  
لِغَيْرِ اللَّهِ عَقَبْنَا الْجَبِينَا      وَكُنَّا كَالْمَجُوسِ مُهَلِّلِينََا  
فَأَنْفُسَنَا شَكُونَا لَا سِوَانَا      لِمِثْلِ عُلَاكَ لَسْنَا لَا يُقِينَا

\*\*\*

خَلَّتْ مِنْ رَاحِهَا كَأْسُ التُّدَامَى      إِلَامَ الصَّمْتِ لِلِسَاقِي إِيَامَا  
عَلَى الزَّفَرَاتِ مِنْي الْقَلْبَ أَطْوِي      دُخَانًا لِلسَّرَاجِ مَحَا الظَّلَامَا (٢)

\*\*\*

لَدَى الصُّوفِيِّ دِنَ مَا رَوَاهُ      وَيَطْوِي مَكْتَبًا نَهَجًا طَوَاهُ (٣)  
أَعَادَرَ مَجْلِسَ الشَّعْرَاءِ كَرَاهًا      وَمَاتَ اللَّحْنُ فِي نَائِي حَوَاهُ  
غَرِيبٌ ، مُسْلِمٌ ، عَنْ كُلِّ دَارٍ      وَلِي دُنْيَا أَعَافُ ، مِنَ الْعُبَارِ  
وَهَذِي لَوْعَتِي مِنْ فَرْطِ عَجْزِي      لِغَيْرِ اللَّهِ أَبْدَيْتُ اقْتِدَارِي

\*\*\*

وَتَمَنُّنِي جَنَاحًا كِي أَطِيرَا      وَالْحَانِي خَفَقْتُ بِهَا سَعِيرَا (٤)  
فَهَلْ مِنْ مُسْلِمٍ يَخْشَاهُ مَوْتُ؟      أَطَلْتُ ، وَمَا وَجَدْتُ ، أَنَا الْمَسِيرَا

\*\*\*

سَأَلْتُ اللَّهَ بِالدَّمْعِ السُّكُوبِ      أَحَانَ لِمُسْلِمٍ رَفَعَ الكُرُوبِ؟

(١) يأسى : يحزن . يعجب لمن يحزنهم ضياع حجر من مسجدهم وهم الذين لا يدخلون للصلاة فيه .

(٢) يشبه الزفرات بالدخان . والزفرة في الفارسية تسمى دخان القلب .

(٣) يصطنع إقبال طريقة الصوفية في التعبير ، غير أنه يخالفهم في التفكير ويتناول أعمالهم وأقوالهم بالتنديد والتنديد . المكتب : المدرسة . والنهج : الطريق .

(٤) السعير : النار .

نِدَاءٌ ظَلَّ فِي سَمْعِي يُدَوِّي  
لِمَاذَا أَدُّكُرُ الْمَاضِي الْمَجِيدَا  
بِصَدْرِي قَدْ حَوَيْتُ أَنَا سِرَاجَا  
« لَهُ قَلْبٌ وَأَقْفَرٌ مِنْ حَيْبٍ »  
فَهَذَا الذُّكْرُ مَا كَانَ الْمَفِيدَا  
وَفِي قَرْنَيْنِ أَنْسْتُ الْخُمُودَا<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وَيَخْرُسُ كَعَبَّةً بِنَاءٍ دِير  
وَتَقْضُرُ نَظْرَةً مِنْهُ وَفِيهَا  
يَقِينُ مَاتَ فِيهِ رَنَا لِغَيْرِ<sup>(٢)</sup>  
تَجَلَّى يَأْسُهُ مِنْ كُلِّ خَيْر

\*\*\*

وَتَشْرِيْدُ وَنَارٌ لِلْفَقِير  
وَفِيهِ الْقَلْبُ ثَبَتَ أَوْ أَنْزَهُ  
وَلِي مِنْ نَشْوَتِي<sup>(٣)</sup> قَدْ تَرَنَّخَ  
فَهَيَّبِي نَظْرَةً وَازَافَ بِحَالِي  
مِنَ الْحَرْقَاتِ هَبْ نَارَ الضَّمِير  
بِأَمَالِ الْيَقِينِ كَفَيْضِ نُور  
بِلَا سَيْفِ دِمَاءٍ كُنْتُ أَسْفَخَ  
فَلِي عَضْرٌ أَجَاهِدُهُ وَأَكْذَخَ

\*\*\*

لَقَدْ آتَزْتُ أَنْ أَشْكَوَ وَجِيدَا  
أَطْلُبُ مَكْتَبِي أَمْ هَانَ شَوْقِي  
وَيَتْرِبُ رُمْتَهَا فَاجْتَزْتُ بِيَدَا  
تَحَيِّزُ ، حَيْرَتِي تَأْبَى الْمَزِيدَا

\*\*\*

أَطِيرُ بِجَوِّهِ هَذَا الْمَحَبَّبِ  
وَبَيَّتُ اللهُ أَخْوِيهِ بِقَلْبِي  
أَقُولُ السَّرَّ مِنْ مَا قُلْتُ يُفْهَمُ  
أَمِيرَ الْقَوْمِ أَنْصِفْنِي فَإِنِّي  
وَمِنْ عَيْمِ جَنَاحِي قَدْ تَرَطَّبِ  
أُغْنِي مَا بِقَلْبِي ثُمَّ أَطْرَبِ  
وَمَنْ مِنْ دَوْحَتِي الثَّمَرَاتِ يَطْعَمُ  
عُرِفْتُ بِشَاعِرِ غَزَلٍ تَرْتَمُ

\*\*\*

(١) آنس : رأى . والشاعر يشير إلى فساد حال القوم في القرنين الماضيين .

(٢) رنا : أدام النظر .

(٣) النشوة : السكر .

وَحُلَّتْ عُقْدَةُ الْمَعْنَى بِحَلِّي  
فَدِرْهُمْ مُفْلِسٍ ذَهَبٍ بِصَفْلِي (١)

خِلَافَ الشُّعْرِ مَا أَبْغِي بِقَوْلِي  
وَأُكْسِرَ لِعِشْقِي مَا أُرْجِي

\*\*\*

وَمَنْ مَاتُوا حَدِيثَ الرُّوحِ ذَكَّرَ  
بِمَوْتِهِمَا إِذَا مَا شِئْتَ بَشَّرَ  
جَرَتْ عَيْنِي بِمِثْلِ الْأَرْجُونَ (٢)  
فَهَذِي عُقْدَةٌ لِي فِي لِسَانِي

حَيَاةَ الْخُلْدِ عَنْهَا قَلْتُ خَبَّرَ  
وَقَوْمٌ يَجْحَدُونَ الْحَقَّ قَالُوا  
جَبِينِي مِنْ أَسَى كَالزُّعْفَرَانِ  
وَحَالِي أَنْتَ تَعْلَمُ رَغَمَ صَمْتِي

\*\*\*

وَذُو أَلَمٍ تُكَلِّمُهُ بِعَيْرِهِ  
فَشَرَعِي لَا يَجِيزُ الْقَوْلَ مَرَّةً

غَرِيبٌ ، لِي لِسَانٌ وَهُوَ نَظَرَهُ  
فَمِي أَوْصَدْتُ ، بِالْعَيْنِينَ أَرْنُو

\*\*\*

وَزَمَزَمَ بَيْنَ صَلْصَالِ قَلْبِيَا (٣)  
سَأْضَلِّي كُلَّ بَلْبَالٍ لَهْيِيَا (٤)  
وَلِي أَمَلٌ وَنَبْعُكَ مَا رَوَاهُ  
عَلَى مَنْ غَيْرِ ذَاتِكَ مَا طَوَاهُ

مَنْخَتُ الذَّاتِ مِنْ ذَاتِي غَرِيبَا  
فَهَيِّنِي زَفْرَةَ حَرَّى وَمِنْهَا  
زَفِيرٌ لَيْسَ فِي قَلْبِي سِوَاهُ  
لَمَنْ أَشْكُو غَمُومًا فِي فُؤَادِي

\*\*\*

وَنَارُ اللَّحْنِ مِنْهَا ذَابَ وَجَدًا  
يَرُومُ الْقَلْبَ (٥) عَنْ دَارِينَ صَدًّا

غَرِيبٌ شَجْوَهُ بِالنَّايِ أَبْدَى  
أَتَعْلَمُ مَا يَقُولُ وَمَا تَمْنَى

(١) الأكسير : ما كان يلقيه الأقدمون على الفضة ونحوها ليحيله إلى ذهب خالص .

(٢) الأرجوان : اللون الأحمر .

(٣) القلب : البئر .

(٤) البلبال : الهم .

(٥) يروم القلب : يُرِيدُ .

وما زهراً ولا قطراً أريد  
وتعلو نظرتي عن كلِّ نجمٍ  
بيحرٍ شَطَّه لم أدرِ بُغده  
إلى البطحاء تأمرنا بسير  
لتلك الريح ، شمك كم تجود  
ورأيي لا أبدله سديد  
دليلُ العاشقين القلبُ وحده  
وإلاً كنتَ ما وقفت عنده<sup>(١)</sup>

\*\*\*

أطرُدُ من يتوقُ إلى الحضور  
بما أحبيت مُزٍ إلا بصبر  
ألِمتُ ولسْتُ أعرَفُ بالصَّبور  
عجزت أنا إليه عن المسير

\*\*\*

دُمى الإفرنجِ قلبٌ لي تعشَّق  
لقد أصبحتُ عن نفسي غريباً  
ومن نارٍ لأهل الدير أحرق<sup>(٢)</sup>  
فما أذري وجوداً لي تحقَّق  
يَحانِ الغربِ عاقزتُ الشَّراباً  
وكم جالستُ أهلَ الحسنِ لكنْ  
برُوحِي قَدْ شَرَيْتُ لي العذاباً<sup>(٣)</sup>  
بدتْ ييرانهم ثُلجاً مُذاباً

\*\*\*

فقيراً فلتحقَّق لي رَجائي  
سئمتُ الدرسَ يلقىهِ حكيماً  
هشيمي اجعله قلباً في الفِضَاءِ<sup>(٤)</sup>  
فلي من نظرتي فيضُ الذكاءِ

\*\*\*

- 
- (١) البطحاء : مكة المكرمة .  
(٢) الدمى : جمع دمية وهي الصورة المنقوشة أو الصنم . وشعراء الفرس يشبهون الحسناء بالصنم في الحسن . والشاعر يشير من طرف آخر في تهكم وسخرية إلى التهافت على تقليد الغربيين .  
(٣) عاقر الخمر : أدمن شربها . شريت : اشتريت .  
(٤) الهشيم : ماتكسر من يابس النبات .

أَنَا الصَّوْفِيَّ وَالْمَلَأَ أَجَافِي  
عَلَى صَفْحَاتِ قَلْبِي « اللَّهُ » فَكَتَبْتُ  
فِي قَلْبِي لَمَلَأَ الْقَمَّ حَلًّا  
أَوْلَى مِنْ مَجَالِسِهِ فِرَارًا  
وَتَعَلَّمْتُ مَنْ أَكُونُ بِلَا خِلَافٍ (١)  
لِأَشْهَدَهُ وَذَاتِي بِالشُّغَافِ (٢)  
وَهَلْ بِالدَّمْعِ بَلَّ الْعَيْنَ بَلًّا  
أَزِينُ حِجَازَهُ بِالْبَثْرِ؟ كَلَّا

\*\*\*

يَقُولُ الْقَوْلَ نَضْلًا لِلْحَرَابِ  
وَتَخْجَلْنِي الصَّرَاحَةَ فِي كَلَامِي  
وَفِي حِضْنِي لَهُ كَمٍ مِنْ كِتَابِ  
عَنِ الذَّاتِ اخْتَفَى لَا عَنْ صِحَابِ (٣)

\*\*\*

أَجِبْ بِاللَّهِ مِنْ مَلِكِ الْقُلُوبَا  
كِلَانَا مَنْ رَمَى فِي الدِّينِ سَهْمًا  
وَلَسْتُ بِمُخْفَلِي غَيْرِ الْغَرِيبِ  
ذُبُوعِ السَّرِّ يَبِينُ الْقَوْمِ أَحْشَى  
وَمَنْ قَدْ أَلْهَمَ الشُّوقَ الْمَذِيبَا  
فَقُلْ فِي الرَّمِي مِنْ كَانَ الْمَصِيبَا  
لَمَنْ فِي مُشْكِلِي شَكْوَى كُرُوبِي؟  
شَكَاتِي صَنْتُ عَنْ قَلْبِي الْكَثِيبِ

\*\*\*

وَقَلْبِي لَسْتُ أَسْلَمُهُ لِأَيْدِي  
إِلَى غَيْرِ الْإِلَهِ رَفَعْتُ عَيْنِي  
أَضِيقُ بِعَقْدَتِي وَأَجِلُّ وَخَدِي  
لِذَا مِنْ قَمَّتِي كَانَ التَّرْدِي

\*\*\*

- 
- (١) الملا : كلمة تركية مأخوذة عن العربية ( مولى ) . وهي بمعنى الشيخ والمعلم والقاضي . والشاعر يطلقها على الشيخ والفقير وغير الصوفي .  
(٢) الشغاف : غلاف القلب أو حبه . وإقبال يجري على مألوف الصوفية من تجريح غير المتصوفة . غير أنه يريد ليخرج ضيقي الأفق من المسلمين المتمزتين الجامدين .  
(٣) يعبر إقبال عن نزعة الفكرية التحررية ورغبته في فهم الدين حق الفهم بنجوة عما لا يقره الدين من جمود على الأساطير والأوهام ، ويبالغ في وصف من نظروا في أحكام الدين بلا عقل ولا روح . والمبالغة تفهم على أنها مبالغة إلا أنها تؤكد المعنى وتؤيد الغرض .

بِزُّ أُمِّي جَمْرَةٌ هَذَا الْجِنُونَ      بِصَدْرِي فَوْرَةٌ هَذَا الْفُتُونُ<sup>(١)</sup>  
 وَمِنْ أَمْوَاجِ طُوفَانٍ تَقْضَى      بروحي الموجُ يجفوه الشُّكُونُ<sup>(٢)</sup>  
 لِهَذَا التَّرْبِ مَا زَالَ الشَّرَارُ      لهذا الصدرِ زفرُ الفجرِ نَارُ  
 بِمَا أَهْدَيْتَ مِنْ نُورِ التَّجَلِّي      على نظيرِ لعينيِّ اقْتِدَارُ

\*\*\*

أَشَاهِدُ غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ أَرْغَبُ      وَيِنَّ جَوَانِحِي قَلْبٌ تَلَهَّبُ  
 وَهَذَا الْعَضْرُ مِنْ رَوْحٍ تَخْلَى      فقل ما السُّرُّ أو مثلي تَعَجَّبُ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

وَفِي عَصْرِ بِلَا لَهَبٍ خُلِقْتُ      تُرَابِي فِيهِ مَا يَهْفُو مُنْخَتُ  
 وَفِي عُنُقِي حَيَاتِي مِثْلُ حَبْلِ      على عودِ كَأَنِّي قَدْ صُيِّبْتُ  
 وَمَا لِلزَّهْرِ أَلْوَانِي وَرِيحِي      يَضِيقُ الصَّدْرُ بِالْأَمْلِ الْجَرِيحِ  
 وَمَا وَسِعَ الْكَلَامُ أَسَى خَفِيًّا      لِمَنْ أَشْكَو بِقَوْلٍ لِي صَرِيحِ

\*\*\*

وَفِي شَرْقٍ وَفِي غَرْبٍ غَرِيبُ      فُوَادِي لَا يُوَاسِيهِ الْحَيْبُ  
 هُمُومُ الْقَلْبِ أَشْكَوهَا لِقَلْبِي      فَكَانَ لِغُرْبَتِي خَذَعٌ عَجِيبُ

\*\*\*

لِعِلْمِ الْيَوْمِ أَنْبَلْتُ الطَّلَسْمَا<sup>(٤)</sup>      حَطَمْتُ حَبَائِلًا بِالْحُبِّ حَطْمًا

(١) الجنون عند المتصوفة هو جذبة العشق الإلهي .

(٢) تقضى : مضى وانتهى .

(٣) تخلى منه وعنه : تركه .

(٤) الطَّلَسْمُ وَالطَّلَسْمُ ، ج : طلاسَم وطلسمات ، يونانية معرّبة : خطوط وأعداد يزعم

كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب أو دفع

أذى وهو ضرب من السحر .



وإِزَاهِيمَ مَنْ أَشْبَهْتُ حَقًّا      فَمَا كَانَتْ لَدَيَّ النَّارُ هَمًّا  
حَبَوْتُ الْعَيْنَ بِالْبَصْرِ الْبَصِيرِ      وَقَوْلُهُ « لَا إِلَهَ » كَفَيْضِ نُورِ  
وَفَجْرًا فَلْتَهَبِ مِنْ « مَنْ رَأَى »      فَلَيْلِي مِنْكَ ذُو الْبَدْرِ الْمَنِيرِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وَفِي يَوْمٍ جَذَبْتُ إِلَيَّ ذَاتِي      بِأَنْوَارٍ مَقَامِي مُشْرِقَاتِ  
بِهَذَا الدَّيْرِ مِنْ نَعْمَاتِ فَجْرِ      خَلَقْتُ ذُنَى الْقُلُوبِ الْوَالِهَاتِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

بِعَالَمِنَا جَنَّانٌ عَالِيَاتُ      لدوحتها دموعي الجارِيَاتُ<sup>(٣)</sup>  
سَكُونٌ كَانَ حَتَّى الْيَوْمِ فِيهَا      فَأَيَّامٌ لَأَدَمَ آتِيَاتُ  
أَلَا هَبَهَا فَتَى يَخْتَالُ فِيهَا      هَوَاهُ الْكَأْسُ دَارَتْ يَحْتَسِبُهَا  
نَرَاهُ مِثْلَ حَيْدَرَ فِي قِوَاهِ      مَنَى الدَّارَيْنِ مَا إِنْ يَشْتَبِهَا<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

أَدِرْ يَا صَاحِبَ كَأْسَاتِ النُّدَامَى      وَزِدْ فِي نَيْي أَلْحَانِي ضِرَامًا<sup>(٥)</sup>  
وَهَذَا الْقَلْبُ رُدًّا إِلَى ضُلُوعِي      لِأَفْضَلِ كُلِّ مَنْ مَلَكَوَا ، مَقَامَا

\*\*\*

وَمِنْ عِشْقِ لَنَا الدُّنْيَا بِصَدْرِكَ      وَتَفْرَحَ فَرَحَةً نَشْوَى بِصَدْرِكَ  
فَمِنْ جِبْرِيلَ ؟ إِنِّي لَسْتُ أَذْرِي      أَأَبَدْتُ جَوْهَرًا مِرْزَاةَ صَدْرِكَ

(١) إشارة إلى القول الذي جاء فيه ( من رأى فقد رأى الله ) كذا في الأصل .

(٢) الدنى : جمع دنيا .

(٣) الدوحة : الشجرة العظيمة .

(٤) حيدر : هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٥) أدار الكأس : طاف بها على الشاربين .

فُوَادِي لَمْ يُمِقْ أَحَدًا بِمَعْبَدٍ      مُقَامِي أَيْنَ ؟ كُنْتُ بِهِ الْمُقَيَّدَ (١)  
إِلَيْهِ يَبْتَغِي مِنِّي سُجُودًا !      لَقَدْ حَطَّمْتُهُ وَهُوَ الْمَبْدُ

\*\*\*

وَهَذِي زَهْرَةٌ نَبَتَتْ بِتُرْبِي      بَدَتْ فِي حَمْرَةٍ مِنْ ذُوبِ قَلْبِي  
تَقْبَلُهَا ، بِهَذَا الْقَلْبِ رَفَقًا      فَلِي قَلْبٌ ، وَهَذَا الْقَلْبُ حَسْبِي (٢)

\*\*\*

لِهَذَا الشَّعْبِ إِنِّي قَدْ خَفَقْتُ      وَلِحِنِّي النَّارَ فِي رُوحِي خَلَقْتُ  
وَجِزُّ الْقَوْلِ خَيْرُ الْقَوْلِ قَالُوا      خَفَقْتُ ، خُلِقْتُ ، لَكِنِّي اسْتَرَحْتُ  
بِفِطْرَةٍ مِنْ تَمَجَّنَ رَمْتُ صِدْقًا      وَتَحْرِقُ زَفَرَتِي الْأَرْوَاحَ حَزَقًا (٣)  
سَحَابًا لِلرَّبِيعِ فَهَبْ تِرَابِي      وَفِيهِ الْحَبُّ أَنْشَرُهُ لِيَبْقَى

\*\*\*

بِكَفِّي الْقَلْبُ ، مَالِي مِنْ حَبِيبِ      مَتَاعٌ لِي ، فَمَنْ لَصَّ الدُّرُوبَ ؟ (٤)  
وَهَذَا الصَّدْرُ فَلْتَسْكُنْهُ دَارًا      وَحِيدٌ ، لَا أَشْبَهُ بِالْغَرِيبِ

\*\*\*

بَيْتِ اللَّهِ كَالرُّومِيِّ أَذَانِي      فِسْرُ الرُّوحِ أَوْضَحُ وَالْمَعَانِي (٥)  
طَوَاهُ بَفْتَنَةِ عَصْرٍ قَدِيمٍ      وَلَكِن لِي الْجَدِيدُ مِنَ الزَّمَانِ  
لَكَ الْبَسْتَانُ أَنْبَتْ مِنْ تِرَابِي      وَلَوْنُهُ بَدْمُعِي فِي انْسِكَابِ

(١) ومق : أحب .

(٢) حسبي : كفايتي .

(٣) تمجن : تكلف المجانة وهي عدم المبالاة بالأعمال والأقوال .

(٤) الدروب : جمع درب وهو الطريق .

(٥) الرومي : هو جلال الدين الرومي .

وما أملتُ سيفَ أبي ترابٍ فهبْ عيناً كسيفِ أبي ترابٍ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

على شطِّ يطولُ به الوقوفُ فعن عملٍ وعن أملٍ عزوفُ<sup>(٢)</sup>  
لمنْ غيري أنا المسكينُ حقاً على أسراره كان الوقوفُ

\*\*\*

ومن مناهُ للمحبوبِ عطراً وهذاك الربيعُ يرفُّ زهراً<sup>(٣)</sup>  
تناسى قَوْلَةَ قِيلَتْ فمندا على قصبائه بالنارِ مراً  
غديري هبْه دُرّاً مِنْ بِحَارِكُ متاعي ضَعْ بطودك أَوْ قِفَارِكُ<sup>(٤)</sup>  
بطوفانٍ فَمَا فتحتُ قَلْبِي فهبني غيره طوعاً وباركُ

\*\*\*

أثرتُ الوجدَ في نايي ، تأملُ بناري ذبتُ مُختلياً ، تأملُ  
عرفتُ الفقرَ عن سلفي قديماً عن السلطانِ إحجامي ، تأملُ

\*\*\*

(١) أبو تراب : كنية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقد أطلقها عليه النبي ﷺ .  
والخير في هذا أن علياً دخل على فاطمة ثم خرج فأتى ﷺ فاطمة وسألها أين ابن  
عمك ؟ قالت : إنه مضطجع في المسجد . فمضى النبي إليه فوجد رداءه ساقطاً عن  
ظهره ، فجعل يمسح عنه التراب ويقول اجلس أبا تراب . وفي رواية أخرى أن علياً  
وعمار بن ياسر كانا رفيقين في غزاة ذي العشيرة ونزلها الرسول صلوات الله وسلامه  
عليه وأقام بها . وجعل علي وعمار ينظران إلى من يعملون في نخل هناك ثم أخذتهما  
سنة وتتربا وجاء النبي فحرك علياً وقال له يا أبا تراب حين رأى عليه التراب . وكان  
يطيب له كرم الله وجهه أن يدعى بأبي تراب .

(٢) عزف عن الشيء : أعرض عنه .

(٣) رف الزهر : تلالاً نضرة .

(٤) الطود : الجبل . القفار : الصحارى .

كشفتُ اللبسَ عن مَعْنَى بِنِّي  
بِوَافِي مَرَّةً وَيَغِيبُ عَنِّي  
ضَمِيرَ العِيشِ أَفْتَحُهُ وَوَيْدًا<sup>(١)</sup>  
أَعْنِي مَا أَغْنِيهِ وَحَيْدًا

عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَالِي أَعْنِي  
مَعَ المَحْبُوبِ تَسْأَلُ كَيْفَ حَالِي  
لَقَدْ شَارَكْتُ فِي وَجْدٍ وَرُودًا  
فَمَنْ لَقَنْتَ شَوْقِي لَيْتَ شِعْرِي؟

\*\*\*

وَقَدْ شَاهَدْتُ أَعْمَاقَ الثَّرِيَّا  
فَمُشْكَلُ ( لا ) أَرَى صَعْبًا عَلَيَّا<sup>(٢)</sup>

بُنُورِكَ كُنْتُ أَفْتَحُ مُقْلَتِيَا  
وَإِنِّي مُسَلِّمٌ يَالْهَيْفَ نَفْسِي

\*\*\*

وَبَدءُ وَانْتِهَاءُ مِنْكَ ، حَسْبِي  
رَسُولُ اللَّهِ يَا رَحْمَنُ ، حَسْبِي  
فَلِإِنَّهَارٍ مِنْ حَجَرٍ تَفْجُزُ  
يُزَيِّنُ بِالتَّلَوُّنِ وَالتَّعَطَّرُ

بَارِضِكَ حَرْقَةُ الأَلْحَانِ حَسْبِي  
لِرَبِّي قَلْتُ مَتَشِيئًا بِوَجْدِي  
مَنْ الأَشْوَاقِ نَائِرَتِي لِنَظَرِ  
وَلَيْتَ ابْنِي بِعَشْقِكَ فِي دَوَامِ

\*\*\*

بَدَا قَمْرًا لِعَيْنِ النَّاطِرِينَا  
وَقَاهُ اللَّهُ عَيْنَ الكَافِرِينَا

قَتَى الإِفْرَنْجِ<sup>(٣)</sup> فَلْتَشْهَدْهُ جِينَا  
قَتَانَا سَادِجٍ مِنْ قَرْطِ ظُرْفِ

\*\*\*

وَمَنْ لِسَوَاكَ كَانُوا نَاطِرِينَا  
نَصِيبًا هَبْ جَمِيعَ المُسْلِمِينَا  
لِتَسْكُنَ دَائِمًا قَلْبَ الحَيِّبِ

يَمِينِكَ مُدَّهَا لِلْعَائِرِينَا  
فَمِنْ نَارٍ أَضْرَمَهَا بِرُوحِي  
إِلَيْكَ الرِّاحِ مِنْ كَاسِ الحَيِّبِ

(١) وئيداً : على مهل .

(٢) في الأصل ( لا إله ) .

(٣) الإفرنج والإفرنجة والفرنج : اسم لسكان أوربة كلها ما عدا الأروام والأتراك .

أَيَا هَذَا ( المليك ) أَذَا سُجُودًا ! لَتَكْنِسَ مُقْلَتِي دَارَ الْحَيْبِ (١)

\*\*\*

لَكَ السُّلْطَانُ لِكُنِّي فِقِيرُ  
وَدُنْيَا « لَا إِلَهَ » بَدَثَ تَأْمَلُ  
لَأَرْضِ الرُّوحِ وَالْمَعْنَى أَمِيرُ (٢)  
حَوَاهَا كُلَّهَا مِنِّي ضَمِيرُ

\*\*\*

دَوَاءٌ لَيْسَ يَنْجَعُ فِي سَقَامِي  
أَلَا يُلْقُونَنِي عَنْهُمْ بَعِيدًا  
فَإِنِّي الشَّيْخُ قَدْ وَهَنْتُ عِظَامِي  
تَعَالَ وَفِي اغْتِنَاقِ نَحْنُ نَرْقُصُ  
أَلَسْتُ لِدِينِهِمْ أَحَدَ السَّهَامِ !  
وَدُنْيَانَا نُجَافِيهَا ، وَنَرْقُصُ (٣)  
دِمَاءَ الْعَيْنِ نَذْرِفُهَا ، وَنَرْقُصُ

\*\*\*

(١) في الأصل اسم أحد الملوك .

(٢) يتردد ذكر الفقر والفقير كثيراً في هذا من شعر إقبال . والفقر من مقامات التصوف . ويعرف بأنه ليس فقدان الشيء بل فقدان الميل إليه والرغبة فيه . وشعار الصوفية ( الفقر فخري ) وقال بعضهم : إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى بالله لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر ، ويرى إقبال أن الفقر خلاص النفس من الطمع وتعفها عن ذل الحرمان . وهذا ما يكفل لها أن تعمل وتقدم منطلقاً من كل قيد . وفي كتابه جاويدانامه الذي ترجمناه بعنوان ( في السماء ) يبذل النصح لولده قائلاً :

إن رأست القوم أو صرت الغنيا فعلى الفقر احرصن يا بنيا  
(٣) يتلو إقبال تلو المتصوفة من أتباع جلال الدين الرومي الذين كانوا يستعينون بالرقص والموسيقا على تحريك نشوة التصوف في قلوبهم . ففي رأيهم أن الرقص ينتزع نفوسهم من عالم الثرى ليمسوا بها إلى العالم العلوي . كما يثير الطرب والخوف عند التائبين . وفي الرقص يقول جلال الدين الرومي ما ترجمته :

( إذا ذكرت البحر وأمواجه ، فما ذكرت شيتين متباينين فما أمواج البحر إلا البحر نفسه ولكن في ارتفاع وانخفاض . والموج بعد هبوطه إلى البحر يؤوب . وما مثل البحر إلا مثل بني الإنسان لأنهم أمواج الله وإلى الله مرجعهم بعد موتهم ) .

بِصَخْرَاءَ لَكَ اخْتَرْتَ الْمَقَامَا  
فَفِي أَيِّ الْبَقَاعِ خِيَامَكَ انْضُبْ  
وَبَشِيرُهُ لَيْلَهَا الصَّبْحَ ابْتِسَامَا  
وَكَانَ الْجَبَلُ مِنْ أَحَدِ حَرَامَا<sup>(١)</sup>

\*\*\*

بِأَرْضٍ تَخْتَوِينَا الْيَوْمَ ضِيقَنَا  
أَرَاهُمْ سَجْدَةً قَدْ عَلَّمُونَا  
وَمِنْ كِلِّ السَّمَوَاتِ انْطَلَقْنَا  
لَقَدْ كَذَبُوا وَإِنْ بَدَلُوا وَعُودَا  
وَكُنْهَ الْحَاكِمِينَ بِهَا عَرَفْنَا  
وَشَكَّلَ عَالَمًا حُرًّا جَدِيدًا<sup>(٢)</sup>  
عَنِ الْإِفْرَنْجِ فَلْتَكُنِ الْبَعِيدَا  
لَكَ النُّظْرَاتُ خُذَهَا عَنْ «مَلِيكَ»

\*\*\*

---

(١) يقول : إن اقتراض جبل الخيمة من أحد حرام .  
(٢) في الأصل اسم أحد الملوك .



القسم الثالث

المُجْتَمَع





عَدِمْتُ أَنَا كَلَامَ الْعَارِفِينََا      فَطَبِعِي كَانَ طَبَعَ الْعَاشِقِينََا  
 بِدَمْعٍ مِنْ دَمٍ فِي الرُّوضِ هَذَا      لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَفَعَمْتُ الْعِيُونََا<sup>(١)</sup>  
 وَدَارَكَ تَشْبَهُ الْقَمَرِ الْجَدِيدَا      بِأَوْجِ سَمَاكَ حَاوِلَ أَنْ تَزِيدَا  
 سَتَسْمُو إِنْ وَهَبْتَ اللَّهُ قَلْبَا      طَرِيقَ الْمُصْطَفَى فَاسْلُكْ رَشِيدَا

\*\*\*

عَلَوْتُ كَمَوْجَةٍ مِنْ بَحْرِ دَاتِي      كَمَنْتُ كَجَوْهَرٍ تَحْتَ الصَّفَاةِ<sup>(٢)</sup>  
 وَكَانَتْ غَضَبَةُ النَّمْرُودِ مِنِّي      أَعْمُرُ بَيْتَ رَبِّي فِي حَيَاتِي

\*\*\*

بِجَامِكَ سَاقِي الْجُلَاسِ أَقْبَلُ      عَلَى الدَّارَيْنِ هَذَا الذُّبُلِ أَسْبَلُ<sup>(٣)</sup>  
 حَقِيقَتَنَا لَنَا الْخُمَيْرُ أُنْدَى      لِمَلَا لَا تَقُلْ « ذَا الدِّينِ قَاعِقِلُ »<sup>(٤)</sup>  
 تَعَالَ عَنِ الْجَبِينِ اطْرَحْ نِقَابَا      فَدَمْعِي يَخْتَوِي قَلْبِي الْمَذَابَا  
 يَلْخُنْ لَيْسَ مِنْ شَرْقٍ وَعَرْبٍ      لَتَعْرِفَ ( لَا تَخَفْ ) تُطْرِبُ صِحَابَا<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

وَمِنْ صَدْرِ لَكَ التَّكْبِيرَ صَعْدُ      وَبِالْأَكْسِيرِ تُزْبِكُ فَلْتَجِدُدُ  
 وَذَاتِكَ فَاْمَلِكَنَّ تَعِشْ سَعِيدَا      لِنَفْسِكَ هَذِهِ الْأَقْدَارَ حَدُدُ

(١) أفعم : ملأ .

(٢) الصفاة : الصخرة .

(٣) أسبل ذيله على الشيء : أهمله وتناساه .

(٤) الخمير : السكر . ويطلق على الصوفي الذي انتشى بالعشق الإلهي .

(٥) يشير إلى قوله تعالى في سورة طه ﴿ قَلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ والخطاب من

الله تعالى إلى موسى حين تفوق على السحرة وأبطل كيدهم .

يَبْلُكَ الذَّاتِ شَارَفَتِ الْكَمَالَ  
 إِذَا مَا قُلْتَ ذَاتِي لِي مَتَاعٌ  
 وَأَنْتَ الذَّاتُ يَوْمًا إِنْ تُشَاهِدُ  
 وَتِلْكَ الذَّاتُ إِنْ غَرَبْتَ عَنْهَا  
 وَإِلَّا كُنْتَ لِلْعَبْدِ الْمِثَالًا  
 فَنَسِيَانٌ لَهَا لَيْسَ الْحَلَالًا<sup>(١)</sup>  
 تَقَرُّ كَجَوْهَرٍ فِي الْبَحْرِ رَاقِدٌ  
 فَأَنْتَ لِأَجْلِ هَلِكِكَ مَنْ تُجَاهِدُ

\*\*\*

كَشَفْتَ السُّتْرَ عَنْ وَجْهِ الْمَصَائِرِ  
 وَمِمَّا قُلْتَ إِنْ أَضْمَرْتَ شَكَا  
 يَنْهَجُ الْمُضْطَفَى سِرَّ يَا مُسَافِرُ<sup>(٢)</sup>  
 فَمَتَّ يَا مَنْ شَكَّكَ وَأَنْتَ كَافِرُ

\*\*\*

لِتُرْكَ فَتُحُوا مَا أَوْصَدُوهُ  
 تَمَسَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِذَيْلِ ذَاتِ  
 إِذَا قَوْمٌ رِيْبُهُمْ تَوَلَّى  
 وَتُبِّتَ أَرْضُهُمْ زَهْرًا وَلَكِنْ  
 وَفِي مِضْرَ أَسَاسٍ وَطَدُوهُ  
 يَغْيِرِ الذَّاتِ ذَا لَمْ يَغْهَدُوهُ  
 فَعِطْرُهُمُ التَّوَهُُّمُ لَيْسَ إِلَّا  
 تُشَاهِدُ لِلذُّبُولِ عَلَيْهِ ظِلًّا

\*\*\*

وَلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ رَبِّي لِشَغْبِ  
 وَلَكِنْ لَا يُحِبُّ اللَّهُ شَغْبًا  
 زِمَامًا يَمْلِكُونَ لِكُلِّ أَمْرٍ  
 بِهِ الْفَلَاحُ يَزْرَعُ كَيْ يُلْبِي

\*\*\*

مِنَ الرَّازِي كِتَابَ اللَّهِ فَافْهَمْ  
 وَلَكِنْ لِي كَلَامٌ فِيهِ فَاَنْظُرْ  
 وَمِنْهُ الثُّورُ خُذْ فَاللَّيْلُ أَظْلَمَ  
 أَنْخِيَا بِالْفُؤَادِ وَمَا تَصْرَّمُ<sup>(٣)</sup> ؟

\*\*\*

(١) يوجه الخطاب إلى المسلم .  
 (٢) النهج : الطريق . وإن أريد بالكلام خلاف ظاهره ، فالمسافر في الاصطلاح هو من سافر بفكره في المعقولات والاعتبارات فعبّر من الدنيا إلى الآخرة .  
 (٣) تَصْرَّمُ : احتدم غيظاً .

## الذاتية

لِذَاتِكَ لَا إِلَهَ فَضَمَّ مَرَّهٗ      لَتَخْرُجَ مِنْ تُرَابٍ مَاتَ نَظَرَهُ  
وَلَا تَقْبِضُ يَمِينِكَ عَنِ صُيُودِ      لَهُ الْقَمَرَانِ فِي وَهَقٍ بِجُرَّهٗ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

جَهْوٌ ، عِلْمٌ هَذَا الْقَلْبِ ، فَاعْلَمْ      طَرِيقَكَ مِثْلَ مَنْ سَبَقُوكَ ، فَاعْلَمْ  
تَمَكَّنَ مُؤْمِنٌ مِنْ كَشْفِ سِرِّ      بِلَا مَوْجُودٍ إِلَّا اللَّهُ ، فَاعْلَمْ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

بِقَلْبِكَ مَا اخْتَفَى هَذَا اللَّهَابِ      مِنَ الْإِسْلَامِ مَا لِلنُّورِ بَابِ  
طَرِيقِ الذَّاتِ فَاَنْضَحْهَا بِمَاءِ      لِبَحْرِ لَا يَرَى فِيهِ الْعِبَابِ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

---

(١) لإقبال فرط اهتمام بالذات أو الذاتية ويجعلها من أهم مقومات فلسفته ، فعنده أن الذاتية جوهر الحياة وأساس نظامها وهي تستمد كيانها من تحديد الرغائب وتخليق الأماني . وهذا باعث على العمل في دوام . وينبغي للإنسان أن يعرف مواهبه الكامنة في فطرته ويعتمد على ذاته وحدها . وقوة الذات هي معنى الحياة والغاية منها وبها جمالها وجلالها . الصيود : الكثير الصيد . القمران : الشمس والقمر . الوهق : حبل يطرح في عنق الدابة لصيدها به .

(٢) يلمح إقبال إلى وحدة الوجود وهي أنه لا وجود في هذا الكون إلا لله وكل ما فيه صورة منه ، وذلك كالماء الذي يتشكل في صور شتى كالندى والثلج والبرد وهو ماء واحد لا وجود لسواه .

(٣) نضح بالماء : رش وبل . والعباب : الموج .

## أنا الحق

(أنا الحق) ذِي مَقَامِ الْكِبْرِيَاءِ      أَكَانَ لَهَا الصَّليبُ مِنَ الْجَزَاءِ!؟  
فَهَذَا جَائِزٌ فِي رَأْيِ فَرِيدٍ      وَيَبْطُلُ عِنْدَ قَوْمٍ بِالْإِبَاءِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

أَلَيْسَتْ قَوْلَةٌ لَأَقْتِ بِشَغْبٍ      يَجُودُ دَمًا لِعُضَنِ فِيهِ رَطْبٌ  
جَلَالٌ فِيهِ قَدْ أَخْفَى جَمَالًا      تَجَلَّى فِي سَمَوَاتِ لِقَلْبِ

\*\*\*

وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ سَمَا مَقَامَا      فَلِلدَّارَيْنِ قَدْ كَانَ الْإِمَامَا  
وَلَمْ يَمْسَسْهُ فِي خَلْقِ لُغُوبٍ      عَلَيْهِ النَّوْمُ يَجْعَلُهُ حَرَامَا<sup>(٢)</sup>  
سَعِيرُ الْقَلْبِ تَشْهَدُهُ الْعُيُونُ      وَدُنْيَاهُ الْهَشِيمُ وَكَمْ يَهُونُ  
يُبِينُ بِهِمَّةٍ مَعْنَى أَنَا الْحَقُّ      وَتَأْتِي بَعْدَ كُنْ دَوْمًا يَكُونُ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

جَنَاحٌ مِنْهُ يَخْفِقُ فِي الْفَضَاءِ      وَيَزُمُّقُ عِشَّهُ وَالْعُشُّ نَاءٌ

(١) الحلاج : هو الحسين بن منصور ذلك الصوفي الذي ذاعت شهرته في الآفاق بشططه وغلوه في تصوفه ، وكان شديد الحرص على نشر تعاليمه بين سواد الناس وهو في ذلك يختلف عن الكثرة الكاثرة من شيوخ المتصوفة الذين كانوا يميلون إلى الكتمان والضم بعلمهم على غير أهله . وقد قال الحلاج بالاتحاد ولكن مع بقاء كل عنصر من عنصريه على حاله ، واتهم بالكفر لقوله ( أنا الحق ) وصلب عام ٣٠٩ هجرية . وقد أوردنا قوله بسكون القاف كما ينطق في الفارسية ، وفي رأي أن الحلاج حين قال ( أنا الحق ) كان مؤمناً بأن الله في قلب المؤمنين الذين يتخلقون بأخلاقه وبفضل من ذلك يصبح المؤمن ( هو هو ) .

(٢) اللغوب : التعب يقول إن رغبته في التخليق تحرم عليه أن ينام .

(٣) السعير : النار .

وَفِي وَهْتٍ لَهُ الْقَمَرَانِ صَيْدٌ وَطَوْعٌ يَمِينِهِ كُلُّ الرَّجَاءِ (١)

\*\*\*

بِشْتَانٍ تَرَاهُ الْعُنْدَلِيَّيَا      وَصَفْرَاءَ كَانَ فِي مَزَجٍ مَهِيَّيَا  
أَمِيرٌ فِيهِ قَدْ يَبْدُو فَقِيرًا      فَقِيرٌ مِنْ غَنَى نَالَ النَّصِيَّيَا  
إِلَيْكَ الْكَأْسَ أَفْعَمُهَا بِخَمْرٍ      وَنُورَكَ صَبَّ فِي جُحْرِ وَقَضْرٍ  
وَنَلَّ مِنْ غُضْنٍ مَنْصُورٍ ثَمَارًا      وَقَلْبُكَ فِيهِ (إِلَّا اللَّهُ) تَسْرِي (٢)

\*\*\*

## الصوفيُّ والمُلاّ

هُوَ الْمَلَأُ ، عَبُوسٌ وَالْكَتَابُ      وَقَشْرًا لَا يَمِيزُ مِنْ لُبَابِ  
بَيَّتَ اللَّهُ يَطْرُدُنِي لِديني      وَذَلِكَ لَيْسَ بِالشَّيْءِ الْعُجَابِ (٣)

\*\*\*

بَيَّتَ اللَّهُ صَيَّادٌ وَدَيْزُ      وَلِلصُّوفِيِّ لَمْ يَكُ أَيُّ صَيْرُ (٤)  
عَلَى الْمَلَأُ قَصَصْتُ الْآنَ هَذَا      جَوَابًا لَمْ يَحِزْ وَدَعَا بِخَيْرِ !  
تَحَدَّثَ وَاعْظُ لِي عَنْ جَهَنَّمَ      وَمِنْهُ كَافِرٌ فِي الْقَوْلِ أَحْزَمُ  
غُلَامٌ حَالُهُ مَا إِنْ ذَرَاهَا      وَقَالَ « جَهَنَّمُ لِسِوَايَ فَاعْلَمُ »

\*\*\*

- 
- (١) الوهق : حبل يطرحه الصياد في عنق الدابة لصيدها .  
(٢) منصور : الحلاج وفي الأصل ( لا غالب إلا الله ) .  
(٣) يريد ليقول إن المتزمتين الجامدين لا يفقهون قوله ويتمونه بركة الدين .  
(٤) يريد الغريبي . ويشير إلى الصوفي في تجادله وعجزه عن دفع عادية الأجانب ، كما يعيب على الشيخ رضاه بالأمر الواقع وعدم الوقوف في وجه المعتدين على حرمة الدين وكرامة المسلمين .

مَرِيدٌ كَانَ ذَا رَأْيٍ سَدِيدٍ      لِشَيْخٍ فَاهٍ بِالْقَوْلِ الشَّدِيدِ  
« وَجَنَى الرُّزْقِ مَوْتُ ، مِنْ تُرَابٍ      تَكْوَمٌ فَوْقَ هَاتِيكَ اللُّحُودِ »

\*\*\*

لِشَيْخٍ كَانَ ذَا قَوْلٍ الْغَلَامِ      « تَأَمَّلْ وَاسْتَمِعْ لِي بِإِهْتِمَامٍ  
لِهَذَا الْعَضْرِ نَمْرُودٌ جَدِيدٌ      فَمِنْهُ اخْلُقْ خَلِيلاً لِالْأَنَامِ »  
لِمَلَأَ أَوْ لِصُوفِيٍّ أَسِيْزًا      وَفِي الْقُرْآنِ لِلْعَيْشِ الْكَثِيرِ  
مِنَ الْآيَاتِ مَا أَدْرَكْتَ شَيْئاً      وَمِنْ ﴿ يَاسِينَ ﴾ بُغَيْتِكَ الْحَفِيرِ <sup>(١)</sup> !

\*\*\*

لَكَ الْقُرْآنُ كَالْمِزَاقِ فَانْضُبْ      وَنَفْسَكَ دَعْ إِذَا غُيِّرَتْ وَاهْرُبْ  
لِمَا قَدَّمْتَ مِيزَاناً لِتَضْنَعُ      وَفِي الْمَاضِي قِيَامَاتٍ لِتَطْلُبْ

\*\*\*

عَلَى الصُّوفِيِّ وَالْمَلَأِ سَلَامِي      كَلَامُ اللَّهِ قَالاً بِالتَّمَامِ  
وَلَكِنَّ أَوْلَا مَا أَوْلَاهُ      فَحَارَ الرُّوحُ بِلْ خَيْرِ الْأَنَامِ <sup>(٢)</sup> !

\*\*\*

## جَلَالُ الدِّينِ الرَّؤْمِيِّ

تَرَشَّفَ يَا نَدِيمَ الرُّوحِ خَمْرًا      لَهَا كَأْسٌ تُسَاوِي مُلْكَ كِسْرَى

(١) يدعو إقبال إلى النظر في القرآن الكريم وتدبر آياته البينات التي تهيب بالناس ليحيوا حياة حرة كريمة وتهدى إلى ما تصلح به الدنيا والدين ، وفيها الوازع عن حياة الخمول والجمود ويسخر ممن لا هم له إلا سورة ﴿ يس ﴾ فقد جرت العادة بقراءتها في المقابر . والحفير : القبر .

(٢) الروح : سيدنا جبريل . وخير الأنام : هو المصطفى صلوات الله وسلامه عليه . وإقبال لا يرتضي تفسير القرآن تفسيراً سطحياً .

وَلِلرُّومِ أَشْعَارُ رِقَاقٍ      فَلَمَّا بِحَمَى فُؤَادِكَ حِينَ تَقْرَأُ

\*\*\*

وَفِي كَاسَاتِهَا لَوْنٌ تَوَرَّدُ      بِهِ الْيَاقُوتُ يُضِيحُ كُلَّ جَلْمَدٍ<sup>(١)</sup>  
وَقَلْبُ الْأَسَدِ تَمَنُّحُهُ غَزَالًا      وَمِنْهَا الْوَسْمُ عَنِ نَمْرِ تَبَدَّدُ

\*\*\*

وَفِيهَا سَوْرَةٌ مِنْهَا نَصِيبِي      دُجَايَ سَنَا يَكُوكِبُهَا الْعَجِيبِ<sup>(٢)</sup>  
فَشَاهِدْ فِي الْحَمَى إِنْ شِئْتَ ظَنِيًّا      بَدَا فِي بَسْمَةِ الْأَسَدِ الْغَضُوبِ<sup>(٣)</sup>  
حَيِّبٌ حُبُّهُ كَانَ اخْتِرَاقِي      وَمِنْهُ الْوَضْلُ يَنْطِقُ عَنِ فِرَاقِ  
جَمَالُ الْعِشْقِ مِنْ نَائِي لَدَيْهِ      تَزْيِينِ مِنْ عِلَاءٍ بِائِتِلَاقِ

\*\*\*

وَلِي عُقْدِي ، فَحَلَّ بِمَا يَشَاءُ      عُبَارٌ فِي طَرِيقِي الْكِيمِيَاءِ<sup>(٤)</sup>  
وَأَسْمَعَنِي لَهُ أَنْغَامَ نَائِي      فَفِي سُكْرِي وَفِي عِشْقِي رَجَاءُ

\*\*\*

وَهَا قَدْ فَتَحُوا بَاباً لِقَلْبِي      كَمَا خَلَقُوا لَهُمْ دُنْيَا يَتَزَيِي<sup>(٥)</sup>  
وَمِنْ قَيْضٍ لَهُ نِلْتٌ اعْتِيَارًا      فَبِي مَا حَقَّقُوا مِنْ صُنْعِ شُهْبِ  
نُجُومِ الْأَفْقِ جَالِسٌ بِالْحَيَالِ      وَرَاءَ الْبَذْرِ يَنْظُرُ فِي مَجَالِ  
فَقَدَّمَ قَلْبَهُ الضَّاوِي إِلَيْهِ      لَهُ الْأَنْفَاسُ تَخْفِقُ فِي اتِّصَالِ<sup>(٦)</sup>

(١) الجلمد : الحجر . والوسم : أثر الكي .

(٢) سورة الخمر : شدتها . الدجى : الظلام . السنا : الضوء .

(٣) الحمى : هنا حرم بيت الله .

(٤) الكيمياء : ما كان يضعه القدماء على المعادن لتحويلها إلى ذهب .

(٥) الترب : التراب .

(٦) الضاوي : المنهوك الضعيف .



عَنِ الرُّومِيِّ خُذْ سِرَّ الْفَقِيرِ      يُثِيرُ بِفَقْرِهِ حَادَّ الْأَمِيرِ  
وَقَفِّرْ ذَلِكَ لَكِنْ مِنْهُ فَاخْذُزْ      مَقَاماً نَلْتَ يُذْنِي مِنْ حَفِيرِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وَعَنْ ذَاتِ إِلَهِي وَهُوَ نَاءٌ      تُمَدُّ الْكَسْفَ فِي طَلَبِ الْعَطَاءِ  
وَلِلرُّومِيِّ عَيْنٌ حَقَّقَتْ لِي      سُرُوراً مِنْ مَقَامِ الْكِبْرِيَاءِ  
رَجِيحٌ طَابَ مِنْ كَرَمِي تَدَقُّ      وَيَسْعَدُ مَنْ بِذَنَلِي قَدْ تَعَلَّقُ<sup>(٢)</sup>  
نَصِيبِي كَانَ مِنْ لَهَبٍ قَدِيمَا      سَنَائِي نَالَ وَالرُّومِي يُخْرَقُ

\*\*\*

## إلى مصر

رِيَّاحِ الْبَيْدِ وَافِينِي وَسِيرِي      عُبَابَ النَّيْلِ فِي خَفَقِ أُثِيرِي<sup>(٣)</sup>  
وَأَدِي الْقَوْلَ عَنْ عَمْرِ فَقُولِي      « كُنِ السُّلْطَانَ يُعْرِفُ بِالْفَقِيرِ »

\*\*\*

وَمَا تِلْكَ الْخِلَافَةُ غَيْرَ فَقْرٍ      لَهُ تَاجٌ ، فَكَانَ دَوَامَ أَمْرٍ  
تَمَسَّكَ يَا فَتَى دَوْماً بِفَقْرٍ      بِغَيْرِ الْفَقْرِ مُلْكُكَ عِنْدَ قَبْرِ

\*\*\*

(١) يتلاعب الشاعر بالكلمة الفارسية ( سربز برى ) وتحمل معنيين : الطاعة والخضوع ،  
والنكس أي القلب على الرأس وجعل الأسفل الأعلى . فكأنه يريد ليقول : أن تلقي  
الفقر بالمعنى الصوفي المطلق يعرض للتهلكة . والحفير : القبر .

(٢) الرحيق : الخمر . والكرم : العنب .

(٣) العباب : الموج . وعنوان هذا القدر من الرباعيات في الأصل باسم أحد الملوك .

وَتِلْكَ الذَّاتُ يَوْمًا مَن يُشَاهِدُ  
وَمَا قَدْ طَافَ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ  
لِعَقْلِكَ أَوْ لِقَلْبِكَ فَابْغِ بَابًا  
إِلَى الْحَاجَاتِ فَلتَسْلُكُ سَبِيلًا  
يُقِمُّ فِي الْعَدِّ لِلدُّنْيَا الْقَوَاعِدُ  
بِخُلُوتِهِ بِذَاتٍ ، وَهُوَ قَاعِدُ  
وَخَذَ مِنْ شَيْخِ حَانَاتِ شَرَابًا  
لِتَطْرُخَ مَظْهَرًا وَاطْهَرُ لِبَابًا

\*\*\*

وتسعدُ أمةً للذاتِ عادتُ  
سيلمعُ نورُها في الأفقِ شرقاً  
وفي عملٍ وفي نصبٍ تَمَادَتْ (١)  
إذا بسيفِها ضرباً أرادتُ

\*\*\*

وَمَلَّاحُ مِنَ الْأَتْرَاكِ طَرَّبَ  
إِذَا لَمْ أَسْتَطِعْ فِي الْبَحْرِ سِيرًا  
بِذُوبِ الْوَرْدِ مِنْهُ الْخَدَّ رَطَّبَ (٢)  
بِمَلِكِ الْأَرْضِ قَدْ مَزَجُوا ثَرَانَا  
بِآيَاتِ الْإِمَامَةِ هَلْ تَرَانَا (٣)  
لِنَادِينَا بَعْمَقِ الذَّاتِ شَاهِدُ  
بِهَذَا الْقَلْبِ حَبًّا مِنْ ذُرَانَا (٤)؟

\*\*\*

وَأَسْرَارَ الْيَقِينِ إِذْ نُ عَرَفْتَا  
لِمَصْبَاحِينَ نَوُورٍ لَيْسَ إِلَّا  
عَنِ الْاِثْنَيْنِ عَيْنِكَ هَلْ كَفَفْتَا  
بِغَيْرِ الدِّينِ مُلْكَأ هَلْ أَلْفَتَا

\*\*\*

(١) النصب : الإعياء .

(٢) يضرب شعراء الفرس بالترك المثل في الحسن . مثال ذلك قول الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي :

( لو اكثرث هذا التركي الشيرازي لحالنا ورعى جامينا لوهبت خاله الأسود بخاري وسمرقند ) .

(٣) الآيات : العلامات .

(٤) ذرى الحب : نثره . وفي الأصل ذرى الدنيا حباً في قلب المليك .

وإن عرّضتَ ذاكَ لاختبارِ  
شرارِ الشوقِ طيِّ القلبِ منه  
خلقتُ لكَ السماءَ من الغبارِ  
تُضيءُ الشمسَ في وضحِ النهارِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## شعراء العرب

وقل للشاعرِ العربيِّ عني  
قبستُ النورَ بالقرآنِ حتَّى  
لياقوتِ الشفاهِ البخسِ مني<sup>(٢)</sup>  
جعلتُ الليلَ لي فجرًا يغني

\*\*\*

وفي الأرواحِ قد أذكىتَ جمراً  
غديرٌ ساكنٌ حركتَ فيه  
ترابي ما يراهُ الناسُ قصرًا<sup>(٣)</sup>  
عباباً ، ثارَ في النكباءِ بخرًا<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

أترسمُ صورةً ؟ لا يا غريز  
وروضتُنَا خفقتَ بها جناحاً  
لتعلمُ ما يجبُّذهُ الضميرُ<sup>(٥)</sup>  
حنيفاً خُصَّ بالقبسِ المنيرُ<sup>(٦)</sup>  
تُرابٌ نحنُ ذو قلبٍ كئيب  
وطلُّ ظلٍّ في الغصنِ الرطيب  
وهذا النبعُ فجَّره بسحرِ  
جوانحُ مسلمٍ حرمَ القليبِ<sup>(٧)</sup>

(١) الخطاب إلى المسلم .

(٢) بخسه حقه : نقصه إياه . يقول : إنه لم يقل شعراً في الغزل ، فما تغزل في الشفاه ولا شبهها بالياقوت .

(٣) أذكى النار : أضرها .

(٤) النكباء : الريح بين الريحين .

(٥) الغريز : الناقص التجربة .

(٦) القبس : شعلة تؤخذ من معظم النار .

(٧) القليب : البثر . والمقصود بها بثر زمزم .

وَيَحْوِي قَلْبُهُ أَسْرَارَ ذَاتِ  
بَنُورِ اللَّهِ تَشْهَدُ فِيهِ حَسَنًا  
وَيَحْوِي قَلْبُهُ أَسْرَارَ ذَاتِ  
لَهُ أَصْلٌ بِقَلْبِ الْكَائِنَاتِ

\*\*\*

لَتَمْنَحَ ذَاتَهُ نُورًا وَنَارًا  
وَذَاكَ اللَّحْنَ فَلَتَعَزِفَ بِفِيضِ  
لِغَيْرِكَ يَنْبَغِي لِلْقَلْبِ حَزَقُ  
وَذَاتٌ أَنْتَ تَنْكُرُهَا لِشَعْبِ  
لِيَصْبِحَ لَيْلُهُ الدَّاجِي نَهَارًا  
فَذَلِكَ ذَوْقُ تَبْدِيلِ أَثَارًا  
وَمِثْلُ خَفُوقِ قَلْبِ سِوَاكَ خَفَقُ  
« وَنَحْنُ الشَّعْبُ » قَوْلٌ مِنْكَ حَقُّ

\*\*\*

وَلِلْأَرْوَاحِ أَسْرَارٌ دَرَاهِمًا  
لَتَعَزِفَ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ لِحْنًا  
بِعَيْنِ الذَّاتِ مِنْ دُنْيَا رَأَهَا  
حَيَاةً مِنْ ذَبُولٍ قَدْ بَرَاهَا

\*\*\*

لَتَحْفَظَ مَا بِصِلْصَالِ لَدَيْكَ  
لِهَذَا أَوْ لَذَاكَ الدَّنَّ خَلْوُ  
وَهَذَا اللَّيْلُ يُوجِشُنَا بِفَدْفَدُ  
وَلَيْسَ يَضِيءُ رَهْبَانَ سِرَاجًا  
فَكَمْ مِنْ نَشْوَةٍ حَامَتْ عَلَيْكَ  
وَقَلْبُكَ قَدَّمَ الصَّهْبَا إِلَيْكَ<sup>(١)</sup>  
فَأَيْنَ الْمَاءِ وَالشَّحْرُورُ غَرْدُ<sup>(٢)</sup>  
فَشَمْسُ الصَّبْحِ حَتْمًا سَوْفَ تَشْهَدُ

\*\*\*

وَفِي سِيْمَاكَ ذِي نَظْرًا فَكَّرُ  
وَسِرٌّ مِثْلِي بِصَحْرَاءِ الْحَمَى سِرُّ  
وَفِيمَا تُخَيِّئُ الْأَيَّامُ فَكَّرُ  
لَأَنَّكَ عَمَقَ ذَاتِكَ قَدْ تُقَدِّرُ

\*\*\*

---

(١) الدن : جرة الخمر . والصهباء : الخمر .  
(٢) الفدقد : الصحراء . الشحرور : طائر حسن التغريد .

## يا بن الصحراء

تيزُّ البيدَ بالفجرِ الجميلِ      وَيَصْدُحُ طَائِرٌ بَيْنَ النَّخِيلِ<sup>(١)</sup>  
« خيامك يا فتى الصحراءِ دغها      أَيْمَكُنْ أَنْ تَعِيشَ بِلَا رَحِيلِ ؟ »

\*\*\*

وللرُّجْبَانِ مِنْ عَرَبٍ دَلِيلُ      فَمَحْنَةُ رَبِّهِمْ فَقَرُّ طَوِيلُ<sup>(٢)</sup>  
وهذا الفقرُ إنْ أَمَسَى غَيُوراً      تَرَجَّفَ كُونَنَا وَهُوَ الذَّلِيلُ

\*\*\*

شهدنا الصبحَ في ليلٍ مَبِينَا      تَجَلَّتْ فِيهِ أَنْوَارُ لَسِينَا<sup>(٣)</sup>  
صَحَحْنَا مِنْ رِيحِ الْبِيدِ رُوحاً      فَمَنْهَا الْقَوْمُ كَانُوا الْقَادِمِينَا

\*\*\*

## وما يدريك أن المغوارَ في هذا الغبارِ

رضاكَ وذلكَ التسليمُ مذهبُ      وَعَنْ نَهْجٍ لَصَدَقِ أَيْنَ تَذَهَبُ  
وِشْعَرِي لَا تَفْسُرْ بِاجْتِهَادِ      جَنُونِي فِي حِجَايِ لَدَيْكَ مَكْتَبُ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

(١) الكلام منسوب إلى الطائر .

(٢) في الأصل أن الله جعل العربي دليل القافلة .

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى في سورة طه ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٠٠﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ  
أَمْكُوا إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ ويقول الشاعر : إن الأمم  
ظهرت من سينا .

(٤) الحجى : العقل . المكتب : المدرسة .

وهذا المرجُ أَفْقَرُ من جنوبي  
وفي بلدٍ أصيخُ ومن صياحي  
وأصبح كالغريبٍ بلا خَدينِ  
جنونٌ ظلَّ كالعقلِ الوزينِ

\*\*\*

ربيعي منبتٌ في الفَجْرِ زَهْرِي  
أتحسبُ أنِّي أبقي وحيداً  
وإنِّي مُخْرِقُ زَهْرِي بِجَمْرِي  
على النسماتِ مسلوبِ القرارِ  
أتركني المشتتُ كالغبارِ  
فطوبى لي ويأ بُشْرَى فُوَادِي  
ويظهرُ فيهمُ البطلُ الشهيرُ<sup>(٢)</sup>  
أكلُ ثرى به بطلُ جَسُورُ

\*\*\*

يسودُ القومَ في زمنٍ يَضِيرُ  
لديه السرُّ من أسرارِ غيبِ  
إلى الطوفانِ أدتُ سافياتي<sup>(٣)</sup>  
وإلا من دمي رُسمتُ شياتي<sup>(٤)</sup>  
وراحَ منِّي بهذا الكرمِ أفحِمُ  
صغيرٌ من بحارِ البحرِ أعظمُ

\*\*\*

خفقتُ كموجةٍ في موجِ ذاتي  
وما شاهدتُ لوناً مثلَ هذا  
وإنَّ الخمرِ بالنظراتِ أفعمُ  
ومن طوفانِهِ أمسى غديراً  
فقد كشفتُ الخفا عن كلِّ مبهَمِ  
سمواتٍ بها ما كانَ يهتَمُ

\*\*\*

زَمَامَ الركبِ يوماً إن تسَلَّمِ  
وأظهرَ من بأفلاكِ جهاراً  
فقد كشفتُ الخفا عن كلِّ مبهَمِ  
سمواتٍ بها ما كانَ يهتَمُ

\*\*\*

(١) طوبى له : الخير والحسنى له . الغار : ما يكلل به رأس المنتصر من ورق الكرم .

(٢) يضير : يؤذي .

(٣) السافيات : الرياح .

(٤) الدمى : الصور والتمثيل . الشيات : الألوان .

وَزُفَّ لِهَذِهِ الرُّوحِ التَّهَانِي  
 أَلُوذُ بِحَضْنِهَا أَمَّا رُؤُومًا  
 يَقُولُ الصَّدْرُ فِي قَلْبِي حَبِيبُ  
 وَعِنْدَ الْمَوْتِ فِي سَمْعِي يَدْوِي  
 أَلَمْ تَلِدِ الْأَمِيرَ رَفِيعَ شَانِ  
 وَأَخْجَلُ مِنْهُ حُورًا فِي الْجَنَانِ  
 مَغِيرٌ جَاءَ هِيَءَ مَا يَصِيبُ  
 « بِسُقْطَةِ زَهْرَةٍ ثَمَرٌ يَطِيبُ »

\*\*\*

## الْخِلَافَةُ وَالْمُلْكُ

بَنُورٍ لِلنَّبِيِّ الْقَلْبُ أَضْرَمَ  
 وَلَكِنَّ الْخِلَافَةَ وَسَطَ تَبِيهِ  
 أَنَارَ بِشَرْقِهِ مَا كَانَ أَظْلَمَ<sup>(١)</sup>  
 فَهَذَا الْمُؤْمِنِينَ الْمَلِكُ عَلَّمَ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

وَنَشْهَدُ أَنَّنَا نَسْمُو مَقَامًا  
 خِدَاعٌ كُلُّهُ ، بَلْ كُلُّ مَكْرٍ  
 وَهَذَا الْمَلِكُ قَدْ كَانَ الْحَرَامًا<sup>(٣)</sup>  
 وَتَرَعَى عَهْدَ رَبِّي وَالذَّمَامَا<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

نِزَاعٌ فِيهِ مَلِكٌ وَالْكَلِيمُ  
 هِيَ الْأَقْدَارُ تَجْرِي كَيْفَ شَاءَتْ  
 وَمَنْ أَكْدَى وَأَعْوَزَهُ كَلِيمُ<sup>(٥)</sup>  
 فَعَصْفُ الرِّيحِ مَا وَهَبَ النَّسِيمُ !  
 هُوَ الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا غَلَامُ  
 لِفَقْرٍ عَظِيمٍ قَوْمٍ كُنْتُ عَبْدًا  
 وَلَيْسَ لِمَا يَزَاوُلُهُ تَمَامُ  
 لَدَيْهِ الْمَلِكُ فِي دِينٍ حَرَامُ

\*\*\*

- 
- (١) يقصد العربي .  
 (٢) إقبال لا يرتضي الخلافة إذا كانت كالملك .  
 (٣) الخلافة هي التي تشهد .  
 (٤) الذمام : الحرمة والحق .  
 (٥) أكدي : افتقر . والكليم : البساط أو الثوب الخلق في الفارسية .

بنظرتِهِ المحبَّةُ ما يدومُ      ومنهُ السكرُ تفديراً يرؤمُ  
وهذي « عبدهُ » كانت مَقَاماً      بتزيبٍ لأشواقٍ يُقومُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## التركي العثماني

بملكٍ واسعٍ أضحى أميراً      بقلبٍ قد وعى أمسى بصيراً  
يظلُّ منَ الفرنجةِ في قيودِ      لسحرٍ طَلَسَهمُ بقي الأسيِّراً

\*\*\*

لمنْ قد أبطلوا ذا السحرَ طوبى      وما شغلوا بعهدِهِمُ قلوباً<sup>(٢)</sup>  
بذاتِكَ فاعترفِ واليأسَ جانبِ      تحدى قبلَهُمُ قومٌ خطوباً

\*\*\*

بهمْ قد حَقَّقَ التركُ الرغائبِ      ونالوا بغتةً أعلى المراتبِ  
أليسَ لمسلمٍ عيناً بصيراً      لقد كشفَ المصيرَ له الأجانِبِ

\*\*\*

(١) تردد ذكر « عبده » في ديوان « رسالة الخلود » لمحمد إقبال وهو القائل تحت عنوان « الحلاج » :

عفر العالم خدأ عنده      نفسه سمى النبي عبده  
عبده فهمنا لستك تبهر      إنه الإنسان وهو الجوهر  
عبده قد شكلت هذا القدر      بالفيافي الخصب منها قد ظهر  
غير عبد عبده فلتعتبر      عبده فيها انتظار المنتظر  
عبده كنه جميع الكائنات      عبده فيها معان مغلقات

(ص ٢٠١-٢٠٢)

(٢) طوبى لهم : الخير والحسنى لهم .



## فتاة المجتمع

فتاتي دعك من هذا التجمل من الكفار تزيين أيجمل؟<sup>(١)</sup>  
 وصدّي القلب عن توريد خد فإن الغزو من عين التأمل<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

لك النظرات من ربي حسام لروح من جراحات قوام<sup>(٣)</sup>  
 ومنها يستمد القلب شيأ فمأء للحياء هو المرام

\*\*\*

ضميرُ العصر ليس له نقاب على حسن تفتح منه باب  
 بنور الله دنيأ فلتنييري عليه في تجليه الحجاب  
 ويصلح عيشنا بالأمهات أمين قلبه من لممكنات  
 وهذا إن يغب عن فكر قوم فليس لأي أمر من ثبات

\*\*\*

أصبنأ العقل من ذاك الجنون بنظرة هذه الأم الحنون  
 وما في مكتب عين وقلب وهل من مكتب غير الفنون

\*\*\*

ويسعد من رأوا بالواردات قيامات بتلك الكائنات<sup>(٤)</sup>

(١) يجمل : يحسن .

(٢) يقول : إن الحسناء تغزو قلب العاشق بعينها .

(٣) قوام الشيء : نظامه وأساسه .

(٤) الوردات : حلول المعاني بالقلب ، وما يخطر عليه بلا تفكر ولا تدبر .

وما قذفات أو ما سوف يأتي لهم أبدى جبينَ الأمهات  
 ونُصحي فاجعليه ملاء أذنك ليفنى الناس طراً قبلَ دفنك<sup>(١)</sup>  
 عن العصرِ اختفى ، كوني بتولاً ليقى شبرٌ في دفءِ حضنك<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

ومن ليلٍ لنا فجرأ أنيري إلى القرآن عودي بالبصير<sup>(٣)</sup>  
 (قرأت) وتعلمين لها أوازٍ بها عمراً تغيرَ في كثير<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

## العصرُ الحاضرُ

وعصرٌ منه للدينِ الشكأة وحزباته وأذ الطغاة  
 وجوة فيه للإنسانِ شاهت وأفسدَ نقشه حتى الهواة<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

ونظرته بها تصويرُ كفرٍ وليسَ كمالٌ فنٌ غيرَ جمرٍ

- (١) طراً : جميعاً . يقول إذا انتصحت بقولي فإن أمة تموت وأنت لا تموتين .  
 (٢) البتول : العذراء وتطلق على السيدة فاطمة رضي الله عنها ، وشبر أو شبير : اسم الحسن بن علي رضي الله عنه .  
 (٣) أي اطلبي إلى أهل النظر أن يعودوا إلى كتاب الله الكريم لتدبره .  
 (٤) يلمح إقبال إلى سبب وقوع الإسلام بقلب عمر بن الخطاب وذلك أنه دخل على أخته وزوجها فوجدهما يقرآن سورة طه . وقالت له أخته ( إن كان الحق في غير دينك فأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ) ودفعت إليه الكتاب فقرأ حتى انتهى إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرِ ﴾ ثم أسلم .  
 (٥) في الأصل أن بهزاد هذا العصر أفسد نقشه . وبهزاد : اسم أشهر رسام إيراني في العصر الصفوي .

ومن تُجاره في السوق فاحذُرْ      فهذا ميسّرٌ في كلِّ أمرٍ

\*\*\*

شبابَ القومِ هذا العصرُ أفسدُ      لإبليسَ دُجَاهَ الصبحِ فاشهدُ  
لَهُ الأذيالُ تطوينَا كَنَارِ      فكلُّ شُعاعِ نورٍ فيه يُخمدُ  
جَمَعْنَا بينَ سلطانٍ وفَقْرٍ      وما يغني وما يبقى لدهرٍ  
عِاذاً منه بالباري عِذاذاً      دمُ الشيطانِ في السلطانِ يجري !

\*\*\*

أرقصُ ذاكَ ؟ إنني لستُ أدري      أنشوّةُ فرحةٍ أم سكرُ خميرٍ  
لتقليدِ الفرنجةِ كانَ رقصُ      وليسَ دماً بعريقك وهوَ يجري

\*\*\*

## البرهَمِيّ

فتحْتُ لفتنةٍ باباً وباباً      مشيتُ ، سقطتُ ، لاقيتُ الصعابا  
دُمى للبرهَمِيّ تزيّنُ طاقاً      برأسِ الطاقِ علقْتُ الكتابا؟<sup>(١)</sup>

\*\*\*

أفي عملٍ ونى ؟ لا بلْ أطالاً      له الأحجارُ يكسوها الصقالاً<sup>(٢)</sup>  
بقوةِ ساعديه برى إلهاً      صلودَ الصخرِ قذِ يزُنُ الجبالاً<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

---

(١) الطاق : ما جعل كالقوس من الأبنية .

(٢) ونى : أبطأ .

(٣) برأ : خلق .

ويحفظُ بزهمي كُلَّ أمرٍ  
وهذي سبحةٌ قالَ اطْرَحَهَا  
وقالَ لتبتعدُ عن بابِ غيرِ  
ومَا تَسعُ المساجدُ غيرَ مُلأً  
ولا يفضي إلى أحدٍ يسرُّ  
بزُنارٍ على كتفيه يجري<sup>(١)</sup>  
فمن أهلٍ لنا نحظي بخيرِ  
ومن سحرِ الدُّمى كأننا بدئيرِ

\*\*\*

## التعليم

يدومُ لقلبنا هذا اللهبُ  
فعلُّمُ ذاكَ أبناءَ فعلُّمُ  
كسوطٍ ، والحياةُ هي النجيبُ<sup>(٢)</sup>  
لأنَّ كتابهم سخرٌ يخيبُ

\*\*\*

ومن علمٍ بقلبٍ ليس حرقاً  
وأضفى من عيونِ الصقرِ قلبُ  
تأملُ متوقٍ خيرٌ وأبقى  
هو المزورُّ عن دارِيه حَقاً<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

إلهي مؤمناً لا ريبَ يسألو  
لذا عن مكتبِ الخلانِ أمضى  
من الروحِ الرقيقةِ وهو يخلو  
فما صادفتُ من بالذاتِ يعلو<sup>(٤)</sup>  
إذا ما أخطأ النظرَ البصيرُ  
بعلمٍ ليس يخدعُني الكفورُ  
أفضلُ جاهلاً ورعاً تقياً

\*\*\*

(١) اطرحها : ألغها . الزنار : ما يشد به النصراني وسطه .

(٢) النجيب : الفرس الكريم .

(٣) ازورُّ : مال وحاد .

(٤) يعاود إقبال ذكره للذات على أنها أهم ما ينبغي الالتفات إليه والاهتمام به في تعليم  
النشء .

أَيْجِدِي الْفِكْرُ فِي أَوْجِ السَّمَاءِ      يَحُومُ عَلَى النُّجُومِ بِلَا انْتِهَاءِ  
كَأَنَّ الرِّيحَ تَزْجِيهِ سَحَابًا      فَتَاهُ مَمْرَقًا وَسَطَ الْفَضَاءِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

عَلِيمٌ زَانَهُ أَدَبٌ وَجَاهِلٌ      كَرِيمٌ مِنْهُ مَنْ يَحْظَى بِحَاصِلِ<sup>(٢)</sup>  
وَمَا أَحْبَبْتُ إِنْسَانًا عَلِيمًا      وَمِنْ أَدَبٍ نَصِيبٌ غَيْرُ كَامِلِ  
لَمَّاذَا الْيَأْسُ مِنْ طِفْلِ صَغِيرِ      إِذَا مَا شِئْتَ فَانَعَتْ بِالْغَرِيرِ  
وَلَكِنْ مَنْ يَعْلَمُهُ لَتَسْأَلُ      أَلِاطْفَالِ قَلْبٌ فِي الصُّدُورِ؟

\*\*\*

صَغِيرَكَ لَقَنْتَ الدِّينَ عِلْمًا      لِيَشْرِقَ سَعْدُهُ بَدْرًا وَنَجْمًا  
وَلَوْ قَدَّمْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَضْلًا      لَزَيْنَ بِالْيَدِ الْبِيضَاءِ كَمَا<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

غِنَاءٌ مِنْ بَلَابِلِ مَا أَصَابَا      أَوْاژُ بِالْوَرُودِ لَدَيْهِ طَابَا<sup>(٤)</sup>  
يَعْلَمُ لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ فُخْرٍ      فَعَنْ رُوحٍ لِأَجْلِ الْخَبْرِ غَابَا  
إِلَهِي حَيٌّ لِلدَّرْوِيَشِ ذِكْرِي      يَفْتَحُ قَلْبِنَا عِطْرًا وَزَهْرًا  
وَيَنْصَحُ طِفْلِنَا نَصْحًا حَكِيمًا      « لَخَيْرُكَ لَا تَذِلُّ النَّفْسَ أَسْرًا »

\*\*\*

و « إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ دُومًا تَذَكَّرْ      مِنْ الْمَلَأَ وَمِنْ دَرَسٍ تَحَرَّرْ<sup>(٥)</sup> »

(١) تزجيه : تدفعه .

(٢) يقول : إن الأدب زينة للعالم والجاهل على السواء ، ويكرم من ينال من الأدب نصيباً .

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى في سورة طه ﴿ وَأَضْمَمْ يَدَكَ لِإِنْ جَنَاحَكَ تَخْرُجُ بِيضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ﴾  
وبيضاء بمعنى مشعة . ومن غير سوء : من غير عاهة .

(٤) الأوار : لهيب النار .

(٥) في الأصل ( لا إله ) .

بِهَذَا الْعِلْمِ لَا تَبْسُطُ جَنَاحَا بِهِ الْإِنْسَانُ فِي عَجْزٍ تَحْيِيزٍ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وَأِنْ لَصُرُّ عَلَى رَكْبٍ أَغَارَا أَتَسْأَلُ كَيْفَ أَوْرَدَهُمْ بَوَارَا<sup>(٢)</sup>  
فَلَا تَأْمَنُ إِذَا حَصَلَتْ عِلْمَا فَمَنْهُ الرُّوحُ يُمْكِنُ أَنْ تُضَارَا<sup>(٣)</sup>  
فَتَى رَاقَتْ فَصَاحَتَهُ وَسِيمُ وَنَظَرْتُهُ كَلَيْثٍ لَا تُقِيمُ<sup>(٤)</sup>  
وَفِي دَرَسٍ تَلْقَنُ عِلْمَ شَاةٍ وَمَا إِنْ يَسَّرَ الْوَرَقَ الْجَمِيمُ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

وَسَقَبَ أَي شَيْءٍ مَا دَرَاهُ إِلَهِي قَالَ إِنِّي لَا أَرَاهُ<sup>(٦)</sup>  
فَقَالَ أَبُوهُ قَدْ يُمْنَى بَعِيرُ بَعَثَرْتَهُ لِيُشْهَدَ مَنْ بَرَاهُ<sup>(٧)</sup>

\*\*\*

## السَّعْيُ فِي الرِّزْقِ

أَمِنْ سَطْحٍ إِلَى سَطْحٍ تَطْيِيزُ بِهَذَا مَا سَمَتْ قَطُّ الصَّقُوزُ  
إِذَا مَا كَانَ صَيْدُكَ بَغَضَ رِيَشٍ فَخَيْرٌ مِنْهُ مَوْتُ فِي الْوُكُوزِ<sup>(٨)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) فِي الْأَصْلِ : هَذَا الْعِلْمُ يَسْلُبُنَا عَيْنَنَا وَقَلْبَنَا وَيَدُنَا .
  - (٢) الْبَوَارُ : الْهَلَاكُ .
  - (٣) تَضَارُ : تَصَابُ بِالضَّرَرِ وَالْأَذَى .
  - (٤) يُشْبِهُ نَظَرْتَهُ فِي دَوَامِ حَرَكَتِهَا بِأَسَدِ جَوَالٍ لَا عَرِينَ لَهُ .
  - (٥) الْجَمِيمُ : النَّبَاتُ .
  - (٦) السَّقَبُ : وَلَدُ النَّاقَةِ .
  - (٧) يُمْنَى : يَيْتَلَى . بَرَاهُ : خَلَقَهُ .
  - (٨) الصَّيْدُ : الْفَرِيْسَةُ . الْوُكُورُ وَالْأُوْكَارُ : جَمْعُ وَكَرٍ وَهُوَ الْعَشُ .

لذاتك نظرة في كلِّ أمرٍ      لنا من نظرة سوطٍ لنجري  
وما نسعى وراء الذكر إلا      لكي نغلو ونغلو مثل طير

\*\*\*

### التمساح وصغيره

وللتمساح هذاك الكلام      لزوم الشط في ديني حرام  
عن الشط ابتعد موجاً تسلق      فعش بحرنا وبه نام

\*\*\*

وهذا البحر في صدر حملته      وذا الطوفان في حرب غلبته<sup>(١)</sup>  
ولو في بزيمة أغيا وأغفى      لكان مقاتلاً ما إن قتلته

\*\*\*

### خاتمة

عن الساقى وعن كأس المدام      سكت وكان عن عشق كلامي  
من الأخيار في قوم حديثاً      سمعت لكي أبلغ بالتمام

\*\*\*

بقلبك أمسكن وعدد لنفسك      وصدرك فليكن داراً لحبسك  
لتسقى الحقل دمعاً من دماء      نثرت الحب فلتعمل بفأسك

\*\*\*

---

(١) طوفان في الفارسية بمعنى العاصفة ومعنى الطوفان في العربية . ونحن نشير إلى المعنيين تمهيداً لفهم التورية الممكنة .

بِقَلْبٍ حَوْلَ هَذَا الْبَيْتِ طُفْنَا وَمَا كَمْطُوفٍ بِالْبَابِ كُنَّا<sup>(١)</sup>  
وَيَكْمُنُ بَيْنَنَا سِرٌّ عَجِيبٌ وَهَذَا الرَّمْزُ عَنْ جِبْرِيلَ عَنَّا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## العالمُ الإنسانيُّ<sup>(٣)</sup>

كَانَ حُبُّ الْخَيْرِ لِلْمَرْءِ احْتِرَامًا كَيْفَ تَنْسَى أَنَّهُ يَسْمُو مَقَامًا  
جاويدنامه<sup>(٤)</sup>

### تمهيد

عَلَيْنَا فَلْتُدِرْ كَأْسَ الشُّمُولِ وَنَضَّرْ لِي رَيْعًا فِي ذُبُولِ<sup>(٥)</sup>  
وَأَنْفَاسًا مِنَ الْأَنْعَامِ هَبْنِي أَضْرَمْ نَارَ نَائِي بِالْأَلِيلِ<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

بَقِيَتْ بِخَلْوَةٍ فَلَتَأْتِ مَرَّةً وَصَدْرُكَ فِي الصَّبَا فَتُحُّ بِخَطَرِهِ

(١) طوف : طاف .

(٢) عن عنه : بعد .

(٣) في الأصل أن الإنسانية هي احترام الإنسان . ومفهوم الإنسانية : حب الخير للإنسان ورقة الشعور نحوه .

(٤) وهذا البيت في ديوان « جاويدنامه » لمحمد إقبال الذي ترجمته الدكتور مجيب المصري بعنوان « في السماء » وهو الديوان السابع من مجموعة هذه الدواوين باسم « رسالة الخلود » .

(٥) دارت الكأس : تناولها الشاربون الواحد تلو الآخر . والشمول : الخمر أو الباردة منها .

(٦) الأليل : الأنين .



مقامَ الرِّيحِ والألوانِ دَوَى فزَدَ فِيهِ لِهَذَا الطَّيْرِ تَبْرَهُ

\*\*\*

أَنَارَ الدَّهْرُ فِتْنَتَهُ ، وَوَلَّى  
بِلَادَ اللَّهِ بَعْدَاداً مَحَاهَا  
بِهَذَا الْغَدِ كَمْ شَغَلُوا الْقُلُوبَا  
فَمَنْ فِي يَوْمِهِ أَحْيَا دَوِيّاً  
لثَامَ النَّاسِ مَنْ رَبَّى ، وَوَلَّى  
عَلَى عَجَلٍ كَجَنَكِيْزِ ، وَوَلَّى  
فَهُمْ فِي أَمْسِهِمْ ذَاقُوا شَعُوبَا<sup>(١)</sup>  
لَيْسَعُدْ أَوْ لَيْسَمَعُهُ الطَّرُوبَا؟

\*\*\*

أُنْخَتَ كَمَا يُنُوحُ الْعَنْدَلِيْبُ  
بِهَذَا الرَّوْضِ قَطْفُ الزَّهْرِ حَلَّ  
فَمَا لِلرُّوحِ مِنْ نَوْمٍ هُبُوبٍ  
وَلَيْسَ لَدَيْكَ مِنْ شَوْكِ نُدُوبٍ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

عَلَى الذَّاتِ انْطِوَاءً ، فَلْتَعْلَمُ  
تَرْجِي رُؤْيَةَ الْمَوْلَى عَيَاناً  
بِظْفَرِكَ حَفْرُ صَدْرِكَ ، فَلْتَعْلَمُ  
عَنِ الشُّكُوى مِنَ الْأَيَامِ أَقْصَرَ  
فَرُؤْيَةُ عَمِقِ ذَاتِكَ ، فَلْتَعْلَمُ  
يَطِيبُ الْمَاءُ فِي نَهْرٍ بِصَخْرِ  
فَمَنْ لَمْ يَنْصَهْزْ كَالْتَّبْرِ يُخْسِرُ<sup>(٣)</sup>  
يَشْتَتُ مِنْهُ أَمْوَجاً وَيَكْسِرُ

\*\*\*

عَنِ الْوَرْقَاءِ لِلْفَرْخِ الصَّغِيرِ  
فَقُلْ فِي نَشْوَةِ الْأَشْوَاقِ يَا هُوَ  
« بَطْبَعُ كَيْفَ نَخِيَا كَالْحَرِيرِ<sup>(٤)</sup> »  
وَخُذْ مَا زَانَ هَامَاتِ الصُّقُورِ «

\*\*\*

- 
- (١) شعوب : الموت .  
(٢) الندوب : جمع ندب وهو أثر الجرح .  
(٣) أقصر عن الكلام : سكت .  
(٤) الورقاء : الحمامة التي يضرب لونها إلى الخضرة .

هُوَئِكَ مِنْ مَقَامِ الْكِبْرِيَاءِ وَعَقَّرْتَ الْجَبِينِ لِأَذْنِيَاءِ<sup>(١)</sup>  
 وَشَاهِينَا أَرَاكَ تَصِيدُ ذَاتَا وَلَكِنْ فِي شِبَاكِكَ بِأَرْتَمَاءِ  
 لَكَ الْبَشْرَى فَذَاتَكَ تَسْتَرُدُّ وَمِنْ فَقْرِ غِنَى مَا تَسْتَمِدُّ  
 حَيَاةَ الْخُلْدِ هَذَا فِي يَقِينِ وَفِي حَدْسٍ لِمَوْتٍ تَسْتَعِدُّ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

أَعَنْ ذَاتٍ تَحْجَبُ بِالْحِجَابِ إِلَيْهَا حَبَّذَا يَوْمُ الْإِيَابِ  
 وَفِي رِزْقِي لِي التَّفَكِيرُ كَفَرُ وَأَنْتَ كَفَرْتَ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

لَسَقِبِ قَالَ هَذَاكَ الْبَعِيرُ تَأْمَلُ أَنْتَ لِي نِعْمَ النَّظِيرُ  
 لَتَعْمَلُ مِثْلَنَا ، جِنَا الصَّحَارَى بِأَحْمَالٍ لَنَا كُنَّا نَسِيرُ<sup>(٤)</sup>  
 كَلَامُ جَهْبَذِ الْإِفْرَنْجِ قَالَا وَفِي كَوْنٍ وَفِي عَدَمٍ أَطَالَا<sup>(٥)</sup>  
 مَنْ الْأَعْجَامِ شَيْخٌ قَالَ قَوْلَا أَبْلُغُهُ ، فَأَلْقَ إِلَيْهِ بَالَا

\*\*\*

غَرِيبٌ عَنْكَ يَجْعَلُكَ الْقَتِيلَا لِقَلْبٍ تَشْتَرِي الْحَزْنَ الْوَيْلَا<sup>(٦)</sup>

(١) عفر الجبين : مرغه في التراب .

(٢) الحدس : الظن والتخمين .

(٣) يذهب إقبال مذهب المتصوفة الذين لا يرون أن النظر في الكتب وسيلة إلى العلم ، فهم

على أن القلب هو مصدر المعرفة وليس العقل الذي يعد وحده مصدرها عند غيرهم .

ويروى أن بعض الصوفية طرحوا كتبهم في النهر . ومنهم من دفنوها في جوف الثرى

رغبة في الخلاص منها لعدم جدواها . وفي هذا المعنى قال شاعر فارسي ما ترجمته :

( اغسل الأوراق إن كنت في الدرس زميلنا ، فليس لعلم العشق دفتر عندنا ) .

(٤) جاب الصحراء : اجتازها .

(٥) الجهبذ : الناقد العارف بتميز الجيد من الرديء .

(٦) الويل : الشديد .

وَيَفْضُلُ كُلَّ تَأْوِيلٍ لِشَيْخٍ مَعَ الذَاتِ الْجَلُوسِ وَلَوْ قَلِيلاً

\*\*\*

وَجُودُ ذَاكَ أَمْ هَذَاكَ مَظْهَرُ وَعَلِمُ الْغَوْصِ ضَمَّنَهُ كِتَاباً  
وَلَكِنْ لَيْتَهُ فِي الْعُمْرِ أَنْحَزَ<sup>(١)</sup> ! إِلَيْكَ الْفَاسَ ، هَذَا بَيِّسْتُونَ  
وَبَادِزُ ، دَهْرَكَ الْعَاتِي خَوْونُ<sup>(٢)</sup> شَرَارَ الْفَاسِ دَعِ مَنْ قَالَ عَنْهُ  
أَمِنْ فَاسٍ ؟ أَمِنْ حَجَرٍ يَكُونُ ؟

\*\*\*

سِرَاجُ مُنَاكَ فِي كَفِّكَ أَبْوِ فِي دُنْيَاكَ فَاحْذَرْ مِنْ ضَيَاعِ  
مَقَامِ الْهَاتِفِينَ فَنَلَّ بِحَقِّ بِذَاتِكَ خُذْ ، دَعِ الدُّنْيَا لِمَخْوِ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

وَهَذَا الْقَلْبُ بَخْرٌ مِنْكَ يَسْكُنُ فَتَرْ يَا مَوْجُ وَاحْذَرْ مِنْ سُكُونِ  
وَمِنْ جَرَكَ فِيهِ الدُّرُّ يَكْمُنُ<sup>(٤)</sup> إِلَى ذَاتِ لِكَ الدَّارَيْنِ فَاجْذِبْ  
فَهَذَا الْبَخْرُ دَارًا مِنْكَ يَخْسُنُ وَيَوْمَكَ مِنْهُمَا نُورًا لَتَبْصُرَ  
أَعْنِ ذَاتِ تَشْرِقُ أَوْ تَغْرُبُ وَهَذَا الثُّورُ يَوْمَكَ لَا تُجْنِبُ

\*\*\*

(١) يتهكم الشاعر مرير التهكم بمن يدعي بالوجود علماً ، فيقول إنه يخرج الكتاب ليعلم الناس الغوص في البحر وهو لم يركب البحر في العمر مرة .

(٢) إليك الفأس : بمعنى خذ الفأس . وبيستون : اسم جبل في إيران جاء في القصص الفارسي أن من يسمى فرهاد شق في صخره طريفاً ، وكان في ذلك صادعاً بأمر الملك برويز في خبر أسلفنا الإشارة إليه . والشاعر يدعو إلى الإقبال على العمل وإنجازه بقطع النظر عما يتكشف عنه من نتيجة وعدم المبالاة بالمادحين والقادحين .

(٣) محقه محقاً : أهلكه .

(٤) من جراك : من أجلك .

لَنَا يَا زَهْرَةَ هَا قَدْ ظَهَرَتْ      بِوَجْهِ الْحَسَنِ دُنْيَانَا أَنْزَتْ  
وَهَذِي زَهْرَةُ الْبِسْتَانِ قَالُوا      بَغْضِنِكَ كَيْفَ كُنْتَ وَكَيْفَ صُرْتَ ؟

\*\*\*

مَنْ التَّبْرِيحِ لَا يَبْكِي الرَّجَالُ      بِصَرْفِ الدَّهْرِ يَوْمًا لَمْ يُبَالُوا<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ تَبْكِي وَلَكِنْ لَسْتَ مِنْهُمْ      لِدَمْعٍ مِنْ لَظَى الشَّوْقِ انْهَمَالُ<sup>(٢)</sup>  
وَمَنْ فِي مِخْنَةٍ نَسِيَ الْفَنَاءَ      وَلَوْ شَهِدَتْهُ فِي الْمَوْتِ السَّمَاءُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَنْتَ بِمَوْتِهِ هَذَا جَدِيدٌ      وَإِلَّا فَلْتَمُتْ مَوْتًا تَشَاءُ

\*\*\*

تُرَابُكَ وَهُوَ عَنْ رُوحٍ غَرِيبٍ      غَصُونُكَ لَيْسَ يَرُوبِهَا صَيِّبُ<sup>(٤)</sup>  
عَلَيْكَ بِحَرَقَةِ الْأَنْفَاسِ وَاسْعُدْ      فَمْتَهِجْ بِهَا الصَّدْرُ الْكَنِيبُ

\*\*\*

عَلَيْنَا قَدْ تَكَاثَرَتْ الْغُمُومُ      غَرِيبًا مُسْعِدًا كُنَّا نَرُومُ<sup>(٥)</sup>  
فَهَيْئَةٌ فِي غَدٍ مَا أَنْتَ تَبْغِي      وَلَكِنْ إِنْ عَرَفْتَ بَكُمْ يَقُومُ<sup>(٦)</sup>  
كَرِيمٌ ذَاتَهُ وَالْقَلْبَ ضَمًّا      بِرَمِي الشَّصْرِ لَا يُؤْذِي الْخِصْمًا<sup>(٧)</sup>  
تَجَلَّى السُّكْرُ لِلنَّظَرَاتِ حِلًّا      بَغْلُ الْقَلْبِ وَالْكَفَّيْنِ حَتْمًا

\*\*\*

- 
- (١) التبريح : من برح به الأمر : إذا أجهده وآذاه .  
(٢) انهمل الدمع : سال .  
(٣) المحنة : بمعنى الامتحان والشدة . وفي هذا احتمال التلميح إلى من يموتون من أجل رأي يرونه وعقيدة يعتقدونها ومن يصيبهم الله بالبلاء ليلوهم به .  
(٤) الصبيب : المصبوب . والمقصود به هنا الماء .  
(٥) المسعد : المواسي المشارك في الحزن .  
(٦) قامت السلعة بالثمن : تعدلت به .  
(٧) الكريم : خير الناس . والشص : حديدة معقوفة يصاد بها السمك .

هُمُومٌ قَلْبُنَا مِنْهَا تَفْطَّرُ      تَرَابٌ أَضْلُهَا وَضُرٌّ وَأَكْدَزُ<sup>(١)</sup>  
وَلَكِنْ مَا عَرَفْنَا الِهِمَّ يَخْلُو      بِأَصْلِ الْفِكْرِ فِي عَقْلِ تَفَكَّرُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

إِلَى الْأَقْدَارِ لَا تَنْسِبُ أُمُورًا      وَكَانَ اللَّهُ وَهَّابًا عَفُورًا  
وَلَكِنْ قَلْبِ الدُّنْيَا فِيهَا      حَقِيرُ النَّاسِ مَنْ قَمَرَ الْأَمِيرَا<sup>(٣)</sup>  
مَرِيرَ الْحَقْدِ فَلْيَلْفُظْ جَنَانُ      مِنَ الشُّبَّانِكِ فليُخْرِجْ دُخَانَ<sup>(٤)</sup>  
وَلَيْسَ لِحَقْلِ قَلْبِكَ مِنْ خِرَاجِ      فَيَا دُهْقَانَ هَلْ مِنْكَ الْأَمَانُ؟<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

لِفَجْرِ مِنْ لِيَالِيهِ الظُّهُورُ      لِكُوكِبِهِ عَلَى الدَّارِينَ نَوْرُ  
وَأَعْجَزُ عَنْ كَلَامٍ فِيهِ عَجْزًا      فَعِنْدَ الْمَوْتِ يَغْشَاهُ السَّرُورُ

\*\*\*

وَقَالَتْ لِلصَّبَا فِي الطَّلِّ قَطْرَةٌ      مُنَايَ إِلَيَّ مِنْ عَيْنِكَ نَظْرَةٌ  
مَنْ الْأَزْهَارِ فِي قَلْبِي مَلَالٌ      فَهَبِّي كَيْ أَوَافِي الْعِشْبَ مَرَّةً<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

- 
- (١) الوضر : القنر .  
(٢) يقول : إن الهم الحلو المناقض للهم المر الذي تتأذى به هو هم العقل المفكر .  
(٣) قمره : غلبه في القمار .  
(٤) لفظ الشيء : ألقاه من فمه . والجنان : القلب . يشبه خروج الحقد من القلب بخروج الدخان الذي لم يكن مستحب البقاء في الدار .  
(٥) الدهقان : رئيس الإقليم .  
(٦) وافى : أتى .

## القلب

يَلَا شَطَطٌ خِضْمٌ كَانَ قَلْبَا      يثِيرُ بِهِيَّةِ الْأَمْوَاجِ رُغْبَا  
بَسِيلٍ مَغْرَقٍ سَهْبًا وَسَهْبَا      حَبَابٌ فِيهِ بِالْأَفْلَاكِ يَعْبَا؟<sup>(١)</sup>

\*\*\*

لَهَيْبٌ ، جَسْمُنَا مَوْجُ الدِّخَانِ      وَمِنْ خَفَقَاتِهِ رَجْعُ الْأَغَانِي  
وَمَجْلِسُهُ بِذِكْرِ الْوَهْنِ أَمْسَى      كَقَطْرَةِ زُبَيْقٍ تَبْدُو لِرَانَ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

وَيَنْجِحُ سَعْيُهُ دَهْرَ مُثَابِرِزْ      بِصَوْنِ الذَّاتِ دَرُوشِ يُجَاهِرِزْ  
وَصُنِّ لِلْقَلْبِ سُلْطَانًا وَقَفْرًا      فَهَذَا الْبَحْرُ قَدْ صَانَ الْجَوَاهِرِزْ<sup>(٣)</sup>  
قَوَى لِلذَّاتِ يَوْمًا مَا بَلَوْتَا      وَقَيْدًا بَعْدَ قَيْدِ مَا حَطَمْتَا<sup>(٤)</sup>  
يَدُومُ الْعَقْلُ لِلْإِنْسَانِ قَيْدًا      إِذَا فِي صَدْرِهِ الْقَلْبُ افْتَقَدْتَا<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

تَقُولُ الْقَلْبُ مِنْ تَرْبٍ مَهِينِ      يَذُوقُ الْأَسْرَ مِنْ كَافٍ وَنُونِ

- (١) الخضم : البحر . السهب : الأرض المنبسطة . والحجاب : الفقايع التي تعلق الماء والخمر . والشاعر يريد ليقول إن الأفلاك كلها لا تساوي فقايع واحدة في هذا السيل .  
(٢) يقول : إن هذا القلب نار والجسم موج دخانها ، وهو بخفقه أشبه شيء بالقيثارة .  
الوهن : نصف الليل . ويشبه من يطربون لذكر الله ليلاً في هزتهم وحركتهم بالزئبق الرجراج .  
(٣) أنجحه : جملة ناجحاً . وإقبال يجري على مألوف عاداته في الربط بين فقر النفس وعظمة السلطان .  
(٤) بلوت : اختبرت . حطم : مثل حطم بتشديد الطاء .  
(٥) افتقد : فقد .

وَفِي صَدْرِ لِقَلْبٍ مَسْتَقَرٍّ هُنَا مَا كَانَ يَوْمًا بِالقَطِينِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وَدُنْيَا النَّيْرَيْنِ بِهَا تَمَنُّطُقُ وَكَمْ عَقْدٍ يَحِلُّ إِذَا تَحَرَّقُ<sup>(٢)</sup>  
فَقُلْ لِلْهِنْدِ هَذَا مِنْ كَلَامِي بِصُخُوتِهِ غُلَامُ الْهِنْدِ يُغْتَقُ  
وَكُنَّا حَقْلَ رَبِّي وَهُوَ حَاصِلُ لِعَالِمِنَا عَرُوسٌ وَهُوَ مَحْمَلُ  
غِبَارَ مَنْ دَرَى سِرًّا بِدَرْبِ وَلَمْ يَكُ غَيْرَ هَذَا الْقَلْبِ ، فَاعْقِلْ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

دُؤُوبٌ يَطْلُبُ الْحَسْنَ الْغَرِيبَا وَخَطِيبٌ كَانَ مِنْبَرُهُ صَلِيبَا<sup>(٤)</sup>  
وَسُلْطَانٌ لَهُ خَيْلٌ وَجَيْشٌ وَيَعْدَمُ عِنْدَ دَوْلَتِهِ نَصِيبَا

\*\*\*

وَدُنْيَا الْقَلْبِ مَا اتَّسَمَتْ بِرَوْنَقُ وَمَا يَبْدُو بِهَا حِجْرٌ وَجَوْسَقُ<sup>(٥)</sup>  
وَمِنْ أَرْضٍ خَلَتْ بِلَ مِنْ سَمَاءٍ وَ « اللهُ هُوَ » تَغْشِيهَا فَتَغْرَقُ  
رَأَتْ عَيْنٌ ، أَتَى قَلْبٌ سَرِيعَا أَرَادَ يَقِيسُ عَالِمِنَا الْوَسِيعَا  
وَهَذَا الْقَلْبُ سِكِّيرًا يَسْمَى تَحْسَى مَا بِهِ حُسْنًا بَدِيعَا

\*\*\*

سَهَامُ الْعَشَقِ مِنْ عَيْنِ تَصِيبُ يَطِيبُ الْجِرْحُ وَالرَّامِي حَيْبُ  
بِصَيْدِ الْقَلْبِ سَهْمُكَ فَلَتَدْعُهُ بِكُلِّ الصَّيْدِ ، مَنْ نَظَرَ تَوْوَبُ<sup>(٦)</sup>

(١) المراد بـ « هنا » : هذه الدنيا . والقطين : الساكن والمقيم

(٢) تمنطق : شد وسطه بالمنطقة .

(٣) الدرب : الطريق .

(٤) الصليب : من معاني الصليب العود الذي يصلب عليه من يقتل .

(٥) الجوسق : القصر .

(٦) الصيد : اسم من صاد وبمعنى ما يصيد .

## الذاتية

بنور الكبرياء لها اشتعال      ومن نقصي لها كُـلُّ الكَمَالِ  
مقامات الوصال لها فِرَاقٌ      كما أنَّ الفِرَاقَ لَهَا وَصَالٌ

\*\*\*

وَمِنْ جَدَلٍ لِقَوْمٍ أَنْ يُرِيحُوا      لِيَزْهَرَ عِنْدَهُمْ أَمَلٌ نَجِيحٌ<sup>(١)</sup>  
بَدَتْ ذَاتِيَّةٌ سِيفاً حُسَامَا      وَيُعْرِفُ حُدَّهُ لَوْنٌ وَرِيحٌ

\*\*\*

وَجُودُ اللَّهِ أَكْسَبَهَا الْوَجُودَا      فَكَانَتْ مَظْهَرًا جَازَ الْحُدُودَا  
أَزَاهَا جَوْهَرًا مِنْ جَوْفِ بَحْرِ      سِوَاهُ بِمَثَلِهِ مَنْ لَنْ يَجُودَا  
وَطِينٌ حِينَ مَا يَرْضَاهُ قَلْبُ      يَفْطُرُهُ لَطِيبِ النَّوْمِ حُبُّ  
وَمِنْ نَوْمٍ بِخَلْقِ (أَنَا) سِيضُحُو      بِجَسْمِ حِينَ يَحْكُمُهَا سِيخُبُو

\*\*\*

لَنَا وَصَلُ فِرَاقٍ فِيهِ يَظْهَرُ      وَهَذِي عَقْدَةٌ لِلْحَلِّ تَنْظَرُ  
تَضِيحُ جِوَاهِرٌ مِنْ حِضْنِ بَحْرِ      وَلَيْسَ لِمَاءِ بَحْرِ مَا لَجِوَاهِرُ!

\*\*\*

وَلِي مِنْ بَابِهِ هَذَا التَّرَابُ      وَمَنْ صَدْرٍ لَهُ زَهْرٌ عُجَابُ  
وَلَا أَذْرِي (أَنَا) أَوْ مَا عَدَاهَا      بِصَدْرٍ مِنْهُ تَخْوِينِي رِحَابُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

(١) أراح : استراح . والنجيج : الذي تنجح أموره .

(٢) يقول : إنه لا يعرف (أنا) ولا (هو) ولكن يعرف أن (أنا) في صدر (هو) .



## الجبرُ والاختيارُ

سيوزنُ كُلُّ شيءٍ يَوْمَ حَشْرِ  
لدى الإنسانِ مِنْ جُحْرِ وَقْضَرِ  
فَمَاذَا فِي غَدٍ يَا لَيْتَ شِعْرِي  
أَيْرَضَى اللهُ عَمَّا سَوْفَ يَجْرِي؟

\*\*\*

وَلِي شَيْخٌ مِنَ الرَّهْبَانِ قَالَا  
كَلَامِي ذَاكَ أَلْقَى إِلَيْهِ بَالَا  
بِتَقْدِيرِ لَكُمْ عَمْرٌ سَيَفْنِي  
سُنُقَلُ نَحْنُ بِالتَّذْيِيرِ طَالَا

\*\*\*

## الموت

لِرَبِّي قَالَ ذَا الْمَوْتُ الْمَرِيدُ  
لِعَيْنِ أَصْلُهَا طِينٌ جَمُودُ<sup>(١)</sup>  
مَنْ الْإِنْسَانِ يَخْجَلُ قَبْضُ رُوحِ  
أَمِنْ مَوْتٍ لَهُ الْعَارُ الْجَدِيدُ!

\*\*\*

وَأَيْدٍ فِيهِ مَنْ مَلَكَ الْجِهَاتِ  
بِمَقْوَدِهِ يَقُودُ الْكَائِنَاتِ  
لِذَلِكَ الْمَوْتِ مَا أُغْضِي حَيَاءِ  
غَرِيبٌ عَنْهُ نَامُوسُ الْحَيَاةِ

\*\*\*

إِلَى إِبْلِيسَ فَلتَنْقَلُ مَقَالِي  
إِلَامٌ لِي التَّمْلُؤُ فِي الْعَقَالِ<sup>(٢)</sup>  
وَلِي دُنْيَا الشَّرَى لَا أَزْطِئُهَا  
فَفِيهَا الصَّبْحُ مَهْدٌ لِلْيَالِي

(١) جمود العين : انقطاع دمعها .

(٢) المقال : القول . التملؤ : التقلب على الفراش من هم أو مرض .

وَلَمَّا أَخْرَجُوا الدُّنْيَا إِلَيْنَا      ضَمِيرًا خَامِدًا فِيهَا رَأَيْنَا  
بِغَيْرِ الرُّوحِ أَيْنَ لَنَا لِهَيْبِ      لَقَدْ خَلَقُوكَ مِنْ نَارٍ لَدَيْنَا

\*\*\*

فِرَاقٌ يَجْعَلُ الشُّوقَ البَصِيرَا      بعمقِ البَحْثِ يَجْعَلُهُ الجَدِيرَا  
وَلَكِنْ كَيْفَ حَالِكَ لَسْتُ أَدْرِي      وَطِينٌ قَالَ لِي «كَانَ الخَيْرَا»

\*\*\*

لَقَدْ طَرَدُوكَ يَا مَنْ لَنْ يُعَادَا      لَكَ التَّفْكِيرُ بَيْنَ الخَلْقِ زَادَا  
قَضَيْتُ الدَّهْرَ فِي بُلُوَى عَذَابِي      فَقَلْبِي فِيهِ كَمْ زَرَعُوا القَتَادَا<sup>(١)</sup>  
مُصِيبًا مِرْتُ مِنْ غَيْرِ المَصِيبِ      عَدِمْتُ النَبْتَ فِي حَقْلِي الجَدِيدِ<sup>(٢)</sup>  
وَلَمْ تَسْجُدْ فَمَنْ أَلَمْ تَقَاسِي      أَخَذْتُ إِلَيْكَ مَالِي مِنْ ذُنُوبِ

\*\*\*

تَعَالَ النُّرْدَ فِي مَرَحٍ لِنَلْعَبِ      وَدُنْيَانَا لِنَحْرِقَهَا فَتَعَطِبِ  
بِسِحْرِ مَنْ هَشِيمٍ كَانَ فِيهَا      لِنَصْنَعُ جَنَّةَ الأَفْلَاقِ فَاعْجَبِ

\*\*\*

## إِبْلِيسُ التَّرَابِيِّ وَإِبْلِيسُ النَّارِيِّ

فَسَادُ عَصْرِنَا أَوْهَى وَأَثْقَلُ      وَأَفْلَاكُ تَشَاهِدُهُ فَتَخْجَلُ  
أَلَيْسَ لَدَيْكَ لِلنَّظَرَاتِ ذَوْقُ      لَتُخْدَمَ عِنْدَ شَيْطَانٍ وَتُحْمَلُ

\*\*\*

(١) القِتَادُ : الشُّوكُ .

(٢) النَبْتُ : النِّبَاتُ .

وَمَنْ عَيْنَاهُ وَالْأَذْنَانِ سَارِقٌ      تَرَصَّدُ فِي الظَّلَامِ لِسَلْبِ خَافِقُ  
وَكَانَ السَّعْرُ فِي الْأَسْوَاقِ بَخْسًا      بَفَلْسٍ تَشْتَرِي ذَنْبًا؟ تَحَامِقُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

عَجِيبُ السَّعِي شَيْطَانٌ عَجِيبٌ      سِخْرٍ لِلْعَمَى عَيْنًا يَصِيبُ  
اسْمَى ذَلِكَ الشَّيْطَانِ مَيْتًا      فَمَثَلِكَ صَيْدُهُ وَهُوَ الطَّلِيبُ<sup>(٢)</sup>  
لَهُ كَأْسٌ بِهَا سَمٌّ دَهَاكَا      لِقَتْلِ الرُّوحِ ، جَسْمٌ مَا هُنَاكَ  
لَكَ الْحَلَقَاتُ تَبْدِيهَا شَبَاكٌ      وَمَا شَاهَدْتَ فِي الْحَبِّ الشَّبَاكَ!

\*\*\*

هُوَ الْإِنْسَانُ مِنْ أَعْلَى مَقَامٍ      فَضَاقَ مَجَالَهُ عِنْدَ ارْتِطَامِ<sup>(٣)</sup>  
بَلَا طَعْمٍ وَلَا لَوْنٍ ذَنْوَبٌ      وَإِبْلِيسُ لَهُ طَبْعُ الْأَنَامِ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

وَمَنْ شَيْطَانٍ هَذَا الْعَصْرِ فَاحْذِرْ      خَسِيسٌ مَنْ يَضَلُّهُ وَيَسْحَزِرْ  
أَرَى إِبْلِيسَ خَيْرًا مِنْهُ حَقًّا      رَأَى الرَّحْمَنَ فَهُوَ بِذَاكَ يَفْخَزِرْ  
لَهُ النَّدُّ الْمَغَالِبُ مِنْ هُمَامٍ      وَبِالنِّيْرَانِ يعلُو فِي الْمَقَامِ  
وَمَا كُلُّ التَّرَابِ رَمَاهُ صَيْدًا      وَأَعْجَفَ أَنْ يَصِيدَ مِنَ الْحَرَامِ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

خَسِيسُ الطَّبَعِ هَذَا لَيْسَ يَفْهَمُ      عَلَيْنَا الْقَوْلُ فِيهِ قَدْ تَحْتَمُّ

- 
- (١) حامقه : ساعده على الحمق ، فكان بذل الثمن السخي في الذنب يعين الحمقى الذين يبيعون بالثمن القليل .  
(٢) الطليب : الكثير الطلب .  
(٣) الارتطام : الوقوع في الوحل .  
(٤) الأنام : الناس .  
(٥) الأعجف : الهزيل .

أبالسةً بهذا العصرِ جَافَى      غيورٌ وَهُوَ طُوْلُ العنمرِ يَأْتُمُ

\*\*\*

## إلى رُفقاء الطريق

تعالَ لقومِنَا أمراً نَدْبُزُ      لنكسبَ إنَّ هذا العيشَ ميسرُ  
نصعُدُ في مَسَاجِدِنَا أَيْنَا      على إِخْرَاقِ قلبِ الشِخِّ يَقْدِرُ

\*\*\*

وصفَرُ في السَّمَوَاتِ القَلَنْدَرُ      لخفقِ جناحِهِ ذُو الثقلِ أصغَرُ<sup>(١)</sup>  
وفي هذا الفِضَاءِ لَهُ مَصَادُ      بعشٍّ لَمْ يَطُفْ فالعُشُّ أَغْبَرُ

\*\*\*

ولحنُ «اللهِ» مَنْ روجِي تَرَدَّدُ      متاعِ الكونِ عثيره تصعَّدُ<sup>(٢)</sup>  
ولي في معزَفِي وَتَرُّ بنارِ      تقطَّعُ ، ياله دمعِي المبدَّدُ

\*\*\*

خفقت كدمعة سالت فطره      إلى عيني وصلتُ بفضلِ طَفَرِهِ<sup>(٣)</sup>

---

(١) في القرن الثامن الهجري أنشأ من يدعى قلندر الأندلسي فرقة دينية من مبادئها طهارة القلب وقطع الإنسان ما بينه وبين دنياه من أسباب رغبة عنها وزهداً فيها ، ودوام الترحال . وكانوا يحلقون شعورهم ولحاهم وشواربهم وحواجبهم إمعاناً منهم في تشويه مظهرهم ، ورغبة في أن يعلنوا على الملأ أنهم لا يباليون إلا بما بينهم وبين ربهم ولا يكثرثون بما يشاهد الناس من ظاهريهم . ويريد إقبال بالقلندر من تخلى عن دنياه وكان اهتمامه ببواطن الأمور لا ظواهرها .

(٢) العثير : الغبار .

(٣) الطفرة : الوثبة .

ولي إشراقه في الهذب تبذو  
ولم يف منطق لي بالمرام  
سيفتح كل باب أو صدوه  
على هذا الهشيم نثرت قطره<sup>(١)</sup>  
دليل فيه خلو من تمام  
بيت قاله الرومي وجامي<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

تعال إليك مني بنت حان  
ومن قارورتني فلتسوق غضناً  
تثير الروح في طين الدنان<sup>(٣)</sup>  
لتشهد فيه إنساناً يراني<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

بكفي معزفي شعري يغني  
عليه بمخليب الأساد عزفي  
لكسرى العصر عني القول ينقل  
بصدري شوكة أدمته وخرأ  
أين فيه من لون ولون  
به الأوتار من وجه المجن<sup>(٥)</sup>  
« كرهاد لدى الفأس تحمل ؟  
لقلب الطود منها السيف يعمل »

\*\*\*

فقير نظرة لي كل مالي  
على البازي أفضل زاع ميت  
هشيم ما لصحي من جبال  
ولو رباه كسرى في الدلال<sup>(٦)</sup>

- (١) الهشيم : النبات اليابس المنكسر .  
(٢) راجع ما مضى عن جلال الدين الرومي ، وجامي .  
(٣) الدنان : جمع دن وهو جرة الخمر .  
(٤) يقول : إذا سقيت غضناً من خمري أصبح هذا الغصن إنساناً .  
(٥) المجن : الترس . وفي الأصل أن أوتاره من عروق الحجر .  
(٦) الزاغ : الغراب . والإشارة هنا إلى جوارح الطير التي تأكل جثث الموتى . ولتفسير ذلك نقول : إن المجوس لا يدفنون جثث موتاهم في الأرض التي يعتقدون أنها من خلق إله الخير ويحرم تنجيسها . فهم يضعون جثة الميت على منصة عالية ويعرضونها لجوارح الطير حتى تأكلها . أما ما تبقى من عظامها فيلقون به في البئر .

وَلَا قَاطَعَتْ أَهْلًا أَوْ صَحَابًا  
فَجَزَتْ بِمَجْلِسِي هَذَا السَّحَابًا<sup>(١)</sup>  
نَصِييَ أَيُّ شَيْءٍ كُنِيَ أَبَاهِي ؟  
بِعَيْنِ نَرَجِسٍ جَذَبَ انْتِبَاهِي<sup>(٢)</sup>

لِقَلْبِي قَطُّ مَا أَوْصَدْتُ بَابًا  
قَبَعْتُ بِمَجْلِسِي فِي عَقْرِ صَدْرِي  
عَدَمْتُ بِرَوْضَةِ عَزِّي وَجَاهِي  
وَصَاحِبُهَا يَسْمِينِي وَقَاحًا

\*\*\*

كَلَامٌ رَقٌّ مِثْلُ الْيَاسْمِينِ  
لَوْصَفِ الرُّوضِ بِالْقَوْلِ الْيَقِينِ ؟

وَلِلْعَلْمَاءِ فِي الْحَفْلِ الْمَزِينِ  
وَلَكِنْ مَنْ رَأَى فِي الرُّوضِ شَوْكًا

\*\*\*

مَقَامٌ آخِرٌ فِيهِ كَلَامِي  
خَفِيفُ الْخَطْوِ يَعْدُو فِي الْأَمَامِ  
وَحَسْبِي الرُّوضُ أَفْعُمُهُ نَجِيًّا  
بِعُشِّي كُنْتَ تَخْشَى أَنْ يَغِيَّا

بِعَلْمٍ أَوْ يَفْنُ مَا اهْتَمَامِي  
ضَعِيفُ الرُّكْبِ يَجْعَلُهُ لِهَيْبِي  
أَتَحْسِنِي لِفَجْرِ عِنْدَلِيَّا  
تَمَسَّكَ بِي تَجِدُ مِفْتَاحَ رَوْضِ

\*\*\*

رَفِيقٌ لَيْسَ لِي وَالْكَلُّ سَفَرٌ<sup>(٣)</sup>  
غَرِيبٌ وَهُوَ لِي هَمٌّ وَشَرٌّ

هِيَ الدُّنْيَا لِعَيْنِي الْمَمَرُّ  
نَفَارِي مَنْ قَوِيْبٍ كَانَ خَيْرًا

\*\*\*

وَزِدْ ذَاتًا مِنْ التَّقْدِيرِ هَيَّا

وَفِي عَدَمِ تَعَلُّمٍ كَيْفَ تَحِيَّا

= والمراد بالبازي هنا : ذلك البازي الذي يريه الملوك في قصورهم لاستخدامه في صيدهم .

(١) قبع : أدخل رأسه في فتحة ثوبه . وعقر البيت : وسطه .

(٢) الوقاح : الوقح .

(٣) السفر : المسافرون .

وفي أعماق أنغامِي تَلبُّبٌ  
وتربيبِي بتلك الأرضِ كأنَا  
نَبْتُ بِهَا بفيضِ من نَدَاهَا  
بيخري لؤلؤ فاسكنُ ملياً<sup>(١)</sup>  
ولكن أجتوبها لي مكاناً<sup>(٢)</sup>  
سماءَ لي أشهدُها عياناً

\*\*\*

إلى نفسِ الرجالِ كِنِ القَرِيْبَا  
شكَاةَ الذَّاتِ هُمُّهُمُ يَجَافِي  
لهم أنفاسهم تحيي القلوبا  
فما عن ذاته كان الغريبَا

\*\*\*

لتخلقَ نظرةَ والروحِ أبصرُ  
ولأَ فلتكُنْ سهماً لقوسِ  
تغربَ عقلنا ذَا عن يقينِ  
جهولٌ كان خيراً من حَكِيمِ  
تجد زهراً بغصنِ غير مزهرُ  
ومن يزمي له هدفاً يُقَدِّزُ<sup>(٣)</sup>  
بدا كمقامِ العلمِ المشينِ<sup>(٤)</sup>  
بنظرتَه إلى الحقِّ الميينِ

\*\*\*

ومن ذهبٍ ودُرٍّ ما المرامِ  
من الدارينِ شيءٌ لا يرجي  
وما سرجُ المطهِّمِ والغلامِ<sup>(٥)</sup>  
وذاك لمالِ ذي الفضلِ القوامِ

\*\*\*

وسكرُ أنا لتلكِ الذاتِ عقلِ  
شرابي ما صفَا ، لكن ترشَّفِ  
وإن الصمتَ في حاني لفضلِ  
ففي يومِ مضى للذنِّ بزلِ<sup>(٦)</sup>

(١) ملياً : زماناً طويلاً .

(٢) التريب : التربية .

(٣) يشبهه بالسهم الذي يحدد راميهِ الهدف ولا يحدد هو هدفه بنفسه .

(٤) المشين : المعيب .

(٥) الجواد المطهِّم : التام الحسن .

(٦) بزل الدن : ثقبه لأخذ الخمر منه .

لَدَيْكَ بِخَرْقَةٍ أَوْ فِي نَصِيبٍ      وَمَنْ ذَاتِي وَجَدْتُ شَذَا الْحَبِيبِ<sup>(١)</sup>  
لَدَيَّ الْمَالُ مِنْ خَشَبِ لِنَاءٍ      وَلَيْسَ لِمَنْبِرٍ أَوْ لِلصَّلِيبِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

بِمَزَاةٍ لِدَاثِي قَدْ بَصُرْتُ      بَصَدْرِي خُلُوةً فِيهَا قَرَرْتُ  
مَنْ الْعِمْيَانِ فِي عِلْمٍ وَفَنٍّ      بِلِبَالٍ قَدِيمٍ لِي فَرَرْتُ

\*\*\*

رَجِيلِي حَانَ عَنْ هَذَا التَّرَابِ      فَقَالَ الْكَلُّ « كَانَ مِنَ الصَّحَابِ »  
فَمَنْ هَذَا الْمَسَافِرُ لَيْتَ شِعْرِي      وَمَنْ قَدْ خُصَّ بِالْقَوْلِ الْعَجَابِ  
عَلِمَ الْقَلْبِ رَفْرَاقُ الضَّمِيرِ      أَمِيرٌ وَهُوَ يُعَرَفُ بِالْفَقِيرِ  
وَلَيْسَ لِمَعْدَمِ دِينًا وَعِلْمًا      قِبَاءً بَلْ لَهُ سَرَجُ الْحَرِيرِ

\*\*\*

لَجَمِّ أَنْتَ تَسْجُدُ أَوْ لِدَارَا      فَلَا تُلْحِقْ بَيْتِ اللَّهِ عَارَا<sup>(٣)</sup>  
وَلَا تَطْلُبْ إِلَى الْغَزْبِيِّ شَيْئًا      بِقَلْبِكَ حَطْمَ الصْنَمِ الْمَعَارَا

\*\*\*

بِسْمِعِي طَافَ مِنْ شَيْخٍ كَبِيرٍ      لَهُ عَقْلٌ وَإِشْرَاقُ الضَّمِيرِ  
« فَقِيرٌ إِنْ يَصُنُّ بِالْفَقْرِ ذَاتًا      فَمَلِكُ الْعَالَمِينَ لَذَا الْفَقِيرِ »  
وَفِي حَرْفَيْنِ هَذَا السَّرُّ يَسْتَرُ      مَقَامَ الْعَشْقِ لَا يَبْدُو كَمَنْبَرُ  
وَإِبْرَاهِيمُ نَمْرُودًا أَيَخْشَى      لِعُودِ نَفْحَةٍ بِالنَّارِ تَنْشَرُ

\*\*\*

- 
- (١) الخرفة : الثوب الخشن البالي الذي يلبسه الصوفي .  
(٢) الصليب : من معانيه العود يصلب عليه من يقتل .  
(٣) جم : هو الملك جمشيد من ملوك الأساطير عند الفرس وهو مذكور بمعظمة الملك .



ألا يا زهراً ما طلب العزاء ؟  
وَصَدْرَكَ افْتَحَنْ لِكُلِّ رِيحٍ  
بذاتك فالتزم خَلَّ الوفاء  
وَصُنْ وَشْماً قَدِيماً فِي الخفاء<sup>(١)</sup>

\*\*\*

يدوي النضح في سمعي دويًا  
لتحذز من أضاع الروح رهنًا  
لشط قال موج وهو يهدز  
على ذاتي التفافي مثل أفعى  
« برؤحك وحدها عش يا بنيًا  
بجسم لا بروح وهو يحيا »  
بفرعونية ذاتي أقدر  
وأرقص بانتظار فيه أصير

\*\*\*

بجاء الغزب إن كنت القمينًا  
أدز لعصاه عند الضرب ظهرًا  
على عباته عفر جينًا<sup>(٢)</sup>  
كعير سيق فلتكن المهينا!<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

وأيمن فؤاده طوع اليمين  
شياطين تطوف له بيت  
ومن قلب ومن دين يثننا  
ومات الدين من موت لقلب  
خلاء ملكه من كل دين<sup>(٤)</sup>  
وتوحش غيبة الروح الأمين<sup>(٥)</sup>  
كعطر الورد من أصل هربنا  
لنا موتين نحن قد اشتربنا!

\*\*\*

حنيف كان يعرف قدر دين  
بما لا يشتهي الأفلاك دارت  
لربي منه تعفير الجين  
أدار الأرض منه باليمين

(١) الوسم : أثر الكي .

(٢) القمين : الجدير .

(٣) العير : الحمار .

(٤) يريد الرجل من الفرنجة .

(٥) الروح الأمين : سيدنا جبريل .

من دُنِيَا لَنَا قَلْبٌ غَرِيبٌ      لَهُ الْأَيَّامُ مِنْ فَلَكٍ نَصِيبٌ<sup>(١)</sup>  
صَلَاةَ الْعَشَقِ مَيِّزَهَا بِوَقْتِ      فَلَيْسَ لَهَا الْمَوْذُنُ وَالْخَطِيبُ  
مَقَامُ الْعَشَقِ يَفْعَمُهُ الْيَقِينُ      يَقِينًا يَصْحَبُ الرُّوحَ الْأَمِينُ  
إِذَا حَصَلَتْ مِنْ هَذَا نَصِيبًا      فَسِرْ قُدَمَا ، فَمَا اعْتَرَضَ الْكَمِينُ

\*\*\*

وَعَزْفَانٌ وَإِذْرَاكٌ لِمَسْلِمٍ      وَعَيْنِيهِ « بَلَوْلَا » الذَّاتِ يَفْعَمُ<sup>(٢)</sup>  
سَمَا رَبِّي سُمُوًّا عَنِ قِيَاسِ      بِقَائِلِ « مَا عَرَفْنَا » النَّفْسِ أَكْثَرَمُ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

وَأَضْنَامَ الْفَرَنْجَةِ مَا عِبَدْنَا      بِمَعْبِدِهِمْ فَبُئْسَ الْمَوْتُ مِتْنَا  
وَعَقْلُكَ كَانَ عَنِ قَلْبِ غَرِيبًا      فَمَا بَسْلَافٍ مِنْ سَلَفُوا سَكِرْتَا<sup>(٤)</sup>  
أَكَلُ النَّاسِ مِنْ نَفْسًا يُسِيلُ      وَمِنْ سُكْرِ التَّدَلُّلِ مَنْ يَمِيلُ  
قَبَاءٌ « لَا إِلَهَ » بِهِ دِمَاءٌ      عَلَى قَدِّ الْخَسَاسِ هُوَ الطَّوِيلُ

\*\*\*

وَيَحْرِقُ مُؤْمِنًا حَرُّ الْوَقِيدِ      مِنْ الْأَبْوَابِ يَفْتَحُ مَا يَرِيدُ<sup>(٥)</sup>  
جَلَالُ الْكِبْرِيَاءِ لَهُ قِيَامٌ      جَمَالُ الصَّبْرِ يَظْهَرُهُ الشُّجُودُ

\*\*\*

أَتَسْأَلُ عَنِ صَلَاةِ الْعَاشِقِينَ      وَفِيهَا حُفِيَّةٌ هُمْ سَاجِدُونَ  
أَرَى « اللَّهُ أَكْبَرُ » مِثْلَ نَارِ      أَفِي خَمْسٍ بَدَتْ لِلنَّاطِرِينَ

- (١) يريد ليقول إن القلب الغريب الطبع ليس من دنيانا .  
(٢) التلميح إلى ( لولاك لما خلقت الأفلاك ) هكذا في الأصل .  
(٣) الإشارة إلى ( ما عرفناك حق معرفتك ) هكذا في الأصل .  
(٤) السلاف : الخمر .  
(٥) الوقيد : الوقود .

نِدَاءُ الْعَالَمِينَ بِهَا يَدُومُ      وَمِنْهَا مُسْلِمٌ خَلَدًا يَرُومُ  
صَرِيحُ الْعَصْرِ فِينَا لَيْسَ يَدْرِي      قِيَامَاتٍ « لَقَدْ قَامَتْ » تَقُومُ

\*\*\*

رَأَى مَتَفَزَّجٌ لِّلَّهِ حُكْمًا      فِيرْزُقُ وَهُوَ يَطْلُبُ مِنْهُ دَوْمًا  
عَلَى الشَّيْطَانِ أَغْدَقَ أَيَّ رِزْقٍ !      إِلَى أَنْ حَارَ فِيهِ اللهُ يَوْمًا

\*\*\*

وَفِي قَوْلِي لِمَ الْإِسْهَابُ كَانَا      أَقُولُ الْحَرْفَ عَنْ سِرِّ أَبَانَا<sup>(١)</sup>  
وَعَالِمُهُ لِمَتَجْرِيْنَ أُعْطَى      مَكَانَ كَيْفَ يَدْرِي الْإِلْمَكَانَا  
لِمَنْ تَضْفُو قُلُوبُهُمْ نَعِيمٌ      وَأَخْرُ فِيهِ ذُو هَمَمٍ يُقِيمُ  
فَبَلِّغْ مُسْلِمًا فِي الْهِنْدِ بُشْرَى      « نَعِيمًا فِي سَبِيلِ اللهِ شِيمُوا »<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

إِلَى التَّقْرِيرِ مَا مَالَ الْقَلَنْدَرُ      كَأَكْسِيرٍ لَهُ رَأْيٌ يَقْدَرُ  
وَهَذَا الْحَقْلُ أَفْقَرُ مِنْ حَصَادٍ      فَمَا يَرُوي ثِرَاهُ دَمٌّ لَشَبْرٍ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

---

(١) أبان عنه : فسرہ .

(٢) شيموا : انظروا .

(٣) الحصاد . الزرع . شبير : اسم الحسن بن علي رضي الله عنه .

## القسم الرابع

### قَمَائِد

---

(١) من هُنَا القسم الرابع والخامس لهذا الديوان نقلها من الأردوية إلى العربية نثراً الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم .



## برلمان إبليس

هذه قصيدةٌ بديعةٌ لمحمد إقبال ، وصف فيها وصوّر جلسةً برلمانيةً ، حضرها وتناقش فيها شياطين العالم ووكلاء النظام الإبليسي ، واستعرضوا فيها الاتجاهات والحركات والمذاهب السياسية العصرية التي تهدّد مهمّتهم في العالم وتُحبطُ مساعيهم ، أو تعرقلُ سيرهم ، وأبدوا فيها آراءهم ، ووجهات نظرهم ، وترأسَ هذه الجلسة ، وأشرف عليها « إبليس » فحكّم على هذه الآراء والدراسات ، وعارضَ أكثرها في ضوء تجاربه الواسعة ، ويُعِدُّ نظره الذي لا يشاركه فيه أحد من تلاميذه ، وأدلى برأيه الحصيفِ المؤسّس على الدراسة الواسعة العميقة ، وهو يتلخّص في : أنّ المسلم هو المنافسُ الوحيدُ ، والمصارغُ الكفءُ لنظامه ، وهو الشرارةُ التي تتحوّل ناراً بسرعة ، فالمصلحةُ والرأي أن يركّز « الزملاء » تفكيرهم على محاربة هذا العدو ، أو إلهائه وتنويمه ، وقد جاء في هذه القصيدة من الوصف الصادقِ الدقيقِ للمسلم ، ومن الملاحظات الصّائبة الدّقيقة عن كثير من المذاهب السياسية وزعمائها ما يفيدُ الاطلاعُ عليه ، وإليك محضر الجلسة :

« إنّ الشياطينَ وزملاءَ إبليس وأعوّانه اجتمعوا في مجلسٍ شوري ، وتباحثوا في سيرِ العالم ، وأخطار الغدِ ، وفتنه ، وما يتوجّسون من خيفةٍ على نظامهم الإبليسي ، ومهمّتهم الشيطانية ، فتذاكروا في فتنٍ وأخطارٍ قد أهدقت بهم ، وهدّدت نظامهم ، وجلّكوا خطبها ، وتناذروا شرّها ، فذكرَ أحدُهم « الجمهورية » وحسب لها حساباً كبيراً ، فقال الثاني : لا يهولنك أمرها ، فإنّها ليست إلا غطاءً للملوكية ، ونحن الذين كسونا الملوكية اللباس الجمهوري ؛ إذ

رأينا الإنسان بدأ يتبهُ ويفيُقُ ، ويشعُرُ بكرامته ، وخفنا ثورةً على نظامنا قد لا تُحمدُ عاقبتُها ألهيانه بلعبةِ الجمهورية ، وليس الشأن في الأمير والملك ، إنَّ الملوكية لا تنحصر في وجودِ شخصٍ تتركز فيه الملوكية ، وفردٍ يستبدُّ بالسلطان ، إنَّما الملوكية أن يعيشَ الإنسانُ عيالاً على غيره ، مستشرفاً إلى متاع غيره ، سواءً في ذلك الشعبُ والفرد ، أما رأيت نظام الغرب الجمهوري ، وجههُ مشرقٌ وصَّاحٌ ، وباطنُهُ أظلم من باطن جنكيزخان .

فقال الآخر : لا بأسَ إذا بقيت روحُ الملوكية ، ولكن ماذا يقول النائب المحترم في هذه الفتنة الذَّهماء التي أثارها هذا اليهوديُّ الذي يُدعى « كارل ماركس » ذلك الباقعة الذي ليس نبياً ، ولكنَّهُ يحملُ عند أتباعه كتاباً مقدساً ، هل عندك نبأٌ أنَّه أقام العالم وأقعده ، وأثار العبيد على السَّادة ، حتى تزعزعت مباني الإمارة والسِّيادة ؟ .

فقال الآخر مخاطباً رئيس المجلس : يا صاحبَ الفخامة ! إنَّ سحرة أوربة ، وإن كانوا يريدك المخلصين ، ولكنَّ لم أعد أثق بفراستهم ، هاهو السامرئي اليهوديُّ الذي هو نسخة من « مزدك » ( الزعيم الفارسي الاشتراكي ) ، قد كاد يأتي على العالم بقواعده ، فاستنسر البُغاث ، وأصبح الصعاليك يزاحمون الملوك بالمناكب ، ويدفعونهم بالزَّاح ( أعلامُ أرضٍ جُعِلتْ بطانحاً ) إنا قد استهتأ بخطب هذه الحركة الاشتراكية ، وهاهي قد استفحلت وتفاقم شرُّها ، وهاهي الأرضُ ترتجفُ بهولٍ فتنة الغد ، يا سيدي ! إنَّ العالمَ الذي كنتَ تحكمه سينقضُّ عليك ، وينقلبُ نظامُ العالم ظهرأ لبطن .

فتكلم رئيسُ المجلسِ « إبليس » وقال : إنِّي أملك زمام العالم ، وأتصرَّف به كيف أشاء ، وسيرى العالمُ عجباً إذا حرَّشت بين الأمم ، فتهاارشت الكلابُ ، وافترسَ بعضها بعضاً فعَلَّ الذئاب ، وإذا همَّستُ في آذان القادة السياسيين ، وأساقفة الكنائس الروحانيين فقدوا رُشدَهم ، وجُنَّ جنونُهم .

أما ما ذكرتم عن الاشتراكية ، فكونوا على ثقةٍ أنَّ الخرقَ الذي أحدثته

الفطرة بين الإنسان والإنسان لا يرفؤه المنطقُ المزدكي ( يعني الفلسفة الاشتراكية )  
لا يخوفني هؤلاء الاشتراكيون الطرداء ، والصعاليك الشفهاء .

إن كنتُ خائفاً ، فأني أخافُ أمةً لا تزال شرارة الحياة والطموح كامنة في  
رمادها ، ولا يزال فيها رجالٌ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، وتسيلُ دموعهم  
على خدودهم سَحَرًا ، لا يخفى على الخبير المتفرّس : أنَّ الإسلام هو فتنةُ الغد ،  
وداهيةُ المستقبل ، ليست الاشتراكية .

أنا لا أجهلُ أنَّ هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجوراً ، وأنها فتنتُ بالمال ،  
وشغفتُ بجمعه ، وادخاره ، كغيرها من الأمم ، أنا خيرٌ بأنَّ ليل الشرق داج  
مكفهرٌ ، وأنَّ علماء الإسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التي تشرق  
لها الظلماتُ ويضيء لها العالمُ ، ولكني أخافُ أنَّ قوارعَ هذا العصر وهزاتِهِ  
ستقتضُ مضجعها ، وتوقظ هذه الأمة ، وتوجهها إلى شريعة محمد ( ﷺ ) ، وإني  
أحذركم وأندركم من دين محمد ( ﷺ ) ، حامي الدِّمار ، حارسِ الدِّم  
والأعراض ، دينِ الكرامة والشرف ، دينِ الأمانة والعفاف ، دينِ المروءة ،  
والبطولة ، دينِ الكفاح والجهاد ، يلغي كلَّ نوعٍ من أنواع الرِّقِّ ، ويمحو كلَّ أثرٍ  
من آثار استعباد الإنسان ، لا يفرِّقُ بين مالكٍ ومملوك ، ولا يؤثرُ سلطاناً على  
صعلوك ، يزغّي المال من كلِّ دنسٍ ورجس ، ويجعله نقياً صافياً ، ويجعلُ  
أصحابَ الثروة والملاكِ مستخلفين في أموالهم ، أمناء الله ، وكلاء على  
الأموال ، وأيُّ ثورةٍ أعظمُ ، وأيُّ انقلابٍ أشدَّ خطراً مما أحدثه هذا الدِّينُ في عالم  
الفكر والعمل ، يومَ صرخَ : إنَّ الأرض لله لا للملوك والسلاطين .

فابدلوا جهدكم أن يظلَّ هذا الدِّينُ متوارياً عن أعين الناس ، وليهنكم أن  
المسلم بنفسه هو ضعيفُ الثقة بربه ، قليلُ الإيمان بدينه ، فخيرٌ لنا أن يظلَّ مشتغلاً  
بمسائل علم الكلام ، والإلهيات ، وتأويل كتاب الله ، والآيات ، اضربوا على  
أذان المسلم ، فإنه يستطيع أن يكسرَ طلاسَمَ العالم ، ويبطلَ سحرنا بأذانه  
وتكبيره ، واجتهدوا أن يطول ليله ، ويبطِئَ سَحْرَهُ ، اشغلوهُ يا إخوتي !



عن الجدِّ والعمل ، حتى يخسر الرّهان في العالم ، خيرٌ لنا أن يبقى المسلم عبداً لغيره ، ويهجّر هذا العالم ، ويعتزلّه ، ويتنازلَ عنه لغيره زهداً فيه واستخفافاً لخطره ، يا ويلتنا ! ويا شقوتنا ! لو انتبهت هذه الأُمَّة ، التي يَغزِمُ عليها دينها أن تراقب العالم وتعمسه ،<sup>(١)</sup> .

مؤامرة أنصار الباطل ضد المسلم :

وفعلًا نجح شياطينُ الإنس والجنِّ في مهمّتهم ، وكانت مؤامرةً مبيتةً ضدَّ الإسلام ، وخطةً منظمةً ضدَّ أجياله القادمة ، فأكبر ما اهتموا به هو إطفاءُ الجمرَةِ الإيمانيّة ، التي لا تزال كامنةً في الرّماد ، وتجريدُ المسلمين في بلاد العرب والعجم من الحميّة الدّينية ، والعاطفة الإسلاميّة ، التي تحمل أصحابها على التضحية والجهاد ، وتحملُ الشدائدِ والمكاره في سبيل الله ، والثورة على الباطل ، وقد أوصى بذلك إبليسُ أشياعه وجنده ، يقول محمد إقبال في قصيدة عنوانها ( وصية إبليس إلى تلاميذه السياسيين ) :

« إنَّ المجاهدَ الذي يصبرُ على الجوع ، ولا يحسبُ للموتِ حساباً ، أخرجوا روحَ محمد ( ﷺ ) من جسمه ، فيصبحُ قليلَ الصّبر ، جزوعاً من الفقر ، شديدَ الخوف من الموت ، وأشغولوا العرب بالأفكار الغربيّة ، وانتزعوا من أهل الحرم تراثهم الدّينيّ تمكّنون بذلك من إجلاء الإسلام من الحجازِ واليمن ، إنّ في الأفغان غيرةً دينية ، وعلاجُها أن يُقصى العالمُ الدّينيُّ من جبالها وسهولها » .

وكان من أقرب الطّرق للوصول إلى هذا الهدف هو التعليمُ الذي يجردُ الشباب المسلم من الروح الدّينيّة والعواطف الإسلاميّة والعقلية الإسلاميّة ، وينشئُ فيه طبيعةً النّفعيّة والأبيقورية ، وطبيعةً التهام الحياة ، وانتهاجِ

---

(١) كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٣٦م ، كما هو مكتوب تحت عنوان القصيدة في الأصل .

المسرات ، وتقديس المادّة ورجالها ، وعدم الاستقامة الخلقية والتماسك ، وضعف الثقة بالنفس ، والشكّ في الدّين ، لذلك يرى شاعرٌ هنديٌّ آخر اسمه : أكبر الإله آبادي : أنّ فرعون مصر أخطأ الرمية ، وجانبه التوفيق في تحقيق فكرة القضاء على بني إسرائيل ، فقد التجأ في قتلهم وإبادتهم إلى طرقٍ سافرة ألصقت به العار ، وأثارت عليه اللّعنات ، فكان يقتل أبناءهم ، ويستحيي نساءهم ليأمن ثورة بني إسرائيل ، وغائلتهم في المستقبل ، ولو أنّه رُزقَ شيئاً من الابتكار ، وبُعِدِ النظر ، ودقّة التفكير ، لاكتفى بتأسيس كليةٍ لبني إسرائيل ، ينشئُ الجيل الإسرائيليّ الجديد كما يشاء ، ويسبكُ العقول والطبائع سبكاً جديداً ؛ لا يدع مكاناً لنشأة شاب مثقف يشعر الشعور الدّينيّ ، ويحمل العاطفة الدينية ، والغيرة القومية ، ويهتم بشيءٍ آخر غير الوظائف ، والمناصب ، والمراتب ، والدرجات ، لو أنّ فرعون وُفقَ لهذا المشروع لتفادى هذه المتاعب ، وسوء الأحدوث ، ووصلَ إلى غايته في سهولة ويسرٍ ، وهدوء وسلام ، وزيادةً على ذلك اشتهرَ في الناس بلقب « حامي العلم » و« مربّي الجيل » وناشر الثقافة والتعليم في الشعب .

### نجاح أنصار الباطل في إضعاف الروح الديني :

ويرى محمد إقبال أن أنصارَ الباطل قد نجحوا نجاحاً كبيراً في فكرتهم ، وجهودهم ، فضعفَ الشعورُ الدّينيُّ في بلاد الإسلام ، وخمدتْ جذوةُ الإيمان ، وفقدتْ البطولةُ الإسلاميّةُ وروح الجهاد ، وفشتْ النّفعيةُ ، وجمّحتْ المادّيّةُ ، يقول الشاعر ؛ وقد ساح في كثيرٍ من البلاد الإسلاميّة والعربية : « لقد تجوّلت في بلاد العرب والعجم ، فرأيت خلفاء أبي لهب كثيرين تفيضُ بهم البلاد ، والمتشبعين بروح محمد ﷺ كالكبريت الأحمر ، وعنقاء المغرب » ، ويقول في قصيدةٍ قالها في فلسطين : « لا أرى في بلاد العرب تلك اللّوعة القلبية التي كان يمتاز بها العرب ، ولا في بلاد العجم ذلك السموّ الفكريّ الذي كان يمتازُ به العجم ، لا تزال دجلةُ والفراتُ متعطشين إلى بطلٍ من أبطال

الإسلام ، ولكنِّي لا أرى في قافلة الحجاز أحداً يقوم مقام الحسين » .

يشعرُ محمد إقبال بهذا التدهور الذي وقع في حياة المسلمين ، ويتألَّم لذلك أشدَّ الألم ، ويبكي دماً ، وشعره يفيض بهذه الأناتِ والدموع ، يقول في أبيات : « يا وارثَ التوحيد الإسلاميِّ لقد فَقَدَتِ الكلامَ الجذابَ السَّاحرَ ، والعملَ المسخرَ القاهرَ ، لقد كنتَ يوماً من الأيام إذا نظرت إلى أحدٍ ارتعد فرقاً منك ، وطار قلبه شعاعاً ، وقد أصبحت اليوم كسائر الناس ، لا تحملُ روحاً ولا تجذبُ نفوساً » . ويقول في موضعٍ آخر : « إنَّ السجدة التي كانت تهتزُّ لها روحُ الأرض ، لقد طال عهدُ المحرابِ بها ، واشتاق إليها المسجد ، كما تشتاق الأرضُ الجديدة الخاشعة إلى المطر ، لم أسمع في مصر ، ولا في فلسطين ذلك الأذان الذي ارتعشت له الجبال بالأمس » . ويقول في بيتٍ : « لقد فقد المسلمُ لوعةَ القلبِ ، وانطفأت نازُ الحياة فيه ، فأصبح ركامها من تراب » . ويقول : « لم أر في محيطك أيُّها المسلم لؤلؤة الحياة ، قد بحثتُ عنها موجةً موجةً ، وتفقدتها صدفةً صدفةً » .

ويرى محمد إقبال أنَّ مصدر هذا التدهور هو القلبُ الذي خوى من الإيمانِ وشعلة الحياة ، يقول : « لقد فقدَ المسلمون سَوْرَةَ الحبِّ الصادق ، ونزَفَ منهم دمُ الحياة ، أصبحوا هيكلاً من عظام ، لا روحَ فيه ولا دم ، الصفوفُ زائغة ، والقلوبُ مضطربةٌ ، والسَّجدةُ لا لذةَ فيها ، ذلكَ لأنَّ القلبَ خالٍ من الحنان » .

#### اليقظة الإسلامية :

هذا ، ولكنَّ محمَّد إقبال يعتقدُ أنَّ الصَّدَماتِ السياسية التي أصيب بها العالم الإسلاميُّ أفضتْ مضجع المسلمين وأيقظتهم ، ودبَّ فيه ديبُّ الحياة ، يقول في قصيدته البليغة « طلوع الإسلام » : « إذا رأيت النُّجومَ شاحبةً منكدرَةً تخفق ؛ فاعلم أنَّ الفجر قريب ، هاهي الشمس قد ذرَّ قرنُها من الأفق ، وولَّى الليلُ على أدبارهِ ، إنَّ عاصفة الغرب قد أعادت المسلم إلى الإسلام ، فإنَّما تتكوَّن اللآلئ »

في البحر المتلاطم الهائج ، ولقد دبَّ دبيب الحياة في الشرق ، وجرى الدَّمُ الفائز في عروقه الميتة ، وذلك سرّاً لا يفهمه ابنُ سينا ، والفارابي ، إنّ المسلم سيُمنحُ من الله الأبهة التركية ، والذكاء الهندي ، والنطق العربي ، ويقول في بيت :  
« إنّ إقبالاً ليس يائساً من تربته الحقيرة ، فإنّها إذا سقيت أتت بحاصلٍ كبير » .

المسلم هو باني العالم الجديد :

ويرى محمد إقبال أنّ الحضارة الغربية قد مثّلت دورها ، ونثرت كنانتها ، وقد شاخَتْ وهَرِمَتْ ، وأينعتْ كالفاكهة ، وحانَ قطافها ، وأنّ العالم القديم الذي حوَّله مقامرو الغرب إلى حانة الفساد والمقامرة منهاز قريباً ، والإنسانية تتمخضُ بعالم جديد ، ويعتقد محمد إقبال أنّ هذا العالم الجديد لا يُحسنُ تصميمه إلا من بنى للإنسانية البيت الحرام بالأمس ، وورث إبراهيم ومحمد ﷺ في قيادة العالم وإرشاده ، فيهبُ محمد إقبال بهذا المسلم النائم ، وينشده بالله أن يقومَ ويمسحَ النَّومَ من عينيه ، فقد ظهر الفسادُ في البرِّ والبحر ، وعاث الأوربيون في الأرض ، وأفسدوا فيها بعد إصلاحها ، وخربوا العالم وملؤوه ظلماً وظلمات ، وشروراً وويلات ، وليست هذه الأرض إلا بيتاً من بيوت الله جعلها مسجداً وطهوراً ، وأذن أن تُرفَعَ ويذكر فيها اسمه ، ولكن الأوربيين قد حوّلوها إلى خمارة ، وبيت فسقٍ ودعارة ، ومكانٍ نهب وغارة ، وقد آن لباني البيت الحرام وحامل رسالة الإسلام أن يقومَ ، ويُصلِحَ ما أفسده الأوربيون ، ويعيد هذا البيت إلى قواعد إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم ، ويبني العالم من جديد<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . للعلامة أبي الحسن علي الحسيني الندوي ص ٢٣٠ - ٢٣٣ نقلاً عن «روائع إقبال» للعلامة الندوي ، ص ١١٤ - ١٢٣ ، طبع دار ابن كثير ، دمشق .

وإليك الآن هذه القصيدة المترجمة في النثر :

## إبليس

- ١ - هذه الألاعيبُ القديمةُ للعناصر<sup>(١)</sup> ، وهذه الدُّنيا الوضيعة  
كانت سبباً في قتلِ أُمْنِياتِ ساكني العرشِ الأعظم<sup>(٢)</sup> .
- ٢ - الخالقُ الذي سمّاها دنيا الكافِ والنون<sup>(٣)</sup>  
مُتَهَيِّئاً اليومَ لتدميرِها .
- ٣ - عَرَضْتُ على الإفرنجِ حُلْمَ المُلوكيَّةِ  
وحطَّمتُ سِخَرَ المسجدِ والمعبدِ والكنيسة .
- ٤ - عَلَّمْتُ الجهلاءَ درسَ القَدَرِ  
وأعْطَيْتُ الغنيَّ جنونَ الرأسمالية .
- ٥ - من يستطيعُ أن يطفئَ نازَهَ المتأججة<sup>(٤)</sup> .  
إنَّ في هيجانها الحُرْقَةَ الإبليسيَّةَ .
- ٦ - أغصانه<sup>(٥)</sup> تنمو وترتفعُ من ماءِ سُقيانا  
فَمَنْ يستطيعُ أن يُنكسَ أغصانَ هذا النَّخلِ القديمِ !؟

---

(١) أي : الإنسان والعناصر المكونة له ، وهي : الماء ، والهواء ، والتراب ، والنار .

(٢) أي : الملائكة .

(٣) حيث قال تعالى ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

(٤) يقصد نار الإنسان الذي يحمل الملكية ، وجنون الرأسمالية .

(٥) أي : أعماله ، وما يقوم به من أفعال .

## المُستشارُ الأول

- ٧ - لا شكَّ أنَّ هذا النظام الإِبليسيَّ مُحكَّمٌ  
ففي ظلِّه أَلِفَ الشَّعْبِ طَنَعَ العُبودية .
- ٨ - الخضوعُ والمذلةُ على جبينِ هؤلاءِ المساكينِ  
فنظرتُهم تقتضي منهم صلاةً بلا قيام
- ٩ - لا تَنبُتُ لديهم الأمانةُ أساساً  
فهي إن تَظَهَرَ تَمَّتْ أو تَبَقَ كشيءٍ خاملٍ لا يَنْضَجُ أبداً .
- ١٠ - وهذه هي معجزةُ جهدينا المتواصلِ  
فاليومَ صارَ الصُّوفيُّ والملاً عبداً - بشكْلِ تامٍّ - للملكيَّةِ .
- ١١ - هذا الأفيونُ - الملكيَّةُ - كانَ مناسباً تماماً لِطَبَعِ الشَّرْقِ .  
مع أنَّ عِلْمَ الكلامِ ليس بأقلَّ من « الغناء الصُّوفي »<sup>(١)</sup> .
- ١٢ - لو بَقِيَتْ لهم مناسكُ الحجِّ والطَّوافِ ، فلا ضَيْرَ  
فإنَّ سيفَ المؤمنِ المسلولِ صارَ كالألأ .
- ١٣ - إنَّ هذا الأملَ الجديدَ بأنَّ الجهادَ حرامٌ على المسلمِ  
دليلٌ على اليأسِ ؛ فَمَنْ ذا الذي أصابه اليأسُ ؟

## المُستشارُ الثاني

- ١٤ - هلْ غوغاءُ الحُكْمِ الجُمهوريِّ خيرٌ أم شرٌّ ؟  
أنت لا تدري شيئاً عن الفتنِ الجديدةِ في العالمِ !

---

(١) هو « القوالي » وهو ما يتغنَّى به الصُّوفيَّةُ .

## المُستشار الأول

- ١٥ - نَعَمْ ، ولكن بصيرتي تخبرني :
- لو تبقى المَلَكِيَّةُ كالسُّتار فلا خطر !
- ١٦ - فحينَ صارَ الإنسانُ مدبِّراً ومفكِّراً إلى حدِّ ما  
ألبسنا المَلَكِيَّةَ لباسَ الجُمهوريَّةِ .
- ١٧ - شؤونُ الحُكْمِ شيءٌ آخر  
لا يَنحصِرُ في وجودِ الأميرِ والسُّلْطَنَةِ .
- ١٨ - وسواءٌ يكونُ مجلسُ الأُمَّةِ - أو يكونُ بلاطُ برويز  
فالحقيقةُ أنَّ السلطانَ هو من تكون عيونُهُ على زرعِ الغَيرِ .
- ١٩ - أما رأيتَ أنَّ النِّظامَ الجُمهوريَّ الغربيَّ  
له وجهٌ مضيءٌ لكنَّهُ من الدَّاخِلِ أحلكُ من جنكيز<sup>(١)</sup> .

## المُستشارُ الثالث

- ٢٠ - رُوِحُ السُّلْطَنَةِ باديةٌ فأبى اضطرابٍ بعدَ ذلك  
لكن ما هو الرُّدُّ على شقاوةِ ذلكَ اليهوديِّ<sup>(٢)</sup> .
- ٢١ - هو الكليْمُ بغيرِ تجلُّ ، هو المسيحُ بغيرِ صليب  
« ليس رسولاً ولكن في حِضْنِهِ كتابٌ » .
- ٢٢ - ماذا أقولُ ؟ كيف يكونُ نظْرُ هذا الكافرِ الذي يخترقُ السُّتائرَ ؟  
هذا النَّظْرُ صارَ كيومِ حسابٍ لأقوامِ الشَّرْقِ والغربِ .

(١) مثلاً لظلم جنكيز وقهره ، ثم التعبير عن مدى ظلم النظام الجمهوري الغربي نفسه .

(٢) هو كارل ماركس .

٢٣ - لا يوجد للطبيعة فسادٌ أعظمُ من هذا  
فقد حطّم العبيدُ أطنبةَ خيامِ السّادة .

### المُستشار الرابع

٢٤ - انظر ردّ هذه الشقاوة في إيواناتِ روما الكبرى<sup>(١)</sup>  
فقد أعدنا على آلِ قَيْصَرَ حُلْمَ قَيْصَرَ مرّةً ثانية<sup>(٢)</sup> .  
٢٥ - من الذي يتلوّى بأمواجِ بحر الروم  
ويرتفعُ أحياناً كالصّنوبرِ - وأحياناً يبكي كالزّباب ؟

### المُستشار الثالث

٢٦ - الرّجلُ الذي فضح سياسةَ الإفرنج ، هكذا  
لا اعترفُ أبداً بدرايته للأمر .

### المُستشار الخامس

( يُخاطبُ إبليس )

٢٧ - يا من أمورُ العالمِ قائمةٌ بأنفاسِكِ المحترقة !  
أنتَ الذي أظهرتَ كلَّ مختفٍ حينَ شئتَ .  
٢٨ - صارَ الماءُ والطّينُ من حرارتك عالماً مليئاً بالحرقَةِ والغِناءِ  
وصارَ أبْلَهُ الجنّةِ<sup>(٣)</sup> بتعليمك عالماً بالأمر .

(١) أي : الإمبراطورية الرّومانية .

(٢) هذا هو ردّ شقاوة اليهودي .

(٣) أبله الجنّة : هو « آدم » .



٢٩ - هو ليس أعرف منك بسرّ الفِطْرة

ذلك الذي اشتهر بين العباد البسطاء باسم الرّب .

٣٠ - أولئك الذين لم يكن لهم عملٌ سوى التقديس والتسبيح والطّواف<sup>(١)</sup>

هم بسبب غَيْرَتِكَ سيقون أذلاءً خجلين إلى الأبد .

٣١ - ومع أنّ سَحْرَةَ الإفرنج جميعاً من مرديك

لكن لا أعتدّ على فراستهم .

٣٢ - ذلك اليهودي<sup>(٢)</sup> المثير للفتن الذي هو ظهورٌ لروح مَزْدَك

والذي كاد كلُّ قباء أن يكون فتاناً بسبب جنونه .

٣٣ - غرابُ الصّحراء صارَ نداءً للشّاهين والعقاب

كيف يتغيّر بسرعة طبعُ الزّمان<sup>(٣)</sup> .

٣٤ - إنّ ما اعتقدناه قبضةً غبارٍ بسبب الجهل

انتشرَ فاغبرّت سعةُ الأفلاك .

٣٥ - إنّ هيبةَ فتنةِ الغدِ قد وصلت إلى درجةٍ أنّ

الجبالَ والسهولَ والهضابَ والأنهارَ كلّها ترتعد .

٣٦ - وهذا العالمُ الذي لم يكن يدارُ إلا بسيطرتك

أوشك - يا مولاي ! - أن يضطربَ فيصبحَ أعلاه سُفلاه .

(١) أي : الملائكة .

(٢) كارل ماركس .

(٣) الغراب لم يكن أبداً نداءً للعقاب ، والمعروف أنّه من أحسن الطيور ، وهو رمزُ الجاهل

الخبِيثِ النفس .

( إبليس إلى مشيريه )

٣٧ - عالمُ اللّونِ والرائحة<sup>(١)</sup> هذا<sup>(٢)</sup> في قبضتي المتصرّفة  
سواءً هذه الأرض ، أو هذه السّماء ، أو كلّها جميعاً .

٣٨ - وسوف يرى أهلُ الشّرقِ والغربِ بأعينهم  
حينَ أثيرُ دماءِ أقوامِ أوربة .

٣٩ - ما قيمةُ أئمةِ السّياسة ، وما قيمةُ شيوخِ الكنيسة  
إنّ صيحةً واحدةً منّي تُذهلهم وتذهبُ بعقولهم .

٤٠ - الجاهلُ الَّذي يعتبرُ هذا العملَ بيتاً من الرُّجاج  
عليه أن يحاولَ أن يحطّمَ كأسَ وأباريقَ هذه المدينة

٤١ - الجيوبُ التي مرّقتها يدُ الفِطْرة  
أصبحَ من المُحالِ رتّقها بإبرةٍ منطوقٍ مزدك<sup>(٣)</sup> .

٤٢ - كيفَ يستطيعُ هؤلاءُ المتشرّدونَ الاشتراكيّونَ  
أن يخيفونني ، المخبولون ، منفوشي الشعر ، مضطربي الأيام .

٤٣ - إنّ ما بين جنباتي من خطرٍ ليس إلّا من هذه الأئمة<sup>(٤)</sup>  
ففي رمادها حتى الآنَ شرارةُ الأمل .

٤٤ - فحتّى الآنَ يوجدُ في هذه الأئمة قليلٌ من النّاسِ  
يتوضّؤون بدموعِ الأسحارِ .

(١) أي : العالم المحسوس .

(٢) أصلها في النص « هو » .

(٣) جاء بعد زردشت ومانبي وأدعى النبوة ، وهو أوّل من نادى بالاشتراكية الشيوعية .

(٤) الأئمة الإسلاميّة .

٤٥ - إِنَّ مِنْ كُشْفَ لَهُ بَاطِنُ الْأَيَّامِ يَعْرِفُ  
أَنَّ فِتْنَةَ الْغَدِ لَيْسَتْ مَزْدَكِيَّةً لَكِنَّهَا الْإِسْلَامُ .

( ٢ )

٤٦ - أَعْرِفُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَا تَحْمِلُ الْقُرْآنَ  
وَأَنَّ الرَّأْسَمَالِيَّةَ هِيَ دِينُ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ .

٤٧ - أَعْرِفُ أَنَّهُ فِي ظِلْمَةِ دَجَائِلِ الشَّرْقِ  
فَإِنَّ أَكْبَامَ شَيْوِخِ الْحَرَمِ خَالِيَةٌ مِنَ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ (١) .

٤٨ - لَكِنَّ الْخَوْفَ مِنْ مَطَالِبِ الْعَصْرِ الْحَاضِرِ ،  
أَلَا يَظْهَرُ شَرْعُ النَّبِيِّ .

٤٩ - الْحَذَرُ ، الْحَذَرُ مِثَّةً مَرَّةً بِنِظَامِ الرَّسُولِ فَهُوَ  
حَافِظٌ لِكِرَامَةِ الْمَرْأَةِ ، وَمَخْتَبِرُ الْمَرْءِ ، وَيَخْلُقُ الرَّجَالَ .

٥٠ - هَذَا النِّظَامُ كِرْسَالَةُ الْمَوْتِ لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْعِبَادِيَّةِ  
لَيْسَ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ مَلِكِ الصِّينِ ، أَوْ فَارِسِ ، أَوْ مَسْكِينِ ذِي مَتْرَبَةٍ .

٥١ - إِنَّهُ يُطَهِّرُ الثَّرْوَةَ وَيَخْلِيهَا مِنْ كُلِّ قَذَارَةٍ  
وَيَجْعَلُ الْأَغْنِيَاءَ أَمْنَاءَ عَلَى الْمَالِ وَالثَّرْوَةِ (٢) .

٥٢ - لَا يُوْجَدُ فِي الْفِكْرِ وَالْعَمَلِ ثَوْرَةٌ أَعْظَمُ مِنْ :  
« هَذِهِ الْأَرْضُ لِلَّهِ وَلَيْسَتْ لِلْمَلُوكِ » (٣) .

٥٣ - يَا حَبِذَا لَوْ يَبْقَى هَذَا النِّظَامُ مَخْتَفِيًا عَنْ عَيْنِ الْعَالَمِ

---

(١) إشارة إلى قصة موسى ، انظر [ الشعراء : ٣٣ ] و [ التَّحَلُّلُ : ١٢ ] و [ القصص : ٣٢ ] .

(٢) إشارة إلى النظام الإسلامي .

(٣) له في جناح جبريل قطعة بعنوان « الأرض لله » ، في القسم الثاني .

فهذا مغتنمٌ أن يبقى المؤمنُ محروماً من اليقين .

٥٤ - وهذا أحسنُ أن يبقى في شِرْكِ الإلهيات

ويبقى منهمكاً في تأويلاتِ كتابِ الله .

( ٣ )

٥٥ - الإنسانُ الَّذِي حَطَّمَتْ تهليلاته سِخْرَ الجهاتِ السَّتِّ<sup>(١)</sup>

كيفَ لا يضيءُ الليلَ الحالكَ لهذا الورعِ التَّقِيِّ .

٥٦ - أماتَ ابنُ مريمَ ؟ أم هو حيٌّ باقٍ ؟ هذه صفاتُ ذاتِ الحقِّ

هل صفاتُ الذاتِ منفصلةٌ عنه أم عَيْنُ الدَّاتِ ؟

٥٧ - هل يقصِّدونَ بالقادمِ المسيحِ ابنِ مريمَ أم هو المجددُ

الَّذِي تكمنُ فيه صفاتُ ابنِ مريمَ ؟

٥٨ - هل ألفاظُ كتابِ الله قديمةٌ أم حادثةٌ ؟

وفي أيِّ عقيدةٍ منها تكمنُ نجاةُ الأُمَّةِ المَرْخُومَةِ ؟

٥٩ - ألا يكفي المسلمين في هذه الأيام

هذه الأصنامُ<sup>(٢)</sup> المنحوتةُ من الإلهيات ؟

٦٠ - اجعلوه غريباً عن عالمِ العَمَلِ لكي

تنهزمَ جميعُ قطعهِ الشُّطرنجِيَّةِ على بساطِ الحياة .

٦١ - فهذا خيرٌ أن يبقى المؤمنُ عبداً حتى يومِ القيامةِ

ويتركَ هذه الدُّنيا الفانيةَ للآخرين .

---

(١) يقصد : الشمالية ، والجنوبية ، والغربية ، والشرقية ، والفوقانية ، والتحتانية . ويمكن أن يكون المقصد منها أن تكون رمزاً للحواس الخمس ، والحس المشترك ،

وأسير الحواس عند الصُّوفية هو إبليس .

(٢) في الأصل ( اللات ومناة ) .

٦٢ - الشَّعْرُ والتَّصَوُّفُ اللذان يغطيانِ عن عُيونه مَنظَرَ الحياة  
أحسنُ بالنَّسبةِ له .

٦٣ - إنِّي أخافُ مع كلِّ نفسٍ من يقظةِ الأُمَّةِ  
فحقيقةُ دينها هي احتسابُ الكائناتِ .

٦٤ - أسكِّروهُ واجعلوه ينتشي بالذِّكر والتفكُّر في الأسحار  
وأنضِّجُوا فيه طَبَعَ الخانقاهاتِ .

\*\*\*

### نصيحة بلوش عجوز لابنه<sup>(١)</sup>

لِيُنْعَشِكَ هواءُ صحرائك

فليستِ دهلي ولا بخاري بأروع من هذه الصَّحراءِ .

إنَّكَ تستطيعُ أن تسيِّرَ كالسَّيلِ الجارِفِ حينما تريد

فهذا وادينا وهذه صحراؤنا

الاعتزازُ بالنفسِ له قَدْرٌ عظيمٌ في دنيا الكَدِّ والجُهدِ

فهو يلبسُ الدرّوشَ تاجَ دارا<sup>(٢)</sup> .

عليك أن تنالَ هذا الفَرْقَ الخفيَّ من كاملٍ ، إذ إنَّهم يقولون :

إنَّهم يستطيعونَ أن يجعلوا من الرُّجاجِ صخرًا جلموداً .

إنَّ تقديرَ الأممِ بيدِ الأفرادِ

(١) في الأصل : بلوج ، هو اسم لقبيلة تسكن منطقة بلوجستان في باكستان الغربية على

الحدود بين إيران والسند وهي بلادٌ صحراوية ، وهم الذين كتب عنهم أولُ فاتحِ  
إسلامي دخل في بلاد الهند ، فقال : إنَّهم أشدُّاءُ أقوياء .

(٢) ملكٌ من ملوك إيران .

ومع كلِّ فردٍ نجمٌ تقديرِ الأُمَّةِ .  
هذا الغوّاصُ الَّذي لا يتركُ صُخْبَةَ السَّاحِلِ  
ظُلٌّ محروماً من ثورةِ البَحْرِ .  
لو ضاعَ الدِّينُ من يدِ الأُمَّةِ الحرَّةِ  
فهذه التُّجَارَةُ خسارةٌ للمُسلمِ .  
إنَّ العالمَ يواجهُ معركةَ الرُّوحِ والجَسَدِ مرَّةً ثانيةً  
فإنَّ المدنيَّةِ قد هيَّجتُ وحوشها .  
اللهُ يعتمدُ على ثباتِ المسلمِ  
وإبليسُ يعتمدُ على آلاتِ أوربةِ .  
ما هو تقديرُ الأممِ ، لا أحدٌ يستطيعُ أن يقولَ  
لكن لو تجدُ فِراسةَ المؤمنِ ، فالإشارةُ كافيةُ .  
اطلبِ الإخلاصَ في العملِ من الأسلافِ القُدَماءِ  
أيُّ عَجَبٍ لو يعطفُ الملوِكُ على الشَّحاذينِ !

## الصُّورَةُ والمصوِّرُ

الصورةُ :

قالتِ الصُّورَةُ للمصوِّرِ :

سببُ ظهوري من إبداعِكَ وفنِّكَ<sup>(١)</sup> ،

كَمْ مِنَ الظُّلمِ أَنْ تَكُونَ

(١) يوضح أنَّ الإنسانَ الَّذي يتخذُ من صورته الحسية أساساً لإدراكِ حقيقة الخالق لا بدُّ من وقوعه في الخطأ لأنه سلك إلى ذلك العرفان سبيلاً خاطئاً ، وعلى الإنسان أن يتحرَّرَ من سيطرة الحواسِّ قبل انطلاقه إلى الحديث عن الخالق .

محجوباً عن نظري .

المصوّر :

صَغَبْتُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْبَصِيرِ أَنْ تَكُونَ لَهُ عَيْنٌ تَنْظُرُ

مَاذَا حَلَّ بِالشَّرِّ مِنْ رُؤْيَةِ الْعَالَمِ .

فَلتَقْتَنِعِي أَيُّهَا الْجَاهِلَةُ بِهَذَا الْخَبْرِ - إِنَّ النِّظْرَ لَيْسَ إِلَّا

الْغَمَّ وَالْأَلَمَ وَالْحَمِيَّةَ وَالنَّشَاطَ .

الصُّورَةُ :

الْخَبِيرُ عَجَزُ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ

النَّظْرُ حَيَاةُ الْقَلْبِ الْخَالِدَةُ

لَيْسَ جَدُّ وَجُهْدُ هَذَا الزَّمَانِ

لَا نَفَقًا بِحَدِيثِ ﴿ كُنْ قَرِينِي ﴾

المصوّر :

أَنْتِ مِنْ رَوَائِعِ فَنِّي

وَلذَلِكَ فَلَا تَبْأَسِي مِنْ مُبْدِعِكِ .

لَيْسَ هُنَاكَ شَرْطٌ لِرُؤْيِي

سِوَى أَلَا تَخْتَفِي أَنْتِ عَنِ نَظْرِكِ .

## عَالَمُ الْبَرِزْخِ

الْمَيِّتُ ( يَخَاطَبُ قَبْرَهُ ) :

مَا هَذَا ؟ وَأَيُّ يَوْمٍ تَكُونُ الْقِيَامَةُ غَدَهُ ؟

يا بيتي القديم : ما القيامة ؟

القبر :

ألا تعرفُ بعدُ ، يا ميّتَ المئة عام ؟  
بأنّ القيامة هي المطلبُ الخفيُّ لكلِّ موت .

الميّت :

أنا لستُ أسيراً في شَرِكِ ذلكِ المَوْتِ  
الذي يخفي بداخله القيامة .

فمع أنّي ميّتٌ منذ مئة سنة  
إلا أنّي لستُ متضايقاً من هذا البيتِ الأرضيِّ المُظلم .  
آه لو تلبّسُ الرُّوحُ هذا الجسمَ الهزيلَ مرّةً أخرى  
فإنّني لستُ راغباً في شراءِ هذه القيامة .

نداء من الغيب :

ليسَ الموتُ من نصيبِ الثُّعبانِ والعقربِ أو الغزالِ والوَحشِ  
فإنّ الموتَ الأبديَّ ليسَ إلّا للأممِ المستعبدة .

صوتُ إسرافيل<sup>(١)</sup> لا يستطيعُ أن يبعثَ أولئك  
الذينَ كانتْ أجسادُهم خاليةً مِنَ الرُّوحِ في دنياهم .

ولو أنّ مُستَقَرَّ كلِّ ذي روحٍ هو حِضْنُ اللّحدِ  
إلا أنّ القيامَ بعدَ الموتِ ليسَ إلا شأنُ الأحرار .

القبرُ ( يخاطبُ ميته ) :

آه أيّها الظالمُ ، أكنتَ عبداً محكوماً في الدُّنيا ؟

(١) إسرافيل هو الملك الذي ينفخ في الصور يوم القيامة ، فيبعث الموتى .



لم ترابي ملتهب هكذا ؟

ازدادت ظلماتي بجسدك ظلمة

وتمزقت ستارة ناموس الأرض بجسدك .

الحذر من جسد الميت المحكوم ، الحذر مئة مرة

يا إسرافيل ! يا رب الكائنات ! النجدة أيتها الروح الطاهرة .

نداء من الغيب :

مع أنّ النظام الكوني مضطرب بسبب القيامة

إلا أنّ هذا الاضطراب يكشف أسرار الوجود .

بالرّلازل تطير الجبال كالسحاب

وتظهر في الوديان عيون جديدة .

لا بدّ لكلّ تعمير جديد من تخريب كامل

ففي هذا حلّ لكلّ مشكلات الحياة .

الأرض :

آه من هذا الموت الدائم ، آه من معركة الحياة

هل ينتهي صراع الكائنات إلى الأبد ؟

لا يجد العقل النجاة من أصنامِه

العارف ، العالم ، العامّة ، جميعهم صاروا عبيداً للآت ومناة .

كم صار خاضعاً ذليلاً هذا الأدمي المتمثل لصفات الله

فبقاء هذا العالم ثقيل على هذا القلب والنظر .

فلماذا لا يكون ليل هذا الإنسان العظيم سحراً ؟

\*\*\*

## المَلِكُ المعزول<sup>(١)</sup>

فلنبارك هذا الملك الطَّيِّب  
الذي فَصَّحَتْ تضحيتُهُ أسرارَ المُلوكية .  
المَلِكُ في المعبد البريطانيّ ليس إلا صنماً من التُّراب  
يمكنُ أن يحطِّمه العبادُ حينما يشاؤون .  
هذا المِسْكُ ممزوجٌ بالأفيون لنا نحنُ العبيد  
أيُّها السَّاحرُ الإنجليزيُّ انحنُ لنا سيِّداً آخر !

\*\*\*

## مُنَاجاةُ جهنميِّ

العبادُ في هذا الدَّير القديم ذوو احتياجٍ  
يذكرون الله حين يتألَّمون من الأصنام .  
ولا تفيدهم الصَّلَاةُ ، ولا تفيدهم عبادةُ الأصنام  
فحظُّ هؤلاء المساكينِ ليس إلا التُّواخُّ والعويلُ .  
مع أن العماراتِ تطاولُ القَلَكُ رفعةً  
لكنَّ الحقيقة أن كلَّ مدينةٍ كخرابيةٍ عامرة .  
انظُرْ إلى تقلُّباتِ خطِّ الفاسِ  
فبرويز مزتوي ، وفرهاد ظمَّانُ كبده<sup>(٢)</sup> .  
هذا العِلْمُ ، هذه الحِكْمَةُ ، هذه السِّيَاسةُ ، هذه التَّجَارَةُ

(١) أنشد هذه الأبيات بعد عزل ملك الهند ، وأعتقد أنه يشير إلى : Edward Assamen .

(٢) انظر خطِّ الفاسِ كيف كان حين استعملها برويز ، وكيف كان حين استعملها فرهاد .

جميعها أشياء من إبداع المَلَكِيَّة .  
شكراً لك يا إلهي ، فإنَّ هذه القطعة من الأرضِ الملتهية<sup>(١)</sup>  
حرّة من عبوديّة التّاجر الأوربيّ .

\*\*\*

### مسعود المرحوم<sup>(٢)</sup>

هذه الشَّمْسُ ، هذا القَمَرُ ، هذه النُّجُومُ ، وهذه السَّمَاءُ الزُّرْقَاءُ  
من يدري أهذا عالمُ الوجودِ أم الفناء ؟  
التّفكيرُ في الرّحلةِ والهدفِ ما هو إلا خُرَافَةٌ  
فالحياةُ كلّها رحيلٌ دون هدف .  
وأسفاهُ لم يَبْقَ في يدِ الرِّمَانِ تَذْكَارُ  
كمالاتِ أحمدٍ ومحمود<sup>(٣)</sup> .

تأسَّفَ العِلْمُ والفرْنُ لموته المفاجيء  
فقد كان متاعاً غالياً للقافلة .

تُبْكيني جفوةُ أهلِ الدُّنيا  
فإنهم يعتقدون أن بكاء طيورِ السَّحْرِ نغماتُ .  
لا تَقُلْ : إنَّ علاجَ حزنِ الصّديقِ يمكنُ بالصَّبْرِ  
لا تَقُلْ : إنَّ حلَّ لُغزِ الموتِ كامنٌ في الصَّبْرِ .

(١) جهنم .

(٢) هو صديق محمد إقبال ، وحفيد السر سيد أحمد خان ، وكان زميلاً لإقبال في  
الدراسة ، وأشرت إلى هذه القصيدة في الفصول السابقة .

(٣) أحمد هو سرسيد أحمد خان ، ومحمود هو ابنه ، ووالد مسعود . وكان مسعود هو  
ذكرى كمالاتهم .

القلب الذي يَعشَقُ وَيَصْبِرُ ليس سوى حجر  
 فبين العَشَقِ والصَّبْرِ ألفُ فرسخٍ (١) .

لا تسلني عن العُمُرِ الذي يمرُّ بسرعة  
 فلا أحد يدري ما هذا التغيُّرُ والجازبية .

كلُّ من خُلِقَ من التُّرابِ سيوارى فيه  
 أهذه هي الغيبةُ الصُّغرى أم هذا هو الفناء ؟ ماذا ؟

وهِبْ لغبّار الطَّرِيقِ ذوقَ الجمال  
 والعقلُ لم يستطع أن يكشفَ المعنى الخفيَّ .

أليسَ القلبُ والنظَرُ من إعجازِ هذا الماءِ والطينِ (٢) ؟ وإن لم يَكُنْ  
 فما نهايةُ حضرةِ الإنسانِ إذا ؟

إنَّ « لا إله إلا هو » هي روحُ الدُّنيا الخالدة  
 فما معنى المسيحِ والمسمارِ والصليبِ ؟

مِمَّنْ نطلبُ القِصاصَ لدمِ الآمالِ  
 مِنِ المُذنبِ ؟ وما هي الفِديةُ ؟

لا تَحزَنُ فنحنُ مكبَّلونَ بقيدِ الدُّنيا  
 فالقلبُ الذي نملكُ يحطِّمُ الطلاسمَ (٣) .

لو أن معرفةَ الذاتِ حيةٌ ، فالموتُ مقامٌ في الحياة ،  
 لأنَّ العَشَقَ يختبرُ ثباتها بالموتِ .

(١) هذا البيت من شعر سعدي وقد ضمنه إقبال قصيدته .

(٢) الإنسان نفسه .

(٣) هذا البيت بالفارسية :

غمين مشوکه به بند جهان گرتاریم      طلسمها بشکند آن ولی که ماداریم

لو تَكُنِ الذَّاتُ حَيَّةً ، فَبَخْرُوكَ لَا شَاطِئَةَ لَهُ  
وَمَوْجُ النَّيْلِ وَالْفِرَاتِ يَتَوَقُّ لِأَن يَنْدَمِجَ مَعَكَ .  
لو تَكُنِ الذَّاتُ مَيِّتَةً فَهِيَ كَأَعْوَادِ الْقَشِّ أَمَامَ النَّسِيمِ ؛  
لو تَكُنِ الذَّاتُ حَيَّةً فَهِيَ سُلْطَانُ كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ .  
لو أَنَّ الْبَصِيرَةَ حُرِّمَتْ مِنْ تَجَلُّ وَاحِدٍ  
فَإِنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى مِثَّتِي تَجَلُّ لَتَعْوِضَ مَا فَاتَ .  
اللَّاتُ وَمَنَاةٌ مِّنْتَشِرَةٌ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى الثَّرِيَّا  
بَيْنَمَا مَقَامُ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَرَاءَ الْفَلَكَ .  
مَقَامُهُ الْأَبَدِيُّ هُوَ حَرَمُ الذَّاتِ  
وَلَيْسَ مَكَانَهُ الْقَبْرِ الْمَظْلَمُ وَلَا مَكَانَ تَجَلِّي الصِّفَاتِ .  
أُولَئِكَ الَّذِينَ مَلَكَوا مَعْرِفَةَ الذَّاتِ وَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا .  
قَدْ حَطَّمُوا طِلْسَمَ الشَّمْسِ وَالْفَلَكَ وَالنُّجُومِ (١) .

\*\*\*

### صوت من الغيب

يأتي صوت من العرش الأعلى ذات صباح ، يهتفُ :  
« كَيْفَ ضَاعَ جَوْهَرُ إِدْرَاكِكَ ، ؟  
كَيْفَ أَصْبَحَ مِشْرَطُ التَّحْقِيقِ لَدَيْكَ كَالْأُ ؟  
لِمَاذَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمزُقَ أَكْبَادَ النُّجُومِ !  
لَقَدْ كُنْتَ جَدِيرًا بِخِلَافَةِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ

(١) أصله فارسي .

هل تكونُ الشَّعلةُ أسيرةً للأعشابِ الجافَّةِ (١) ؟

لماذا لا تخضعُ لك الشمسُ والقمرُ ؟

لماذا لا ترتجفُ الأفلاكُ من أنظارك ؟

مع أنَّ الدَّمَّ يجري في عروقِكَ

لكنَّكَ لا تملكُ حميَّةَ الأفكارِ ، ولا الفِكرَ الجريءَ .

العينُ التي لا يوجدُ في ثناياها النَّظَرُ الطَّاهرُ

تكونُ مضيئةً لكنَّها لا ترى العالمَ .

لم يبقَ في أحضانِكَ صفاءُ مرآةٍ ضميرِكَ

يا قتيلَ السُّلطنةِ والملاّ والمشيخةِ !

\*\*\*

---

(١) حرفياً : التَّبِينُ والنُّشارةُ .



القسم الخامس

رَبَائِعَات





( ١ )

١ - لا أدري ما هي ثَمرةُ غُضنِ أُملي  
فأني درايةٌ لي بتقديرِكَ  
بُزْعُمُ الزَّهْرَةِ يحتاجُ اليومَ إلى التفتح  
فما فائدة انتظار نسيمِ صُبْحِ الغدِ !

\*\*\*

٢ - حَزْزُهُ من عَمَلِ الدُّنْيَا  
حتَّى يتحرَّرَ من امتحانِ كُلِّ نفسٍ  
صَارَ تفكيرُ الشَّيْطَانِ بسببِ الكِبَرِ تفكيراً قديماً  
فمن أين يأتي بإثمٍ جديدٍ؟<sup>(١)</sup>

\*\*\*

٣ - غَيَّرَ وبدَّلَ عالمَ الماءِ والسُّخْرِ  
أقْلِبْ هذه الدُّنْيَا الجافَةَ والطرِيَّةَ  
ولتبقِ الوهْيُتَكَ طاهرةً من الوصمةِ  
واخذِزْ من السُّجودِ الخالي من أيِّ ذوقِ .

\*\*\*

( ٢ )

٤ - أنا في حالةِ الفَقْرِ محسودُ الغِنَى  
لأنَّ فقري ذو غيرةِ

---

(١) المفروض أن تكون آثامه قديمةً قدَّمَ تفكيره ، وهنا استفهامٌ استنكاري .

الحدَرَ من ذلكَ الفقيرِ والتصوِّفِ  
الذي علَّمَ المسلمينَ الذلَّ والخُضوعَ .

\*\*\*

٥ - الغوثُ الغوثُ من ضيقِ ذيلِ العقلِ !!  
الغوثُ الغوثُ من زيادةِ التَّجَلِّي !!  
إنَّ النَّظَرَ يُفْضَلُ النَّظَرَ في غيرِ الله  
الغوثُ الغوثُ من كُفْرِ النَّظَرِ .

\*\*\*

٦ - قال إقبالٌ لشيخِ الحَرَمِ :  
منِ الذي نامَ تحتَ محرابِ المَسْجِدِ ؟  
أجابَتْ جدرانُ المَسْجِدِ :  
هو الذي تاه في بيتِ أوْثانِ الإفرنجِ .

\*\*\*

٧ - صارتِ الهيجاناتُ القديمةُ رغبةً باردةً سقيمةً  
دماءُ المُسلمِ أصبحتْ باردةً  
فلتباركْ للأصنامِ كفري  
إذ إنَّ نارَ « الله هو » أصبحتِ اليومَ باردةً .

\*\*\*

٨ - حديثُ العبيدِ المؤمنِ يتعلَّقُ بالقلبِ  
الكَبِيدِ مليءٌ بالدمِّ ، النَّفْسُ مضيئةٌ ، النَّظْرَةُ حادَّةٌ  
كيفَ تتيسرُ رؤيةُ المؤمنِ الذي يضيءُ المخفَلُ  
فهو لا يختلطُ بنا إلا قليلاً .

\*\*\*

٩ - صفاء ضمير الصُّبْحِ المنير  
يعرفُ التمييزَ بين الشُّوكِ والرَّهْرِ  
حمايةً للرَّهْرِ غيرُ ممكنة  
لو أنَّ في الشُّوكَةِ طَبِيعَ الحريرِ .

\*\*\*

١٠ - لا تذكِرِ الفراقَ واللُّقاءَ  
لأنَّ أصلَ الحياةِ نفسه هو الظُّهور  
إنَّ انفصالَ اللؤلؤِ من قَلْبِ البَحْرِ  
ليسَ فيه أيُّ ضررٍ للبَحْرِ ولا لِلؤلؤِ .

\*\*\*

١١ - لماذا لا يجتأحُ الطُّوفانُ بَحْرَكَ ؟  
لماذا لا تكونُ ذاتكُ مسلمةً ؟  
عَبثُ تلكَ الشُّكوى من تقديرِ الله  
لماذا لا تكونُ أنتَ قَدَرَ الله ؟

\*\*\*

١٢ - لو يَنْظُرُ العقلُ بعينِ القلبِ  
يرى العالمَ مُضاءً بنورِ « لا إله »  
ولو يَنْظُرُ إلى نورِ الشَّمْسِ والقَمَرِ  
لا يَحْسِبُهُ إلا دورانَ الليلِ والنَّهارِ<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

١٣ - أحياناً ترتفعُ من البحرِ كالمَوْجِ

---

(١) أي : العالم .

وأحياناً تنزلُ إلى صَدْرِ البَحْرِ  
وأحياناً تمرُّ على ساحلِ البَحْرِ  
فأظهز لنا سرَّ مقامِ ذَاتِكَ واضحاً .

\*\*\*

## مُذَاكِرَاتٌ مُلًّا زَادَهُ ضَيْغَمُ اللُّوَلَابِيِّ<sup>(١)</sup> الكَشْمِيرِيِّ

(١)

ماءُ عيونِكَ كالزُّنْبُقِ الرَّجْرَجِ  
طَيورُ السَّحْرِ قَلَقَةٌ فِي أجْوَانِكَ  
يا واديَ اللُّوَلَابِ .

لو لم يكنْ خطيبُ المنبرِ والمحرابِ ذا همّةٍ ونشاطٍ  
فالدِّينُ للعبيدِ المؤمنِ إمَّا الموتُ ، وإمَّا الحُلْمُ  
يا واديَ اللُّوَلَابِ .

النعْمَاتُ المُخْرِقَةُ للقلبِ إنَّما تنبُعُ من الآلةِ الموسيقيَّةِ  
فلو كانت أسلاكُها رِخْوَةً فلا فائدةٌ تُرْجى من مِضْرَابِهَا  
يا واديَ اللُّوَلَابِ .

بصيرةُ المؤمنِ خاليةٌ من نُورِ الفِرَاسَةِ<sup>(٢)</sup>  
والخمرُ الصَّافِيَةُ في حانةِ الصُّوفِيَةِ خاليةٌ من الحُرْزَةِ  
يا واديَ اللُّوَلَابِ .

---

(١) ضيغم هو الأسد ، لولاب : اسم وادي في كشمير . والواقع أنَّ إقبال كتب هذا الشعر إلى أهل كشمير .

(٢) تلميح إلى الحديث : « اتقوا فِرَاسَةَ المؤمنِ فَإِنَّهُ يرى بنورِ الله » .

إنَّ الفقير<sup>(١)</sup> الذي تستيقظُ القلوبُ من آهته السَّحرية  
لا يوجدُ في هذه الأُمَّة منذُ زمانٍ  
يا وادي اللُّولاب .

( ٢ )

الموتُ الصَّعبُ اسمه العبوديَّةُ  
ألا ليتَ العبدَ يفهمُ مَكْرَ وخِدَاعِ السَّادةِ .  
انظرُ تنوعَ الأحكامِ في شَرعِ المُلكيَّةِ  
غوغاءُ الصُّورِ حلالٌ ، لذَّةُ الحَشْرِ حرامٌ .  
يا مَنْ ذُبِلَتْ<sup>(٢)</sup> رُوْحُكُ من العبوديَّةِ  
أتبحثُ عن مقامِ الذَّاتيةِ في الصِّدرِ الخالي من الحُرقةِ ؟

( ٣ )

كشميرُ التي سمَّاها أهلُ النَّظرِ بالأمسِ إيرانَ الصَّغيرِ  
هو اليومُ بلدٌ خاضعٌ وفقيرٌ .  
حينَ يخافُ رجلُ الحقِّ السُّلطانَ والأميرَ  
تخرجُ آهاتٌ مُخرقةٌ من صَدْرِ الأفلاكِ .  
منزلُ الحزينِ لفلاحِ عجوزٍ على سفحِ الجبلِ  
يحكي لنا حكايةَ قَسوةِ الأيامِ :  
وأسفاهُ على هؤلاءِ القومِ النَّجباءِ ذي الأيدي النَّشيطةِ والدِّماغِ الخلاقِ<sup>(٣)</sup> .

(١) استخدم كلمة « درويش » بمعناها الصوفي .

(٢) استخدم اللفظ العربي « مضمحل » مع الروح . وقد استبدلتها في الترجمة بكلمة « ذبلت » .

(٣) في الأصل : ( تردماغ ) أي : الدماغ الندي .

أيها الإله يا من تمهل الناس<sup>(١)</sup> . أين يوم الجزاء ؟

( ٤ )

حين تنورُ الشعوبُ المغلوبةُ على أمرها  
يضطربُ هذا العالمُ ذو الأطرافِ الأربعةِ ، واللونِ والرَّائحةِ<sup>(٢)</sup> .  
ضميرُ الإنسانِ يتطهَّرُ من الظنِّ والتَّخمينِ  
ويجعلُ مصباحَ الأملِ يضيءُ كلَّ طريقٍ .  
ذلكَ الفَتقُ القديمُ الَّذي لم يستطعَ العقلُ رتقَهُ  
يُخيطُهُ العِشقُ دونَ حاجةٍ إلى إبرةٍ أو خيطِ الرِّقَاءِ .  
صنمُ الحُكْمِ له قلبٌ حجريٌّ ووجهٌ من زجاجٍ  
وهو يصبحُ في النهايةِ قطعاً مبعثرةً من الدَّقِّ المُستمرِّ .

( ٥ )

عظمةُ الشَّاهينِ وشوكتُهُ توجدُ في طيرانِ الدَّرَاجِ  
والصَّيَادُ في حيرةِ شاهينٍ هذا أم درَّاجٍ .  
تلاطمتْ أفكارُ كلِّ قومٍ  
فاليومَ مُظهرٌ لغدِ القيامةِ في الشَّرْقِ .  
الميتُ الَّذي كانَ في حاجةٍ إلى صُورِ إسرَافيلِ  
اضطرَّ للقيامِ ثانيةً استجابةً لمطالبِ الفطرةِ !

---

(١) أصله « خدا ديركي » أي الرب الذي يقبض ويحاسب الإنسان في النهاية وبعد تمهل شديد .

(٢) في الأصل : جهان جار سو ، عالم رنگ و بو ، وهو تعبير أدبي يعبر عن العالم المحسوس الذي نعيش فيه .

( ٦ )

حتى السُّكَّيرون<sup>(١)</sup> أيضاً يعرفونَ كِمالاتِ الصُّوفية  
مع أن كراماتهم غيرُ معروفة ، وغيرُ مشهورة .  
حين يكونُ السَّالِكُ حُرّاً فهذه هي مقاماته :  
عزّةُ النَّفس وثباتها والصَّوْتُ الحسنُ القائلُ « أنا الحق »<sup>(٢)</sup> .  
حينَ يكونُ السَّالِكُ محكوماً فالعبوديةُ هي كلُّ شيءٍ له  
فهو نفسه ميّتٌ ، وهو المریدُ ، وهو الموتُ المفاجيءُ نفسه .

( ٧ )

أخْرُجْ من الخانقاهات ، وقمُ بتقليدِ شبير  
فليسَ فقرُ الخانقاهاتِ إلَّا الهَمُّ .  
من دينك وأدبك تَهَبُ رائحةُ الرُّهبانِ  
إنَّ هذا عالمُ الشيخوخةِ للأممِ التي حان موتها .  
في عيونِ شياطينِ المَلَكِيَّةِ يوجدُ السَّحْرُ  
الذي يخلقُ في قلبِ الصَّيَادِ طَنَعِ المَصِيدِ  
كيفَ مَضَوْا غيرَ مكترئينَ بأهاتي السَّحْرِيَّةِ  
ومن الذي ذهبَ بالنَّشوةِ والنَّشاطِ مِنَ العيونِ الكشميريَّةِ السَّوداءِ<sup>(٣)</sup> ؟

( ٨ )

إذا اعتقدتَ أنَّ هذا القلبَ قطرةٌ من دمٍ فهو كذلك  
فقلبُ الإنسانِ إنَّما هو - فقط - جذبةٌ عالية .

- 
- (١) أصله : « رند » وهو من لا يهتم بالأحكام الدينية الظاهرة ولا يتمسك بها .  
(٢) إشارة إلى قول الحلاج « أنا الحق وما في الجبة غيرُ الله » .  
(٣) « تمتاز العيون الكشميرية بسوادها وكثيراً ما تغنى بها الشعراء » .



لا يُعجبه دوران القمر والنجوم  
فهو الذي يخططُ سَحْرَهُ ومساءه .  
لا يمكنُ أن يَبْرُدَ ذلك التُّرابُ الأصيلُ  
الذي تَكْمُنُ في ضميرِ ترابه نارُ چنار<sup>(١)</sup> .

( ٩ )

حين انفتحت في الرّوضة مكتبة الورود  
فإنّ العِلْمَ الكتابيَّ لم ينفع المُلأ .  
كان هواء الرّبيع محطماً للجديّة  
فبدأ شيخ « أندراب »<sup>(٢)</sup> يُنشدُ الغزل .  
قالت زهرة شقائق النُّعمانِ ذاتُ القميصِ الأحمر  
إنني مظهره لأسرار الرُّوح<sup>(٣)</sup> .  
من الذي يعتقدُ أنّ النّومَ في القبر هو الموتُ  
إنَّ سرَّ تعميرِ كلِّ شيءٍ يَكْمُنُ في تخريبه<sup>(٤)</sup> ؟  
ليستِ الحياةُ سلسلة الأيّام والليالي  
ليستِ الحياةُ نشوةٌ وغفوة .  
الحياةُ والاحتراقُ في نارك  
فما أسعدَ اللحظاتِ حينما تستعيدُ هذه الحِكْمَةَ :

- 
- (١) چنار : شجرة ذات أوراق كثيرة ، تشبه كف اليد ، وتكون خضراء في الصيف ، بينما تحمر جداً في الخريف وتصنع في لون النار الملتهبة خاصة في الأصل .  
(٢) أندراب : اسم مكان بكشمير .  
(٣) لأنها مفتحة في الوسط .  
(٤) أشار إلى هذه الفكرة جلال الدين الرومي بأبيات متوالية في أنشودة الناي - انظر المشنوي .

« لو تأخذُ شرارةً من نار القلب  
فإنَّك تستطيعُ أن تجعلها شمساً تحت الفلِّكِ » .

( ١٠ )

شِزْيَانُ الحَرِّ صُلْبٌ كَشِزْيَانِ الحَجَرِ  
شِزْيَانُ المَحْكُومِ رَقِيقٌ كَشِزْيَانِ الكَرَمِ .  
قَلْبُ المَحْكُومِ مَيْتٌ سَقِيمٌ يَأْسُ  
قَلْبُ الحُرِّ حَيٌّ مَفْعَمٌ بِالحَرَارَةِ يَبْعَثُ الطَّرْبَ .  
ثِرْوَةُ الحُرِّ قَلْبٌ مَضِيءٌ وَنَفْسٌ حَامِيَةٌ  
ثِرْوَةُ المَحْكُومِ لَيْسَتْ إِلَّا عَيْنًا دَامِعَةٌ .  
المَحْكُومُ غَرِيبٌ عَنِ الإِخْلَاصِ وَالمَرُوءَةِ  
مَعَ أَنَّهُ بَارِعٌ فِي البَرَاهِينِ المُنطِقِيَّةِ .  
لَيْسَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ المَحْكُومُ نَدَاءً لِلحُرِّ  
فَهُوَ عِبْدٌ لِلأَفْلَاقِ وَالحُرُّ سَيِّدُهَا .

( ١١ )

جَمِيعُ العَارِفِينَ وَالعَامَّةِ غَرِيبَاءُ عَنِ الذَّاتِ  
فَلْيَقُلْ أَحَدٌ إِنْ اسْتَطَاعَ : أَهَذَا مَسْجِدٌ أَمْ خَمَّارَةٌ ؟  
لَقَدْ أَخْفَى هَذَا السِّرَّ عَنَّا « مِيرِ وَاعِظُ » <sup>(١)</sup>  
إِنَّ الفَرَاشَةَ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ مِصْبَاحِ الحَرَمِ هِيَ الحَرَمُ .  
طَلَّسُمُ الجَهْلِ هُوَ الكُفْرُ وَالتَّدْبِيرُ

(١) شخصية سياسية في كشمير واسمه محمد يوسف مير واعظ كشميري ، مات في باكستان  
حوالي عام ١٩٦٦ م .

وحديثُ الشَّيْخِ والبرهمن ليس إلا سِحْرٌ وخرافة .  
 فليكنْ ذلكَ العبدُ الدَّرْويشُ نصيبَ هذه الأرض  
 ففي فقرِه تكْمُنُ طرقُ الكليم .  
 إلى متى تبقى لآلِء بحيرةٍ وُلَّر<sup>(١)</sup> الفريدةُ من نوعها .  
 مختفيةً عن أعينِ الزَّمان .

( ١٢ )

العالمُ مضطربٌ من قوَّة عملهم  
 فالأممُ الحيَّة خاضت معاركَ كبيرةً .  
 إنَّ تقويمَ المُنجَم للغدِ باطلٌ  
 فالنُّجومُ القديمةُ سقطت من السَّماء .  
 ضميرُ العالمِ ملتهبٌ بدرجةٍ عظيمةٍ  
 حتى أنَّ أمواجَ البحرِ كَسَرَتِ النُّجوم .  
 الأرضُ لم تُعُدْ خاليةً من الزَّلَازل  
 فالدَّلَائلُ الدَّقِيقَةُ لِلْفِطْرَةِ ظاهرةٌ .  
 إنَّ الخضرَ - قابِغٌ - يفكِّرُ على شاطئِ بحيرةٍ وُلَّر<sup>(٢)</sup>  
 إلى متى تفورُ عيونُ الهملايا !!

( ١٣ )

هذا هو دليلُ الشُّعوبِ الخالدةِ على مرِّ الزمان :  
 أنَّ تقديراتهم يتغيَّرُ صباحَ مساء .

(١) بحيرة ولر : بحيرة رائعة في كشمير يذهب إليها الأثرياء للاستمتاع بالتجديف ، وكانوا من المسلمين .

(٢) وردت قصة الخضر في سورة الكهف الآيات ( ٦٥ - ٨٢ ) .

حياتهم هي كمالُ الصّدقِ والمروءةِ  
حتى الفطرةُ أيضاً تعفو عن تقصيرِهم .  
أعمالُهم كأعمالِ القَلندرِ ، وجلالُهم كالجلالِ الإسكندري  
هذه الأُمَّةُ في العالمِ كالسُّيوفِ المسلولةِ .  
إنَّ جمالَ وجمالَ الرَّجلِ العارفِ يَكُمُنُ في معرفةِ ذاتيته  
هذا هو الكتابُ ، وما تبقى كلُّه تفاسيرُ له .

أنا لا أنكرُ عظمةَ العيدِ  
لكنَّ ما يُقبَلُ هو تكبيراتُ الحرِّ .  
كيفَ يَعْرِفُ الحكيمُ سرَّ نعماتي  
وأنَّ تدابيرَ أهلِ الجنونِ فيما وراءَ العقلِ ؟

( ١٤ )

كيف تقامرُ - قمارِ الحياةِ - كالكافرِ ؟  
ذلكَ أنكَ تسيِّرُ مع الزَّمانِ ولا تسيِّرُ مع نفسك .  
لم أَر في مدارسِ الحَرَمِ مرَّةً ثانيةً  
قلبَ جنيدٍ ونظرةَ الغزاليِّ والرَّازي .  
في حُكْمِ الفتى الأعظمِ الذي هو نفسه حُكْمُ الفطرةِ الأزليَّةِ :  
أنَّ أعمالَ الصُّقورِ حرامٌ في عقيدةِ الصَّغوةِ .  
قالَ ذلكَ الفقيهُ الأزليُّ للصَّغيرِ الصَّغيرِ :  
عليك أن تترتَّبَ بالسَّماءِ ولا تتعلَّقَ بالأرضِ .  
أنا الذي لها أقلع عن الكلامِ الصَّريحِ  
خوفاً من وشيهم بي لدى السُّلطانِ .  
قدم التحياتِ ممَّا نحنُ الفقراءُ إلى تركِ شيرازَ

فليس في أيدينا سمرقند وبخارى<sup>(١)</sup> .

( ١٥ )

ضميرُ الغربِ ضميرُ التُّجَّارِ ، ضميرُ الشُّرْقِ ضميرُ الرُّهبانِ  
هناك التغييرُ المستمرُّ في كل لحظةٍ ، وهنا لا يتغيَّرُ الزَّمانُ .  
قال لي الخضر على شاطئ البحر وكأني محرم لأسراره :  
إنَّ طرقَ الإسكندر<sup>(٢)</sup> والقَلَنْدرَ كلُّها طرقٌ سحريةٌ .

آلهة الخانقاهات يعتبرونني نِدَاءً لهم  
ويَخشون ألا ينشُقَ حَجْرُ عتبتهم من نواحي  
النَّصيحةِ الواضحةِ والعلامةِ المميَّزةِ لعلمٍ ومعرفةِ الأممِ المستعبدة :  
أنَّ الأرضَ لو ضاقتَ فيها هو فضاء الفلِّكِ بلا حدود .  
لا أعرفُ بماذا أسميه ، هل أسميه اختبارَ الله<sup>(٣)</sup> ، أم خداعَ النفسِ ؟  
إذ إنَّ المسلمَ أصبحَ خالياً من العملِ بعد أن اختلقَ من القَدْرِ عُذراً له .  
قال غصنُ الوردِ عن أسري قولاً أبكى الصَّيادَ :  
إنَّ عُشَّ هذا المغرِّدِ المفعمِ بالحُرقةِ لم يكن ثقيلاً عليَّ .

( ١٦ )

يا أيُّها الوطنُ العزيزُ لا حاجةَ للشُّرحِ والبيانِ  
عن صورةِ قلبنا المليءِ بالدَّمِ ، كشقاقِ النُّعمانِ .

(١) إشارة إلى شعر حافظ :

اكر اين ترك شيرازي بدست آرد دل مارا      بخال هندوش بخشم سمرقند وبخارا

(٢) طرق الإسكندر هي طرق الحياة .

(٣) في الأصل المعنى (خداع الله) ، أم خداع النفس ؟

إذ إنَّ المسلمَ أصبحَ خالياً من العملِ بعد أن اختلقَ من القَدْرِ عُذراً له .

التقديرُ هو اسمٌ لمكافأةِ الأعمالِ  
هذه هي رسالةُ آلهةِ الهمالايا .

جسدهُ عارٍ في ربحِ الشتاءِ  
ذلكَ الذي يقدِّمُ للأمراءِ رداءً من الصُّوفِ بفتنه وإبداعه .  
لا تأملُ في وفاءِ دولةِ الدُّنيا  
فهي كالغزالِ ، الهروبُ من طبعها .

( ١٧ )

حرامٌ على من علَّمته معرفةُ الذاتِ نسيانَ الجسدِ  
حرامٌ على هذا الرِّجلِ المجاهدِ أن يلبَسَ الدُّرعَ !

( ١٨ )

أخيمِلْ على ذلكَ العزمِ الرفيعِ ، واستمعْ إلى عويلي  
لكي تقومَ القيامةُ في صدرك أيضاً .

( ١٩ )

أنا غريبٌ هذه المدينة ، فاستمعْ إلى عويلي  
لكي تقومَ القيامةُ في صدرك أيضاً .  
أغنياتِي الممزوجةُ بالغمِّ والحزنِ متاعٌ عزيزٌ  
ونعمةُ القلبِ الحزينِ ليستْ عامَّةً في هذه الدُّنيا .  
أنوحٌ وأشكو من ذوقِ هذا الزَّمانِ الأعمى  
الذي فهمَ محتتي على أنَّها محنةٌ فرهاد .  
أعرفُ أنَّ الصَّوتَ الذي ينبعثُ من ضربِ الفأسِ على الحجرِ  
أعرفُ أنَّه آخرُ ، فهو صوتُ الفأسِ والكيدِ معاً .

## إلى سر أكبر حيدري رئيس وزراء حيدر آباد الدكن<sup>(١)</sup>

كَانَ هَذَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَنْ يُعْطَى الْقَلَنْدَرُ

ذُو الصِّفَاتِ الْمَلَكِيَّةِ عِظْمَةً بِرُوزِ<sup>(٢)</sup> .

قَالَ لِي : خُذْ وَصِرْ حَاكِمًا وَأَعْطِ الثَّبَاتِ

لِحَسَنِ التَّدْبِيرِ لِكُلِّ مَا هُوَ آتٍ وَلِكُلِّ مَا فَاتِ .

كُنْتُ مُسْتَعِدًّا لِأَنْ أَتَحْمَلَ عِبَاءَ هَذِهِ الْأَمَانَةِ عَلَى كَتْفِي

لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ مَرٌّ طَعَمَهُ بِصِيرٍ فِي حَلْقِ الدَّرُوشِ الشُّكْرِ .

وَلَكِنْ غَيْرَةُ فِقْرِي وَعِظْمَتُهُ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَقْبَلَ مَا قَدَّمَهُ

حِينَ قَالَ ، إِنَّ هَذِهِ هُوَ زَكَاةٌ لِأَلُوهُيْتِي .

### حسين أحمد<sup>(٣)</sup>

لَا يَغْرِفُ الْعَجْمُ حَتَّى الْآنَ أَسْرَارَ الدِّينِ

وَحَسِينَ أَحْمَدَ الدِّيُونَدِي - مَا هَذَا الْعَجْبُ الْعَجَابِ .

مَنْ يَخْطُبُ عَلَى الْمَنْبَرِ قَائِلًا بِأَنَّ الْمَلَّةَ قَائِمَةٌ عَلَى الْوَطَنِ

كَمْ هُوَ جَاهِلٌ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ الْعَرَبِيِّ<sup>(٤)</sup> !

عَلَيْكَ أَنْ تَصِلَ بِنَفْسِكَ إِلَى النَّبِيِّ فَإِنَّ الدِّينَ كُلَّهُ

(١) كان رئيس وزراء الهند ، وأرسل شيكاً بمبلغ ألف روبية إلى إقبال في ذكرى ميلاده .

(٢) أي : المال والدنيا .

(٣) كان من علماء الهند ويُعدُّ من مؤسسي مدرسة ديوبند ، ومن أنصار حزب المؤتمر ،

وهذا الشعر بالفارسية .

(٤) يقصد الدين .

فإن لم تصل إليه فكلُّ هذا يعدُّ من أعمالِ أبي لهب .

## السَّيِّدُ الْإِنْسَانِ

وَصَلَتْ دَرَجَةُ الْعِلْمِ وَالْفِكْرِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَى دَرَجَةِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لشيءٍ أَنْ يَخْتَفِيَ ، فِهَذَا عَالَمٌ نُورَانِي .

لَوْ نَظَرَ أَحَدٌ لِرَأْيِ أَنْ حِجَابَ الْفِطْرَةِ رَقِيقٌ إِلَى دَرَجَةِ :  
أَنَّ الْبَسْمَاتِ الْخَفِيَّةَ لِلْمَلَائِكَةِ تَظْهَرُ وَاضِحَةً .

هَذِهِ الدُّنْيَا دَعْوَةٌ لِابْنِ آدَمَ أَنْ يَشَاهِدَ وَيَنْظُرَ  
فَكُلُّ مُسْتَوِرٍ قَدْ وَهَبَ ذَوْقَ التَّعْرِي .

هَذَا هُوَ ابْنُ آدَمَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ الْأَنْهَارَ  
تَفِيضُ مِنْ دَمَوَعِهِ الدَّامِيَةِ .

مَاذَا يَعْرِفُ الْفَلَكَ ؟ مَقَرُّ مَنْ هَذَا الْمَسْكَنُ التُّرَابِيُّ ؟  
وَالْهَدْفُ مِنْ خَلْقِ النُّجُومِ هُوَ حِرَاسَةُ بَيْتِ مَنْ ؟

لَوْ أَنَّنِي مَقْصُودُ الْكَلِّ فَمَاذَا « مَا وَرَائِي »  
وَمَا هِيَ نَهَايَةُ اضْطِرَابَاتِي الْمُتَجَدِّدَةِ !!

•••

••

•



## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	الديوان السادس : ضرب الكليم
٨	محتوى الديوان
١٨	إلى القارئين
١٩	تمهيد
٢١	القسم الأول : الإسلام والمسلمون
٢٣	الصبح - لا إله إلا الله
٢٤	الاستسلام للقدر - المعراج
٢٥	إلى سيد مصاب بالفلسفة
٢٦	الأرض والسماء - اضمحلال المسلمين - العلم والعشق
٢٧	اجتهاد
٢٨	شكر وشكوى - الذكر والفكر
٢٩	شبيخ الحرم - القدر - التوحيد
٣٠	العلم والدين - المسلم الهندي
٣١	على ذكر الإذن بحمل السيف - الجهاد
٣٢	القوة والدين - الفقر
٣٤	الإسلام - الحياة الأبدية
٣٥	السلطان - إلى الصوفي
٣٦	صريع الفرنج - التصوف
٣٧	الإسلام الهندي - قطعة
٣٨	الدنيا - الصلاة
٣٩	الوحي - هزيمة - العقل والقلب
٤٠	سكر العمل - القبر - همة القلندر

٤١	الفلسفة - رجال الله
٤٢	الكافر والمؤمن
٤٣	المهدي الحق - المؤمن في الدنيا - في الجنة
٤٤	محمد علي الباب - القدر - الخالق وإبليس
٤٥	أين روح محمد
٤٦	مدنية الإسلام - الإمامة
٤٧	الفقر والترهب
٤٨	قطعة - التسليم والرضا
٤٩	نكتة التوحيد - الإلهام والحرية
٥٠	الروح والجسم - لاهور وكراچي
٥١	النبوة - الإنسان - مكة وجنينا
٥٢	يا شيخ الحرم - المهدي
٥٣	المؤمن
٥٤	المسلم البنجابي - الحرية - نشر الإسلام في بلاد الإفرنج
٥٥	لا وإلا - إلى أمراء العرب
٥٦	الأحكام الإلهية - الموت
٥٧	قم بإذن الله
٥٩	القسم الثاني : التعليم والتربية
٦١	المقصود - إنسان هذا العصر
٦٢	أمم الشرق - التنبه - مصلحو الشرق
٦٣	الحضارة الغربية - أسراء ظاهرة
٦٤	وصية السلطان تيبو - قطعة
٦٥	اليقظة - تربية الذات
٦٦	حرية الفكر - حياة الذات - حكومة
٦٧	المدرسة الهندية - التربية
٦٨	الحسن والقبیح - موت الذات

٦٩	ضيف عزيز - العصر الحاضر - طالب العلم
٧٠	امتحان - المدرسة
٧١	الحكيم نيتشه - الأساتذة - قطعة
٧٢	الدين والتعليم - إلى جاويد
٧٧	القسم الثالث : المرأة
٧٩	الرجل الإفرنجي - سؤال - حجاب
٨٠	الخلوة - المرأة - حرية النساء
٨١	حصانة المرأة - المرأة والتعليم - المرأة
٨٣	القسم الرابع : الأدب والفنون
٨٥	الدين والفن - التخليق
٨٦	جنون - إلى شعره - مسجد باريس
٨٧	الأدب - البصيرة - مسجد قوة الإسلام
٨٨	مسرح
٨٩	شعاع الأمل
٩٠	أمل
٩١	البصيرة - إلى أهل الفن
٩٢	قطعة
٩٣	الوجود - الغناء
٩٤	النسيم والندى - أهرام مصر
٩٥	مخلوقات الفن - إقبال - الفنون الجميلة
٩٦	صبح المرج
٩٧	الخواقاني
٩٨	الرومي - الجدة
٩٩	مرزا بيدل - الجلال والجمال
١٠٠	المصور - الغناء الحلال
١٠١	الغناء الحرام - النافورة

الصفحة	الموضوع
١٠٢	الشاعر - شعر العجم
١٠٣	أصحاب الفن في الهند - الرجل العظيم
١٠٤	عالم جديد - خلق المعاني
١٠٥	الموسيقا - لذة النظر - الشعر
١٠٦	الرقص والموسيقا - ضبط النفس - الرقص
١٠٧	القسم الخامس : سياسات المشرق والمغرب
١٠٩	انقلاب - تملق - المناصب
١١٠	أوربة واليهود - عبودية الأنفس
١١١	الروس الشيوعيون - اليوم والغد - المشرق
١١٢	سياسة الإفرنج - العبيد - إلى أهل مصر
١١٣	الحبشة - أوامر إبليس إلى أبنائه الساسة
١١٤	جماعة الأمم الشرقية
١١٥	الملك الخالد - الجمهورية - أوربة وسورية - من موسوليني
١١٦	شكوى - انتداب
١١٧	السياسة اللادينية - شبكة التمدين
١١٨	نصيحة - قرصان وإسكندر
١١٩	عصبة الأمم - الشام وفلسطين - أئمة السياسة
١٢٠	نزعات العبودية - صلاة العبيد
١٢١	إلى عرب فلسطين - الشرق والغرب - نزعات التسلط
١٢٣	القسم السادس : أفكار محراب غل الأفغاني
١٣٣	الديوان السابع : رسالة الخلود
١٣٩	مناجاة
١٤٣	تمهيد سماوي
١٤٥	أغنية الملائكة - تمهيد أرضي
١٤٦	غزل
١٥٢	زروان ( وهو روح الزمان والمكان )

الصفحة	الموضوع
١٥٤	زمزمة النجوم
١٥٧	القسم الأول - فلك القمر
١٦١	الحكيم الهندي الذي آثر الخلوة
١٦٢	الرومي
١٦٣	جهان دوست
١٦٥	تسع كلمات للعارف الهندي
١٦٧	تجلّي سروش
١٦٨	لحن سروش
١٦٩	الرحيل إلى وادي يرغميد
١٧١	طاسين جوتاما بودا
١٧٣	الراقصة - طاسين زرادشت
١٧٥	زرادشت
١٧٦	طاسين المسيح
١٧٨	طاسين محمد - ﷺ -
١٨٥	القسم الثاني - فلك عطارد
١٨٧	ساعة مع السيد جمال الدين الأفغاني
١٩٥	الأفغاني - زنده رود - الدين والوطن
١٩٦	الشيوعية والرأسمالية
١٩٨	سعيد حلیم باشا
١٩٩	زنده رود - الأفغاني
٢٠٠	محكمات العالم القرآني
٢٠٣	الحكم الإلهي
٢٠٤	الأرض ملك لله
٢٠٧	القسم الثالث : فلك زحل
٢٠٩	الحكمة خير كثير
٢١٠	زنده رود - سعيد حلیم باشا

الصفحة	الموضوع
٢١٢	الأفغاني
٢١٣	رسالة الأفغاني إلى شعب روسيا
٢١٦	جلال الدين الرومي
٢١٧	غزل زنده رود
٢١٩	فلك الزهرة
٢٢١	عودة الجاهلية
٢٢٥	أغنية بعل
٢٢٧	الغوص في بحر الزهرة - غزل
٢٢٩	الرومي - فرعون
٢٣٠	الرومي - اللورد كتسنر - فرعون
٢٣١	ظهور درويش السودان
٢٣٣	القسم الرابع : فلك المريخ
٢٣٥	أهل المريخ
٢٣٧	ظهور فلك المريخ من المرصد
٢٣٨	الرومي
٢٣٩	حكيم المريخ
٢٤٠	التجوال في مدينة مرغدين - حكيم المريخ
٢٤٣	قصة فتاة المريخ التي ادعت النبوة
٢٤٤	رسالة نبية المريخ
٢٤٦	الرومي
٢٤٧	القسم الخامس : فلك المشتري
٢٤٩	أرواح الحلاج وغالب وقرّة العين الطاهرة
٢٥١	لحن الحلاج
٢٥٢	لحن غالب
٢٥٣	لحن الطاهرة
٢٥٤	زنده رود يعرض مشكلاته على الأرواح

الصفحة	الموضوع
٢٦٦	ظهور رأس أهل الفراق إبليس
٢٦٩	شكوى إبليس
٢٧١	القسم السادس : فلك زحل
٢٧٣	الأرواح الخبيثة التي غدرت بالوطن
٢٧٤	بحر الدماء
٢٧٥	روح الهند تظهر - روح الهند تنوح وتنتحب
٢٧٧	صيحة راكب في زورق بحر الدماء
٢٧٩	القسم السابع : ما وراء الأفلاك
١٨١	منزلة الفيلسوف الألماني نيتشه
٢٨٣	الرحيل إلى جنة الفردوس
٢٨٥	قصر شرف النساء
٢٨٧	زيارة الأمير سيد علي همداني وملا طاهر غني كشميري
٢٨٨	في حضرة أمير همدان
٢٩٦	حديث مع الشاعر الهندي برتري هري
٢٩٩	السفر إلى قصر سلاطين المشرق
٣٠٣	ظهور روح ناصر خسرو العلوي واختفاؤها
٣١٠	رسالة السلطان الشهيد إلى نهر كاويري
٣١٣	زنده رود يغادر الجنة العالية
٣١٥	في الحضرة الإلهية
٣١٧	نداء الجمال الأبدى
٣٢٣	القسم الثامن : كلمة إلى الجيل الجديد
٣٣٧	الديوان الثامن : والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق
٣٤٢	التمهيد
٣٤٦	مناجاة الشمس
٣٤٨	حكمة الكلیم - سياسة الأنبياء
٣٥١	حكمة فرعون أو سياسة الطغاة

٣٥٤	كلمة التوحيد ( لا إله إلا الله )
٣٥٨	فقر الصالحين
٣٦٣	الرجل الحر
٣٦٤	رباعيات
٣٦٦	في أسرار الشريعة
٣٧٠	دمعة على افتراق الشعب في شبه القارة
٣٧٤	السياسة الحاضرة
٣٧٧	إلى الأمة العربية
٣٨٩	والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق
٣٩٦	شكوى ومناجاة
٤٠٩	الديوان التاسع : هدية الحجاز
٤١٧	القسم الأول : بالفارسية - مناجاة
٤٢٣	في الحضرة الإلهية
٤٣٣	القسم الثاني : الرسالة
٤٥٧	القسم الثالث : المجتمع
٤٦١	الذاتية
٤٦٢	أنا الحق
٤٦٣	الصوفي والملا
٤٦٤	جلال الدين الرومي
٤٦٦	إلى مصر
٤٦٨	شعراء العرب
٤٧٠	يابن الصحراء
٤٧٠	وما يدريك أن المغوار في هذا الغبار
٤٧٢	الخلافة والملك
٤٧٣	التركي العثماني
٤٧٤	فتاة المجتمع



الصفحة	الموضوع
٤٧٥	العصر الحاضر
٤٧٦	البرهمي
٤٧٧	التعليم
٤٧٩	السعي في الرزق
٤٨٠	التمساح وصغيره - خاتمة
٤٨١	العالم الإنساني - تمهيد
٤٨٩	الذاتية
٤٩٠	الجد والاختيار - الموت
٤٩١	إبليس التراي وإبليس الناري
٤٩٣	إلى رفقاء الطريق
٥٠١	القسم الرابع : قصائد
٥٠٣	برلمان إبليس
٥١٨	نصيحة بلوش عجوز لابنه
٥١٩	الصورة والمصور
٥٢٠	عالم البرزخ
٥٢٣	الملك المعزول - مناجاة جهنمي
٥٢٤	مسعود المرحوم
٥٢٦	صوت من الغيب
٥٢٩	القسم الخامس : رباعيات
٥٣٤	مذكرات ملاً زاده ضيفم اللولابي الكشميري
٥٤٤	إلى سر أكبر حيدري - حسين أحمد
٥٤٥	السيد الإنسان
٥٤٦	فهرس الموضوعات

\*\*\*